من وصايا القرآن الكريم

إختيار وتعليق

محمد الأنور أحمد البلتاجي

الناشر

دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع

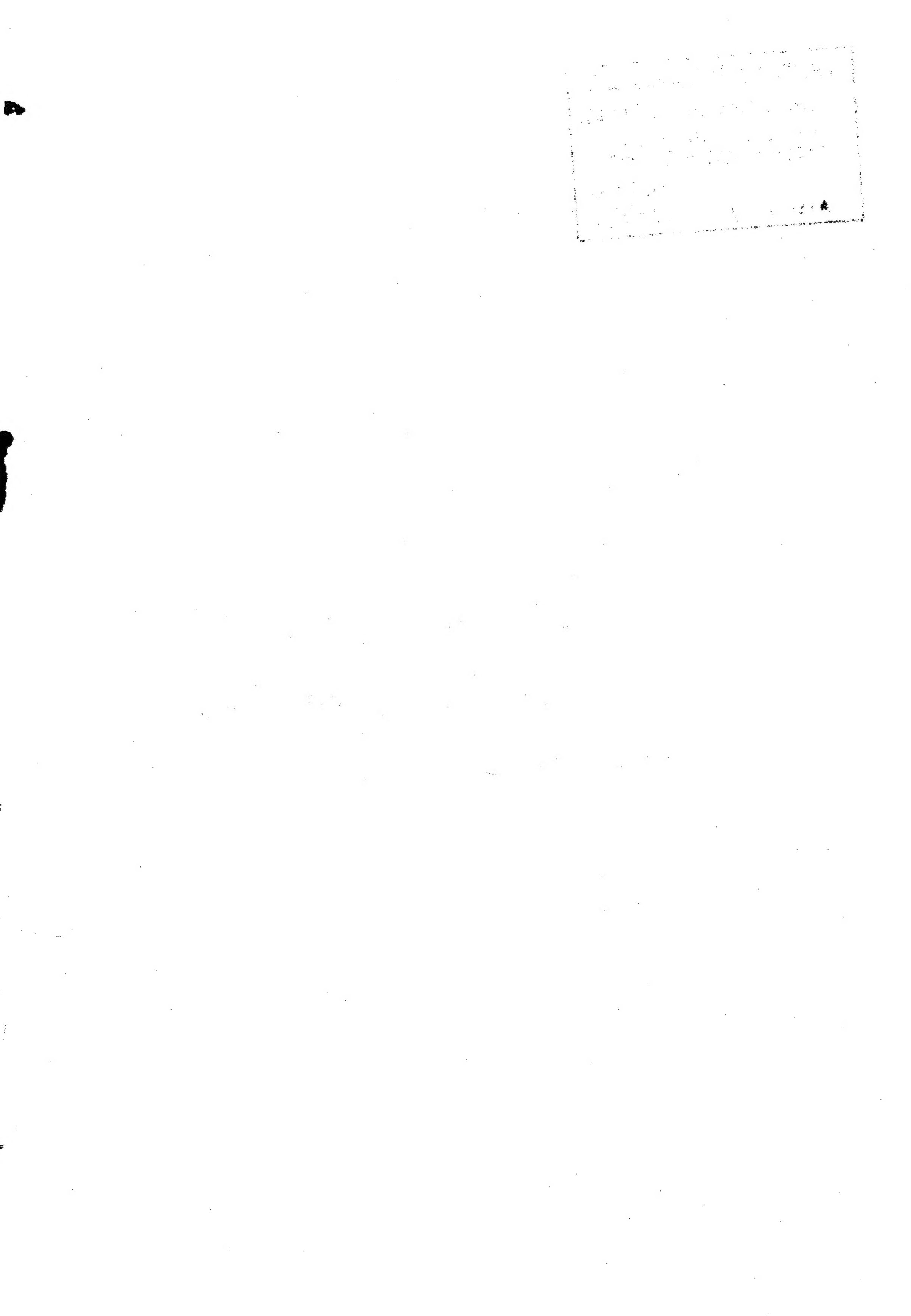
ميدان المشهد الحسيني ت ٩٣٦١٤٥

الطبعة الثانية
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ

"صَدَقَ اللّٰهُ العَظِيم"



الاهـداء ..

الى حفيدتى صفاء ..

الى اخوتها : على ، وعلا ، ومروة ..

الى كل صفاء .. وكل على .. وكل علا .. وكل مروة .

الى كل فتى وفتاة من جيل الأبناء والأحفاد ..

.. ذلك الجيل الذى نأمل على يديه الخير ..

فيعودوا الى الاسلام .. ويعيدوا له مجده وعزه ، ومثله وأخلاقه .

الى هذا الجيل الطاهر المـأمول .. فى وطننا الاسلامى العريض ..
الذى يدين بالاسلام .. ويستلهم القرآن .

أهدى هذا الكتاب .. عله يكون علامة على الطريق .. نحو المستقبل المشرق باذن الله ..

وعلى الله قصد السبيل ..

محمد الأنور البلتاجى





مقدمة

الحمد لله •• نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره •• ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا •• من يهده الله فلا مضل له •• ومن يضلل فلا هادى له ••

وأشهد أن لا اله الا الله •• وحده لا شريك له •• له الملك وله الحمد •• يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير •• وبيده المصير ••

ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير ••

ما اتخذ صاحبة ولا ولدا •• ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدره تقديرا ••

وأشهد أن سيدنا ومولانا •• وحبيبنا وشفيعنا محمد عبده ورسوله •• وخيرته من خلقه •• أرسله رحمة للعالمين ••

فبلغ الرسالة •• وأدى الأمانة •• وجاهد فى الله حق جهاده •• ونصح الأمة •• وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ••

اللهم صل على سيدنا محمد •• وعلى آل سيدنا محمد •• كما صليت على سيدنا ابراهيم •• وعلى آل سيدنا ابراهيم •• وبارك على سيدنا محمد •• وعلى آل سيدنا محمد •• كما باركت على سيدنا ابراهيم •• وعلى آل سيدنا ابراهيم •• فى العالمين انك حميد مجيد ••

وبعــد ••

أرسل الله تعالى رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للناس كافة •• هاديا ومبشرا ونذيرا •• وأنزل عليه القرآن وحيا من السماء ليكون دستورا دائما ينظم للناس حياتهم •• ويأخذ بأيديهم الى طريق النجاة •• حاملا من المثل الرفيعة ما يجعلهم يعيشون دنياهم فى سعادة وهناء ••

اخوة متحابين متعاونين •• ليجنوا فى أخراهم ثمرة صلاحهم وعملهم الطيب : جنات النعيم •

ولم يجبر الله الناس على الايمان •• انما وضح لهم الطريق •• وتركهم أحرارا وما يشاءون •• فمن شاء فليؤمن •• ومن شاء فليكفر ••

غير أن الله تعالى لم يترك الناس سدى • بل بين لهم السبيل الى الهدى والصلاح •• وأنذرهم عاقبة البغي والعدوان ••

ثم أعلمهم بما يؤول اليه أمرهم •• فاما جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمؤمنين المتقين •• واما نار حامية •• وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين الجاحدين ••

وأينما نظرت فى القرآن •• وجدت الجواب على ما يساورك من تساؤل •• والعلاج الشافى لأمراض النفوس ، وعلل المجتمعات •

* * *

ومنذ وعيت القرآن الكريم •• وأنا أقف مبهورا أمام وصاياه عامة •• ووصايا لقمان الحكيم خاصة •• فقد أجملت ما فصله القرآن فى وصاياه الخالدة ••

ففيها خلاصة الحكمة التي أوتيها لقمان والنبيين •• منذ أرسل الله الرسل يهدون الناس ويأخذون بأيديهم الى طريق النجاة ••

وفيها المنهاج الكامل للأخلاق الفاضلة والحياة السعيدة ••

وفيها النبراس المضىء فى مسيرة الحياة •• الهادى الى التقى والصلاح ••

وأول ما تطالع فى هذه الوصايا الخالدة •• تجد النهى عن الشرك بالله •• لأن الله هو الخالق الرازق المدبر •• ومن الظلم أن يعبد سواه ••

وتجد الأمر ببر الوالدين •• فهما السبب المباشر فى ايجاد الأبناء فى هذه الحياة ••

وخص الأم بزيادة البر والاحسان •• فقد حملت ابنها جنينا فى بطنها شهورا طويلة •• وأرضعته طفلا حولين كاملين •• وتعهدته بالرعاية والعناية والتربية •• وكل ذلك يزيدها ضعفا على ضعفها الطبيعى •• فوجب شكرها وبرها زيادة على شكر الأب وبره ••

بل ان الله تعالى قرن شكره بشكر الوالدين •• ومن لم يشكر والديه فما شكر الله ••

وتجد الأمر بالصلاة •• والحض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• والصبر على المكاره ••

وتجد فيها النهى عن التكبر والاختيال والغرور •• والأمر بالتواضع والانة الجانب ••

والخلاصة •• تجد فيها الخير كله ••

* * *

وظل الناس بخير ما تمسكوا بتعاليم ربهم •• فلما تبدل الحال وجرفتهم الحياة بمادياتها •• صرفوا أنظارهم عن تعاليم السماء •• وأعرضوا عن كتاب ربهم وقصروه على طقوس تؤدى فى الصلوات وتقدم قربانا للأموات •• فتاهوا عن طريق النجاة بعد أن فقدوا النور الذى يهديهم ويرشدهم الى سواء السبيل ••

وأينما توجهت ببصرك اليوم •• وجدت ما يصدم مشاعرك ••

لقد أعرض الناس عن توحيد الله تعالى •• فاتخذوا من دونه أولياء ووسطاء وشفعاء •• يتوجهون اليهم فى الملمات •• ويتضرعون اليهم فى الشدائد ••

وانتشر عقوق الآباء والأمهات بين الأبناء والبنات ••

وضاعت الصلاة •• الا من حركات تؤدى دون تدبر أو ادراك ••

وكف الناس عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• ولم يصبروا على المكاره ••

وانتشر الكبر والاختيال والغرور ••

فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ••

* * *

وما أوصل الناس الى هذا الحال •• الا اعراضهم عن كتاب ربهم •• وانحرافهم الي التيارات المادية التى نزل الوحى من السماء بمقاومتها والاعراض عنها •

فما أحرانا اليوم الى العودة الى كتاب الله •• ففيه الهدى والفلاح •• وفيه العلاج والشفاء ••

وما أجدرنا باتباع وصايا القرآن الكريم •• حتى يعود الى الاسلام مجده وعزه ••

وانما الأمل معقود على جيل الأبناء والأحفاد •• أن يعودوا الى دين ربهم •• حتى يفلحوا ويسودوا •• فتدين لهم الدنيا •• ويعيشوا حياتهم فى سعادة وهناء ••

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »

والله الموفق •• وهو المستعان •

القاهرة فى ٢٩ جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ
٢ مـــــارس ١٩٨٤ م

محمد الأنور البلتاجى

وصايا حكيم :

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى حميد *

« واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم *

« ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الى المصير *

« وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون *

« يا بنى انها ان تك مثقـــال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير *

« يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور *

« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور *

« واقصـــد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير »[١] .

صدق الله العظيم

* * *

---

(١) لقمان : ١٢ — ١٩

❋ تفسير مختصر للآيات :

● « يقول الله تعالى : ولقد أعطينا لقمان الحكم والعلم والاصابة فى القول •• وقلنا له : اشكر الله على ما أعطاك من النعم ، ومن يشكر فانما يبتغى الخير لنفسه •• ومن كفر النعم ولم يشكرها فان الله تعالى غير محتاج الى شكره •• فهو مستحق للحمد وان لم يحمده أحد ••

● واذكر اذ قال لابنه وهو يعظه : يا بنى •• لا تشرك بالله أحدا •• أن الشرك بالله لظلم عظيم يسوى بين المستحق وغير المستحق ••

● وأمرنا الانسان أن يبر والديه •• ويجعل أمه أوفر نصيبا •• حملته : فيتزايد ضعفها ، ويعظم شيئا فشيئا •• وفطامه فى عامين •• ووصيناه أن اشكر لله ولوالديك •• اليه المرجع للحساب والجزاء ••

● وان حملك والداك — بجهد — على أن تشرك بالله مالا تعلم أنه يستحق العبادة •• فلا تطعهما فى ذلك ، وصاحبهما فى الدنيا بالبر والصلة والاحسان •• واتبع طريق من رجع الى بالتوحيد والاخلاص •• ثم الى مرجعكم جميعا •• فأخبركم بما كنتم تعملون من خير وشر ، لأجازيكم عليه ••

● يا بنى •• ان الحسنة أو السيئة للانسان ان تكن — مثلا — فى الصغر كحبة الخردل •• فتكن فى أخفى مكان ، كقلب صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يظهرها الله ويحاسب عليها •• ان الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء •• خبير يعلم حقائق الأشياء كلها ••

● يا بنى •• حافظ على الصلاة •• وأمر بكل حسن ، وانه عن كل قبيح •• واحتمل ما أصابك من الشدائد •• ان ما أوصى الله به هو من الأمور التى ينبغى الحرص عليها والتمسك بها ••

● ولا تمل خدك للناس تكبرا •• ولا تمش فى الأرض معجبا بنفسك •• ان الله لا يحب كل مختال يعدد مناقبه ••

● وتوسط فى مشيك بين السرعة والبطء •• واخفض من صوتك •• لأن أقبح ما يستنكر من الأصوات هو صوت الحمير •• أوله زفير مما يكره •• وآخره شهيق مما يستقبح »[٢] .

❋ ❋ ❋

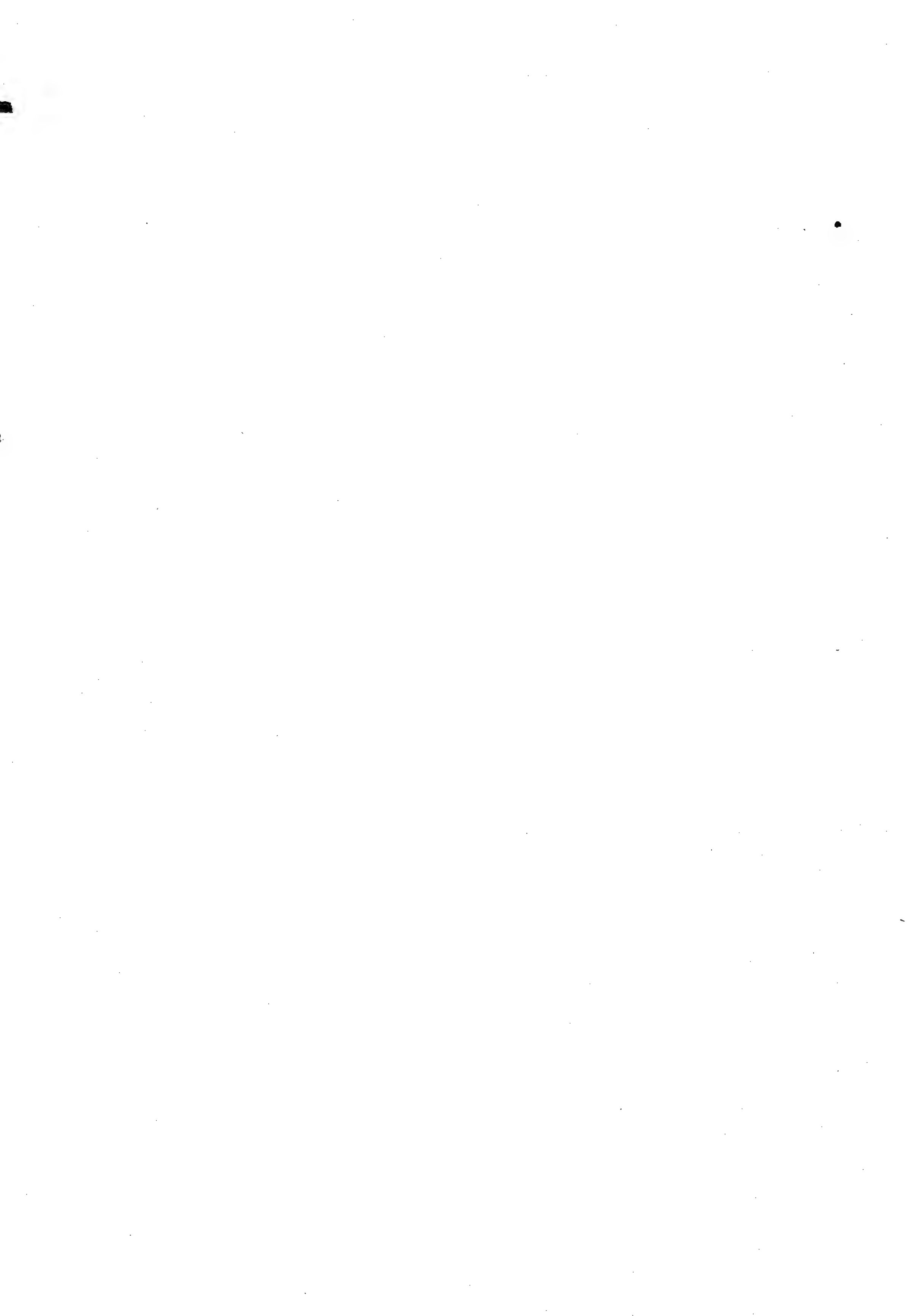
---

(٢) انظر : المنتخب من تفسير القرآن الكريم .

الفصل الأول

الحكيم .. والحكمة

* لقمان الحكيم ..
* أصله وجنسه ..
* صنـــاعته ..
* هل كان نبيا ؟؟
* نماذج من وصاياه ..
* ما هى الحكمة ؟؟
* شكر الله وحمده ..



الحكيم •• والحكمة

* لقمان الحكيم :

عرف العرب بهذا الاسم ـ لقمان ـ شخصين •• أحدهما « لقمان ابن عادياء » •• وكان معمراً من بقية عاد الأولى •• عظمت العرب قدره فى المنباهة والرياسة والعلم ، والفصاحة والدهاء •

ونسبوا اليه طائفة من الأمثال والأخبار والأقاصيص •• وشخصيته شبه أسطورية ••

أما الآخر •• فهو لقمان الحكيم •• الذى اشتهر بحكمه وأمثاله •• وشهد الله له بالحكمة •• فقال تعالى : **« ولقد آتينا لقمان الحكمة »**[1] وأطلق اسمه على سورة من القرآن الكريم •

وقد أدخل لقمان على العرب حكمة جديدة •• تداولوها فيما بعد •• وكانت حكمة شائعة بينهم ••

ذكر ابن هشام : « قدم سـويد بن الصامت ـ أخو بنى عمرو ابن عوف ـ مكة حاجا أو معتمرا •• فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام ••

فقال له سويد : لعل الذى معك مثل الذى معى ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما الذى معك » ؟

فقال : مجلة لقمان ـ يعنى حكمة لقمان ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعرضها على » فعرضها عليه فقال : « ان هذا الكلام حسن •• والذى معى أفضل منه : قرآن أنزله الله على •• وهو هدى ونور » ••

فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم •• ودعاه الى الاسلام •• فلم يبعد وقال : هذا قول حسن !!

---

(١) لقمان : ١٢

ثم انصرف وقدم المدينة على قومه •• فلم يلبث أن قتلته الخزرج •• فكان رجال من قومه يقولون : انا لنراه مات مسلما •

وكان قتله يوم بعاث »[٢] •

* * *

*** أصله وجنسه :**

واختلف الناس فى أصل لقمان وجنسه •• وفى العهد الذى عاش فيه وصناعته •• وفيما اذا كان نبيا •• أم كان عبدا صالحا من غير نبــوة !!

فذكر قوم أنه كان عبريا •• وذكر آخرون أنه كان نوبيا من أهل « أيلة » •• وقال آخرون : بأنه كان حبشيا •• أو أسودا من سودان مصر •• ولم يقل أحد بأنه كان عربيا ••

قال ابن اسحاق : « هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح ــ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام » •

وقال وهب : « كان ابن أخت أيوب » •

وقال مقاتل : « ذكر أنه كان ابن خالة أيوب » •

وذكر الزمخشرى : « هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته » ••

وقيل : كان من أولاد آزر •• عاش ألف سنة •• وأدركه داوود عليه السلام ، وأخذ عنه العلم •• وكان يفتى قبل مبعث داوود •• فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فى ذلك •• فقال : آلا أكتفى اذ كفيت ••

وذكر السهيلى : هو لقمان بن عنقاء بن سرون •• وكان نوبيا من أهل أيلة ••

ونقل قتادة عن عبد الله بن الزبير قال : قلتَ لجابر بن عبد الله : ما انتهى اليكم من شأن لقمان ؟ قال : كان قصيرا •• أفطس الأنف •• من النوبة ••

---

(٢) أسد الغابة ــ لابن الأثير ــ جـ ٢ ص ٤٨٩ طبع دار الشعب .. و « بعاث » : موضع بالقرب من المدينة .. سكنته قبيلة بنى قريظة اليهودية واشتهرت بالحرب التى نشبت بين الأوس والخزرج بفعل دسائس اليهود ، قبل الهجرة ببضع سنين •

وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال : كان لقمان من سودان مصر •• ذو مشافر •• أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة ••

وجاء رجل أسود الى سعيد بن المسيب رضى الله عنه يسأله •• فقال له سعيد : لا تحزن من أجل أنك أسود •• فانه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان : بلال ، ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، ولقمان الحكيم •• كان أسود نوبيا ذا مشافر ••

* * *

*** صناعته :**

واختلف الناس فى صناعته •• فقيل كان خياطا •• وقيل كان نجارا •• وقيل حطابا •• وقيل راعيا ••

وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل ومستشارا لنبى الله داوود عليه السلام !!

وذكر سعيد بن المسيب أنه كان خياطا ••

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا ••

وعن خالد بن ربعى قال : كان لقمان عبدا حبشيا نجارا •• فقال له مولاه يوما : اذبح لنا هذه الشاة • فذبحها •• قال : أخرج أطيب مضغتين فيها •• فأخرج اللسان والقلب ••

ثم مكث ما شاء الله •• ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة • فذبحها •• فقال : أخرج لنا أخبث مضغتين فيها •• فأخرج اللسان والقلب !!

فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما •• وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما !!

فقال لقمان : انه ليس من شىء أطيب منهما اذا طابا •• ولا أخبث منهما اذا خبثا !!

وفى هذا المعنى •• حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا وان فى الجسد مضغة •• اذا صلحت صلح الجسد كله •• واذا فسدت فسد الجسد كله : **ألا وهى القلب** » •

ويقول عن اللسان : « **من** وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة : ما بين لحييه[٣] ورجليه ••• » **الحديث** •

---

(٣) اللحيين : هما الفكان •

وقال مجاهد : « كان لقمان عبداً أسود •• غليظ الشفتين •• مصفح القدمين ــ أى مشققهما ــ وكان قاضيا على بنى اسرائيل » •

وقال الواقدى : « كان قاضيا فى بنى اسرائيل » •

وعن عمرو بن قيس قال : كان لقمان عبداً اسود •• غليظ الشفتين •• مصفح القدمين •• فأتاه رجل فى مجلس ناس يحدثهم فقال له : ألست الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا ؟ قال : نعم •• قال : فما الذى بلغ بك ما أرى ؟ •• فقال لقمان : صدق الحديث ، والصمت عما لا يعنينى ••

وعن جابر قال : ان الله رفع لقمان الحكيم بحكمته •• فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك •• فقال له : ألست عبد بنى فلان الذى كنت ترعى بالأمس ؟ •• قال : بلى •• قال : فما الذى بلغ بك ما أرى ؟

فقال لقمان : قدر الله •• وأداء الأمانة •• وصدق الحديث •• وتركى ما لا يعنينى ••

وروى عبد الله بن وهب عن عمر مولى غفرة قال : وقف رجل على لقمان الحكيم •• فقال : أنت لقمان ؟ قال : نعم •• قال : أنت عبد بنى الحسحاس ؟ قال : نعم •• قال : أنت راعى الغنم ؟ قال : نعم •• قال : أنت الأسود ؟

فقال لقمان : أما سوادى فظاهر •• فما الذى يعجبك فى أمرى ؟

قال : وطء الناس بساطك •• وغشيهم بابك •• ورضاهم بقولك !!

فقال : يا ابن أخى •• ان أصغيت الى ما أقول لك كنت كذلك •• انما بلغ بى ما ترى : غض بصرى •• وكفى لسانى •• وعفة طعمتى •• وحفظى فرجى •• وقولى بصدقى •• ووفائى بعهدى •• وتكرمتى ضيفى • وحفظى جارى •• وتركى مالا يعنينى •• فذاك الذى صيرنى الى ما ترى ••

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ــ وذكر لقمان الحكيم ــ فقال : ما أوتى عن أهل ولا مال •• ولا حسب ولا خصال •• ولكنه كان رجلا صمصامة سكيتا •• طويل التفكير •• عميق النظر •• لم ينم نهارا قط •• ولم يره أحد قط يبزق ولا يتنخع ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل •• ولا يعبث ولا يضحك •• وكان لا يعيد منطقا نطقه الا أن يقول حكمة يستعيدها اياه أحد •• وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك

عليهم •• وكان يغشى السلطان •• ويأتى الحكام لينظر ويتفكر •• فبذلك أوتى ما أوتى ••

* * *

* هل كان نبيا ؟؟

روى ابن عطيه •• عن ابن عمر رضى الله عنهما •• قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم يكن لقمان نبيا •• ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين •• أحب الله تعالى فأحبه ، فمن عليه بالحكمه •• وخيره فى أن يجعله خليفة يحكم بالحق • فقال : رب •• ان خيرتنى قبلت العافية وتركت البلاء •• وان عزمت على فسمعا وطاعة فانك ستعصمنى » •

وزاد الثعالبى : « فقالت له الملائكة بصوت لا يراهم : لم يا لقمان ؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها •• يغشاه المظلوم من كل مكان •• ان يعان فبالحرى أن ينجو •• وان أخطأ أخطأ طريق الجنة •• ومن يكن فى الدنيا ذليلا فذلك خير من أن يكون فيها شريفا •• ومن يختر الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا يصيب الآخرة •

فعجبت الملائكة من حسن منطقه •• فنام نومة فأعطى الحكمة •• فانتبه يتكلم بها !!

ثم نودى داوود بعده فقبلها — يعنى الخلافة — ولم يشترط ما اشترطه لقمان •• فهوى فى الخطيئة غير مرة •• كل ذلك يعفو الله عنه ••

وكان لقمـــان يؤازره بحكمته •• فقال له داوود : طوبى لك يا لقمان •• أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء •• وأعطى داوود الخلافة وابتلى بالبلاء والفتنة » ••

وروى ابن أبى حاتم عن قتادة رضى الله عنه قال : « خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة •• فاختار الحكمة على النبوة •• قال : « فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة — أو رش عليه الحكمة — فأصبح ينطق بها •• فقيل له : كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك ؟!

فقال : انه لو أرسل الى بالنبوة عزمة لرجوت فيها الفوز منه •• ولكنت أرجو أن أقوم بها •• ولكنه خيرنى فخفت أن أضعف عن النبوة •• فكانت الحكمة أحب الى » •

وروى أن لقمان الحكيم دخل على داوود عليه السلام .. وهو يسرد الدروع .. وقد لين له الحديد كالطين .. فأراد أن يسأله فادركته الحكمة فسكت .. فلما أتمها داوود لبسها وقال : نعم لبوس الحرب أنت .. فقال لقمان : الصمت حكمة وقليل فاعله .. فقال له داوود : بحق ما سميت حكيما !!

وسئل يوما : أي الناس شر ؟ قال : الذى لا يبالى ان رآه الناس مسيئا ..

وفى هذا المعنى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل أمتى معافى الا المجاهرون .. وان من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا .. ثم يصبح وقد ستره الله فيقول . يا فلان .. عملت البارحة كذا وكذا .. وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه »[4] .

* * *

ولقد كان لقمان راضيا بقضاء الله .. مؤمنا بأن تدبيره تعالى خير من كل تدبير .. ومن ذلك ما رواه ابن قدامة المقدسى عن سعيد بن المسيب قال : « قال لقمان لابنه : يا بنى .. لا ينزلن بك أمر رضيته أو كرهته الا جعلت فى الضمير أن ذلك خير لك ..

قال : أما هذه فلا أقدر أن أعطيكها دون أن أعلم ما قلت أنه كما قلت !!

قال : يا بنى .. فان الله قد بعث نبيا .. هلم حتى نأتيه .. فعنده بيان ما قلت لك .. قال : اذهب بنا اليه ..

فخرج على حمار وابنه على حمار . وتزودا بما يصلحهما .. ثم سارا أياما وليالى .. حتى تلقتهما مفازة .. فأخذا أهبتهما ودخلاها .. فسارا ما شاء الله أن يسيرا .. حتى تعالى النهار واشتد الحر .. ونفد الماء والزاد .. فاستبطآ حماريهما فنزلا يمشيان .. فبينما هما كذلك .. اذ نظر لقمان أمامه فاذا هو بسواد ودخان .. فقال فى نفسه : السواد شجر والدخان عمران وناس ..

فبينما هما كذلك يشهدان .. اذ وطىء ابن لقمان على عظم على الطريق .. فدخل فى باطن قدمه حتى ظهر من أعلاها .. فخر مغشيا عليه .

---

(٤) رواه البخارى عن أبى هريرة .

فحانت من لقمان التفاتة •• فاذا هو بابنه صريع •• فوثب اليه فضمه الى صدره •• واستخرج العظم بأسنانه •• وشق عمامة كانت عليه فعصب رجله •• ثم نظر الى وجه ابنه فذرفت عيناه •• فقطرت قطرة من دموعه على خد الغلام فانتبه لها •• فنظر الى أبيه يبكى فقال : يا أبت أنت تبكى ، وأنت تقول هذا خير لى •• فكيف ذلك وأنت تبكى •• وقد نفد الشراب والزاد •• وبقيت انا وأنت فى هذا المكان ؟!

قال : أما بكائى يا بنى فوددت أنى افتديتك بجميع حظى من الدنيا •• ولكنى والد وفى رقة الوالد •• وأما قولك : كيف يكون هذا خير لى ؟ فلعل ما صرف عنك أعظم مما ابتليت به •• ولعل ما ابتليت به أيسر مما صرف عنك ••

فبينما هو يحاوره •• اذ نظر لقمان أمامه •• فلم ير الدخان والسواد •• فقال فى نفسه : لم أر شيئا •• ثم قال : قد رأيت ، ولكن لعله أن يكون قد أحدث ربى بما رأيت شيئا !!

فبينما هو يفكر فى ذلك •• اذ نظر فاذا هو بشخص قد أقبل على فرس أبلق •• عليه ثياب بيض •• يمسح الهواء مسحا •• فلم يزل يرمقه بعينيه حتى كان منه قريبا •• فتوارى عنه •• ثم صاح به فقال : أنت لقمان ؟ •• قال : نعم •• قال : ما قال لك ابنك هذا السفيه ؟

قال : يا عبد الله •• من أنت ؟ •• أسمع كلامك ولا أرى وجهك !!

قال : أنا جبريل •• لا يرانى الا ملك مقرب أو نبى مرسل •• ولولا ذلك لرأيتنى •• فما قال لك ابنك هذا السفيه ؟

قال : أما علمت ذلك ؟

فقال جبريل : مالى بشىء من أمركما علم •• الا أن حفظتكما أتونى وقد أمرنى ربى تعالى بخسف هذه المدينة وما فيها وما يليها •• فأخبرونى أنكما تريدان هذه المدينة •• فدعوت ربى أن يحبسكما عنى بما شاء •• فحبسكما عنى بما ابتلى به ابنك •• ولولا ذلك لخسف بكما مع من خسف به ••

ثم مسح جبريل — عليه السلام — بيده على قدم الغلام فاستوى قائما •• ومسح يده على الذى كان فيه الطعام فامتلأ طعاما •• ومسح على الذى كان فيه المـاء فامتلأ ماء •• ثم حملهما وحماريهما فرحل

بهما كما يرحل الطير .. فاذا هما فى الدار التى خرجا منها بعد أيام وليـــالى ..[٥] .

* * *

* نماذج من وصاياه :

قال وهب بن منبه : قرأت فى حكمة لقمان أرجح من عشرة آلاف باب ..

وعن مالك بن أنس رضى الله عنه .. أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال : يا بنى .. جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك .. فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة .. كما يحيى الله الأرض الميتة بوابل السماء ..[٦] .

ومما يروى من وصاياه لابنه :

— « يا بنى .. استغن بالكسب الحلال عن الفقر .. فانه ما افتقر أحد قط الا أصابه ثلاثة خصال : رقة فى دينه ، وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته .. وأدهى من هذه الثلاثة : استخفاف الناس به » .

— « يا بنى .. انى موصيك بثمانية أمور : احفظ قلبك فى الصلاة .. واحفظ نظرك فى بيوت الناس .. واحفظ لسانك فى مجالس الناس .. واحفظ بطنك من حلقومك .. واذكر اثنين وانس اثنين .. اذكر الله والموت .. وانس احسانك الى الناس واساءتهم اليك » .

— « يا بنى .. اتخذ تقوى الله تعـــالى تجارتك يأتيك الربح من غير بضاعة » .

— « يا بنى .. احضر الجنـــائز ، ولا تحضر العرس .. فان الجنائز تذكرك الآخرة ، والعرس يشهيك الدنيا » .

— « يا بنى .. لا تكن أعجز من هـــذا الديك الذى يصوت بالأسحار .. وأنت نائم على فراشك » .

— « يا بنى .. لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة » .

— « يا بنى .. لا ترغب فى ود الجاهل فيرى أنك ترضى عمله » .

— « يا بنى .. اتق الله ، ولا ترى الناس أنك تخشاه ليكرموك بذلك ، وقلبك فاجر » .

---

(٥) مختصر منهاج القـــاصدين — لابن قدامة المقدسى — ص ٣٠٩ طبع دار التراث العربى سنة ١٩٨٢ .

(٦) الموطأ — للامام مالك — ص ٦١٩ طبع دار الشعب .

— « يا بنى •• ما ندمت على الصمت قط •• فان الكلام اذا كان من فضة كان السكوت من ذهب » •

— « يا بنى •• اعتزل الشر فان الشر للشر خلق » •

— « يا بنى •• لا ترسل رسولك جاهلا •• فان لم تجد حكيما فكن رسول نفسك » •

— « يا بنى •• لا تنكح أمة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا » •

— « يا بنى •• اتق المرأة السوء •• فانها تشيبك قبل وقت المشيب » •

— « يا بنى •• يأتى على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم » •

— « يا بنى •• لا يأكل طعامك الا الأتقياء •• وشاور فى أمرك العلماء » •

— « يا بنى •• لا تتعلم مالا تعلم حتى تعمل بما تعلم » •

— « يا بنى •• اذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه قبل ذلك •• فان أنصفك عند غضبه والا فاحذره » •

— « يا بنى •• انى حملت الجندل والحديد •• فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء •• وذقت المرارة كلها •• فلم أذق أشد من الفقر » •

— « يا بنى •• انك منذ نزلت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة •• فدار أنت اليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل » •

— « يا بنى •• عود لسانك أن يقول : اللهم اغفر لى •• فان لله ساعات لا ترد » •

— « يا بنى •• اياك والدين •• فانه ذل النهار وهم الليل » •

— « يا بنى •• ان الدنيا بحر عميق •• وقد غرق فيه ناس كثير •• فاجعل سفينتك فيها تقوى الله •• وحشوها الايمان به •• وشراعها التوكل على الله •• لعلك تنجو ، وما أراك ناجيا » •

— « يا بنى •• عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء •• فان الله يحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل المطر •• واياك والكذب وسوء الخلق •• فان من كذب ذهب ماء وجهه •• ومن ساء خلقه كثر غمه •• ونقل الصخور من موضعها أيسر من افهام من لا يفهم » •

— « يا بنى •• اختبر المجالس على عينك •• فان رأيت المجلس

يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك أن تك عالما يزداد علمك ••
وان تك غبيا يعلموك •• وان يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصيبك
معهم » •

ــ « يا بنى •• لا تجلس فى المجلس الذى لا يذكر فيه الله عز وجل
•• فانك أن تكن عالما لا ينفعك علمك •• وان تك غبيا يزيدك غباء ••
وان يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم »[٧] •

* * *

وقد ذكر الامام مالك فى الموطأ كثيرا من حكمه •• كما ذكرت بعض كتب التفسير والأدب ألوانا من هذه الحكم •• ثم جمعت أمثال قصصية بعد ذلك فى كتاب اسمه « أمثال لقمان » •• غير أن ضعف أسلوبها وكثرة أغلاطها النحوية والصرفية •• وعدم ورود كتاب بهذا الاسم فى كتب العرب القديمة •• يؤكد أنه موضوع فى عصر متأخر ••

وخلاصة القول : كان لقمان الحكيم عبدا صالحا •• أسود اللون •• آتاه الله الحكمة والولاية ، ولم يكن نبيا •• فان الرسل تبعث فى أحساب قومها •• وكان لقمان عبدا مسه الرق •• مما ينافى كونه نبيا •• انما كان وليا زوده الله تعالى بالحكمة •• وفقهه فى الدين والعقل والعمل ••

ولم يقل بنبوته سوى عكرمة •• وسند هذا القول ضعيف •• فقد رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة •• وجابرا هذا هو ابن يزيد الجعفى •• وهو ضعيف •• والله أعلم[٨] •

* * *

ذكر الامام القرطبى فى تفسيره :

« قال السهيلى : اسم ابنه « ثاران » فى قول القرطبى والقتبى ••
وقال الكلبى : « مشكم » وقيل « أنعم » حكاه النقاش •

وذكر القشيرى أن ابنه وامرأته كانا كافرين •• فما زال يعظهما حتى أسلما » •

* * *

---

(٧) حق الآباء على الأبناء ــ للشيخ طه عبد الله العفيفى •

(٨) راجع الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبى •• وتفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير •

ما هى الحكمة ؟؟

عرفت القواميس « الحكمة » بأنها : العلم بحقائق الأشياء •• ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم •• وضبط النفس والطبع عند الغضب •• والكلام المعبر عن الخبرة والتجربة الموافق للحق ، والذى يقل لفظه ويجل معناه •• والتفكر فى الأمور •• ومعرفة علل الأشياء ••

كما عرفت بأنها : الفلسفة •• والعلم •• والتفقه •• والعدل •• والحـــلم ••

وتجمع الحكمة على « حكم » ــ بكسر الحاء وفتح الكاف ــ •

وأطلق علم الحكمة : على الكيمياء •• والطب ••

والحكيم : اسم من أسماء الله تعالى ••

وأطلق على صاحب الحكمة •• والعالم •• والفيلسوف •• والطبيب •• والمتفقه للأمور •

ويجمع على « حكماء » •• « وحــكم الرجل » ــ بفتح الحاء وضم الكاف ــ : أى صار حكيما •

وأطلق على القرآن الكريم : الذكر الحكيم •• لأنه الحاكم للناس وعليهم •• ولأنه محكم لا اختلاف فيه ولا اضطراب •

***

وقد ورد لفظ « الحكمة » فى القرآن الكريم فى عشرين آية •• كما ورد اسم الله تعالى « الحكيم » فى واحد وثمانين آية •

ويقول الله تعالى : **« يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولوا الألباب »**[1] •

فالله سبحانه وتعالى يهب العلم والمعرفة بدينه •• والفقه فيه والاتباع له •• والتفكر فى أوامره تعالى وطاعته ، والخشية منه •• والورع عن المحارم •• والاصابة فى القول والفعل : لمن يختار من عباده الصالحين •• ومن يؤته الله هذه الأمور كلها أو بعضها فقد آتاه الخير الكثير ••

---

(١) البقرة : ٢٦٩

وحسبنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين »[٢] •• فالفقه فى الدين والمعرفة بالقرآن : فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه ومقدمه ومؤخره •• أحد وجوه الحكمة •• بل أهمها ••

ويقول بعض الحكماء : من أعطى العلم والقرآن ينبغى أن يعرف نفسه ، ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم •• فانما أعطى أفضل ما أعطى أصحاب الدنيا •• فقد سمى الله تعالى الدنيا متاعا قليلا •• وسمى العلم والقرآن خيرا كثيرا ••

وعن ثابت بن عجلان الأنصارى قال : كان يقال : ان الله ليريد العذاب بأهل الأرض •• فاذا سمع تعليم المعلم الصبيان الحكمة صرف ذلك عنهم ••

ويعنى بالحكمة : القرآن الكريم ••

***

ويقول الله تعالى : **« ذلك مما أوحى اليــك ربك من الحكمة »** •

وقبل هذه الآية مباشرة •• فصل الله تعـــالى المقصود بكلمة « الحكمة » الواردة فيها •• فقال عز من قائل : **« لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا ••**

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ••

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ••

« ربكم أعلم بما فى نفوســكم ، ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا ••

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ••

« ان المبــذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا ••

« واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميســورا ••

---

(٢) رواه البخارى .

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ••

« أن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه كان بعباده خبيرا بصـــيرا ••

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا ••

« ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا ••

« ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل ، انه كان منصورا ••

« ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا ••

« وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا ••

« ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ••

« ولا تمش فى الأرض مرحا ، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ••

« كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها »[٣] •

ثم يقول تعالى عقب ذلك : **« ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا »**[٤] •

فبدأها بقوله تعالى : **« لا تجعل مع الله الها آخر »** وختمها بقوله : **« ولا تجعل مع الله الها آخر »** •• ليلفت النظر الى أهمية التوحيد •• فان جميع الفضائل التى حثت عليها هذه الآيات بدونه لا قيمة لها •• فلننظر معا الى هذه الوصايا التى بدأت بالتوحيد وختمت به ••

● أمر تعالى بافراده وحده بالعبادة •• ونهى عن اتخاذ الشركاء والأنداد والوسطاء •• وذم المشركين وتوعدهم بالخذلان والضياع •• فتوحيده تعالى من الحكمة •• بل هو أساس الحكمة ••

● وأمر ببر الوالدين •• ونهى عن ايذائهما والتـــأفف منهما وزجرهما •• كما حض على تكريمهما •• والانة الجانب والتواضع لهما

---

(٣) الاسراء : ٢٢ ــ ٣٨ (٤) الاسراء : ٣٩

• وازجاء القول الجميل لهما •• والشفقة عليهما فى حياتهما •• وطلب الرحمه والمغفرة لهما بعد مماتهما •• فبر الوالدين من الحكمة ••

● وأعلم النـــاس بأن الله تعالى يعلم مافى ضمائرهم • وأنه يحاسبهم على ما أسروه فى أنفسهم بالثواب والعقاب •• فى حين أنه يغفر لهم اذا حدثت هفوة منهم •• ثم عادوا اليه مستغفرين عازمين على الصلاح فاعلين له •• لأنه دائم المغفرة للعائدين اليه •• فاليقين بذلك من الحكمة ••

● وحض على البر وصلة الرحم •• واعطـــاء ذوى القـــربى والمساكين المحتاجين وأبناء السبيل من المسافرين المنقطعين عن أموالهم حقوقهم من الزكاة والصدقة •• كما نهى عن بعثرة المـــال فى غير مصلحة •

فصلة الرحم وبر المساكين وأبناء السبيل والقصد فى الانفاق من الحكمة ••

● ووصف المبـــذرين بانهم قرناء للشياطين •• حيث يقبلون وسوستهم فيسخرونهم للفساد والانفاق فى الباطل •• ولمـــا كان دأب الشيطان الكفر بنعمة ربه ، فان من يتخذه صاحبا وقرينا يكون شيطانا مثله •• وعلى هذا فاجتناب التبذير من الحكمة ••

● أما أولئك الذين أرغمتهم أحوالهم المـــالية على الاعراض عن صلة اولئك المذكورين لانعدام ما يعطونه اياهم فى الحال •• مع رجائهم فى أن يفتح الله عليهم فقد أمرهم الله تعالى بأن يقولوا لهم القول الحسن الذى يؤملهم فيه ولا يردوهم ردا خشنا •• أو يمنون عليهم بالعطاء •• وهذا من الحكمة ••

● ونهى عن امساك اليد عن الانفاق فى الخير •• وجعلها كأنها مربوطه الى العنق بغل من حديد لا يقدر صاحبها على مدها ••

كما نهى عن بسطها كل البسط بالاسراف فى الانفاق •• وأنذر من يفعل ذلك بأنه سيصير مذموما على امساكه •• نادما — أو منقطعا لا شىء عنده — بسبب تبذيره واسرافه •• والتزام ذلك من الحكمة ••

● وأخبر أنه تعالى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ، ويضيقه على من يشاء منهم •• لأنه تعالى الخبير بطبائعهم البصير بحوائجهم •• فهو يعطى كلا منهم ما يتفق مع الحكمة ان اتخذ الأسباب •• والايمان بهذا واعتقاده من الحكمة ••

● ونهى عن قتل الأولاد خوف الفقر المتوقع •• لأن أمر الأرزاق

بيد الله تعالى •• وهو وحده الضامن لرزقهم ورزق آبائهم •• وأخبر أن قتلهم من أعظم الآثام •• وهذا من الحكمة ••

● ونهى عن الاقتراب من الزنا بمباشرة أسبابه ودواعيه •• لأنه رذيلة واضحة القبح ، وبئس الطريق طريقه •• وهذا من الحكمة ••

● ونهى عن قتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق •• وذلك بأن تكون النفس مستحقة للقتل قصاصا أو عقوبة •• أما من قتل مظلوما •• فقد جعل الله لأقرب قرابته سلطانا على القاتل بطلب القصاص من الحاكم •• فلا يجاوز الحد فى القتل بأن يقتل غير القاتل •• أو يقتل الاثنين بالواحد •• فقـــد نصره الله وأوجب له القصاص أو الدية ، فلا يصح أن يتجاوز الحد •• وهذا من الحكمة ••

● ونهى عن التصرف فى مال اليتيم الا بالطريقة التى هى أحسن الطرق لتنميته وتثميره •• وطلب الاستمرار على ذلك حتى يبلغ اليتيم رشده •• فاذا بلغ الرشد أعطى له ماله ••

كما أمر تعالى بالمحافظة على كل عهد التزمه الانسان على نفسه •• لأن الله سوف يسأل ناقض العهد عن نقضه ويحاسبه عليه •• والتزام ذلك من الحكمة ••

● وأمر بايفاء الكيل حقه •• والوزن بالميزان العدل •• فان ايفاء الكيل والوزن خير للناس فى الدنيا ، لأنه يرغب الناس فى التعـــامل معهم •• وأجمل عاقبة لهم فى الآخرة •• والحرص على ذلك من الحكمة •

● ونهى عن تتبع المرء مالا علم له به من قول أو فعل •• فلا يقل : سمعت وهو لم يسمع •• أو علمت وهو لم يعلم •• فان نعم السمع والبصر والقلب يسئل صاحبها عما يفعل بكل منها يوم القيامة •• ومعرفة ذلك من الحكمة ••

● ونهى عن المشى فى الأرض بالكبر والاختيال •• فمهما فعل الانسان فانه لن يخرق الأرض بشدة وطأته •• ولن يبلغ — مهما تطاول — أن يحاذى الجبال بطوله •• ومعرفة ذلك من الحكمة ••

● وأخبر تعالى أن القبائح التى ذكرت فى هذه الوصايا من الأمور المنهى عنها ، المكروهة المبغوضة عنده تعالى •• وفاعلها محروم من رضا الله ورحمته •• والايمان بذلك من الحكمة ••

● ثم أخبر رسوله — صلى الله عليه وسلم — بأن هذه الوصايا والحكم مما أوحاه الله اليه من معرفة الحق بذاته ، والخير للعمل به ••

ونهى الناس أن يجعلوا مع الله الها غيره •• وتوعد من يفعل ذلك منهم بالالقاء فى جهنم ملومين عند أنفسهم وعند غيرهم •• وأن مصيرهم انهلاك والطرد من رحمة الله ••

فأنت ترى أن كل هذه الفضائل التى أمر الله بها •• والنواهى التى نهى عنها •• قد جاءت فى القرآن الكريم — على هذا النسق الرائع — تفصيلا لكلمة « الحكمة » التى نزل بها الوحى من الله تعالى •• وجاءت بها الكتب السماوية كلها ••

* * *

● وقد سمى الله تعالى النبوة « حكمة » •• ووصف أنبياءه الكرام بالحكمة ••

كما استجاب لدعوة ابراهيم عليه السلام حين دعاه قائلا : **« رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين »**(٥) •

فقال تعالى : **« ووهبنا له اسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ، ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحسنين • وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، كل من الصالحين • واسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين • ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم ، واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم • ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون • أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين »**(٦) •

وقال جل وعلا : **« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما »**(٧) •

كما استجاب لدعوته وابنه اسماعيل عليهما السلام عندما قالا : **« ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم »**(٨) •

فكان محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هو هذه الدعوة التى توجه بها النبيان الكريمان •• فيقول تعالى : **« هو الذى بعث فى الأميين**

---

(٥) الشعراء : ٨٣ — (٦) الانعام : ٨٤ — ٨٩

(٧) النساء : ٥٤ — (٨) البقرة : ١٢٩

رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »[٩] .

وامتن الله تعالى على المؤمنين برحمته وفضله فقال : **« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »**[١٠] .

وقال تعالى : **« كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون »**[١١] .

ويقول جل شأنه : **« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه »**[١٢]

ويقول تعالى لنبيه وحبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم : **« وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما »**[١٣] .

* * *

● واختص الله تعالى بعض الأنبياء بذكر الحكمة التى آتاها أياهم .. فقال عن لوط عليه السلام : **« ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث »**[١٤] .

● ولوط عليه السلام .. هو لوط بن هاران بن آذر .. وكان قد آمن بابراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه .. كما قال تعالى : **« فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى »**[١٥] .. فآتاه الله حكما وعلما .. وأوحى اليه وجعله نبيا .. وبعثه الى سدوم وأعمالها فخالفوه وكذبوه .. فأهلكهم الله ودمر عليهم .. وأنجاه ومن آمن معه ..

● وقال تعالى عن يوسف عليه السلام : **« ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين »**[١٦] .

ولقد كان من الحكمة التى أوتيها يوسف عليه السلام القدرة على تأويل الأحلام .. ففسر وهو فى سجن العزيز رؤيا الملك .. فى حين عجز الكهنة والعلماء والمفسرون عن تفسيرها ..

---

(٩) الجمعة : ٢ — (١٠) آل عمران : ١٦٤
(١١) البقرة : ١٥١ — (١٢) آل عمران : ٨١
(١٣) النساء : ١١٣ — (١٤) الأنبياء : ٧٤
(١٥) العنكبوت : ٢٦ — (١٦) يوسف : ٢٢

اذ قال الملك : « **انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى أن كنتم للرؤيا تعبرون** »[17] .

وهالته الرؤيا .. وتعجب من أمرها .. وحار فى تفسيرها .. فجمع الكهنة والحكماء .. وكبار رجال الدولة والأمراء .. وقص عليهم رؤياه . وسألهم تأويلا لها .. فلم يعرفوا لها تأويلا .. بل قالوا : « **أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين** »[18] .

ولكن يوسف عيه السلام .. بما آتاه الله من الحكمة .. استطاع تأويل الرؤيا عندما عرضت عليه فى سجنه .. فقال : « **تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون** »[19] .

فأخبرهم ــ عليه السلام ــ بأنه يأتيهم الخصب والمطر سبع سنين متواليات .. ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التى تستغل منها الثمرات والزروع ، وهن السنبلات الخضر .

ولم يكتف بالتأويل .. بل دفعته الحكمة الى تقديم النصح وارشادهم الى ما يعتدونه فى تلك السنين فقال : مهما استغللتم فى هذه السبع السنين الخصب .. فادخروه فى سنبله ليكون أبقى له وأبعد عن اسراع الفساد اليه .. الا المقدار الذى تأكلونه منه .. وليكن قليلا قليلا .. ولا تسرفوا فى السبع الشداد .. وهن السنين المحل التى تعقب هذه السبع المتواليات .. وهن ــ فى الرؤيا ــ البقرات العجاف اللاتى تأكل السمان .. فان سنى الجدب يؤكل فيها ما جمعوه فى سنى الخصب .. وهن السنبلات اليابسات ..

وأخبرهم أنهن لا ينبتن شيئا .. وما بذروه فلا يرجعون منه الى شىء ..

ثم بشرهم بعد الجدب العام المتوالى .. بأنه سيعقبهم بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ــ أى يأتيهم الغيث وهو المطر ــ وتغل البلاد ..

---

(17) يوسف : ٤٣ (18) يوسف : ٤٤
(19) يوسف : ٤٧ ــ ٤٩

ويعصر الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم من زيت وسكر ونحوه .. حتى قال بعض المفسرين : ويدخل فيه حلب اللبن أيضا[٢٠] .

* * *

● وقال تعالى عن موسى عليه السلام : « **ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين** »[٢١] .

كما قال موسى ــ عليه السلام ــ عن نفسه لفرعون مصر : « **ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين** »[٢٢] .. أى النبوة ..

* * *

● وقال تعالى عن داوود عليه السلام : « **وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء** »[٢٣] .

كما قال تعالى : « **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** »[٢٤] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « **وشددنا ملكه** » .. أن نفرين من بنى اسرائيل استعدى أحدهما على الآخر الى داوود عليه السلام أنه اغتصبه بقرا .. فأنكر الآخر ولم يكن للمدعى بينة .. فأرجأ أمرهما .. فلما كان الليل ، أمر داوود عليه السلام فى المنام بقتل المدعى !!

فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعى .. فقال : يا نبى الله .. علام تقتلنى وقد اغتصبنى هذا بقرى ؟!

فقال عليه السلام : ان الله تعالى أمرنى بقتلك .. فأنا قاتلك لا محالة .

فقال الرجل : والله يا نبى الله .. ان الله لم يأمرك بقتلى لأجل هذا الذى ادعيت عليه .. وانى لصادق فيما ادعيت .. ولكنى كنت قد اغتلت أباه وقتلته .. ولم يشعر بذلك أحد !!

فأمر به داوود عليه السلام فقتل .. قال ابن عباس رضى الله عنهما :

---

(٢٠) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٢ ص ٤٨٠ طبع دار التراث العربى .

(٢١) القصص : ١٤ (٢٢) الشعراء : ٢١

(٢٣) البقرة : ٢٥١ (٢٤) سورة ص : ٢٠

فاشتدت هيبته فى بنى اسرائيل •• وهذا الذى يقول الله عز وجل : **« وشددنا ملكه »** •

وفسر مجاهد حكمة داوود عليه السلام بالفهم والعقل •• وقال مرة : الحكمة والعدل •• وقال أخرى : الصواب ••

وقال قتادة : كتاب الله واتباع ما فيه ••

وقال السدى : النبوة ، وقوله : « جل جلاله » •

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : أول من قال : « أما بعد •• » داوود عليه السلام •• وهو فصل الخطاب[٢٥] •

وقال شريح والشعبى وقتادة وأبو عبد الرحمن السلمى وغيرهم : فصل الخطاب الشهود والأيمان يعنون بذلك « البينة على المدعى واليمين على من أنكر » ••

وقال مجاهد والسدى : هو اصابة القضاء وفهمه •• وقال مجاهد : هو الفصل فى الكلام وفى الحكم •• واختاره ابن جرير •

وهذا لا ينافى ما روى عن أبى موسى أنه قول : أما بعد ••

* * *

● وقال تعالى عن سليمان بن داوود عليهما السلام : **« ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكما وعلما »**[٢٦] •

حكى أن غنما لأحد الرعاة دخلت ليلا كرما قد تدلت عناقيده فأفسدته •• ولم تدع فيه ورقة ولا عنقودا من عنب الا أكلته ••

فأتى أصحاب الكرم داوود عليه السلام فقضى لهم بالغنم ••

فقال سليمان عليه السلام : أغير هذا يا نبى الله ؟ •• قال : وماذا ؟

قال : تدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان •• وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها •• حتى اذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قضى داوود ــ عليه السلام ــ بالغنم لأصحاب الحرث •• فخرج الرعاء معهم الكلاب •• فقال لهم سليمان عليه السلام : كيف قضى بينكم ؟ فأخبروه •• فقال : لو وليت

---

(٢٥) تفسير القرآن العظيم جـ ٤ ص ٣٠

(٢٦) الانبياء : ٧٩

أمركم لقضيت بغير هذا !! فأخبر بذلك داوود عليه السلام فدعاه فقال : كيف تقضى بينهم ؟

قال : أدفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون له أولادها وألبانها وسلاؤها ومنافعها •• ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم •• فاذا بلغ الحرث الذى كان عليه أخذه أصحاب الحرث ، وردوا الغنم الى أصحابها •• وذلك قوله تعالى : **« ففهمناها سليمان »**[٢٧] •

ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران •• واذا اجتهد وأخطأ فله أجر » •• لأن الله تعالى أثنى على سليمان ولم يذم داوود — عليهما السلام — بل شهد له بالحكمة والعلم •• فقال عز من قائل : **« وكلا آتينا حكما وعلما »** •

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن امرأة حسناء فى زمان بنى اسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم •• فامتنعت على كل منهم •• فاتفقوا فيما بينهم عليها •• فشهدوا عليها عند داوود عليه السلام بأنها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها •• فأمر برجمها !!

فلما كان عشية ذلك اليوم •• جلس سليمان عليه السلام — وكان صبيا — واجتمع معه صبية مثله •• فانتصب حاكما ، وتزيا أربعة منهم بزى أولئك الأربعة ، وتزيا آخر بزى المرأة •• ثم شهدوا عليها بأنها مكنت من نفسها كلبا ••

فقال سليمان عليه السلام : فرقوا بينهم •• ثم سأل أولهم : ما كان لون الكلب ؟ فقال : أسود •• فعزله ، واستدعى الآخر فسأله عن لونه فقال : أحمر ، وقال الآخر : أغبش •• وقال الرابع : أبيض •• فأمر عند ذلك بقتلهم !!

فحكى ذلك لداوود عليه السـلام •• فاستدعى من فوره بأولئك الأربعة فسألهم متفرقين عن لون ذلك الكلب •• فاختلفوا عليه •• فأمر بقتلهم[٢٨] •

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما امرأتان معهما ابنان لهما •• اذ جاء الذئب فأخذ أحد الابنين •• فتحاكمتا الى داوود — عليه السـلام — فقضى به للكبرى فخرجتا •• فدعاهما سليمان

---

(٢٧) نفس المرجع جـ ٣ ص ١٨٦

(٢٨) نفس المرجع جـ ٣ ص ١٨٧

ـ عليه السلام ـ فقال : هاتوا السكين أشقه بينكما •• فقالت الصغرى : يرحمك الله •• هو ابنها ، لا تشقه • فقضى به للصغرى »[29] •

* * *

● ويقول تعالى عن يحيى عليه السلام : « **يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيا** »[30] •

أمره الله تعالى بأخذ الكتاب بجد وحرص واجتهاد •• وآتاه الفهم والعلم والجد والعزم والاقبال على الخير والاكباب عليه •• والاجتهاد فيه وهو صغير حدث !!

قال عبد الله بن المبارك : قال معمر : قال الصبيان يوما ليحيى ابن زكريا : أذهب بنا نلعب • فقال : ما للعب خلقنا !!

قال : فلهذا أنزل الله تعالى : « **وآتيناه الحكم صبيا** » •

* * *

ولا تظهر الحكمة طفرة واحدة •• وانما تبدو مخايلها فى مرحلة مبكرة من العمر •• فتكون ارهاصا مبكرا بأن صاحبها قد أوتيها •• وأن له شأنا فى الحياة ••

وقد رأينا كيف بدت تباشير الحكمة على سليمان عليه السلام فى صـبـاه •

ومن قبله بدت تباشير الحكمة على أبى الأنبياء ابراهيم عليه الســلام •

فمن مخايل هذه الحكمة المبكرة التى بدت عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما فعله عندما حطم الأصنام وترك كبيرها ليرجعوا اليه •• وحتى يقيم الحجة عليهم بلسانهم ••

لقد حطم ابراهيم عليه السلام الأصنام •• وترك كبيرها سليما •• بل وعلق الفأس فى رقبته •• وعاد القوم من عيدهم •• فلم يجدوا سوى الحطام بينما وجدوا الصنم الأكبر سليما والفأس فى رقبته •• فحاروا فى أمرهم •• ويقص علينا القرآن الكريم هذا الموقف •• يقول الله تعالى :

« **ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ••**

« **اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ••**

---

(٢٩) رواه البخارى ومسلم • (٣٠) مريم : ١٢

« قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ..
« قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين ..
« قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ..
« قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ..
« وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ..
« فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ..
« قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ..
« قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ..
« قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ..
« قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ..
« قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون ..
« فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ..
« ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ..
« قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم .. أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون »(٣١) .

فأقام — عليه السلام — بحكمته الحجة عليهم .. وجعلهم يشهدون على أنفسهم بأنهم هم الظالمون ..

* * *

● ولقد أوتى نبينا صلى الله عليه وسلم الحكمة صغيرا .. فقد اصطفاه الله تعالى واصطنعه لنفسه .. وأعده للرسالة الخاتمة .. وزوده بالحكمة منذ طفولته وصباه .

● وتتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم — المبكرة — فى حادثة اعادة بناء الكعبة حين تهدمت .. وأراد قومه اعادتها على ما كانت عليه .. وتنازعت القبائل فى شرف وضع الحجر الأسود مكانه .. وكادت الدماء تسيل بينهم أنهارا .. فقد أعدوا عدة الحرب .. بل وغمسوا أيديهم فى جفنة الدماء استعدادا للقتال .. لولا أن تداركتهم حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم ..

يقول ابن هشام : « .. قال ابن اسحاق : ثم ان القبائل من قريش

---

(٣١) الأنبياء : ٥١ — ٦٧

جمعت الحجارة لبنائها •• كل قبيلة تجمع على حدة •• ثم بنوه •• حتى بلغ البنيان موضع الركن ، فاختصموا فيه •• كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الأخرى •• حتى تحاوزوا وتحالفوا •• وأعدوا للقتـال •• فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما •• ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت •• وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة — فسموا لذلك لعقة الدم — فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا •• ثم انهم اجتمعوا فى المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا ••

فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم — وكان عامئذ أسن قريش كلها — فقال : يا معشر قريش •• اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه •• ففعلوا ••

فكان أول داخل عيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين •• رضينا •• هذا محمد • فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر •• قال صلى الله عليه وسلم : « هلم الى ثوبا » •• فأتى به •• فأخذ الركن فوضعه فيه بيده •• ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب • ثم ارفعوه جميعا » •• ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه •• وضعه هو بيده •• ثم بنى عليه »[٣٢] •

لله درك يا سيدى يا رسول الله •• وما أروع الحكمة التى وهبك الله قبل مبعثك •• لقد حقنت ببساطة دماء كانت ستسيل •• وأطفأت نار حرب لم يكن يعلم مدى استمرارها الا الله تعالى •• ولكنها الحكمة التى وهبه الله اياها ••

* * *

● وفى حادثة الهجرة — تتجلى حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم •• ليس فى موقف واحد منها •• ولكن فى مواقف متعددة •• ينطق كل موقف منها بحكمة بالغة ••

لقد ائتمر المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم •• وأجمعوا أمرهم على قتله فى داره •• وحددوا ميعادا للتنفيذ •• فأتى جبريل

---

(٣٢) السيرة النبوية — لابن هشام جـ ١ ص ١٢٠ — طبع دار التراث العـربى •

ـ عليه السلام ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه ..

لقد جاء الأمر بالهجرة أذن .. وسيتكفل الله تعالى بسلامته ..

فلما كانت عتمة من الليل .. اجتمع المتآمرون على بابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرصدون نومه حتى يثبوا عليه !!

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم مكانهم .. فقال لعلى ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ : « نم على فراشى .. وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر ، فنم فيه .. فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم » .. وكان صلى الله عليه وسلم ينام فى برده هذا اذا نام ..

ان نجاح رحلة الهجرة من مكة الى المدينة يتطلب ثلاثة أمور :

الخروج من الدار المحاصرة ـ والاختباء فى مكان آمن حتى يهدأ الطلب ـ وسلوك طريق مأمونة .

وتكفل الله تعالى باخراج نبيه من الدار .. فأغشى أبصار المتآمرين وألقى عليهم النعاس فلم يشعروا بخروجه صلى الله عليه وسلم ومروره بهم .. بل وهو يضع حفنة من تراب على رأس كل منهم .

فلما جاوزهم .. أفاقوا وجعلوا يتطلعون الى داخل الدار .. فيرون عليا على فراش الرسول متسجيا ببرده .. فيقولون : والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده .. وظلوا على حالهم حتى أصبحوا فقام على كرم الله وجهه ..

وفى تلك الأثناء .. كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه قد وصلا الى الغار الذى اختاره ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجبل ثور بأسفل مكة ..

لقد كان الموقف يتطلب استبقاء المتآمرين حول الدار المحاصرة حتى يبلغ الرسول مأمنه .. فكان استخلافه عليا فى فراشه من حكمته صلى الله عليه وسلم ..

وجد المشركون فى طلب الرسول صلى الله عليه وسلم .. حتى وصلوا الى الغار حيث انقطعت عنده آثار الأقدام .. ولكن الله تعالى تكفل بحمايته منهم وصدهم عنه .. فاذا بمدخل الغار وقد سد بخيوط عنكبوت نسجتها حتى أغلقته .. واذا بحمامة ترقد عند مدخله محتضنة بيضها !!

حماه تعالى بأبسط الأشياء وأهونها •• خيط عنكبوت •• وحمامة فى عشها !! أين هذه الأسلحه من أسلحة المطاردين وعتادهم ؛ جلت قـــدرة الله ••

وينطلق أحد المشركين قائلا : ن هذا العنكبوت على فم الغار قبل أن يولد محمد •• فعادوا يلتمسون أقرب الطرق المؤدية الى المدينة ••

لقد كان انتظاره ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام •• يروح عليهما خلالها عامر بن فهيرة بالغنم والحلاب •• ويأتيهما عبد الله بن أبى بكر بأخبار القوم •• وتحمل أسماء رضى الله عنها اليهما الطعام والشراب •• كان هذا الانتظار فى الغار المـــأمون من حكمته صلى الله عليه وسلم •• فقد سبقهما المطاردون فى طريق المدينة بثلاثة أيام ••

ثم كان استصحابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبد الله بن أريقط العليم بمسالك الصحراء ودروبها دليلا •• واجتياز طريق الساحل الطويل للوصول الى المدينة •• بينما المطاردون يلتمسون أقربها •• فكان هذا الأمر على جانب كبير من الحكمة ••

* * *

● ومن حكمته صلى الله عليه وسلم استخلافه ــ وهو فى مرضه الأخير ــ أبا بكر الصديق رضى الله عنه للصلاة بالناس ••

روى ابن هشـــام : عن حمزة بن عبد الله بن عمـــر أن عائشة رضى الله عنها قالت : لـــا استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » •• قالت قلت : يا نبى الله •• ان أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت •• كثير البكاء اذا قرأ القرآن ••

قال : « مروه فليصل بالناس » •• قالت : فعدت بمثل قولى ••

فقال صلى الله عليه وسلم : « انكن صواحب يوسف •• مروه فليصل بالناس » ••

قالت : فوالله •• ما أقول ذلك الا أنى كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر •• وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبدا •• وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان •• فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر [٣٣] •

---

(٣٣) المرجع السابق جـ ٤ ص ٤٨٢

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم أصر على هذا الأمر وألح فيه الحاحا شديدا .. فعن عبد الله بن زمعة رضى الله عنه قال : لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين . قال : دعاه بلال الى الصلاة .. فقال : « مروا من يصلى بالناس » .. قال : فخرجت فاذا عمر — رضى الله عنه — فى الناس .. وكان أبو بكر — رضى الله عنه — غائبا .. فقلت : قم يا عمر فصل بالناس .. قال : فقام .. فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته — وكان عمر رجلا مجهرا — قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأين أبو بكر ؟ .. يأبى الله ذلك والمسلمون .. يأبى الله ذلك والمسلمون » .

قال : فبعث الى أبى بكر .. فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة .. فصلى بالناس ..

ويقول عبد الله بن زمعة : قال لى عمر : ويحك .. ماذا صنعت بى يا ابن زمعة ؟ .. والله ما ظننت حين أمرتنى الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك .. ولولا ذلك ما صليت بالناس .. قال قلت : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك .. ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس[٣٤] .

وعن أبى بكر بن عبد الله بن أبى مليكة قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس .. فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس .. فعرف أبو بكر — رضى الله عنه — أن الناس لم يصنعوا ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. فنكص عن مصلاه .. فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره وقال : « صل بالناس » .. وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه .. فصلى قاعدا عن يمين أبى بكر .. فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس .. فكلمهم رافعا صوته حتى خرج صوته من باب المسجد يقول : « أيها الناس .. سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم .. وانى والله ما تمسكون على بشىء .. انى لم أحل الا ما أحل القرآن ولم أحرم الا ما حرم القرآن »[٣٥] .

---

(٣٤) نفس المرجع والصفحة . (٣٥) نفس المرجع ج ٤ ص ٤٨٥

وفى رواية : أن الرسول صلى الله عليه وسلم أشار له بيده ليبقى مكانه .. فرفع أبو بكر — رضى الله عنه — يديه الى السماء حامدا ربه .. ثم تنحى عن مكانه .. فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا .. وأبو بكر رضى الله عنه يصلى بصلاته .. والناس يصلون بصلاة أبى بكر .. فلما فرغ سأله الرسول صلى الله عليه وسلم : لم لم يستمر فى صلاته حين أشار اليه .. فقال : « ما كان لابن أبى قحافة أن يصلى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم » ..

ان فى اصرار الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المرات الثلاث على أن يخلفه أبو بكر رضى الله عنه فى الصلاة لحكمة بالغة .. غابت عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .. حجبها عن معرفتها الحرص على مكانة أبيها بين الناس وخوفها من تشاؤمهم به ..

لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ..

واجتمع نفر من الأنصار — على رأسهم سعد بن عبادة — فى سقيفة بنى ساعدة — للنظر فى أمر الخلافة .. والمهاجرون وآل البيت ما زالوا مشغولين بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما يدفن بعد !!

وأطلت الفتنة برأسها .. ودب الخلاف بين المهاجرين والأنصار ..

— نحن الذين آزرنا الرسول .. وتحملنا فى سبيل دعوته العذاب والتشريد .. وغديناه بأنفسنا وأموالنا .. وتركنا وراءنا أهلونا وعيالنا .. وهاجرنا من بلادنا لنصرته وتأييده .. وبنا نصر الله الاسلام !!

— ونحن الذين آوينا ونصرنا .. وفتحنا لكم ديارنا وبلادنا .. وأشركناكم فى أموالنا وأرزاقنا .. فبنا أعز الله الاسلام !!

— منا الأمراء .. ومنكم الوزراء !!

— بل منا أمير .. ومنكم أمير .. الخ .. الخ ..

ويرتفع من بينهم صوت عاقل : ليس لها سوى أبا بكر .. رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا .. أفلا نرضاه لدنيانا ؟

ويحسم هذا الصوت العاقل القضية .. ويخمد الفتنة .. ويزيل الخلاف .. فيجمع المسلمون على اختيار الصديق رضى الله عنه خليفة للمسلمين ..

وتتضح حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم حين ألح على زوجه رضى الله عنها وهو فى النزع الأخير : « مروا أبا بكر فليصل بالناس .. انكن صواحب يوسف .. مروه فليصل بالناس » .

وحين قال غاضبا فى المرة الثانية : « فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون •• يأبى الله ذلك والمسلمون » •

وحين صلى الناس بصلاة أبى بكر ورسول الله يؤمهم جالسا ••

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله •• طبت حيا وطبت ميتا •• لقد كان لحكمتك الفضل كل الفضل فى اخماد الفتنة فى مهدها وحفظ وحدة المسلمين ودمائهم فى ذلك الوقت العصيب •

لقد حقنت حكمته — صلى الله عليه وسلم — دماء قريش يوم غمس « لعقة الدم » أيديهم فى جفنة الدماء •• قبل البعثة ••

وحقنت حكمته — صلى الله عليه وسلم — دماء المسلمين يوم سقيفة بنى ساعدة •• بعد وفاته ••

وتباركت ربى •• يا من أرسلته رحمة للعالمين •• وجعلت كلامه وحيا توحيه اليه •• ونفيت عنه الهوى والغرض •• فقلت وقولك الحق : **« وما ينطق عن الهوى • أن هو الا وحى يوحى »**(٣٦) •

● وفى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من المواقف الحكيمه •• نكتفى منها بهذه الأمثلة الثـلاثة •• فما يستطيع قلم الاحاطة بها ••

ولا عجب فى ذلك •• فقد أوتى الرسول صلى الله عليه وسلم الحكمة •• طفلا •• وصبيا •• وراشدا •• وكهلا •• صلى الله عليه وآله وسـلم ••

* * *

كما أطلق الله تعالى « الحكم » ، و « الحكمة » على كتبه المنزلة •• فقـال عن التوراة : **« ولقـد آتينـا بنى اسرائيل الكتاب والحـكم والنبوة »**(٣٧) •

وذكر الحكمة مقرونة بالانجيل •• فقـد بشرت الملائكة مريم عليها السلام فقالت عن المسيح عليه السلام : **« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل »**(٣٨) •

وامتن الله تعالى على المسيح عليه السلام فقال : **« يا عيسى**

---

(٣٦) النجم : ٣ ، ٤ — (٣٧) الجاثية : ١٦

(٣٨) آل عمران : ٤٨

ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل »[39] .

وقال المسيح عليه السلام لقومه : **« قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون »**[40] .

وسمى القرآن الكريم « حكمة » . فقال تعالى : **« واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به »**[41] .

وقال لنساء النبى صلى الله عليه وسلم : **« واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة »**[42] .

* * *

---

(٣٩) المائدة : ١١٠
(٤٠) الزخرف : ٦٣
(٤١) البقرة : ٢٣١
(٤٢) الأحزاب : ٣٤

شكر الله وحمده

من تكرار القول أن نذكر أن الله تعالى قد وهب لقمان العلم بحقائق الأشياء .. ومنحه معرفة أفضل الأشياء بافضل العلم .. وحباه بالكلام المعبر عن الخبرة والتجربة الموافق للحق .. وأنه كان ضابطا لنفسه وطبعه عند الغضب .. وأن كلامه كان قليلا فى لفظه جليلا فى معناه .. أو أنه كان دائم التفكر فى الأمور .. أو أنه كان يستطيع معرفة علل الأشياء ..

فقد أخبرنا تعالى بأنه وهب لقمان الحكمة — وهذه كلها أوصاف وتعريفات للحكمة — انما قرن الله تعالى الحكمة التى وهبها لقمان بالشكر له تعالى .. فقال عز من قائل : **« ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى حميد »**[1] .

ويقول تعالى . **« فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون »**[2]

ويقول جل وعلا واصفا المؤمنين . **« وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »**[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع »[4] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها »[5] .

وروى أحمد والنسائى والترمذى .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الذكر : لا اله الا الله .. وأفضل الدعاء : الحمد لله » .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « التسبيح نصف الميزان .. والحمد لله تملؤه .. ولا اله الا الله ليس لها من دون الله حجاب حتى تخلص اليه »[6] .

---

(١) لقمان : ١٢ (٢) البقرة : ١٥٢
(٣) يونس : ١٠ (٤) رواه أبو داوود .
(٥) رواه مسلم . (٦) رواه الترمذى .

وروى الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى •• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينادى يوم القيامة ليقم الحمادون •• فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة » • قيل : وما الحمادون يا رسول الله ؟ قال : « الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » •• وفى رواية : « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » •

وفى الحديث القدسى الذى رواه الطبرانى عن أبى بن كعب رضى الله عنه •• يقول الله تعالى : ابن آدم •• أنزلت عليك سبع آيات •• ثلاث لى وثلاث لك •• وواحدة بينى وبينك •• فأما التى لى : فـ **« الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين »** والتى بينى وبينك : **« اياك نعبد واياك نستعين »** ، منك العبادة وعلى العون •• وأما التى لك : **« اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »** •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل[7] : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد : **« الحمد لله رب العالمين »** قال الله تعالى : حمدنى عبدى ، واذا قال العبد : **« الرحمن الرحيم »** قال الله : أثنى على عبدى ، واذا قال العبد : **« مالك يوم الدين »** قال : مجدنى عبدى — وقال مرة : فوض الى عبدى — واذا قال : **« اياك نعبد واياك نستعين »** قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : **« اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »** قال : هؤلاء لعبدى ، ولعبدى ما سأل »[8] •

* * *

وقد مدح الله تعالى نوحا عليه السلام فقال : **« ذرية من حملنا مع نوح ، انه كان عبدا شكورا »**[9] •

ومدح ابراهيم عليه السلام فقال : **« ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين • شاكرا لأنعمه ، اجتباه وهداه الى صراط مستقيم »**[10] •

---

(٧) أى فى الحديث القدسى .
(٨) رواه مسلم .
(٩) الاسراء : ٣
(١٠) النحل : ١٢٠ ، ١٢١

ووصى تعالى الناس بالشكر فقال : « **ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته أمه كرها ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعنى أن اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى ، انى تبت اليك وانى من المسلمين** »[11] .

ووعد هؤلاء . « **اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذى كانوا يوعدون** »[12] .

وقال تعـالى : « **اعملوا آل داوود شـكرا ، وقليل من عبادى الشكور** »[13] .

يقول ابن كثير : « كان داوود عليه السلام هو المقتدى به فى ذلك الزمان فى العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات حتى انه كان لا يمضى ساعة من آناء الليل وأطراف النهـار الا وأهل بيته فى عبادة ليـلا ونهـارا »[14] .

وعن أبى الجلد قال : قرأت فى مسألة داوود عليه السلام أنه قال : يا رب .. كيف لى أن أشكرك وأنا لا أصل الى شكرك الا بنعمتك .. قال : فأتاه الوحى : أن يا داوود .. ألست تعلم أن الذى بك من النعم منى ؟ قال : بلى يا رب . قال : فانى أرضى بذلك منك[15] ..

وعن ابن شهاب قال : قال داوود عليه السلام : الحمد لله كما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله . فأوحى الله تعالى اليه : انك أتعبت الحفظة يا داوود[16] ..

ودعا سليمان عليه السلام ربه فقال : « **رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين** »[17] .

ولمـا رأى عرش بلقيس مستقرا عنده قال : « **هذا من فضل**

---

(١١) الأحقاف : ١٥ (١٢) الأحقاف : ١٦
(١٣) سبأ : ١٣
(١٤) قصص الأنبياء ، للامام ابن كثير ص ٤٩٢ ، طبع دار التراث العـربى . (١٥) نفس المرجع والصفحة .
(١٦) نفس المرجع والصفحة . (١٧) النمل : ١٩

ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان ربى غنى كريم »[18] .

* * *

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم الشكر لله تعالى ..

عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو مشربته فدخل .. فاستقبل القبلة فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها .. فدنوت منه فرفع رأسه قال : « من هذا » ؟ قلت : عبد الرحمن . قال : « ما شأنك » ؟ قلت : يا رسول الله .. سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ان جبريل ـ صلى الله عليه وسلم ـ أتانى فبشرنى فقال : ان الله عز وجل يقول : من صلى عليك صليت عليه .. ومن سلم عليك سلمت عليه .. فسجدت لله شكرا »[19] .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أقبلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى .. فلم يزل قائما حتى أصبح فسجد سجدة ظننت أن نفسه قد قبضت فيها ، قال : « تدرى لم ذاك » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .. فقال : « انى صليت ما كتب لى ربى وأتانى ربى فقال لى : ما أفعل بأمتك ؟ قلت : أى رب .. أنت أعلم .. فأعادها على ثلاثا أو أربعا فقال لى فى آخرها : ما أفعل بأمتك ؟ قلت : أنت أعلم يا رب . قال : انى لا أحزنك فى أمتك .. فسجدت لربى .. وربى شاكر يحب الشاكرين »[20] .

وعن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قال : جئت أزور رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يوحى اليه .. فلما سرى عنه قال لعائشة رضى الله عنها : « ناولينى ردائى » .. فخرج فدخل المسجد فاذا فيه قوم ليس فى المسجد غيرهم .. فجلس فى ناحية القوم حتى قضى المذكر تذكرته .. قرأ تنزيل السجدة فأطال السجود حتى اذا جاء من كان على قدر ميلين وتسامع الناس سجوده .. فعجز المسجد عن الناس .. فأرسلت عائشة الى أهلها : احضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيت منه شيئا لم أره .. فرفع رأسه فقال أبو بكر

---

(١٨) النمل : ٤٠ (١٩) رواه احمد .

(٢٠) أخرجه الطبرانى .

رضى الله عنه : يا رسول الله •• أطلت السجود ! فقال : « سجدت لربى شكرا فيما أعطانى من أمتى : سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » •• فقال أبو بكر : يا رسول الله •• أمتك أكثر وأطيب فاستكثرهم ، فقال مرتين أو ثلاثا •• فقال عمر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله •• فقد استوهبت أمتك »(٢١) .

وأخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم مر به رجل به زمانة — والزمانة : عدم بعض الأعضاء وتعطيل القوى — فنزل وسجد •• ومر به أبو بكر رضى الله عنه فنزل وسجد •• ومر به عمر فنزل وسجد ••

وعن على كرم الله وجهه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية من أهله فقال : « اللهم •• ان لك على ان رددتهم سالمين أن أشكرك حق شكرك » . فما لبثوا أن جاءوا سالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله على سابغ نعم الله » فقلت : يا رسول الله •• ألم تقل : ان ردهم الله أن أشكره حق شكره ؟ فقال : « أو لم أفعل »(٢٢) ؟

* * *

ويقول أستاذنا فضيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى :

« والشكر هو الاقرار والاعتراف بما أنعم الله تعالى به على عباده •• وهو الثناء على المحسن بذكر احسانه •• وزيادة فى النعم •• وأمان من النقم ••

فاذا كان الله تعالى قد أنعم على عباده — وما أكثر هذه النعم — ولا سيما نعمة الايمان والاسلام •• ونعمة الصحة والعافية •• ونعمة الغنى عن الناس •• فكل هذه النعم التى لا حصر لها تقتضى منهم الشكر للمنعم سبحانه وتعالى ••

وكما يكون الشكر بالقلب واللسان •• يكون أيضا بجميع الجوارح •• فشكر اليدين العطاء •• وشكر العينين ألا تنظر الى مالا يحل •• وشكر الأذنين ألا تسمع مالا يحل •• وشكر القلب عدم الحقد والضغن ••

---

(٢١) أخرجه الطبرانى .　　(٢٢) أخرجه البيهقى .

وكما يكون الشكر لله على نعمه ٠٠ فان شكر من أجرى الخير على يديه يعتبر شكرا له سبحانه وتعالى ٠٠

وفى الحديث القدسى : يقول رب العزة : « عبدى ٠٠ اذا لم تشكر من أجريت الخير على يديه لم تشكرنى » ٠٠

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان أشكر الناس لله تبارك وتعالى أشكرهم للناس »[٢٣] .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »[٢٤]

ودخل سفيان الثورى على جعفر الصادق رضى الله عنه وقال له : علمنى يا ابن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مما علمك الله ٠٠

فقال له : اذا تظاهرت الذنوب عليك بالاستغفار ٠٠ واذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر ٠٠ واذا تظاهرت الغموم فقل : لا حول ولا قوة الا بالله ٠٠ فخرج سفيان وهو يقول : ثلاث ٠٠ وأى ثلاث !!

وقال بعض العارفين : من أعطى أربعا لم يمنع من أربع : من أعطى الشكر لم يمنع المزيد لقوله تعالى : **« لئن شكرتم لأزيدنكم »**[٢٥] .

ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول لقوله تعالى : **« وهو الذى يقبل التوبة عن عباده »**[٢٦] .

ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب ٠٠ لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا خاب من استخار ٠٠ ولا ندم من استشار » .

وروى أن داوود عليه السلام قال : الهى ٠٠ كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك ؟ ٠٠ فأوحى الله تعالى اليه : الآن شكرتنى[٢٧] ٠٠

* * *

ويقول الزجاج فى تفسير قوله تعالى : **« ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله »** : أعطى لقمان الحكمة لأن يشكر الله ٠٠ وقيل : أى بأن اشكر الله تعالى ، فشكر ٠٠ فكان حكيما بشكره لله تعالى ٠٠

والخلاصة : فان شكر الله تعالى الى جانب الاقرار والاعتراف

---

(٢٣) رواه احمد . (٢٤) رواه الترمذى وصححه .

(٢٥) ابراهيم : ٧ (٢٦) الشورى : ٢٥

(٢٧) من وصايا الرسول — للأستاذ الشيخ طه عبد الله العفيفى — طبع دار التراث العربى . . بتصرف .

بما أنعم به على عباده ، والثناء عليه بذكر احسانه •• يكون بعبادته وحده وافراده بالعبادة والدعاء •• وطاعته فيما أمر به ••

وشكر الوالدين الى جانب الاقرار بفضلهما فى الايجاد والتربية •• يكون بطاعتهما — فيما أمر الله به — وبرهما والاحسان اليهما ••

وشكر الناس الى جانب معرفة الفضل لصاحبه •• يكون باحسان المعاملة لهم وبرهم وصلتهم بالمعروف ••

- فمن عبد غير الله وأشرك معه آلهة وأندادا •• فما شكر له ••
- ومن عصى الله ولم يطعه •• فما شكر له •
- ومن جحد فضل الله ، ونسب الفضل الى نفسه •• فما شكر له •

وفى قارون عظة وعبرة •• يقول الله تعالى : **« ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين • وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين »**(٢٨) •

فما شكر الله •• ولا أحسن الى الناس •• بل جحد نعم الله تعالى وتكبر على الناس وقال : **« انما أوتيته على علم عندى »**(٢٩) •

فكانت عاقبته : **« فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين • وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون »**(٣٠) •

لقد جحد قارون فضل الله •• ونسب الفضل الى نفسه •• وما شكر الله فكانت عاقبته الخسران المبين •

- ومن عق والديه ولم يحسن اليهما وعصاهما •• فما شكر لهما •
- ومن جحد حق الناس وأساء معاملتهم •• فما شكر لهم ••

* * *

---

(٢٨) القصص : ٧٦ ، ٧٧ — (٢٩) القصص : ٧٨
(٣٠) القصص : ٨١ ، ٨٢

يقول الله تعالى : **« ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى حميد »** •

حقا •• من يطع الله فانما يعمل لنفسه لأن نفع الثواب عائد اليه •• ومن كفر النعم •• فلم يوحد الله •• فان الله غنى عن عبادة خلقه •• محمود فى فعله ••

والله الموفق •• وهو المستعان ••



الفصل الثانى

أُولى الوصايا ..

* دعوة الأنبياء والرسل ..
* الشرك الاكبر .. والشرك الأصغر
* افراد الله وحده بالعبادة
* كان الناس أمة واحدة ..
* عبادة الأصنام ..
* أصنام قريش ..
* تعظيم الموتى .. وعبادة الأصنام
* عبادة النجوم والكواكب
* عبادة مظاهر الطبيعة
* عبادة الملوك والفراعين
* الشرك والأديان السماوية
* تحـــدى !!
* الشرك الأصغر .. شرك العقائد
* ظلم عظيم !!



أولى الوصـــايا ..

❋ دعوة الأنبياء والرسل :

« ... لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم »[1] .

أولى وصايا لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه ..

وأولى الوصايا على الاطلاق .. « **لا تشرك بالله** » ..

دعوة التوحيد ..

وصى الله تعالى بها الناس منذ بعث اليهم رسلا .. فقال تعالى : **« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبـــدون »[2] .**

ووصى بها النبيون أممهم من لدن آدم عليه السلام .. حتى كانت الرسالة الخاتمة بمبعث محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ..

اذ التوحيد هو أساس الدين .. وبه بعث النبيون جميعا الى الناس كافة ..

فقد قال نوح عليه السلام لقومه : **« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم »[3] .**

وقال هود عليه السلام : **« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، أفلا تتقون »[4] .**

وقال صالح عليه السلام : **« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم »[5] .**

كما قالها شعيب عليه السلام لقومه[6] .

وابراهيم عليه السلام قال : **« انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين »[7] .**

---

(١) لقمان : ١٣
(٢) الأنبياء : ٢٥
(٣) الأعراف : ٥٩
(٤) الأعراف : ٦٥
(٥) الأعراف : ٧٣
(٦) الأعراف : ٨٥
(٧) الأنعام : ٧٩

وحين يزكيه الله تعالى يقول عنه : **« ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين »**[٨] .

كما يقول تعالى عنه : **« واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا »**[٩] .

ويعقوب عليه السلام .. حين حضره الموت قال لبنيه : **« ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون »**[١٠] .

وقال يوسف عليه السلام : **« واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء »**[١١] .

وقال موسى عليه السلام : **« انما الهكم الله الذى لا اله الا هو ، وسع كل شىء علما »**[١٢] .

وقال يونس عليه السلام : **« لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين »**[١٣] .

وقال المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام : **« يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم »**[١٤] .

كما قال لقومه : **« أن الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم »**[١٥] .

ويقول الله تعالى لنبيه وصفيه محمدا صلى الله عليه وسلم : **« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون »**[١٦] .

كما قال تعالى له : **« اتبع ما أوحى اليك من ربك ، لا اله الا هو ، وأعرض عن المشركين »**[١٧] .

ويقول جل وعلا : **« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم**

---

(٨) النحل : ١٢٠ — (٩) الحج : ٢٦

(١٠) البقرة : ١٣٣ — (١١) يوسف : ٣٨

(١٢) طه : ٩٨ — (١٣) الأنبياء : ٨٧

(١٤) المائدة : ٧٢ — (١٥) آل عمران : ٥١

(١٦) آل عمران : ٦٤ — (١٧) الأنعام : ١٠٦

تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرســون • ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ، أيامركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون »(١٨) •

بل ان شهادة الحق قائمه من لدن الخلق الأول •• يقول الله تعالى :

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين • أو تقولوا انمــا أشرك آباؤنا من قبــل وكنا ذرية من بعــدهم »(١٩) •

وهكذا كان التوحيد هو دعوة الأنبياء والمرسلين ••

وحتى فرعون ــ عدو الله ــ فقــد قال حين أدركه الغرق : **« آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل »(٢٠)** •• فأقر بعد فوات الأوان بوحدة الألوهية •• وأنها لله وحده دون سواه ••

* * *

* الشرك الأكبر •• والشرك الأصغر :

والشرك نوعان •• أكبر ، وأصغر •• جلى وخفى ••

فأما الشرك الأكبر ــ وهو شرك العبادات الذى يضاد التوحيد ــ فهو أن تجعل لله ندا فى ذاته أو صفاته •• أو أن تعبد غيره وتتوجه اليه بالدعاء •• نبيا كان أو وليا •• ملكا أو شيخا •• أو عبادة شىء من مخلوقاته •• كالشمس والقمر والكواكب والنجوم ، والنار والمــاء ، والظلمة والنور •• أو غير ذلك من شجر أو حجر !!

ومن مات على شىء من ذلك ــ أعاذنا الله ــ مات مشركا كافرا •• لا يغفر الله له أبدا •• فهو من أصحاب النار خالدا مخلدا فيها •• ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ••

يقول الله تعالى : **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا »(٢١) •**

ويقول جل وعلا : **« انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار »(٢٢) •**

ويقول جل شأنه : **« ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون »(٢٣)**

---

(١٨) آل عمران : ٧٩ ، ٨٠ — (١٩) الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣

(٢٠) يونس : ٩٠ — (٢١) النساء : ١١٦

(٢٢) المــائدة : ٧٢ — (٢٣) الأنعام : ٨٨

ان الله سبحانه وتعالى •• هو العفو الغفور •• ومن شأنه العفو والمغفرة •• وكل ذنب قابل للعفو والمغفرة •• الا الشرك بالله وعبادة غيره ، واتخاذ الأولياء والشفعاء من دونه •• فان هذا الذنب العظيم لا يغفره الله أبدا •• ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ••

لقد تاه المشركون عن الحق وبعدوا عنه كثيرا •• وأفسدوا عقولهم ونفوسهم •• وتعدوا حدود الله بعبادتهم وولاءهم لغيره •• فكان جزاؤهم ضياع كل أعمال الخير التى عملوها فى الدنيا ، وأن يحرموا ثوابها •• ومن شأنه تعالى أن يحرم عليهم الجنة ، وأن تكون النار هى مصيرهم ومأواهم ••

* * *

* افراد الله وحده بالعبادة :

وقد أمرنا الله تعالى بافراد العبادة له وحده دون سواه •• ونهانا عن الشرك فى عبادته تعالى •• وغلظ فى ذلك وعادى فيه •• وكفر من فعله ••

ولا تستقيم العبادة الا بالتوحيد ••

اذ التوحيد هو الدين الذى بعث به الرسل جميعا •• وهو الدين عند الله منذ خلق الخلق الى أن يرث الأرض ومن عليها ••

وحذر الرسل جميعا — عليهم صلوات الله وسلامه — أقوامهم من الشرك وحضوا على اقرار العبادة لله وحده ••

يقول الله تعالى : « **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** »(٢٤) .

ويقول تعالى : « **واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله** »(٢٥) .

ويقول جل شأنه : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** »(٢٦) .

ويقول جل وعلا : «**وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه** »(٢٧) .

وفى جملة واحدة جامعة •• العبادة هى « اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه •• من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة » .

* * *

---

(٢٤) النحل : ٣٦
(٢٥) الاحقاف : ٢١
(٢٦) الذاريات : ٥٦
(٢٧) الاسراء : ٢٣

*** كان الناس أمة واحدة :**

على هذا كانت دعوة الرسل .. افراد الله وحـده بالعبادة .. حتى تفرق الناس أشتاتا واختلفوا ..

يقول الله تعالى : **« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين النـاس فيما اختلفوا فيه »**(٢٨) .

ويقول جل وعلا : **« وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون »**(٢٩) .

عن قتادة رضى الله عنه : « ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عليهما السـلام عشرة قرون كلهم على الهدى ، وعلى شريعة من الحق ، ثم اختلفوا بعد ذلك ، فبعث الله عز وجل نوحا ــ عليه السلام ــ وكان أول رسول بعثه الله تعالى الى أهل الأرض ، وبعث عنـد الاختلاف وترك الحق » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : « كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق .. فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنـذرين » .

وفى رواية : « كان الناس أمة واحدة .. كانوا على الاسلام ــ أى التوحيد ــ كلهم » .

وهناك قول للحسن وعطاء .. عن ابن عباس رضى الله عنهما حيث قالا : « كان النـاس من وقت وفاة آدم الى مبعث نوح ــ عليهما السلام ــ أمة واحدة ، على ملة واحدة ، وهى الكفر .. كانوا كلهم كفارا أمثال البهائم ، فبعث الله نوحا وابراهيم والنبيين » ..

ويضعف هذا القول تعارضه مع قول الله تعالى : **« وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا »** .

فضلا عن انقطاعه عن ابن عباس ومخالفته لقوله رضى الله عنه : « كانوا على الاسلام كلهم » .. وهو النص الذى رواه ابن أبى حاتم عن أبى زرعة عن شيبان بن فروخ عن همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ..

---

(٢٨) البقرة : ٢١٣ (٢٩) يونس : ١٩

ويشهد له قراءة أبى بن كعب رضى الله عنه : « ... فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » .

* * *

* عبادة الأصنام :

ثم نشأت عبادة الأصنام .. باتخاذ الوسطاء والشفعاء !!

وفى نشأتها يقول هشام بن محمد بن السائب الكلبى فى كتابه « الأصنام » : « أخبرنى أبى قال : أول ما عبدت الأصنام أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند .. ويقال للجبل « نوذ » وهو أخصب جبل فى الأرض ..

... فكان بنو شيث عليه السلام يأتون جسد آدم فى المغارة .. فيعظمونه ويترحمون عليه .. فقال رجل من بنى قابيل بن آدم : يا بنى قابيل .. ان لبنى شيث دوارا — أى مطافا — يدورون حوله ويعظمونه .. وليس لكم شىء .. فنحت لهم صنما .. فكان أول من عملها » .. !!

فكانت القبور وتعظيمها والعكوف عليها .. أول ما أضل الشيطان به الناس !!

ويقول الامام البخارى فى نشأة الأصنام الأولى — « ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر » — نقلا عن ابن عباس رضى الله عنهما : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح .. فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم : أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت » !!

وفيهم يقول ابن جرير عن محمد بن قيس : « كانوا قوما صالحين من بنى آدم .. وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم .. كان أشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم .. فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال : انما كانوا يعبدونهم ، وبهم يسقون المطر .. فعبدوهم » !!

ويقول ابن الجوزى فى كتابه « تلبيس ابليس » : « ... كان ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر .. قوما صالحين .. فماتوا فى شهر .. فجزع عليهم أقاربهم .. فقال رجل من بنى « قابيل » :

يا قوم •• هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ؟ •• غير أنى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا •• فقالوا : نعم !!

فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم •• فكان الرجل منهم يأتى أخاه وعمه وابن عمه •• فيعظمه ويسعى حوله •• حتى ذهب ذلك القرن الأول •• وعملت على عهد « يزد بن مهلاييل ابن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم » !!

ثم جاء قرن آخر •• فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول !!

ثم جاء من بعدهم القرن الثالث •• فقالوا : ما عظم الأولون هؤلاء الا وهم يرجون شفعاعتهم عند الله عز وجل •• فعبدوهم وعظموا أمرهم •• واشتد كفرهم •• فبعث الله سبحانه وتعالى اليهم « ادريس » عليه السلام فدعاهم فكذبوه •• فرفعه الله مكانا عليا ••

ولم يزل أمرهم يشتد •• حتى أدرك « نوح » فبعثه الله نبيا •• وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة •• فدعاهم الى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة •• فعصوه وكذبوه •• فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك •• فعملها وفرغ منها •• وركبها وهو ابن ستمائة سنة •• وغرق من غرق •• ومكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة » ••

وروى ابن أبى حاتم عن عروة بن الزبير أنه قال : « ود ، ويغوث ، ويعوق ، وسواع ، ونسر ، أولاد آدم • وكان « ود » أكبرهم وأبرهم به » ••

وذكر الامام ابن كثير فى « البداية والنهاية » : « قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا يعقوب عن أبى المطهر ، قال : ذكروا عند أبى جعفر — هو الباقر — وهو قائم يصلى يزيد بن المهلب •• قال : فلما انفتل من صلاته قال : ذكرتم يزيد بن المهلب — أما انه قتل فى أول أرض عبد فيها غير الله تعالى • قال : ذكر « ودا » قال : كان رجلا صالحا •• وكان محببا فى قومه ، فلما مات عكفوا حول قبره فى أرض بابل وجزعوا عليه •• فلما رأى ابليس جزعهم عليه تشبه فى صورة انسان ثم قال : انى أرى جزعكم على هذا الرجل •• فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون فى ناديكم فتذكرونه به ؟ قالوا : نعم ، فصور لهم مثله •• قال : فوضعوه فى ناديهم وجعلوا يذكرونه •• فلما رأى ما بهم من ذكره قال : هل لكم أن أجعل فى منزل كل واحد منكم تمثالا مثله ليكون له فى بيته

فتذكرونه ؟ .. قالوا : نعم .. قال : فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله .. فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به . قال : وادرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به . قال : وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم اياه حتى تخذوه الها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم .. فكان اول ما عبد غير الله « ود » الصنم الذى سموه « ودا » .

* * *

بعث الله نوحا عليه السلام .. يدعو الناس الى افراد الله وحده بالعبادة والتعظيم .. وما جحد قوم نوح وجود الله تعالى .. فقد كان ردهم على دعوة نبيهم عليه السلام : **« ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة »**(٣٠) .

وما كانوا يعتقدون أن الألوهية قد توزعت فى هذه الأصنام .. دون وجود اله قاهر فوقها .. بل كان لديهم تصور واضح لوجود اله .. عبروا عنه بقولهم : « **ولو شاء الله** ... » فأقروا بوجود الله تعالى !!

كما لم يجحدوا كونه تعالى خالق العالم .. فلم يقل واحد منهم ان الله ليس بربنا .. أو ليس هو خالق السموات والأرض .. أو خالقنا نحن .. أو ليس هو الذى يقوم بتدبير أمور السموات والأرض ..

لقد كانوا ــ فى الواقع ــ يؤمنون بأن الله وحده هو الخالق .. وأنه تعالى هو المدبر .. الا أنهم اتخذوا آلهة أخرى الى جواره .. جعلوا لها بعض التدخل فى تدبير نظام هذا العالم .. وتتعلق بها حاجاتهم .. فكانوا يفزعون اليها فى النوائب والشدائد .. ويلتمسون عندها الأمن من الخوف والنقص .. ويجــدون أمنهم فى الاحتماء بجــوارها ..

وفى ذلك يقول الله تعالى : **« واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا »**(٣١) .

كما يقول جل شــأنه : **« واتخــذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون »**(٣٢) .

كانوا يؤمنون بوجود الله تعالى .. وأنه وحده الخالق والمدبر .. وانما اتخذوا هذه الأصنام أولياء لهم وحماة وشفعاء !!

---

(٣٠) المؤمنون : ٢٤ (٣١) مريم : ٨١
(٣٢) يس : ٧٤

ولهذا تمسكوا بعبادتها ــ أى التوجه اليها بالسؤال ــ وقالوا :

« لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا »[٣٣] .

فاتخذوا من أوليائهم أربابا من دون الله ــ أى اتخذوهم وسطاء وشفعاء بينهم وبينه تعالى !!

* * *

ثم لما كان الطوفان الذى حدث فى عهد نوح عليه السلام .. هبطت أصنامهم من جبل « نوذ » وحملها الماء فى جريانه من أرض الى أرض .. حتى تقذفها الى أرض جدة من بلاد الحجاز .. فلما نضب الماء وبقيت على الشاطىء سفت الريح عليها حتى وارتها .. الى أن استخرجها « عمرو بن لحى » ــ ويكنى أبا ثمامة ــ وكان كاهنا له رئى من الجن .. فأتاه يوما فقال له : « عجل المسير والظعن من تهامة .. بالسعد والسلامة .. ائت صفا جدة .. تجد فيها أصناما معدة .. فأوردها تهامة ولا تهب .. ثم ادع العرب الى عبادتها تجب »[٣٤] !!

فأتى جدة واستخرجها . ثم حملها الى تهامة .. ودعا الى عبادتها فى موسم الحج .. فأجابه قومه .. وحملوها معهم الى بلادهم !!

فكان « ود » بوادى القرى بدومة الجندل تعبده « كلب » .

وكان « سواع » بأرض يقال لها وهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر ..

وكان « يغوث » باليمن تعبده مذحج .

وكان « يعوق » بقرية يقال لها حيوان تعبده همدان ومن والاها من اليمن ..

وحل « نسر » بأرض سبأ تعبده « حمير » ومن والاها حتى هودهم ذو نواس ..

وظلت هذه الأصنام تعبد فى تلك الأنحاء .. حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدمها وحطمها ..

ويقول الامام البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما : « صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب تعبد .. أما « ود » فكانت

---

(٣٣) نوح : ٢٣

(٣٤) تلبيس ابليس للامام ابن الجوزى ص ٥٣

لكلب بدومة الجندل ، وأما « سواع » فكانت لهذيل ، وأما « يغوث » فكان لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما « يعوق » فكانت لهمدان ، وأما « نسر » فكانت لحمير لآل ذى الكلاع •• قال : وهؤلاء أسماء رجال صالحين » !!

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار •• وكان أول من سيب السوائب » وفى لفظ : « ••• وغير فى دين ابراهيم » •

ويقول ابن كثير : « ان عادا — وهم عاد الأولى — كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان •• وكانت أصنامهم ثلاثة : « صمدا » ، و « صمودا » ، و « هرا » •

* * *

*** أصنام قريش :**

ثم اتخذ العرب لهم أصناما •• فكان أقدمها « مناة » — صنم من خشب — نصبوه على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة •• وعظمته العرب جميعا •• وكان أشدهم تعظيما له الأوس والخزرج !!

ثم اتخذوا « اللات » بالطائف •• وكان صخرة مربعة عظمتها قريش وثقيف !!

كما اتخذوا « العزى » بوادى حراض : من نخلة — ويقال انها كانت نخلة تأتيها شيطانة !!

وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها •• وأعظمها عندهم « هبل » •• اتخذوه من عقيق أحمر على صورة انسان •• ونصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن النضر •• ووضع أمامه القداح !!

وكان لهم « أساف » و « نائلة » •• رجل وامرأة من جرهم زنيا فى جوف الكعبة فمسخهما الله حجرين •• فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج من العرب !!

وكان لهم « ذو الخلصة » — مروة بيضاء منقوشة ، عليها كهيئة التاج •• وتعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة !!

ولدوس صنم يقال له : « ذو الكفين » !!

ولبنى الحارث بن يشكر : « ذو الشرى » !!

ولقضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان « الأقيصر » !!

ولمزينة : « نهم » •• ولأزد السراة : « عائم » •• ولعنزة : « سعير » •• ولطىء : « الفلس » •• ولخولان : « عم أنس » •• ولبنى ملكان بن كنانة : « سعد » !!

وكان لأهل كل دار من مكة صنم فى داره •• كانوا يعبـــدونه ويتمسحون به عند سفرهم وقدومهم !!

واتخذ العرب مع الكعبة طواغيت •• وهى بيوت تعظمها تعظيمها للكعبة •• ولها سدنة وحجاب •• وتطوف بها وتهدى لها وتنحر عندها كما تفعل عند الكعبة !!

وكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار •• فينظر الى أحسنها ويتخذه ربا •• ويجعل من الثلاثة أثافى لقدره •• فاذا ارتحل تركه •• واذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك !!

[والأثافى : هى الأحجار توضع تحت القدر لترفعها عن النار حتى ينضج ما بها] •

عن أبى رجاء العطاردى قال : « لمـــا بعث النبى صلى الله عليه وسلم فسمعنا به •• لحقنا بمسيلمة الكذاب فلحقنا بالنار •• وقال : وكنا نعبد الحجارة فى الجاهلية فاذا وجدنا حجرا هو أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه •• فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثية من تراب •• ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه •• ثم طفنا به » !!

وقال أبو عثمان النهدى : « كنا فى الجاهلية نعبد حجرا •• فسمعنا مناديا ينادى : يا أهل الرحال •• ان ربكم قد هلك فالتمسوا ربا •• قال : فخرجنا على كل صعب وذلول •• فبينا نحن كذلك نطلبه اذا نحن بمناد ينادى : انا قد وجدنا ربكم — أو شبهه — فاذا حجر فنحرنا عليه الجزر » !!

وعن عمرو بن عبسة قال : « كنت امرءا ممن يعبد الحجارة •• فينزل الحى ليس معهم اله •• فيخـــرج الرجل منهم فيأتى بأربعة أحجار •• فينصب ثلاثة لقدره •• ويجعل أحسنها الها يعبده •• ثم لعله يجد ما هو أحسن قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره » !!

أرأيت الى أى حد وصل بهم الأمر ؟!

ولمـــا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة •• وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنما •• فجعل يطعن فى وجوهها وعيونها بسية

قوسه ويقول : « **جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا** »[٣٥] •
وهى تتساقط على رؤوسها •• ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وأحرقت •

* * *

ولقد كان الناس ـ قبل الاسلام ـ كأسلافهم من عباد الأصنام !!
ما اعتقدوا أن الألوهية قد توزعت فى هذه الأصنام دون وجود اله قاهر فوقها !!

وما جحدوا كونه خالق العالم أو مدبره !!

كانوا يؤمنون بوجود الله تعالى •• وأنه الخالق والمدبر •• انما اتخذوا هذه الأصنام أولياء لهم وحماة •• يدعونهم عند الشدائد ويستغيثون بهم فى الملمات •• ويزعمون أنها تسمعهم وتقدر على نصرهم ••

وعقيدتهم الحقيقية فى شأنها أن لها شيئا من التدخل والنفوذ فى ألوهية ذلك الاله الأعلى •• وأن كلمتها تتلقى عنده بالقبول •• فتتحقق أمانيهم بواسطتها •• ويستدرون النفع ويتجنبون المضار باستشفاعها • تماما كأسلافهم القدماء !!

يقول الله تعالى : « **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ، فأنى يؤفكون** »[٣٦] •

ويقول جل شأنه : « **قل لمن الارض ومن فيها أن كنتم تعلمون • سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم • سيقولون لله ، قل أفلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه أن كنتم تعلمون • سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون** »[٣٧] •

فهم قد أقروا ـ بنص القرآن الكريم ـ بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر ••

انما كانت حجتهم أن هؤلاء الأولياء لمكانتهم عند الله تعالى وقربهم منه نظرا لصلاحهم وتقواهم ـ هم الوسطاء والشفعاء بينهم وبينه •• تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ••

---

(٣٥) الاسراء : ٨١
(٣٦) العنكبوت : ٦١
(٣٧) المؤمنون : ٨٤ ـ ٨٩

ويقول الله تعالى : **« ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون »**[٣٨] .

يقول الامام ابن تيمية فى قوله تعالى : **« قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له »**[٣٩] .

« بين سبحانه ضلال الذين يدعون المخلوق من الملائكة والانبياء وغيرهم .. فبين أن المخلوقين لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض .. ثم بين أنه لا شركة لهم .. ثم بين أنه لا عون له ولا ظهير .. لأن أهل الشرك يشبهون الخالق بالمخلوق .. كما يقول بعضهم اذا كانت له حاجة : استوح الشيخ فلانا فانك تجده .. أو توجه الى ضريحه خطوات ، وناد : يا شيخ . تقضى حاجتك ..

وهذا غلط لا يحل فعله .. وان كان من هؤلاء الداعين لغير الله من يرى صورة المدعو أحيانا .. فذلك شيطان يمثل له .. كما وقع مثل هذا لعدد كثير ..

ونظير هذا قول بعض الجهال من أتباع الشيخ عدى وغيره : كل رزق لا يجىء على يد الشيخ لا أريده (!!) .

والعجب من ذى عقل سليم يستوحى من هو ميت ، ويستغيث به .. ولا يستغيث بالحى الذى لا يموت !! فيقول أحدهم : اذا كانت لك حاجة الى ملك .. توسلت اليه بأعوانه ، فهكذا يتوسل اليه بالشيوخ (!!) .

وهذا كلام أهل الشرك والضلال .. فان الملك لا يعلم حوائج رعيته ولا يقدر على قضائها وحده .. ولا يريد ذلك الا لغرض يحصل له بسبب ذلك .. والله أعلم بكل شىء .. يعلم السر وأخفى .. وهو على كل شىء قدير .. فالأسباب منه واليه ..

وما من سبب من الأسباب الا دائر موقوف على أسباب أخرى .. وله معارضات ..

فالنار لا تحرق الا اذا كان المحل قابلا .. فلا تحرق السمندل .. واذا شاء الله منع أثرها كما فعل بابراهيم عليه السلام ..

---

(٣٨) الزمر : ٣ (٣٩) سبأ : ٢٢ ، ٢٣

وأما مشيئة الرب فلا تحتـاج الى غيره •• ولا مانع لها •• بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن •• وهو سبحانه أرحم من الوالدة بولدها •• يحسن اليهم ويرحمهم ويكشف ضرهم مع غناه عنهم •• وافتقارهم اليه : **« ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير »** •

فنفى الرب هذا كله •• فلم يبق الا الشفاعة فقال : **« ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له »** ••

وقال : **« من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه »** •

فهو الذى يأذن فى الشفاعة •• وهو الذى يتقبلها •• فالجميع منه وحده •• وكلما كان الرجل أعظم اخلاصا لله •• كانت شفاعة الرسول أقرب اليه •• قال له أبو هريرة رضى الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله يبتغى بها وجه الله » ••

وأما الذين يتوكلون على فلان ليشـفع لهم من دون الله ••• ويتعلقون بفلان •• فهؤلاء من جنس المشركين الذين اتخذوا شفعاء من دون الله تعالى » ••

ثم يقول : « قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة •• فبين الله تعالى أن هؤلاء الأنبياء والملائكة عباده •• كما أن هؤلاء عباده ••

هؤلاء يتقربون الى الله •• وهؤلاء يرجون رحمة الله •• وهؤلاء يخافون عذاب الله ••

فالمشركون اتخـذوا مع الله أندادا •• يحبونهم كحب الله •• واتخذوا شفعاء يشفعون لهم عند الله •• ففيهم محبة لهم واشراك بهم •• وفيهم من جنس ما فى النصارى من حب المسيح واشراك به ••

والمؤمنون أشد حبا لله •• فلا يعبدون الا الله وحده •• ولا يجعلون معه شيئا يحبونه كحبه •• لا أنبياءه ولا غيرهم •• بل أحبوا ما أحبه بمحبتهم لله •• وأخلصوا دينهم لله •• وعلموا أن أحدا لا يشفع لهم الا باذن الله تعالى •• فأحبوا عبد الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لحب الله •• وعلموا أنه عبد الله المبلغ عن الله •• فأطاعوه فيما أمر •• وصدقوه فيما أخبر •• ولم يرجوا الا الله •• ولم يخافوا الا الله ••ولم يسألوا الا الله •• وشـفاعته لمن يشفع له هو باذن الله •• ولا ينفع رجاؤنا للشفيع ولا مخافتنا له •• وانما ينفع توحيدنا واخلاصنا لله •• وتوكلنا عليه •• فهو الذى يأذن للشفيع أن يشفع ••

فعلى المسلم أن يفرق بين محبة النصارى والمشركين ودينهم .. ويتبع أهل التوحيد والايمان ويخرج عن مشابهة المشركين وعبدة الصلبان ..

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .. ومن كان يحب المرء لا يحبه الا لله .. ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى فى النار » .. اهـ[40] .

* * *

* تعظيم الموتى .. وعبادة الأصنام :

وانما ضل الناس الى عبادة الأصنام من جهة تعظيم الموتى الذين صوروها على صورهم .. ولهذا لعن الرسول صلى الله عليه وسلم المتخذين على القبور المساجد والسرج .. ونهى عن الصلاة الى القبور .. وسأل الله تعالى أن لا يجعل قبره وثنا يعبد .. ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدا .. وأمر بتسوية القبور .. ونهى عن التماثيل وغلظ فى ذلك تغليظا شديدا .

ويحق للنفس — وهى ترى واقع المسلمين اليوم — أن تتقطع عليهم حسرات !!

فقد عظموا الموتى وقدسوهم !!

وأقاموا التماثيل والأنصاب تخليدا لعظمائهم وأبطالهم !!

وعصوا أمر رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم .. فاتخذوا المساجد والسرج على القبور .. وصلوا اليها واتخذوها عيدا !!

وأقاموا من أوليائهم وصالحيهم حماة لهم .. يتقدمون اليهم بالنذور والقرابين .. ويدعونهم عند الشدائد .. ويستغيثون بهم فى الملمات !!

واعتقدوا أن هؤلاء الأولياء قادرين على نصرهم .. وأن لهم قدرة على التدخل فى تدبير نظام العالم .. وأن لهم سلطة تغيير المقادير بما لهم من دالة على الله تعالى !!

واتخذوا منهم وسطاء يستدرون النفع ويتجنبون المضار باستشفاعهم !!

---

(٤٠) علم الحديث للامام ابن تيمية — ص ٤٤٢ — ٤٤٧

وظنوا أنهم يسمعونهم ويستجيبون لدعائهم •• وغاب عنهم أنهم قد انقطع عملهم بعد أن ماتوا •• فلا يسمعون لهم دعاء ولا يستطيعون استجابه !!

والله تعالى يقول : « **ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين • ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها ، أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها ، قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون • ان وليى الله الذى نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين • والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون** »[41] •

وصـــدق الله تعالى •• انهم لا يستطيعون نصرهم ولا أنفسهم ينصرون ••

ومن أين لهم الأرجل التى بها يمشون •• والأيدى التى بهـــا يبطشون •• والأعين التى بها يبصرون •• والآذان التى بها يسمعون •• وقد ماتوا وانقضى أمرهم ؟!

وغفلوا عن أن أول شروط الدعاء التوجه به الى الله وحده •• مع الاخلاص فيه •• وقد استجاب الله لابليس حين قال : « **رب فأنظرنى الى يوم يبعثون** »[42] فاستجاب الله لدعائه وأنظره الى يوم القيامة •• لاقراره لله تعالى وحده بالربوبية •• وأنه وحده القادر على افنائه أو انظاره •• وكان مخلصا فى التوجه الى الله بهذا الدعاء !!

ولكن القوم باتخاذهم الشفعاء والوسطاء •• جعلوا منزلتهم أحط منزلة من عدو الله اللعين !!

والله تعالى يقول : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** »[43] •

ولكنهم أعرضوا عن تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم والامتثال لأوامره •• واتبعوا شياطينهم وكهانهم وشيوخهم •• فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم •

أفيقوا أيها المسلمون من غفلتكم •• يرحمكم الله ••

---

(٤١) الأعراف : ١٩٤ — ١٩٧

(٤٢) الحجر : ٣٦ ، وسورة ص : ٧٩

(٤٣) النساء : ٦٥

فما هكذا كان الاسلام •• وما بهذا نزل القرآن •• ولا على هذا بعث الرسول صلى الله عليه وسلم !!

فلنتجه الى الله جميعا ضارعين •• مرددين دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » ••

وليكن دعاءنا لله وحده دون وسيط ولا شفيع : **« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب »**(٤٤) .

* * *

* عبادة النجـــوم والكواكب :

وأشرك أقوام الأجرام السماوية ، والكواكب والنجوم فى عبادتهم لله تعـــالى !!

فقد عبد قوم الزهرة •• والشمس •• والقمر •• بعد أن ظنوا أن لها تأثيرا فى العالم •• وأن لها دخلا فى تصريف أمور معايشهم •• فأقاموا لها المعابد •• واتخذوا لها سدنة وحجابا •• وشرعوا لها حجا وقربانا !!

فكان فى صنعاء معابد لعبادة « الزهرة » !!

وفى فرغانة •• أخرى لعبادة « الشمس » !!

وزعموا أن الشمس ملك من الملائكة لها نفس وفعل •• وهى أصل نور القمر والكواكب •• وأن الموجودات كلها منها !!

واتخذوا لها صنما بيده جوهرة على لون النار •• يحجون اليه ويدعونه •• وينذرون له ويقربون عنده القرابين •• ويسجدون للشمس عند طلوعها وغروبها !!

وفى هؤلاء يقول مبعوث سليمان عليه السلام الى ملكة سبأ : **« وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون »**(٤٥) .

كما بنى آخرون معابد لعبادة « القمر » •• واتخذوا له صنما على شكل عجل يجره أربعة •• وبيد الصنم جوهرة •• فكانوا يسجدون له •• ويصومون له أياما معلومة من كل شهر •• ثم يأتون اليه بالطعام والشراب •• فاذا فرغوا من أكلهم وشربهم أخذوا فى الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه !!

---

(٤٤) آل عمران : ٨ (٤٥) النمل : ٢٤

وجعل أقوام أصنامهم على صورة الكواكب التى عبدوها وروحانيتها بزعمهم .. فبنوا لها الهياكل ودور العبادة .. لكل كوكب منها هيكل يخصه .. وصنم يخصه .. وعبادة تخصه !!

وفى هؤلاء يقول الله تعالى : **« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون »**(٤٦) .

وكان قوم ابراهيم عليه السلام ممن عبد الكواكب .. ويعتقدون أنها شريكة مع الله فى الربوبية بما لها من قدرة على تصريف أمور العالم بزعمهم !!

ولعل الحادث الذى أشار اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : **« فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون . انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين »**(٤٧) .

لعل هذا الحادث .. يبين بجلاء حقيقة اعتقاد القوم بأن الأجرام الفلكية شريكة مع الله فى الربوبية .. فقد أشركوها معه سبحانه فى العبادة .. ولكنهم لم يجحدوا وجود الله تعالى .. بل كانوا يقرون بوجوده وقدرته .. غير أنهم أشركوا معه الكواكب والنجوم .. واتخذوا لها تماثيلا أصناما !!

ولهذا عندما بلغ ابراهيم عليه السلام رشده .. جعل يتفكر فى معتقداتهم ويتأمل فيها .. وأخذ فى مناقشتها حتى هداه طلوع السيارات السماوية وأفولها الى الواقع الذى لا واقع سواه .. انه لا رب الا فاطر السموات والأرض ..

يقول ابن كثير :

« كان أهل حران فى بلاد الكلدانيين — زمن ابراهيم عليه السلام — يعبدون الكواكب السبعة .. وكان الذين عمروا دمشق على هذا الدين يستقبلون القطب الشمالى ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال .. ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل لكوكب منها ، ويعملون لها أعيادا وقرابين » .

* * *

---

(٤٦) فصلت : ٣٧ (٤٧) الأنعام : ٧٦ — ٧٩

* عبادة مظاهر الطبيعة :

ورأى أقوام مظاهر الطبيعة كالنار والمـاء •• والنور والظلمة •• ولم يعرفوا خواصها وطبائعها •• فخافوها على أنفسهم •• وعبدوها اتقاء لشرها !!

ويقول ابن جرير الطبرى فى أصل عبادة النار : « انه لما قتل قابيل هابيل •• وهرب من أبيه آدم عليه السلام •• أتاه ابليس فقال له : ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدمها ويعبدها •• فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك •• فبنى بيت النار •• فهو أول من نصب النار وعبدها » ••

وسرت هذه العبادة الى المجوس •• فبنوا للنار المعابد الكثيرة •• واتخذوا لها سدنة وحجابا •• فلا يدعونها تخمـد لحظة واحدة •• وعبدوها استجلابا لخيرها واتقاء لشرها !!

وفيهم يقـول ابن القيم : ••• وهم يفضلونهـا على التراب ويعظمونها •• ويقولون انها أوسع العناصر خيرا •• وأعظمها جرما •• وأوسعها مكانا •• وأشرفها جوهرا •• وألطفها جرما •• ولا كون فى العالم الا بها • ولا نمو ولا انعقاد الا بممازجتها !!

وكانوا اذا أرادوا عبادتها •• حفروا لها أخدودا مربعا فى الأرض ويطوفون به !!

ومنهم الزهاد والعباد الذين يجلسون حولها صائمين عاكفين عليها !!

وأكثرهم يحرمون القاء النفوس فيها •• واحراق الأبدان بها !!

وطائفة أخرى غالت فى عبادتها الى حد التقرب اليها بأنفسهم وأولادهم •• فيعمد الرجل الذى يريد أن يفعل ذلك بنفسه أو بولده أو حبيبه •• فيحمله ويلبسه أحسن الملابس •• ويزينه بأفخر الحلى •• ويركبه أعلى المراكب •• وحوله المعازف والطبول والأبواق •• فيزف الى النار أعظم من زفافه ليلة عرسه •• حتى اذا ما قابلها ووقف عليها •• وهى تأجج طرح نفسه فيها •• فضج الحاضرون ضجة واحدة بالدعاء له •• وغبطوه على ما فعل(٤٨) !!

وزعم آخرون ــ وهم طائفة الحلبانية ــ أن المـاء أصل كل

---

(٤٨) اغاثة اللهفان ــ للامام ابن القيم جـ ٢ ص ١٨٤ طبع دار التراث العربى سنة ١٩٨٣ بتصرف يسير .

الأشياء •• وبه كل ولادة ونمو ونشوء •• وطهارة وعمارة •• وما من عمل فى الدنيا الا ويحتاج اليه •• فعبدوه !!

وكانوا اذا أرادوا عبادته •• تجرد الواحد منهم من ثيابه •• وستر عورته •• ثم يحمل معه ما يمكنه حمله من الرياحين •• ويدخل فيه حتى يصير الى وسطه •• ويقيم فيه بقدر ما يستطيع من وقت •• يقطع الرياحين قطعا صغيرة ويلقيها فيه شيئا فشيئا •• وهو يسبحه ويمجده •• فاذا أراد الانصراف حرك المـــاء بيديه •• ثم أخذ منه فيضعه على رأسه وجسده •• ثم يسجد وينصرف !!

كما كان مجوس الفرس بالثنوية •• فعبدوا النور والظلمة •• « وقالوا ان الصانع اثنان •• ففاعل الخير نور •• وفاعل الشر ظلمة •• وهما قديمان •• لم يزلا ولن يزالا قويين حساسين •• مدركين سميعين بصيرين •• وهما مختلفان فى النفس والصورة •• متضادان فى الفعل والتدبير •• فالنور فاضل حسن ، نقى •• طيب الريح ، حسن المنظر •• ونفسه خيرة •• كريمة حكيمة نفاعة •• فيها الخير والمسرات والصلاح •• وليس فيها شىء من الضرر ولا من الشر !!

والظلمة على ضد ذلك : من الكدر والنقص •• ونتن الريح وقبح المنظر •• ونفسها نفس شريرة •• بخيلة سفيهة منتنة مضرة •• منها الشر والفساد !!

وزعموا أن لكل واحد منهما أربعة أبدان ، وخامس هو الروح !!

فأبدان النور أربعة : النار •• والنور •• والريح •• والمـــاء •• وروحها : النسيم ولم يزل يتحرك فى هذه الأبدان !!

وأبدان الظلمه الأربعة : الحريق •• والظلمة •• والسموم •• والضباب • وروحها : الدخان !!

وسموا أبدان النور ملائكة •• وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفـــاريت !!

وبعضهم يقول : الظلمة تتولد شياطين •• والنور يتولد ملائكة •• والنور لا يقدر على الشر ولا يجىء منه •• والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجىء منها »[(٤٩)] !!

وعبدت طائفة الملائكة •• والجن •• والشياطين !!

وفى هؤلاء يقول الله تعالى : **« ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول**

---

(٤٩) المرجع السابق ص ١٩٢

للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون • قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن ، أكثرهم بهم مؤمنون »[٥٠] •

ويقول تعالى **« ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ، انه لكم عدو مبين »**[٥١] •

وانحط آخرون •• فعبدوا الطيور •• والحيوانات •• والأفاعى !!

وعبد أقوام الشجر والحجر •• فقد كانت « العزى » نخلة تأتيها شيطانة بوادى حراض •• كما كانوا يتمسحون ويتبركون بشجرة يعلقون عليها أسلحتهم وأطلقوا عليها « ذات أنواط » !!

وكانت « اللات » صخرة مربعة بالطائف !!

* * *

* عبادة الملوك والفراعين :

وانتسب بعض الملوك والفراعين الى الآلهة التى يعبدونها •• كما ادعى البعض الآخر الألوهية لنفسه !!

وقد ذكر القرآن الكريم منهم : نمرود ابراهيم ، وفرعون موسى !!

ولم يدع النمرود أنه خالق السموات أو الأرض •• ولا نسب لنفسه القدرة على خلق ذبابة أو ما دونها •• ولكنه استند فى دعواه الى سطوة الملك وسلطة التشريع والتقنين !!

ولهذا عندما حاجه ابراهيم عليه السلام فى أمر توحيد الألوهية •• استند النمرود على سلطته كملك غاشم يملك الرقاب •• يقتل من يشاء ويعفو عمن يشاء !!

يقول الله تعالى : **« ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت ، قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين »**[٥٢] •

ولم يدع فرعون موسى أنه خالق السموات والأرض •• ولا نسب لنفسه القدرة على الخلق والابداع •• ولكنه استند أيضا فى دعواه على سطوة الملك وسلطة التشريع والتقنين !!

---

(٥٠) سبأ : ٤٠ ، ٤١ (٥١) يس : ٦٠

(٥٢) البقرة : ٢٥٨

ولم يجد أمامه من حجة تسند دعواه الا أن يقول : **« يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ، أفلا تبصرون »**[٥٣] .

فاستند على سلطته وقدرته كملك قوى غاشم يملك البلاد والأنهار •• ومن ثم يملك الرقاب والعباد !!

ولكنهما أبدا لم يدعيا ألوهية الخلق والابداع !!

وكل من حرم حلالا أو حلل حراما فقد شرع فى دين الله ما لم ينزل به سلطانا •• وأتى بذلك بابا من الكبائر .

عن عدى بن حاتم قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب •• فقال : « ما هذا يا عدى ؟ •• اطرح عنك هذا الوثن » •• وسمعته يقرأ فى سورة براءة : **« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا ، لا اله الا هو ، سبحانه عما يشركون »**[٥٤] •• فقلت : ما عبدوهم يا رسول الله •• فقال : « أما انهم لم يكونوا يعبدونهم •• ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه •• واذا حرموا عليهم شيئا حرموه »[٥٥] .

والله سبحانه وتعالى يقول **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »**[٥٦] .

ويقول جل وعلا : **« ومن لم يحكم بمـا أنزل الله فأولئك هم الظالمون »**[٥٧] .

ويقول جل شأنه : **« ومن لم يحكم بمـا أنزل الله فأولئك هم الفـاسقون »**[٥٨] .

* * *

* الشرك •• والأديان السماوية :

عرف اليهود الاله الواحد •• وآمنوا أنه تعالى واحد لا شريك له •• لا يرى ولا يقدر أحد أن يراه •• وليس كمثله شىء •• وهو متصف بكل كمال •• منزه عن كل نقص •• ولا يحده مكان ولا زمان .

ولكنهم قصروه عليهم وحدهم •• واعتقدوا فى امكانية تجسده ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ !!

---

(٥٣) الزخرف : ٥١
(٥٤) التوبة : ٣١
(٥٥) رواه الترمذى .
(٥٦) المـائدة : ٤٤
(٥٧) المـائدة : ٤٥
(٥٨) المـائدة : ٤٧

ونقرأ فى سفر التثنية الحض على افراد الله وحده بالعبادة :
« ••• اسمع يا اسرائيل : الرب الهنا رب واحد •• فتحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك » ••

كما جاء فى انجيل مرقس — لدى النصارى — : « ان أول الوصايا : هى اسمع يا اسرائيل •• الرب الهنا اله واحد » •

فكيف نشأت عقيدة التعدد لدى أتباع هذين الدينين السماويين ؟؟

رأينـــا أن موضوع التعدد يكاد يكون عاما فى جميع الثقافات القديمة •• قال به المصريون القدماء •• كما قال به الآشوريون والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونانيون ••

وأول من قال بالتثليث هم البابليون عام ٤٠٠٠ ق•م •

ثم نشأ مذهب « التعدد فى وحدة ، والوحدة فى تعدد » لدى الهنود عام ١٠٠٠ ق•م •

فقد عدوا « براهما » و « فشنو » و « سيفا » ثلاثة جوانب لاله واحد •• وكانوا يعدون « براهما » واحدا له ثلاثة أقانيم[٥٩] •• فهو « براهما » من حيث هو موجود •• و « فشنو » من حيث هو حافظ •• و « سيفا » من حيث هو مهلك !!

وفى عهد بطليموس الأول أقيم فى الاسكندرية معبد لثالوث مكون من « سيرابيس » و « ايزيس » و « حورس » •• وكانوا يعدونهم ثلاث هيئات لاله واحد ••

وفى مدرسة الاسكندرية ظهر مذهب « أفلوطين » وخلاصته : ان مبدأ الوجود وقمته هو « الأول » •• وهو جوهر كامل فياض •• وفيضه يحدث شيئا غيره •• والشىء المحدث عنه « عقل » ، وهو شبيه به •• وهذا يفيض بدوره فيحدث صورة منه هى « نفس » •• وتفيض النفس فتصدر عنها الكواكب والبشر !!

وكانت عادة اليهود القديمة •• أن يطلقوا لقب « ابن الله » — أى ولى الله وحبيبه — على أى فرد منهم سواء أكان صالحا أم غير صالح •• فسموا أنفسهم « أبناء الله » — أى أولياءه ومحبيه !!

وتبعهم النصارى فى قولهم •• ومن هنا جاء تعبير « ابن الله » ، و « الأب الذى فى السماء » — عندهم — عاما لم يخصص بواحد منهم الا على سبيل المجاز •• وبالمفهوم الذى كان سائدا لدى اليهود ••

---

(٥٩) الاقنوم كلمة سريانية تعنى الشخص الأساسى أو الرئيسى .

وقد رد الله عليهم افكهم ، وأبطل زعمهم •• فقال تعـالى : « **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، واليه المصير** »(٦٠) •

واعتبر الذين قصروا النبوة ـــ سواء على العزير أو المسيح ـــ متساوين مع الذين كفروا •• بعد أن أخرج التخصيص مفهوم اللفظ عن معناه المجازى الذى كان سائدا ••

وفى عهد المسيح عليه السـلام أشاع الرومان ـــ الذين كانوا يؤمنون بتجسد الآلهة ـــ فكرة ألوهية المسيح •• مما شجع « بولس » ـــ وكان يهوديا تظاهر بالنصرانية ـــ على الجهر بدعوى الاثنينية •• ونادى بأقنوم للأب •• وأقنوم آخر للابن •• وجعل بينهما علاقة نسبية بعد أن كانت هذه البنوة معنى مجازيا للأبوة والبنوة على السـواء !!

وفى المجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية عام ٣٨١ ميلادية •• أعلن بطريرك الاسكندرية اعتبار « الروح القدس الها » •• فأصبحت الأقانيم بذلك ثلاثة !!

وينقسم النصارى الى شرقيين ـــ وهم الأرثوذكس ، وكان يطلق عليهم قديمـا اسم اليعاقبة ، وغربيين ـــ وهم الكاثوليك ، وكانوا يسمون الملكانية ـــ !!

ويعتقد الأرثوذكس بأن الله واحد فى أقانيم ثلاثة •• اذ يزعمون أن أقنوم « الأب » نزل من السماء •• واختبأ فى بطن مريم ـــ عليها السلام ـــ تسعة شهور •• تطور خلالها بداخله من نطفة الى علقة ثم مضغة ثم أصبح جنينا متكاملا •• وخرج من بطنها طفلا ـــ أقنوم « الابن » ـــ ونما كما ينمو سائر الأطفال •

ولمـا بلغ الثلاثين من عمره بلغ الرسالة •• وبعد سنتين وبضعة شهور قتله اليهود وصلبوه •• ثم دفن فى القبر ثلاثة أيام •• ونزل الى الجحيم وهو فى القبر •• ثم خرج فى اليوم الثالث وصعد الى السموات ـــ وأصبح بذلك الأقنوم الثالث « روح القدس » ـــ واتخذ الاسم الذى كان له قبل انشاء العالم !!

---

(٦٠) المـائدة : ١٨

فهو يسمى عندهم « الأب » قبل التجسد •• ويسمى « الابن » بعد التجسد •• ويسمى « روح القدس » بعد صعوده من الجحيم !!

وعلى هؤلاء رد القرآن الكريم بقوله : **« لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شىء قدير »**(٦١) .

وقال تعالى . « لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصار »(٦٢) .

ويعتقــد الكاثوليك أن الآلهة ثلاثة أقانيم متميزة ومنفصلة : الأب •• والابن •• وروح القدس •• فالأب غير الابن •• والابن غير الأب •• وهما معا غير الروح القدس !!

ومع ذلك فهم شىء واحد فى الطبيعة والذات والحكمة !!

ويتساوى عندهم أقنوم الابن بالأب بحسب لاهوته •• وهو دون الأب بحسب ناسوته !!

ثم يقولون بالواحد فى ثلاثة •• والثلاثة فى واحد !!

وعلى هؤلاء يرد القرآن الكريم بقوله تعالى : **« لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحــد ، وأن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم • افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم • ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون • قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ، والله هو السميع العليم »**(٦٣) .

لقد رد الله تعــالى على الذين قالوا ان الله هو المسيح عيسى ابن مريم •• وحكم بكفرهم ••

كما رد على الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة •• وحكم بكفرهم ••

وقضى تعالى بكفر الذين جعلوا له ابنا •• سبحانه : **« لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد »**(٦٤) .

---

(٦١) المــائدة : ١٧
(٦٢) المــائدة : ٧٢
(٦٣) المــائدة : ٧٣ ــ ٧٦
(٦٤) الاخلاص : ٣ ، ٤

وقرن اليهود والنصارى بالذين أشركوا فقال : **« وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل ، قاتلهم الله ، أنى يؤفكون »**(٦٥) .

ويقول تعالى : **« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولاتقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا »**(٦٦) .

* * *

ويوم القيامة يفصل الله بينهم .. ويقيم الحجة عليهم .. اذ يتبرأ المسيح عليه السلام من كفرهم وباطلهم .. فما دعاهم الى عبادته أو تقديسه .. انما كانت دعوته هى دعوة الرسل منذ خلق الله الأرض ومن عليها : **« ان الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم »**(٦٧) .

ويحدثنا الله تعالى عن هذا المشهد الخالد من يوم القيامة .. حيث توفى كل نفس ما عملت .. فيقول وهو أصدق القائلين :

« واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ، انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد »(٦٨) .

* * *

ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالى : شتمنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، يزعم أن لى ولدا وأنا الأحد الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد » .

---

(٦٥) التوبة : ٣٠
(٦٦) النساء : ١٧١ ، ١٧٢
(٦٧) آل عمران : ٥١
(٦٨) المائدة : ١١٦ ، ١١٧

وفى الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم » .

وهكذا شأن الله تعالى دائما ، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » ..

آمنت بالله وحده .. لا اله الا هو سبحانه :

« ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير »(٦٩) .

« ما اتخذ صاحبة ولا ولدا »(٧٠) .

« ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا »(٧١) .

« سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا »(٧٢) .

* * *

* تحـــدى !! ...

تحدى الله تعالى المشركين فقال : **« خلق السموات بغير عمد ترونها ، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السـماء ماء فأنبتنا فيهـا من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون فى ضلال مبين »**(٧٣) .

لقد خلق الله تعالى السموات ورفعها بغير عمد .. وبسط الأرض وثبتها بالجبال حتى لا تضطرب .. ونشر فيها من كل الحيوانات التى تمشى وتتحرك .. وأنزل من السماء ماء فأنبت به نباتا من كل صنف .. مختلفا فى منافعه ..

هذه هى قدرة الله ماثلة أمامكم .. ترونها فى كل وقت وحين .. فماذا خلقت آلهتكم المزعومة ؟ .. تلك الآلهة التى جعلتموها شريكة لله تعـالى !!

أليس ما أنتم عليه هو الضلال الواضح ؟!

وقال تعالى : **« الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء ، سبحانه وتعـالى عما يشركون »**(٧٤) .

---

(٦٩) الشورى : ١١
(٧٠) الجن : ٣
(٧١) الفرقان : ٢
(٧٢) الاسراء : ٤٣
(٧٣) لقمان : ١٠ ، ١١
(٧٤) الروم : ٤٠

الله وحده هو الذى اوجدكم من العدم •• ثم يرزقكم بما تعيشون به •• وهو وحده الذى يميتكم اذا انتهت اعماركم واجالكم •• ثم هو وحده الذى سوف يبعثكم من قبوركم يوم القيامة •

هل تستطيع الهتكم التى تزعمونها وتعبدونها من دون الله أن تفعل شيئا من ذلك ؟!

أهى التى اوجدتكم ورزقتكم •• اتستطيع أماتتكم ثم احيائكم لا! تنزه الله وتعالى عما تشركون به ••

وقال جل شانه : **« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب • ما قدروا الله حق قدره ، أن الله لقوى عزيز »**(٧٥) •

لندع السماء والأرض والجبال والبحار جانبا •• فقد ثبت أن آلهتكم التى تدعونها لم تبدعها ولا تقدر على ذلك ••

ولندع أمر ايجادكم واعاشتكم وأماتتكم ثم احيائكم أيضا •• فان آلهتكم التى تدعونها لا تملك شيئا من ذلك ••

هل تستطيع تلك الآلهة المزعومة أن تخلق أحقر الأشياء ؟ •• هذا الذباب ــ مثلا ــ هل تستطيع خلقه ؟؟

انهم لا يستطيعون ذلك ولو تضافروا جميعا على خلقه •• بل أن هذا المخلوق التافه الحقير لو سلبهم شيئا من القرابين التى تقدمونها اليهم •• فانهم لا يملكون بحال أن يمنعوه أو يستردوه منه !!

ما أضعف الذباب •• وما أضعف آلهتكم المدعاة !!

هل يليق بكم •• يا من تدعون العقل والفهم •• أن تعبدوا هذه الأشياء العاجزة وتتجهون اليها بالدعاء •• وتلتمسون النفع منها ؟!

انكم ما عرفتم الله تعالى حق المعرفة •• ولا عظمتموه حق تعظيمه حين أشركتم به فى العبادة أعجز الأشياء •• مع أن الله وحده هو القادر على كل شىء •• وهو العزيز الذى لا يغلبه غالب ••

ويقول جل وعلا : **« أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون • ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون • وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ، سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون • ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم**

---

(٧٥) الحج : ٧٣ ، ٧٤

صادقين • ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون بها ، أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بهـــا ، قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون • ان وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين • والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون • وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا ، وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون))[٧٦] •

هل من العدل أن تشركوا مع الله أصناما لا تقدر على ايجاد شىء •• مهما ضؤل أو هان ؟!

أليست هذه الآلهة المزعومة من مخلوقات الله ؟!

انها لا تقدر على نصر عبدتها •• ولا تقدر على نصر أنفسها اذا تعدى الغير عليها ••

وان دعوتموها لترشدكم الى ما تحبون لا تستطيع اجابتكم الى مرادكم •• فالأمر سواء عندكم فى عدم الفائدة •• دعوتموها أم سكتم عن دعائها •• فان حالكم لن يتغير فى الحالين !!

ان الذين تعبدونهم من دون الله •• وتتجهون اليهم بالدعاء •• وترجون النفع منهم ـــ سواء أكانوا أصناما من حجر •• أم موتى مقبورين ـــ خاضعين جميعا لله بحكم تكوينهم •• فهم مثلكم مسخرين لأمره تعـــالى ••

ولو كنتم صادقين فى زعمكم أنهم يقدرون على أى فعل •• فاطلبوه منهم •• وانتظروا أن يحققوه لكم •• وهيهات !!

ان هذه الأصنام ـــ وهؤلاء الموتى ـــ أقل منكم فى الخلق والتكوين •• فليس لهم أرجل يمشون عليها •• أو أيد يدفعون بها الضر عنكم وعنهم •• وليس لهم أعين يبصرون بها •• أو آذان يسمعون بها •• فكيف يحققون لكم ما تطلبون منهم ؟!

ليس لهم من ذلك شىء • فكيف تشركونهم مع الله فى العبادة ؟!

ثم يطلب الله تعالى من رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحداهم بدوره ، ويقول لهم : اذا كنتم تتوهمون أن هذه الأصنام تستطيع انزال الضر بى أو بأحد •• فانى أتحداكم أن تنادوها وتدبروا معها ما تشاءون •• من غير امهال أو انظار •• فانها لن تستطيع شيئا ••

---

(٧٦) الأعراف : ١٩١ ـــ ١٩٨

فلا تمهلونى وأسرعوا بتدبيركم فانى لا أبالى بها •• ان الله وحده هو ناصرى عليكم •• وله وحده ولايتى •• وهو الذى أوحى الى بالقرآن •• وهو وحده ناصر الصالحين من عباده ••

أما آلهتكم التى تطلبون منها النصر من دون الله •• فانها لا تستطيع نصركم ولا تملك نصر انفسها •• ولن تسمعكم حين تسألونها الهداية الى ما فيه خيركم •• فضلا عن استطاعتها ارشادكم ••

ثم يقول لنبيه وصفيه صلى الله عليه وسلم •• واصفا حال المشركين : وانك لتراهم فى مقابلك كأنما ينظرون اليك • ويفهمون قولك •• ولكنهم فى الحقيقة لا يرون شيئا •• ولا يفهمون شيئا •• فقد أعمى الله بصائرهم وأصمهم ••



الشرك الأصغر .. شرك العقائد ..

يقول الله تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون »[1] .

ويقول تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »[2] .

ويقول جل شأنه : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما »[3] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » — ثلاثا — قالوا : بلى يا رسول الله .. قال : « الاشراك بالله .. وعقوق الوالدين » — وكان متكئا فجلس ثم قال : « ألا وقول الزور .. ألا وشهادة الزور » .. فما زال يكررها حتى قالوا : ليته سكت اشفاقا عليه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » .. قيل : يا رسول الله .. وما هن ؟ قال : « الشرك بالله .. والسحر .. وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق .. وأكل مال اليتيم .. وأكل الربا .. والتولى يوم الزحف .. وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[4] .

وروى أحمد والطبرانى .. عن أبى على — رجل من بنى كاهل — قال : خطبنا أبو موسى الأشعرى فقال : يا أيها الناس .. اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل ..

---

(1) الأنعام : ١٥١ ، ١٥٢
(2) الكهف : ١١٠ .
(3) النساء : ٤٨
(4) رواه مسلم .

فقام اليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا : والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر مأذونا لنا أو غير مأذون ..

فقال : بل أخرج مما قلت .. خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : « يا أيها الناس .. اتقوا هذا الشرك ، فانه أخفى من دبيب النمل » .. فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟

قال : « قولوا : اللهم انا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه » .

* * *

ولقد رأينا أن أول ما أضل الناس الى عبادة الأصنام تعظيم القبور وتقديس الموتى !!

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان من كان قبلكم كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور .. أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » ..

وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »(٥) .

وفى الصحيح : قال صلى الله عليه وسلم : « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ..

وروى الامام مالك رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد » .

وما ذاك الا لأن تعظيم القبور وتقديس الموتى قد أديا الى اتخاذ المقبورين شفعاء ووسطاء .. يتقرب الناس اليهم بالنذور والقرابين .. ويتوجهون اليهم بالسؤال والدعاء ..

وكما أمرنا الله تعالى بافراده وحده بالعبادة .. ونهى عن اشراك سواه فيها وعاقب على ذلك .. أمرنا بافراده وحده بالدعاء .. ونهى

---

(٥) رواه احمد وابن حبان .

عن اشراك سواه فيه وعاقب على ذلك •• فقال تعالى ولا يزال قائلا : « **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا** »(٦) .

وقال تعالى : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** »(٧) .

ويقول جل شأنه : « **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، أن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** »(٨) .

فسمى الدعاء عبادة •• والاعراض عنه استكبارا ••

وفى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء مخ العبادة » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله •• واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك •• واذا اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك •• رفعت الاقلام وجفت الصحف »(٩) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات فقال : « لا تشرك بالله شيئا وان قتلت وحرقت •• ولا تعقن والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك •• ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله •• ولا تشربن خمرا فانه رأس كل فاحشة •• واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله •• واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس •• وان أصاب الناس موت فاثبت •• وأنفق على أهلك من طولك •• ولا ترفع عنهم عصاك أدبا •• وأخفهم فى الله »(١٠) .

* * *

قلنا ان الشرك نوعان •• أكبر وأصغر •• جلى وخفى ••

وقلنا ان الشرك الأكبر — وهو الشرك الجلى — هو شرك العبادة الذى يضاد التوحيد •• وهو أن يجعل لله ندا فى ذاته أو صفاته .

---

(٦) الجن : ١٨
(٧) البقرة : ١٨٦
(٨) غافر : ٦٠
(٩) رواه الترمذى .
(١٠) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير .

ويقول الله تعالى : **« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب »**(١١) .

سأل ابن مسعود الرسول صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » .. قال قلت : أن ذلك عظيم .. ثم أى ؟ قال : « ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قال قلت : ثم أى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن تزانى حليلة جارك »(١٢) .

أما الشرك الأصغر وهو الشرك الخفى .. فهو شرك العقائد كالرياء فى العبادات .. والنذر لغير الله .. والحلف بغيره تعالى .. وتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله .. والاعتقاد فيما سواه من جلب النفع أو دفع الضرر ..

● وأكبره الرياء فى العبادات ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « الرياء .. يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »(١٣) .

وروى ابن خزيمة فى صحيحه .. عن محمود بن لبيد قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « اياكم وشرك السرائر » قالوا : يا رسول الله .. وما شرك السرائر ؟ قال : « يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس اليه .. فذلك شرك السرائر » ..

فالمرائى يطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الناس .. فهو يجاهر بصلاته وصدقته وصومه أمامهم ليظنوا فيه الصلاح والتقوى .. وليكون عندهم محمودا يذكرون من صلاته واحسانه وتقواه .. وعمله مردود عليه ، لأنه كله للناس وليس خالصا لله تعالى .. ولهذا فهو عند الله من الخاسرين ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول ما يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد

---

(١١) البقرة : ١٦٥ (١٢) رواه مسلم .

(١٣) رواه أحمد والبيهقى والطبرانى .

فأتى به فعرفه نعمه فعرفها .. قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك ـ أى فى سبيلك ـ حتى استشهدت . قال : كذبت .. ولكنك قاتلت لان يقال فلان جرىء ، فقد قيل .. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ..

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها .. فقال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعملت وقرأت فيك القرآن .. قال : كذبت .. ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل .. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ..

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك .. قال : كذبت .. ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيل .. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار »(١٤) .

وفى الحديث الشريف : « قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك .. فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك »(١٥) .

وعن أبى سعيد بن أبى فضالة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه .. نادى مناد : من أشرك فى عمله أحدا فليطلب ثوابه من عنده .. فان الله أغنى الشركاء عن الشرك »(١٦) .

وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما النجاة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أن لا تخادع الله » فقال : وكيف يخادع الله ؟ قال : « أن تعمل عملا أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله .. واتق الرياء فانه الشرك الأصغر .. وان المرائى ينادى عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء : يا مرائى .. يا غادر .. يا فاجر .. يا خاسر : ضل عملك وبطل أجرك فلا أجر لك عندنا .. اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع »(١٧) .

---

(١٤) رواه مسلم والنسائى والترمذى وحسنه ابن ماجه .

(١٥) رواه ابن ماجه . (١٦) رواه الترمذى وابن حبان والبيهقى .

(١٧) رواه ابن ابى الدنيا .

• والنية هى أساس العمل •• وشرطه الاخلاص •• لذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى •• فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله •• ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه »(١٨) •

* * *

● ومن نذر لغير الله فقد أشرك •• ومن حلف بغير الله فقد أشرك •• ومن توكل على غير الله فقد أشرك •• ومن استعان بغير الله فقد أشرك ••

روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رجلا يقول : لا •• والكعبة •• فقال ابن عمر : من حلف بغير الله فقد كفر ـ أو أشرك(١٩) •

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » •

وقال رجل للرسول صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت •• فقال : « أجعلتنى لله ندا ؟ •• قل : ما شاء الله وحده » •

« وكذلك من يقول : أنا متوكل على الله وعليك •• وأنا فى حسب الله وحسبك •• ومالى الا الله وأنت •• وهذا من بركات الله وبركاتك •• والله فى السماء وأنت فى الأرض •• أو يقول : نذرا على لفلان •

فكل هذا يعتبر اعتمادا على غير الله •• والمفروض أن يكون الاعتماد والاتكال على الله وحده •• ولا مانع أن يكون هناك تعاون بين المؤمنين على البر والتقوى ••

وكذلك من يتشبه به فى الاسم الذى لا ينبغى الا له وحده •• كملك الملوك •• وحاكم الحكام ••

« ••• ان السجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى ، والخشية ، والتحسب ، والتوبة ، والنذر ، والحلف ، والطواف بالبيت ، والدعاء : كل ذلك محض حق الله تعالى •• لا يصلح لسواه من ملك مقرب أو نبى مرسل »(٢٠) •

* * *

---

(١٨) رواه البخارى ومسلم •　　(١٩) رواه الترمذى •

(٢٠) من وصايا الرسول ـ لفضيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى ص ١٠٨

● وتعليق التمائم — وهى خرزات يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم وعرباتهم ، ويزعمون أنها ترد العين — وكذا الودع •• واتخاذ الرقى والعزائم •• والتولة — وهى العمل يعمل ويزعمون أنه يحبب المرأة الى زوجها والرجل الى امرأته — واعتقاد أن لهذه الأشياء تأثير بذاتها •• كل ذلك شرك ••

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » •

وفى رواية : « من تعلق تميمة فقد أشرك » •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه : « ان الرقى والتولة شرك » •

ويقول الامام الخطابى : « وأما اذا كانت الرقية بالقرآن او بأسماء الله تعالى فهى مباحة لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يرقى الحسن والحسين رضى الله عنهما فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ••

وعن عبيدة بن رفاعة أن أسماء بنت عميس قالت : يا رسول الله •• ان بنى جعفر تصيبهم العين •• أفنسترقى لهم ؟ قال : « نعم •• فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين » •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان ، وعين الانسان •• حتى نزلت المعوذتان ، فلما نزلتا أخذهما وترك ما سواهما » •

وعن قيس بن حازم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط : أعوذ برب الفلق •• وأعوذ برب الناس » •

* * *

● والسحر واتيان العراف والكاهن ، والتصديق بهذه الأمور من أكبر الكبائر •• بل انه ليؤدى الى الكفر والعياذ بالله !!

فالله وحده هو القادر •• وهو القاهر فوق عباده •• وبيده وحده تصريف الأمور •• ولا يعلم الغيب سواه تعالى ••

واعتقاد قدرة أحد من البشر على تصريف الأمور •• أو انكشاف أمر الغيب له •• باب من أبواب الشرك ••

يقول الله تعالى عن السحر وتأثيره فى الناس : **« واتبعوا ما تتلوا**

الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم ، لو كانوا يعلمون »[21] .

عن عمران بن الحارث قال : بينا نحن عند ابن عباس اذ قال : ان الشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء .. فيجىء أحدهم بكلمة حق .. فاذا جرب من أحدهم الصدق كذب معها سبعين كذبة فيشرب بها قلوب الناس .. فاطلع على ذلك سليمان .. فأخذها فدفنها تحت الكرسى .. فلما مات سليمان قام شيطان الطريق فقال : آلا أدلكم على كنز سليمان المنيع الذى لا كنز له مثله ؟ قالوا : نعم . قال : تحت الكرسى فأخرجوه .. فقالوا : هذا سحر سليمان سحر به الأمم .. فأنزل الله عذر سليمان : « **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** » ... الآية ..

وقال الكلبى : ان الشياطين كتبوا السحر والنارنجيات على لسان آصف : « هذا ما علم آصف بن برخيا الملك » .. ثم دفنوها تحت مصلاه حين نزع الله ملكه .. ولم يشعر بذلك سليمان .. ولما مات سليمان استخرجوه من تحت مصلاه وقالوا للناس : انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه .. فلما علم علماء بنى اسرائيل قالوا : معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان .. وأما السفلة فقالوا : هذا علم سليمان .. وأقبلوا على تعلمه .. ورفضوا كتب أنبيائهم .. ففشت الملامة لسليمان .. فلم تزل هذه حالهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم .. وأنزل الله عذر سليمان على لسانه ونزل براءته مما رمى به » ..

وقال السرى : « ان الناس فى زمن سليمان كتبوا السحر فاشتغلوا بتعلمه .. فأخذ سليمان تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه ونهاهم عن ذلك .. ولما مات سليمان وذهب من كانوا يعرفون دفن الكتب .. فتمثل شيطان على صورة انسان .. فأتى نفرا من بنى اسرائيل وقال : هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا ؟ قالوا : نعم . قال : فاحفروا

---

(٢١) البقرة : ١٠٢

تحت الكرسى •• فحفروا فوجدوا تلك الكتب •• فلما أخرجوها قال الشيطان : ان سليمان ضبط الجن والانس والشياطين والطيور بهذا •• فاخذ بنو اسرائيل تلك الكتب •• فلذلك أكثر ما يوجد السحر فى اليهود •• فبرأ الله عز وجل سليمان فى ذلك وأنزل هذه الآية »[٢٢] •

وقال الله تعالى عن السحرة وعملهم : **« أنما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى »**[٢٣] •

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاعتقاد فى السحر فقال : « اجتنبوا السبع الموبقات » •• قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[٢٤] •

فعد صلى الله عليه وسلم السحر مساويا فى اثمه للشرك بالله وقتل النفس التى حرم الله ••

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر •• وقاطع رحم •• ومصدق بالسحر »[٢٥] •

❋ ❋ ❋

● وأما عن علم الغيب •• فقد قال الله تعالى : **« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم مافى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين »**[٢٦] •

وقال تعالى : **« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا • الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا »**[٢٧] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم »[٢٨] •

وعن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله

---

(٢٢) أسباب النزول ـ للنيسابورى ـ نشر دار الكتب العلمية ببيروت ص ١٩ ، ٢٠

(٢٣) طه : ٦٩

(٢٤) متفق عليه .

(٢٥) رواه أحمد .

(٢٦) الأنعام : ٥٩

(٢٧) الجن : ٢٦ ، ٢٧

(٢٨) أخرجه أبو داوود والترمذى وابن ماجه .

صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فى اثر سماء كانت من الليل .. فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر .. فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب .. وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا .. فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب »(٢٩) .

وعن صفية بنت أبى عبيد رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى عرافا فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوما »(٣٠) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس عن الكهان فقال : « ليس بشىء » .. قالوا : يا رسول الله .. أليس قد قال كذا وكذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه — أى يلقيها — فيخلط معها مائة كذبة »(٣١) .

وعنها رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الملائكة تنزل فى العنان — أى السحاب — فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم »(٣٢) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر .. زاد ما زاد » .

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : الكاهن ساحر . والساحر كافر فى الدنيا والآخرة ..

وعن قبيصة بن المخارق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « العيافة والطيرة والطرق من الجبت »(٣٣) .

* * *

---

(٢٩) رواه البخارى ومسلم .　　(٣٠) رواه مسلم .

(٣١) رواه البخارى ومسلم .　　(٣٢) رواه البخارى .

(٣٣) رواه أبو داوود — والعيافة : الخط ، والطيرة : التشاؤم ، والطرق : الزجر .. اى زجر الطير ثم يتيامن أو يتشاءم بطيرانه ، والجبت : الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك .

● واستحلال أكل ما حرمه الله تعالى مما لم يذكر عليه اسمه .. كالميتة .. وما أهل به لغير الله .. والمنخنقة .. والموقوذة .. والمترديه .. والنطيحة .. وما أكل السبع .. مما لم يذك .. وما ذبح على النصب .. كل ذلك شرك !!

فعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : **« ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون »**[٣٤] .

يقول ابن عباس : أوحى الشيطان الى أوليائه من الانس : كيف تعبدون شيئا لا تأكلون ما يقتل ، وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ .. يحرضهم بذلك على استحلال أكل الميتة .. فأنزل الله تعالى : **« وان أطعتموهم انكم لمشركون »** .

ولهذا يقول الزجاج : من أحل شيئا مما حرم الله .. أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك ..

* * *

● ومن شرع فى دين الله ما لم ينزل به سلطانا .. فقد جعل نفسه شريكا لله تعالى فى التشريع .. ومن رضى من الناس بقوله أو بفعله فهو مشرك .. والله تعالى يقول : **« ان الحكم الا لله ، أمر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »**[٣٥] .

ويقول تعالى : **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »**[٣٦] .

ويقول جل شأنه : **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون »**[٣٧] .

ويقول جل وعلا : **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »**[٣٨] .

فحكم بفسقهم .. وظلمهم .. وكفرهم ..

ويقول تعالى : **« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله**

---

(٣٤) الأنعام : ١٢١
(٣٥) يوسف : ٤٠
(٣٦) المائدة : ٤٤
(٣٧) المائدة : ٤٥
(٣٨) المائدة : ٤٧

لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات ، الى الله مرجعكم جميعـا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون • وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وأن كثيرا من الناس لفاسقون • أفحكم الجاهلية يبغـون • ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون »(٣٩) •

* * *

وختاما •• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : « يا معاذ •• أتدرى ما حق الله على العباد » ؟ قال : الله ورسوله أعلم •• فقال صلى الله عليه وسلم : « أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا •• أتدرى ما حقهم عليه » ؟ قال : الله ورسوله أعلم ؟ •• قال : « أن لا يعذبهم »(٤٠) •



(٣٩) المـائدة : ٤٨ ـ ٥٠ •

(٤٠) رواه البخارى •

ظلم عظيم

وصدق الله تعالى : **« أن الشرك لظلم عظيم »**[1] .

فما من أمة أشركت فى عبادتها لله سواه .. الا وحبط عملها ، وكانت عاقبتها الهلاك والدمار .. وفى الآخرة : مآلها الى الخسران المبين ..

والحق أن هذه الأمم ــ التى أشركت فى عبادتها ــ انما ظلمت نفسها حين جحدت حق الخالق سبحانه وتعالى فى افراده وحده بالعبادة والتعظيم فاستحقت بذلك غضبه ونكاله .. فهى فى واقع الأمر قد ظلمت نفسها قبل أن تظلم غيرها !!

● قوم نوح .. قال لهم نبيهم نوح عليه السلام : **« انى لكم نذير مبين . أن لا تعبدوا الا الله ، انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم »**[2]

فكان ردهم عليه : **« ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين »**[3] .

وأجمعوا رأيهم فيما بينهم : **« وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا »**[4] .

فكانت عاقبتهم الاغراق لشركهم وكفرهم .. وما ظلموا الا أنفسهم **« مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا »**[5] .

● وقوم عاد .. قال لهم نبيهم هود عليه السلام : **« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، ان أنتم الا مفترون . يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ، ان أجرى الا على الذى فطرنى ، أفلا تعقلون . ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين »**[6] .

---

(١) لقمان : ١٣ — (٢) هود : ٢٥ ، ٢٦

(٣) هود : ٢٧ — (٤) نوح : ٢٣

(٥) نوح : ٢٥ — (٦) هود : ٥٠ ــ ٥٢

فسخروا منه وقالوا له : **« يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنــا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين • ان نقــول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء »**[٧] .

فأرسل الله عليهم الريح تدمرهم •• يقول تعالى : **« فأرســلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيــاة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون »**[٨] .

فهل ظلموا هودا عليه السلام ؟ •• انهم ما ظلموا الا أنفسهم !!

● وثمود •• قال لهم نبيهم صالح عليه السلام : **« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، هو أنشــأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ، ان ربى قريب مجيب »**[٩] .

فاستهزأوا به وقالوا ساخرين : **« يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب »**[١٠] .

فأهلكهم الله بالصيحة : **« وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين »**[١١] .

•• وما ظلموا الا أنفسهم ••

● ومدين •• قال لهم شعيب عليه السلام : **« يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان ، انى أراكم بخير وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط »**[١٢] .

فقالوا : **« يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء ، انك لأنت الحليم الرشيد »**[١٣] .

قالوها مستهزئين بقوله متعجبين من تفكيره •• وقد عهدوا فيه حصافة الرأى واعمال الفكر !!

« فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين • الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها ، الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين »[١٤] .

فهل ظلموا الا أنفسهم ؟!

---

(٧) هود : ٥٣ ، ٥٤
(٨) فصلت : ١٦
(٩) هود : ٦١
(١٠) هود : ٦٢
(١١) هود : ٦٧
(١٢) هود : ٨٤
(١٣) هود : ٨٧
(١٤) الأعراف : ٩١ ، ٩٢

● وأرسل الله موسى عليه السلام الى فرعون مصر .. فقال له :

« يا فرعون انى رسول من رب العالمين »[15] .

فكان رده عليه . **« وما رب العالمين »**[16] .

واستبد وتجبر .. وقال لموسى عليه السلام : **« لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين »**[17] .

وقال لقومه : **« يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى »**[18] .

ونادى فى قومه صارخا : **« يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ، افلا تبصرون »**[19] .

وأخذته العزة بالملك .. والجبروت بالسلطان .. وقال لمن حوله :

« ذرونى أقتل موسى وليدع ربه ، انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد »[20] .

فكانت عاقبته وجنوده : **«فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين »**[21] .

... ولم يظلم فرعون سوى نفسه وقومه .

* * *

يقول الله تعالى : **« ذلك من انباء القرى نقصه عليك ، منها قائم وحصيد . وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ، فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ، وما زادوهم غير تتبيب . وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ، ان اخذه أليم شديد »**[22] .

أما العاقبة : بعد الهلاك والخسران فى الدنيا .. فالنار فى الآخرة خالدين فيها .. ولهم العذاب الأليم : **« انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكل فيها خالدون . لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون »**[23] .

... صدق الله العظيم .

* * *

---

(١٥) الأعراف : ١٠٤ — (١٦) الشعراء : ٢٣
(١٧) الشعراء : ٢٩ — (١٨) القصص : ٣٨
(١٩) الزخرف : ٥١ — (٢٠) غافر : ٢٦
(٢١) القصص : ٤٠ — (٢٢) هود : ١٠٠ — ١٠٢
(٢٣) الأنبياء : ٩٨ — ١٠٠



الفصل الثالث

ووصينا الإنسان بوالديه

* شكر الله مقرون بشكر الوالدين
* بر الام وطاعتها
* بر الأم مقدم على الطاعات والقربات
* غضب الأم يحبط العمل ..
* وهن على وهن !!
* البر بالوالدين يرفع الكربات
* البر بالوالدين يزيد الرزق ويطيل في العمر
* سب الآباء والأمهات من الكبائر
* بر الوالدين يكون بطاعتهما في كل أمر
* وجوب الانفاق على الوالدين
* البر بالوالدين ولو كانا مشركين
* صلة الرحم
* عقوق الوالدين من أكبر الكبائر
* بر ابن .. وعقوق آخر ..
* حقوق .. تقابلها واجبات
* وصايا خالدة ..



ووصينا الانسان بوالديه

يقول الله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير • وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون »(١) .

ويقول تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا »(٢) .

ويقول جل شأنه : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما • واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »(٣) .

ويقول جل وعلا : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون »(٤) .

* * *

* شكر الله مقرون بشكر الوالدين :

قرن الله تعالى الاحسان للوالدين بتوحيده وعبادته •

كما قرن شكرهما بشكره تعالى ••

وفى ذلك يقول الامام القرطبى : « فأحق الناس بعد الخالق المنان •• بالشكر والاحسان ، والتزام البر والطاعة والاذعان •• من قرن الله الاحسان اليهما بعبادته وطاعته •• وشكره بشكرهما •• وهما الوالدان » ••

---

(١) لقمان : ١٤ ، ١ٵ

(٢) النساء : ٣٦

(٣) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤

(٤) العنكبوت : ٨

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : « ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث .. لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها :

احداها : قوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول »[٥] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه ..

الثانية : قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »[٦] فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه .

الثالثة : قوله تعالى : « أن اشكر لى ولوالديك »[٧] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه » .

ولذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « رضا الله فى رضا الوالدين .. وسخط الله فى سخط الوالدين »[٨] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجزى ولد والدا الا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه »[٩] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ولد بار ينظر الى والديه نظرة رحمة الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة » — أى ثواب حجة مبرورة — قالوا : وان نظر كل يوم مائة مرة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم .. الله أكبر وأطيب » .

وسئل عمر بن ذر : كيف كان بر ابنك ؟ فقال : ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفى .. ولا ليلا قط الا مشى أمامى .. ولا رقى سطحا وأنا تحته ..

وقيل لزين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما : أنت من أبر الناس .. ولا نراك تؤاكل أمك ؟! فقال : أخاف أن تسير يدى الى ما سبقت عينها اليه .. فأكون قد عققتها (!!) .

وانما يكون بر الوالدين والاحسان اليهما .. بتوقيرهما وتعظيم شأنهما ، وخفض الجناح لهما ، وتكريمهما بالقول والفعل .. فلا ينهرهما ، ولا يرفع صوته فوق صوتهما ، ولا يمشى أمامهما ، ولا يؤثر عليهما زوجة ولا ولدا ، ولا يدعهما باسمهما ، ولا يسافر الا باذنهما ورضاهما .

---

(٥) النساء : ٥٩ ، والنور : ٥٤ (٦) النور : ٥٦

(٧) لقمان : ١٤

(٨) رواه الترمذى وابن حبان والحاكم .

(٩) رواه مسلم .

بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم فضل بر الوالدين على الجهاد فى سبيل الله والهجرة اليه !!

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم : أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ فقال : « الصلاة على وقتها » .. قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » . فقلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله »[١٠] .

ومن ذلك أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد فقال : « أحى والداك » ؟ قال : نعم .. قال : « ففيهما فجاهد »[١١] .

وفى خبر آخر .. قال صلى الله عليه وسلم : « نومك مع أبويك على فراشهما يضاحكانك ويلاعبانك أفضل لك من الجهاد معى »[١٢] .

ففضل صلى الله عليه وسلم بر الوالدين على الجهاد فى سبيل الله .

وذكر الامام البخارى فى كتاب « بر الوالدين » عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما .. قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يبايعه على الهجرة .. وترك أبويه يبكيان .. فقال صلى الله عليه وسلم : « ارجع اليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » .

قال ابن المنذر : فى هذا الحديث النهى عن الخروج بغير اذن الأبوين ما لم يقع النفير .. فاذا وقع وجب الخروج على الجميع .

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن أصحاب الأعراف .. من هم ؟ وما الأعراف ؟ فقال : « أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار .. وانما سمى الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار .. وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون .. وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا الى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم .. فقتلوا فى الجهاد .. فمنعهم القتل فى سبيل الله عن دخول النار .. ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة .. فهم على الأعراف حتى يقضى الله فيهم أمره » .

يالله !! رجال خرجوا بغير رضا آبائهم وأمهاتهم يبتغون وجه الله .. ويريدون الجهاد فى سبيله .. ويقتلون فى هذه السبيل .. ولكن يحبسهم العقوق على الأعراف .. بين الجنة والنار .. انتظارا لأمر الله فيهم ؟!

* * *

---

(١٠) متفق عليه . (١١) رواه مسلم .

(١٢) ذكره ابن خويز منداد .

* بر الأم وطاعتها :

والأم •• التى تتحمل وحدها صعوبة الحمل •• وصعوبة الوضع •• وصعوبة الرضاع •• ومتاعب التربية •• ينبغى أن تكون محبتها ثلاثة أمثال محبة الأب •• فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الأم ثلاث مرات •• فى حين ذكر الأب فى الرابعة فقط ••

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله •• من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : « أمك » •• قال : ثم من ؟ قال : « أمك » •• قال : ثم من ؟ قال : « أمك » •• قال : ثم من ؟ قال : « أبوك » ••

وفى رواية أخرى : قال : يا رسـول الله •• من أحق بحسن الصحبة ؟ قال : « أمك ثم أمك ثم أمك •• ثم أباك •• ثم أدناك فأدناك » ••

يقول المحاسبى فى كتاب « الرعاية » : انه لا خلاف بين العلماء أن للأم ثلاثة أرباع البر ، وللأب الربع •• على مقتضى حديث أبى هريرة رضى الله عنه المتقدم •

وجاء رجل وامرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختصمان فى صبى لهما •• فقال الرجل : يا رسول الله •• ولدى خرج من صلبى ••

وقالت المرأة : يا رسول الله •• حمله خفا ووضعه شهوة •• وحملته كرها ووضعته كرها •• وأرضعته حولين كاملين ••

فقضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه ••

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص فيما رواه أحمد وأبى داوود •• أن امرأة قالت : يا رسول الله •• ان ابنى هذا كان بطنى له وعاء •• وحجرى له حواء •• وثديى له سقاء •• وان أباه طلقنى وزعم أنه ينزعه منى •• فقال صلى الله عليه وسلم : « أنت أحق به ما لم تنكحى » •

* * *

ويرسم لنا الامام البخارى صورة من أروع صور الأمومه الحانية الشفوق •• حين يصف لنا هاجر ــ عليها السلام ــ فى لهفتها وجزعها •• تسعى حائرة مجهودة بين جبلين •• تبحث عن قطرة من ماء فى صحراء جرداء مهلكة •• عساها تنقذ وليدها من الهلاك ••

ويكافئها الله تعالى على صبرها ويقينها •• فينبع المـاء من تحتة

قدمى الوليد •• ويخلد أمومتها ولهفتها •• فيجعل سعيها بحثا عن المـاء •• منسكا من مناسك الناس الى يوم الدين ••

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جاء ابراهيم صلى الله عليه وسلم بأم اسماعيل وبابنها اسماعيل وهى ترضعه •• حتى وضعها عند البيت •• عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد •• وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء •• فوضعهما هنالك •• ووضع عندها جرابا فيه تمر •• وسقاء فيه ماء •• ثم قفى ابراهم منطلقا •

فتبعته أم اسماعل فقالت : يا ابراهيم •• أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شىء ؟ •• فقالت له ذلك مرارا •• وجعل لا يلتفت اليها قالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم •• قالت : اذن لا يضيعنا •• ثم رجعت •

فانطلق ابراهيم صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت •• ثم دعا بهؤلاء الدعوات •• فرفع يديه فقال : « **ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** »(*) •

وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل — عليه السلام — وتشرب من ذلك المـاء حتى اذا نفد ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها •• وجعلت تنظر اليه يتلوى — أو قال : يتنبط — فانطلقت كراهية أن تنظر اليه •• فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها •• فقامت عليه •• ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحدا ؟ فلم تر أحدا ••

فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى •• ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا ؟ •• فلم تر أحدا •• ففعلت ذلك سبع مرات ••

قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « فذلك سعى الناس بينهما » ••

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا •• فقالت : صه — تريد نفسها — ثم تسمعت •• فسمعت أيضا •• فقالت : قد أسمعت ان كان عندك غواث •• فاذا هى بالملك عند موضع زمزم •• فبحث بعقبه

(*) ابراهيم : ٣٧

ـــ أو قال : بجناحه ـــ حتى ظهر المـــاء •• فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا •• وجعلت تغرف المـــاء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف ـــ وفى رواية : بقدر ما تغرف ـــ •

قال ابن عباس رضى الله عنهما : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رحم الله ام اسماعيل •• لو تركت زمزم ـــ أو قال : لو لم تغرف من المـــاء ـــ لكانت زمزم عينا معينا » •

قال : فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك : لا تخافى الضيعة •• فان ههنا بيتا يبنيه هذا الغلام وأبوه •• وان الله لا يضيع أهله » ••

وخلدها الله تعالى •• وخلد موقفها الرائع الصابر •• وجعل سعيها بحثا عن المـــاء لوليدها •• منسكا من مناسك الناس الى يوم القيامة •• فقال تعالى : **« أن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما »**(*) •

* * *

*** بر الأم مقدم على الطاعات والقربات :**

بل ان بر الأم وطاعتها •• مقدم على كثير من الطاعات والقربات •• كما أن كسر خاطرها وتغيير قلبها كفيل باسخاط الله واغضابه •• وفى قصة « جريج » شاهد لذلك •• فقد استجاب الله لدعاء الأم حين دعت على ابنها العابد •• ثم أظهر كرامته للناس لايمانه وتقواه ••

عن أبى هريرة رضى الله عنه •• عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة : عيسى ابن مريم ، وصاحب جريج ـــ وكان جريج رجلا عابدا ، فاتخذ صومعة فكان فيها •• فأتته أمه وهو يصلى •• فقالت : يا جريج •• فقال : يا رب •• أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته فانصرفت ••

فلما كان من الغد أتته وهو يصلى •• فقالت : يا جريج •• فقال : أى رب •• أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته ••

فلما كان الغد أتته وهو يصلى •• فقالت : يا جريج •• فقال : أى رب •• أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته •• فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات !!

فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته •• وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها •• فقالت : ان شئتم لأفتننه •• فتعرضت له •• فلم يلتفت

(*) البقرة : ١٥٨

اليها .. فأتت راعيا كان يأوى الى صومعته .. فأمكنته من نفسها فوقع عليها .. فحملت .. فلما ولدت قالت : هو من جريج !!

فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته .. وجعلوا يضربونه . فقال : ما شأنكم ؟! قالوا : زنيت بهذه البغى فولدت منك .. فقال : أين الصبى ؟ فجاءوا به اليه .. فقال : دعونى حتى أصلى .. فصلى ، فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه وقال : يا غلام .. من أبوك ؟ قال : فلان الراعي !!

فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به .. وقالوا : نبنى صومعتك من ذهب .. قال : لا .. بل أعيدوها من طين كما كانت ، ففعلوا ... »[١٣] .

* * *

* غضب الأم يحبط العمل :

كما ان غضب الأم يحبط العمل .. ويضيع الأجر والثواب .. بل ينذر بسوء الخاتمة .. والعياذ بالله ..

حكى أنه كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم شاب يسمى « علقمة » وكان كثير الاجتهاد فى طاعة الله فى الصلاة والصوم والصدقة .. فمرض واشتد مرضه .. فأرسلت امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان زوجى علقمة فى النزع .. فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله ..

فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم عمارا وصهيبا وبلالا .. وقال : « امضوا اليه ولقنوه الشهادة » .. فمضوا اليه ودخلوا عليه فوجدوه فى النزع .. فجعلوا يلقنونه قول « لا اله الا الله » ، ولسانه لا ينطق بها .. فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه أنه لا ينطق لسانه بالشهادة !!

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هل من أبويه أحد حى » ؟

قيل : يا رسول الله .. أم كبيرة السن ..

فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له : « قل لها : ان قدرت على المسير الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والا فقرى فى المنزل حتى يأتيك » .

---

(١٣) متفق عليه .

قال : فجاء اليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فقالت : نفسى فداء •• أنا أحق باتيانه ••

فتوكأت وقامت على عصا وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فقال : « يا أم علقمة •• أصدقينى ، وان كذبتنى جاء الوحى من الله تعالى •• كيف كان حال ولدك علقمة » ؟

قالت : يا رسول الله •• كان كثير الصمت •• كثير الصيام •• كثير الصدقة ••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فما حالك » ؟

قالت : يا رسول الله •• أنا عليه ساخطة !! •• فقال : « لم » ؟

قالت : يا رسول الله •• كان يؤثر على زوجته •• ويعصينى !!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة » •• ثم قال : « يا بلال •• انطلق واجمع لى حطبا كثيرا » ••

قالت : يا رسول الله •• وما تصنع ؟

فقال : « أحرقه بالنار بين يديك » ••

قالت : يا رسول الله •• ولدى •• لا يحتمل قلبى أن تحرقه بالنار بين يدى ••

فقال : « يا أم علقمة •• عذاب الله أشد وأبقى •• فان سرك أن يغفر الله له فارضى عنه •• فوالذى نفسى بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة » •

فقالت : يا رسول الله •• انى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت على ولدى علقمة ••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انطلق يا بلال اليه •• وانظر هل يستطيع أن يقول (لا اله الا الله) أم لا ؟ •• فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء منى » ••

فانطلق بلال •• فسمع علقمة من داخل الدار يقول (لا اله الا الله) •• فدخل بلال وقال : يا هؤلاء •• ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وان رضاها أطلق لسانه ••

ثم مات علقمة من يومه •• فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وكفنه •• ثم صلى عليه وحضر دفنه •• ثم قام على شفير قبره وقال : « يا معشر المهاجرين والأنصار •• من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين •• لا يقبل الله منه

صرفا ولا عدلا الا أن يتوب الى الله عز وجل ويحسن اليها ويطلب رضاها .. فرضا الله من رضاها .. وسخط الله من سخطها »[١٤] .

أرأيت ؟! شاب كثير الصمت .. كثير الصيام .. كثير الصدقة .. ولكنه اسخط أمه عليه لأنه كان يعصاها ويؤثر عليها امرأته .. فحجبه سخط الأم عن النطق بالشهادة حين احتضاره وكاد يموت كافرا .. فلما رضيت عليه أمه انطلق لسانه بكلمة التوحيد ومات على الاسلام .

أرأيت كيف أقسم الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده .. لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة » ؟

أرأيت قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .. لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا الا أن يتوب الى الله عز وجل ويحسن اليها ويطلب رضاها » ؟ ..

وصدقت يا سيدى يا رسول الله — صلى الله عليك وسلم : رضا الله فى رضا الأم .. وسخط الله فى سخطها ..

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه .. أن رجلا أتاه فقال : ان لى امرأة .. وان أمى تأمرنى بطلاقها !! فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة — أى خيرها — فان شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه »[١٥] .

وأى عجب فى هذا .. والجنة تحت أقدام الأمهات .. كما أن « رضا الله فى رضا الوالدين .. وسخطه فى سخطهما » ..

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله : « هل لك من أم » ؟ قال : نعم .. فقال صلى الله عليه وسلم : « فالزمها .. فان الجنة تحت رجلها » ..

* * *

*** وهن على وهن !! ..**

مهما حاول الابن .. فانه لا يمكنه أن يفى أمه حقها .. وحسبها شهادة الله تعالى حين قال فيها : **« حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين »** .. فنوه بضعفها الطبيعى لكونها أنثى .. الى جانب الضعف الناتج عن الحمل والولادة والرضاع والفطام ..

---

(١٤) رواه الذهبى فى الكبائر .   (١٥) رواه الترمذى .

وحسبنا فى التدليل على ضعف الأنثى الطبيعى •• أن نذكر ما يعتريها أثناء دورتها الشهرية من علل وأمراض •• وما ينتج عنه من تكرار هذه الدورة فى كل شهر — ولفترة طويلة من حياتها — من وهن وضعف •• فضلا عن المتاعب التى تنتج عن الحمل والوضع والرضاعة •

يقول أحد الأطباء المتخصصين فى طب النساء :

« ان الأعراض البدنية الشائعة فى المرأة قبل الحيض وخلاله ما يأتى : الصداع غالبا فيمن اعتدن الصداع فى هذه الفترات ••

ويزداد تدفق اللعاب •• ويتمدد الكبد ويتضخم •• ويحدث مغص فى الكيس الصفراوى •• ويضطرب الهضم •• وتضطرب شهية الأكل •• فاما أن تحس المرأة بجوع شديد •• أو تعاف الطعام ••

وكثيرا ما يحدث الغثيان • والميل الى القىء •• ويسوء النفس •• وتزداد الأرياح فى الأمعاء •• ويزداد نشاط الأمعاء الغلاظ بدرجة كبيرة تقرب من الاسهال •• ولكن كل دورة شهرية تنتهى عادة بالامساك ••

وتظهر الاضطرابات فى الدورة الدموية •• فالنبض غالبا لا يكون منتظما متشابها •• وتضطرب ضربات القلب •• وتتورم الأوردة الدموية •• ويبرد القدمان •• ويتضخم الرسغان والركبتان •• وتحتقن الأغشية الأنفية • كما تحدث آلام مفصلية ••

وتتضخم الغدة الدرقية والحبال الصوتية بشكل ملحوظ •• ويفقد الجهاز الصوتى قدرته لما يصيب الجزء الخلفى من الحنجرة من تمدد وارتخاء فى الغدد والعروق الدموية •• ويتضح هذا فى السيدات اللاتى يستعملن صوتهن بكثرة كالمدرسات •• اذ يبدو التعب فى صوتهن بسرعة •• كما يصيبه التغير الملحوظ •• ويتجلى هذا فى الغناء •• فيبعد الصوت عن النغم الموسيقى •• ويفقد الجرس والتنغيم •• وتقل القدرة على تنويع الأنغام ••

ويظهر فى العين اضطراب فى أعمالها ووظائفها •• وتلتهب قليلا وتبدو « نقط وبقع » غريبة •• ويضيق مجال الرؤية ضيقا ملحوظا •• وتقل القدرة على تمييز الألوان ••

وتصيب حاسة السمع أعراض مشابهة ••

وأما أنسجة الجسم العامة فهى تنبسط وترتخى •• أو تتضخم

وتحتقن •• ويكمل سوء الحال بشحوب الوجه شحوبا شديدا •• واحمراره بسرعة عند التأثر •• وظهور تجعدات أو دوائر زرقاء تحت العيون » •

ويختتم الطبيب المتخصص كلامه بقوله :

« لقد ذكرت كل هذه الأعراض بالتفصيل لأظهر أن المرأة الحائض تكاد تكون مريضة •• بل هى مريضة بعض المرض »[16] •

ويصحب هذه الأعراض عادة الاحساس بالقلق والتوتر •• وضيق الخلق •• والشعور بالارهاق والتعب والخمول •• والميل الى النـــوم والحاجة الى الراحة ••

وهذه الأعراض تتوزع •• فتظهر طائفة منها فى امرأة •• وطائفة فى أخرى •• أى أنها لا تتجمع كلها فى امرأة واحدة ••

هذا ما يقوله العلم الحديث •• وصدق الله : « حملته أمه وهنا على وهن » •

* * *

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو سوء خلق أمه •• فقال له : « لم تكن سيئة حين أرضعتك حولين » ؟

قال : انها سيئة الخلق ••

فقال صلى الله عليه وسلم : « لم تكن كذلك حين أسهرت ليلها وأظمأت نهارها » ؟

قال : لقد جازيتها ••

فقال : « ما فعلت » ؟

قال الرجل : حججت بها على عاتقى ••

فقال صلى الله عليه وسلم : « ما جزيتها ولو بطلقة » •

وروى أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى رجلا يحمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة •• فقال الرجل : يا ابن عمر •• أترانى جازيتهـــا ؟

قال : ولا بطلقة واحدة من طلقاتها •• ولكن قد أحسنت •• والله يثيبك على القليل كثيرا ••

وجاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : انى أخدم أمى كما كانت تخدمنى فى الصغر •• فهل قمت بحقها ؟

---

(١٦) الزواج المثالى ـــ للدكتور فان دفلد ـــ ترجمة الدكتور محمد فتحى ص ١٨١ •

قال : لا •• فقال الرجل : لم ؟

قال : انها كانت تخدمك وهى تتمنى لك الحياة •• وانت تخدمها وأنت تتمنى لها الموت !!

* * *

● وللامام الذهبى موعظة بليغة[١٧] يقول فيها :

« أيها المضيع لآكد الحقوق •• المعتاض من بر الوالدين العقوق •• الناسى لما يجب عليه •• الغافل عما بين يديه ••

بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باتباع الشين •• تطلب الجنة بزعمك ، وهى تحت أقدام أمك •• حملتك فى بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج ، وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج •• وأرضعتك من ثديها لبنا ، وأطارت لأجلك وسنا •• وغسلت بيمينها عنك الأذى ، وآثرتك على نفسها بالغذا •• وصيرت حجرها لك مهدا ، وأنالتك احسانا ورفدا ••

فان أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية •• وأطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب •• ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ••

هذا •• وكم عاملتها بسوء الخلق مرارا ، فدعت لك بالتوفيق سرا وجهارا •• فلما احتاجت عند الكبر اليك ، جعلتها من أهون الأشياء عليك •• فشبعت وهى جائعة •• ورويت وهى قانعة •• وقدمت عليها أهلك وأولادك بالاحسان ، وقابلت أياديها بالنسيان •• وصعب لديك أمرها وهو يسير ، وطال عليك عمرها وهو قصير ، وهجرتها ومالها سواك نصير ••

هذا •• ومولاك قد نهاك عن التأفيف ، وعاتبك فى حقها بعتاب لطيف •• ستعاقب فى دنياك بعقوق البنين ، وفى أخراك بالبعد من رب العالمين •• يناديك بلسان التوبيخ والتهديد : « **ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد** »[١٨] .

* * *

---

(١٧) الكبائر — للامام الذهبى — طبع دار التراث العربى سنة ١٩٨٢ ص ٣٣

(١٨) الحج : ١٠

* **البر بالوالدين يرفع الكربات :**

فى حين أن بر الوالدين .. كفيل برفع الكربات .. والنجاة من المهلكات ..

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه .. فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار .. فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ..

قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران .. وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا ــ والغبوق هو ما يشرب فى العشى ـ فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما .. فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين .. فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا .. فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر .. والصبية يتضاغون عند قدمى ــ أى يتصايحون من الجوع ــ فاستيقظا فشربا غبوقهما ..

اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة .. فانفرجت شيئا ... »[19] .

فكان بر هذا الرجل بأبويه سببا فى تفريج بعض الكرب عن الثــلاثة ..

* * *

* **البر بالوالدين يزيد الرزق ويطيل فى العمر :**

ذكر الامام البغوى فى تفسير قوله تعالى : **« واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة »** الى قـــوله : **« فذبحـــوها وما كادوا يفعلون »**[20] .. قصة تبين لنا ثمرة البر بالوالدين .. خلاصتها :

« انه كان فى بنى اسرائيل رجل غنى .. وله ابن عم فقـــير لا وارث له سواه ، فلما طال عليه موته قتله ليرثه .. وحمله الى قرية أخرى فألقاه بفنائها .. ثم أصبح يطلب ثأره .. وجاء بناس الى موسى عليه السلام ــ قال الكلبى : وذلك قبل نزول القسامة فى

---

(19) متفق عليه .

(20) البقرة : ٦٧ ــ ٧١

التوراة — فسألوا موسى عليه السلام أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتيل .. فامرهم بذبح بقرة قائلا لهم : ((ان الله يامركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا أتتخذنا هزوا)) — اى اتستهزىء بنا ونحن نسألك عن امر القتيل بذبح البقرة ؟ —

فقال موسى عليه السلام : ((أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)) — أى من المستهزئين بالمؤمنين .. وقيل : بالجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال — .

فلما علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه .. وكان تحته حكمة عظيمة !!

وذلك لأنه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة .. أتى بها الى غيضة وقال : اللهم انى أستودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر .

ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة أعواما ، وكانت تهرب من كل من رآها ..

فلما كبر الابن كان بارا بوالديه .. وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاثه يصلى ثلثا .. وينام ثلثا .. ويجلس عند رأس أمه ثلثا ..

فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره .. فيأتى السوق فيبيعه بما شاء الله .. ثم يتصدق بثلثه .. ويأكل ثلثه .. ويعطى أمه ثلثه ..

فقالت له أمه يوما : ان أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا .. فانطلق فادع اله ابراهيم واسماعيل واسحاق أن يردها عليك .. وعلامتها أنك اذا نظرت اليها تخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها — وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها — .

فأتى الغيضة فرآها ترعى .. فصاح بها وقال : أعزم عليك بالله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ..

فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه .. فقبض على عنقها يقودها — وزعموا أن البقرة تكلمت باذن الله تعالى — وقالت : أيها الفتى البر بوالدته اركبنى ، فان ذلك أهون عليك ..

فقال الفتى : ان أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت : خذ بعنقها ..

فقالت البقرة : بإله بنى اسرائيل .. لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا .. فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل .. لبرك بأمك ..

فسار الفتى بها الى أمه ..

(٤٤)

وقالت له أمه : انك فقير لا مال لك .. ويشق عليك الاحتطاب بالنهار ، والقيام بالليل .. فانطلق فبع هذه البقرة ..

قال : بكم أبيعها ؟

قالت : بثلاثة دنانير .. ولا تبع بغير مشورتي ..

— وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير — .

فانطلق بها الى السوق .. فبعث الله ملكا ليرى خلقه وقدرته ، وليختبر الفتى وكيف بره بأمه .. وكان الله به خبيرا ..

فقال الملك : بكم تبع هذه البقرة ؟

قال : بثلاثة دنانير .. وأشترط عليك رضا أمي .

فقال الملك : لك ستة دنانير ولا تستأمر أمك !!

فقال الفتى : لو أعطيتني وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمي !!

فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت له : ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني ..

فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال : استأمرت أمك ؟

فقال الفتى : انها أمرتني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها ..

فقال الملك : فاني أعطيك اثنى عشر دينارا !!

فأبى الفتى ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت : ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك .. فاذا أتاك فقل له : أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ؟

ففعل .. فقال الملك : اذهب الى أمك وقل لها : أمسكى هذه البقرة .. فان موسى بن عمران — عليه السلام — سيشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى اسرائيل .. فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير .. فأمسكوها ..

وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها .. فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بأمه .. فضلا ورحمة .. فاشتروها بملء مسكها — أى جلدها — ذهبا ..

فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها .. كما أمر الله تعالى .. فقام القتيل حيا باذن الله تعالى .. وأوداجه تشخب دما وقال : قتلنى فلان .. ثم سقط ومات مكانه .. فحرم قاتله الميراث »[٢١] .

---

(٢١) من وصايا الرسول — لفضيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى — ص ١١٤ — ١١٦

وكتب أنس بن مالك رضى الله عنه الى الخليفة هارون الرشيد يوصيه .. فقال فى وصيته : « بر والديك وخصهما منك بالدعاء فى كل صلاة ، وأكثر لهما الاستغفار .. وابدأ بنفسك قبلهما ، فان ابراهيم عليه السلام قال : « **رب اغفر لى ولوالدى** »[22] . فبدأ بنفسه قبل والديه .. وبلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سره أن ينسأ له فى عمره ، ويزاد فى رزقه ، فليتق الله ربه ، وليصل رحمه » .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بر والديه طوبى له .. زاد الله فى عمره »[23] .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه .. ولا يرد القدر الا الدعاء .. ولا يزيد فى العمر الا البر »[24] ..

* * *

وحسبنا قولا فى بر الوالدين .. أن الله تعالى قد ذكره فى معرض تزكية نبيه يحيى عليه السلام .. فقال : « **وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة ، وكان تقيا . وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا** »[25] .

وأن المسيح عيسى ابن مريم — عليهما السلام — قال مفاخرا : « **انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا** »[26] .

* * *

*** سب الآباء والأمهات من الكبائر :**

ومن البر بالوالدين والاحسان اليهما .. ألا يؤذيهما بالقول أو الفعل .. وألا يشتمهما أو يتعرض لسبهما .. فان ذلك من الكبائر بلا خلاف ..

روى ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو علم الله شيئا أدنى من

---

(٢٢) نوح : ٢٨

(٢٣) رواه أبو يعلى والطبرانى والاصبهانى .

(٢٤) رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم .

(٢٥) مريم : ١٢ — ١٥ (٢٦) مريم : ٣٠ — ٣٢

الأف لنهى عنه .. فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة .. وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار » ..

بل ان مجرد النظر اليهما بغضب ، والتجهم فى وجهيهما من العقوق .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بر أباه من حد اليه الطرف »[٢٧] .

وعند الطبرى : « ما بر أباه من شد اليه الطرف بالغضب » .. أى نظر اليهما بغضب وان لم يتكلم ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يتل القرآن من لم يعمل به .. ولم يبر والديه من أحد النظر اليهما فى حال العقوق .. أولئك براء منى وأنا برىء منهم »[٢٨] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من الكبائر شتم الرجل والديه » .. قالوا : يا رسول الله .. وهل يشتم الرجل والديه ؟ .. قال : « نعم .. يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه »[٢٩] .

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأيت ليلة أسرى بى أقواما فى النار معلقين فى جذوع من نار .. فقلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم فى الدنيا » .

وروى سفيان عن داوود بن شابور عن أبى قزعة .. قال : مررنا فى بعض المياه التى بيننا وبين البصرة .. فسمعنا نهيق حمار .. فقلنا لهم : ما هذا النهيق ؟ .. قالوا : هذا رجل كان عندنا .. كانت أمه تكلمه بالشىء فيقول لها : انهقى نهيقك .. فلما مات سمع هذا النهيق من قبره كل ليلة !!

وروى أن من شتم والديه .. ينزل عليه فى قبره حجر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء الى الأرض ..

* * *

* بر الوالدين يكون بطاعتهما فى كل أمر :

ويكون بر الوالدين والاحسان اليهما .. بطاعتهما فى كل ما يأمران به .. أو ينهيان عنه .. مما ليس فيه معصية لله تعالى أو مخالفة لشريعته .. اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ..

---

(٢٧) رواه البيهقى وابن مردويه . (٢٨) رواه الدارقطنى
(٢٩) متفق عليه .

روى ابن عباس رضى الله عنهما ــ فى حديث طويل ــ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ حكاية عن ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ــ قال : « ... فالفى ذلك أم اسماعيل وهى تحب الأنس .. فنزلوا ، وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم .. حتى اذا كانوا بها أهل أبيات .. وشب الغلام وتعلم العربية منهم .. وأنفسهم وأعجبهم حين شب .. فلما أدرك زوجوه امرأة منهم .. وماتت أم اسماعيل .. فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته .. فلم يجد اسماعيل فسأل امرأته عنه .. فقالت : خرج يبتغى لنا ــ وفى رواية : يصيد لنا ــ ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت : نحن بشر .. نحن فى ضيق وشدة . وشكت اليه !!

قال : فاذا جاء زوجك اقرأى عليه السلام .. وقولى له يغير عتبة بابه !!

فلما جاء اسماعيل كأنه آنس شيئا .. فقال : هل جاءكم من أحد ؟

قالت : نعم .. جاءنا شيخ كذا وكذا ــ وصفته ــ فسألنى عنك فأخبرته .. فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد ومشقة ..

قال : فهل أوصاك بشىء ؟

قالت : نعم .. أمرنى أن أقرأ عليك السلام .. ويقول لك : غير عتبة بابك !!

قال : ذاك أبى .. وقد أمرنى أن أفارقك .. الحقى بأهلك !!

فطلقها .. وتزوج منهم أخرى ..

فلبث عنهم ابراهيم ما شاء الله .. ثم أتاهم بعد فلم يجده .. فدخل على امرأته فسأل عنه .. قالت : خرج يبتغى لنا .. قال : كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم .. فقالت : نحن بخير وسعة .. وأثنت على الله تعالى .. فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم .. قال : فما شرابكم ؟ قالت : المـاء .. فقال : اللهم بارك لهم فى اللحم والمـاء »

وفى رواية أخرى : « ... فجاء فقال : أين اسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد .. ثم قالت : ألا تنزل فتطعم وتشرب ؟ قال : وما طعامكم وما شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم وشرابنا المـاء .. قال : اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم ..

ثم قال : « فاذا جاء زوجك فاقرأى عليه السلام .. ومريه أن يثبت عتبة بابه » ..

فلما جاء اسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟

قالت : نعم .. اتانا شيخ حسن الهيئة — واثنت عليه — فسألنى عنك فاخبرته ، فسالنى كيف عيشنا فأخبرته انا بخير ..

قال : فاوصاك بشيء ؟

قالت : نعم .. يقرا عليك السلام ، ويأمرك ان تثبت عتبة بابك !!

قال : ذاك ابى .. وانت العتبة أمرنى أن امسكك » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما .. قال : كانت تحتى امرأة أحبها .. وكان ابى يكرهها .. فامرنى ان أطلقها .. فأبيت ، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يا عبد الله بن عمر .. طلق امرأتك »[31] .

وفى رواية أخرى أن عمر رضى الله عنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال لأبنه : « طلقها » .

ومن أروع الأمثلة على بر الوالدين وطاعتهما .. ما رواه ابن الجوزى فى كتابه « ذم الهوى » قال : ان عبد الله بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل .. وكانت حسناء جملاء .. ذات خلق بارع .. فشغلته عن مغازيه .. فأمره أبوه بطلاقها وقال : انها قد شغلتك عن مغازيك ..

فقال عبد الله شعرا :

يقولون طلقها وخيم مكانها مقيما عليك الهم أحلام نائم
وان فراقى أهل بيت جمعتهم على كبر منى لاحدى العظائم

ثم طلقها .. فمر به أبوه فسمعه يقول :

أعاتك لا أنساك ما ذر شارق وما لاح نجم فى السماء محلق
أعاتك قلبى كل يوم وليلة لديك بما تخفى النفوس معلق
ولم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولا مثلها فى غير شيء تطلق
لها خلق جزل ورأى ومنصب وخلق سوى فى الحياة ومصدق

فرق له أبوه فراجعها .. ثم شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم غزوة الطائف فأصابه سهم .. فمات بعد بالمدينة .. فقالت عاتكة تبكيه :

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبى بكر وما كان قصرا
فآليت لا تنفك عينى حزينة عليك ولا ينفك جلدى آغبرا
فلله عينا من رأى مثله فتى أكر وأحمى فى الهياج وأصبرا
اذا شرعت فيه الأسنة خاضها الى الموت حتى يترك الرمح أحمرا[32]

---

(٣٠) رواه البخارى بطوله . (٣١) رواه الترمذى .

(٣٢) ذم الهوى لابن الجوزى .

•• أرأيت كيف آثر عبد الله — رضى الله عنه — بر أبيه وطاعته على حبه لزوجه وقد كاد فراقها أن يودى به ؟!

وأتى رجل أبا الدرداء رضى الله عنه فقال : ان أبى لم يزل بى حتى زوجنى •• وانه الآن يأمرنى بطلاقها ؟ قال : ما أنا بالذى آمرك أن تعق والديك •• ولا بالذى آمرك أن تطلق امرأتك •• غير أنك ان شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم •• سمعته يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة » •• فحافظ على ذلك الباب أن شئت أو دع[٣٣] ••

وعنه رضى الله عنه أن رجلا أتاه فقال : ان لى امرأة •• وان أمى تأمرنى بطلاقها •• فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة » •• فان شئت فأضع هذا الباب أو احفظه[٣٤] •

* * *

● بل ان اسماعيل عليه السلام قد وصل ببره لأبيه الى حد التضحية بالنفس •• والاقبال على الموت بنفس مطمئنة •• فاستحق أن يخلده القرآن الكريم •• وأن يشيد به التاريخ ••

قيل ان ابراهيم عليه السلام ادعى محبة الله •• ثم نظر الى ولده بالمحبة •• فلم يرض حبيبه بمحبة مشتركة •• فرأى فى ليلة التروية كأن قائلا يقول : ان الله يأمرك بذبح ابنك •• فلما أصبح تروى فى نفسه — أى تفكر — أهذا الحلم من الله أم من الشيطان ؟ •• فسمى يوم التروية ••

فلما كانت الليلة الثانية رأى ذلك أيضا وقيل له : الوعد •• فلما أصبح عرف أن ذلك من الله فسمى يوم عرفة ••

ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة •• فعزم على نحره فسمى يوم النحر •

فلما تحقق عليه السلام أن ذلك الأمر من الله تعالى •• قال لابنه : يا بنى •• خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذه الهضبة لنحتطب لأهلنا •• ففعل الغلام وتبع أباه ••

فقال الشيطان : والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحدا أبدا •• فتمثل لهم فى صورة رجل •• ثم أتى أم الغلام وقال : أتدرين أين يذهب ابراهيم بابنك ؟ •• قالت : لا !!

---

(٣٣) رواه ابن حبان . (٣٤) رواه ابن ماجه والترمذى .

قال : انه ذهب به ليذبحه !!

قالت : كلا •• هو أرأف به من ذلك !!

فقال : انه يزعم أن ربه أمره بذلك !!

قالت : فان كان ربه قد أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه !!

فلم ينجح معها الشيطان •• ثم أتى الغلام فقال : أتدرى أين يذهب بك أبوك ؟ •• قال : لا !!

فقال : فانه يذهب بك ليذبحك !! •• قال : ولم ؟!

قال : زعم أن ربه أمره بذلك !!

فقال اسماعيل عليه السلام : فليفعل ما أمره الله به •• سمعا وطاعة لأمر الله !!

ولم ينجح معه الشيطان •• ثم جاء ابراهيم عليه السلام فقال : أين تريد ؟ •• والله انى لأظن أن الشيطان قد جاءك فى منامك فأمرك بذبح ابنك !!

فعرفه ابراهيم عليه السلام وقال : اليك عنى يا عدو الله •• فوالله لأمضين لأمر ربى !!

وانما عرف ابراهيم عليه السلام أنه الشيطان لأنه لم يخبر أحدا برؤياه •• فمن أين لهذا الغريب معرفة ما رآه فى منامه •• أو ما عقد ــ عليه السلام ــ العزم على فعله ••

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : « لمـــا أمر ابراهيم بذبح ابنه •• عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب •• ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب •• ثم عرض له عند الجمرة الأخرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب •• ثم مضى لأمر الله تعالى » •• ولم ينل الشيطان منه شـــيئا ••

ثم ان ابراهيم عليه الســـلام أفضى الى ابنه برؤياه فقـــال : **« يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى »**(٣٥) .

فقال اسماعيل عليه السلام : **« يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين »**(٣٦) .

وفى الخبر : أن اسماعيل قال لأبيه ــ عليهما السلام ــ : يا أبت •• اشدد رباطى حتى لا أضطرب •• واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها

---

(٣٥) الصافات : ١٠٢ (٣٦) الصافات : ١٠٢

شيئا من دمى فتراه أمى فتحزن •• وأسرع مر السكين على حلقى ليكون الموت أهون على •• واقذفنى للوجه لئـلا تنظر الى وجهى فترحمنى •• ولئلا أنظر الى الشفرة فأجزع •• واذا أتيت أمى فأقرئها منى الســلام (!!) •

فقال ابراهيم عليه السلام : نعم العون يا بني أنت على أمر الله !!

ثم انه شمر •• وأخذ السكين •• وأضجع ولده •• وقال : اللهم تقبله منى فى مرضاتك •• فأوحى الله تعالى اليه : يا ابراهيم لم يكن المراد ذبح الولد ، وانما المراد أن ترد قلبك الينا •• فلما رددت قلبك بكليته الينا رددنا ولدك اليك » •• وفداه الله تعالى بكبش عظيم •• وجده ابراهيم على مقربة منه فذبحه[37] ••

* * *

* وجوب الانفاق على الوالدين :

ومن البر بالوالدين والاحسان اليهما •• أن يبرهما بكل ما تصل اليه يداه •• وتتسع له طاقته من أنواع البر والاحسان •• كاطعامهما وكسوتهما •• وعلاج مريضهما •• ودفع الأذى عنهما •• وتقـديم النفس فداء لهما ••

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله •• ان أبى أخذ مالى ••

فقال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل : « فأتنى بأبيك » ••

فنزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ان الله عز وجل يقرئك الســلام •• ويقول لك : اذا جاء الشيخ فاسأله عن شيء قاله فى نفسه ما سمعته أذناه » ••

فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بال ابنك يشكوك ؟ •• أتريد أن تأخذ ماله » ؟

فقال : سله يا رسول الله •• هل أنفقه الا على احدى عماته •• أو خالاته •• أو على نفسى ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ايه ـــ وهى لفظة استحسان ـــ دعنا من هذا •• أخبرنى عن شيء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك » ؟

---

(٣٧) رواه القرطبى فى تفسير سورة الصافات ـــ بتصرف .

فقال الشيخ : والله يا رسول الله ‥ ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا ‥ لقد قلت فى نفسى شيئا ما سمعته أذناى !!

قال : « قل ‥ أنا أسمع » .

قال : قلت :

غزوتك مولودا ومنتك يافعا — تعل بما أجنى عليك وتنهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت — لسقمك الا ساهرا أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى — طرقت به دونى فعينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وانها — لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى — اليها مدى ماكنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وغظاظه — كانك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتى — فعلت كما الجار المصاقب يفعل
فأوليتنى حق الجوار ولم تكن — على بمال دون مالك تبخل

قال : فحينئذ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال : « أنت ومالك لأبيك »[٣٨] .

وحكى أن ولدا اشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه ‥ وأنه يأخذ ماله ‥ فدعا به فاذا هو شيخ يتوكأ على عصا ‥ فسأله فقال : يا رسول الله ‥ انه كان ضعيفا وأنا قوى ‥ وفقيرا وأنا غنى ‥ فكنت لا أمنعه شيئا من مالى ‥ واليوم أنا ضعيف وهو قوى ‥ وأنا فقير وهو غنى يبخل على بماله ؟!

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى » ‥ ثم قال للولد : « أنت ومالك لأبيك ‥ أنت ومالك لأبيك » ‥

* * *

* البر بالوالدين ولو كانا مشركين :

ولا يختص البر بالوالدين والاحسان اليهما بأن يكونا مسلمين ‥ بل عليه أن يبرهما ويحسن اليهما أيضا حتى ولو كانا كافرين !!

وفى حوار رائع أخاذ ‥ يضرب لنا القرآن الكريم مثلا من أروع الأمثلة لبر الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف رغم كفرهما ‥ ذلك حين يقص علينا دعوة ابراهيم عليه السلام أباه الى الايمان بالله ‥ ونهيه اياه عن عبادة الأصنام ‥ يقول تعالى :

---

(٣٨) رواه القرطبى فى تفسير سورة الاسراء .

« اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ••

« يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ••

« يا أبت لا تعبد الشيطان ، ان الشيطان كان للرحمن عصيا ••

« يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا »[٣٩] ••

تأمل أسلوب الخطاب •• وتأمل تكرار لفظة « يا أبت » فى مطلع كل آية ••

ولكن أباه أصم أذنيه عن سماع داعى الايمان •• وأغلقهما دون الهدى والرشاد •• ولم يكتف بالاعراض عن ابنه •• بل انتهره وهدده بالرجم والطرد والابعاد :

« قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك ، واهجرنى مليا »[٤٠] .

فماذا قال الابن البار لأبيه ؟ •• هل قابل الاساءة بالاساءة ، والصد بالصد ، والهجران بالهجران ؟ ••

وهل يليق ذلك بمكانة أبى الأنبيــاء ابراهيم عليه الســلام ؟!
حاشا وكلا ••

« قال سلام عليــك سأستغفر لك ربى ، انه كان بى حفيــا : وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوا ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شــقيا »[٤١] .

وروى البخارى عن أسماء رضى الله عنها قالت : قدمت أمى وهى مشركة ــ فى عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم ــ مع أبيها •• فاستفتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : ان أمى قدمت وهى راغبة ــ أى راغبة عن الاسلام كارهة له ــ أفأصلها ؟ ••
قال : « نعم •• صلى أمك » ••

وروى عنها أيضا أنها قالت : أتتنى أمى راغبة ــ فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ــ فسألت النبى صلى الله عليه وسلم : آأصلها ؟ ••
قال : « نعم » ••

---

(٣٩) مريم : ٤٢ ــ ٤٥
(٤٠) مريم : ٤٦
(٤١) مريم : ٤٧ ، ٤٨

يقول ابن عيينة : فأنزل الله عز وجل فيها : « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين** »[٤٢] .

انما نهى الله تعالى عن طاعتهما عندما يأمران بالكفر والشرك بالله فقط .. دون قطع البر عنهما والاحسان اليهما ..

روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : كنت بارا بأمى .. فأسلمت ، فقالت : لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى ويقال يا قاتل أمه .. وبقيت يوما ويوما .. فقلت : يا أماه .. لو كان لك مائة نفس .. فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا .. فان شئت فكلى وان شئت فلا تأكلى .. فلما رأت ذلك أكلت ، وفيه نزلت : « **وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما** »[٤٣] .

وفى رواية الترمذى : « ... فقالت أم سعد : أليس قد أمر الله بالبر ؟ .. والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر .. قال : فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها — أى أدخلوا فيه عودا ليفتحوه به — فنزلت هذه الآية : « **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** »[٤٤] .

* * *

* صلة الرحم :

ويكون بر الوالدين و لاحسان اليهما .. بصلة الرحم التى لا رحم له الا من قبلهما .. والدعاء والاستغفار لهما .. وانفاذ عهدهما .. واكرام صديقهما ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه .. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه .. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »[٤٥] .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت :

---

(٤٢) المتحنة : ٨

(٤٣) رواه القرطبى فى تفسير سورة العنكبوت .

(٤٤) متفق عليه . (٤٥) متفق عليه .

هذا مقام العائذ بك من القطيعة .. قال : نعم .. أما ترضين أن أصله من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى .. قال : فذلك لك ..

ثم قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : « اقرأوا ن شئتم : « فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم • أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم »[٤٦] .

وعنه رضى الله عنه قال : : ان رجلا قال : يا رسـول الله .. ان لى قرابة أصلهم ويقطعونى .. وأحسن اليهم ويسيئون الى .. وأحلم عنهم ويجهلون على .. فقال صلى الله عليه وسلم : « لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسفهم المل ــ بفتح الميم وتشديد اللام : أى الرماد الحار ــ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك »[٤٧] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من احب أن يبسط له فى رزقه .. وينسـأ له فى أثره .. فليصل رحمه »[٤٨] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله .. ومن قطعنى قطعه الله »[٤٩] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الواصل بالمكافىء .. ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها »[٥٠] .

وعن خالد بن زيد الأنصـارى رضى الله عنه أن رجـلا قال : يا رسول الله .. أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى من النار .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « تعبد الله ولا تشرك به شيئا .. وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة .. وتصل الرحم »[٥١] .

وعن سلمان بن عامر رضى الله عنه .. عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصدقة على المسكين صدقة .. وعلى ذى الرحم ثنتان : صدقة وصلة »[٥٢] .

---

(٤٦) متفق عليه ــ والآية من سورة محمد : ٢٢ ، ٢٣

(٤٧) رواه مسلم . (٤٨) متفق عليه .

(٤٩) متفق عليه . (٥٠) رواه البخارى .

(٥١) متفق عليه . (٥٢) رواه الترمذى .

وورد فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن اليهم ويصرف صدقته الى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر اليه يوم القيامة » ..

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته فى الدنيا مع ما يدخر لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم » .

* * *

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الخالة بمنزلة الأم » — يعنى فى وجوب برها واكرامها وصلتها والاحسان اليها ..

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انى أصبت ذنبا عظيما .. فهل لى من توبة ؟ فقال : « هل لك من أم » ؟ قال : لا .. قال : « فهل لك من خالة » ؟ قال : نعم .. قال : « فبرها » .

وعنه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى »[٥٣] .

وعن أبى أسيد رضى الله عنه قال : بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله .. هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟

فقال : « نعم .. الصلاة عليهما — أى الدعاء لهما — والاستغفار لهما .. وانفاذ عهدهما من بعدهما .. وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما .. واكرام صديقهما »[٥٤] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان العبد ليموت والداه — أو أحدهما — وانه لهما لعاق .. فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله بارا »[٥٥] .

وعن مالك بن زرارة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استغفار الولد لأبيه من بعد الموت من البر »[٥٦] .

---

(٥٣) رواه مسلم .
(٥٤) رواه أبو داوود .
(٥٥) رواه البيهقى .
(٥٦) رواه ابن النجار .

● ومن البر بالوالدين بعد موتهما الصلاة والصوم والصدقة والحج عنهما :

روى أن رجلا قال : يا رسول الله .. أنه كان لى أبوان أبرهما فى حال حياتهما .. فكيف لى ببرهما بعد موتهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أن من البر بعد الموت أن تصلى لهما مع صلاتك .. وأن تصوم لهما مع صيامك »(٥٧) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. ان أمى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ فقال : « لو كان على أمك دين هل أنت قاضيه عنها » ؟ قال : نعم . قال : « فدين الله أحق أن يقضى »(٥٨) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. ان أبى مات وترك مالا ولم يوص .. فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : « نعم »(٥٩) .

وعن الحسن عن سعد بن عبادة أن أمه ماتت فقال : يا رسول الله .. ان أمى ماتت أفأتصدق عنها ؟ قال : « نعم » . قلت : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : « سقى المـاء » . يقول الحسن : فتلك سقاية آل سعد بالمدينة(٦٠) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت .. أفأحج عنها ؟ قال : « حجى عنها .. أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا فالله أحق بالقضاء »(٦١) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « من زار قبر أبويه أو أحدهمـا كل جمعة غفر له وكتب برا »(٦٢) .

* * *

---

(٥٧) رواه الدارقطنى .
(٥٨) رواه البخارى ومسلم .
(٥٩) رواه أحمد ومسلم .
(٦٠) رواه أحمد والنسائى .
(٦١) رواه البخارى .
(٦٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

عقوق الوالدين من أكبر الكبائر

عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟ — ثلاثا — قلنا : بلى يا رسول الله قال : « الاشراك بالله .. وعقوق الوالدين » — وكان متكئا فجلس فقال : « ألا وقول الزور وشهادة الزور » .. فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت(١) .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه .. عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعا وهات ، ووأد البنات .. وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال »(٢) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الكبائر : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس »(٣) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذى يقر الخبث فى أهله »(٤) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان عطاءه ، وثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، والرجلة »(٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه »(٦) .

---

(١) متفق عليه ، وانما قالوا : « ليته سكت » اشفاقا عليه ﷺ .
(٢) متفق عليه . (٣) رواه البخارى .
(٤) رواه أحمد والنسائى والبزار والحاكم .
(٥) رواه النسائى والبزار والحاكم .
(٦) رواه الحاكم .

وروى ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله •• وعقوق الوالدين •• والفرار من الزحف »[٧] .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يقبل الله عز وجل منهم صرفا ولا عدلا : عاق ، ومنان ، ومكذب بالقدر »[٨] .

وفى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الذى كتبه الى أهل اليمن ، وبعث به مع عمرو بن حزم : « ••• وان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة : الاشراك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار فى سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمى المحصنة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم »[٩] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رغم أنف ، ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر ـ أحدهما أوكلاهما ـ فلم يدخله الجنة »[١٠] .

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « احضروا المنبر » •• فلما خرج رقى الى المنبر •• فرقى فى أول درجة منه ، وقال : آمين •• ثم رقى فى الثانية فقال : آمين •• ثم لما رقى فى الثالثة قال : آمين ••

فلما فرغ ونزل من المنبر قلنا : يا رسول الله •• لقد سمعنا منك اليوم شيئا ماكنا نسمعه منك ••

قال : وسمعتموه ؟ •• قلنا : نعم .

فقال صلى الله عليه وسلم : « ان جبريل عليه السلام اعترضنى وقال : بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له •• فقلت : آمين •• فلما رقيت الثانية ، قال : بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك •• فقلت : آمين •• فلما رقيت فى الثالثة قال : بعد من أدرك عنده أبواه الكبر ـ أو أحدهما ـ فلم يدخلاه الجنة •• قلت : آمين »[١١] .

---

(٧) رواه الطبرانى .

(٨) رواه أحمد والنسائى والبزار والحاكم .

(٩) رواه ابن حبان فى صحيحه . (١٠) رواه مسلم .

(١١) رواه القرطبى فى تفسير سورة الاسراء .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر » .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله العاق والديه » .

وقال : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء الى يوم القيامة .. الا عقوق الوالدين .. فانه يعجل لصاحبه »[١٢] ـ أى يعجل العقوبة فى الدنيا قبل يوم القيامة .

وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : ان الله ليعجل هلاك العبد اذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب .. وان الله ليزيد فى عمر العبد اذا كان بارا بوالديه ليزيده برا وخيرا ..

وسئل رضى الله عنه عن عقوق الوالدين ما هو ؟ قال : هو اذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما .. واذا أمراه بأمر لم يطع أمرهما .. واذا سألاه شيئا لم يعطهما .. واذا ائتمناه خانهما ..

وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم .. ودعوة المسافر .، ودعوة الوالد على ولده » .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أمسى مرضيا لوالديه وأصبح .. أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان فى الجنة ، وان واحدا فواحدا .. ومن أمسى وأصبح مسخطا لوالديه .. أمسى وأصبح وله بابان مفتوحان الى النار ، وان واحدا فواحدا » ..

فقال رجل : يا رسول الله .. وان ظلماه ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « وان ظلماه .. وان ظلماه .. وان ظلماه »[١٣] .

وعن عمرو بن مرة الجهنى قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أرأيت ان صليت الخمس .. وصمت رمضان .. وأديت الزكاة .. وحججت البيت .. فماذا لى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .. الا أن يعق والديه »[١٤] .

* * *

---

(١٢) رواه الحاكم من حديث ابى بكرة .

(١٣) رواه القرطبى فى تفسير سورة الاسراء .

(١٤) رواه أحمد والطبرانى .

وعن وهب بن منبه قال : ان الله تعالى أوحى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه : « يا موسى •• وقر والديك فان من وقر والديه مددت فى عمره •• ووهبت له ولدا يوقره •• ومن عق والديه قصرت فى عمره ووهبت له ولدا يعقه » ••

وقال أبو بكر بن أبى مريم : قرأت فى التوراة : « أن من يضرب أباه يقتل » •

وقال وهب : قرأت فى التوراة : « على من صك والده الرجم » •

ويروى أنه اذا دفن عاق والديه •• عصره القبر حتى تختلف فيه أضلاعه ••

وأشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة : المشرك •• والزانى •• والعاق لوالديه ••

* * *

وجمع أبو طالب المكى رحمه الله الكبائر فقال : « أربعة فى القلب وهى : الشرك بالله تعالى •• والاصرار على معصية الله تعالى •• والقنوط من رحمة الله تعالى •• والأمن من مكر الله تعالى ••

وأربعة فى اللسان •• وهي : شهادة الزور •• وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات •• واليمين الغموس •• والسحر •

وثلاثة فى البطن •• وهى : شرب الخمر •• وأكل مال اليتيم •• وأكل الربا وهو يعلم ••

واثنان فى اليدين وهما : القتل •• والسرقة ••

واثنان فى الفرج وهما : الزنا •• واللواط •

وواحدة فى الرجل وهى : الفرار من الزحف •

وواحدة فى جميع البدن وهى : عقوق الوالدين »[١٥] •

أرأيت ؟ •• فاذا كانت كل جارحة من الجوارح تختص ببعض الكبائر •• فان كبيرة عقوق الوالدين تختص بالبدن كله •• فكأن كل جارحة تتحمل نصيبا من هذه الكبيرة !!

* * *

---

(١٥) حق الآباء على الأبناء ـــ لفضيلة الشيخ طه عبد الله العفيفى •

* بر ابن •• وعقوق آخر :

ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلين رائعين •• عرض فى الأول منهما صورة مشرقة للطاعة والامتثال الى حد التضحية بالنفس !!

ثم عرض صورة أخرى مظلمة للعصيان والتمرد والمكابرة •• والاستبداد بالرأى الى حد الاضرار بالنفس !!

وبين عاقبة كل منهما !!

قص علينا القرآن الكريم •• كيف تكون التضحية والايثار فى أعلى صورهما •• فى موقف خالد بين ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام •• فقال تعالى :

« فبشرناه بغلام حليم • فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ،

« قال يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدنى ان شاء الله من الصابرين •

« فلما أسلما وتله للجبين • وناديناه أن يا ابراهيم • قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين • ان هذا لهو البلاء المبين •

« وفديناه بذبح عظيم •

« وتركنا عليه فى الآخرين • سلام على ابراهيم • كذلك نجزى المحسنين • انه من عبادنا المؤمنين »[16] •

استسلم اسماعيل عليه السلام للذبح طاعة لأبيه ••

واستسلم الأب الصابر طاعة لربه ••

فلما تله للجبين ــ استجابة لرجاء ابنه[17] ــ فداه الله تعالى بذبح عظيم •• وخلد تضحية الابن وامتثاله لأمر أبيه •• وصبر الأب وامتثاله لأمر ربه •• فى كتابه الكريم •• الى أن يرث الله الأرض ومن عليها •

وفى الجانب الآخر •• نرى صورة مظلمة كئيبة للعصيان والتمرد ، والمكابرة والاستبداد بالرأى •• حين يقص علينا القرآن الكريم موقفا مغايرا تمام المغايرة •• جرت مشاهده بين نوح عليه السلام وابنه ــ ولم يحفل القرآن حتى بذكر اسمه استصغارا له وتحقيرا لشأنه ــ يقول الله تعالى :

---

(١٦) الصافات : ١٠١ ــ ١١١

(١٧) راجع ما تقدم تحت عنوان « بر الوالدين يكون بطاعتهما فى كل أمر » ص ١١٩

« واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ، انهم مغرقون .

« ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم .

« حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن ، وما آمن معه الا قليل .

« وقال أركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ، ان ربى لغفور رحيم .

« وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين .

« قال سآوى الى جبل يعصمنى من المـــاء ،

« قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ،

« وحال بينهما الموج فكان من المغرقين .

« وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض المـــاء وقضى الأمر واستوت على الجودى ، وقيل بعدا للقوم الظالمين .

« ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين .

« قال يا نوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين »(١٨) .

لقد أراد نوح عليه السلام لابنه النجاة .. ولكنه عصى وكابر .. واستبد برأيه فأورد نفسه موارد التهلكة .. وكانت عاقبته الخسران المبين .

* * *

---

(١٨) هود : ٣٧ — ٤٦

حقوق •• تقابلها واجبات

لقد وصى الله تعالى الأبناء بآبائهم •• وقرن عبادته وتوحيده بالاحسان اليهما وبرهما •• وحض على شكرهما والاعتراف بفضلهما حين قرن شكره تعالى بشكر الوالدين •

بل ان من يشكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه •

وقد مر بنا بعض حقوق الآباء على أبنائهم •

فان من حق الأبوين على أبنائهما : طاعتهما كبارا •• كما أطاعاهم صغارا ••

والانفاق عليهما كبارا •• كما أنفقا عليهم صغارا ••

وخدمتهما كبارا •• كما خدماهم صغارا ••

وحبهما كبارا •• كما أحباهم صغارا وكبارا ••

واحسان صحبتهما •• كما أحسنا صحبتهم ، فلا يقدمون عليهما زوجا ولا ولدا ولا صديقا ••

وعرفنا أن حق الأم على أبنائها أكبر من حق الأب ••

لأنها تعبت أكثر منه ، فحملتهم فى بطنها •• وأرضعتهم من ثديها •• وربتهم فى حجرها ••

وأن من حق الوالدين على أبنائهما أن يبروهما ويحسنوا اليهما ••

فالشبع وهما جائعان •• ليس من البر والاحسان •

والكلمة الخشنة •• ليست من البر والاحسان •

ورفع الصوت فى حضرتهما •• ليس من البر والاحسان •

واثارة الغبار وهما جالسان •• ليس من البر والاحسان •

والسير أمامهما فى الطريق •• ليس من البر والاحسان •

والجلوس فى مكان مرتفع عليهما •• ليس من البر والاحسان •

ووضعهما فى موضع أقل حسنا مما هم فيه •• ليس من البر والاحسان •

والاساءة الى أقاربهما وأصحابهما •• ليس برا بهما أو احسانا اليهما ••

* * *

ولم يوص الله تعالى الآباء برعاية أبنائهم •• بل ترك ذلك لطبيعة الأبوة والامومة التي أودعها الله أياهما ••

وما ذلك الا لانه تعالى •• قد أودع فى غرائز الجنس البشرى — بل وفى جميع الكائنات الحية — حب الأولاد ورعايتهم وحمايتهم من كل ما يلحق بهم الأذى •• حتى ان الدابة لترفع حافرها مخافة ان تطأ وليدها شفقة به وحنانا عليه ••

لقد جعل الله دوافع الرحمة والشفقة كامنة فى ذوات الاباء والأمهات وطبائعهم •• ومن هنا لم يكونوا بحاجة الى توصيتهم بابنائهم •

غير أن بعض الناس جبلت نفوسهم على الأنانية وحب الذات •• فلا يعرفون لغيرهم واجبا — ولو كانوا أبناءهم — ولا يرون من الدنيا سوى حقوقهم وحدها ••

وهؤلاء لم يتركهم الاسلام على ضلالهم •• بل بين لهم الرسول صلى الله عليه وسلم الطريق •• وأنار لهم السبيل ••

* * *

من الأمور البديهية أن كل حق يقابله واجب •• ولذا فان على الآباء نحو أبنائهم واجبات •• كما أن لهم عليهم حقوق ••

وأول هذه الواجبات : أن يحسنوا اختيار الزوجة الصالحة ، حتى تكون أما صالحة لأبنائها ••

وأن يتخيروا لأبنائهم أحسن الأسماء •• ذكورا كانوا أم اناثا ••

وأن ينفقوا عليهم من كسب طيب •• فلا يطعموهم الا من حلال ••

وأن يساووا بينهم فى المعاملة ويتوخوا العدل بينهم ••

وأن يحسنوا تأديبهم وتربيتهم ورعايتهم ••

وأن يعلموهم القرآن وأحكام الدين •• كما يعلموهم الفروسية والسباحة والرماية ••

وليعلم الآباء أنهم حين يقومون بواجبهم نحو أبنائهم •• ويربونهم التربية الاسلامية السليمة •• وينشئونهم النشأة الطيبة •• فان ثواب صلاح الأبناء سوف يصل الى آبائهم فى قبورهم •• ويزيد فى حسناتهم يوم القيامة •

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاثة : صدقة جارية •• أو علم ينتفع به •• أو ولد صالح يدعو له »[1] •

---

(1) رواه مسلم والنسائى والترمذى •

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ن الرجل لترفع درجته فى الجنة •• فيقول : يا رب •• أنى لى هذا ؟ •• فيقال : باستغفار ولدك لك »[٢] •

* * *

جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه •• يشكو اليه عقوق ابنه •• فأحضر عمر الابن وأنبه على عقوقه لأبيه فقال : يا امير المؤمنين •• أليس للولد حقوق على أبيه ؟ •• قال : بلى •• قال : فما هى يا أمير المؤمنين ؟

قال : أن ينتقى أمه •• وأن يحسن اسمه •• وأن يعلمه الكتاب — أى القرآن •

فقال الابن : يا أمير المؤمنين •• فان أبى لم يفعل شيئا من ذلك •• أما أمى فانها زنجية كانت لمجوسى •• وقد سمانى جعلا — أى جعرانا — ولم يعلمنى من الكتاب حرفا واحدا (!!) •

فالتفت عمر رضى الله عنه الى الرجل وقال له : قم •• فقد عققت ابنك قبل أن يعقك •• وأسأت اليه قبل أن يسىء اليك ••

* * *

● وأول واجبات الأب نحو أبنائه أن يحسن اختيار الزوجة الصالحة حتى تكون أما صالحة لهم ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم وخضراء الدمن •• قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء »[٣] •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس »[٤] •

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة على احدى خصال : لجمالها ، ومالها ، وخلقها ، ودينها •• فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك »[٥]

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

---

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والبيهقى .
(٣) رواه الدارقطنى . (٤) رواه ابن ماجه .
(٥) رواه أحمد .

عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع : لمـالها ولحسنها ولجمالها ولدينها .. فاظفر بذات الدين تربت يداك »[٦] .

وعنه أيضا قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس خير ؟ قال : « التى تسره اذا نظر .. وتطيعه اذا أمر .. ولا تخالفه فى نفسها ولا مالها بما يكره »[٧] .

واخرج سعيد بن منصور من حديث يحيى بن جعدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير فائدة افادها المرء المسلم بعد اسلامه : امرأة جميلة تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا أمرها وتحفظه فى غيبته وماله ونفسها » .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا .. ومن تزوجها لمـالها لم يزده الله الا فقرا .. ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة .. ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه .. بارك الله له فيها وبارك لها فيه »[٨] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن .. ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن .. ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل » .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انى أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال .. الا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ .. فنهاه .. ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك .. ثم أتاه الثالثة فقال له : « تزوجوا الودود الولود .. فانى مكاثر بكم الأمم »[٩] .

* * *

● وأن يستتر حين يأتى أهله ويتعوذ من الشيطان ..

عن عتبة بن عبد السلمى رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردا تجرد العيرين »[١٠] .

---

(٦) رواه البخارى ومسلم .
(٧) رواه النسائى والحاكم .
(٨) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٩) رواه أبو داوود والنسائى .
(١٠) رواه ابن ماجه .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والتعرى فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين يفضى الرجل الى أهله .. فاستحيوهم وأكرموهم »[١١] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو ان أحدكم اذا أتى أهله قال : بسم الله .. اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا .. فقضى بينهما ولد لم يضره »[١٢] .

* * *

● وأن يؤذن فى أذنه بعد ولادته :

عن الحسين بن على رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى .. وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان »[١٣] .

وروى عن أبى رافع رضى الله عنه — مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن فى أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة »[١٤] .

* * *

● وأن يتخير له اسما حسنا .. ذكرا كان أم أنثى ..

روى أبو داوود باسناد حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم .. فأحسنوا أسماءكم » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أحب أسمائكم الى الله عز وجل : عبد الله وعبد الرحمن »[١٥] .

وعن أبى وهيب الجشمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسموا بأسماء الأنبياء .. وأحب الأسماء الى الله : عبد الله وعبد الرحمن .. وأصدقها : حارث وهمام .. وأقبحها : حرب ومرة »[١٦] .

---

(١١) رواه الترمذى . (١٢) رواه البخارى ومسلم .
(١٣) رواه ابن السنى — وام الصبيان : هى القرينة من الجن .
(١٤) رواه أبو داوود والترمذى .
(١٥) رواه مسلم . (١٦) رواه أبو داوود والنسائى .

وعن سعيد بن المسيب بن حزن عن أبيه •• أن أباه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما اسمك ؟ قال : حزن •• فقال : أنت سهل •• قال : لا أغير اسما سمانيه أبى (!!) — يقول ابن المسيب : فما زالت الحزونه فينا بعد — أى غلظ الوجه وقساوته[17] — •

وقد غير النبى صلى الله عليه وسلم اسم عاصية الى جميلة ، وبرة الى زينب ••

* * *

● ومن السنة أن يعق عنه يوم سابعه ••

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم : أمر بتسمية المولود يوم سابعه ووضع الأذى عنه والعق عنـــه[18] •

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق ويسمى »[19] •

وعن سلمان بن عامر الضبى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مع الغلام عقيقته •• فأهريقوا عليه دما وأميطوا عنه الأذى »[20] •

وعن أم كرز الكعبية قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عن الغلام شاتان متكافئتان •• وعن الجارية شاة » •

وذكر ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن بشاة •• وقال : « يا فاطمة •• احلقى رأسه وتصدقى بوزنه فضة على المساكين » فوزناه فكان وزنه درهما أو بعض درهم[21]

* * *

● وأن يختنه •• ذكرا كان أم أنثى ••

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « سبع من السنة فى الصبى : يسمى فى السابع ، ويختن ، ويماط عنه الأذى ، وتثقب أذنه — اذا كان أنثى — ويعق عنه ، ويحلق رأسه ، ويلطخ من عقيقته — أى يصبغ

---

(١٧) رواه البخارى . (١٨) رواه الترمذى .
(١٩) رواه أبو داوود والترمذى .
(٢٠) رواه الخمسة . (٢١) رواه احمد والترمذى .

شعر رأسه بعد حلقه بدم العقيقة ثم يدفن — ويتصدق بوزن شعر رأسه ذهبا أو فضة »[٢٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الفطرة خمس : الاستحداد — أى حلق العانة — والختان ، وقص الشارب ، ونتف الابط ، وتقليم الأظافر »[٢٣] .

وعن شداد بن أوس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الختان سنة للرجال مكرمة للنساء »[٢٤] .

وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يا نساء الأنصـــار .. اختضبن غمسا ، واختفضن ولا تنهكن ، واياكن وكفران النعمة »[٢٥] .

ويستحب أن يكون الختان يوم السابع من ولادته .. فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم ختن الحسن والحسين يوم السابع من ولادتهما[٢٦] .

* * *

● وأن ينفق عليهم .. من كسب طيب ، ولا يطعمهم الا من حلال .

روى الطبرانى فى الأوسط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سعى على عياله من حله .. فهو كالمجاهد فى سبيل الله .. ومن طلب الدنيا حلالا فى عفاف كان فى درجة الشهداء » ..

وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل .. فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه فقالوا : يا رسول الله .. لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله .. وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله .. وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » .

وروى البيهقى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب والسباحة .. وألا يرزقه الا طيبا » .

---

(٢٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط .
(٢٣) رواه البخارى ومسلم .
(٢٤) رواه أحمد والبيهقى .
(٢٥) أخرجه ابن عدى .
(٢٦) أخرجه الحاكم والبيهقى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دينار أنفقته فى سبيل الله •• ودينار أنفقته فى رقبة •• ودينار تصدقت به على مسكين •• ودينار أنفقته على أهلك : أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك »[٢٧] •

وعن ثوبان بن بجدد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله •• ودينار ينفقه على دابته فى سبيل الله •• ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله »[٢٨] •

وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهى له صدقة »[٢٩] •

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت »[٣٠] •

ورواه مسلم بمعناه قال : « كفى بالمرء اثما أن يحبس عمن يملك قوته » ••

وعن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا » ــ وضم اصبعيه[٣١] •

وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يبن ــ أى يقمن ــ أو يمتن •• الا كن له حجابا من النار » •• فقالت امرأة : يا رسول الله •• وابنتان ؟ قال : وابنتان[٣٢] •

❋ ❋ ❋

● وأن يساوى بينهم فى المعاملة ويتوخى العدل بينهم ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ساووا بين أولادكم فى العطية •• فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء »[٣٣] •

---

(٢٧) رواه مسلم •
(٢٨) رواه مسلم •
(٢٩) متفق عليه •
(٣٠) رواه ابو داوود •
(٣١) رواه مسلم •
(٣٢) رواه البيهقى •
(٣٣) رواه البيهقى والطبرانى •

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى نحلت ابنى هذا غلاما كان لى .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكل ولدك نحلته مثل هذا » ؟ فقال : لا .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأرجعه » ..

وفى رواية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفعلت هذا بولدك كلهم » ؟ قال : لا .. فقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » .. فرجع أبى فرد تلك الصدقة .

وفى رواية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بشير .. ألك ولد سوى هذا » ؟ قال : نعم .. قال : « أكلهم وهبت له مثل هذا » ؟ قال : لا .. فقال صلى الله عليه وسلم : « فلا تشهدنى اذن .. فانى لا أشهد على جور » ..

وفى أخرى : « أشهد على هذا غيرى — ثم قال : أيسرك أن يكونوا اليك فى البر سواء » ؟ قال : بلى .. فقال صلى الله عليه وسلم : « فلا اذن »[٣٤] .

وانما سقنا هذا الحديث برواياته المتعددة .. ليعلم الآباء الذين يفرقون بين أبنائهم فى المعاملة .. ويفضلون بعضا على بعض .. مدى الجناية التى يجنونها على أبنائهم .. اذ يزرعون بينهم بذور الحقد والكراهية .. ويدفعونهم الى قطع الأرحام التى أمر الله بها أن توصل .. وقد سماها الرسول صلى الله عليه وسلم جورا .. وأبى أن يشهد عليه ..

* * *

● وأن يحسن تأديبهم وتربيتهم ورعايتهم .. وأن يعلمهم القرآن وأحكام الدين .. كما يعلمهم الفروسية والسباحة والرماية ..

روى البيهقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتاب .. والسباحة .. وألا يرزقه الا طيبا » .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر يوما .. فقرأ قوله تعالى : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »**[٣٥] ثم قال : « **ألا ان** القوة الرمى .. ألا ان القوة الرمى .. ألا ان القوة الرمى »[٣٦] .

---

(٣٤) متفق عليه .
(٣٥) الأنفال : ٦٠ .
(٣٦) رواه مسلم .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارموا واركبوا •• وان ترموا أحب الى من أن تركبوا •• ومن ترك الرمى بعد ما علمه رغبة عنه : فانها نعمة تركها — أو قال : كفرها »(٣٧) •

وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم ينتضلون — أى يتسابقون فى الرمى — فقال : « ارموا بنى اسماعيل فان اباكم كان راميا •• وأنا مع بنى فلان » •

فأمسك أحد الفريقين بأيديهم •• فقال صلى الله عليه وسلم : « ما لكم لا ترمون » ؟ قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال : « ارموا وأنا معكم كلكم »(٣٨) •

وعن عطاء بن أبى رباح رضى الله عنه قال : رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصارى يرتميان — أى يتسابقان فى الرمى — فمل أحدهما فجلس فقال الآخر : كسلت ؟ •• سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كل شىء غير ذكر الله فهو لهو أو سهو •• الا أربع خصال : مشى الرجل بين الغرضين ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليم السباحة »(٣٩) •

* * *

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين •• واضربوهم عليها لعشر سنين •• وفرقوا بينهم فى المضاجع »(٤٠) •

وعن الربيع بنت معوذ رضى الله عنها قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة يوم عاشوراء الى قرى الأنصار التى حول المدينة : « من كان أصبح صائما فليتم صومه •• ومن كان مفطرا فليتم بقية يومه » •• فكنا بعد ذلك نصومه ونصومه — بضم النون وتشديد الواو مع كسرها — صبياننا الصغار منهم •• ونذهب الى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن — أى الصوف — فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناها اياه حتى يكون عند الافطار(٤١) ••

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم »(٤٢) •

---

(٣٧) رواه أبو داوود .
(٣٨) رواه البخارى .
(٣٩) رواه الطبرانى .
(٤٠) رواه احمد وابو داوود .
(٤١) رواه الشيخان .
(٤٢) رواه ابن ماجه .

وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن »[٤٣] .

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع »[٤٤] .

ومر قوم من الأعراب على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : أتقبلون صبيانكم ؟ قالوا : نعم .. فقالوا : لكنا والله ما نقبل .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « وما أملك ان كان الله قد نزع منكم الرحمة »[٤٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كان له ولد فليتقارب له .. وليكن معه كما يكون الصبى مع الصبى ملاطفة له » .

كما قال : « من كان عنده صبى فليتصاب له »[٤٦] .

❋ ❋ ❋

وروى أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه غضب يوما على ابنه يزيد .. فأرسل الى الأحنف بن قيس فقال له : يا أبا بحر .. ما تقول فى الولد ؟

قال : يا أمير المؤمنين .. ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا .. ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة .. وبهم نصول على كل جليلة ..

فان طلبوا فأعطهم .. وان غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم .. ويحبوك جهدهم ..

ولا تكن عليهم ثقلا ثقيلا .. فيملوا حياتك ويودوا وفاتك .. ويكرهوا قربك ..

فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف .. لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا على يزيد .. ولقد أصلحت من قلبى له .. وأرسل الى يزيد بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب .. فأرسل يزيد نصف ذلك الى الأحنف .

وقالت العرب قديما : الولد ريحانك سبعا .. وخادمك سبعا .. وهو بعد ذلك صديقك أو عدوك أو شريكك ..

❋ ❋ ❋

---

(٤٣) رواه الترمذى .
(٤٤) رواه الترمذى .
(٤٥) رواه ابن ماجه .
(٤٦) رواه ابن عساكر وابن بابويه .

ويقول الامام مالك بن أنس فى وصيته للخليفة هارون الرشيد :
« أدب ولدك ، ومن وليت أمره على خلقك وأدبك ، حتى يتأدبوا على ما أنت عليه ، فيكونوا لك عونا على طاعة الله . بلغنى عن ابن مسـعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وان أدب الله هو القرآن » .

* * *

وصـــايا خالدة

قـنـا ان من واجب الآباء نحو أبنائهم أن يحسنوا تأديبهم وتربيتهم ورعايتهم •• وأن يعلموهم القرآن وأحكام الدين ••

وقد حفظ لنا التاريخ الكثير من الوصايا الرائعة •• التى حفلت بالتجربة والحكمة ••

وما دمنا بصدد الحديث فى هذا الجانب •• فلا بأس من آن نورد بعض هذه الوصايا الخالدة ••

● عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « يا غلام •• انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك •• احفظ الله تجده تجاهك •• اذا سألت فاسأل الله •• واذا أستعنت فاستعن بالله •• واعلم آن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك •• وان اجتمعوا على آن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك •• رفعت الأقلام وجفت الصحف »[1] .

وفى رواية أخرى :

« احفظ الله تجده أمامك •• تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة •• واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك •• وما أصابك لم يكن ليخطئك •• واعلم أن النصر مع الصبر •• وأن الفرج مع الكرب •• وأن مع العسر يسرا »

* * *

● ومن وصية لأمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لابنه الحسن رضى الله عنه قال :

« من الوالد الفان ، المقر للزمان ، المدبر العمر ، المستسلم للدهر ، الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، والظاعن عنها غدا ••

« الى المولود المؤمل مالا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض الأسقام ورهينة الأيام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر

---

(١) رواه الترمذى .

المغرور وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب الآفات ،وصريع الشهوات ، وخليفة الأموات ••

« أما بعد •• فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عنى وجموح الدهر على ، واقبال الآخرة الى ، ما يزعنى عن ذكر من سواى ، والاهتمام بما ورائى • غير انى حيث تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى ، فصدفنى رأيى ، وصرفنى عن هواى ، وصرح لى محض أمرى ، فأفضى بى الى جد لا يكون فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب • ووجدتك بعضى ، بل وجدتك كلى ، حتى كأن شيئا لو أصابك أصابنى ، وكأن الموت لو أتاك أتانى ، فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى ، فكتبت اليك مستظهرا به ان أنا بقيت لك أو فنيت ••

« فانى أوصيك بتقوى الله — أى بنى — ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله • وأى سبب بينك وبين الله ان أنت أخذت به •

« أحى قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوه باليقين ، ونوره بالحكمة ، وذلله بذكر الموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ، وحذره صولة الدهر ، وفحش تقلب الليالى والأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين ، وسر فى ديارهم وآثارهم فانظر فيما فعلوا ، وعما انتقلوا ، وأين حلوا ونزلوا ، فانك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا ديار الغربة ، وكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم ، فأصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف ، والخطاب فيما لم تكلف ، وأمسك عن طريق اذا خفت ضلالته ، فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال ، وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وانكر المنكر بيدك ولسانك ، وباين من فعله بجهدك ، وجاهد فى الله حق جهاده ، ولا تأخذك فى الله لومة لائم ، وخض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه فى الدين ، وعود نفسك التصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر ، وألجىء نفسك فى الأمور كلها الى الهك ، فانك تلجئها الى كهف حريز ، ومانع عزيز ، وأخلص فى المسألة لربك ، فان بيده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة وتفهم وصيتى ، ولا تذهبن عنها صفحا ، فان خير العقول ما نفع ، واعلم أنه لا خير فى علم لا ينفع ، ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه ••

« أى بنى •• انى لمـا رأيتنى قد بلغت سنا ، ورأيتنى أزداد وهنا ، بادرت بوصيتى اليك ، وأوردت خصالا منها قبل أن يعجل بى أجلى دون أن أفضى اليك بما فى نفسى ، وأن أنقص فى رأيى كما نقصت فى جسمى ، أو يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا ، فتكون كالصعب النفور ، وانما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شىء قبلته ، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه ••

« أى بنى •• انى وان لم أكن عمرت عمر من كان قبلى ، فقد نظرت فى أعمالهم ، وفكرت فى أخبارهم ، وسرت فى آثارهم حتى عدت كأحدهم ، بل كأنى بما انتهى الى من أمورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر نخيله ، وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ، ورأيت حيث عنانى من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدهر ، ذو نية سليمة ونفس صافية ، وأن أبتدئك بتعليم كتاب الله وتأويله ، وشرائع الاسلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك الى غيره ، ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذى التبس عليهم ، فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك به الهلكة ، ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لقصدك ، فعهدت اليك وصيتى هذه ••

« واعلم يا بنى أن أحب ما أنت آخذ به الى من وصيتى تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آبائك ، والصالحون من أهل بيتك ، فانهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك بما عرفوا ، والامساك عما لم يكلفوا ، فان أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات ، وابدأ قبل نظرك فى ذلك بالاستعانة بالهك ، والرغبة اليه فى توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك فى شبهة ، أو أسلمتك الى ضلالة ، فاذا أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك فى ذلك هما واحدا ، فانظر فيما فسرت لك ، وان لم يجتمع

لك ما تحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك . فاعلم أنك انما تخبط العشواء ، وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خبط أو خلط ، والامساك عن ذلك أمثل ..

« فتفهم يا بنى وصيتى . واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت ، وأن المغنى هو المعيد ، وأن المبتلى هو المعافى ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء فى المعاد أو ما شاء مما لا نعلم ، فان أشكل عليك شىء من ذلك فاحمله على جهالتك به ، فانك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك ، فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك ، وليكن له تعبدك ، واليه رغبتك ، ومنه شفقتك .

« واعلم يا بنى أن أحدا لم ينبىء عن الله كما أنبأ عنه الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — فارض به رائدا ، والى النجاة قائدا ، فانى لم آلك نصيحة ، وانك لن تبلغ فى النظر لنفسك — وان اجتهدت — مبلغ نظرى لك ..

« واعلم يا بنى أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه اله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاده فى ملكه أحد ، ولا يزول أبدا ، ولم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية ..

« يا بنى .. اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ..

« واعلم أن الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع فى كدحك ولا تكن خازنا لغيرك . واذا أنت هديت لقصدك ، فكن أخشع ما تكون لربك ..

« واعلم يا بنى أن الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فان أنت لم تأته أتاك ، ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى ، ان لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، وان جزعت على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك . استدل على ما لم يكن

بما قد كان ، فان الأمور أشباه ، ولا تكن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت فى ايلامه ، فان العاقل يتعظ بالآداب ، والبهـائم لا تتعظ الا بالضرب ، اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين ، من ترك القصد جار ، والصاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه .

« ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها فى أن تتشفع بغيرها . وأياك والتغـاير فى غير موضع الغيرة ، فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم ، والبريئة الى الريب ، واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به ، فانه أحرى أن لا يتواكلوا فى خدمتك ، وأكرم عشيرتك ، فانهم جناحك الذى به تطير ، وأصلك الذى اليه تصير ، ويدك التى بها تصول ..

« أستودع الله دينك ودنياك ، وأسأله القضاء لك فى العاجلة والآجلة ، والدنيا والآخرة .. والسلام »[٢] .

***

● ومن وصية ذى الاصبع العدوانى لابنه « أسيد » :

« يا بنى .. ان أباك قد فنى وهو حى ، وعاش حتى سئم العيش ، وانى موصيك بما ان حفظته بلغت من قومك ما بلغته فاحفظ عنى :

« ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشىء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ..

« واسمح بمالك ، واحم حريمك ، واعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة فى الصريخ فان لك أجلا لا يعدوك ، وصن وجهك من مسألة أحد .. فبذلك يتم سؤددك »[٣] .

***

● ومن وصية أعرابية لابنتها ليلة زفافها[٤] :

« أى بنية .. ان الوصية لو تركت لعقـل وأدب ، أو مكرمة

---

(٢) كتبها الى ابنه رضى الله عنهمـا بحاضرين ــ بلدة من نواحى صفين ــ رأينا أن نثبتها بتمامها لمـا حوته من حكم وعظات بليغة .. نفعنا الله وأبناءنا بها .

(٣) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى جـ ٣ .

(٤) هى أمامة بنت الحارث الثعلبية أوصت بها ابنتها ليلة زفافها للحارث بن عمرو الكندى .

فى حسب لتركت ذلك منك ، ولزويته عنك ، ولكن الوصية تذكرة للعاقل ، ومنبهة للغافل ..

« أى بنية .. انه لو استغنت المرأة بغنى أبويها وشدة حاجتهما اليها لكنت أغنى الناس عن الزوج ، ولكن للرجال خلق النساء ، كما لهن خلق الرجال ..

« أى بنية .. انك قد فارقت الحواء الذى منه خرجت ، والوكر الذى منه درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك ملكا ، فكونى له أمة يكن لك عبدا ، واحفظى عنى خلالا عشرا تكن لك دركا وذكرا ..

« فأما الأولى والثانية : فالمعاشرة له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة ، فان فى القناعة راحة القلب ، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب .

« وأما الثالثة والرابعة : فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم أنفه منك الا طيب الريح . واعلمى — أى بنية — أن الماء أطيب الطيب المفقود ، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود .

« وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه والهدوء عند منامه ، فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

« وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية على حشمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير ، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير .

« وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشى له سرا ، ولا تعصى له أمرا ، فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره أوغرت صدره .

« واتقى الفرح لديه ان كان ترحا ، والاكتئاب عنده ان كان فرحا ، فان الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ..

« واعلمى أنك لن تصلى الى ذلك منه حتى تؤثرى هواه على هواك ، ورضاه على رضاك ، فيما أحببت وكرهت ..

« والله يخير لك ، ويصنع لك برحمته » ..

***

● وأوصى حكيم ابنته عند زفافها .. قال :

« يا بنية .. قد كانت أمك أحق بتأديبك منى لو كانت باقية .. أما الآن فأنا أحق بتأديبك من غيرى .. فافهمى عنى ما أقول ..

« انك خرجت من العش الذى فيه درجت •• وصرت الى فراش لا تعرفينه ، وقرين لا تألفينه •• فكونى له أرضا يكن لك سماء •• وكونى له مهادا يكن لك عمادا •• وكونى له أمة يكن لك عبدا •• ولا تلحقى به ولا تباعدى عنه فينساك •• ان دنا منك فادنى منه •• وان نأى عنك فابعدى عنه •• واحفظى أنفه وسمعه فلا يشم منك الا طيبا •• ولا يسمع الا حسنا •• ولا ينظر الا جميلا •• وكونى معه كما قلت لأمك ليلة ابتنائى بها » ••



عود الى وصايا لقمان

● يقول الله تعالى : « **واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** »[1] .

ذكر الامام القرطبى فى تفسير هذه الآية : « قوله تعالى : « **واتبع سبيل من أناب الى** » وصية لجميع العالم كأن المأمور به الانسان ، « وأناب » معناه : مال ورجع الى الشىء .. وهذه سبيل الأنبياء والصالحين .. وحكى النقاش أن المأمور سعد ، والذى أناب أبو بكر .. وقال : ان أبا بكر لما أسلم أتاه سعد وعبد الرحمن ابن عوف وعثمان وطلحة وسعيد والزبير فقالوا : آمنت ؟ قال : نعم .. فنزلت فيه : « **أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه** »[2] فلما سمعها الستة آمنوا .. فأنزل الله تعالى فيهم : « **والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى ، فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب** »[3] .

وقيل : الذى أناب النبى صلى الله عليه وسلم ..

وقال ابن عباس : : ولما أسلم سعد .. أسلم معه أخواه عامر وعويمر ، فلم يبق منهم مشرك الا عتبة .

ثم توعد الله عز وجل بالبعث من فى القبور والرجوع اليه للجزاء والتوقيف على صغير الأعمال وكبيرها »[4] .

* * *

---

(١) لقمان : ١٥ — (٢) الزمر : ٩

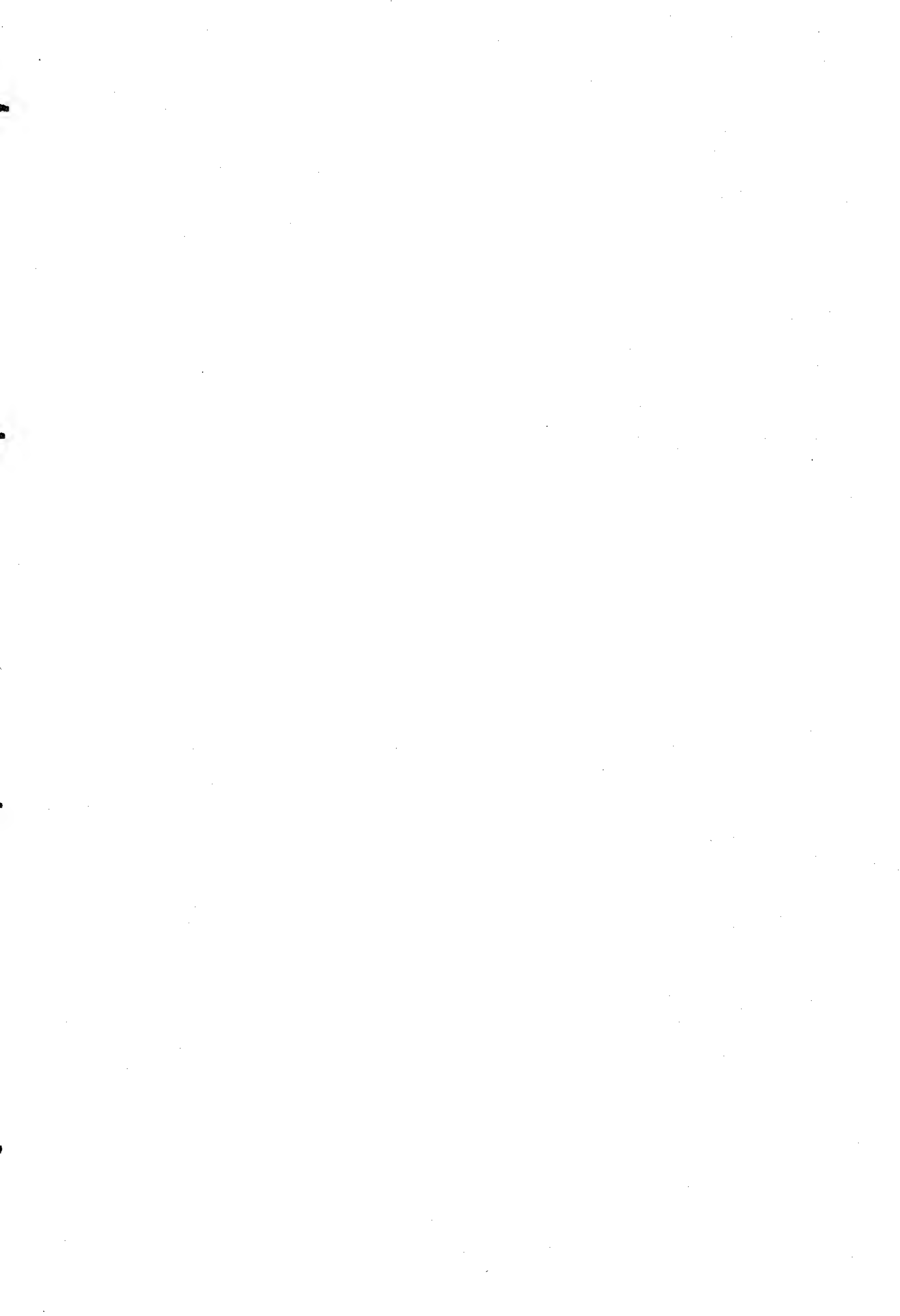
(٣) الزمر : ١٧ ، ١٨

(٤) الجامع لأحكام القرآن ـــ للامام القرطبى .

الفصل الرابع

المرجعُ إلى اللّه

* قضايا غيبية ..
* رحلة القدوم « الميلاد »
* رحلة العودة « الموت »
  - واجبات نحو الموتى ..
  - بداية الطريق
* عالم البرزخ
* علامات على الطريق
* البعث والنشور والحساب
* من أهوال يوم القيامة
* نهاية المطاف .. جنة أو نار !!



المرجع الى الله ..

خلق الله آدم — عليه السلام — من أديم الأرض .. ليكون خليفة فيها .. وخلق له حواء زوجا .. وأسكنهما الجنة وقال لهما : « **يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظالمين** »[1] .

ولمـا كان الشيطان هو عدوهما الوحيد .. فان الله تعالى لم يتركهما دون تحذير .. فقال لهما : « **يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى** »[2] .

غير أنهما ضعفا عن مقاومة اغراء الشيطان .. فعصيا ربهمـا وأكلا من الشجرة .. فكانت عاقبتهما الاخراج من الجنة .. والهبوط الى الأرض التى خلقا منها : « **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين** »[3] .

وذلك حتى تتم عمارة الأرض والخلافة فيها .. فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الناس من الأرض .. وأن يخرج لهم أرزاقهم منها .. وفيها يحيون .. ثم اذا ماتوا عادوا اليها ودفنوا فى باطنها .. ومنها يخرجهم الله مرة أخرى : « **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** »[4] .

ولم يترك الله الناس فى الأرض سدى .. بل حذرهم من الشيطان وكيده .. فقال تعالى : « **يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنـا الشياطين أوليـاء للذين لا يؤمنون** »[5] .

---

(١) البقرة : ٣٥ — (٢) طه : ١١٧

(٣) البقرة : ٣٦ — (٤) طه : ٥٥

(٥) الأعراف : ٢٧

كما لم يجبر الناس على التزام طريق واحدة •• بل بين لهم طريق الخـــير وطريق الشر •• وبين عاقبة ســلوك كل منهما •• فقال تعالى : « **انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا** »[٦] •

ولم يترك الله الناس وشأنهم أمام غواية الشيطان •• بل أرشدهم الى طريق الخير والفلاح •• فأرسل الرسل لهدايتهم والأخذ بأيديهم الى طريق النجاة •• فقال تعالى : « **فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون** »[٧] •

ووعد المؤمنين بالثواب فى الآخرة •• وتوعد الكافرين بالعقاب فيها •• فقال تعالى : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** »[٨] •

وأخبرهم تعالى أن اليه المعاد •• فقال عز من قائل : « **واتبع سبيل من أناب الى ، ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** »[٩] •

وقضى سبحانه •• أن كل انسان رهين بعمله •• وأنه لا تمييز بين الناس الا بالعمل الصالح •• فقال تعالى : « **وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيـــامة كتابا يلقاه منشورا • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا • من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** »[١٠] •

* * *

* قضايا غيبية :

سيجد القارىء الكريم •• أن هذا الفصل قد بني على النصوص الواردة فى الكتاب والسنة •• ذلك لأنه يتنـــاول قضايا : الخلق ، والتكوين ، والموت والبعث والحساب ، ثم الجنة أو النار ••

لهذا •• فان الطريق الوحيد للتعرض لهذه الأمور •• هو الاعتماد الكامل على ما ورد فى القرآن الكريم •• وما جاءت به الأحاديث النبوية الشريفة •• وطرح ما عدا ذلك من آراء وفلسفات •

---

(٦) الانسان : ٣
(٧) البقرة : ٣٨ ، ٣٩
(٨) الزلزلة : ٧ ، ٨
(٩) لقمان : ١٥
(١٠) الاسراء : ١٣ — ١٥

كما سيلاحظ القارىء .. أن هذا الفصل هو أطول فصول الكتاب .. وما ذلك الا لانه يتناول مسالة الوجود والعدم .. وهى اخطر قضايا الانسان على الاطلاق ..

وما كان لنا — ونحن نقف أمام قوله تعالى : « **ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** » — أن نكتفى بشرح للألفاظ لا يتجاوز صفحة أو بعض صفحه .. ثم ننتقل الى بقية الوصايا التى أتى بها لقمان الحكيم .. فالأمر أكبر من ذلك وأخطر .. انه قضيه الانسان ..

ولم يكن لنا من فضل فى اعداد هذا الفصل .. سوى التنسيق بين عشرات الآيات ومئات الأحاديث التى تناولت الموضوع .. ثم التدخل — بين الحين والآخر — بالتعليق بما يفسر ما غمض منها ..

والأمل .. أن يغفر لنا القارىء التزام هذا الموقف — فى هذا الفصل — فما يستطيع العقل — أى عقل — أن يخوض فى مثل هذه القضايا الغيبية دون الاعتماد الكامل على الكتاب والسنة .. والله وحده المستعان .



● يقول الله تعالى : ((ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين • ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين))[1] •

ويقول تعالى : ((الذى أحسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين • ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين • ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون))[2] •

ويقول جل شأنه : ((هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى من قبل ، ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون))[3] •

ويقول جل وعلا : ((أيحسب الانسان أن يترك سدى • ألم يك نطفة من منى يمنى • ثم كان علقة فخلق فسوى • فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى • أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى))[4] •

* * *

خلق الله الانسان من ذكر وأنثى •• وهيأ كل منهما لأداء وظيفته فى الحياة ••

وشرع الزواج سبيلا لتكوين الأسرة ••

وجعل الحمل وسيلة الانسان الوحيدة للتناسل •

فيقول تعالى : ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء))[5] •

ويقول جل شأنه : ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة))[6] •

وجعل سبحانه وتعالى من وظيفة الرجل انتاج الملايين من الخلايا

---

(١) المؤمنون : ١٢ ـ ١٤ (٢) السجدة : ٧ ـ ٩
(٣) غافر : ٦٧ (٤) القيامة : ٣٦ ـ ٤٠
(٥) النساء : ١ (٦) الروم : ٢١

الصغيرة — التى لا ترى بالعين المجردة — وجعلها كاملة النضج صالحة للاخصاب ..

كما جعل وظيفة الأنثى : الحمل والوضع والرضاع .. وزودها بما يساعدها على أداء وظيفتها ..

وهيأ أجهزة الأنثى للعمل فى تناسق تام .. وفق نظام رتيب أودعه فيها .. بحيث تتخذ هذه الأجهزة لكل خطوة — من حمل ووضع ورضاع — دواعيها !!

ولقد وقف بنا علم وظائف الأعضاء عند الحدود المشاهدة الملموسة .. فلم يتجاوزها الى حقائق الأمور كما أبدعها الله تعالى وأودعها أسراره ..

لم يستطع العلم أن يصل بنا الى كيفية التطور من الماء المهين .. الى العلقة .. ثم المضغة .. ثم العظام .. فاللحم .. فتكوين الجنين متكاملا حاملا للصفات الوراثية .. من ملامح وخصائص !!

ثم ماهية الروح . وكيف تنفخ فى الجنين !!

وأخيرا .. الخروج الى الدنيا انسانا متكاملا !!

كل ما استطاع العلم الوصول اليه .. وصف المشاهد التى تحدث .. أما الأسرار الخفية فعلمها عند الله وحده ..

يقول الله تعالى : **« فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب »**(٧) .

ويقول جل شأنه : **« ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين »**(٨) .

يحاول العلم وصف هذه العملية الرائعة .. فيقف عاجزا أمام أسرارها .. فيكتفى باطلاق عبارة « التطور » عليها .. ليزيدنا حيرة الى حيرة .. ولا نملك الا أن نقرر مبهورين : « تبارك الله أحسن الخالقين » !!

* * *

تولد الأنثى .. وفى مبيضها حوالى السبعين ألف « بويضة » غير ناضجة .. أودع الله كل منها فى كيس صغير يسمى « الحويصلة » .. وتظل هذه البويضات دون نمو يذكر حتى قرابة سن المراهقة .. وعندئذ يأذن الله للفص الأمامى للغدة النخامية فى افراز هرموناته ..

---

(٧) الطارق : ٥ — ٧ (٨) المرسلات : ٢٠ ، ٢١

ومنها هرمون خاص وظيفته حث الحويصلات وبويضاتها على النمو •• ولا يبلغ منها الى درجة النضج الكامل سوى واحدة فقط فى كل دورة شـــهريه !!

ولو قدرنا سن الاخصاب فى المرأة بثلاثين عاما •• لاتضح لنا أنه لا يبلغ الى درجة النضج الكامل سوى أربعمائة بويضة ــ على وجه التقريب ــ أما البويضات الباقية فانها تضمر خلاياها •• ثم تبتلعها « الابلعمات » ــ وهى خلايا خاصة أودعها الله تعالى جســم الانسان لتخليصه من أى مادة غير مرغوب فيهـــا ، وذلك بالتهامها وبلعهـــا !!

وتبـــدأ الحويصلة المحتوية على البويضة فى الكبر شيئا فشيئا ــ بداخل المبيض ــ وينشأ عن ذلك تجمع سائل تفرزه الخلايا الجدارية المبطنة للحويصلة •• ومع تراكم ذلك السائل وتجمعه تكبر الحويصلة وتنتفخ ويرق جدارها •• ثم لا تلبث أن تنفجر وتنطلق البويضة منها •• يدفعها السائل الحويصلى نحو شراريب « بوق فالوب » •• والتى تتلقفها بدورها وتدخلها الى البوق •• وتسمى هذه العملية ــ التى تحدث فى الفترة ما بين اليوم الرابع عشر الى الســـادس عشر من الدورة الشهرية ــ بالتبويض •• ويتناوب المبيضان هذه العملية !!

وقد زود الله تعالى السائل الحويصلى •• بهرمون خاص أطلق عليه العلماء اسم « الاستروجين » •• وهذا الهرمون يؤثر فى جدار الرحم •• حيث يتضخم الغشاء المبطن له •• وتمتلىء أوعيته الدموية بالدم •• حتى يبلغ ذروته حوالى اليوم الرابع عشر •• استعدادا لتلقى البويضة اذا شاء الله لها الاخصاب !!

وعندما يتم اللقاء •• تبدأ ملايين « الخلايا الذكرية » فى الحركة السريعة •• مستعينة بذيلها الذى زودها الله به •• ولا يعبر قناة الرحم سوى عدد قليل •• وبمجرد اجتياز هذا العدد تتسابق حتى تصل الى البوق الذى تستكن « البويضة » بداخله •• والتى يخرج منها ــ بمجرد اقتراب هذه الخلايا ــ بروز لالتقاط الخلية التى تنجح فى الوصول اليها •• وينفصل رأسها بمجرد ملامسته واجتيازه لهذا البروز •• لتعود « البويضة » الى وضعها الأول •• وعلى الفور تقوم بتكسية نفسها بغلاف يمنع دخول المزيد من الخلايا !!

وهنا يكون الاخصاب قد تم •• واتحدت النواتان •• ولا زالت « البويضة » بداخل « البوق » !!

أى ابداع •• وأى قدرة ؟!

« تبارك الله أحسن الخالقين » •

ثم تبدأ بعد ذلك عملية رائعة •• فتأخذ « البويضة » المخصبة فى الانقسام الى اثنتين •• وتنقسم كل منهما بدورها الى اثنتين •• وهكذا !!

بينما تنتقل « البويضة » عبر « البوق » حتى تصل الى « الرحم » •• وتظل هائمة فيه غير مستقرة يومين أو ثلاثة •• ثم تلتصق بواسطة شعيرات دقيقة تمتد من جدرها •• بينما تفرز مادة لزجة بمجرد لمس الغشاء المبطن للرحم •• حتى تساعدها هذه المـادة على الالتصاق به !!

وما تنقضى بضع ساعات •• الا وتكون « البويضة » قد حفرت لنفسها مكانا داخل الغشاء لتستقر فيه •• بعد أن أصبحت « علقة » !!

ويمد الله تعالى « العلقة » باحتياجاتها من غذاء وأكسوجين من دم الأم •• ثم تأخذ « العلقة » فى النمو والتطور •• الى أن تشعر الأم بحركة الجنين فى أحشائها فى الأسبوع السادس عشر لبدء الحمل !!

ويأذن الله للحمل بالاكتمال •• وتشعر الأم بآلام الوضع التى تستمر عادة يوما أو يومين •• ثم تبدأ رحلة الحياة بنزول الجنين الى الحياة طفلا !! [٩] •

سبحان الله : **« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث »**[١٠] •

وصدق الله تعالى القائل : **« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا »**[١١] •

* * *

روى الامام مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق • قال : « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما •• ثم يكون

---

(٩) أخذنا المعلومات الطبية عن كتاب « الأنثى » للدكتور احمد محمد كمال ، رحمه الله .

(١٠) الزمر : ٦

(١١) الحج : ٥

فى ذلك علقة مثل ذلك •• ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك •• ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه . وأجله ، وعمله ، وشقى أو سعيد •• فوالذى لا اله غيره •• ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع •• فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها •• وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

وعن حذيفة بن أسيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين — أو خمسة وأربعين ليلة — فيقول : يا رب •• أشقى أو سعيد ؟ فيكتبان •• فيقول : أى رب •• أذكر أو أنثى ؟ فيكتبان •• ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه •• ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص »[12] .

وعن عامر بن واثلة أنه سمع عبد الله بن مسعود — رضى الله عنهم — يقول : الشقى من شقى فى بطن أمه •• والسعيد من وعظ بغيره ••

فأتى رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له حذيفة بن أسيد الغفارى فحدثه بذلك من قول ابن مسعود •• فقال : وكيف يشقى رجل بغير عمل ؟

فقال له حذيفة : أتعجب من ذلك ؟ •• فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة •• بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها •• ثم قال : يا رب •• أذكر أم أنثى ؟ •• فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك •• ثم يقول : يا رب •• أجله ؟ فيقول ربك ما شاء •• ثم يقول : يا رب •• رزقه ؟ فيقضى ربك ما شاء •• ويكتب الملك •• ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص »[13] .

وعن حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم — بأذنى هاتين — يقول : « ان النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة •• ثم يتصور عليها الملك •• فيقول : يا رب •• أذكر أو أنثى ؟ •• فيجعله الله ذكرا أو أنثى . ثم يقول : يا رب •• أسوى أو غير سوى ؟ •• فيجعله الله سويا أو غير سوى . ثم يقول :

---

(١٢) رواه مسلم .

(١٣) رواه مسلم .

يا رب .. ما رزقه ؟ ما أجله ؟ ما خلقه ؟ .. ثم يجعله الله شـــقيا أو سعيدا »[١٤] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكا .. فيقول : أى رب .. نطفة ؟ أى رب .. علقة ؟ أى رب .. مضغة ؟ .. فاذا أراد الله أن يقضى خلقا قال الملك : أى رب .. ذكر أو أنثى ؟ شقى أو سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه »[١٥] .

* * *

ومن الأمور المستغربة حقا .. أن الناس — فى زماننا هذا — شغلوا أنفسهم عن الفروض والواجبات التى افترضها الله ورســوله عليهم .. بما ليس لهم فيه دخل أو يستطيعون معه حيلة ..

أمرنا الله تعالى بافراد العبادة له وحده ..

فأشرك الناس معه الأنداد والوسطاء والشفعاء !!

وأمرنا بطاعة رسوله — صلى الله عليه وسلم — والتمسك بسنته واتباع هديه ..

فأعرضوا عن سنة نبيهم .. وأقبلوا على البدع المنكرة والعادات المرذولة .. ما لم ينزل الله به سلطانا !!

فرض علينا اقامة الصلاة .. وأداء الزكاة .. وصوم شهر فى العـــام ..

فاكتفى الناس من الصلاة بحركاتها .. ومن الزكاة بالنذر اليسير يعطونه للفقير على كره منهم .. ومن الصوم بهجر الطعام والشراب !!

وفرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ..

وكم من مستطيع للحج لم يخطر له الحج على بال !!

انما جعلوا أكبر همهم الحرص على الحياة الدنيا واطالة أعمارهم فيها .. ولم يفكروا فيما بعد الحياة .. وغفلوا عن أن الموت لاحقهم لا محالة .. طال العمـــر أو قصر .. ولم يعظهم ما آل اليه الآباء والأجـــداد !!

كما اهتموا بالاســـتكثار من المـــال .. يكتنزونه ويعدونه ذخرا للمستقبل .. ومعينا على الأيام المقبلة .. وكأنما كتب لهم الخلود على هذه الأرض الفانية .

---

(١٤) رواه مسلم .

(١٥) رواه البخارى ومسلم .

ولو أيقن الناس حقا أن الأجل والرزق بيد الله وحده •• وأنهما مقدران بقدر قدره تعالى وكتبه لهم فى بطون أمهاتهم •• لأنصفوا أنفسهم وتركوا أمر العمر والرزق لله تعالى المتصرف فيهما •• ليدبر لهم معاشهم وآجالهم بحكمته •• ولشغلوا أنفسهم بما افترضه الله عليهم وما سنه لهم رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ منهاجا كاملا لمعاشهم ومعادهم ••

فاللهم أرنا الحق حقـــا وارزقنا اتباعه •• وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ••

* * *

رحلة العودة « الموت »

تبدأ رحلة الانسان فى الحياة بالميلاد •• طفلا صغيرا لا يدرى من أمره شيئا •• يحتاج الى حنان الأم وعطف الأب فى تغذيته ورعايته وتربيته ••

ثم يبدأ فى الاعتماد على نفسه شيئا فشيئا •• ويصبح شابا يافعا •• ثم رجلا مكتمل الرجولة •• فكهلا •• ثم شيخا فانيا •••

ثم تنتهى الحياة بالموت بعد أن تغادر الروح الجسد ••

وقد أثبت العلم •• أن ما يحدث للجسم بعد الموت أمر غريب بالغ الغرابة •• عجيب أشد العجب ••

فسواء دفن الجسد فى القبر •• أى قبر •• أم غرق فى البحر •• حرق بالنار أو أكلته السباع والحيوانات •• فانه يتحلل الى عناصره الرئيسية الأولى المكونة له •• وهى عناصر التراب المعروفة والتى يتكون منها •• وهى : الكربون ، والأكسوجين ، والايدروجين ، والفسفور ، والكبريت ، والآزوت ، والكالسيوم ، والبوتاسيوم ، والصوديوم ، والكلور ، والمغنسيوم ، والحديد ، والمنجنيز ، والنحاس ، واليود ، والفلورين ، والكوبالت ، والزنك ، والسلكون ، والألومنيوم ••• الخ !!

هذا ما أثبته العلم الحديث بتحليل جسم الانسان تحليلا معمليا !!

فالأجساد عندما تقبر •• تبدأ البيكتريا والجراثيم فى تحليلها الى تراب •• وهو ما يشاهد فعلا فى كافة القبور ••

والجسم يعود بالموت الى عناصره التى تكون منها •• وهذه تختلط بالتربة •• أيا كانت هذه التربة •• فى أعماق البحر أم فى الصحراء •• أم فى الأرض •• أى أرض !![1] •

هذا هو مصير الأجساد •• فهل هذه هى النهاية التى لا نهاية بعدها ؟! أم أن هذه هى مجرد البداية •• التى يبدأ بها الانسان رحلته الخالدة ؟!

* * *

---

(١) راجع كتاب « يوم القيامة » للدكتور عبد الرزاق نوفل رحمه الله .

يموت الأب .. أو الابن .. أو الزوج .. أو الأخ !!

وتموت الأم .. أو البنت .. أو الزوجة .. أو الأخت !!

كما يموت الجد والجدة . والعم والعمة .. والخال والخالة ..

أيا كانت صفة الميت .. فالامر سواء .. والكل سوف يموت !!

ويتجمع الأبناء والاباء .. والاخوة والاخوات .. والأهل والأصدقاء .. واجمين محزونين .. قد هالهم المصاب وأفزعتهم المفاجأة !!

وتتساقط عبرات .. ويرتفع نشيج محتوم .. وتتعالى صيحات ثكلى .. كلها تبكى خلال الراحل الكريم .. وتتذكر محاسنه وتعدد مآثره !!

ثم ينتبه القوم الى أمر لا فكاك منه .. اذ لابد أن يثوى الراحل الكريم التراب .. مهما كان عزيزا أو حبيبا .. فهكذا سنة الحياة !!

وينشر نعى الفقيد الغالى فى الجرائد .. وتطير أسلاك البرق النبأ المشئوم .. ويتجمع الأهل والأصدقاء ليحملوا الفقيد العزيز الى مثواه الأخير !!

ثم تخرج الجنازة .. يحفها الجلال والوقار .. ومن حولها يرتفع البكاء والعويل .. والناس بين محزون ومتحزن .. فاذا ما ووري الجسد التراب .. واستقر الفقيد العزيز فى قبره .. عاد كل منهم الى بيته وأهله .. يتحدث عن جلال المشهد وعظمة الموكب !!

وفى المساء .. يقام السرادق الفخم الضخم .. ويجلس للتلاوة فيه مشاهير القراء .. يرتلون ما تيسر لهم من آيات الله البينات .. بأصوات عذبة جميلة .. وبأحلى الأنغام والألحان .. يتخيرون منها آيات الصبر والتبشير بالجنة الوارفة والنعيم المقيم .. ويتبارى الخطباء والوعاظ فى التخفيف عن الأهل فى مصابهم الفادح !!

وفى الصباح .. تشرق الشمس فى موعدها تماما .. ما تتخلف لحظة واحدة .. وتسير الحياة سيرها المعتاد .. لا يتغير خطوة واحدة .. كل شىء كما تعود أن يكون !!

ثم تتوالى الأيام والشهور .. ويصبح الفقيد العزيز مجرد ذكرى عابرة .. تطوف بمن اتصلت بهم حياته بين الحين والآخر .. فلا يتذكر سوى أقرب المقربين اليه .. مرة فى كل عام .. ثم يصبح نسيا منسيا !!

هكذا الحياة !!

فهل هذا هو نهاية المطاف ؟!

وهل انتهت رحلة الانسان حقا الى هذا الحد ؟؟

ظاهر الأمر .. أن هذا هو مصير كل حى .. ولكن الواقع يختلف عن ذلك اختلافا كبيرا .. فما انتهت المسألة !!

لقد انتهت مرحلة لتبدأ أخرى !!

لقــد انتهت رحلة الحياة الثانية .. لتبدأ رحلة الحياة الأبدية السرمدية .. حيث الخلود بلا نهاية .. فلا فناء ولا موت فى دار البقاء ..

وفى الأثر من جوامع الكلم : « الناس نيام .. فاذا ماتوا انتبهوا » .. فما انتهى الانسان بموته .. انما أفاق من غفلته .. وانتقل الى مرحلة جديدة !!

* * *

يقول الامام ابن قدامة المقدسى عن الموت :

« والذى تدل عليه الآيات والأخبار .. أن حقيقة الموت هو مفارقة الروح للجسد .. وأن الروح تكون بعد ذلك باقية .. اما معــذبة أو منعمة .. فان الروح قد تتألم بنفسها بأنواع الحزن والغم .. وتتنعم بأنواع الفرح والسرور من غير تعلق لها بالأعضاء .. فكل ما هو وصف للروح بنفسها .. يبقى معها بعد مفارقة الجسد .. وكل ما هو لها بواسطة الأعضاء يتعطل بموت الجسد .. الى أن تعاد الروح الى الجسد .. ولا يبعد أن تعاد الروح الى الجسد فى القبر .. ولا يبعد أن تؤخر الى يوم البعث .. والله سبحانه أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده ..

فمعنى الموت انقطاع تصرف الروح عن البدن .. وخروج البدن عن أن يكون آلة لها .. وسلب الانسان عن أمواله وأهله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم .. فان كان له بالدنيا شىء يفرح به ويستريح اليه .. عظمت حسرته عليه بعد الموت .. وان كان لا يفرح الا بذكر الله تعالى والأنس به .. عظم نعيمه وتمت سعادته اذا خلى بينه وبين محبوبه .. وقطعت عنه العوائق والشواغل .. لأن جميع شواغل الدنيا شاغلة عن ذكر الله تعالى ..

وينكشف للميت بالموت ما لم يكن مكشوفا فى حال الحياة .. كما ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفا له عند النوم .. والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا .. وأول ما ينكشف له ما يضره وما ينفعه من حسناته وسيئاته .. وقد كان ذلك مسطور فى كتاب مطوى فى سر قلبه ..

وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا .. فلما انقطعت انكشفت له جميع أعماله .. فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة .. وكل ذلك ينكشف له عند الموت .. وهذه آلام تهجم على العاصى قبل الدفن .. نسأل الله العـافية »[٢] .

واذا كانت سيئات العاصى تنكشف له عند احتضاره فيتحسر لها ويتألم لذلك ألمـا عظيما .. فان الطائع تنكشف له حسناته وما أعد له من عظيم المنازل .. فتسعد روحه وتتبسط أساريره .. وتغمره السكينة والطمأنينة ..

وقد شوهد ذلك فى كثير من الموتى عند احتضارهم .. فمنهم من تتفرج أسارير وجهه ويغمرها الهدوء والسكينة .. ومنهم من تنقبض ملامحه ويبدو عليها الرعب والفزع .. أعاذنا الله من ذلك .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « مثل المؤمن حين تخرج نفسه .. مثل رجل كان فى سجن فأخرج منه .. فهو يتفسح فى الأرض ويتقلب فيهـا » ..

ويعلق عليه ابن قدامة فيقول : « وهو صحيح .. فان المؤمن ينكشف عليه عقيب الموت من فضل الله وكرامته .. ما تكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن .. فيكون كمحبوس فى بيت مظلم .. فتح له باب الى بستان واسع الأكناف .. فيه أنواع الأشجار .. فلا يسره الرجوع الى الدنيا .. كما لا يسره العود الى بطن أمه »[٣] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .. ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » .

قلنا : يا رسول الله .. كلنا يكره الموت !!

قال : « ليس ذلك كراهية الموت .. ولكن المؤمن اذا حضر .. جاءه البشير من الله .. فليس شىء أحب اليه من أن يكون قد لقى الله فأحب الله لقاءه .. وان الفاجر ــ أو الكافر ــ اذا حضر جاءه ما هو صائر اليه من الشر ــ أو ما يلقى من الشر ــ فكره لقاء الله فكره الله لقاءه »[٤] .

---

(٢) مختصر منهاج القاصدين ــ لابن قدامة المقدسى ، نشر دار التراث العربى ــ سنة ١٩٨٢ ، ص ٣٤٥

(٣) المرجع السابق ص ٣٤٦ (٤) رواه أحمد .

فبين لنا — صلى الله عليه وسلم — حال المؤمن عند الاحتضار .. حيث تنزل عليه ملائكة الرحمة تبشره بالرضوان وتطمئنه وتؤنسه .. ويفتح الله له أبواب الجنة .. فينظر الى نعيمها فينشرح صدره ويبسم ثغره ..

ومصداقه قول الله تعالى : **« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم »**[5] .

وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم من آمن بك ، وشهد أنى رسولك فحبب اليه لقاءك ، وسهل عليه قضاءك ، واقلل له من الدنيا .. ومن لم يؤمن بك ، ولم يشهد أنى رسولك فلا تحبب اليه لقاءك ، ولا تسهل عليه قضاءك ، وأكثر له من الدنيا »[6] .

وفى رواية لابن ماجه من حديث عمرو بن غيلان الثقفى .. أنه قال : « اللهم من آمن بى وصدقنى وعلم أن ما جئت به الحق من عندك فأقلل ماله وولده ، وحبب اليه لقاءك ، وعجل له القضاء .. ومن لم يؤمن بى ولم يصدقنى ، ولم يعلم أن ما جئت به الحق من عندك فأكثر ماله وولده وأطل عمره »[7] .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة .. وما أول ما يقولون له » ..

قلنا : نعم .. يا رسول الله ..

قال : « ان الله عز وجل يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقائى ؟ فيقولون : نعم يا ربنا .. فيقول : لم ؟ .. فيقولون : رجونا عفوك ، ومغفرتك ، فيقول : قد وجبت لكم مغفرتى »[8] .

* * *

---

(٥) فصلت : ٣٠ — ٣٢

(٦) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى وابن حبان .

(٧) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب .

(٨) رواه أحمد .

* واجبات نحو الموتى :

يقول الله تعالى : « **كلا اذا بلغت التراقى . وقيل من راق . وظن أنه الفراق . والتفت الساق بالساق . الى ربك يومئذ المساق** »(٩) .

ويقول جل شأنه : « **اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد . وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد** »(١٠) .

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه وقال : « ان الروح اذا قبض تبعه البصر » .. فضج ناس من أهله فقال : « لا تدعوا على أنفسكم الا بخير .. فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون » .. ثم قال : « اللهم اغفر لأبى سلمة .. وارفع درجته فى المهديين .. واخلفه فى عقبه فى الغابرين .. واغفر لنا وله يا رب العالمين .. وافسح له فى قبره .. ونور له فيه »(١١) .

وروى هانىء ــ مولى عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه قال : كان عثمان اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته .. فقيل له : تذكر الجنة والنار ولا تبكى ، وتذكر القبر فتبكى ؟!

فقال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة .. فان نجا منه فما بعده أيسر منه .. وان لم ينج فما بعده أشد منه » .

قال : وسمعته صلى الله عليه وسلم يقول : « ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه » ..

وزاد رزين : قال هانىء : وسمعت عثمان رضى الله عنه ينشد على قبر :

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة | والا فانى لا أخالك ناجيا

* * *

● ولم يتركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بعد أن بين لنا الحلال من الحرام .. وتركنا على المحجة البيضاء .. ليلها كنهارها .. لا يزيغ عنها الا هالك ..

---

(٩) القيامة : ٢٦ ــ ٣٠ (١٠) سورة ق : ١٧ ــ ١٩

(١١) رواه مسلم .

ويعلمنا الرسول صلى الله عليه وسلم ما يجب علينا نحو موتانا .. فأول ما يجب تذكير الميت بالشهادة : عن أبى سـعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقنوا موتاكم : اله الا الله »(١٢) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان اخر كلامه : لا اله الا الله .. دخل الجنة »(١٣) .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : انا لله وانا اليه راجعون .. اللهم آجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره الله تعالى فى مصيبته ، وأخلف له خيرا منها » .. قالت : فلما مات أبو سلمة قلت : أى المسلمين خير من أبى سلمة .. أول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ثم انى قلتها فأخلف الله لى خيرا منه : رسول الله صلى الله عليه وسلم(١٤) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم .. فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم .. فيقول — وهو تعالى أعلم — : ماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع .. فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد »(١٥) .

● ولم ينه الرسول صلى الله عليه وسلم — الخبير بطبائع البشر — عن البكاء .. بل انه — صلى الله عليه وسلم — بكى ابنه ابراهيم .. وبكى حفيده .. كما بكى سعد بن عبادة رضى الله عنه ..

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه .. فجعلت عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان .. فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : وأنت يا رسول الله ؟ .. فقال : « يا ابن عوف .. انها رحمة » .

---

(١٢) رواه مسلم . (١٣) رواه أبو داوود والحاكم .
(١٤) رواه مسلم وأبو داوود والنسائى والترمذى .
(١٥) رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه .

ثم أتبعها بأخرى .. فقال : « أن العين تدمع والقلب يحزن .. ولا نقول الا ما يرضى ربنا .. وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون »[16] .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع ليه ابن ابنته وهو فى الموت .. ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ .. قال : « هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده .. وانما يرحم الله من عباده الرحماء »[17] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم .. فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما رأى القوم بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكوا .. فقال : « ألا تسمعون .. ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب .. ولكن يعذب بهذا ــ وأشار الى لسانه ــ أو يرحم »[18] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : زار النبى صلى الله عليه وسلم قبر أمه .. فبكى وأبكى من حوله .. فقال : « استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى .. واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى .. فزوروا القبور فانها تذكر الموت »[19] .

● إنما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اللطم والنياحة .. وشق الثياب .. وحلق الرأس ونتفه .. والدعاء بالويل والثبور ..

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية »[20] .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه »[21] ــ وفى رواية : « ما نيح عليه » ..

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من نيح عليه فانه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة »[22] .

---

(١٦) رواه البخارى ومسلم .
(١٧) متفق عليه .
(١٨) متفق عليه .
(١٩) رواه مسلم .
(٢٠) رواه البخارى ومسلم .
(٢١) رواه البخارى ومسلم .
(٢٢) رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول : واجبلاه ، واسيداه ، أو نحو ذلك الا وكل به ملكان يلهزانه : هكذا كنت » ؟ [٢٣] .

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الميت ليعذب ببكاء الحى اذا قال : واعضداه ، وامانعاه ، واناصراه ، واكاسياه .. جبذ الميت فقيل : أناصرها أنت ؟ .. أكاسيها أنت » ؟[٢٤] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة من الكفر بالله : شق الجيب .. والنياحة .. والطعن فى النسب »[٢٥] .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصلى الملائكة على نائحة ولا مرنة »[٢٦] [بضم الميم وكسر الراء مع التشديد .. والرنين : رفع الصوت] .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين فى جهنم : صف عن يمينهم وصف عن يسارهم فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب »[٢٧] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة »[٢٨] .

وعن أم عطية رضى الله عنها قالت : « أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البيعة ألا ننوح »[٢٩] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة رن ابليس رنة — أى صوت — اجتمعت اليه جنوده .. فقال : ايأسوا أن تردوا أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا ، ولكن افتنوهم فى دينهم ، وأفشوا فيهم النوح[٣٠] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة : مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة »[٣١] .

---

(٢٣) رواه ابن ماجه والترمذى .
(٢٤) رواه الحاكم .
(٢٥) رواه ابن حبان والحاكم .
(٢٦) رواه احمد .
(٢٧) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٢٨) رواه أبو داوود .
(٢٩) رواه البخارى .
(٣٠) رواه احمد .
(٣١) رواه البزار .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نعمة ولهو ولعب ومزامير شيطان[٣٢] .. وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان » .

وعن أبى بردة رضى الله عنه قال : وجع أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه ورأسه فى حجر امرأة من أهله .. فأقبلت تصيح برنة فلم يستطع أن يرد عليها شيئا .. فلما أفاق قال : أنا برىء ممن برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ان رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة[٣٣] والحالقة[٣٤] والشاقة[٣٥] .

وعن الأوزاعى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع صوت بكاء .. فدخل ومعه غيره .. فمال عليهن ضربا حتى بلغ النائحة .. فضربها حتى سقط خمارها .. وقال : اضرب .. فانها نائحة ولا حرمة لها . انها لا تبكى بشجوكم .. انها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم .. وانها تؤذى موتاكم فى قبورهم وأحياءكم فى دورهم .. لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به .. وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه .

* * *

● ويجب على الأحياء نحو موتاهم أمور .. هى فرض كفاية .. اذا قام بها البعض سقطت عن الباقين .. واذا لم يقم بها أحد أثم الجميع ..

وهذه الأمور تسعة .. هى : تلقين الميت ، توجيهه الى القبلة ، تغميض عينيه ، تسجيته ، قضاء ديونه ، تغسيله ، تكفينه ، الصلاة عليه ، تشييع جنازته ، ودفنه ..

وتفصيل ذلك فى كتب الفقه ..

● وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بستر ما يبدو على الميت أثناء غسله من أمور مستكرهة .. فعن رافع رضى الله عنه قال :

---

(٣٢) مثل الزغاريد التى يطلقها النساء فى الأفراح .

(٣٣) الصالقة : التى ترفع صوتها بالندب والنياحة .

(٣٤) الحالقة : التى تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة .

(٣٥) الشاقة : التى تشق ثيابها عند المصيبة .. وكل ذلك حرام باتفاق العلماء .. وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجوه والدعاء بالويل والثبور — والحديث رواه البخارى وابن ماجه والنسائى .

قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « من غسل ميتا فكتم عليه غفر الله له أربعين كبيرة .. ومن حفر لأخيه قبرا حتى يجنبه فكأنما أسكنه مسكنا حتى يبعث »(٣٦) .

وفى رواية أنه قال : « من حفر قبرا بنى الله له بيتا فى الجنة .. ومن غسل ميتا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .. ومن كفن ميتا كساه الله من حلل الجنة .. ومن عزى حزينا ألبسه الله التقوى وصلى على روحه فى الأرواح .. ومن عزى مصابا كساه الله حلتين من حلل الجنة لا تقوم لهما الدنيا .. ومن تبع جنازة حتى يقضى دفنها كتب الله له ثلاثة قراريط : القيراط منها أعظم من جبل أحد .. ومن كفل يتيما أو أرملة أظله الله فى ظله وأدخله الجنة »(٣٧) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من غسل ميتا فأدى فيه الأمانة ، ولم يفش عليه ما يكون منه عند ذلك خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »(٣٨) .

* * *

● ورغب صلى الله عليه وسلم فى تكثير المصلين على الجنازة وتكثير صفوفهم .. فعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ميت يصلى عليه أمة من الناس يبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه »(٣٩) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من رجل يصلى عليه مائة الا غفر الله له »(٤٠) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل مســـلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه »(٤١) .

وعن عامر بن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه كان قاعدا عند ابن عمر رضى الله عنهما اذ طلع خباب صاحب المقصورة فقال : يا عبد الله بن عمر .. ألا تسمع ما يقول أبو هريرة ـــ رضى الله عنه ـــ ؟

---

(٣٦) رواه الطبرانى والحاكم .

(٣٧) رواية الطبرانى فى الأوسط من حديث جابر .. وفى ســـنده الخليل بن مرة .

(٣٨) رواه أحمد والطبرانى .

(٣٩) رواه مسلم والنسائى والترمذى .

(٤٠) رواه الطبرانى .

(٤١) رواه مسلم .

يقول : انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها واتبعها حتى تدفن كان له قيراطان من الأجر كل قيراط مثل أحد •• ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد » ••

فأرسل ابن عمر خبابا الى عائشة رضى الله عنها يسألها عن قول أبى هريرة ثم يرجع اليه فيخبره بما قالت •• وأخذ ابن عمر قبضة من حصى المسجد يقلبها فى يده حتى يرجع فقال : قالت عائشة : صدق أبو هريرة ••

فضرب ابن عمر بالحصى الذى كان فى يده الأرض ثم قال : لقد فرطنا فى قراريط كثيرة(٤٢) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح منكم اليوم صائما » ؟ قال أبو بكر : أنا • فقال : « من أطعم منكم اليوم مسكينا » ؟ قال أبو بكر : أنا • قال : « من عاد منكم اليوم مريضا » ؟ فقال أبو بكر : أنا • فقال : « من تبع منكم اليوم جنازة » ؟ قال أبو بكر : أنا ••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمعت هذه الخصال قط فى رجل الا دخل الجنة »(٤٣) •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله » ويقول : « والذى نفسى بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهما الا بذنب يحدثه أحدهما » وكان يقول : « للمسلم على المسلم ست : يشمته اذا عطس ، ويعوده اذا مرض ، وينصحه اذا غاب أو شهد ، ويسلم عليه اذا لقيه ، ويجيبه اذا دعاه ، ويتبعه اذا مات »(٤٤) •

وعن مالك بن هبيرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين الا أوجب »(٤٥) ــ أى وجبت له الجنة ــ وكان مالك اذا استقبل أهل الجنازة جزأهم ثلاثة صفوف لهذا الحديث ••

* * *

---

(٤٢) رواه مسلم • (٤٣) رواه ابن خزيمة •
(٤٤) رواه أحمد •
(٤٥) رواه ابو داوود وابن ماجه والترمذى •

● ويستحب المشى أمام الجنازة •• فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما يمشون أمام الجنازة •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة »(٤٧) •

وعنه رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « خمس من عملهن فى يوم كتبه الله من أهل الجنة : من عاد مريضا ، وشهد جنازة ، وصام يوما ، وراح الى الجمعة ، وأعتق رقبة » •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اتبع جنازة مسلم ايمانا واحتسابا •• وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها •• فانه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد •• ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فانه يرجع بقيراط »(٤٩) •

● انما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء عن اتباع الجنائز لما يبدر منهن من صياح وعويل •• فعن أم عطية رضى الله عنها قالت : « نهينا عن اتباع الجنائز •• ولم يعزم علينا »(٥٠) •

* * *

● وحث صلى الله عليه وسلم على الاسراع بالجنازة فقال : « أسرعوا •• فان تك صالحة فخير تقدمونها اليه •• وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم »(٥١) •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فان تك صالحة قالت : قدمونى •• وان كانت غير ذلك قالت : يا ويلها •• أين تذهبون بها ، يسمع صوتها كل شىء الا الثقلين — أو قال « الانسان » — ولو سمع الانسان لصعق »(٥٢) •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سألنا نبينا صلى الله عليه

---

(٤٦) رواه مسلم •
(٤٧) رواه أحمد والبزار وابن حبان •
(٤٨) رواه ابن حبان • (٤٩) رواه البخارى •
(٥٠) متفق عليه • (٥١) رواه البخارى •
(٥٢) رواه البخارى ومسلم •

وسلم عن المشى مع الجنازة فقال : « ما دون الخبب •• ان يكن خيرا فعجل اليه •• وان يكن غير ذلك فبعدا لأهل النار »[٥٣] [والخبب ضرب من العدو ، وقيل هو الرمل] •

وعن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أنه كان فى جنازة عثمان ابن أبى العاص رضى الله عنه •• وكنا نمشى مشيا خفيفا •• فلحقنا أبو بكرة رضى الله عنه فرفع صوته قال : لقد رأيتنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نرمل رملا[٥٤] [أى نسرع الخطا ونهرول] •

* * *

---

(٥٣) رواه ابو داوود والترمذى •

(٥٤) رواه ابو داوود والترمذى •

بداية الطريق

يقول الله تعالى : « ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون • ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون »[1] •

ويقول تعالى : « ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق • ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد »[2] •

ويقول جل شأنه : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء »[3] •

ويقول جل وعلا : « سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عــذاب عظيم »[4] •

كما يقول : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا »[5] •

ويقول فى شأن المؤمنين : « يا أيتها النفس المطمئنة • ارجعى الى ربك راضية مرضية • فادخلى فى عبادى • وادخلى جنتى »[6] •

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه •• ومن كره لقاء الله كره الله لقــاءه » ••

قلت : يا نبى الله •• أكراهية الموت ؟ فكلنا يكره الموت !!

قال : « ليس ذلك •• ولكن المؤمن اذا بشر برحمة الله ورضوانه

---

(١) الأنعام : ٩٣ ، ٩٤
(٢) الأنفال : ٥٠ ، ٥١
(٣) ابراهيم : ٢٧
(٤) التوبة : ١٠١
(٥) غافر : ٤٦
(٦) الفجر : ٢٧ — ٣٠

وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه •• وان الكافر اذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه »[٧] •

وفى رواية : « ••• والموت قبل لقاء الله » •

وفى أخرى : « اذا شخص البصر •• وحشرج الصدر •• واقشعر الجلد •• وتشنجت الأطراف •• فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه •• ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »[٨] •

* * *

* الاحتضار •• وسؤال القبر :

يحدثنا الدكتور عبد الرزاق نوفل فى كتابه القيم « الحياة الأخرى » عن لحظة الاحتضار فيقول : « ••• يبدأ المحتضر يفقـد الاحساس بالألم •• اذ أن الحواس تدخل فى دور الغيبوبة •• ولذلك لا يمكن القول بأن لدى المحتضر من الشعور ما يمكن وصفه ••

تبدأ الروح تنفصل عن الأطراف السفلى •• فيحاول أن يحرك قدميه فلا يستطيع •• بل ولا يمكنه أن يحس بها •

ثم تنفصل الروح عن يديه فيفقد الاحساس بهما والقدرة على تحريكهمـا ••

ويمر بخاطره فى هذا الوقت تفكير سريع فيما ينتظره •• اذ رأى فعلا شبح الموت •• فينتفض لذلك جسمه بشدة •• ويحس بالظمأ •• وما ذلك الا نتيجة الاضطراب لأمر لم يكن قد استعد له •• شـأنه فى ذلك شأن أى انسان يفاجأ بشىء لم يكن يتوقعه •• فيجف حلقه ويحس بما يشبه الرعدة ••

الروح تنفصل من جزء آخر •• ولا يظل على حالته سوى قلبه الذى ينبض نبضا خافتا آليا •• والمخ الذى ما زال يتصل بالروح اتصالا تاما •• ولكن على ادراك غير ادراكه العادى •• اذ انخفضت كميات الدم فيه •• وبالتالى انخفض مستواه الفكرى بالنسبة للحياة التى لا يحسها ولا يعرفها الا بحواس الجسد •

بدأت الروح تتغلب على الجسد تغلبا تاما •• فعرفت أنها باقية بعد الموت •• وهنا يختلف من كان يؤمن بالبقاء بعد الموت ، ومن كان يكفر به •

---

(٧) رواه البخارى ومسلم •

(٨) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى •

فالأول يسلك طريقا يعتقده ويتأكد منه ويؤمن به عن طريق الغيب الذى آمن به واستجاب له بالدين ..

وأما الثانى فانه يرهبه ويخافه .. فهو لم يكن مستعدا له لأنه كفر به .. ولم يصدق ما جاء عنه ..

الروح ترى أرواحا ولكنها تظن أنها أحياء .. لأنها فعلا ما زالت ترى الأحياء ..

ووضوح كل من هذين انما يتناسب مع درجة خروج الروح .. فان كانت الروح أنفصلت الى أكثر من نصف قوتها رأت الارواح اوضح مما ترى الأحياء .. وان كان العكس رأت الأحياء أوضح ..

ولذلك فان المحتضر كثيرا ما يتحدث مع الموتى أو يناديهم أو يبتسم لهم .. وما الحديث أو النداء أو الابتسام الا ترجمة لدرجة اتصال الروح بالجسم أو انفصالها ..

ففى الابتسام تكون رؤية الأرواح غير واضحة تماما ..

وفى النداء تكون أكثر وضوحا انما هى على بعد ..

أما فى الحديث فتكون واضحة وقريبة .. ومن ثم فقد قربت لحظة الانتقال ..

ثم تنفصل الروح عن أبراج الفهم .. ثم الذاكرة .. ثم المخ كله .. وتندفع الروح هائمة الى عالمها الأوسع والأرحب الى الحياة الأخرى .. ويكون الانتقال قد تم » .

* * *

وروت لى أخت فاضلة .. كيف كانت اللحظات الأخيرة فى حياة طفلها الصغير .. مما يمكن أن نشاهده فى لحظات الاحتضار ..

كان « أيمن » ــ وهذا اسمه ــ فى السابعة من عمره .. ولكنه كان مختلفا عن بقية الأطفال فى مثل سنه .. فقد كان الوداعة كلها .. والطيبة كلها .. وكان خفيف الظل كأنه نسمة هواء عليل فى يوم قائظ .

فوجئت به أمه يوما .. يفتح حصالة نقوده ليعطى ما بها لأبيه .. ثم يتناول لعبه التى كان يعتز بها ويقدمها لأخيه الصغير .. زاهدا فيها معرضا عنها ..

وفى اليوم التالى فاجأه المرض .. وحار الأطباء فى تشخيص مرضه المفاجىء أو علاجه .. فقد كان لا يستجيب لأى علاج .. بل كانت حالته تزداد سوءا ساعة بعد أخرى ..

ولم يستمر مرضه سوى أسبوع واحد ..

فلما كان اليوم الأخير .. رآته أمه يفتح عينيه على اتساعهما .. ثم يأخذ فى التلفت حوله فى الفضاء .. مرددا بصره بين نافـذة الغرفة وسقفها .. وعبثا تحاول الأم صرفه عن ذلك ..

ثم .. اذا بيده تمتد فى الهواء .. باسطا أصابعه وقابضا اياهما .. كأنما يتناول شيئا من الفضاء .. وفشلت للمرة الثانية فى محاولة منعه عن ذلك .. بعد أن أحست بما فى هذه التصرفات من معانى انقبض لها صدرها ..

فأخذت فى النحيب بصوت مكتوم .. وانسابت الدموع غزارا من عينيهـا ..

واذا بالطفل المحتضر يحول بصره الى أمه الثكلى .. وفى عينيه معنى غريب .. ثم يرفع يده نحو عينيها يمسح عنهما الدموع .. وينحدر بها نحو فمها محاولا كفها عن النحيب ..

ثم يعاود التلفت حوله .. مادا يده نحو الفضـاء .. محاولا امساك ذلك الشىء المجهول !! ثم صعدت روحه الى بارئها ..

حدثتنى الأم الثكلى بهذه الواقعة طالبة لها تفسيرا .. فهززت رأسى وقلت : صدق الله العظيم : **« لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »** .

لقد رأى الصغير فى لحظاته الأخيرة فى هذه الدنيا الفانيـة .. ملائكة الرحمة تحوطه لتزفه الى السماء .. ولا شـك أنهم كانوا يشاغلونه بفاكهة الجنة .. والا لمـاذا كان اصراره على الامسـاك بالهواء ؟!

ولا شك أن عقله الصغير لم يستوعب بكاء أمه ونحيبها فى هذا الموقف .. لمـاذا البكاء ولمـاذا النحيب ؟! .. ألا ترى ما يرى ؟! أتكره له هذا النعيم الذى يوشك أن يقبض عليه بيديه ؟!

لمـاذا تبكى وهى ترى هذه الخيرات تساق اليه ؟!

وعبثا يحاول الصغير منع أمه عن النحيب أو كفها عن البكاء .. فيعاود التلفت حوله متشاغلا عنها بما يرى من بشرى تساق اليه !!

وما العجب فى ذلك .. أليس من الأبرار (*) ؟!

(*) الأبرار : هم الصالحون الطائعون الأطهار . . ولا شك ان الأطفال دون سن التكليف يعتبرون من الأبرار .

ووجدتني أردد قول الله تعالى : « ان كتاب الابرار لفي عليين • وما ادراك ما عليون • كتاب مرقوم • يشهده المقربون • ان الابرار لفي نعيم • على الارائك ينظرون • تعرف في وجوههم نضرة النعيم • يسقون من رحيق مختوم • ختامه مسك ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون • ومزاجه من تسنيم • عينا يشرب بها المقربون » ••

وصدق الله العظيم : « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا • عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا » •

« ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار » •

فلتصبري يا أختاه •• صبرا أم أيمن ولتحتسبي •• وقولي كما أمرك الرسول صلى الله عليه وسلم : « انا لله ، وانا اليه راجعون » •

* * *

ويصف لنا الرسول المعلم — صلى الله عليه وسلم — بداية الرحلة الى الآخرة •• منذ لحظة الاحتضار حتى سؤال القبر ••

عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسـول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار •• فانتهينا الى القبر •• ولما يلحد بعد •• فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير •• وبيـده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » — مرتين أو ثلاثا — ثم قال : « ان العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء •• بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس •• معهم كفن من أكفان الجنة •• وحنوط من حنوط الجنة •• حتى يجلسوا منه مد البصر ••

ويجيء ملك الموت — عليه السلام — حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة •• اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان • قال : فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء — أي فم القربة — فيأخذها •• فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط •• ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ••

قال : فيصعدون بها •• فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان — بأحسن أسمائه التى كان يسمى بها في الدنيا — حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا ••

فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها •• حتى ينتهى بها الى السماء السابعة •• فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين •• وأعيدوه الى الأرض فى جسده ••

فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان : من ربك ؟ فيقول : ربى الله •• فيقولان : ما دينك ؟ فيقول : دينى الاسلام •• فيقولان : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله •• فيقولان : ما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله •• وآمنت به وصدقته ••

فينادى مناد من السماء : أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وافتحوا له بابا الى الجنة ••

قال : فيأتيه من روحها وطيبها •• ويفسح له فى قبره مد بصره ••

قال : ويأتيه رجل حسن الوجه •• حسن الثياب •• طيب الريح •• فيقول : أبشر بالذى يسرك •• هذا يومك الذى كنت توعد •• فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الحسن يبشر بالخير •• فيقول : أنا عملك الصالح •• فيقول : رب أقم الساعة •• رب أقم الساعة ، حتى أرجع الى أهلى ومالى ••

« وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة •• نزل اليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح[٩] •• فيجلسون منه مد البصر •• ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة •• اخرجى الى سخط من الله وغضب •• فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[١٠] من الصوف المبلول فيأخذها •• فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح •• وتخرج منها كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض ••

فيصعدون بها •• فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هذه الريح الخبيثة ؟ فيقولون : فلان ابن فلان — بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا — حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا •• فيستفتح له فلا يفتح له ••

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمـل فى سم الخياط »[١١] .**

---

(٩) والمسوح : مجارف من حديد ، وقيل اللباس الخشن المقوت .
(١٠) السفود : الحديدة التى يشوى بها اللحم . . ولها شعب .
(١١) الأعراف : ٤

فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى •• ثم تطرح روحه طرحا ••

ثم قرأ : « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق »[12] •

فتعاد روحه فى جسده •• ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه •• لا أدرى • قال : فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى •• قال : فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى ••

فينادى مناد من السماء : أن كذب فأفرشوه من النار •• وافتحوا له بابا الى النار ••

قال : فيأتيه من حرها وسمومها •• ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه •• ويأتيه رجل قبيح الوجه •• قبيح الثياب •• منتن الريح فيقول : أبشر بالذى يسوؤك •• هذا يومك الذى كنت توعد •• فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه القبيح يجىء بالشر ! فيقول : أنا عملك الخبيث •• فيقول : رب لا تقم الساعة »[13] •

وفى رواية له بمعناه وزاد : « ••• فيأتيه آت قبيح الوجه •• قبيح الثياب •• منتن الريح •• فيقول : أبشر بهوان من الله وعذاب مقيم •• فيقول : بشرك الله بالشر •• من أنت ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث •• كنت بطيئا عن طاعة الله •• سريعا فى معصيته •• فجزاك الله بشر ••

ثم يقيض له أعمى أصم أبكم •• فى يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابا •• فيضربه ضربة فيصير ترابا •• ثم يعيده الله كما كان •• فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شىء الا الثقلين » •• قال البراء : ثم يفتح له باب من النار •• ويمهد له من فرش النار ••

ورواه عيسى بن المسيب عن عدى بن ثابت عن البراء رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم •• وذكر فيه اسم الملكين فقال فى ذكر المؤمن :

« فيرد الى مضجعه فيأتيه منكر ونكير •• يثيران الأرض بأنيابهما ويلجفان الأرض بشفاههما فيجلسانه •• ثم يقال له : يا هذا من ربك » ؟ •• فذكره ••

---

(١٢) الحج : ٣١

(١٣) رواه ابو داوود واحمد .

وقال فى ذكر الكافر : « فيأتيه منكر ونكير •• يثيران الأرض بأنيابهما •• ويلجفان الأرض بشفاههما •• أصواتهما كالرعد القاصف •• وأبصارهما كالبرق الخاطف •• فيجلسانه ثم يقال : يا هذا من ربك ؟ فيقول : لا أدرى •• فينادى من جانب القبر : لا دريت •• ويضربانه بمرزبة من حديد •• لو أجتمع عليها من بين الخافقين لم يقلوها •• يشتعل منها قبره نارا •• ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه » ••

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان المؤمن اذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء •• فيقولون : اخرجى الى روح الله — أى نعيمه — فتخرج كأطيب ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا فيشمونه حتى يأتوا به باب السماء •• فيقولون : ما هذه الريح الطيبة التى جاءت من الأرض ؟ •• ولا يأتون سماء الا قالوا مثل ذلك •• حتى يأتوا به أرواح المؤمنين •• فلهم أشد فرحا به من أهل الغائب بغائبهم •• فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقولون — أى الملائكة — : دعوه حتى يستريح •• فانه كان فى غم الدنيا •• فيقول : قد مات •• أما آتاكم ؟ فيقولون : ذهب به الى أمه الهاوية ••

وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون : اخرجى الى غضب الله •• فتخرج كأنتن ريح جيفة •• فيذهب به الى باب الأرض »[١٤] .

وعنه رضى الله عنه قال : شهدنا جنازة مع نبى الله صلى الله عليه وسلم •• فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس •• قال نبى الله صلى الله عليه وسلم : « انه الآن يسمع خفق نعالكم •• أتاه منكر ونكير •• أعينهما مثل قدور النحاس •• وأنيابهما مثل صياصى البقر •• وأصواتهما مثل الرعد •• فيجلسانه فيسألانه : ما كان يعبد ومن كان نبيه •• فان كان ممن يعبد الله قال : أعبد الله ، ونبيى محمد — صلى الله عليه وسلم — جاءنا بالبينات والهدى •• فآمنا واتبعناه » ••

فذلك قول الله : « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** »[١٥] •• فيقال له : على اليقين حييت •• وعليه مت •• وعليه تبعث ، ثم يفتح له باب الى الجنة ويوسع له فى حفرته ••

---

(١٤) رواه ابن حبان وابن ماجه .
(١٥) ابراهيم : ٢٧

وان كان من أهل الشك قال : لا أدرى .. سمعت الناس يقولون شيئا فقلته .. فيقال له : على الشك حييت .. وعليه مت .. وعليه تبعث . ثم يفتح له باب الى النار .. وتسلط عليه عقارب وتنانين .. لو نفخ أحدهم على الدنيا ما أنبتت شيئا .. تنهشه .. وتؤمر الأرض فتنضم عليه حتى تختلف أضلاعه »[١٦] .

وعنه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الميت اذا وضع فى قبره .. انه ليسمع خفق نعالهم حين يولوا مدبرين .. فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه .. وكان الصيام عن يمينه .. وكانت الزكاة عن شماله .. وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والاحسان الى الناس عند رجليه .. فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلى مدخل .. ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام : ما قبلى مدخل .. ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة : ما قبلى مدخل .. ثم يؤتى من قبل رجليه .. فيقول فعل الخيرات من الصدقة والمعروف والاحسان الى الناس : ما قبلى مدخل ..

فيقال له : اجلس . فيجلس قد مثلت له الشمس وقد دنت للغروب .. فيقال له : أرأيتك هذا الذى كان قبلكم ما تقول فيه وماذا تشهد عليه ؟ فيقول : دعونى حتى أصلى .. فيقولون : انك ستفعل .. أخبرنا عما نسألك عنه .. أرأيتك هذا الرجل الذى كان قبلكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد عليه ؟ قال : فيقول : محمد .. أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه جاء بالحق من عند الله .. فيقال له : على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ..

ثم يفتح له باب من أبواب الجنة .. فيقال له : هذا مقعدك منها .. وما أعد الله لك فيها .. فيزداد غبطة وسرورا .. ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له : هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها لو عصيته .. فيزداد غبطة وسرورا .. ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا .. وينور له فيه .. ويعاد الجسد كما بدأ منه فتجعل نسمته فى النسيم الطيب .. وهى طير تعلق فى شجر الجنة .. فذلك قوله : « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** » .

وان الكافر اذا أتى من قبل رأسه لم يوجد شىء .. ثم أتى عن

---

(١٦) رواه الطبرانى فى الأوسط .

يمينه فلا يوجد شيء .. ثم أتى عن شماله فلا يوجد شيء .. ثم أتى من قبل رجليه فلا يوجد شيء .. فيقال له : اجلس . فيجلس مرعوبا خائفا .. فيقال : أرأيتك هذا الرجل الذى كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد له ؟ فيقول : أى رجل ؟! ولا يهتدى لاسمه .. فيقال له : محمد .. فيقول : لا أدرى .. سمعت الناس قالوا قولا فقلت كما قال الناس .. فيقال له : على ذلك حييت وعليه مت وعليه تبعث ان شاء الله .

ثم يفتح له باب من أبواب النار .. فيقال له : هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها .. فيزداد حسرة وثبورا .. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة ويقال له : هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو أطعته .. فيزداد حسرة وثبورا .. ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه .. فتلك المعيشة الضنكة التى قال الله : « **فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** »(١٧) .

وفى رواية للطبرانى : « يؤتى الرجل فى قبره .. فاذا أتى من قبل رأسه دفعته تلاوة القرآن .. واذا أتى من قبل يديه دفعته الصدقة .. واذا أتى من قبل رجليه دفعه مشيه الى المساجد » .

* * *

وعن تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله عز وجل لملك الموت : انطلق الى وليى فلان ابن فلان فأتنى به .. فانى قد ضربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب .. ائتنى به فلأريحنه ..

فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة .. ومعهم ضبائر الريحان .. ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الاذخر .. فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحف به الملائكة .. ويضع كل ملك يده على عضو من أعضائه .. ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الاذخر تحت ذقنه .. ويفتح له باب من الجنة .. وان روحه لتعلل بنعيم الجنة التى تراه كما يعلل الصبى أهله اذا بكى .. ويقول ملك الموت : اخرجى أيتها الروح الطيبة الى سدر مخضوض .. وطلح منضود .. وظل ممدود .. وماء مسكوب ..

ولملك الموت أشد لطفا به من الوالدة لولدها .. يعرف أن هذه الروح حبيبة الى ربها .. فهو يلتمس بتلطفه وتحببه رضاء الرب ..

---

(١٧) رواه الطبرانى وابن حبان ــ والآية من سورة طه : ١٢٤

فتنسل روحه كما تسل الشعرة من العجين •• قال الله عز وجل :
« الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم »[18] .

وقال : « فأما ان كان من المقربين • فروح وريحان وجنة نعيم »[19] .

فاذا قبض ملك الموت روحه •• قالت الروح للجسد : جزاك الله عنى خيرا •• فقد كنت سريعا بى الى طاعة الله •• بطيئا بى عن معصية الله •• فقد نجيت وأنجيت •• ويقول الجسم للروح مثل ذلك •• وتبكى عليه الأرض التى كان يعبد الله فيها •• وكل باب من أبواب السماء يصعد منه عمله ، وينزل منه رزقه ••

فاذا قبض ملك الموت روحه •• أقامت الخمسمائة من الملائكة عند جسده •• فلا يقلبه بنو آدم لشق •• الا قلبته الملائكة وغسلته وكفنته بأكفان قبل أكفان بنى آدم ••

ويقوم من باب قبره الى بيته صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار •• فيصيح عند ذلك ابليس ويقول لجنوده : الويل لكم •• كيف خلص هذا العبد منكم ؟ •• فيقولون : ان هذا كان مؤيدا بالعصمة من ربه ••

فاذا صعد ملك الموت بروحه •• استقبله جبريل فى جمع من الملائكة ••كل يأتيه ببشارة من الله سوى بشارة صاحبه •• فاذا انتهى ملك الموت بروحه الى العرش قال الله عز وجل لملك الموت : أنطلق بروح عبدى •• فضعه فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وماء مسكوب ••

فاذا وضع فى قبره •• جاءته الصلاة فصارت عن يمينه •• وجاءه الصيام فكان عن يساره •• وجاءه القرآن فكان عند رأسه •• وجاءه الوضوء فكان عند رجليه •• وجاءه الصبر فكان ناحية من القبر ••

فيبعث الله عنقا من العذاب فيأتيه عن يمينه فتقول الصلاة : وراءك •• والله ما زال دائما عمره كله فى العمل •• وانما استراح الآن حين وضع فى قبره ••

فيأتيه العذاب عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك ••

ثم يأتيه العذاب من عند رأسه فيقول القرآن والذكر مثل ذلك ••

ثم يأتيه من عند رجليه فيقول الوضوء مثل ذلك •• فلا يأتيه

---

(١٨) النحل : ٣٢ (١٩) الواقعة : ٨٨ ، ٨٩

العذاب من ناحية الا وجد ولى الله قد أخذ جنته ــ أى وقايته ــ فينقمع العذاب عند ذلك ويرجع •• ويقول الصبر : أما انه لم يمنعنى أن أباشر عملى الا أنى نظرت ما عندكم •• فان عجزتم كنت صاحبه •• فأما اذ أجزتم فأنا له ذخر عند الصراط والميزان •

ويبعث الله ملكين •• أبصارهما كالبرق الخاطف •• وأصواتهما كالرعد القاصف •• وأنيابهما كالصياصى •• وأنفاسهما كاللهب •• وقد نزعت منهما الرأفة والرحمة •• يقال لهما منكر ونكير •• فى يد كل واحد مطرقة لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها •• فيقولان له : اجلس • فيستوى جالسا وتقع أكفانه فى حقويه •• فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

فقال الصحابة : يا رسول الله •• ومن يطيق الكلام عند ذلك وأنت تصف الملكين بما تصف ؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء** »(٢٠) •

قال : فيقول العبد : ربى الله •• ودينى الاسلام •• ونبيى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيقولان له : صدقت •• ويرفعان القبر ويوسعانه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وشماله من كل جهة أربعون ذراعا •• ثم يقولان له : انظر فوقك •• فاذا باب مفتوح الى الجنة فيقولان : ولى الله •• هذا منزلك اذ أطعت الله ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده •• انه ليصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا ••

قال : ثم يقال له : انظر تحتك •• فينظر تحته فاذا باب مفتوح الى النار •• فيقولان له : ولى الله •• نجوت آخر ما عليك ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده •• انه ليصل الى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبدا ••

قال : ويقول الله لملك الموت : انطلق الى عدوى فلان ابن فلان فأتنى به •• فانى قد بسطت له رزقى ويسرت له نعمتى •• فأبى الا معصيتى •• فأتنى به لأنتقم منه ••

---

(٢٠) ابراهيم : ٢٧

فينطلق اليه ملك الموت فى أكره صورة رآها البشر •• ومعه سفود من النار كثير الشوك •• ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وحجر من حجر جهنم •• ومعهم سياط من نار تأجج •• فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب كل أصل شوكة من ذلك السفود فى أصل كل شعرة وعرق •• ثم يلويه ليا شديدا فينزع روحه من أظفار قدميه فيلقيها فى عقبيه فيسكر عدو الله سكرة شديدة •• فيهون عليه ملك الموت حتى يصحو ••

وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط •• ثم يشده ملك الموت شدة فينزع روحه من ركبتيه ويلقيها فى حقويه •• فيسكر عدو الله سكرة أشد من الأولى •• فيهون ملك الموت عليه حتى يصحو ••

وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط •• ويستمر ملك الموت ينزع الى صدره •• ثم الى حلقه •• ثم تبسط الملائكة ذلك النحاس وحجر جهنم تحت ذقنه •• ويقول ملك الموت : اخرجى أيتها الروح اللعينة الى سموم وحميم •• وظل من يحموم •• لا بارد ولا كريم ••

فاذا قبض ملك الموت روحه قال الروح للجسد : جزاك الله عنى شرا •• فقد كنت سريعا بى الى معصية الله •• بطيئا بى عن طاعة الله •• فقد هلكت وأهلكت •• ويقول الجسد للروح مثل ذلك •• وتلعنه بقاع الأرض التى كان يعصى الله عليها •• وتنطلق جنود ابليس فيبشرونه بأنهم أوردوا عبدا من ولد آدم الى النار ••

فاذا وضع فى قبره •• ضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه •• وحتى تدخل اليمنى فى اليسرى واليسرى فى اليمنى •• ويبعث الله اليه أفاعى دهما كأعناق الابل •• يأخذن بأذنيه وابهامى قدميه فيقرضنه حتى يلتقين فى وسطه ••

ويبعث الله ملكين •• أبصارهما كالبرق الخاطف •• وأصواتهما كالرعد القاصف •• وأنيابهما كالصياصى •• وأنفاسهما كاللهب •• قد نزعت منهما الرأفة والرحمة •• يقال لهما منكر ونكير •• فى يد كل منهما مطرقة لو اجتمع عليها ربيعة ومضر لم يقلوها — أى يرفعــوها — فيقولان له : اجلس •• فيستوى جالسا •• وتقع أكفانه فى حقويه •• فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ •• فيقول : لا أدرى •• فيقولان له : لا دريت ولا تليت •• فيضربانه ضربة يتطاير شررها فى قبره ثم يقولان له : انظر فوقك • فينظر فاذا باب مفتوح من الجنة •• فيقولان له : عدو الله •• هذا منزلك لو أطعت الله ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده •• انه ليصل الى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد ابدا ••

ثم يقولان له : انظر تحتك •• فينظر تحته فاذا باب مفتوح من جهنم •• فيقولان له : هذا منزلك اذ عصيت الله ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده •• انه ليصل الى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبدا »[٢١] •

* * *

كتبت « سفيتلانا الليلوفا » ابنة الزعيم الشيوعى الملحد « ستالين » ـ فى مذكراتها التى نشرت فى جميع أنحاء العالم ـ تصف اللحظات الأخيرة لحياة أبيها ديكتاتور روسيا وجبارها •• الذى عاش حياته كلها كافرا بالله منكرا لوجوده •• قالت :

« كان موت أبى مأساة قاسية صعبة •• وكانت تلك أول مرة ولا تزال أرى فيها انسانا يموت •• ان الله لا يمنح الموت السهل الا للمؤمنين •• ان النزيف الداخلى امتد رويدا رويدا الى بقية المخ •• واذ كان قلب أبى قويا فان النزيف غزا بالتدريج مراكز التنفس وانتهى بالاختناق •• وبدأ تنفسه أسرع فأسرع •• وخلال الساعات الاثنتى عشرة الأخيرة كان أبى يعانى من نقص حاد فى الأوكسجين •• وكان وجهه ترتسم عليه أمارات الفزع • وكان يتقلص واسودت شفتاه •• وأصبحت تقاطيع وجهه غريبة ••

ولم تكن الساعتان الأخيرتان سوى مرحلة اختناق بطىء •• واحتضار رهيب •• وكان أبى يختنق بدمائه تحت أنظارنا ••

وفى اللحظة التى بدت وكأنها الذروة فى احتضاره فتح عينيه فجأة •• وشمل الجميع من حوله بنظرة •• كانت نظرة رهيبة •• نظرة معتوه •• أو لعلها نظرة غضب مليئة بالخوف من الموت •• والخوف من الوجوه الغريبة للأطباء الذين كانوا منحنين عليه ••

واكتسحت نظرته كل الموجودين فى ثانية واحدة •• ثم وقع شىء مخيف وغير مفهوم •• شىء لن أنساه مدى الحياة ولم أفهمه حتى اليوم •• رفع أبى فجأة يده اليسرى وكأنه يشير الى شىء فوقه ثم أسقطها الى جانبه وكأنه يلعننا جميعا ••

---

(٢١) أخرجه الحافظ ابو يعلى فى مسنده •

وكانت تلك الايماءة التهديدية بلا تفسير •• ولم يستطع أحدنا أن يقول الى من أو الى ماذا كانت موجهة » •• اهـ •

وصدق الله العظيم اذ يقول : **« وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك ما كنت منه تحيد • ونفخ فى الصور ، ذلك يوم الوعيد • وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد • لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد • وقال قرينه هذا ما لدى عتيد • ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد • مناع للخير معتد مريب »** •

* * *

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الموتى ليعذبون فى قبورهم حتى ان البهائم لتسمع أصواتهم »(٢٢) •

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر »(٢٣) •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى •• ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة •• وان كان من أهل النار فمن أهل النار •• فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة »(٢٤) •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسلط على الكافر فى قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة •• فلو أن تنينا منها نفخت فى الأرض ما أنبتت خضراء »(٢٥) •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قلت : يا رسول الله •• تبتلى هـذه الأمة فى قبورها •• فكيف بى وأنا امرأة ضعيفة ؟ قال : **« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »**(٢٦) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان المؤمن فى قبره لفى روضة خضراء فيرحب له قبره سبعون ذراعا •• وينور له كالقمر ليلة البدر •• أتدرون فيما أنزلت هذه الآية : **« فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى »** •• قال : أتدرون

---

(٢٢) رواه الطبرانى . (٢٣) رواه مسلم .
(٢٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابو داوود .
(٢٥) رواه احمد وابو يعلى . (٢٦) رواه البزار .

ما المعيشة الضنك ؟ .. قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : عذاب الكافر في قبره .. والذى نفسى بيده .. انه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا .. أتدرون ما التنين ؟ سبعون حية لكل حية سبع رؤوس يلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة »[٢٧] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتان القبر .. فقال عمر : أترد علينا عقولنا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم كهيئتك يوم ولدت » .. فقال عمر : بفيه الحجر[٢٨] — [أى يلقم الفتان الحجر كأنه أفحم وارتج عليه] ..

***

● وللقبر ضمة لا ينجو منها أحد .. طائعا كان أم عاصيا .. مؤمنا أم كافرا ..

فعن زاذان بن عمرو قال : لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته .. فجلس عند القبر .. فتربد وجهه ثم سرى عنه .. فقال له أصحابه : رأينا وجهك آنفا ثم سرى .. فقال صلى الله عليه وسلم : « ذكرت ابنتى وضعفها وعذاب القبر .. فدعوت الله ففرج عنها .. وأيم الله لقد ضمت ضمة سمعها من بين الخافقين » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم دفن سعد بن معاذ رضى الله عنه وهو قاعد على قبره : « لو نجا أحد من فتنة القبر — أو مسألة القبر — لنجا سعد بن معاذ .. ولقد ضم ضمة ثم أرخى عنه »[٢٩] .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها لنجا منها سعد بن معاذ »[٣٠] .

وسعد بن معاذ هذا .. هو الذى اهتز العرش يوم موته .. روى أن جبريل عليه السلام — نزل الى النبى صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق .. فقال : يا نبى الله .. من هذا الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش ؟ .. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه .. فوجد سعدا قد قبض[٣١] .

---

(٢٧) رواه ابو يعلى وابن حبان . (٢٨) رواه احمد والطبرانى .
(٢٩) رواه الطبرانى . (٣٠) رواه احمد .
(٣١) اسد الغابة للحافظ ابن كثير .

رجل يهتز له العرش .. وتفتح له أبواب السماء .. وينزل بخبره جبريل عليه السلام .. ومع هذا لا ينجو من ضغطة القبر ؟!

* * *

● ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ من فتنة القبر ..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه .. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل .. وأعوذ بك من عذاب القبر .. وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات »[٣٢] .

وروت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو فيقول : « اللهم انى أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم .. ومن فتنة القبر وعذاب القبر .. ومن فتنة النار وعذاب النار .. ومن شر فتنة الغنى ومن شر فتنة القبر .. وأعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال .. اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد .. ونق قلبى كما نقيت الثوب الأبيض .. وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب »[٣٣] .

● كما كان صلى الله عليه وسلم يعوذ أصحابه من فتنة القبر وعــذابه ..

عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة .. فحفظنا من دعائه : « اللهم اغفر له وارحمه .. وعافه واعف عنه .. وأكرم نزله .. ووسع مدخله واغسله بالمــاء والثلج والبرد .. ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .. وأبدله دارا خيرا من داره .. وأهلا خيرا من أهله .. وزوجا خيرا من زوجه .. وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » ..

قال عوف : حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت[٣٤] .

* * *

وما دمنا بصدد الحديث عن القبور .. فلا بأس من أن نذكر بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بها .. والتى جاءت بهــا أحاديث للرســول صلى الله عليه وسلم اتماما للفائدة ..

---

(٣٢) للستة الا مالكا .   (٣٣) للستة الا مالكا .

(٣٤) رواه الترمذى والنسائى ومسلم .

● فقد أباح الرسول صلى الله عليه وسلم زيارة القبور للرجال دون النساء ..

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : زار النبى صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال : « استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى .. واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى .. فزوروا القبور فانها تذكر الموت »(٣٥) .

وعن ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور .. فقد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه .. فزوروها فانها تذكر الآخرة »(٣٦) .

قال الحافظ : قد كان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور نهيا عاما للرجال والنساء .. ثم أذن للرجال فى زيارتها .. واستمر النهى فى حق النساء .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة »(٣٧) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زر القبور تذكر بها الآخرة .. واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة .. وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين فى ظل الله يتعرض كل خير »(٣٨) .

وعن بريدة رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر أن يقول قائلهم : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين .. وانا ان شاء الله بكم لاحقون .. أسأل الله لنا ولكم العافية »(٣٩) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كان ليلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من آخر الليل الى البقيع فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين .. وأتاكم ما توعدون .. غدا مؤجلون .. وانا ان شاء الله بكم لاحقون .. اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد »(٤٠) .

---

(٣٥) رواه مسلم . (٣٦) رواه الترمذى .
(٣٧) رواه ابن ماجه . (٣٨) رواه الحاكم .
(٣٩) رواه مسلم . (٤٠) رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور بالمدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال : « السلام عليكم يا أهل القبور .. يغفر الله لنا ولكم .. أنتم سلفنا ونحن بالأثر »[٤١] .

● وانما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم النساء عن زيارة القبـــور ..

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج »[٤٢] .

ويقول الامام القرطبى : اللعن المذكور فى الحديث انما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة .. ولعل السبب ما يفضى اليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك .. وقد يقال : اذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الاذن لهن .. لأن تذكر الموت يحتاج اليه الرجال والنساء .. فعن عبد الله بن أبى مليكة رضى الله عنه : أن عائشة رضى الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر .. فقلت : يا أم المؤمنين .. من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخى عبد الرحمن .. فقلت لها : أليس كان نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم .. كان نهى عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتهـــا ..

وروى عن على رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا نسوة جلوس قال : « ما يجلسكن » ؟ قلن : ننتظر الجنازة .. قال : « هل تغسلن » ؟ قلن : لا .. قال : « هل تحملن » ؟ قلن : لا .. قال : « هل تدلين فيمن يدلى » ؟ قلن : لا .. قال : « فارجعن مأزورات غير مأجورات »[٤٣] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : « قبرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ يعنى ميتا ــ فلما فرغنا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرفنا معه .. فلما حاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابه وقف .. فاذا نحن بامرأة مقبلة .. قال : أظنه عرفها ، فلما ذهبت اذا هى فاطمة رضى الله عنها .. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت :

---

(٤١) رواه الترمذى .
(٤٢) رواه أبو داوود والترمذى والنسائى وابن حبان .
(٤٣) رواه ابن ماجه وأبو يعلى .

أتيت يا رسول الله أهل هذا الميت فرحمت اليهم ميتهم — أو عزيتهم به — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعلك بلغت معهم الكدا ؟ — أى المقابر — فقالت : معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر . قال : لو بلغتها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك »[٤٤] .

* * *

● كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البناء فوق القبور وتجصيصها وتعظيمها ..

عن جابر رضى الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر — أى يطلى بالجير — أو يقعد عليه أو أن يبنى عليه »[٤٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قاتل الله اليهود .. اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[٤٦] .

وعن عبد الله البجلى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : « انى أبرأ الى الله أن يكون لى منكم خليل ، فان الله عز وجل قد اتخذنى خليلا .. وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد .. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد .. انى أنهاكم عن ذلك »[٤٧] .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بالحبشة فيها تصاوير .. فقال صلى الله عليه وسلم : « ان أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور .. أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة »[٤٨] .

وقد مر بنا حديث ابن عباس رضى الله عنهما الذى يقول فيه : ان الرسول صلى الله عليه وسلم لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ..

وروى مسلم عن هارون أن ثمامة بن شفى حدثه قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس .. فتوفى صاحب لنا .. فأمر

---

(٤٤) رواه أبو داوود والنسائى .

(٤٥) رواه مسلم .

(٤٦) رواه البخارى ومسلم .

(٤٧) رواه مسلم .

(٤٨) رواه البخارى ومسلم .

فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها ..

وعن أبى الهيج الأسدى قال : قال لى على بن أبى طالب كرم الله وجهه : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تدع تمثالا الا طمسته .. ولا قبرا مشرفا الا سويته ..

قال الترمذى : والعمل على هذا عند بعض أهل العلم . يكرهون أن يرفع القبر فوق الأرض الا بقدر ما يعرف أنه قبر .. لكيلا يوطأ ولا يجلس عليه ..

وقال الشافعى : وأحب ألا يزاد فى القبر تراب من غيره .. وانما أحب أن يشخص على وجه الأرض شبرا أو نحوه .. وأحب أن لا يبنى ولا يجصص .. فان ذلك يشبه الزينة والخيلاء .. وليس الموت موضع واحد منهما .. ولم أر قبور المهاجرين والأنصار مجصصة .. وقد رأيت من الولاة من يهدم ما بنى من المقابر .. ولم أر الفقهاء يعيبون عليه ذلك ..

* * *

ويقول أستاذنا فضيلة الشيخ السيد سابق(٤٩) :

« قال الشوكانى : والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرم .. وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعى ومالك ..

والقول بأنه غير محظور لوقوعه من السلف والخلف فلا نكير - كما قال الامام يحيى والمهدى فى الغيث - لا يصح .. لأن غاية ما فيه أنهم سكتوا عن ذلك .. والسكوت لا يكون دليلا اذا كان فى الأمور الظنية .. وتحريم رفع القبور ظن ..

ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا : القباب والمشاهد المعمورة على القبور .. وأيضا هو من اتخاذ القبور مساجد .. وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعل ذلك .

وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها مفاسد يبكى لها الاسلام .. منها اعتقاد الجهلة فيها كاعتقاد الكفار فى الأصنام ..

---

(٤٩) فقه السنة - للشيخ سيد سابق - المجلد الأول (العبادات) طبع دار التراث العربى ص ٤١٧ ، ٤١٨

وعظموا ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضر •• فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب •• وسألوا منها ما يسأل العبـاد من ربهم •• وشدوا اليها الرحال ومسحوا بهـا واســتغاثوا •

وبالجملة : انهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام الا فعلوه •• فانا لله وانا اليه راجعون ••

ومع هذا المنكر الشنيع •• والكفر الفظيع •• لا تجد من يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف •• لا عالمـا ولا متعلما •• ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا ••

وقد توارد الينا من الأخبار مالا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين ــ أو أكثرهم ــ اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه •• حلف بالله فاجرا •• فاذا قيل له بعد ذلك : بشيخك ومعتقدك الولى الفلانى •• تلعثم وأبى واعترف بالحق (!!) •• وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : انه تعالى ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة » !!

ثم يقول أستاذنا ــ جزاه الله خيرا ــ : « فيا علماء الدين •• ويا ملوك الاسلام •• أى رزء للاسلام أشد من الكفر •• وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ، وأى مصيبة يصـاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة •• وأى منكر يجب انكاره ان لم يكن انكار هذا الشرك البين واجبا ؟

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنـادى
ولو نارا نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ فى الرماد

وقد أفتى العلماء بهدم المساجد والقباب التى بنيت على المقابر[50] قال ابن حجر فى « الزواجر » : وتجب المبادرة لهدم المساجد والقباب التى على القبور •• اذ هى أضر من مسجد الضرار •• لأنها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم •• لأنه نهى عن ذلك •• وأمر بهدم القبور المشرفة •• وتجب ازالة كل قنديل أو سراج على قبر •• ولا يصح وقفه ونذره •• »[51] (انتهى بنصه) •

---

(٥٠) كانت هذه الفتوى فى عهد الملك الظاهر .. حين عزم على هدم كل ما فى القرافة من البناء .. فاتفق علماء عصره على أنه يجب على ولى الأمر هدم ذلك كله .

(٥١) المصدر السابق ص ٤١٨

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : انما لم يبرز قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يتخذ مسجدا ..

وما ذلك الا لان تخصيص القبور بالصلاة عندها .. يشبه تعظيم الأصنام والتقرب اليها .. فقد كان ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عليها .. كما تقدم .

* * *

كما يقول أستاذنا فضيلة الشيخ محمد الغزالى[٥٢] :

« فشا فى بلاد كثيرة بناء المساجد على قبور الموتى .. اعزازا لذكراهم .. وتقربا الى الله ــ كما يقال ــ بمحبتهم ومجاورتهم ..

مع أن النصوص قاطعة بمنع هذا العمل ولعن مرتكبيه ..

وكان أولى بهؤلاء البانين أن يدعوا الموتى الى ما قدموا .. وأن يقفوا عند حدود الله .. فلا يعصون وصاياه ..

وهذه البدعة تسربت الى المسلمين عن النصرانية بعد تحريفها ..

فقد صح عن عائشة أن أم سلمه ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسه رأتها بأرض الحبشة يقال لها « مارية » .. وذكرت ما رأته فيها .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا .. وصوروا فيه تلك الصور .. أولئك شرار الخلق عند الله » .

وهذه البدعة دخلت النصرانية من الوثنية الأولى ..

فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس وغيره من السلف أن ودا وسواعا وأخواتهما .. كانوا قوما صالحين من أمة نوح عليه السلام .. فلما ماتوا عكفوا على قبورهم .. ثم صوروا تماثيلهم .. ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .. فكان هذا مبدأ عبادة الأصنام ..

واغلاقا لأبواب الفتنة وسدا لذرائع الفساد .. شدد النبى عليه الصلاة والسلام على المسلمين فى حظر هذا المسلك .. وعزم عليهم أن ينفضوا أيديهم من الموتى .. وأن يستقبلوا الحياة بجهدهم وعزمهم .. دون تعويل على صالح مات أو بقى ..

فالانسان لا يجدى عليه ــ أمام ربه ــ الا صالح عمله ..

---

(٥٢) ليس من الاسلام ــ للشيخ محمد الغزالى ــ طبع دار الكتب الاسلامية سنة ١٩٨٣ ص ٢٠٧ ــ ٢٠٩

وفى هذا الارشاد المبين يقول صلى الله عليه وسلم : « لا تصلوا الى القبور .. ولا تجلسوا عليها » .. ويقول : « الأرض كلها مسجد الا المقبرة والحمام » ويقول : « لعن الله اليهود والنصارى .. اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .. ألا لا تتخذوا القبور مساجد .. انى أنهاكم عن هذا » ..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لعن الله زائرات القبور .. والمتخذين عليها المساجد والسرج » .

ونهى رسول الله عن تجصيص القبور والبناء عليها ..

وكان يوصى جيوشه — وهو يطارد الوثنية فى جزيرة العرب — ألا تدع صنما الا طمسته .. ولا قبرا مشرفا الا سوته .

وعن المعرور بن سويد قال : صليت مع عمر بن الخطاب — فى طريق مكة — صلاة الصبح .. فقرأ فيها : « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل** » و « **لايلاف قريش** » .. ثم رأى الناس يذهبون مذاهب — بعد انصرافهم من الصلاة .. فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل : يا أمير المؤمنين .. مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه .. فقال : انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا .. كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعا !! فمن أدركته الصلاة فى هذه المساجد فليصل .. ومن لا فليمض ولا يتعمدها ..

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ألا يكون قبره بعده عيدا — موسما — تتلقى اليه الوفود ..

والخبراء بحقائق الأديان وطبائع النفوس يعرفون وجه الحكمة فيما أمر به الله ورسوله .. من تحريم اتخاذ القبور مساجد ..

ان رجاء البركة أول ما يذكره الخارجون على هذه النصوص .. أو المحرفون لها .. لكن هذه البركة المزعومة سرعان ما تتحول الى تقديس للهالكين واتجاه اليهم بالأدعية والنذور .. واستصراخ بهم فى الأزمات والنوائب ..

فاذا لم يكن الأمر شركا محضا .. فهو مزلقة اليه .. مهما كابر المعـاندون ..

وقـد رأيت عشرات من الظلامات المكتوبة .. ترمى فى ضريح الامام الشافعى .. أو ترسل اليه بالبريد !!

وسمعت المئات من سفهاء العمة •• يلهثون بالنجوى الحارة حول قبر الامام الحسين وغيره !!

ولم أر أسفه من هؤلاء وأولئك الا الذين يعتذرون عنهم •• من صعاليك المتصوفة وأدعياء المعرفة ••

على أن علاج هذه المناكر المبتدعة •• لا سبيل اليه الا باشاعة العلم والخلق •• وتهذيب العقول والطباع ••

فان النبى صلوات الله وسلامه عليه لم يهدم الأصنام الا بعد أن مكث عشرين عاما •• يكون الأمة التى تؤمن بالله •• وتكفر بالطواغيت » (انتهى بنصه) •

* * *

كما يقول ـــ جزاه الله خيرا ـــ فى موضع آخر [٥٣] :

« ومما وقع فيه العوام : الاتجاه الى قبور بعض الصالحين •• يطلبون من أصحابها مالا يطلب الا من الله عز وجل •

لعل سر هذا الشرود •• أن الناس يرون فى أنفسهم ضعة •• تقصر بهم عن مناجاة الله مباشرة ••

فهم يذهبون بحاجاتهم الى قوم أزكى حالا ليرفعوا عنهم مالا يمكنهم رفعه بأفئدتهم وألسنتهم ••

وهذه العلة هى سر الانصراف عن الله الحق الى عبيده الذين يسمعون •• والذين لا يسمعون •• بل الذين يعقلون والذين لا يعقلون •

وكم من علة •• ظاهرها زيادة توقير الله •• بانتهاك حرمات الله ••

ألا ترى أن المشركين كانوا يطوفون بالكعبة عرايا •• نساء ورجالا •• محتجين بأنه لا ينبغى أن يطوفوا فى ثياب عصوا الله فيها ؟!

فالتحرج من الاتصال بالله •• دون وساطة •• كان جريمة الوثنية القديمة التى صور القرآن الكريم اعتذارها عن شركها بقوله : **« ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى »** [٥٤] •

وهذا الاعتذار نفسه •• هو ما يردده سدنة الجاهلية الحديثة •• فى دفاعهم عن قصاد القبور طلبا للشفاء والفلاح •• والتماسا للنجدة والعون ••

---

(٥٣) المصدر السابق ص ١٦٤ ـــ ١٦٦
(٥٤) الزمر : ٣

وبديهى أن لا مكان فى الاسلام لوسطاء بين الله وخلقه •• فان كل مسلم مكلف ان يقف بين يدى الله مهما كانت حالته •• وهو موقن بأن دعاءه ينتهى الى سمع الرحمن من غير تدخل بشر آخر •• أيا كان شـــأنه ••

والعبادة الأولى فى الاسلام ــ وهى الصلاة المقسمة على أجزاء النهار والليل ــ قوامها هذه الحقيقة المؤكدة التى لا ريب فيها ••

فكيف يوجب الله على عباده أن يترددوا على ساحته ويسألوه ــ حتما ــ الهــداية الى الصراط المستقيم •• ويسجدوا بين يديه ضارعين طالبين ؟ •• وكيف يعتبر التخلف عن هذه الصلوات كفرا به •• أو اهدارا لحقه •• ثم يسوغ لأحد من الناس بعد أن يقول : أنا محتاج لوسيط يحمل عنى الى الله ما أريد !!

ان هذا لا تفسير له الا الرغبة فى الشرك الخفى أو الجلى ••

وتسأل طالب الوساطة : من تختار يكلم لك الله ؟

فلو انه اختار من الأحياء رجلا يتوسم فيه الصلاح ليدعو الله له لهان الخطب •• بيد أن العجيب قصده الى الأموات الذين انقطعت بالدنيا صلاتهم وأفضوا الى ما قدموا من عمل !! •• ولا شعور لهم بهذا القاصد المجهول الذى جاء . ثم ؟ •• ليطلب منهم أو يستشفع بهـــم !!

ان التفكير الاسلامى سقط فى هذه الوهدة الشائنة من أمد بعيد •• فدارت حول الولاية والأولياء خرافات شتى ••

وجاءت على الناس أيام •• ظنوا فيها أن مقاليد الكون أصبحت بأيدى نفـــر من هؤلاء الهلكى يصرفونها ــ بدلالهم على الله ــ كما يشـــاءون !!

وزاد الطين بلة •• أن أولئك الأولياء المقصودين تجاوزت أقدارهم قوانين الأسباب والمسببات المعروفة !!

فاضطربت ــ تبعا لذلك ــ نظرة المسلمين الى سنن الله الكونية •• وحسبوها تلين لكل من واظب على شىء من العبادة !!

وانتهى أمر هذه الأمة المنكودة الى أن فقدت مكانتها العالية فى دنيـــا تعتمد على المعرفة الحقة بأسرار الطبيعة وقوانين الحياة •• بعد أن فقدت ــ أيضا ــ منزلتها عند الله مذ أشركت معه من لا يملك لنفسه أو لغيره ضرا ولا نفعا ••

« أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء ، انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا »[55] .

لماذا يكون من الدين الاعتراف بحق « أناس ما » فى التوسط بين الله وخلقه ؟ ولماذا يكون من الدين الاعتراف بقدرة هؤلاء على اختراق نواميس الطبيعة وصنع الخوارق الباهرة ؟

ولماذا يعد من شعب الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر أن نقر بحقوق هذه الولايات وطاقتها الواسعة فى تصريف الشئون وبعث الشجون ؟

الحق أن هذا كله تخليط سمج .. وأن اللجاجة فيه نزعة جاهلية ..

ولن تعدم دعيا فى الاسلام يخاصم عن هذه الأوهام .. ويحاول تعكير التوحيد الخالص ــ وهو روح الاسلام ومادته ــ بلغط لا عقل فيه ولا اخلاص .. زاعما أن اتخاذ الوسطاء لا ينافى تعاليم الدين ..

ولا غرابة .. فان النصارى يرون التثليث توحيدا !!

« وكان الانسان أكثر شىء جدلا »[56] !! (انتهى بنصه) .

* * *

فما الذى أوصل الناس الى هذه العقائد الزائفة ؟!

لقد أمرهم الله تعالى فى محكم كتابه بقوله : « اطيعوا الله وأطيعوا الرسول »[57] .

ونهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن رفع القبور .. وبناء المساجد فوقها .. والصلاة اليها .. وتعظيمها ..

ولكنهم نسوا كتاب ربهم .. وأعرضوا عن سنة نبيهم .. فوصلوا الى ما وصلوا اليه . وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ..

يقول الله تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »[58] .

ويقول تعالى : « فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »[59] .

● كما نهى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الى القبور والجلوس عليها ..

---

(٥٥) الكهف : ١٠٢
(٥٦) الكهف : ٥٤
(٥٧) النساء : ٥٩
(٥٨) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤
(٥٩) الكهف : ١١٠

فعن أبى مرثد كناز بن الحصين رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها »[60] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص الى جلده .. خير له من أن يجلس على قبر »[61] .

وعن عمارة بن حزم رضى الله عنه قال : رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على قبر فقال : « يا صاحب القبر .. انزل من على القبر ، لا تؤذى صاحب القبر ولا يؤذيك »[62] .

أى لا تؤذيه بالجلوس على قبره لاهانته .. ولا يؤذيك بما يسببه لك من عذاب الله فى الآخرة بسبب هذا الجلوس .

* * *

● ونهى صلى الله عليه وسلم أن تحد المرأة فوق ثلاث الا على زوج ..

فعن زينب بنت أبى سلمة رضى الله عنهما قالت : دخلت على أم حبيبة رضى الله عنها — زوج الرسول صلى الله عليه وسلم — حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب رضى الله عنه .. فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره .. فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت : والله مالى بالطيب من حاجة .. غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث .. الا على زوج : أربعة أشهر وعشرا » .

قالت زينب : ثم دخلت على زينب بنت جحش رضى الله عنها حين توفى أخوها .. فدعت بطيب فمست منه .. ثم قالت : أما والله مالى بالطيب من حاجة .. غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث .. الا على زوج : أربعة أشهر وعشرا »[63] .

* * *

---

(٦٠) رواه مسلم .

(٦١) رواه مسلم وابو داوود والنسائى وابن ماجه .

(٦٢) رواه الطبرانى فى الكبير .   (٦٣) رواه البخارى ومسلم .

● كما نهى عليه الصلاة والسلام عن تمنى الموت ••

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يتمن أحدكم الموت •• اما محسنا فلعله يزداد •• واما مسيئاً فلعله يستعتب »(٦٤) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتمن أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه •• انه اذا مات انقطع عمله •• وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا »(٦٥) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه •• فان كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى •• وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى »(٦٦) .



(٦٤) رواه البخارى ومسلم . (٦٥) متفق عليه .
(٦٦) رواه البخارى ومسلم .

عالم البرزخ

خلق الله الانسان من روح وجسد •• وقد مر بنا كيف يكون مصير الأجساد الى أن يأذن الله بالبعث والنشور •• فماذا عن الأرواح ؟

يقول الله تعالى : **« حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون • لعلى أعمل صالحا فيما تركت ، كلا انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون »**(١) •

والبرزخ هو الحاجز بين الشيئين •• وهو ما بين الموت والبعث •• فمن مات فقد دخل البرزخ ••

يقول مجاهد : البرزخ هو الحاجز بين الموت والرجوع الى الدنيا •• وعن الضحاك : هو ما بين الدنيا والآخرة •• وعن ابن عباس : الحجاب • وعن السدى : الأجل ••

ويقول قتادة : بقية الدنيا •• وقيل : الامهال الى يوم القيامة •• ويقول الكلبى : هو الأجل بين النفختين ، وبينهما أربعون سنة ••

وهذه الأقوال كلها متقاربة •• وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ •

يقول الله تعالى : **« وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا »**(٢) •

ويقول جل شأنه : **« مرج البحرين يلتقيان • بينهما برزخ لا يبغيان »**(٣) •

وعن الجوهرى : البرزخ الحاجز بين الشيئين •• والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث •• فمن مات فقد دخل فى البرزخ ••

وعن محمد بن كعب : البرزخ ما بين الدنيا والآخرة •• ليسوا من أهل الدنيا يأكلون ويشربون •• ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم ••

وعن أبى صخر : البرزخ •• المقابر ، لا هم فى الدنيا ولا هم فى الآخرة •• فهم مقيمون الى يوم يبعثون ••

---

(١) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ (٢) الفرقان : ٥٣
(٣) الرحمن : ١٩ ، ٢٠

فالبرزخ هو أول دار الجزاء .. فيه تنعم الأرواح الصالحة .. وفيه تعذب الأرواح الشريرة .. الى يوم البعث والقيام ..

فعن سلمان الفارسى .. قال : أرواح المؤمنين فى برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت .. وأرواح الكفار فى سجين .. وفى لفظ عنه : نسمة المؤمن تذهب فى الأرض حيث شاءت ..

ويقول الامام ابن حـزم : « مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها .. والذى نقول به : فى مستقر الأرواح هو ما قاله الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم لا نتعداه .. فهو البرهان الواضح .. وهو أن الله عز وجل قال : **« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شـهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين »**[٤] .

وقال تعالى : **« ولقـد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »**[٥] .

فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جملة .. وكذلك أخبر صلى الله عليه وسلم أن : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف .. وما تناكر منها اختلف » .. وأخذ الله عهدها وشهادتها له بالربوبية .. وهى مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يأمر الملائكة بالسجود لآدم .. وقبل أن يدخلها فى الأجساد .. والأجساد يومئذ تراب وماء .. ثم أقرها حيث شاء .. وهو البرزخ الذى ترجع اليه عند الموت .. ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها فى الأجساد المتولدة من المنى » .

* * *

ويقول الامام ابن القيم : « جعل الله سبحانه الدور ثلاثا : دار الدنيا .. ودار البرزخ .. ودار القرار .. وجعل لكل دار أحكاما تختص بها .. وركب هذا الانسان من بدن ونفس ..

وجعل أحكام دار الدنيـا على الأبدان والأرواح تبعا لهـا .. ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح .. وان أضمرت النفوس خلافه ..

وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها .. فكما

---

(٤) الأعراف : ١٧٢

(٥) الأعراف : ١١

تبعت الأرواح الأبدان فى أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها .. وكانت هى التى باشرت أسباب النعيم والعــذاب .. تبعت الأبدان الأرواح فى نعيمها وعذابها ، والأرواح حينئذ هى التى تباشر العذاب والنعيم ..

فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية والأبدان كالقبور لها .. والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفيه فى قبورها .. تجرى أحكام البرزخ على الأرواح فتسرى الى أبدانها نعيما أو عذابا .. كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى الى أرواحها نعيما أو عذابا »[٦] .

كما يقول فى موضع آخر : « ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه .. وهو ما بين الدنيا والآخرة ..

وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة .. وسمى عذاب القبر ونعيمه ، وأنه روضة أو حفرة نار .. باعتبار غالب الحق ..

فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور .. له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذى تقتضيه أعماله وان تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما .. فقد ظن بعض الأوائل أنه اذا حرق جسده بالنار وصار رمادا وذرى بعضه فى البحر وبعضه فى البر فى يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك .. فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك .. فأمر الله البحر فجمع ما فيه .. وأمر البر فجمع ما فيه .. ثم قال : قم .. فاذا هو قائم بين يدى الله .. فسأله : ما حملك على ما فعلت ؟ .. فقال : خشيتك يا رب وأنت أعلم .. فما تلافاه أن رحمه ..

فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التى صارت فى هذه الحال .. حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار فى مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه .. ولو دفن الرجل الصالح فى أتون من النار لأصاب جســده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه .. فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما .. والهواء على ذاك نارا وسموما ..

فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها .. يصرفها كيف يشاء .. ولا يستعصى عليه منها شىء أراده .. بل هى طوع

---

(٦) الروح ـــ للامام لبن القيم ـــ طبع دار عمر بن الخطاب ص ٨٨

مشيئته •• مذللة منقادة لقدرته •• ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين •• وكفر به وأنكر ربوبيته »[٧] .

❋ ❋ ❋

● والموتى فى قبورهم يعرفون زيارة الأحياء لهم •• ويردون عليهم السلام •• وفى هذا دليل على الحياة البرزخية ••

فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتلى بدر •• فألقوا فى قليب •• ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم : « يا فلان ابن فلان •• ويا فلان ابن فلان •• هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ •• فانى وجدت ما وعدنى ربى حقا » •• فقال له عمر : يا رسول الله •• ما تخاطب أقوام قد جيفوا •• فقال صلى الله عليه وسلم : « والذى بعثنى بالحق •• ما أنتم بأسمع لما أقول منهم •• ولكنهم لا يستطيعون جوابا » ••

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أحـد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد السلام »[٨] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل يمر على قبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه •• الا عرفه ورد عليه السلام »[٩] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » ••

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : اذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه •• واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام ••

وعن عمرو بن دينار أنه قال : ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون فى أهله بعده ، وانهم ليغسلونه ويكفنونه •• وانه لينظر اليهم •

❋ ❋ ❋

---

(٧) المرجع السابق ص ١٠٢ (٨) رواه أبو داوود .
(٩) رواه ابن عبد البر .

● وينتفع الميت بتلقينه فى قبره عند دفنه ••

لا شك أن الميت ينتفع عند احتضاره ـ بتذكيره بالشـــهادة •• كما ينتفع بتلقينه اياها بعد ايداعه فى القبر •• هذا اذا كان ايمانه صحيحا وعقيدته سليمة ••

والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين نادى أصحاب القليب •• فانه كان بلا ريب ينادى أقواما يسمعون النـــداء ويعقلون الكلام •• ولكنهم لا يستطيعون جوابا(١٠) •

وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : اذا دفنتمونى فأقيمـــوا حول قبرى قـــدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها •• حتى أستأنس بكم ، وأعلم ما أراجع به رســـل ربى •

وعلى هذا •• فاذا كان المقبور صحيح الايمـــان سليم العقيدة •• فانه حين يسمع التلقين بالشهادة يكون قد لقـــن حجته فينطق بها •• بشرط أن يكون ذلك موافقا لمـــا كانت عليه عقيدته الباطنة •• أما اذا كان زائغ العقيـــدة منحرف الايمان فان التلقين لن يفيده أو يساعده •• لأنه انما ينداق فى تلك اللحظة بما اعتقده فى حياته ••

كما روى أبو داوود فى سننه باسناد لا بأس به أن النبى صلى الله عليه وسلم حضر جنازة رجل •• فلما دفن قال : « سلوا لأخيكم التثبيت •• فانه الآن يسئل » •

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يسئل حينئذ •• واذا كان يسئل فانه يسمع التلقين ••

وقال شبيب بن شيبة : أوصتنى أمى عند موتها فقالت : يا بنى •• اذا دفنتنى فقم عند قبرى •• وقل : يا أم شبيب •• قولى : لا اله الا الله •• فلما دفنتها قمت عند قبرها فقلت : يا أم شبيب •• قولى لا اله الا الله •• ثم انصرفت ••

فلما كان من الليل رأيتها فى النوم فقالت : يا بنى •• كدت أهلك لولا أن تداركنى لا اله الا الله •• فقد حفظت وصيتى يا بنى ••

* * *

● وتتلاقى أرواح الموتى وتتزاور وتتذاكر ••

يقول الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون • فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون

---

(١٠) راجع ما سبق ص ٢١٥

بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون • يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع اجر المؤمنين »[11] •

فأخبر تعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم •• وأنهم يرزقون •• وأنهم يفرحون بما آتاهم الله من فضله •• وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم •• وأنهم يستبشرون بنعمة الله وفضله •• وهذا يدل على تلاقيهم ••

وعن يحيى بن عبد الرحمن بن أبى لبيبة عن جـده •• قال : لما مات بشر بن البراء بن معرور •• وجدت عليه أم بشر وجدا شـديدا •• فقالت : يا رسول الله •• انه لا يزال الهالك يهلك من بنى سلمة •• فهل تتعارف الموتى فأرسل الى بشر بالسلام ؟ •• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم •• والذى نفسى بيده يا أم بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير فى رؤوس الشجر » •

فكان لا يهلك هالك من بنى سلمة الا جاءته أم بشر فقالت : يا فلان •• عليك السلام •• واقرأ على بشر السلام ••

وعن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان نفس المؤمن اذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير فى الدنيا فيقولون : انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان فى كرب شديد •• فيسألونه ماذا فعل فلان ؟ وماذا فعلت فلانة ؟ وهل تزوجت فلانة ؟ •• فاذا سألوه عن رجل مات قبله قال : انه قد مات قبلى •• قالوا : انا لله وانا اليه راجعون •• ذهب به الى أمه الهاوية ، فبئست الأم وبئست المربية » ••

وعن سعيد بن المسيب قال : اذا مات الرجل استقبله والده كما يستقبل الغائب ••

❋ ❋ ❋

● وتتلاقى أرواح الأحياء مع أرواح الأموات ••

يقول الله تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[12] •

عن ابن عباس رضى الله عنه — وقد ذكر هذه الآية — فقال :

---

(11) آل عمران : ١٦٩ — ١٧١ (12) الزمر : ٤٢

بلغنى أن أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام •• فيتساءلون بينهم •• فيمسك الله أرواح الموتى ، ويرسل أرواح الأحياء الى أجسادها ••

وعن السدى قال : يتوفاها فى منامها •• فيلتقى روح الحى وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان •• قال : فترجع روح الحى الى جسده فى الدنيا الى بقية أجلها •• وتريد روح الميت أن ترجع الى جسده فتحبس ••

ويقول الامام ابن القيم : « ويدل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحى يرى الميت فى منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحى •• فيصادف خبره كما أخبر فى الماضى والمستقبل •• وربما أخبره بمال دفنه الميت فى مكان لم يعلم به سواه •• وربما أخبره بدين عليه وذكر له شواهده وأدلته ••

وأبلغ من هذا أنه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين ••

وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا الى وقت كذا وكذا فيكون كما أخبر •• وربما أخبره عن أمور يقطع الحى أنه لم يكن يعرفها غيره »[١٣] .

وعن مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن فاطمة بنت عبد الملك — امرأة عمر بن عبد العزيز — قالت : انتبه عمر ابن عبد العزيز ليلة فقال : لقد رأيت رؤيا معجبة •• قالت فقلت : جعلت فداءك فأخبرنى بها •• فقال : ما كنت لأخبرك بها حتى أصبح ••

فلما طلع الفجر خرج فصلى ثم عاد الى مجلسه •• قالت : فاغتنمت خلوته فقلت : أخبرنى بالرؤيا التى رأيت ••

قال : رأيت كأنى رفعت الى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر •• واذا فيها قصر أبيض كأنه الفضة •• واذا خارج قد خرج من ذلك القصر فهتف بأعلى صوته يقول : أين محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب •• أين رسول الله ؟ — صلى الله عليه وسلم — اذ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل ذلك القصر ••

قال : ثم ان آخر خرج من ذلك القصر فنادى : أين أبو بكر الصديق •• أين ابن أبى قحافة ؟ •• اذ أقبل أبو بكر حتى دخل ذلك القصر ••

---

(١٣) الروح — للامام ابن القيم ص ٣٢

ثم خرج آخر فنادى : أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل عمر حتى دخل ذلك القصر ..

ثم خرج آخر فنادى : أين عثمان بن عفان ؟ فاقبل حتى دخل ذلك القصر ..

ثم خرج آخر فنادى : أين على بن أبى طالب ؟ فأقبل حتى دخل ذلك القصر ..

ثم ان آخر خرج فنادى : أين عمر بن عبد العزيز ؟ .. قال عمر : فقمت حتى دخلت ذلك القصر .. قال : فدفعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوم حوله .. فقلت بينى وبين نفسى أين أجلس .. فجلست الى جنب أبى عمر بن الخطاب فنظرت فاذا أبو بكر عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم .. واذا عمر عن يساره .. فتأملت فاذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبى بكر رجل فقلت : من هذا الرجل الذى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أبى بكر ؟ فقال : هذا عيسى ابن مريم .. فسمعت هاتفا يهتف وبينى وبينه ستر نور : يا عمر بن عبد العزيز .. تمسك بما أنت عليه واثبت بما أنت عليه .

ثم كأنه أذن لى فى الخروج .. فخرجت من ذلك القصر .. فالتفت خلفى فاذا أنا بعثمان بن عفـان وهو خارج من ذلك القصر يقول : الحمد لله الذى نصرنى .. واذا على بن أبى طالب فى أثره خارج من ذلك القصر وهو يقول : الحمد لله الذى غفر لى ..

وعن حماد بن أبى هاشم : جاء رجل الى عمر بن عبد العزيز فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله .. وأقبل رجلان يختصمان .. وأنت بين يديه جالس فقال لك : يا عمر .. اذا عملت فاعمل بعمل هذين — لأبى بكر وعمر — فاستحلفه عمـر بالله : أرأيت هـذه الرؤيا ؟ .. فحلف فبكى عمر ..

* * *

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه .. قال : لقى عمر بن الخطاب على بن أبى طالب رضى الله عنهما .. فقال له : يا أبا الحسن .. ربما شهدت وغبنا وشهدنا وغبت .. ثلاث أسألك عنهن عندك منهن علم ؟ فقال على بن أبى طالب : وما هن ؟ .. فقال : الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيرا .. والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا ..

فقال على : نعم .. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الأرواح جنود مجندة تلتقى فى الهواء فتشأم .. فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » .

فقال عمر : واحدة .. قال عمر : والرجل يحدث الحديث اذ نسيه فبينما هو وما نسيه اذ ذكره ..

فقال : نعم .. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما فى القلوب قلب الا وله سحابة نسية القمر ، بينا القمر مضىء اذ تجللته سحابة الظلم اذ تجلت فأضاء .. وبينا القلب يتحدث اذ تجللته سحابة فنسى اذ تجلت عنه فيذكر » .

فقال عمر : اثنتان .. قال : والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب ..

فقال : نعم .. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد ينام يمتلىء نوما الا عرج بروحه الى العرش .. فالذى لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التى تصدق .. والذى يستيقظ دون العرش فهى التى تكذب » .

فقال عمر : ثلاث كنت فى طلبهن .. فالحمد لله الذى أصبتهن قبل الموت ..

وعن سليم بن عامر الحضرمى قال : قال عمر بن الخطاب : عجبت لرؤيا الرجل يرى الشىء لم يخطر له على بال فيكون كآخذ بيد .. ويرى الشىء فلا يكون شيئا .. فقال على بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين .. يقول الله عز وجل : « **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى** » .. قال : والأرواح يعرج بها فى منامها فما رأت وهى فى السماء فهو الحق .. فاذا ردت الى أجسادها تلقتها الشياطين فى الهواء فكذبتها .. فما رأت من ذلك فهو الباطل .. قال : فجعل عمر يتعجب من قول على ..

وذكر الطبرانى من حديث على بن أبى طالب أن عبد الله بن عباس قال لعمر بن الخطاب — رضى الله عنهم أجمعين — : يا أمير المؤمنين .. أشياء أسألك عنها .. قال : سل عما شئت .. فقال : يا أمير المؤمنين .. مم يذكر الرجل ومم ينسى ؟ ومم تصدق الرؤيا ومم تكذب ؟

فقال له عمر : ان على القلب طخاوة ــ أى سحابة ــ كطخاوة القمر فاذا تغشت القلب نسى ابن آدم ، فاذا انجلت ذكر ما كان نسى .. وأما مم تصــدق الرؤيا ومم تكذب .. فان الله عز وجل يقــول : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » فمن دخل منها فى ملكوت السماء فهى التى تصدق .. وما كان منها دون ملكوت السماء فهى التى تكذب ..

* * *

● وعذاب القبر هو عذاب البرزخ .. ونعيمه هو نعيمه ..

عن سمرة بن جندب قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « من رأى منكم الليلة رؤيا » ؟ قال : فان رأى أحد رؤيا قصها فيقول ما شاء الله .. فسألنا يوما فقال : « هل رأى أحد منكم رؤيا » ؟ قلنا : لا . قال : « لكنى رأيت الليــلة رجلان أتيانى .. فأخذا بيدى وأخرجانى الى الأرض المقدسة ..

فاذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد[١٤] يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه .. ثم يفعل بشقه الآخر مثل ذلك .. ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله !! قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ..

فانطلقنا : حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه .. ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر[١٥] فيشــدخ بها رأسه فاذا ضربه تدهده[١٦] فانطلق اليه ليأخذه فلا يرجع الى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو .. فعاد اليه فضربه !! قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق .

فانطلقنا الى نقب مثل التنور[١٧] أعلاه ضيق وأسفله واسع .. يوقد تحته نار فاذا فيه رجال ونساء عراة .. فيأتيهم اللهب من تحتهم ، فاذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا .. فاذا خمدت رجعوا !! فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ..

فانطلقنا .. حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم .. وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة .. فأقبل الرجل الذى فى النهر .. فاذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان .. فجعل

---

(١٤) الكلوب : خشبة فى راسها عقافة من حديد .

(١٥) الفهر : الحجر الناعم الصلب .

(١٦) اى تدحرج . (١٧) اى الفرن .

كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فرجع كما كان !! فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ..

فانطلقنا .. حتى أتينا الى روضة خضراء .. فيها شجرة عظيمة .. وفى أصلها شيخ وصبيان .. واذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها !!

فصعدا بى الشجرة وأدخلانى دارا لم أر قط أحسن منها .. فيها شيوخ وشبان .. ثم صعدا بى فأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل !!

قلت : طوفتمانى الليلة .. فأخبرانى عما رأيت ..

قالا : نعم .. الذى رأيته يشق شدقه كذاب .. يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق .. يصنع به الى يوم القيامة ..

والذى رأيته يشدخ رأسه .. فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار .. يفعل به الى يوم القيامة ..

وأما الذى رأيت فى النقب فهم الزناة ..

والذى رأيته فى النهر فآكل الربا ..

وأما الشيخ الذى فى أصل الشجرة فابراهيم .. والصبيان حوله فأولاد الناس ..

والذى يوقد النار فمالك خازن النار .

والدار الأولى دار عامة المؤمنين .. وأما هذه الدار فدار الشهداء .. وأنا جبرائيل .. وهذا ميكائيل .. فارفع رأسك . فرفعت رأسى فاذا قصر مثل السحابة .. قالا : هذا منزلك .. قلت : دعانى أدخل منزلى .. قالا : انه بقى لك عمر لم تستكمله ، فلو استكملته أتيت منزلك »[18] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى رحلة الاسراء ـ : « أنه أتى بفرس فحمل عليه .. قال : كل خطوة منتهى أقصى بصره .. فسار ومعه جبريل .. فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم .. كلما حصدوا عاد كما كان .. فقال : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة : « **وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين** »[19] .

---

(18) رواه البخارى .　　(19) سبأ : 39

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر •• كلما رضخت عادت كما كانت •• لا يفتر عنهم شيء من ذلك •• قال : يا جبريل •• من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة •

قال : ثم أتى على قوم على أقبالهم وعلى أدبارهم رقاع •• يسرحون كما تسرح الأنعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها[٢٠] •• قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم •• وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ••

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم من قدر نضيج ، ولحم آخر خبيث •• فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب •• فقال : يا جبرائيل •• من هؤلاء ؟ قال : هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلالا طيبا فيأتى المرأة الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح ••

ثم أتى على خشبة على الطريق •• لا يمر بها شيء الا قصفته — وفى رواية : لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الا فرقته • قال : ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه — يقول الله تعالى : « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون »[٢١] •

ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها •• وهو يزيد عليها •• قال : يا جبريل •• ما هذا ؟ قال : هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها •

ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد •• كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء •• قال : يا جبريل •• من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة ••

ثم أتى على جحر صغير •• يخرج منه نور عظيم •• فجعل النور يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع • قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هـذا رجل يتكلم بالكلمة فينـدم عليهـا فيريد أن يردها فلا يستطيع »[٢٢] •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم — فى حديث الاسراء — : قال : « فصعدت أنا وجبريل فاستفتح

---

(٢٠) الضريع : العوسج الرطب ، والزقوم : شجرة مرة كريهة الرائحة ، والرضف : الحجر المحمى بالنار .

(٢١) الأعراف : ٨٦ (٢٢) رواه البيهقى .

جبريل •• فاذا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته[23] •• تعرض عليه ارواح ذرية المؤمنين •• فيقول : روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين •• ثم تعرض عليه ارواح ذرية الفجار •• فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة أجعلوها فى سجين[24] ••

ثم مضيت هنيهة فاذا أنا باخونة[25] عليها لحم قد أروح[26] ونتن وعندها ناس يأكلون منها •• قلت : يا جبريل •• من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء يتركون الحلال ويأتون الحرام ••

قال : ثم مضيت هنيهة •• فاذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت •• كلما نهض أحدهم خر يقول : اللهم لا تقم الساعة •• قال : وهم على سابلة[27] آل فرعون قال : فيجىء السابلة فتطأهم فيصيحون •• قلت : يا جبريل •• من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء « **الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** »[28] .

قال : ثم مضيت هنيهة •• فاذا أنا بقوم مشافرهم كمشافر الابل •• فتفتح أفواههم فيلقمون الحجر •• ثم يخـــرج من أسافلهم ، فسمعتهم يصيحون •• قلت : من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ••

ثم مضيت هنيهة •• فاذا أنا بنساء معلقات بثديهن •• فسمعتهن يصحن •• قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزوانى ••

ثم مضيت هنيهـــة •• فاذا أنا بقـــوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه •• فيقال : كل كما كنت تأكل لحم أخيك •• قلت : من هؤلاء ؟ قال : الهمازون من أمتك »[29] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمـــا عرج بى •• مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم •• فقلت : يا جبريل •• من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم »[30] .

---

(٢٣) اى على صورته التى خلقه الله عليها .
(٢٤) وادى فى جهنم .
(٢٥) جمع خوان .. وهو ما يؤكل عليه .
(٢٦) اى فاحت رائحته .
(٢٧) اى على طريقهم .
(٢٨) البقرة : ٢٧٥
(٢٩) رواه البيهقى .
(٣٠) رواه ابو داوود .

كل هذه الأخبار تؤكد أن الأرواح تنعم وتعذب فى برزخها .. كما تنعم الأجساد وتعذب فى قبورها .. وأنما النار التى فى القبور والخضرة بها ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا فيراها من شاهد نار الدنيا وخضرها .. وانما هى من نار الآخرة وخضرها ..

وقد يدفن الرجلين أحدهما الى جوار الآخر .. وهذا فى حفرة من حفــر النار لا يصل حرها الى جاره .. وذلك فى روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها الى جاره ..

وانما حجب الله تعالى هذه المشاهد عن الأحياء رحمة بهم .. فقد ورد فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع »(٣١) .



(٣١) رواه البخارى ومسلم .

علامات على الطريق

يقول الله تعالى : « ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون »[1] .

ويقول تعالى : « ولله غيب السموات والأرض ، وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ، ان الله على كل شيء قدير »[2] .

ويقول : « ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى »[3] .

ويقول : « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ، وما يدريك لعل الساعة قريب »[4] .

ويقول جل وعلا : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربى ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فى السموات والأرض ، لا تأتيكم الا بغتة ، يسألونك كأنك حفى عنها ، قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[5] .

ويقول : « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير »[6] .

ويقول : «يسألك الناس عن الساعة ، قل انما علمها عند الله ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا »[7] .

ويقول : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . انما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها »[8] .

ويقول جل شأنه : « قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ، حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ، الا ساء ما يزرون »[9] .

---

(١) غافر : ٥٩ — (٢) النحل : ٧٧
(٣) طه : ١٥ — (٤) الشورى : ١٧
(٥) الأعراف : ١٨٧ — (٦) لقمان : ٣٤
(٧) الأحزاب : ٦٣ — (٨) النازعات : ٤٢ — ٤٦
(٩) الأنعام : ٣١

ويقول : « **أفأمنوا أن تأتيهم غاشــية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون** »[١٠] .

ويقول : « **ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم . الملك يومئذ لله يحكم بينهم ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين** »[١١] .

ويقول : « **هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون . الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين . يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون** »[١٢] .

ويقول : « **فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة ، فقد جاء أشراطها ، فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم** »[١٣] .

فالساعة آتية لا ريب فيها ..

وقد اقترب وقتها ..

ولا يعلم موعدها الا الله تعالى ..

ولا تأتى الا بغتة ..

وقد جاء بعض أشراطها ..

وقد بين الله سبحانه وتعــالى بعض هذه الأشراط .. وعرفنا الرسول صلى الله عليه وسلم بعض العلامات والأمارات ..

وللساعة علامات صغرى .. وعلامات كبرى .

ومن علامات الساعة الكبرى : الدخان . وطلوع الشمس من مغربها . وظهور المسيح الدجال . ونزول عيسى عليه السلام . وخروج يأجوج ومأجوج . وظهور دابة تكلم الناس ..

وأما علاماتها الصغرى فمنها : ظهور الفتن وانتشار الحروب . والخسف بالمشرق والمغرب وفى جزيرة العرب . وظهور النيران من الأرض .. وغيرها كثير يضيق المقام عن حصره ..

ويقول الله تعــالى عن بعض العــلامات والأمارات الكبرى : « **هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو ياتى ربك أو ياتى بعض آيات**

---

(١٠) يوسف : ١٠٧

(١١) الحج : ٥٥ — ٥٧

(١٢) الزخرف : ٦٦ — ٦٨

(١٣) محمد : ١٨

ربك ، يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً أيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا ، قل انتظروا انا منتظرون »[14] .

ويقول تعالى : « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين . يغشى الناس هذا عذاب اليم »[15] .

ويقول جل شانه : « واذا وقع القول اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون »[16] .

ويقول جل وعلا : « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين »[17] .

* * *

● وقد وردت أحاديث كثيرة عن العلامات الصغرى والكبرى ليوم القيامة .. اجتزأنا ببعضها حتى لا يخرج الكتاب عن موضوعه ..

. عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون من مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به .. حفظه من حفظه ونسيه من نسيه .. قد علمه أصحابى هؤلاء .. وانه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه[18] .

وروى الامام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة .. وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل .. ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج — وهو القتل — وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى به .. وحتى يتطاول الناس فى البنيان .. وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه .. وحتى تطلع الشمس من مغربها

---

(14) الأنعام : 158
(15) الدخان : 10 ، 11
(16) النمل : 82
(17) الأنبياء : 96 ، 97
(18) رواه مسلم .

.. فاذا طلعت ورآها الناس — يعنى آمنوا أجمعون — فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا ..

« ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه .. ولتقومن الســاعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه .. ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه .. ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها » ..

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده .. لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتل فيم قتل ، ولا المقتول فيم قتل » .. فقيل : كيف يكون اذن ؟ قال : « الهرج .. القاتل والمقتول فى النار »(١٩) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان بين يدى الساعة أياما يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج »(٢٠) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يتقارب الزمان وينقضى العمل .. ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج » .

قالوا : يا رسول الله .. أيم هو ؟ .. قال : « القتل .. القتل »(٢١) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب .. فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا »(٢٢) .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضىء أعناق الابل ببصرى »(٢٣) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب »(٢٤) .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » — وضم السبابة والوسطى(٢٥) .

---

(١٩) رواه مسلم .
(٢٠) رواه البخارى .
(٢١) رواه البخارى .
(٢٢) رواه البخارى .
(٢٣) رواه البخارى .
(٢٤) رواه البخارى .
(٢٥) رواه مسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى — أى يكفر الناس — فقلت : يا رسول الله .. ان كنت لأظن حين أنزل الله : **« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »**[٢٦] أن ذلك تاما .. قال : « انه سيكون من ذلك ما شاء الله .. ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمـــان .. فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم »[٢٧] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة »[٢٨] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء »[٢٩]

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده .. لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول : يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر .. وليس به الدين الا البلاء »[٣٠] .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تقاتلون بين يدى الساعة قوما نعالهم الشعر .. كأن وجوههم المجان المطرقة .. حمر الوجوه .. صغار الأعين »[٣١] .

وروى ابن عمر رضى الله عنهما قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة — ونظر الى المشرق — فقال : « رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان »[٣٢] .

* * *

وروى الامام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال : اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ..فقال : « ما تذاكرون » ؟ قالوا : نذكر الساعة .. قال : « انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ..

---

(٢٦) التوبة : ٣٣
(٢٧) رواه مسلم .
(٢٨) رواه مسلم .
(٢٩) رواه مسلم .
(٣٠) رواه مسلم .
(٣١) رواه مسلم .
(٣٢) رواه مسلم .

فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب .. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم » .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول الآيات خروجا الدجال ونزول عيسى ابن مريم .. ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر .. تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا وتصبح معهم اذا أصبحوا وتمسى معهم اذا أمسوا .. قلت : يا نبى الله .. وما الدخان ؟ قال : هذه الآية : **« فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين »** .. يملأ ما بين المشرق والمغرب .. يمكث أربعين يوما وليلة .. أما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام .. وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فمه ومنخره وعينه وأذنيه ودبره »[٣٣]

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفس ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت من ايمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض »[٣٤] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد .. سمعت رسول الله يقول : « ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى .. وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبـــا »[٣٥] .

وذكر الثعلبى فى حديث طويل عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ما معناه : « ان الشمس تحبس عن الناس ــ حين تكثر المعاصى فى الأرض ، ويذهب المعروف فلا يأمر به أحد ، ويفشو المنكر فلا ينهى عنه ــ مقدار ليلة تحت العرش .. كلما سجدت واستأذنت ربها تعالى من أين تطلع لم يجىء لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها .. ويستأذن من أين يطلع فلا يجاء اليهما جواب ..

---

(٣٣) رواه القرطبى فى تفسير سورة الدخان .
(٣٤) رواه مسلم . (٣٥) رواه مسلم .

حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر •• فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون فى الأرض ، وهم يومئذ عصابة قليلة فى كل بلدة من بلاد المسلمين •• فاذا تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى اليهما جبريل عليه السلام فيقول : ان الرب سبحانه وتعالى يأمركما أن ترجعا الى مغاربكما فتطلعان منه ، وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور •• فيطلعان من مغاربهما أسودين لا ضوء للشمس ولا نور للقمر ، مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك •• فذلك قوله : « **وجمع الشمس والقمر** »[٣٦] وقوله : « **اذا الشمس كورت** »[٣٧] •• فيرتفعان كذلك مثل البعيرين المقرونين •• فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء •• وهى منتصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما وردهما الى المغرب فلا يغربان من مغاربهما •• ولكن يغربهما من باب التوبة ثم يرد المصراعين •• ثم يلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن بينهما صدع •• فاذا أغلق باب التوبة لم تقبل لعبد بعد ذلك توبة •• ولم تنفعه بعد ذلك حسنة يعملها •• الا من كان قبل ذلك محسنا ، فانه يجرى عليه ما كان عليه قبل ذلك اليوم •• فذلك قوله تعالى : « **يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا** »[٣٨] •• ثم ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك الضوء والنور •• ثم يطلعان على النـاس ويغربان كما كانا قبل ذلك يطلعان ويغربان »[٣٩] .

❋ ❋ ❋

وذكر الامام مسلم عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة •• فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل •• فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال : « ما شأنكم » ؟ قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال غداة •• فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل ••

فقال : « غير الدجال أخوفنى عليكم •• ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم •• وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتى على كل مسلم •• انه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبهه

---

(٣٦) القيامة : ٩

(٣٧) التكوير : ١

(٣٨) الأنعام : ١٥٨

(٣٩) ذكره القرطبى فى تفسير سورة الانعام .

بعبد العزى بن قطن •• فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف •• انه خارج خلة بين الشام والعراق •• فعاث يمينا وعاث شمالا •• يا عباد الله فاثبتوا » •

قلنا : يا رسول الله •• وما لبثه فى الأرض ؟ قال : « أربعون يوما •• يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » •

قلنا : يا رسول الله •• فذلك اليوم الذى كسنة •• أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا •• اقدروا له قدره » •

قلنا : يا رسول الله •• وما اسراعه فى الأرض ؟

قال : « كالغيث استدبرته الريح •• فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له •• فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت •• فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر •• ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله •• فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شىء من أموالهم •• ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجى كنوزك •• فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ••

ثم يدعو رجلا ممتلئا شـبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض •• ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك ••

فبينما هو كذلك •• اذ بعث الله المسيح ابن مريم •• فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق •• بين مهرودتين — أى حلتين — واضعا كفيه على أجنحة ملكين •• اذا طأطأ رأسه قطر •• واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ •• فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات •• ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه •• فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ••

ثم يأتى عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة •• فبينا هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى انى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بقتالهم •• فحرز عبادى الى الطور ••

ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون •• فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها •• ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ••

ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر — أى الشجر الملتف — وهو جبل بيت المقدس •• فيقولون : لقد قتلنا من فى الأرض •• هلم

فلنقتل من فى السماء •• فيرمون بنشابهم الى السماء •• فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما !!

ويحصر نبى الله عيسى وأصحابه •• حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم •• فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه •• فيرسل الله عليهم — أى يأجوج ومأجوج — النغف — وهو الدود — فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ••

ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه الى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم •• فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله •

ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر • فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة •• ثم يقال للأرض : أنبتى ثمرتك وردى بركتك •• فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها •• ويبارك فى الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفى الفئام من الناس •• واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس •• واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس ••

فبينما هم كذلك اذ يبعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم •• ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر •• فعليهم تقوم الساعة » •

* * *

وعن زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول : « لا اله الا الله •• ويل للعرب من شر قد اقترب •• فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه — وعقد بيده عشرة — قالت قلت : يا رسول الله •• أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم •• اذا ظهر منهم الخبث »(٤٠) •

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ولد لنوح سام وحام ويافث •• فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم •• وولد يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم •• وولد حام القبط والبربر السودان » •

---

(٤٠) رواه مسلم •

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال : « يأجوج ومأجوج أمتان .. كل أمة أربعمائة ألف أمة ولا يعلم عددها الا الله .. لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح » .

قيل : يا رسول الله .. صفهم لنا .. قال : « هم ثلاثة أصناف .. صنف منهم أمثال الأرز[41] .. وصنف عرضه وطوله سواء .. نحوا من الذراع .. وصنف يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى .. لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه .. ويأكلون من مات منهم .. مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان .. يشربون أنهار الشرق وبحيرة طبرية .. فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس » .

وورد عن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد سئل عنهم .. قوله : « وصنف منهم فى طول شبر .. لهم مخالب وأنياب السباع .. وتداعى الحمام .. وتسافد البهائم .. وعواء الذئاب .. وشعور تقيهم الحر والبرد .. وآذان عظام احداها وبرة يشتون فيها ، والأخرى جلدة يصيفون فيها » !!

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان يأجوج ومأجوج يحفران كل يوم .. حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا .. فيعيده الله أشد ما كان .. حتى اذا بلغت مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس .. حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال : ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله .. فاستثنوا فيعدون عليه وهو كهيئته حين تركوه .. فيحفرونه ويخرجون على الناس .. فينشفون الماء .. ويتحصن الناس منهم فى حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء فيرجع عليهم الدم .. فيقولون : قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء .. فيبعث الله تعالى عليهم نغفا — أى دودا — فى أقفائهم فيقتلهم بها » .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده .. ان دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم »[42] .

* * *

---

(41) شجرة الأرز المعروفة بالشام طول الواحدة منها عشرون ومائة ذراع .

(42) رواه ابن ماجه فى سننه .. وذكره القرطبى فى تفسير سورة الكهف .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة •• فقال : « لها ثلاث خرجات من الدهر •• فتخرج من أقصى البادية •• ولا يدخل ذكرها القرية ـ يعنى مكة ـ ثم تكمن زمانا طويلا •• ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك •• فيفشو ذكرها فى البادية •• ويدخل ذكرها القرية » ـ يعنى مكة ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم بينما الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة وخيرها وأكرمها على الله •• المسجد الحرام •• لم يرعبهم الا وهى ترغو بين الركن والمقام •• تنفض عن رأسها التراب •• فارفض الناس منها شتى ومعا •• وثبتت عصابة من المؤمنين •• وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله •• فبدأت بهم فجلت فى وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى •• وولت فى الأرض لا يدركها طالب •• ولا ينجو منها هارب •• حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان •• الآن تصلى ؟ فتقبل عليه فتسمه فى وجهه •• ثم تنطلق ••

« ويشرك الناس فى الأموال •• ويصطلحون فى الأمصار •• يعرف المؤمن من الكافر •• حتى ان المؤمن يقـــول : يا كافر •• اقضنى حقى »(٤٣) •

واختلفوا فى تعيين هذه الدابة •• وصفتها •• ومن أين تخرج •

فقيل : انها فصيل ناقة صالح •• وذلك أنه لمـــا قتلت الناقة هرب •• فانفتح له حجر فدخل فى جوفه !!

وقيل : انها دابة مزغبة شعراء •• ذات قوائم طولها ستون ذراعا •• ويقال انها الجساسة !!

وقيل : انها ذات وبر وريش !!

وروى أنها على خلقة الآدميين •• وهى فى السماء وقوائمها فى الأرض !!

وروى أنها جمعت من خلق كل حيوان !!

وروى أنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التى اقتلعتها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة !!

وقال بعض المفسرين : ان الأقرب أن تكون هذه الدابة انسانا متكلما •• يناظر أهل البدع والكفر ويجادلهم !!

---

(٤٣) رواه ابو داوود •

وذكر الثعلبي والمــاوردي عن ابن الزبير رضي الله عنهما في وصفها : أن رأسها رأس ثور •• وعينها عين خنزير •• وأذنها أذن فيل •• وقرنها قرن أيل •• وعنقها عنق نعامة •• وصدرها صدر أسد •• ولونها لون نمر •• وخاصرتها خاصرة هر •• وذنبها ذنب كبش •• وقوائمها قوائم بعير •• بين كل مفصــل ومفصل اثنى عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام •• ويخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان •• فتنكت في وجه المسلم بعصا موسى نكتة بيضاء فيبيض وجهه •• وتنكت في وجه الكافر بخاتم سليمان فيسود وجهه !!

ونقول : الله وحده هو العليم بحقيقتها ••

وروى في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن الأرض تنشق عن الدابة •• وعيسى عليه الســلام يطوف بالبيت •• ومعه المسلمون من ناحية المسعى •• وأنها تخرج من الصفا •• فتسم بين عيني المؤمن هو مؤمن سمة كأنها كوكب درى •• وتسم في عيني الكافر نكتة سوداء : كافر » ••

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : تخرج من جبل الصفا بمكة •• يتصدع فتخرج منه ••

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بنحوه •• وقال : لو شئت أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت[٤٤] .



(٤٤) ذكر هذه الأخبار القرطبي في تفسير سورة النمل .

البعث .. والنشور .. والحساب

* البعث حق ..

يقول الله تعالى : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون »[1] .

ويقول تعالى : « ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون . فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون . ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون . قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ، هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون . أن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون . فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون »[2] .

ويقول جل شأنه : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار »[3] .

ويقول جل وعلا : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين »[4] .

ويقول : « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »[5] .

* * *

---

(١) الزمر : ٦٨ — ٧٠

(٢) يس : ٤٩ — ٥٤

(٣) ابراهيم : ٤٨

(٤) الأنبياء : ٤٧

(٥) الاسراء : ١٣ ، ١٤

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما الصور ؟ قال : « قرن ينفخ فيه »[٦] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ » .
فكأن قد ثقل على أصحابه فقالوا : فكيف نفعل يا رسول الله أو نقول ؟ قال : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل .. على الله توكلنا » — وربما قال : « توكلنا على الله »[٧] .

وعن عبد الله بن الحارث قال : كنت عند عائشة رضى الله عنها .. وعندها كعب الأحبار فذكر اسرافيل فقالت عائشة : يا كعب .. أخبرنى عن اسرافيل .. فقال كعب : عندكم العلم .. قالت : أجل فأخبرنى ..

قال : له أربعة أجنحة .. جناحان فى الهواء .. وجناح قد تسربل به ، وجناح على كاهله .. والقلم على أذنه .. فاذا نزل الوحى كتب القلم .. ثم درست الملائكة .. وملك الصور جاث على احدى ركبتيه وقد نصب الأخرى فالتقم الصور يحنى ظهره .. وقد أمر اذا رأى اسرافيل قد ضم جناحه أن ينفخ فى الصور ..
فقالت عائشة : هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقــول[٨] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « النافخان فى السماء الثانية .. رأس أحدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب — أو قال : رأس أحدهما بالمغرب ورجلاه بالمشرق — ينظران متى يؤمران أن ينفخا فى الصور فينفخان »[٩] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بين النفختين أربعون » .

---

(٦) رواه أبو داوود والترمذى .
(٧) رواه أحمد والطبرانى والترمذى وابن حبان .
(٨) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٩) رواه أحمد .

قيل : أربعون يوما ؟ قال أبو هريرة : أبيت .. قيل : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت .. قيل : أربعون سنة ؟ قال : أبيت ..

« ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل .. وليس فى الانسان شىء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب .. منه يركب الخلق يوم القيامة »[10] .

وعن ابى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأكل التراب كل شىء من الانسان الا عجب ذنبه » . قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « مثل حبة الخردل منه تنشئون »[11] .

وعنه رضى الله عنه أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها .. ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها »[12] .

* * *

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى .. ليس فيها علم لأحد »[13] .

[العفراء : البيضاء بياضا ليس بناصع ، والنقى : الخبز الأبيض ، والعلم : الأثر] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الناس حفاة عراة غرلا » .. قالت فقلت : الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض ؟ قال : « الأمر أشد من أن يهمهم ذلك »[14] .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة » قالت فقلت : يا رسول الله .. واسوأتاه ! ينظر بعضنا الى بعض ؟ فقال : « شغل الناس » قلت : وما شغلهم ؟ قال : « نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل »[15] .

---

(١٠) رواه البخارى ومسلم .

(١١) رواه أحمد وابن حبان .

(١٢) رواه أبو داوود وابن حبان .

(١٣) رواه البخارى ومسلم .

(١٤) رواه البخارى ومسلم .

(١٥) رواه الطبرانى فى الأوسط .

وعن سودة بنت زمعة رضى الله عنها قالت : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « يبعث الناس حفاة عراة غرلا •• قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » •• فقلت : يبصر بعضنا بعضا ؟ فقال : « شغل الناس •• لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه »(١٦) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنفا مشاة •• وصنفا ركبانا •• وصنفا على وجوههم » •• قيل : يا رسول الله •• وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : « ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم •• أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك »(١٧) •

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : ان الصادق المصدوق حدثنى أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج : فوجا راكبين طاعمين كاسين •• وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار •• وفوجا يمشون ويسعون(١٨) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق : راغبين وراهبين •• واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير •• ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا •• وتصبح معهم حيث أصبحوا •• وتمسى معهم حيث أمسوا »(١٩)

وعن أنس رضى الله عنه قال : لم يلق ابن آدم شيئا منذ خلقه الله عز وجل أشد عليه من الموت •• ثم ان الموت أهون مما بعده••• وانهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدة حتى يلجمهم العرق •• حتى ان السفن لو أجريت فيه لجرت(٢٠) ••

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول : يا رب أرحنى ولو الى النار » — وفى رواية : « ان العرق ليلزم المرء فى الموقف

---

(١٦) رواه الطبرانى .   (١٧) رواه الترمذى .
(١٨) رواه النسائى .   (١٩) رواه البخارى ومسلم .
(٢٠) رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط .

حتى يقول : يا رب ارسالك بى الى النار أهون على مما أجد وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب »[21] .

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طائفة من أصحابه قال : « ان الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور .. فأعطاه اسرافيل .. فهو واضعه على فيه شاخصا الى العرش ببصره .. ينتظر متى يؤمر » .

يقول أبو هريرة قلت : يا رسول الله .. ما الصور ؟ قال : « قرن » قلت : كيف هو ؟ قال : « عظيم .. والذى بعثنى بالحق ان عظم دائرة فيه لعرض السموات والأرض ينفخ فيه ثلاث نفخات .. الأولى نفخة الفزع .. والثانية نفخة الصعق .. والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ..

« يأمر الله اسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : انفخ نفخة الفزع .. فيفزع أهل السموات والأرض .. الا من شاء الله .. ويأمره تعالى فيمدها ويطيلها ولا يفتر .. وهى التى يقول الله تعالى فيها : **« وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق »**[22] .

« فتسير الجبال سير السحاب فتكون سرابا .. وترتج الأرض بأهلها رجا .. فتكون كالسفينة فى البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق بالعرش .. ترجه الأرواح ألا وهو الذى يقول الله تعالى فيه : **« يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة . قلوب يومئذ واجفة . أبصارها خاشعة »**[23] .

« فتميد الأرض بأهلها .. وتذهل المراضع .. وتضع كل الحوامل .. وتشيب الولدان .. ويطير الناس هاربين من الفزع .. فتتلقاهم الملائكة فتضرب وجوههم فيرجعون .. ثم يولون مدبرين .. مالهم من الله من عاصم .. ينادى بعضهم بعضا ..

« فبينما هم على ذلك اذ تصدعت الأرض بصدعين .. من قطر الى قطر .. فرأوا أمرا عظيما لم يروا مثله .. وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به أعلم ..

---

(٢١) رواه الطبرانى وابو يعلى والبزار والحاكم .
(٢٢) سورة ص : ١٥ (٢٣) النازعات : ٦ — ٩

« نظروا فى السماء فاذا هى كالمهل •• ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها •• وخسفت شمسها وقمرها •• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأموات لا يعلمون شيئا من ذلك » •

وقال أبو هريرة : من استثناه الله حين يقول : **« ففزع من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله »**[٢٤] قال : أولئك الشهداء •• وانما يصل الفزع الى الأحياء ، وهم أحياء عند ربهم يرزقون •• فوقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه •• وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه •• وهو الذى يقول فيه : **« يا أيها الناس اتقوا ربكم ، ان زلزلة الساعة شىء عظيم • يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »**[٢٥] •

« فيمكثون فى ذلك العذاب ما شاء الله الا أنه يطول •• ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق •• فيصعق أهل السموات والأرض الا من شـــاء الله ••

« فاذا هم خمدوا •• جاء ملك الموت الى الجبار فيقول : يا رب •• مات أهل السموات والأرض الا من شئت •• فيقول الله ــ وهو أعلم بمن بقى ــ فمن بقى ؟ •• فيقول : يا رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت •• وبقيت حملة العرش •• وبقى جبريل وميكائيل وبقيت أنا •

« فيقول الله : ليمت جبريل وميكائيل •• فينطق الله العرش فيقول : يا رب •• يموت جبريل وميكائيل ؟ فيقول : اسكت •• فانى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى •• فيموتان ••

« ثم يأتى ملك الموت الى الجبار عز وجل • فيقول : يا رب •• قد مات جبريل وميكائيل •• وبقيت أنا وحملة العرش •• فيقول الله : فليمت حملة العرش •• فيموتون •• ويأمر الله العرش فيقبض الصور من اسرافيل •

« ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول : يا رب •• قد مات حملة عرشك •• فيقول ــ وهو أعلم بمن بقى ــ فمن بقى ؟ فيقول : يا رب •• بقيت أنت الحى الذى لا تموت •• وبقيت أنا •• فيقول الله : أنت خلق من خلقى • خلقتك لمـــا رأيت •• فمت •• فيموت ••

---

(٢٤) النمل : ٨٧ (٢٥) الحج : ١ ، ٢

« فاذا لم يبق الا الله الواحد القهار •• الأحد الفرد الصمد •• الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد •• كان آخرا كما كان أولا •• طوى السموات والأرض كطى السجل للكتاب •• ثم دحاها •• ثم لفها ثلاث مرات •• وقال : انا الجبار — ثلاثا — ثم هتف بصوته : « **لمن الملك اليوم** »(٢٦) ؟ — ثلاث مرات فلا يجيبه أحد فيقول لنفسه : « **لله الواحد القهار** »(٢٦) .

« ويبدل الله الأرض غير الأرض والسموات •• فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الاديم العكاظى •• لا ترى فيها عوجا ولا امتا •• ثم يزجر الله الخلق زجرة •• فاذا هم فى مثل ما كانوا فيه فى الأولى •• من كان فى بطنها كان فى بطنها •• ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ••

« ثم ينزل الله عليكم من ماء من تحت العرش •• ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطـــر أربعين يوما •• حتى يكون المـــاء فوقهم اثنى عشر ذراعا •• ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت •• فتنبت كنبات البقل •• حتى اذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت •• قال الله : ليحيا جبريل وميكائيل •• فيحييان ••

ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا •• والأخرى ظلمة •• فيقبضها جميعا ثم يلقيها فى الصور •• ثم يأمر اسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل •• قد ملأت ما بين السماء والأرض •• فيقول الله : وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح الى جسده •• فتدخل الأرواح فى الأرض الى الأجساد •• فتدخل فى الخياشيم •• ثم تمشى فى الأجساد مشى السم فى اللديغ ••

« ثم تنشق الأرض عنكم •• وأنا أول من تنشق عنه الأرض •• فتخرجون منها سراعا الى ربكم تنســـلون . « **مهطعين الى الداع ، يقول الكافرون هذا يوم عسر** »(٢٧) .

« ثم تقفون موقفا واحدا •• مقدار سبعين عاما لا ينظر اليكم ، ولا يقضى بينكم •• فتبكون حتى تنقطع الدموع •• ثم تدمعون دما وتعرقون حتى يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم ، أو يبلغ الأذقان فتضجون وتقولون : من يشفع لنا الى ربنا ليقضى بيننا ؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم ؟ •• خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه

---

(٢٦) غافر : ١٦ — (٢٧) القمر : ٨

قبلا •• فيأتون آدم فيطلبون اليه ذلك فيأبى فيقول : ما أنا بصاحب ذلك •• ثم يسعون الى الأنبياء نبيا نبيا •• كلما جاءوا نبيا أبى عليهم ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حتى تأتونى •• فأنطلق حتى الى الفحص فاخر ساجدا » •• فقال أبو هريرة : يا رسول الله •• ما الفحص ؟ قال : « موضع قدام العرش » ••

حتى يبعث الله الى ملكا فيأخذ بعضدى فيرفعنى ويقول لى : يا محمد •• فأقول : نعم •• لبيك يا رب • فيقول : ما شأنك ؟ — وهو أعلم — فأقول : يا رب •• وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم •• فيقول : شفعتك •• أنا آتيكم فأقضى بينكم » •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأرجع فأقف مع الناس •• فبينما نحن وقوف •• اذ سمعنا حسا من السماء شديدا •• فينزل من أهل السماء الدنيا مثل من فى الأرض من الجن والانس •• حتى اذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم •• وأخذوا مصافهم وقلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا •• وهو آت •• ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف ••

« حتى ينزل الجبار تبارك وتعالى •• فى ظل من الغمام والملائكة •• ويحمل عرشه يومئذ ثمانية ، وهم اليوم أربعة •• أقدامهم على تخوم الأرض السفلى •• والأرض والسموات الى حجرهم •• والعرش على مناكبهم •• لهم زجل من تسبيحهم •• يقولون : سبحان ذى العزة والجبروت •• سبحان ذى الملك والملكوت •• سبحان الحى الذى لا يموت •• سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت ••

« فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه •• ثم يهتف بصوته فيقول : يا معشر الجن والانس •• انى قد أنصت لكم من يوم خلقتكم الى يومكم هذا •• أسمع قولكم وأرى أعمالكم •• فأنصتوا الى •• فانما هى أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم •• فمن وجد خيرا فليحمد الله •• ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ••

ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم •• ثم يقول : **« وامتازوا اليوم أيها المجرمون • ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ، انه لكم عدو مبين • وأن اعبدونى ، هـذا صراط مستقيم •**

ولقد أضل منكم جبلا كثيرا ، أفلم تكونوا تعقلون . هذه جهنم التى كنتم توعدون . اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون »[٢٨] .

« فيميز الله الناس .. وينادى الأمم داعيا كل أمة الى كتابها .. والأمم جاثية من الهول . قال الله تعالى : « ولله ملك السموات والأرض ، ويوم تقوم الساعه يومئذ يخسر المبطلون . وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون »[٢٩] .

« فيقضى الله بين خلقه الا الثقلين — الانس والجن — فيقضى بين الوحوش والبهائم .. حتى انه ليقيد الجماء[٣٠] من ذات القرن .. فاذا فرغ الله من ذلك فلم يبق تبعة عند واحدة لأخرى .. قال الله لها : كونى ترابا .. فعندئذ يقول الكافر « يا ليتنى كنت ترابا »[٣١] .

« ثم يقضى الله بين العباد .. فيكون أول ما يقضى فيه الدماء .. فيأتى كل قتيل فى سبيل الله .. ويأمر الله من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه .. فيقول : يا رب .. فيم قتلنى هذا ؟ فيقول الله تعالى — وهو أعلم — : فيم قتلته ؟ فيقول : قتلته يا رب لتكون العزة لك .. فيقول الله : صدقت .. فيجعل الله وجهه مثل نور السموات .. ثم تسبقه الملائكة الى الجنة .

« ثم يأتى كل من كان يقتل على غير ذلك .. ويأمر من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول : يا رب .. فيم قتلنى هذا ؟ فيقول الله — وهو أعلم — : فيم قتلته ؟ فيقول : يا رب قتلته لتكون العزة لى .. فيقول الله : تعست ..

« ثم ما تبقى نفس قتلها قاتل الا قتل بها .. ولا مظلمة الا أخذ بها .. وكان فى مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء رحمه ..

« ثم يقضى الله بين من بقى من خلقه .. حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد الا أخذها الله للمظلوم من الظالم .. حتى انه ليكلف شائب اللبن بالماء أن يخلص اللبن من الماء ..

---

(٢٨) يس : ٥٩ — ٦٤ (٢٩) الجاثية : ٢٧ — ٢٩

(٣٠) اى يقتص الله للشاة التى لا قرن لها من القرناء .

(٣١) النبأ : ٤٠

فاذا فرغ الله من ذلك •• نادى مناد يسمع الخلائق كلهم فقال : ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله •• فلا يبقى أحد عبد من دون الله شيئا الا مثلت له الهيئة بين يديه •• فيجعل الله يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير •• ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى •• فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى •• ثم نادتهم آلهتهم الى النار فهذا الذى يقول الله تعالى :

« واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين • انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون • لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ، وكل فيها خالدون • لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون • ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون • لا يسمعون حسيسها ، وهم فى ما اشتهت أنفسهم خالدون • لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون • يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا ، انا كنا فاعلين »(٣٢) .

« فاذا لم يبق الا المؤمنون وفيهم المنافقون •• جاءهم الله فيما شاء من هيئة فقال : يا أيها الناس •• ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون •• فيقولون : والله مالنا الا الله ، وما كنا نعبد غيره •• فينصرف عنهم — وهو الله — فيمكث ما شاء أن يمكث •• ثم يأتيهم فيقول : يا أيها الناس •• ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون •• فيقولون : والله ما لنا الا الله ، وما كنا نعبد غيره •• فيكشف عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون به أنه ربهم •• فيخروا سجدا على وجوههم •• ويخر كل منافق على قفاه •• ويجعل الله أصلابهم كصياصى البقر — أى قرونها — ثم يأذن الله لهم فيرفعون رؤوسهم — وذلك قوله تعالى : **« يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون • خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون »(٣٣) .**

قال : « ويضرب الله بالصراط بين ظهرانى جهنم كقد(٣٤) الشعر ••

---

(٣٢) الأنبياء : ٩٧ — ١٠٤ (٣٣) القلم : ٤٢ ، ٤٣

(٣٤) القد : السير من الجلد .

أو كعقد الشعر •• وكحد السيف •• عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان •• ودونه جسر دحض[٣٥] مزلة •• فيمرون كطرف البصر ، أو كلمح البصر ، أو كمر الريح ، أو كجياد الخيل ، أو كجياد الركاب ، أو كجياد الرجال •• فناج سالم ، وناج مخدوش ، ومكدوح[٣٦] على وجهه فى جهنم ••

فاذا أفضى أهل الجنة الى الجنة قالوا : من يشفع لنا الى ربنا فيدخلنا الجنة ؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم ؟ •• انه خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ، وكلمه قبلا •• فيأتون آدم فيطلبون ذلك اليه •• فيذكر ذنبا ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فانه أول رسله الى خلقه ••

فيأتون نوحا فيطلبون ذلك اليه فيذكر شيئا ويقول : ما أنا بصاحبكم عليكم بموسى ••

فيطلبون ذلك اليه فيذكر ذنبا ويقول : لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم ••

فيطلبون ذلك اليه فيقول : لست بصاحب ذلك •• ولكن عليكم بمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولم يذكر ذنبا ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فيأتونى •• ولى عند ربى ثلاث شفاعات وعدتهن •• فأنطلق فآتى الجنة فآخذ بحلقة الباب ثم أستفتح فيفتح لى •• فأحيي ويرحب بى •• فاذا دخلت الجنة فنظرت الى ربى عز وجل •• خررت له ساجدا •• فيأذن الله لى من حمده ومجده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه •• ثم يقول لى الله : ارفع رأسك يا محمد •• واشفع تشفع •• وسل تعط •• فاذا رفعت رأسى قال الله ــ وهو أعلم ــ : ما شأنك ؟ فأقول : يا رب •• وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة يدخلون الجنة •• فيقول الله عز وجل : قد شفعتك •• وأذنت لهم فى دخول الجنة » ••

---

(٣٥) الدحض : الزلق .   (٣٦) أى مرمى .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى بعثنى بالحق.. ما أنتم فى الدنيـــا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم ... »[37] .

* * *

---

(٣٧) عن « القيامة رأى العين » للأستاذ محمد محمود الصواف .

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن عمرو بن الضحاك ابن مجالد عن أبى عاصم الضحاك بن مجالد عن أبى رافع اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصـــار — عن أبى هريرة ..

ويقول الدارقطنى : ان اسماعيل بن رافع — أحد رواته — متروك الحديث . وقال عنه ابن عدى : أحاديثه كلها مما فيه نظر ..

وقال فيه ابن حبان : كان رجلا صالحا .. الا أنه كان يقلب الأخبار .. حتى صار الغالب على حديثه المناكير التى يسبق الى القلب أنه كان المتعمد لهـــا .. وقيل : انه لم يكن من الوضاعين ..

ويبدو أنه قد جمع هذا الحديث بطوله من طرق وأماكن متفرقة .. فجمعه وساقه سياقة واحدة .. فكان يقص به على أهل المدينة .. الا أن عامة ما فيه يروى متفرقا فى أسانيد ثابتة .

✻ من أهوال يوم القيامة :

يصف الله تعـالى لنـا أهوال ذلك اليوم العظيم فيقول وهو أصدق القائلين :

✻ « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهـار »[1] .

✻ « يا أيها الناس اتقوا ربكم ، ان زلزلة الساعة شىء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »[2] .

✻ « اذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الانسان ما لها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم »[3] .

✻ « اذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة . اذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا . وكنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون . أولئك المقربون . فى جنات النعيم »[4] .

✻ « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا . فيذرها قاعا صفصفا . لا ترى فيها عوجا ولا أمتـا . يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له ، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا . يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما . وعنت الوجوه للحى القيوم ، وقد خاب من حمل ظلما »[5] .

✻ « ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين »[6] .

---

(١) ابراهيم : ٤٨
(٢) الحج : ١ ، ٢
(٣) الزلزلة : ١ — ٦
(٤) الواقعة : ١ — ١٢
(٥) طه : ١٠٥ — ١١١
(٦) المطففين : ٤ — ٦

* « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث • وتكون الجبال كالعهن المنفوش »[٧] •

* « فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة • وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة • فيومئذ وقعت الواقعة • وانشقت السماء فهى يومئذ واهية • والملك على أرجائها ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية • يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية • فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه • انى ظننت أنى ملاق حسـابيه • فهو فى عيشـة راضية • فى جنة عالية • قطوفها دانية • كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية • وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه • ولم أدر ما حسابيه • يا ليتها كانت القاضية • ما أغنى عنى ماليه • هلك عنى سلطانيه »[٨] •

* « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد • اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد • ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيـد • وجاءت سكرة الموت بالحق • ذلك ما كنت منه تحيد • ونفخ فى الصور ، ذلك يوم الوعيـد • وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد • لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد »[٩] •

* « اذا السماء انشقت • وأذنت لربها وحقت • واذا الأرض مدت • وألقت ما فيها وتخلت • وأذنت لربها وحقت • يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه • فأما من أوتى كتابه بيمينه • فسوف يحاسب حسابا يسيرا • وينقلب الى أهله مسرورا • وأما من أوتى كتابه وراء ظهره • فسوف يدعوا ثبورا • ويصلى سعيرا »[١٠] •

* « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان »[١١] •

* « اذا السماء انفطرت •• واذا الكواكب انتثرت • واذا البحار فجرت • واذا القبور بعثرت • علمت نفس ما قدمت وأخرت »[١٢] •

* « يوم تمور السماء مورا • وتسير الجبال سيرا • فويل يومئذ للمكذبين »[١٣] •

---

(٧) القارعة : ٤ ، ٥
(٨) الحاقة : ١٣ ــ ٢٩
(٩) سورة ق : ١٦ ــ ٢٢
(١٠) الانشقاق : ١ ــ ١٢
(١١) الرحمن : ٣٧
(١٢) الانفطار : ١ ــ ٥
(١٣) الطور : ٩ ــ ١١

* « اذا الشمس كورت . واذا النجوم انكدرت . واذا الجبال سيرت . واذا العشـــار عطلت . واذا الوحوش حشرت . واذا البحار سجرت . واذا النفوس زوجت . واذا الموؤدة سئلت . بأى ذنب قتلت . واذا الصحف نشرت . واذا السماء كشطت . واذا الجحيم سعرت . واذا الجنة أزلفت . علمت نفس ما أحضرت »[١٤] .

* « فاذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر . يقول الانسان يومئذ أين المفر »[١٥] .

* « تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . فاصبر صبرا جميلا . انهم يرونه بعيدا . ونراه قريبا . يوم تكون السماء كالمهل . وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميم حميما »[١٦]

* « وترى كل أمة جاثية ، كل أمة تدعى ألى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون »[١٧] .

* « يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور »[١٨] .

* « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ، قالوا لا علم لنا ، انك أنت علام الغيوب »[١٩] .

* « يوم يقوم الروح والملائكة صفا ، لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا . ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا . انا أنذرناكم عذابا قريبـــا يوم ينظـــر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا »[٢٠] .

* « فاذا جاءت الصاخة . يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة »[٢١] .

---

(١٤) التكوير : ١ — ١٤
(١٥) القيامة : ٧ — ١٠
(١٦) المعارج : ٤ — ١٠
(١٧) الجاثية : ٢٨ — ٢٩
(١٨) لقمان : ٣٣
(١٩) المـائدة : ١٠٩
(٢٠) النبأ : ٣٨ — ٤٠
(٢١) عبس : ٣٣ — ٤٢

*** « ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون • حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون • وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى انطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون • وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون • وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين »(٢٢) •**

*** « ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل • قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا • فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ، ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا • وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ، وكان ربك بصيرا • وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعتو عتوا كبيرا • يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا • وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا »(٢٣) •**

*** « أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا • فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا • ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا • ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا • وان منكم الا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا • ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا »(٢٤) •**

والآيات فى وصف هذا اليوم المهول كثيرة •• انما اجتزأنا منها بما يعطى لمحة سريعة •• حتى لا يخرج الكتاب عن موضوعه ••

* * *

● يخبرنا الله تعالى •• بأهوال ذلك اليوم العظيم •• يوم يأذن لاسرافيل عليه السلام بالنفخة الأولى •• نفخة الفزع ••

---

(٢٢) فصلت : ١٩ — ٢٣
(٢٣) الفرقان : ١٧ — ٢٣
(٢٤) مريم : ٦٧ — ٧٢

فالأرض تهتز وتتزلزل من أعماقها •• والجبال تتحرك تحركا مهولا •• ثم تتفتت وتصير غبارا متطايرا فى الهواء •• تماما كالصوف المنفوش فى تفرق أجزائه وتطايرها ••

ثم تدك الأرض والجبال دكة واحدة •• فتزداد الأرض اتساعا بعد أن انمحت الجبال وزالت الآكام ••

وتستمر الأرض فى اضطرابها وتصدعها •• فتطرح ما أودعه الله جوفها من المعادن والكنوز ••

وتتبعثر القبور فتلفظ ما أودعه الناس فى باطنها من أجساد ودفائن ••

وتزال الحواجز بين البحار •• فتتفتح وتتصل •• وتتأجج منها النيران المهولة ••

وتضطرب السماء اضطرابا عظيما •• ويقرن بين الشمس والقمر فيطلعان من المغرب ••

ثم يؤذن للسموات بالزوال •• فتتصدع •• وتلف الشمس وينمحى ضوءها •• ويذهب ضوء القمر •• وينطمس نور النجوم ••

وتغلى السماء فتكون كالفضة الذائبة • ثم تتحول الى حمرة كدرة كالزيت المغلى •• ثم تنشق فتصبح ضعيفة واهية •• وتتساقط منها الكواكب مبعثرة ••

ولا تزال النيران تتصاعد من جوف الأرض وأعماق البحار •• حاملة معها المعادن والصخور المنصهرة •• كما تتساقط النار من السماء مع تساقط الكواكب والنجوم ••

لقد تعود الناس أن تمطرهم السماء ماء •• ولكنها اليوم تمطرهم نارا !!

فى ذلك اليوم المهول •• تهرع الوحوش من أوكارها وجحورها •• هائجة مائجة •• لا تعرف لهذا الهول النازل تفسيرا •• ولا تفهم لهذا الانقلاب تعليلا !!

وينتشر الناس كالفراش المبثوث •• فى كثرته وتدافعه •• هائمين يمينا وشمالا •• ضعفاء أذلاء •• لا حول لهم ولا قوة •• أبصارهم حائرة •• وعقولهم ذاهلة •• يملأهم الفزع ويأخـذهم الهول •• يتساءلون وما من مجيب : ما للأرض تزلزل ؟! •• وما للسماء تفجر ؟! وما للبحار تفور ؟! •• الى أين يلجأون ؟! •• والى من يفرون ؟!

لقد فقدت جميع الأشياء خواصها •• وتفككت الروابط كلها ••

فأرحام الحبالى تسقط أجنتها •• والأب لا يحمل جريرة عن ابنه •• والأبناء لا يغنون عن آبائهم شيئا •• وتذهل كل أم عن رضيعها •• ويتنكر كل ابن لأمه •• ولا يعرف الأخ أخاه أو أخته •• ويفر الرجل من زوجه وأبنائه ••

كل منهم مشغول يطلب النجاة لنفسه •• والناس فى فزعهم وهولهم يتمايلون كأنهم سكارى •• وليسوا بسكارى •• ولكن الهول النازل بهم يأخذ بعقولهم •• ويطيش بألبابهم ••

حتى الرسل والأنبياء يذهلون •• من هول ما يرون •• يسألهم الله تعالى عما أجابهم به الناس حين أرســلوا اليهم •• فيقولون : لا علم لنا !! يعقد الرعب ألسنتهم •• ويطيش الفزع بألبابهم •• فلا يتذكرون ما عانوه من أقوامهم ••

وشعار كل مخلوق : نفسى •• نفسى ••

عندئذ يتأكد النـــاس أن الساعة قد جاءت •• وأن الأرض قد استجابت لأمر ربها ••

● ثم يأذن الله بالنفخة الثانية •• نفخة الموت والصعق •• فيهلك من فى السموات والأرض •• ولا يبقى الا الله تعالى •• ذو الجلال والاكرام •• يبقى آخرا بعد اذ كان أولا ••

● ثم تنفخ الثالثة •• للبعث والنشور •• ويأذن الله تعالى للأرواح أن تقرن بأجسادها •• فقد حان يوم الحساب •• وهو طويل عسير •• مقداره خمسين ألف سنة •• وسيعلم فيه كل انسان ما قدم وأخر •• من خير أو شر ••

وتأتى كل نفس •• برة كانت أم فاجرة •• يسوقها سائق •• ويصحبها شاهد •• لتجنى ثمرة ما زرعته فى حياتها الأولى ••

والناس بين حائر وذاهل • لا يسأل قريب عن حال قريبه •• فلكل منهم شأن يغنيه •• وكل منهم مشغول بنفسه يطلب لها النجاة ••

***

لقد خلق الله الناس •• ويعلم ما تحدثهم به أنفسهم •• ويعلم أحوالهم كلها •• سرها وجهرها •• فهو أقرب اليهم من أوردتهم التى تسكن أجسامهم ••

ومع هذا .. فقد جعل لكل منهم ملكين حافظين .. عن يمين وشمال .. فما يلفظ من لفظه الا ولديه ملك موكل بهـا .. حافظ لها مهيأ لكتابتها .. وما يعمل من عمل الا ويسجله ملكاه .. ان خيرا فخير .. وان شرا فشر .. فكل شيء يعد ليوم الحساب ..

ولم يترك الله الناس على جهلهم .. بل أخبرهم بما أعد لهم .. من ثواب وعقاب ..

ولكن الناس – عادة – يغفلون عن هذه الأمور .. حتى تأتيهم غاشية الموت .. ذلك الأمر الذى يفرون منه وهو ملاحقهم .. واليوم يفيقون من غفلتهم ويصحون من غشيتهم .. فقد زالت الحجب .. وأصبحت الأبصـار كلها نافذة قوية .. واتضحت لهم الأمور على حقيقتها .. تماما كما أخبرهم الله من قبل ..

لقد حذرنا الله تعالى من عذاب ذلك اليوم العظيم .. وأخبرنا أنه قريب .. وأننا سننظر وحيدين الى ما قدمت أيدينا ..

ولم يلزمنا تعالى باتباع طريق واحد .. بل وضح لنا طريق الخير وطريق الشر .. وبين عاقبة سلوك كل منهما .. وترك لنا الخيار .. فمن شاء فليؤمن .. ومن شاء فليكفر .. ولن ينجو الا من يتخذ الى ربه مرجعا كريما .. ولن يكون ذلك الا بالايمان والعمل الصالح ..

فما بال الناس – وقد رأوا ما كانوا يوعدون – يذهب بهم الفزع وتأخذهم الحيرة ؟

* * *

ثم تتنزل ملائكة السماء .. فينتشرون فى أرجاء الأرض .. وينزل حملة العرش .. ويقوم جبريل والملائكة .. مصطفين خاشعين .. لا يتكلم واحد منهم الا باذن من الله تعالى . وعندئذ ينطق .. ولا ينطق الا بالصواب ..

لقد طالما جحد الجاحدون وجود الملائكة .. بل بالغـوا فى السخرية والاستهزاء وطلبوا رؤيتها – بل اشتطوا فطلبو رؤية ربهم – فسيرونها فى ذلك اليوم العظيم .. وستكون رؤيتهم اياها مبعث نفرة لهم وليس بشرى .. عندئذ يستعيذون منهم كما كانوا يستعيذون مما كان يفزعهم فى الدنيا !!

فى هذا اليوم العظيم .. يتجلى الله تعالى على أهل المحشر بقسطه

وعدله •• ويتجلى على أهل الجنة برحمته واحسانه •• ويتجلى على أهل النار بعظمته وجبروته ••

واليوم للحساب •• يوم عدل وقسط •• فينصب الميزان •• وتوزن الأعمال •• وينال كل ذى حق حقه ••

ستنشر الصحف •• وتتطاير الكتب •• ويتسابق الناس لالتقاط صحائفهم ••

ومن الناس من يأخذ كتابه بيمينه •• ومنهم من يأخذه بشماله أو من وراء ظهره •• ذراية له واحتقارا لشأنه ••

فأما من تناول كتابه بيمينه •• فسوف يحاسب حسابا سهلا هينا •• ويرجع الى عشيرته وآله من المؤمنين مبتهجا مسرورا •• يعرض عليهم كتابه فرحا فخورا •• فقد أيقن من قبل — عندما كان فى الدنيا — أنه سوف يقف هذا الموقف •• فأعد لهذا اللقاء عدته •• وهو لذلك سعيد بالنتيجة التى حصل عليها •• فخور بالشرف والتكريم اللذين نالهما ••

كيف لا •• وقد بشره الله بجنة عرضها السموات والأرض •• ثمارها قريبة المنال •• سهلة التناول •• مباحة فى كل وقت •• وشرابها اللبن والشهد المصفى جزاء وفاقا لما قدم من عمل صالح ••

وأما ذلك الذى تناول كتابه بشماله •• فسوف يتعالى صياحه وعويله •• متمنيا لنفسه الهلاك •• ليته لم يعط كتابه •• ولم يعلم حسابه •• ليت الموتة التى قام منها كانت الفاصلة فى أمره •• ليته بقى ترابا بعد الموت فلم يبعث •• بل ليته أصبح ترابا بعد اذ بعث !!

لقد ضاع كل شيء •• ذهبت العزة •• وزالت السطوة •• وسقط الجبروت •• فلم يبق له الا الهوان والحسرة !!

كيف لا •• وقد أيقن أنه صائر الى الجحيم •• يسوقه اليها حراس غلاظ شداد •• يكبلونه بالسلاسل والأغلال •• ويسحبونه على وجهه الى النار •• ليس له فيها من طعام الا الشوك ممزوجا بغسالة أهل النار من دم وقيح وصديد !!

* * *

ويخبرنا الله تعالى فى كتابه العزيز •• بأنه سيحشر الكافرين جميعا الى النار •• أولهم وآخرهم •• ليتم الزام الحجة عليهم ••

والانسان بطبعه يحب المراء ويجيد الجدال •• فما يكاد أولئك الكافرون يقتربون من النار •• ويواجهون بما ارتكبوا من آثام •• حتى يتعالى مرائهم وجدالهم •• جاحدين ما قدمته أيديهم !!

ويأمر الله تعالى أعضاءهم بالنطق •• فتنطق •• وتشهد عليهم أسماعهم وأبصـــارهم وجلودهم •• وتكذبهم أيديهم وأرجلهم •• فيقولون لأعضائهم : لم شهدتم علينا وقد كنا ندفع عنكم العذاب ؟! فتجيبهم قائلة : انما أنطقنا الله الذى أنطق الأشياء كلها •• وهو الذى أوجدكم من العدم •• واليه وحده المرجع والمـــآل •• ولكنكم كنتم تجحـــدون ••

لقد استتروا فى الدنيا من الناس •• فهل كانوا يستطيعون الاستتار عن جوارحهم وأعضائهم مخافة أن تشهد عليهم ؟!

لقد كانوا فى عبثهم ولهوهم يظنون أن الله تعالى لا يعلم كثيرا من أعمالهم •• لقد ستروها عن أعين الناس وأتوها خفية •• ولكنهم لم يستتروا من الله •• فأهلكهم ظنهم الفاسد •• وأصبحوا يوم القيامة من الخاسرين ••

أما ما عملوه فى دنياهم من مظاهر البر والاحسان •• فقد فعلوه رياء وابتغاء الرفعة بين الناس •• ولهذا يحبط الله عملهم ويحرمهم ثوابه •• فاليوم تقوم الأعمال بالايمان وحده •• وما كانوا مؤمنين !!

***

فى ذلك اليوم العصيب — أعاذنا الله من شره — يحشر أهل كل دين جاثين على ركبهم •• متحفزين لاجابة النداء ••

فتدعى كل أمة الى سجل أعمالها •• ويقال لهم : اليوم تستوفون جزاء ما قدمتهم •• فهذا كتابنا سجلت فيه أعمالكم •• وأخذ كل منكم كتابه بيده •• ينطق عليه بما عمل من خير أو شر •• شهادة صدق وعدل •

لقد كانت الملائكة تكتب أعمالكم •• لتحاسبوا اليوم على ما فرط منـــكم ••

ويخبرنا الله تعالى فى كتابه الكريم •• بأن الناس سوف يقسمون الى ثلاثة أصناف ••

أصحاب اليمين •• وهم أهل المنزلة الرفيعة •• وما أعظم مكانتهم •

وأصحاب الشمال •• وهم أهل المنزلة الدنية •• وما أسوأ حالهم ••

والصنف الثالث •• هم السابقون الى الخيرات فى الدنيا •• ولهذا يسبقون اليوم الى الدرجات العلا فى الآخرة •• أولئك هم المقربون عند الله تعالى •• يدخلهم ربهم برحمته وعدله جنات النعيم ••

* * *

كيف تتعجبون — أيها الجاحدون — من قدرة الله تعالى على البعث فى الآخرة •• أليس الله تعالى قد أوجدكم من العدم ؟!

أليست اعادة الخلق أهون عليه من البدء به ؟!

لقد عجب الكافرون من أمر البعث •• وكذبوا به !!

بلى •• سيجمعهم الله يوم القيامة مع شياطينهم الذين زينوا لهم كفرهم ••

وسيحضرهم تعالى جميعا جاثين حول جهنم •• ذليلة نفوسهم •• خاشعة أبصارهم ••

وسوف ينزع من كل جماعة أشدهم تمردا عليه وكفرا به •• فيدفع بهم قبل غيرهم الى أشد العذاب ••

أليس الله وحده هو العليم بمن هو أحق بالسبق الى دخول جهنم والاصطلاء بلهيبها ؟!

ويؤكد لنا الله تعالى أن الناس جميعا سيردون تلك النار •• مؤمنهم وكافرهم •• برهم وفاجرهم !!

يراها المؤمن حين يمر بها مجتازا الصراط الى الجنة سالما •• لا يصيبه لهيبها •• ولا يمسه لفحها ••

ويسقط فيها الكافر خالدا مخلدا •• يصلى لهيبها •• ويحترق جلده بنارها •• وكلما نضج جلده بدله الله جلدا غيره •• الى مالا نهاية ••

أعاذنا الله بفضله ورحمته من شر ذلك اليوم وأهواله ••

* * *

* البعث :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بين النفختين أربعون » قيل : أربعون يوما ؟ قال أبو هريرة : أبيت .. قيل : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت .. قيل : أربعون سنة ؟ قال : أبيت .. « ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما تنبت البقل .. وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد : وهو عجب الذنب .. منه يركب الخلق يوم القيامة »(٢٥) [وقد تقدم] .

ولمسلم قال : « ان فى الانسان عظما لا تأكله الأرض أبدا .. فيه يركب الخلق يوم القيامة » قالوا : أى عظم هو يا رسول الله ؟ قال : « عجب الذنب »(٢٦) .

وفى رواية قال : « كل ابن آدم تأكله الأرض .. الا عجب الذنب .. منه خلق وفيه يركب » [وعجب الذنب : هو العظم الحديد الذى يكون فى أسفل الصلب ، وأصل الذنب من ذوات الأربع] .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأكل التراب كل شيء من الانسان الا عجب ذنبه » .. قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « مثل حبة خردل منه تنشئون »(٢٧) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول : « انكم ملاقوا الله حفاة عراة غرلا » ـ وزاد فى رواية : « مشاة » .

وفى رواية قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال : « يا أيها الناس .. انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا « **كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا ، انا كنا فاعلين** »(٢٨) .. ألا وان أول الخلائق يكسى ابراهيم عليه السلام .. ألا وانه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال .. فأقول : يا رب .. أصحابى . فيقول : انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك .. فأقول كما قال العبد الصالح : « **وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد . ان تعذبهم فانهم**

---

(٢٥) رواه البخارى ومسلم .
(٢٦) رواه مالك وأبو داوود والنسائى .
(٢٧) رواه أحمد وابن حبان .   (٢٨) الأنبياء : ١٠٤

عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم »[٢٩] قال : فيقال لى : انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم » — زاد فى رواية : « فأقول : سحقا •• سحقا »[٣٠] •

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة » • فقالت امرأة : يا رسول الله •• فكيف يرى بعضنا بعضا ؟ فقال : « ان الأبصار شاخصة » — فرفع صلى الله عليه وسلم بصره الى السماء : أى يدعو أن يخفف عذابه وينجى الصالحين — فقالت المرأة : يا رسول الله •• ادع الله أن يستر عورتى • قال : « اللهم استر عورتها »[٣١] •

وقد تقدمت أحاديث فى البعث تحت عنوان « البعث حق »[٣٢] فى هذا الكتاب •

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله •• قال الله تعالى : **« الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم »**[٣٣] •• أيحشر الكافر على وجهه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه » ؟ — قال قتادة حين بلغه : بلى وعزة ربنا[٣٤] •

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انكم تحشرون رجالا وركبانا وتجرون على وجوهكم »[٣٥] •

وعن المقداد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل » — قال سليم بن عامر : والله ما أدرى ما يعنى بالميل مسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين — قال : « فتكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق •• فمنهم من يكون الى كعبيه •• ومنهم من يكون الى ركبتيه •• ومنهم من يكون الى حقويه •• ومنهم

---

(٢٩) المائدة : ١١٧ ، ١١٨

(٣٠) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى •

(٣١) رواه الطبرانى •

(٣٢) انظر ص ٢٣٨ وما بعدها •

(٣٣) الفرقان : ٣٤

(٣٤) رواه البخارى ومسلم •

(٣٥) رواه الترمذى •

من يلجمه العرق الجاما » .. وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعرق الناس يوم القيـــامة حتى يذهب فى الأرض عرقهم سبعين ذراعا .. وانه يلجمهم حتى يبلغ آذانهم »[٣٦] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعـــالى : **« يوم يقوم الناس لرب العالمين »**[٣٧] قال : « يقوم أحدهم فى رشحه الى أنصاف أذنيه »[٣٨] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : الأرض كلها نار يوم القيامة .. والجنة من ورائها كواعبها وأكوابها .. والذى نفس عبد الله بيده .. ان الرجل ليفيض عرقا حتى يسيح فى الأرض قامته .. ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه .. وما مسه الحساب .. قالوا : مم ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : مما يرى الناس ويلقون[٣٩] .

وقد مر بنا[٤٠] حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول : يا رب .. أرحنى ولو الى النار » .

ورواه الحاكم من حديث الفضل بن عيسى عن المنكدر عن جابر بلفظ : « أن العرق ليلزم المرء فى الموقف حتى يقول : يا رب .. ارسالك بى الى النار أهون على مما أجد .. وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب » قال الحاكم : صحيح الاسناد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **« يوم يقوم الناس لرب العالمين »** : مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة .. فيهون ذلك على المؤمن كتدلى الشمس للغروب الى أن تغرب »[٤١] .

---

(٣٦) رواه البخارى ومسلم . (٣٧) المطففين : ٦

(٣٨) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٣٩) رواه الطبرانى . (٤٠) انظر ص ٢٤٢ وما بعدها .

(٤١) رواه أبو يعلى وابن حبان .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** »[42] فقيل : ما أطول هذا اليوم ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده .. انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة »[43] .

وروى الشيخان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل .. وشاب نشأ فى عبادة الله .. ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه .. ورجلان تحابا فى الله : اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه .. ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : انى أخاف الله .. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم .. قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينتظرون فصل القضاء .

قال : « وينزل الله عز وجل فى ظلل من الغمام من العرش الى الكرسى .. ثم ينادى مناد : أيها الناس .. ألم ترضوا من ربكم الذى خلقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولى كل انسان منكم ما كانوا يعبدون فى الدنيا .. أليس ذلك عدلا من ربكم ؟ قالوا : بلى .. فينطلق كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويتولون فى الدنيا .

قال : « فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون .. فمنهم من ينطلق الى الشمس .. ومنهم من ينطلق الى القمر والأوثان من الحجارة .. وأشباه ما كانوا يعبدون ..

قال : « ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى .. ويمثل لمن كان يعبد عزيرا شيطان عزير .. ويبقى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأمته ..

قال : « فيتمثل الرب تبارك وتعالى .. فيأتيهم فيقول : ما لكم لا تنطلقون كما انطلق الناس ؟

---

(٤٢) المعارج : ٤
(٤٣) رواه احمد وابو يعلى وابن حبان .

قال : فيقولون : ان لنا الها ما رأيناه •• فيقول : هل تعرفونه ان رأيتموه ؟ فيقولون : ان بيننا وبينه علامة اذا رأيناها عرفناها ••

قال : « فيقول : ما هى ؟ فيقولون : يكشف عن ساقه •• فعند ذلك يكشف عن ساقه فيخر كل من كان مشركا يرائى لظهره •• ويبقى قــوم ظهورهم كصياصى البقر ـــ أى قرونها ـــ يريدون السجود فلا يستطيعون •• وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون •• ثم يقول : ارفعوا رؤوسكم •• فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم قدر أعمالهم •• فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين أيديهم •• ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك •• ومنهم من يعطى مثل النخلة بيده •• ومنهم من يعطى أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه •• يضىء مرة ويطفأ مرة •• فاذا أضاء قدمه قدم •• واذا أطفىء قام ••

قال : « والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر بهم الى النار •• فيبقى أثره كحد السيف ••

قال : « فيقول : مروا • فيمرون على قدر نورهم •• منهم من يمر كطرفة العين •• ومنهم من يمر كالبرق •• ومنهم من يمر كالسحاب •• ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب •• ومنهم من يمر كالريح •• ومنهم من يمر كشد الفرس •• ومنهم من يمر كشد الرجل •• حتى يمر الذى يعطى نوره على ظهر قدميه •• يحبو على وجهه ويديه ورجليه •• تجر يد وتعلق يد •• وتجر رجل وتعلق رجل •• وتصيب جوانبه النار •• فلا يزال كذلك حتى يخلص •• فاذا خلص وقف عليها فقال : الحمد لله الذى أعطانى ما لم يعط أحدا اذ أنجانى منها بعد اذ رأيتها ••

قال : « فينطلق به الى غدير عند باب الجنة •• فيغتسل فيعود اليه ريح أهل الجنة وألوانهم •• فيرى ما فى الجنة من خلل الباب •• فيقول : رب أدخلنى الجنة •• فيقول الله : أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار ؟ فيقول : رب اجعل بينى وبينها حجابا حتى أسمع حسيسها •

قال : « فيدخل الجنة •• ويرى ـــ أو يرفع له ـــ منزل أمام ذلك •• كأن ما هو فيه بالنسبة اليه حلم • فيقول : رب أعطنى ذلك المنزل •• فيقول : لعلك ان أعطيته تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك •• لا أسأل غيره •• وأى منزل أحسن منه • فيعطاه فينزله ••

ويرى أمام ذلك منزلا كأن ما هو فيه بالنسبة اليه حلم • قال : رب أعطني ذلك المنزل •• فيقول الله تبارك وتعالى : لعلك ان أعطيته تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك •• وأى منزل أحسن منه • فيعطاه فينزله ثم يسكت •• فيقول الله جل ذكره : مالك لا تسأل ؟ فيقول : رب قد سألتك حتى استحييتك • فيقول الله جل ذكره : ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منـذ خلقتها الى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه ؟ فيقول : أتهزأ بى وأنت رب العزة ؟

قال : « فيقول الرب جل ذكره : لا ولكنى على ذلك قادر •• فيقول : ألحقنى بالناس • فيقول : الحق بالناس •

قال : « فينطلق يرمل فى الجنة حتى اذا دنا من الناس •• رفع له قصر من درة فيخر ساجدا • فيقول له : ارفع رأسك •• مالك ؟ فيقول : رأيت ربى — أو تراءى لى ربى — فيقال : انما هو منزل من منازلك •

قال : « ثم يأتى رجلا فيتهيأ للسجود فيقال له : مه •• فيقول : رأيت أنك ملك من الملائكة •• فيقول : انما أنا خازن من خزانك •• وعبد من عبيدك •• تحت يدى ألف قهرمان على ما أنا عليه ••

قال : « فينطلق أمامه حتى يفتح له باب القصر ••

قال : « وهو من درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها يستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء فيها سبعون بابا •• كل باب يفضى الى جوهرة خضراء مبطنة •• كل جوهرة تفضى الى جوهرة على غير لون الأخرى •• فى كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف •• أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة •• يرى مخ ساقها من وراء حللها •• كبدها مرآته وكبده مرآتها •• اذا أعرض عنهـا اعراضة ازدادت فى عينه سبعين ضعفا عما كانت قبل ذلك •• فيقول لها : والله لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا •• وتقول له : وأنت لقد ازددت فى عينى سبعين ضعفا •• فيقال له : أشرف ، فيشرف •• فيقال له : ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك » ••

قال : فقال له عمر : ألا تسمع ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلا •• فكيف أعلاهم ؟

قال : يا أمير المؤمنين •• مالا عين رأت •• ولا أذن سمعت »(٤٤) •

* * *

---

(٤٤) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى والحاكم ••

* الشفاعة لأهل الموقف :

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : أصبح رســـول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فصلى الغداة •• ثم جلس حتى اذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب •• كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة •• ثم قام الى أهله •• فقال الناس لأبى بكر رضى الله عنه : سل رســـول الله صلى الله عليه وسلم ما شأنه ؟ صنع اليوم شيئا لم يصنعه قط ••

فقال : « نعم •• عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة •• فجمع الأولون والآخرون بصعيد واحد •• حتى انطلقوا الى آدم عليه السلام •• والعرق يكاد يلجمهم •• فقالوا : يا آدم •• أنت أبو البشر •• اصطفاك الله •• اشفع لنا الى ربك ، فقال : قد لقيت مثـل الذى لقيتم •• انطلقوا الى أبيكم بعـد أبيكم •• الى نـوح « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين »[٤٥] .

« فينطلقون الى نوح عليه السلام فيقولون : اشفع لنا الى ربك •• فأنت اصطفاك الله واستجاب لك فى دعائك •• فلم يدع على الأرض من الكافرين ديارا •• فيقول : ليس ذاكم عندى •• فانطلقوا الى ابراهيم فان الله اتخذه خليلا ••

« فينطلقون الى ابراهيم عليه السلام •• فيقول : ليس ذاكم عندى •• فانطلقوا الى موسى فان الله كلمه تكليما ••

« فينطلقون الى موسى عليه السلام •• فيقول : ليس ذاكم عندى. ولكن انطلقوا الى عيسى ابن مريم •• فانه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ••

« فيقول عيسى : ليس ذاكم عندى •• ولكن انطلقوا الى سيد ولد آدم •• فانه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة •• انطلقوا الى محمد فليشفع لكم الى ربكم ••

قال : « فينطلقون الى •• وآتى جبريل •• فيأتى جبريل ربه فيقول : ائذن له وبشره بالجنة .

---

(٤٥) آل عمران : ٣٣

قال : « فينطلق به جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة ـ أى مقدار أسبوع ـ ثم يقول الله تبارك وتعالى : يا محمد •• ارفع رأسك وقل يسمع •• واشفع تشفع •• فيرفع رأسه •• فاذا نظر الى ربه خر ساجدا قدر جمعة أخرى •• فيقول الله : يا محمد •• أرفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع • فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل بضبعيه ـ أى ما تحت ابطه ـ ويفتح الله عليه من الدعاء ما لم يفتح على بشر قط •• فيقول : أى رب •• جعلتنى سيد ولد آدم ولا فخر •• وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة •• ولا فخر •• حتى انه ليرد على الحوض أكثر ما بين صنعاء وأيلة • ثم يقال : ادعوا الصديقين فيشفعون •• ثم يقال : ادعوا الأنبياء •• فيجىء النبى معه العصابة •• والنبى معه الخمسة والستة •• والنبى ليس معه أحد ••

ثم يقال : ادعوا الشهداء فيشفعون فيمن أرادوا • فاذا فعلت الشهداء ذلك يقول الله جل وعلا : أنا أرحم الراحمين •• أدخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئا ••

فيدخلون الجنة •• ثم يقول الله تبارك وتعالى : انظروا فى النار هل فيها من أحد عمل خيرا قط ؟ فيجدون فى النار رجلا فيقال له : هل عملت خيرا قط ؟ فيقول : لا •• غير أنى كنت أسامح الناس فى البيع •• فيقول الله : اسمحوا لعبدى كاسماحه الى عبيدى ••

ثم يخرج من النار آخر فيقال له : هل عملت خيرا قط ؟ فيقول : لا •• غير أنى كنت أمرت ولدى اذا مت فأحرقونى بالنار •• ثم اطحنونى حتى اذا كنت مثل الكحل اذهبوا بى الى البحر فذرونى مع الريح •• فقال الله : لم فعلت ذلك ؟ قال : من مخافتك •• فيقول : انظر الى ملك أعظم ملك •• فان لك مثله وعشرة أمثاله •• فيقول : لم تسخر بى وأنت الملك ؟ •• فذلك الذى ضحكت به من الضحى »[٤٦] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله •• ماذا رد اليك ربك من الشفاعة ؟ قال : « والذى نفس محمد بيده •• لقد ظننت أنك أول من يسألنى عن ذلك من أمتى لما رأيت من حرصك على العلم •• والذى نفس محمد بيده •• لما يهمنى من انقصافهم على أبواب الجنة أهم عندى من

---

(٤٦) رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان .

تمام شفاعتى لهم •• وشـــفاعتى لمن شهد أن لا اله الا الله مخلصا وأن محمدا رسول الله يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه »[٤٧] •

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل نبى سأل سؤلا ــ أو قال : لكل نبى دعوة قد دعاها لأمته ــ وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى »[٤٨] •

وعن أم حبيبة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أريت ما تلقى أمتى من بعدى •• وسفك بعضهم دماء بعض فأحزننى •• وسبق ذلك من الله عز وجل كما سبق فى الأمم قبلهم •• فسألته أن يولينى فيهم شفاعة يوم القيامة •• ففعل »[٤٩] •

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلى •• فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه حتى اذا صلى وانصرف اليهم فقال لهم : « لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلى •• أما أنا فأرسلت الى الناس كلهم عامة ، وكان من قبلى انما يرسل الى قومه •• ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينه مسيرة شهر للمىء منه •• وأحلت لى الغنائم أكلها ، وكان من قبلى يعظمون أكلها وكانوا يحرقونها •• وجعلت لى الأرض مساجد وطهورا أينما أدركتنى الصلاة تمسحت وصليت ، وكان من قبلى يعظمون ذلك انما كانوا يصلون فى كنائسهم وبيعهم • والخامسة هى ما هى •• قيل لى : سل فان كل نبى قد سأل •• فأخرت مسألتى الى يوم القيامة •• فهى لكم ولمن شهد أن لا اله الا الله »[٥٠] •

وعن عبد الرحمن بن أبى عقيل رضى الله عنه قال : انطلقت فى وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيناه فأنخنا بالباب •• وما فى الناس أبغض الينا من رجل نلج عليه •• فماخرجنا حتى ما كان فى الناس أحب الينا من رجل دخل عليه •• فقال قائل منا : يا رسول الله •• ألا سألت ربك ملكا كملك سليمان ؟ قال : فضحك ثم قال : « فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان •• ان الله لم يبعث نبيا الا أعطاه دعوة •• منهم من اتخذها دنيا فأعطيها •• ومنهم من دعا بها على

---

(٤٧) رواه احمد وابن حبان .

(٤٨) رواه البخارى ومسلم .

(٤٩) رواه البيهقى .

(٥٠) رواه احمد .

قومه اذ عصوه فأهلكوا بها •• فان الله أعطانى دعوة فاختبأتها عند ربى شفاعة لأمتى يوم القيامة »[٥١] .

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله •• يا من قال فيك ربك : **« عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم »**[٥٢] .

يحشر الناس يوم القيامة فى صعيد واحد •• حفاة عراة •• وتدنو الشمس من الرؤوس حتى تكون منها كمقدار ميل •• والعرق يلجم الناس جميعا حتى ليقول بعضهم : يا رب •• أرحنى •• ولو الى النـــار !!

ويطول الموقف بالناس •• شاخصة أبصارهم أربعون سنة •• ينتظرون القضاء فى أمرهم •• يطوفون بالأنبياء راجين شفاعتهم •• وما يغنى عنهم ذلك شيئا •• فاليوم يوم الكرامة •• يوم يظهر الله كرامة نبيه صلى الله عليه وسلم على الأمم كافة •• فقد قال وقوله الحق : **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »**[٥٣] •• وقد اختبأ صلى الله عليه وسلم دعوته عند ربه شفاعة للناس فى هذا اليوم •• فيشفع للناس جميعا سائلا مولاه تعالى أن يبدأ حسابهم •• لتجزى كل نفس ما عملت •• ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ••

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله •• وجزاك أفضل ما جزى به نبيا عن أمته ••

* * *

* الحســاب :

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من نوقش الحساب عذب » . فقلت : أليس يقول الله : **« فأما من أوتى كتابه بيمينــه . فســوف يحاسب حســابا يسيرا . وينقلب الى أهله مسرورا »** ؟[٥٤] فقال : « انمــا ذلك العرض •• وليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك »[٥٥] .

---

(٥١) رواه الطبرانى والبزار .
(٥٢) التوبة : ١٢٨
(٥٣) الأنبياء : ١٠٧
(٥٤) الانشقاق : ٧ ــ ٩
(٥٥) رواه البخارى ومسلم وابو داوود .

وعن ابن الزبير رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نوقش الحساب هلك »[٥٦] .

وعن أبى بردة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع : عن عمره فيما أفناه .. وعن عمله ما عمل به .. وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه .. وعن جسمه فيما أبلاه »[٥٧] .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال : عن عمره فيما أفناه .. وعن شبابه فيما أبلاه .. وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه .. وعن عمله ماذا عمل فيه »[٥٨] .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسئل عن خمس : عن عمره فيما أفناه .. وعن شبابه فيما أبلاه .. وعن ماله من أين اكتسبه .. وفيم أنفقه .. وماذا عمل فيما علم » ..

وعنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة .. وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء »[٥٩] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لتردن الحقوق الى أهلها يوم القيامة .. حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء »[٦٠] .

ورواه أحمد بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء .. وحتى للذرة من الذرة » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليختصمن كل شىء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا »[٦١] .

---

(٥٦) رواه البزار والطبرانى .
(٥٧) رواه الترمذى .
(٥٨) رواه البزار والطبرانى .
(٥٩) رواه الشيخان والنسائى .
(٦٠) رواه مسلم والترمذى .
(٦١) رواه احمد وابو يعلى .

وعن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الله العباد يوم القيامة — أو قال الناس — عراة غرلا بهما » قال : قلنا : وما بهما ؟ قال : « ليس معهم شيء •• ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الديان •• أنا الملك •• لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه •• ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة » قال قلنا : كيف وانا نأتى عراة غرلا بهما ؟ قال : « الحسنات والسيئات »(٦٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متــاع ••

قال : « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة •• ويأتى قد شتم هذا •• وقذف هذا •• وأكل مال هذا •• وسفك دم هذا •• وضرب هذا ••

فيعطى هذا من حسناته •• وهــذا من حسناته •• فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه •• أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار »(٦٣) .

وعنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء منه فليحلله منه اليوم •• من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم •• ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته •• وان لم يكن له حسنات أخــذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

* * *

● ولقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لأمته ••

فعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى •• وكان بيده سواك •• فدعا وصيفة له — أو لها — حتى استبان الغضب فى وجهه •• فخرجت أم سلمة الى الحجرات فوجدت الوصيفة وهى تلعب ببهمة — أى ولد الضأن — فقالت :

---

(٦٢) رواه أحمد .

(٦٣) رواه مسلم .

ألا أراك تلعبين بهذه البهمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ؟ فقالت : لا والذى بعثك بالحق ما سمعتك .. فقال صلى الله عليه وسلم : « لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك » !!

وفى رواية : « لولا القصاص لضربتك بهذا السواك »(٦٤) .

ولهذا روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ضرب مملوكه سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة »(٦٥)

وعن عائشة رضى الله عنها أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس بين يديه فقال : يا رسول الله .. ان لى مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى .. وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم .. فان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك .. وان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك .. وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذى بقى قبلك » .

فجعل الرجل يبكى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهتف ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ ما تقرأ كتاب الله :

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين »(٦٦) .

فقال الرجل : يا رسول الله .. ما أجد شيئا خيرا من فراق هؤلاء ــ يعنى عبيده ــ أشهدك أنهم كلهم أحرار(٦٧) .

* * *

● ولن يدخل أحد الجنة بعمله .. ولكن بفضل الله ورحمته ..

روى واثلة بن الأسقع رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يبعث الله يوم القيامة عبدا لا ذنب له فيقول الله : أى الأمرين أحب اليك .. أن أجزيك بعملك أو بنعمتى عندك ؟ قال : يا رب .. انك تعلم أنى لم أعصك .. قال : خذوا عبدى بنعمة من

---

(٦٤) رواه ابو يعلى .

(٦٥) رواه البزار والطبرانى .

(٦٦) الانبياء : ٤٧

(٦٧) رواه احمد والترمذى .

نعمى •• فما تبقى له حسنة الا استغرقتها تلك النعمة •• فيقول : رب بنعمتك ورحمتك •• فيقول بنعمتى ورحمتى »[٦٨] •

وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « سددوا وقاربوا وأبشروا •• فانه لن يدخل أحد الجنة عمله » •• قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا •• الا أن يتغمدنى الله برحمته »[٦٩] •

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديوان فيه العمل الصالح •• وديوان فيه ذنوبه •• وديوان فيه النعم من الله عليه •• فيقول الله عز وجل لأصغر نعمة ــ أحسبه قال فى ديوان النعم ــ : خذى ثمنك من عمله الصالح •• فتستوعب عمله الصالح •• ثم تنحى وتقول : وعزتك ما استوفيت •• وتبقى الذنوب والنعم ، وقد ذهب العمل الصالح •• فاذا أراد الله أن يرحم عبدا قال : يا عبدى •• قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك ــ أحسبه قال : ووهبت لك نعمى »[٧٠] •

* * *

● وفى ذلك اليوم العظيم •• ينطق الله الجلود والأعضاء •• فتشهد على أصحابها بما جنوا فى حياتهم الدنيا •• وتشهد الأرض بما عمل على ظهرها ••

عن أنس رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك •• فقال : « هل تدرون مم أضحك » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم • قال : « من مخاطبة العبد ربه •• فيقول : يا رب •• ألم تجرنى من الظلم ؟ يقول : بلى •• فيقول : انى لا أجيز اليوم على نفسى شاهدا الا منى •• فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والكرام الكاتبين شهودا •• قال : فيختم على فيه ويقول لأركانه : انطقى •• فتنطق بأعماله •• ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكن وسحقا •• فعنكن كنت أناضل » •

---

(٦٨) رواه الطبرانى .
(٦٩) رواه البخارى ومسلم .
(٧٠) رواه البزار .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « **يومئذ تحدث أخبارها** »[٧١] .. قال : « أتدرون ما أخبارها » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها .. تقول عمل كذا وكذا »[٧٢]

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : **« يوم ندعوا كل أناس بامامهم ، فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلا . ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخـــرة أعمى وأضل سبيلا »**[٧٣] .

قال : يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه .. ويمد له فى جسمه ستون ذراعا .. ويبيض وجهه .. ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ .. قال : فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم بارك لنا فى هذا .. حتى يأتيهم فيقول : أبشروا .. فان لكل رجل منكم مثل هذا ..

وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله مسودا وجهه .. ويمد له فى جسمه ستون ذراعا على صورة آدم .. ويجعل على رأسه تاج من نار .. فيراه أصحابه فيقولون : اللهم اخزه .. فيقول : أبعدكم الله .. فان لكل رجل منكم مثل هذا »[٧٤] .

وعن عتبة بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن رجلا يخر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما فى مرضات الله عز وجل لحقره يوم القيامة »[٧٥] .

وعن محمد بن أبى عميرة رضى الله عنه ــ وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، أحسبه رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن رجلا خر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما فى طاعة الله عز وجل لحقره ذلك اليوم ولود أنه رد الى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب »[٧٦] .

---

(٧١) الزلزلة : ٤   (٧٢) رواه ابن حبان .

(٧٣) الاسراء : ٧١ ، ٧٢

(٧٤) رواه الترمذى وابن حبان والبيهقى .

(٧٥) رواه الطبرانى .   (٧٦) رواه أحمد .

فالرجل يقضى حياته منذ يولد الى أن يموت •• ساجدا خاشعا خاضعا لربه •• يقضى عمره كله •• من مهده الى لحده فى طاعة الله •• فاذا حاسبه الله على فضله الذى غمره فى حياته لاستصغر عمله وتمنى لو يرجع الى الدنيا ليزداد من الصالحات ••

* * *

* رؤية الله تعـــالى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه : قالوا : يا رسول الله •• هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : « هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة » ؟ قالوا : لا •• قال : « فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس فى سحابة » ؟ قالوا : لا •• قال : « فوالذى نفسى بيده •• لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما •• فيلقى العبد ربه فيقول : أى فل ــ يا فلان ــ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك •• وأسخر لك الخيـــل والابل •• وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقـــول : بلى يا رب ••

فيقول : أظننت أنك ملاقى ؟ فيقول : لا •• فيقول : فانى أنساك كما نسيتنى ••

ثم يلقى الثانى فيقول : أى فل ــ يا فلان ــ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل •• وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يا رب ••

فيقول : أظننت أنك ملاقى ؟ فيقول : لا •• فيقول : انى أنساك كما نسيتنى ••

ثم يلقى الثالث فيقول : أى فل ــ يا فلان ــ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك •• وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يا رب •• فيقول : أظننت أنك ملاقى ؟

فيقول : أى رب •• آمنت بك وبكتابك وبرسلك •• وصليت وصمت وتصدقت ــ ويثنى بخير ما استطاع ــ فيقول : ههنا اذن ••

ثم يقول : الآن نبعث شاهدا عليك ••

فيتنكر فى نفسه من ذا الذى يشهد على !! •• فيختم على فيه •• ويقال لفخذه : انطقى •• فينطق الله فخذه ولحمه وعظامه بعمله ••

وذلك ليعذر من نفسه •• وذلك المنافق •• وذلك الذى يسخط الله عليــه »[77] •

وعنه أيضا رضى الله عنه أن الناس قالوا : يا رسول الله •• هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ •• قال : « هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله •• قال : هل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا • قال : فانكم ترونه كذلك ••

يحشر الناس يوم القيامة فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه •• فمنهم من يتبع الشمس •• ومنهم من يتبع القمر •• ومنهم من يتبع الطواغيت •• وتبقى هذه الأمة •• فيها منافقوها •• فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم ؟ فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا •• فاذا جاء ربنا عرفناه ••

فيأتيهم الله فيقول : أنا ربكم •• فيقولون : أنت ربنا •• فيدعوهم •

ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم •• فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته •• ولا يتكلم يومئذ أحد الا الرسل •• وسلام الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ••

وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ــ هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم •• قال : فانها مثل شوك السعدان •• غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله •• تخطف الناس بأعمالهم •• فمنهم من يوبق بعمله •• ومنهم من يخردل ثم ينجو ••

حتى اذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله •• فيخرجونهم بآثار السجود •• وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود •• فيخرجون من النار وقد امتحشوا ــ أى احترقوا ــ فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل •• ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد •• ويبقى رجل بين الجنة والنار •• وهو آخر أهل النار دخولا الجنة •• مقبل بوجهه قبل النار • فيقول : يا رب •• اصرف وجهى عن قد قبشنى ــ أى سمنى ــ ريحها •• وأحرقنى ذكاها •• فيقول : عسيت ان أفعل أن تسأل غير ذلك ؟ فيقول : لا وعزتك •• فيعطى الله ما شاء من عهد وميثاق ••

---

(77) رواه مسلم ــ ويرأس : اى يصير رئيسا •• ويربع : اى ياخذ ما ياخذه رئيس الجيش لنفسه وهو ربع الغنائم •

فيصرف الله وجهه عن النار •• فاذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها •• سكت ما شاء الله أن يسكت •• ثم قال : يا رب •• قدمنى عند باب الجنة •• فيقول الله : أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذى كنت سألت ؟ فيقول : يا رب •• لا أكون أشقى خلقك •• فيقول : فما عسيت ان أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول : لا وعزتك لا أسألك غير هذا •• فيعطى ربه ما شاء من عهد وميثاق ••

فيقدمه الى باب الجنة •• فاذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور •• فسكت ما شاء الله أن يسكت •• فيقول : يا رب •• أدخلنى الجنة • فيقول الله : ويحك يا ابن آدم •• ما أغدرك ؟ أليس قد أعطيتنى العهود أن لا تسأل غير الذى أعطيت ؟ فيقول : يا رب •• لا تجعلنى أشقى خلقك ••

فيضحك الله منه •• ثم يأذن له فى دخول الجنة •• فيقول : تمن •• فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيته قال الله : تمن من كذا وكذا - يذكره ربه - حتى اذا انتهت به الأمانى قال الله : لك ذلك ومثله معـــه » ••

فقال أبو سعيد الخدرى لأبى هريرة رضى الله عنهما : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله : لك ذلك وعشرة أمثاله » ••

فقـــال أبو هريرة رضى الله عنه : لم أحفظ من رســـول الله صلى الله عليه وسلم الا قوله : « لك ذلك ومثله معه » •• قال أبو سعيد رضى الله عنه : أشهد أنى سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لك ذلك وعشرة أمثاله » •

فقال أبو هريرة : وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة »[78] •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله •• هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم •• هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب •• وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب » ؟ قالوا : لا يا رسول الله ••

قال : « فما تضارون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية أحدهما ••

---

(٧٨) رواه البخارى .

اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ••
فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب الا يتساقطون
فى النار •• حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر
أهل الكتاب ••

فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد
عزيرا ابن الله •• فيقال : كذبتم •• ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ••
فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا فاسقنا •• فيشار اليهم ألا تردون ؟
فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى
النـــار ••

ثم تدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا
نعبد المسيح ابن الله •• فيقال لهم : كذبتم • ما اتخذ الله من صاحبة
ولا ولد •• فماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا فاسقنا • فيشار
اليهم ألا تردون ؟ فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا
•• فيتساقطون فى النار ••

حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر •• أتاهم
الله فى أدنى صورة من التى رأوه فيها • قال : فما تنتظرون ؟ ••
تتبع كل أمة ما كانت تعبد •• قالوا : يا ربنا •• فارقنا الناس فى الدنيا
أفقر ما كنا اليهم •• ولم نصاحبهم •• فيقول : أنا ربكم •• فيقولون :
نعوذ بالله منك •• لا نشرك بالله شيئا — مرتين أو ثلاثا — حتى أن
بعضهم ليكاد أن ينقلب ••

فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم ••
فيكشف عن ساق •• فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن
الله له بالسجود •• ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله
ظهره طبقة واحدة •• كلما أراد السجود خر على قفاه ••

ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها أول
مرة •• فقال : أنا ربكم •• فيقولون : أنت ربنا ••

ثم يضرب الجسر على جهنم •• وتحل الشفاعة •• ويقولون :
اللهم سلم سلم » •

قيل : يا رسول الله •• وما الجسر ؟

قال : دحض مزلة •• فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة يكون بنجد ••
فيها تشويكة يقال لها السعدان •• فيمر المؤمنون كطرف العين ••

وكالبرق وكالريح •• وكالطير •• وكأجاويد الخيل والركاب •• فناج مسلم •• ومخدوش مرسل •• ومكدوش فى نار جهنم ••

حتى اذا خلص المؤمنون من النار •• فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار » •

وفى رواية : « فما أنتم بأشد مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا أنهم قد نجوا فى اخوانهم •• فيقولون : ربنا كانوا يصومون معنا •• ويصلون ويحجون •• فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم •• فتحرم صورهم على النار •• فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقه والى ركبته •• ثم يقولون : ربنا ما بقى فيها ممن أمرتنا به •• فيقال : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه •• فيخرجون خلقا كثيرا •• ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا •• ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه •• فيخرجون خلقا كثيرا •• ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا •• ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه •• فيخرجون خلقا كثيرا •• ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيرا » •

وكان أبو سعيد يقول : ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرأوا ان شـــئتم :

« ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما »(٧٩) •

« فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة •• وشفع النبيون ولم يبق الا أرحم الراحمين •• فيقبض قبضة من النار •• فيخرج منها قوما من النار لم يعملوا خيرا قط •• قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة •• فيخرجون كما تخرج الحبة من حميل السيل •• ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر •• ما يكون الى الشمس أصيفر وأخيضر •• وما يكون منها الى الظل يكون أبيض ؟

فقالوا : يا رسول الله •• كأنك كنت ترعى بالبادية !!

---

(٧٩) النساء : ٤٠

قال : فيخرجون كاللؤلؤ •• فى رقابهم الخواتيم •• يعرفهم أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه •• ولا خير قدموه ••

ثم يقول : ادخلوا الجنة •• فما رأيتموه فهو لكم •• فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين ! •• فيقول : لكم عندى أفضل من هذا •• فيقولون : يا ربنا •• أى شىء أفضل من هذا ؟ فيقول : رضاى •• فلا أسخط عليكم أبدا »[٨٠] •

* * *

وروى أبو سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أمتى من يشفع للفئام من الناس •• ومنهم من يشفع للقبيلة •• ومنهم من يشفع للعصبة •• ومنهم من يشفع للواحد حتى يدخلوا الجنة » ••

وعن عبد الله بن شقيق قال : جلست الى قوم أنا رابعهم •• فقال أحدهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم » •• قلنا : سواك يا رسول الله ؟ قال : « سواى » ••

قلت : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم •• فلما قام قلت : من هذا ؟ قالوا : ابن الجدعاء ــ أو ابن أبى الجدعاء[٨١] •

وفى رواية ابن ماجة قال : « عن شقيق عن عبد الله بن أبى الجدعاء » ثم ذكر الحديث •

* * *

وروى الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت : « **يا أيها الناس اتقوا ربكم ، ان زلزلة الساعة شىء عظيم** »[٨٢] قال : « أتدرون أى يوم ذلك » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم •• قال : « ذلك اليوم ينادى الله فيه آدم فيناديه ربه فيقول : يا آدم •• ابعث بعث النار •• فيقول : أى رب •• وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة » •

---

(٨٠) رواه البخارى ومسلم . (٨١) رواه ابن حبان وابن ماجه .
(٨٢) الحج : ١

فيئس القوم .. حتى ما أبدوا بضاحكة .. فلما رأى الذى بأصحابه قال : « اعملوا وأبشروا .. فوالذى نفس محمد بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا فى شىء الا كثرتاه .. يأجوج ومأجوج .. ومن مات من بنى آدم وبنى ابليس » ..

فسرى عن القوم بعض الذى يجدون فقال : « اعملوا وأبشروا .. فوالذى نفس محمد بيده .. ما أنتم فى الناس الا كالشامة فى جنب البعير ــ أو كالرقمة فى ذراع الدابة » .

وعن صفوان بن محرز أن رجلا سأل ابن عمر : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى ؟ قال : « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول : أعملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم . ويقول : عملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم .. فيقرره ثم يقول : انى سترت عليك فى الدنيا .. وأنا أغفرها لك اليوم »(٨٣) .

* * *

* الصراط :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة . فقال : « أنا فاعل ان شاء الله تعالى » قلت : فأين أطلبك ؟ قال : « أول ما تطلبنى على الصراط » قلت : فان لم ألقك على الصراط ؟ قال : « فاطلبنى عند الميزان » . قلت : فان لم ألقك عند الميزان ؟ قال : « فاطلبنى عند الحوض .. فانى لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن »(٨٤) .

[نسأل الله تعالى أن يجعلنا بفضله وكرمه .. ممن يلقى رسوله صلى الله عليه وسلم فى موطن من هذه الثلاثة] .

وقد تقدم معنا فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه(٨٥) ذكر للصراط .. عند قوله صلى الله عليه وسلم : « فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم .. فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين أيديهم .. ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك .. ومنهم من يعطى مثل النخلة بيده .. ومنهم من يعطى أصغر من ذلك

---

(٨٣) رواه البخارى .

(٨٤) رواه الترمذى والبيهقى .

(٨٥) انظر ص ٢٦٤

•• حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه •• يضىء مرة ويطفأ مرة •• فاذا أضاء قدمه قدم •• واذا أطفىء قام •• قال : والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر بهم الى النار فيبقى أثره كحد السيف •• قال : فيقول : مروا •• فيمرون على قدر نورهم •• منهم من يمر كطرفة العين •• ومنهم من يمر كالبرق •• ومنهم من يمر كالسحاب •• ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب •• ومنهم من يمر كالريح •• ومنهم من يمر كشد الفرس •• ومنهم من يمر كشد الرجل •• حتى يمر الذى يعطى نوره على ظهر قدميه •• يحبو على وجهه ويديه ورجليه •• تجر يد وتعلق يد •• وتجر رجل وتعلق رجل •• وتصيب جوانبه النار •• فلا يزال كذلك حتى يخلص •• فاذا خلص وقف عليها فقال : الحمد لله الذى أعطانى ما لم يعط أحدا اذ أنجانى منها بعد اذ رأيتها » •

وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه(٨٦) قوله : « ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم •• فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته •• ولا يتكلم يومئذ أحد الا الرسل •• وسلام الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم •• وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان •• هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم •• قال : فانها مثل شوك السعدان •• غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله •• تخطف الناس بأعمالهم •• فمنهم من يوبق — أى يهلك — بعمله •• ومنهم من يخردل — أى يوزن بميزان العدل — ثم ينجو » ••

وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه(٨٧) قوله : « ثم يضرب الجسر على جهنم •• وتحل الشفاعة •• ويقولون : اللهم سلم سلم •• قيل : يا رسول الله •• وما الجسر ؟ قال : دحض — أى زلق — مزلة — أى موضع زلل الأقدام — فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة — نبات ذو شوك — يكون بنجد •• فيها تشويكة يقال لها السعدان •• فيمر المؤمنون كطرف العين — أى كلمح البصر — وكالبرق — وكالريح •• وكالطير •• وكأجاويد الخيل والركاب •• فناج مسلم •• ومخدوش مرسل — أى مخموش ممزق — ومكدوش — أى مصروع — فى نار جهنم » •

[أعاذنا الله من شر ذلك الموقف] •

---

(٨٦) انظر ص ٢٧٦ (٨٧) انظر ص ٢٧٨

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : يوضع الصراط على سواء جهنم •• مثل حد السيف المرهف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يخطف بها •• فممسك يهوى فيها •• ومصروع •• ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو •• ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو •• ثم كجرى الفرس •• ثم كرمل الرجل •• ثم كمشى الرجل •• ثم يكون آخرهم انسانا رجل قد لوحته النار ولقى فيها شرا •• حتى يدخله الله الجنة بفضل رحمته •• فيقال له : تمن وسل •• فيقول : أى رب •• أتهزأ منى وأنت رب العزة ؟ فيقال له : تمن وسل •• حتى اذا انقطعت به الأمانى •• قال : لك ما سألت ومثله معه »(٨٨) .

وعن حذيفة وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الناس » ـ فذكرا الحديث الى أن قالا : « فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم ويؤذن له •• وترسل معه الأمانة والرحم •• فيقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا •• فيمر أولكم كمر البرق » .

قال قلت : بأبى أنت وأمى •• أى شىء كمر البرق ؟ قال : « ألم تروا الى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين ؟ ثم كمر الريح •• ثم كمر الطير وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم •• ونبيكم ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائم على الصراط يقول : رب سلم سلم •• حتى تعجز أعمال العباد •• حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير الا زاحفا •• قال : وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة •• تأخذ من أمرت •• فمخدوش ناج •• ومكدوش فى النار ••

والذى نفس أبى هريرة بيده •• ان قعر جهنم لسبعين خريفا »(٨٩)

وعن عبيد بن عمير رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصراط على جهنم مثل حرف السيف •• بجنبتيه الكلاليب والحسك •• فيركبه الناس فيختطفون •• والذى نفسى بيده وانه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر »(٩٠) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجىء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم ••

---

(٨٨) رواه الطبرانى .
(٨٩) رواه مسلم .
(٩٠) رواه البيهقى .

بين الظلمة والوعرة •• لقيه المظلوم فعرفه وعرف ما ظلمه به •• فما يبرح الذين ظلموا ــ بضم الظاء ــ يقصــون من الذين ظلموا ــ بفتحها ــ حتى ينزعوا ما فى أيديهم من الحسنات •• فان لم يكن لهم حسنات رد عليهم من سيئاتهم حتى يوردوا الدرك الأسفل من النار »[٩١]

وعن أم مبشر الأنصارية رضى الله عنها •• أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة رضى الله عنها : « لا يدخل النار ان شاء الله من أهل الشجرة أحــد •• الذين بايعوا تحتها •• قالت : بلى يا رسول الله •• فانتهرها •• فقالت حفصة : **« وان منكم الا واردها »**[٩٢] • فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قد قال الله تعالى : **« ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا »**[٩٣] •

وعن أبى سمية قال : اختلفنا فى الورود ؟ فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن •• وقال بعضنا : يدخلونها جميعا ثم ينجى الله الذين اتقوا •• فلقيت جابر بن عبد الله فقلنا : انا اختلفنا ههنا فى الورود •• فقال : تردونها جميعا •• فقلت له : انا اختلفنا فى ذلك فقال بعضنا : لا يدخلها مؤمن •• وقال بعضنا : يدخلونها جميعا •• فأهوى بأصبعيه الى أذنيه وقال : صمتا ــ أى أصابهما الصمم وعدم السمع ــ ان لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الورود : الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها •• فتكون على المؤمنين بردا وسلاما •• كما كانت على ابراهيم •• حتى ان للنار ــ أو قال لجهنم ــ ضجيجا من بردهم •• ثم ينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين »[٩٤] •

وعن قيس بن أبى حازم قال : كان عبد الله بن رواحة واضعا رأسه فى حجر امرأته فبكى •• فبكت امرأته •• فقال : ما يبكيك ؟ قالت : رأيتك تبكى فبكيت •• قال : انى ذكرت قول الله تعــالى : **« وان منكم الا واردها ، كان على ربك حتمــا مقضيا • ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا »**[٩٥] • ولا أدرى أنجو منها أم لا[٩٦] ؟

وروى الحاكم باسناد ذكر أنه على شرط مسلم عن المسيب قال : سألت مرة عن قوله تعالى : **« وان منكم الا واردها »** فحدثنى أن

---

(٩١) رواه الطبرانى .
(٩٢) مريم : ٧١ ، ٧٢
(٩٣) رواه مسلم وابن ماجه .
(٩٤) رواه أحمد والبيهقى .
(٩٥) مريم : ٧١ ، ٧٢
(٩٦) رواه الحاكم .

ابن مسعود حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم •• وأولهم كلمح البرق •• ثم كلمح الريح •• ثم كحضر الفرس •• ثم كالراكب فى رحله •• ثم كشد الرجل •• ثم كمشيه » •

* * *

* **الميزان :**

يقول الله تعالى : **« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين »**(٩٧) •

ويقول تعالى : **« فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون • ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون »**(٩٨) •

ويقول : **«ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما »**(٩٩) •

ويقول جل شأنه : **« وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين »**(١٠٠) •

ويقول : **« قل ان الموت الذى تفرون منه فأنه ملاقيكم ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »**(١٠١) •

ويقول جل وعلا : **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »**(١٠٢) •

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله تعالى يقول يوم القيامة : يا آدم •• ابرز الى جانب الكرسى عند الميزان •• وانظر ما يرفع اليك من أعمال بنيك •• فمن رجح خيره على شره مثقال حبة فله الجنة •• ومن رجح شره على خيره مثقال حبة فله النار •• حتى تعلم أنى لا أعذب الا ظالما » •

---

(٩٧) الأنبياء : ٤٧
(٩٨) الأعراف : ٨ ، ٩
(٩٩) النساء : ٤٠
(١٠٠) يونس : ٦١
(١٠١) الجمعة : ٨
(١٠٢) الزلزلة : ٧ ، ٨

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : توزن الحسنات والسيئات فى ميزان له لسان وكفتان .. فأما المؤمن فيؤتى بعمله فى أحسن صورة فيوضع فى كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته .. فذلك قوله تعالى : « **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون** »(*) .. ويؤتى بعمل الكافر فى أقبح صورة فيوضع فى كفة الميزان .. فيخف وزنه حتى يقع فى النار ..

وقيل : ان للميزان كفتان .. وخيوط ولسان وشاهين ..

وقيل : ان لكل مكلف ميزانا توزن به أعماله .. فتوضع الحسنات فى كفة .. والسيئات فى كفة ..

وقيل : يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد .. يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله ..

وقال حذيفة رضى الله عنه : صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام .. يقول الله تعالى : يا جبريل .. زن بينهم فرد من بعض على بعض .. قال : وليس ثمة ذهب ولا فضة .. فان كان للظالم حسنات أخذ من حسناته فرد على المظلوم .. وان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فتحمل على الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال ..

وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : يؤتى بأعمال كجبال تهامة .. فلا تزن شيئا ..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ذكرت النار فبكيت .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يبكيك ؟ قلت : ذكرت النار فبكيت .. فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ .. فقال : « أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا .. عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل ؟ وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه عن يمينه أم فى شماله أم وراء ظهره ؟ .. وعند الصراط اذا وضع بين ظهرى جهنم حتى يجوز »(١٠٣) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، يرفعه قال : ملك موكل بالميزان .. فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى الميزان .. فان ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها

(*) المؤمنون : ١٠٢

(١٠٣) رواه ابو داوود والحاكم .

أبدا •• وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا(١٠٤) •

وعن سلمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يوضع الميزان يوم القيامة •• فلو درى — أى وزن — فيه السموات والأرض لوسعت •• فتقول الملائكة : يا رب •• لمن يزن هذا ؟ •• فيقول الله : لمن شئت من خلقى •• فيقولون : سبحانك •• ما عبدناك حق عبادتك »(١٠٥) •

وروى القشيرى فى تفسيره : « اذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة •• فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات •• فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم : بأبى أنت وأمى •• ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك •• فمن أنت ؟

فيقول : أنا محمد نبيك •• وهذه صلواتك التى كنت تصلى على •• قد وفيتك أحوج ما تكون اليها » •

وعند مجاهد وقتادة والضحاك قالوا : ذكر الميزان مثل •• وليس ثم ميزان •• وانما هو العدل ••

غير أن الحديث الصحيح •• وما عليه السلف الصالح واتفق عليه جمهور الأمة أنه ميزان حقيقى •• والله أعلم •

وسيقف الناس جميعا بين يدى المولى سبحانه وتعالى يوم القيامة •• وتوزن أعمالهم •• ويجازيهم ربهم بها مهما صغرت أو هانت •• ان خيرا فخير •• وان شرا فشر •• فلا يغيب عنه تعالى مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء •• ولا أصغر من ذلك ولا أكبر •• سبحانه وتعالى ذكره ، وجل شأنه •

* * *

* الحوض :

روى الترمذى عن سمرة رضى الله عنه •• عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان لكل نبى حوضا ترده أمته •• وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة •• وانى لأرجو أن أكون أنا أكثرهم واردة » •

---

(١٠٤) رواه البيهقى والبزار •   (١٠٥) رواه الحاكم •

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حوضى مسيرة شهر •• ماؤه أبيض من اللبن •• وريحه أطيب من المسك •• وكيزانه كنجوم السماء •• من شرب منه لا يظمأ أبدا » ••

وفى رواية : « حوضى مسيرة شهر •• وزواياه سواء •• وماؤه أبيض من الورق »(١٠٦) •

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله وعدنى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بغير حساب » •• فقال يزيد بن الأخنس : والله ما أولئك فى أمتك الا كالذباب الأصهب — أى الأحمر — فى الذباب • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد وعدنى سبعين ألفا كل ألف سبعين ألفا وزادنى ثلاث حثيـــات » ••

قال : فما سعة حوضك يا نبى الله ؟ قال : « كما بين عدن الى عمان وأوسع وأوسع — يشير بيديه — قال : فيه مثعبان — أى مسيلان للماء — من ذهب وفضة » قال : فماء حوضك يا نبى الله ؟ قال : « أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك •• من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ولم يسود وجهه »(١٠٧) •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حوضى كما بين عدن وعمان •• أبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك •• أكوابه مثل نجوم السماء •• من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا •• أول الناس عليه ورودا صعاليك المهاجرين •• قال قائل : من هم يا رسول الله ؟ قال : الشعثة رؤوسهم •• الشحبة وجوههم •• الدنسة ثيابهم •• لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المنعمات •• الذين يعطون كل الذى عليهم •• ولا يأخذون كل الذى لهم »(١٠٨) •

••• وعن عتبة بن عبد السلمى رضى الله عنه قال : قام أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما حوضك الذى تحدث عنه ؟ فقال : « هو كما بين صنعاء الى بصرى •• ثم يمدنى الله فيه بكراع

---

(١٠٦) رواه الشيخان ، والورق : الفضة •

(١٠٧) رواه أحمد وابن حبان •

(١٠٨) رواه أحمد ، والدنسة ثيابهم : أى الخلقة ثيابهم •

لا يدرى بشر ممن خلق أى طرفيه » . قال : فكبر عمر رضوان الله عليه . فقال صلى الله عليه وسلم : « أما الحوض فيزدحم عليه فقراء المهاجرين الذين يقتلون فى سبيل الله ويموتون فى سبيل الله .. وأرجو أن يوردنى الله الكراع فأشرب منه »(١٠٩) .

[والكراع : طرف من ماء الجنة مشبه بالكراع لقلته .. كما فى النهـاية] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا قائم على الحوض .. اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال لهم : هلم .. فقلت : الى أين ؟ قال : الى النار والله .. فقلت : ما شأنهم ؟ فقال : انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ..

ثم اذا زمرة أخرى حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم .. فقال لهم : هلم .. قلت : الى أين ؟ قال : الى النار والله .. قلت : ما شأنهم ؟ قال : انهم ارتدوا على أدبارهم .. فلا أراه يخلص الى منهم الا مثل همل النعم »(١١٠) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بين ظهرانى أصحابه : « انى على الحوض أنظر من يرد منكم .. فوالله ليقتطعن دونى رجال فلأقولن : أى رب من أمتى .. فيقول : انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك .. ما زالوا يرجعون على أعقابهم »(١١١) .

وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ترد على أمتى الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله .. قالوا : يا نبى الله تعرفنا ؟ قال : نعم .. لكم سيما ليست لأحد غيركم .. تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء .. وليصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون .. فأقول : يا رب .. هؤلاء من أصحابى .. فيجيبنى ملك فيقول : وهل تدرى ما أحدثوا بعدك » .

* * *

(١٠٩) رواه ابن حبان .
(١١٠) رواه الشيخان .
(١١١) رواه مسلم .

* الشفاعة الكبرى :

أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم الشفاعة مرتين ·· الأولى قبل الحساب اظهارا لكرامته بين الأمم ·· والثانية خاصة بأمته صلى الله عليه وسلم ·

عن عوف بن مالك الأشجعي رضى الله عنه قال : سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرا ·· حتى اذا كان فى الليل أرقت عيناى فلم يأتنى النوم ·· فقمت فاذا ليس فى العسكر دابة الا وضع خده الى الأرض ·· وأرى وقع كل شىء فى نفسى ·· فقلت لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأكلأنه الليلة حتى أصبح ··

فخرجت أتخلل الرجال حتى خرجت من العسكر ·· فاذا أنا بسواد فتيممت ذلك السواد ·· فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ·· فقالا لى : ما الذى أخرجك ؟ فقلت : الذى أخرجكما ··

فاذا نحن بغيضة منا غير بعيدة ·· فمشينا الى الغيضة فاذا نحن نسمع فيها كدوى النحل وكخفيق الرياح ·· فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ههنا أبو عبيدة بن الجراح ؟ قلنا : نعم · قال : ومعاذ بن جبل ؟ قلنا : نعم · قال : وعوف بن مالك ؟ قلنا : نعم ·

فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نسأله عن شىء ·· ولا يسألنا عن شىء حتى رجع الى رحله ·· فقال : « ألا أخبركم بما خيرنى ربى آنفا ؟ فقلنا : بلى يا رسول الله ·· قال : خيرنى بين أن يدخل ثلثى أمتى الجنة بغير حساب ولا عذاب ·· وبين الشفاعة ·· قلنا : يا رسول الله ·· ما الذى اخترت ؟ قال : اخترت الشفاعة · قلنا جميعا : يا رسول الله ·· اجعلنا من أهل شفاعتك ·· قال : ان شفاعتى لكل مسلم »(١١٢) ·

وعند ابن حبان أن الرجلين : معاذ بن جبل وأبا موسى ·· وفيه : فقال معاذ رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ·· قد عرفت منزلتى فاجعلنى منهم ·· قال : أنت منهم ·· قال عوف بن مالك وأبو موسى : يا رسول الله ·· قد عرفت أنا تركنا أموالنا وأهلينا وذرارينا ·· نؤمن بالله ورسوله فاجعلنا منهم : قال أنتما منهم ··

---

(١١٢) رواه الطبرانى وابن حبان ·

قال : فانتهينا الى القوم •• فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أتانى آت من ربى فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة •• فقال القوم : يا رسول الله •• اجعلنا منهم •• فقال : أنصتوا •• فأنصتوا حتى كأن أحدا لم يتكلم •• فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « هى لمن مات لا يشرك بالله شيئا » ••

وعن سلمان رضى الله عنه قال : « تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين •• ثم تدنى من جماجم الناس •• قال : فذكر الحديث قال : فيأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيقولون : يا نبى الله •• أنت الذى فتح الله لك •• وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر •• وقد ترى ما نحن فيه فاشفع لنا الى ربك •• فيقول : أنا صاحبكم •• فيخرج يجوس بين الناس حتى ينتهى الى باب الجنة •• فيأخذ بحلقة فى الباب من ذهب •• فيقرع الباب فيقول : من هذا ؟ فيقول : محمد •• فيفتح له حتى يقوم بين يدى الله عز وجل فيسجد فينادى : ارفع رأسك •• سل تعطه •• واشفع تشفع •• فذلك المقام المحمود »(١١٣) .

يقول الله تعالى : « **أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا . ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا . وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا** »(١١٤) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر •• وبيدى لواء الحمد ولا فخر •• وما من بنى آدم يومئذ فمن سواه الا تحت لوائى •• وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ••

قال : فيفزع الناس ثلاث فزعات •• فيأتون آدم — فذكر الحديث الى أن قال : فيأتونى فأنطلق معهم » .

قال ابن جدعان : قال أنس : فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها — أى أحركها — فيقال : من هذا ؟ فيقال : محمد •• فيفتحون لى ويرحبون فيقولون : مرحبا •• فأخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد •• فيقال لى : ارفع

---

(١١٣) رواه الطبرانى . (١١٤) الاسراء : ٧٨ — ٨٠

رأسك .. سل تعطه واشفع تشفع .. وقل يسمع لقولك .. وهو المقام المحمود الذى قال الله : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »(١١٥) .

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوة .. فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه .. فنهس منها نهسة وقال : « أنا سيد الناس يوم القيـــامة .. هل تدرون مم ذاك ؟

يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد .. فيبصرهم الناظر .. ويسمعهم الداعى .. وتدنو منهم الشمس .. فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون .. فيقول الناس : ألا ترون الى ما أنتم فيه والى ما بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ؟

فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم .. فيأتونه فيقولون : يا آدم .. أنت أبو البشر .. خلقك الله بيده .. ونفخ فيك من روحه .. وأمر الملائكة فسجدوا لك .. وأسكنك الجنة .. ألا تشفع لنا الى ربك ! ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟

فقـــال : ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله .. ولا يغضب بعده مثله .. وانه نهانى عن الشجرة فعصيت .. نفسى نفسى نفسى .. اذهبوا الى غيرى .. اذهبوا الى نوح ..

فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح .. أنت أول الرسل الى أهل الأرض .. وقد سماك الله عبدا شكورا .. ألا ترى الى ما نحن فيه ؟ ألا ترى الى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا الى ربك ؟

فيقول : ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله .. ولن يغضب بعده مثله .. وانه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومى .. نفسى نفسى نفسى .. اذهبوا الى غيرى .. اذهبوا الى ابراهيم .

فيأتون ابراهيم .. فيقولون : أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض .. اشفع لنا الى ربك .. ألا ترى الى ما نحن فيه ؟

فيقول لهم : ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ..

---

(١١٥) رواه الترمذى وابن ماجه .

ولن يغضب بعده مثله •• وانى كنت كذبت ثلاث كذبات[116] ــ فذكرها ــ نفسى نفسى نفسى •• اذهبوا الى غيرى •• اذهبوا الى موسى •

فيأتون موسى •• فيقولون : يا موسى •• أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس •• اشفع لنا الى ربك •• ألا ترى الى ما نحن فيه ؟

فيقول : ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله •• ولن يغضب بعده مثله •• وانى قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها •• نفسى نفسى نفسى •• اذهبوا الى غيرى •• اذهبوا الى عيسى ••

فيأتون عيسى •• فيقولون : يا عيسى •• أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه •• وكلمت الناس فى المهد •• اشفع لنا الى ربك •• ألا ترى الى ما نحن فيه ؟

فيقول عيسى : ان ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله •• ولن يغضب بعده مثله ــ ولم يذكر ذنبا ــ نفسى نفسى نفسى •• اذهبوا الى غيرى •• اذهبوا الى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

فيأتونى •• فيقولون : يا محمد •• أنت رسول الله •• وخاتم الأنبياء •• وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر •• اشفع لنا الى ربك •• ألا ترى الى مانحن فيه ؟

فأنطلق فآتى تحت العرش •• فأقع ساجدا لربى •• ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى •• ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك •• سل تعطه واشفع تشفع •• فأرفع رأسى فأقول : أمتى يا رب •• أمتى يا رب •• أمتى يا رب ••

فيقال : يا محمد •• أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة •• وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ••

ثم قال : والذى نفسى بيده •• ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر •• أو كما بين مكة وبصرى »[117] •

* * *

---

(116) الأولى : قوله عندما نظر فى النجوم : « انى سقيم » والثانية قوله عندما حطم الأصنام : « بل فعله كبيرهم هذا » والثالثة : عندما قال عن زوجه فى مصر : « هى أختى » اتقاء لشر فرعون .

(117) رواه الشيخان البخارى ومسلم .

وعن أنس رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انى لقائم أنتظر أمتى تعبر — أى على الصراط — اذ جاء عيسى عليه السلام فقال : هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون — أو قال : يجتمعون اليك — يدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم الى حيث يشاء .. لعظم ما هم فيه .. فالخلق ملجمون فى العرق .. فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة .. وأما الكافر فيتغشاه الموت .

قال : يا عيسى .. انتظر حتى أرجع اليك .. قال : وذهب نبى الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش .. فلقى ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبى مرسل .. فأوحى الله الى جبريل عليه السلام أن اذهب الى محمد فقل له : ارفع رأسك .. سل تعطه واشفع تشفع ..

قال : فشفعت فى أمتى أن أخرج من كل تسعة وتسعين انسانا واحدا .. قال : فما زلت أتردد على ربى .. فلا أقوم فيه مقاما الا شفعت .. حتى أعطانى الله من ذلك أن قال : أدخل من أمتك من خلق الله من شهد أن لا اله الا الله يوما واحدا مخلصا ثم مات على ذلك »(١١٨) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصى عددهم الا الله بما عصوا الله واجترأوا على معصيته .. وخالفوا طاعته .. فيؤذن لى فى الشفاعة فأثنى على الله ساجدا كما أثنى عليه قائما .. فيقال لى : ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع »(١١٩) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل نبى يوم القيامة منبرا من نور .. وانى لعلى أطولها وأنورها .. فيجىء مناد ينادى : أين النبى الأمى ؟

فيقول الأنبياء : كلنا نبى أمى .. فالى أينا أرسل ؟

فيرجع ثانية فيقول : أين النبى الأمى العربى ؟ قال : فينزل محمد صلى الله عليه وسلم حتى يأتى باب الجنة فيقرعه . فيقول : من ؟ فيقول : محمد — أو أحمد — فيقال : أو قد أرسل اليه ؟ فيقول : نعم .. فيفتح له فيدخل .. فيتجلى له الرب تبارك وتعالى ..

---

(١١٨) رواه أحمد . (١١٩) رواه الطبرانى .

ولا يتجلى لشيء قبله •• فيخر لله ساجدا •• ويحمده بمحامد لم يحمده بها أحد ممن كان قبله •• ولن يحمده بها أحد ممن كان بعده •• فيقال له : يا محمد •• ارفع رأسك •• تكلم تسمع واشفع تشفع •• » فذكر الحديث(١٢٠) .

وقد مر بنا حديث حذيفة وأبى هريرة رضى الله عنهما عند ذكر الصراط(١٢١) •• وأوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس •• قال : فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة •• فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة •• فيقول : وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم ؟ لست بصاحب ذلك •• اذهبوا الى ابنى ابراهيم خليل الله ••

قال : فيقول ابراهيم : لست بصاحب ذلك •• انما كنت خليلا من وراء وراء •• اعمدوا الى موسى الذى كلمه الله تكليما ••

قال : فيأتون موسى فيقول : لست بصاحب ذلك •• اذهبوا الى عيسى كلمة الله وروحه ••

فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك •• فيأتون محمدا ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فيقوم فيؤذن له •• وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا •• » ـــ ثم ذكر الحديث(١٢٢) .

* * *

روى أبو سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون ولا يحيون •• ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـــ أو قال : بخطاياهم ـــ فأماتتهم اماتة حتى اذا كانوا فحما •• أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر •• فبثوا على أنهار الجنة •• ثم قيل : يا أهل الجنة •• أفيضوا عليهم •• فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل » فقال رجل من القوم : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية(١٢٣) .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١٢٠) رواه ابن حبان . (١٢١) انظر ص ٢٨٣
(١٢٢) رواه مسلم ولم يذكر فيه نوحا عليه السلام .
(١٢٣) رواه مسلم .

« يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير .. قلنا : وما الثعارير ؟ قال : الضغابيث »[١٢٤] .

[والضغبوث : ولد الثعلب أو الرجل الضعيف] .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يخلص المؤمنون من النار .. فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار .. فيقضى لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا .. حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة .. فوالذى نفس محمد بيده .. لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيـــا »[١٢٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الجنة من أمتى زمرة .. سبعون ألفاً تضىء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر » فقام عكاشة بن محصن الأسدى فرفع نمرة عليه فقال : يا رسول الله .. ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : « اللهم اجعله منهم » .. ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله .. ادع الله أن يجعلنى منهم . قال : « سبقك عكاشة »[١٢٦] .

وعن سلمان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة أحد الا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم .. كتاب من الله لفــلان ابن فلان .. أدخلوه جنة عالية .. قطوفهـــا دانية »[١٢٧] .

وروى أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آتى باب الجنة يوم القيامة .. فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد .. فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحـــد قبلك »[١٢٨] .

* * *

---

(١٢٤) رواه الشيخان .

(١٢٥) رواه البخارى .

(١٢٦) رواه الشيخان .

(١٢٧) رواه الطبرانى .

(١٢٨) رواه مسلم .

* آخر أهل الجنة دخولا :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها •• وآخر أهل الجنة دخولا الجنة •• رجل يخرج من النار حبوا •• فيقول الله تعالى له : اذهب فادخل الجنة •• فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى •• فيرجع فيقول : يا رب •• وجدتها ملأى ••

فيقول الله : اذهب فادخل الجنة •• فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ــ أو : ان لك مثل عشرة أمثال الدنيا ــ فيقول : أتسخر بى ــ أو تضحك بى ــ وأنت الملك ؟

يقول ابن مسعود : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقول : « ذلك أدنى أهل الجنة منزلة »(١٢٩)

وعنه أيضا •• عن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال : « آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة •• وتسفعه النار ــ أى تلفحه ــ فاذا جاوزها التفت اليها فقال : تبارك الذى نجانى منك •• لقد أعطانى الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين •

فترفع له شجرة •• فيقول : يا رب •• أدننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها •• فيقول الله تعالى : لعلى ان أعطيتكها تسألنى غيرها ؟ •• فيقول : لا يا رب •• ويعاهده ألا يسأله غيرها •• وربه تعالى يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه •• فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ••

ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى •• فيقول : أى رب •• أدننى من هذه الشجرة لأشرب من مائها وأستظل بظلها •• لا أسألك غيرها •• فيقول : يا ابن آدم •• ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها ؟ ويقول : لعلى ان أدنيتك منها تسألنى غيرها •• فيعاهده أن لا يسأله غيرها •• وربه تعالى يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه •• فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ••

---

(١٢٩) رواه الشيخان والترمذى .

ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين •• فيقول : يا رب •• أدننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها •• لا أسألك غيرها •• فيقول : يا ابن آدم •• ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها ؟ •• قال : بلى يا رب •• هذه لا أسألك غيرها •• وربه تعالى يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها ••

فاذا أدناه منها •• سمع أصوات أهل الجنة •• فيقول : أى رب •• أدخلنى بها •• فقال : يا ابن آدم •• ما يصرينى منك — أى ما الذى يرضيك ويقطع مسألتك — أيرضيك أن أعطيك قدر الدنيا ومثلها معها ؟

قال : يا رب •• أتستهزىء منى وأنت رب العالمين ؟

فيضحك ابن مسعود •• ويقول : ألا تســألونى مم أضحك ؟ •• فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ فقال : من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزىء منى وأنت رب العالمين •• فيقول : لا أستهزىء منك •• ولكنى على ما أشاء قدير »(١٣٠) •

* * *

وصدق الله العظيم القائل : **« وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون •**

« ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون •

« وأشرقت الأرض بنور ربهــا ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون • ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون •

« وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ، حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العــذاب على الكافرين • قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى المتكبرين •

---

(١٣٠) رواه مسلم •

« وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ، حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين • وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين •

« وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمـــد ربهم ، وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين »[131] •

* * *

---

(١٣١) الزمر : ٦٧ — ٧٥

نهاية المطاف .. جنة أو نار !!

* الجنة « جعلنا الله من أهلها » :

يقول الله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ، ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون »[1] .

ويقول : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين »[2] .

ويقول : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »[3] .

ويقول تعالى : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة ، هم فيهـا خالدون . ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار ، وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون »[4] .

ويقول : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون »[5] .

ويقول : « وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيـد . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . ادخلوها بسلام ، ذلك يوم الخلود . لهم ما يشاءون فيها ، ولدينا مزيد »[6] .

ويقول جل شأنه : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا . أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سـندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك ، نعم الثواب وحسنت مرتفقا »[7] .

---

(1) البقرة : ٢٥
(2) آل عمران : ١٣٣
(3) السجدة : ١٧
(4) الأعراف : ٤٢ ، ٤٣
(5) يونس : ٢٦
(6) سورة ق : ٣١ — ٣٥
(7) الكهف : ٣٠ ، ٣١

ويقول : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا • خالدين فيها لا يبغون عنها حولا »(٨) •

ويقول جل وعلا : « الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا • جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب ، انه كان وعده مأتيا • لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ، ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا • تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا »(٩) •

ويقول : « ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير • وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد »(١٠)

* * *

يا للروعة •• جنات عرضها السموات والأرض ؟!

جنات •• ذات أشجار وثمار •• تتخللها الأنهار العذبة التى تجرى تحت أشجارها وقصورها !!

ثمرات أشجارها متشابهة فى الشكل والجنس •• متمايزة فى الطعم واللـــذة !!

ولهم فيها زوجات طاهرات •• كاملات الطهارة •• ليس فيهن ما يعاب !!

جنات عدن •• وجنات الفردوس ؟!

لا يلبسون فيها الا الحرير !!

والملائكة تزينهم بأساور الذهب واللؤلؤ !!

يتكئون فيها على السرر الوثيرة •• بين الوسائد والستر !!

ورزقهم فيها مكفول •• لهم فيها كل ما يشتهون •• وما أعده الله لهم من النعيم لا يخطر على قلب بشر •• ولديه تعالى لهم المزيد من الأفضال والتكريم !!

لا تعلم نفس مقدار ما أعد الله لهم من نعيم عظيم •• لتقر به أعينهم جزاء بما كسبوا من الطاعة والأعمال الصالحة فى دنياهم ••

خالدين فيها •• فلا موت ، ولا فناء ، ولا طرد ، ولا ابعاد !!

طهرهم الله تعالى •• فأخرج من قلوبهم الغل والحســد •• ولا تغشى وجوههم كآبة من هم أو هوان ••

---

(٨) الكهف : ١٠٧ ، ١٠٨ (٩) مريم : ٦٠ — ٦٣

(١٠) الحج : ٢٣ ، ٢٤

اخوان متحابين .. يعاشرون بعضهم بعضا بالمحبة والسلام .. لا يسمعون الا خيرا وأمنا .. ولا يجرى بينهم لغو فى حديث ..

ألهمهم الله تعالى الطيب من القول .. والحميد من الفعال .. يسبحونه تعالى ويقدسونه ويشكرونه ..

لسانهم يلهج فى كل وقت وآن : الحمد لله الذى دلنا على طريق هذا النعيم .. ووفقنا الى سلوكه واتباعه .. فلولا أنه تعالى هدانا بارسال الرسل .. ووفقنا الى اتباعهم .. ما كان باستطاعتنا أن نوفق الى الهداية ..

لقد صدقنا رسلنا وما كذبونا .. لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ..

... ولماذا كل هذا يا رب ؟؟

... لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات ..

سبحانك ربى .. ما أعدلك .. وما أعظمك .. وما أكرمك ..

وهل كانت هدايتهم للايمان الا بفضلك ؟؟

وهل عملوا الصالحات الا بتوفيقك ؟؟

ولكنه الكريم .. تجلى على عباده الصالحين بكرمه وفضله ..

* * *

ويقول تعالى واصفا حال أهل الجنة : « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، نعم أجر العاملين . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** »(١١) .

ويقول : « **ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون . هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولا من رب رحيم** »(١٢) .

ويقول : « **وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ، حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين . وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ، وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** »(١٣) .

---

(١١) العنكبوت : ٥٨ ، ٥٩ (١٢) يس : ٥٥ — ٥٨

(١٣) الزمر : ٧٣ — ٧٥

ويقول : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون • نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون • نزلا من غفور رحيم »[١٤] .

ويقول جل شأنه : « يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون • الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين • ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون • يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، وأنتم فيها خالدون • وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون • لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون »[١٥] .

ويقول تعالى : «ان المتقين فى مقام أمين • فى جنات وعيون • يلبسون من سندس واستبرق متقابلين • كذلك وزوجناهم بحور عين • يدعون فيها بكل فاكهة آمنين • لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى ، ووقاهم عذاب الجحيم • فضلا من ربك ، ذلك هو الفوز العظيم »[١٦] .

ويقول : « والسابقون السابقون • أولئك المقربون • فى جنات النعيم • ثلة من الأولين • وقليل من الآخرين • على سرر موضونة • متكئين عليها متقابلين • يطوف عليهم ولدان مخلدون • بأكواب وأباريق وكأس من معين • لا يصدعون عنها ولا ينزفون • وفاكهة مما يتخيرون • ولحم طير مما يشتهون • وحور عين • كأمثال اللؤلؤ المكنون • جزاء بما كانوا يعملون • لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما • الا قيلا سلاما سلاما • وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين • فى سدر مخضود • وطلح منضود • وظل ممدود • وماء مسكوب • وفاكهة كثيرة • لا مقطوعة ولا ممنوعة • وفرش مرفوعة • انا أنشأنهن انشاء • فجعلناهن أبكارا • عربا أترابا • لأصحاب اليمين • ثلة من الأولين • وثلة من الآخرين »[١٧]

ويقول جل وعلا : « مثل الجنة التي وُعِدَ المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم »[١٨] .

---

(١٤) فصلت : ٣٠ — ٣٢
(١٥) الزخرف : ٦٨ — ٧٣
(١٦) الدخان : ٥١ — ٥٧
(١٧) الواقعة : ١٠ — ٤٠
(١٨) محمد : ١٥

ويقول : « **ان المتقين فى جنات ونعيم • فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم • كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون • متكئين على سرر مصفوفة ، وزوجناهم بحور عين • والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ، كل امرىء بما كسب رهين • وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون • يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم • ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون** »[١٩] •

••• ولماذا كل هذا يا رب ؟؟

••• لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات ••

ما أعدلك يا ربى •• وما أعظمك •• وما أكرمك •• سبحانك سبحانك ••

وحسبنا أن نقرأ معا فى سورة الرحمن[٢٠] : وصف ما أعده الله تعالى لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات •• من الجنات والنعيم •• مما لا عين رأت •• ولا أذن سمعت •• ولا خطر على قلب بشر ••

* * *

روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر اليها •• فذهب فنظر اليها فقال : وعزتك •• لا يسمع بها أحد الا دخلها ••

فحفها بالمكاره • فقال : اذهب فانظر اليها •• فذهب فنظر اليها فقال : وعزتك •• لخشيت أن لا يدخلها أحد ••

ولما خلق النار قال لجبريل : اذهب فانظر اليها • فذهب فنظر اليها فقال : وعزتك •• لا يسمع بها أحد فيدخلها ••

فحفها بالشهوات •• فقال : اذهب فانظر اليها •• فذهب فنظر اليها فلما رجع قال : وعزتك •• لقد خشيت ألا يسلم منها أحد الا دخلها »[٢١] •

---

(١٩) الطور : ١٧ — ٢٤

(٢٠) الآيات من ٤٦ — ٧٨ فى سورة الرحمن •

(٢١) رواه ابو داوود والترمذى والنسائى •

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام •• والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم »[٢٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر •• والذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة •• لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون •• أمشاطهم الذهب •• ورشحهم المسك •• ومجامرهم الألوة •• أزواجهم الحور العين •• أخلاقهم على خلق رجل واحد •• على صــورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء » .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر •• لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون •• آنيتهم فيها الذهب •• أمشاطهم من الذهب والفضة •• ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك •• لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن •• لا اختلاف بينهم ولا تباغض •• قلوبهم قلب واحد يسبحون بكرة وعشيا »[٢٣] .

[الرشح : العرق ، والمجامر : مواضع البخور ، والألوة : العود] .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين •• أبناء ثلاث وثلاثين •• وهم على خلق آدم ســتون ذراعا فى عرض سبعة أذرع »[٢٤] .

وعن المقدام رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أحد يموت سقطا ولا هرما — وانما الناس فيما بين ذلك — الا بعث ابن ثلاث وثلاثين سنة •• فان كان من أهل الجنة كان على مسحة آدم •• وصورة يوسف •• وقلب أيوب ، ومن كان من أهل النار عظموا وفخموا كالجبال »[٢٥] .

---

(٢٢) رواه الطبرانى .

(٢٣) رواه الشيخان والترمذى وابن ماجة .

(٢٤) رواه احمد وابن ابى الدنيا والطبرانى والبيهقى .

(٢٥) رواه البيهقى .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن موسى عليه السلام سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟

فقال : رجل يجىء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة .. فيقال له : ادخل الجنة .. فيقول : رب .. كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخـــذاتهم ..

فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ .. فيقول : رضيت رب .. فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله .. فقال فى الخامسة : رضيت رب ..

فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله .. ولك ما اشتهت نفسك .. ولذت عينك .

فيقول : رضيت رب .. قال ــ أى موسى ــ : رب فأعلاهم منزلة ؟

قال : أولئك الذين أردت .. غرست كرامتهم بيدى .. وختمت عليها .. فلم تر عين .. ولم تسمع أذن . ولم يخطر على قلب بشر »(٢٦)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أسفل أهل الجنة أجمعين درجة .. لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم .. بيــد كل واحد صحفتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة .. فى كل واحدة لون ليس فى الأخرى مثله .. يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أولها .. يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذى يجد لأولها .. ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر .. لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون .. اخوانا على سرر متقابلين »(٢٧)

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أحدثكم بغرف الجنة ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله .. بأبينا أنت وأمنا .. قال : ان فى الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله .. يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها .. فيها من النعيم واللذات والشرف : مالا عين رأت ولا أذن سمعت . قال قلت : لمن هذه الغرف ؟ قال : لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام »(٢٨) .

---

(٢٦) رواه مسلم .
(٢٧) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى .
(٢٨) رواه البيهقى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلنا : يا رسول الله .. حدثنا عن الجنة .. ما بناؤها ؟ قال : « لبنة ذهب ولبنة فضة .. وملاطها المسك .. وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت .. وترابها الزعفران .. من يدخلها ينعم ولا ييأس .. ويخلد لا يموت .. ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه »[٢٩] .

وروى ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة موقوفا قال : « حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة .. ودرجها الياقوت واللؤلؤ . قال : وكنا نحدث أن رضراض — أى حصى — أنهارها اللؤلؤ وترابها الزعفران » .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « لكل مسلم خيرة .. ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب .. يدخل عليها من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لا مرحات ولا دفرات ولا سخرات ولا طماحات .. حور عين كأنهن بيض مكنون »[٣٠] .

[يصف الحور العين بأنهن « لا مرحات » : أى فرحهن طبيعى ليس عندهن بطر ، « ولا دفرات » : أى ليس فيهن قذارة أو نتانة أو وساخة ، « ولا سخرات » : أى طائعات مؤدبات محترمات أخلاقهن عالية فلا يستهزئن بأحد ، « ولا طماحات » : أى نافرات جموحات] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : **« حور مقصورات فى الخيام »**[٣١] قال : « الخيمة من درة مجوفة .. طولها فرسخ .. ولها ألف باب من ذهب .. حولها سرادق دوره خمسون فرسخا .. يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل »[٣٢] .

وفى رواية للبيهقى قال : « الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ .. لها أربعة آلاف مصراع من ذهب » .

وروى عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة مائة درجة .. ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض .. والفردوس أعلى درجة منها .. تفجر أنهار الجنة الأربعة .. ومن فوقها يكون العرش .. فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس » .

---

(٢٩) رواه أحمد والترمذى والبزار والطبرانى وابن حبان .
(٣٠) رواه ابن ابى الدنيا .
(٣١) الرحمن : ٧٢
(٣٢) رواه ابن أبى الدنيا .

وروى عن ابن عبــاس رضى الله عنهما فى قــوله عز وجل : « انا أعطيناك الكوثر »[٣٣] قال : « هو نهر فى الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ .. ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل .. شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت .. خص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم قبل الأنبياء »[٣٤] .

وعن سماك أنه لقى عبد الله بن عباس رضى الله عنهم بالمدينة بعد ما كف بصره .. فقال : يا ابن عباس .. ما أرض الجنة ؟ قال : مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة .. قلت : ما نورها ؟ قال : ما رأيت الساعة التى يكون فيها طلوع الشمس ؟ .. فذلك نورها الا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير .. قال قلت : فما أنهارها .. أفى أخدود ؟ قال : لا .. ولكنها تجرى على أرض الجنة مستكفة ـ أى سخية معطية ـ لا تفيض ههنا ولا ههنا .. قال الله لها كونى فكانت .. قلت : فما حلل الجنة ؟ قال : فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان .. فاذا أراد ولى الله منها كسوة انحدرت اليه من غصنها فانفلقت له عن سبعين حلة ألوانا بعد ألوان .. ثم تنطبق فترجع كما كانت »[٣٥] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « الظل الممدود شجرة فى الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد فى ظلها مائة عام فى كل نواحيها .. فيخرج أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون فى ظلها . قال : فيشتهى بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة .. فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان فى الدنيا »[٣٦] .

وعن عتبة بن عبد رضى الله عنه قال : جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما حوضك الذى تحدث عنه ؟ ـ فذكر الحديث الى أن قال ـ : فقال الأعرابى : يا رسول الله .. فيها فاكهة ؟ قال : نعم .. وفيها شجرة تدعى طوبى هى تطابق الفردوس .. فقال : أى شجر أرضنا تشبه ؟ قال : ليس تشبه شيئا من شجر أرضك .. ولكن أتيت الشام ؟ قال : لا يا رسول الله . قال : فانها تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحدة .. ثم ينتشر أعلاها .. قال : فما عظم أصلها ؟ قال : لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك لمـــا قطعتها

---

(٣٣) الكوثر : ١
(٣٤) رواه ابن ابى الدنيا .
(٣٥) رواه ابن ابى الدنيا .
(٣٦) رواه ابن ابى الدنيا .

حتى تتكسر ترقوتها هرما .. قال : فيها عنب ؟ قال : نعم . قال : فما عظم العنقود منها ؟ قال : مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يقع ولا ينثنى ولا يفتر . قال : فما عظم الحبة منه ؟ قال : هل ذبح أبوك تيسا من غنمه عظيما فسلخ اهابه فأعطاه أمك فقال ادبغى هذا ثم افرى لنا منه ذنوبا يروى ماشيتنا ؟ قال : نعم .. فان تلك الحبة تشبعنى وأهل بيتى .. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وعامة عشيرتك »[٣٧] .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ .. فتهب لها ريح فتصطفق فما سمع السامعون بصوت شىء قط ألذ منه »[٣٨] .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأكل أهل الجنة ويشربون .. ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون .. طعامهم ذلك جشاء كريح المسك .. يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس »[٣٩] .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : « ان الرجل من أهل الجنة ليشتهى الشراب من شراب الجنة فيجىء الابريق فيقع فى يده فيشرب .. ثم يعود الى مكانه »[٤٠] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أدنى أهل الجنة منزلة ان له لسبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة .. ان له لثلاثمائة خادم .. ويغدى عليه كل يوم ويراح بثلاثمائة صحفة — ولا أعلمه الا قال من ذهب — فى كل صحفة لون ليس فى الأخرى .. وانه ليلذ أوله كما يلذ آخره .. ومن الأشربة ثلاثمائة اناء .. فى كل اناء لون ليس فى الآخر .. وانه ليلذ أوله كما يلذ آخره .. وانه ليقول : يا رب .. لو أذنت لى لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندى شىء »[٤١] .

---

(٣٧) رواه الطبرانى والبيهقى وابن حبان واحمد .
(٣٨) رواه ابو نعيم .
(٣٩) رواه مسلم وابو داوود .
(٤٠) رواه ابن ابى الدنيا .
(٤١) رواه احمد .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان طير الجنة كأمثال البخت •• ترعى من شجر الجنة •• فقال أبو بكر : يا رسول الله •• ان هذه لطير ناعمة •• فقال : أكلتها أنعم منها ــ قالها ثلاثا ــ وانى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها »(٤٢) .

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انك لتنظر الى الطير فى الجنة فتشتهيه •• فيجىء مشويا بين يديك »(٤٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس •• لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه •• فى الجنة مالا عين رأت •• ولا أذن سمعت •• ولا خطر على قلب بشر »(٤٤) .

وعن شريح بن عبيد رضى الله عنه قال : قال كعب : « لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر اليه وما حملته أبصارهم »(٤٥) .

وعن أنس رضى الله عنه يرفعه : « ••• ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الأرض لملأت ما بينهما ريحا •• ولأضاءت ما بينهما •• ولنصيفها ــ أى خمارها ــ على رأسها خير من الدنيا وما فيها »(٤٦) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « **وفرش مرفوعة** »(٤٧) •• قال : « ارتفاعها كما بين السماء والأرض •• ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام »(٤٨) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله عز وجل : « **بطائنها من استبرق** »(٤٩) قال : « أخبرتم بالبطائن •• فكيف بالظهائر »(٥٠) .

* * *

---

(٤٢) رواه أحمد .
(٤٣) رواه ابن أبى الدنيا والبزار والبيهقى .
(٤٤) رواه مسلم .
(٤٥) رواه ابن أبى الدنيا .
(٤٦) رواه البخارى ومسلم .
(٤٧) الواقعة : ٣٤
(٤٨) رواه ابن أبى الدنيا والترمذى .
(٤٩) الرحمن : ٥٤
(٥٠) رواه البيهقى .

ولا يزال فى صفات الجنة وما أعده الله فيها لعباده المتقين من نعيم مقيم •• لا يزال الكثير والكثير •• يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا • عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا • يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا • ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا • انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا • انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا • فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا • وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا • متكئين فيها على الأرائك ، لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا • ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا • ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا • قواريرا من فضة قدروها تقديرا • ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا • عينا فيها تسمى سلسبيلا • ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا • واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا • عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا • ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا »(٥١) .

ويقول : « ان للمتقين مفازا • حدائق وأعنابا • وكواعب أترابا • وكأسا دهاقا • لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا • جزاء من ربك عطاء حسابا »(٥٢) .

ويقول جل شأنه : « ان الأبرار لفى نعيم • على الأرائك ينظرون • تعرف فى وجوههم نضرة النعيم • يسقون من رحيق مختوم • ختامه مسك ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون • ومزاجه من تسنيم • عينا يشرب بها المقربون »(٥٣) .

ويقول : « وجوه يومئذ ناعمة • لسعيها راضية • فى جنة عالية • لا تسمع فيها لاغية • فيها عين جارية • فيها سرر مرفوعة • وأكواب موضوعة • ونمارق مصفوفة • وزرابى مبثوثة »(٥٤) .

---

(٥١) الانسان : ٥ — ٢٢
(٥٢) النبأ : ٣١ — ٣٦
(٥٣) المطففين : ٢٢ — ٢٨
(٥٤) الغاشية : ٨ — ١٦

ويقول جل وعلا : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية • جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه »[55] •

* * *

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة درجة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله • قال : رجل يدخل من باب الجنة فيتلقاه غلمانه •• فيقولون : مرحبا بسيدنا •• قد آن لك أن تزورنا •• قال : فتمد له الزرابى — أى البسط والطنافس الفاخرة والأثاث والرياش — أربعين سنة •• ثم ينظر عن يمينه وشماله فيرى الجنان •• فيقول : لمن ما ههنا ؟ فيقال : لك ••

حتى اذا انتهى رفعت له ياقوتة حمراء — أو زبرجدة خضراء — لها سبعون شعبا — أى طريقا — فى كل شعب سبعون غرفة •• فى كل غرفة سبعون بابا •• فيقال : اقرأ وارقه •• فيرقى حتى اذا انتهى الى سرير ملكه •• اتكأ عليه •• سعته ميل فى ميل •• له فيه قصور ••

فيسعى اليه بسبعين صحفة من ذهب •• ليس فيها صحفة فيها من لون أختها •• يجد لذة آخرها كما يجد لذة أولها •• ثم يسعى اليه بألوان الأشربة •• فيشرب منها ما اشتهى ••

ثم يقول الغلمان : اتركوه وأزواجه •• فينطلق الغلمان ثم ينظر •• فاذا حوراء من الحور العين •• جالسة على سرير ملكها •• عليها سبعون حلة ليس منها حلة من لون صاحبتها •• فيرى مخ ساقها من وراء اللحم والدم والعظم والكسوة فوق ذلك •• فينظر اليها فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا من الحور العين من اللاتى خبئن لك •• فينظر اليها أربعين سنة لا يصرف بصره عنها ••

ثم يرفع بصره الى الغرفة •• فاذا أخرى أجمل منها •• فتقول : ما آن لك أن يكون لنا منك نصيب ؟ •• فيرتقى اليها أربعين سنة لا يصرف بصره عنها ••

ثم اذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ •• وظنوا أن لا نعيم أفضل منه •• تجلى لهم الرب تبارك اسمه •• فينظرون الى وجه الرحمن •• فيقول :

---

(55) البينة : ٧ ، ٨

يا أهل الجنة •• هللوني ـ أى سبحوا وكبروا ـ فيتجاوبون بتهليل الرحمن ••

ثم يقول : يا داوود •• قم فمجدني كما كنت تمجدني فى الدنيا •• قال : فيمجد داوود ربه عز وجل »[٥٦] •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حدثنى جبريل عليه السلام قال : يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فبأى بنان تعاطيه •• لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوؤه ضوء الشمس والقمر •• ولو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها ••

فبينا هو متكىء معها على أريكته •• اذ أشرف عليه نور من فوقه •• فيظن أن الله عز وجل قد أشرق على خلقه •• فاذا حوراء تناديه : يا ولى الله •• أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول : من أنت يا هذه ؟ فتقول : أنا من اللواتى قال الله تبارك وتعالى : « **ولدينا مزيد** »[٥٧] ••

فيتحول عندها •• فاذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولى •• فبينا هو متكىء معها على أريكته •• واذا حوراء أخرى تناديه : يا ولى الله •• أما لنا فيك من دولة ؟ •• فيقول : من أنت يا هذه ؟ فتقول : أنا من اللواتى قال الله عز وجل : « **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** »[٥٨] فلا يزال يتحول من زوجة الى زوجة »[٥٩] •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « **كأنهن الياقوت والمرجان** »[٦٠] قال : « ينظر الى وجهه فى خدها أصفى من المرآة •• وان أدنى لؤلؤة عليها لتضىء ما بين المشرق والمغرب •• وانه ليكون عليها سبعون حلة ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك »[٦١] •

---

(٥٦) رواه ابن أبى الدنيا .
(٥٧) سورة ق : ٣٥
(٥٨) السجدة : ١٧
(٥٩) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٦٠) الرحمن : ٥٨
(٦١) رواه أحمد وابن حبان والبيهقى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنا جلوسا مع كعب يوما .. فقال : « لو أن يدا من الحور من السماء ببياضها وخواتيمها دليت لأضاءت لها الأرض كما تضىء الشمس لأهل الدنيا .. ثم قال : انما قلت يدها .. فكيف بالوجه بياضه وحسنه وجماله وتاجه وياقوته ولؤلؤه وزبرجده »(٦٢) .

وروى عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها قالت : قلت : يا رسـول الله .. أخـبرنى عن قول الله عز وجل : **« وحور عين »(٦٣) ؟**

قال : بيض عين ضـخام .. شـفر الحـوراء بمنزلة جناح النسر ..

قلت : يا رسـول الله .. فأخبرنى عن قول الله عز وجل : **« كأنهن الياقوت والمرجان » ؟**

قال : صفاؤهن كصفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لا تمسه الأيدى ..

قلت : يا رسـول الله .. فأخـبرنى عن قول الله عز وجل : **« فيهن خيرات حسان »(٦٤) ؟**

قال : خيرات الأخلاق .. حسان الوجوه .

قلت : يا رسـول الله .. فأخـبرنى عن قول الله عز وجل : **« كأنهن بيض مكنون »(٦٥) .**

قال : رقتهن كرقة الجلد الذى فى داخل البيضة مما يلى القشر ..

قلت : يا رسـول الله .. فأخـبرنى عن قول الله عز وجل : **« عربا أترابا »(٦٦) ؟**

قال : هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز .. رمصا شمطا .. خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى .. عربا متعشقات متحببات .. أترابا على ميلاد واحد ..

قلت : يا رسول الله .. أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟

---

(٦٢) رواه ابن ابى الدنيا .
(٦٣) الواقعة : ٢٢
(٦٤) الرحمن : ٧٠
(٦٥) الصافات : ٤٩
(٦٦) الواقعة : ٣٧

قال : نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطـانة ••

قلت : يا رسول الله •• وبم ذاك ؟

قال : بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل •• ألبس الله عز وجل وجوههن النور •• وأجسادهن الحرير •• بيض الألوان •• خضر الثياب •• صفر الحلى •• مجامرهن الدر •• وأمشاطهن الذهب •• يقلن : ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا •• ألا نحن الناعمات فلا نبأس أبدا •• ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا •• ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا •• طوبى لمن كنا له وكان لنا ••

قلت : يا رسول الله •• المرأة منـا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة فى الدنيا •• ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها •• من يكون زوجها منهم ؟

قال : يا أم سلمة •• انها تخير فتختار أحسنهم خلقا •• فتقول : أى رب •• ان هذا كان أحسنهم معى خلقا فى دار الدنيا فزوجنيه •• يا أم سلمة •• ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة »(٦٧) •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن الأصوات سمعها أحـد قط •• ان مما يغنين به : نحن الخيرات الحسان •• أزواج قوم كرام •• ينظرون بقرة أعيان •• وان مما يغنين به : نحن الخالدات فلا نمتنه •• نحن الآمنات فلا نخفنه •• نحن المقيمات فلا نظعنه »(٦٨) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ان فى الجنة نهرا طـول الجنة •• حافتاه العذارى قيام متقابلات •• يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق •• حتى ما يرون أن فى الجنة لذة مثلها ••

قلنا : يا أبا هريرة •• وما ذاك الغناء ؟

قال : ان شاء الله : التسبيح والتحميد والتقديس •• وثنـاء على الرب عز وجل »(٦٩) •

---

(٦٧) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

(٦٨) رواه الطبرانى .

(٦٩) رواه البيهقى .

وعن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة .. فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة .

قال سعيد : أو فيها سوق ؟

قال : نعم .. أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم .. فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا .. فيزورون الله ويبرز لهم عرشه .. ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة .. فتوضع لهم منابر من نور .. ومنابر من لؤلؤ .. ومنابر من ياقوت .. ومنابر من زبرجد .. ومنابر من ذهب .. ومنابر من فضة .

ويجلس أدناهم ـــ وما فيهم دنىء ـــ على كثبان المسك والكافور .. ما يرون أن أصحاب الكراسى أفضل منهم مجلسا » ..

قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله .. هل نرى ربنا ؟

قال : « نعم .. هل تتمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا .. قال : كذلك لا تتمارون فى رؤية ربكم عز وجل .. ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة .. حتى انه ليقول للرجل منكم : ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا ؟ ـــ يذكره بعض غدراته فى الدنيا ـــ فيقول : يا رب .. أفلم تغفر لى ؟ فيقول : بلى .. فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه ..

فبينما هم كذلك .. غشيتهم سحابة من فوقهم .. فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط .. ثم يقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة .. فخذوا ما اشتهيتم ..

قال : فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة .. فيه ما لم تنظر العيون الى مثله .. ولم تسمع الآذان .. ولم يخطر على القلوب ..

قال : فيحمل لنا ما اشتهينا .. ليس يباع فيه شىء ولا يشترى .. وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا .. قال : فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من دونه ـــ وما فيهم دنىء ـــ فيروعه ما يرى عليه من اللباس .. فما ينقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه .. وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها ..

قال : ثم ننصرف الى منازلنا .. فتتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحبا وأهلا .. لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا

عليه •• فيقول : انا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل •• وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا »[٧٠] •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « يقول أهل الجنة : انطلقوا الى السوق •• فينطلقون الى كثبان المسك •• فاذا رجعوا الى أزواجهم قالوا : انا لنجد لكن ريحا ما كانت لكن •• قال : فيقلن : ولقد رجعتم بريح ما كانت لكم اذ خرجتم من عندنا »[٧١] •

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخل أهل الجنة الجنة •• فيشتاق الأخوان بعضهم الى بعض •• فيسير سرير هذا الى سرير هذا •• وسرير هذا الى سرير هذا •• حتى يجتمعا جميعا •• فيتكىء هذا ويتكىء هذا •• فيقول أحدهما لصاحبه : أتعلم متى غفر الله لنا ؟ فيقول صاحبه : نعم •• يوم كنا فى موضع كذا وكذا فدعونا الله •• فغفر لنا »[٧٢] •

وروى عن على كرم الله وجهه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان فى الجنة لشجرة •• يخرج من أعلاها حلل •• ومن أسفلها خيل من ذهب •• مسرجة ملجمة •• من در وياقوت •• لا تروث ولا تبول •• لها أجنحة خطوها مد البصر •• فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاءوا •• فيقول الذين أسفل منهم درجة : يا رب •• بم بلغ عبادك هذه الكرامة كلها ؟ قال : فيقال لهم : كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون •• وكانوا يصومون وكنتم تأكلون •• وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون •• وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون »[٧٣] •

وروى عنه كرم الله وجهه قال : اذا سكن أهل الجنة الجنة •• أتاهم ملك فيقول : ان الله يأمركم أن تزوروه •• فيجتمعون فيأمر الله تعالى داوود عليه الصلاة والسلام •• فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل •• ثم توضع مائدة الخلد •• قالوا : يا رسول الله •• وما مائدة الخلد ؟ قال : زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب •• فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون • فيقولون : لم يبق الا النظر فى

---

(٧٠) رواه الترمذى وابن ماجه •
(٧١) رواه ابن أبى الدنيا •
(٧٢) رواه ابن أبى الدنيا والبزار •
(٧٣) رواه ابن أبى الدنيا •

وجه ربنا عز وجل •• فيتجلى لهم فيخرون سجدا •• فيقال : لستم فى دار عمل •• انما أنتم فى دار جزاء »[٧٤] •

وعن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخل أهل الجنة الجنة •• يقول الله عز وجل : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم •• ثم تلا هذه الآية : **« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »**[٧٥] •

وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أهل الجنة فى مجلس لهم •• اذ سطع لهم نور على باب الجنة •• فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم •• فقال : يا أهل الجنة سلونى •• فقالوا : نسألك الرضا عنا • قال : رضائى أحلكم دارى •• وأنالكم كرامتى •• وهذا أوانها فسلونى ••

قالوا : نسألك الزيادة •• قال : فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر •• أزمتها من زمرد أخضر وياقوت أحمر •• فيحملون عليها •• تضع حوافرها عند منتهى طرفيها •• فيأمر الله عز وجل بأشجار عليها الثمار •• فتجىء جوار من الحور العين •• وهن يقلن : نحن الناعمات فلا نبأس •• ونحن الخالدات فلا نموت •• أزواج قوم مؤمنين كرام •

ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر •• فينثر عليهم ريحا يقال لها « المثيرة » •• حتى تنتهى بهم الى جنة عدن — وهى قصبة الجنة — فتقول الملائكة : يا ربنا •• قد جاء القوم •• فيقول : مرحبا بالصادقين •• مرحبا بالطائعين •

قال : فيكشف لهم الحجاب •• فينظرون الى الله تبارك وتعالى •• فيتمتعون بنور الرحمن •• حتى لا ينظر بعضهم بعضا ••

ثم يقول : أرجعوهم الى القصور بالتحف • فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا •• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فذلك قوله : **« نزلا من غفور رحيم »**[٧٦] •

---

(٧٤) رواه ابو نعيم •
(٧٥) رواه مسلم والترمذى والنسائى — والآية من سورة يونس : ٢٦
(٧٦) رواه ابو نعيم والبيهقى — والآية من سورة فصلت : ٣٢

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتانى جبريل •• فاذا فى كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها •• واذا فى وسطها نكتة سوداء •• قال قلت : يا جبريل •• ما هذه ؟ قال : هذه الدنيا صفاؤها وحسنها • قال قلت : وما هذه اللمعة السوداء فى وسطها ؟ قال : هذه الجمعة •• قال قلت : وما الجمعة ؟ قال : يوم من أيام ربك عظيم •• وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه فى الدنيــا والآخــرة •

أما شرفه وفضله واسمه فى الدنيا والآخرة : فان الله تبارك وتعالى جمع فيه أمر الخلق •• وأما ما يرجى فيه فان فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة •• يسألان الله فيها خيرا الا أعطاهما اياه •• وأما شرفه وفضله واسمه فى الآخرة •• فان الله تعالى اذا صير أهل الجنة الى الجنة •• وأدخل أهل النار النار •• وجرت عليهم أيامها وساعاتها •• ليس بها ليل ولا نهار الا قد علم الله مقدار ذلك وساعاته •• فاذا كان يوم الجمعة فى الحين الذى يبرز — أو يخرج — فيه أهل الجمعة الى جمعتهم •• نادى مناد : يا أهل الجنة •• اخرجوا الى دار المزيد •• لا يعلم سعتها وعرضها وطولها الا الله عز وجل •• فيخرجون فى كثبان من المسك » •

قال حذيفة : وانه لهو أشد بياضا من دقيقكم هذا ••

قال : « فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور •• ويخرج غلمان المؤمنين بكراسى من ياقوت ••

قال : فاذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم •• بعث الله تبارك وتعالى عليها ريحا تدعى « المثيرة » •• تثير عليهم أثابير المسك الأبيض فتدخله من تحت ثيابهم •• وتخرجه فى وجوههم وأشعارهم •• فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع اليها كل طيب على وجه الأرض •• لكانت تلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من تلك المرأة لو دفع اليها ذلك الطيب باذن الله عز وجل ••

قال : ثم يوحى الله سبحانه الى حملة العرش فيوضع بين ظهرانى الجنة •• وبينه وبينهم الحجب •• فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول : أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب ولم يرونى •• وصدقوا رسلى واتبعوا أمرى ؟ فسلونى فهذا يوم المزيد ••

قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : رب •• رضينا عنك فارض عنا •
قال : فيرجع الله تعالى فى قولهم : أن يا أهل الجنة •• انى لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتى •• فسلونى فهذا يوم المزيد ••
قال : فيجتمعون على كلمة واحدة : رب •• وجهك أرنا ننظر اليه •
قال : فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب •• ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء •• لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره ••
قال : ثم يقال لهم : ارجعوا الى منازلكم •
قال : فيرجعون الى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره تبارك وتعالى •• فاذا صاروا الى منازلهم تراد النور وأمكن حتى يرجعوا الى صورهم التى كانوا عليها ••
قال : فتقول لهم أزواجهم : لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها ؟
قال فيقولون : ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه الى ما خفينا به عليكم ••
قال : فلهم فى كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا • قال : وذلك قوله عز وجل : **« فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »**(٧٧) •

وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة •• وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية •• ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« وجوه يومئذ ناضرة • الى ربها ناظرة »**(٧٨) •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة •• فيقولون : لبيك ربنا وسعديك •• والخير فى يديك •• فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك •• فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون :

---

(٧٧) رواه البزار ــ والآية من سورة السجدة : ١٧
(٧٨) رواه أحمد والترمذى ــ والآية من سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣

وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا »[٧٩] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطــر على قلب بشر .. واقرأوا ان شــئتم : « **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** »[٨٠] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمـــا خلق الله جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت .. ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر .. ثم قال لها : تكلمى فقــالت : « **قد أفلح المؤمنون** »[٨١] .

وفى رواية : « خلق الله جنة عدن بيده .. ودلى فيها ثمارها .. وشق فيها أنهــارها .. ثم نظر اليها فقـــال لها : تكلمى فقالت : « **قــد أفلح المؤمنون** » فقال : وعزتى وجلالى .. لا يجاورنى فيك بخيــل »[٨٢] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غدوة فى سبيل الله أو روحة .. خير من الدنيا وما فيها .. ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده من الجنة .. خير من الدنيا وما فيها .. ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلت الى أهل الأرض لأضاءت الدنيا وما فيها .. ولملأت ما بينهما ريحا .. ولنصيفها ــ يعنى خمارها ــ خير من الدنيا وما فيها »[٨٣] .

[والقاب : مقبض القوس ، والقد ــ بكسر القاف وتشديد الدال : هو السوط] .

وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا دخل أهل الجنة الجنة .. ينادى مناد : ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا .. وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا .. وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا .. وان لكم أن تنعموا

---

(٧٩) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٨٠) رواه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه ــ والآية من سورة السجدة : ١٧ (٨١) المؤمنون : ١

(٨٢) رواه الطبرانى وابن ابى الدنيا .

(٨٣) رواه الشيخان والترمذى .

فلا تبأسوا أبدا •• وذلك قول الله عز وجل : **« ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون »**(٨٤) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح •• فينادى مناد : يا أهل الجنة •• فيشرئبون وينظرون •• فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم •• هذا الموت ــ وكلهم قد رآه ••

ثم ينادى مناد : يا أهل النار •• فيشرئبون وينظرون •• فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم •• هذا الموت ــ وكلهم قد رآه ••

فيذبح بين الجنة والنار •• ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت •• ويا أهل النار خلود فلا موت •• ثم قرأ : **« وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر ، وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون »**(٨٥) . •• وأشار بيده الى الدنيا »(٨٦) .

وفى رواية : « اذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح •• فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون •• فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة •• ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا صار أهل الجنة الى الجنة •• وأهل النار الى النار •• جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح •• ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة : لا موت •• يا أهل النار : لا موت •• فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم وأهل النار حزنا الى حزنهم » .

وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الله أهل الجنة الجنة •• وأهل النار النار •• ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول : يا أهل الجنة لا موت •• ويا أهل النار لا موت •• كل خالد فيما هو فيه »(٨٧) .

* * *

---

(٨٤) رواه مسلم والترمذى ــ والآية من سورة الأعراف : ٤٣

(٨٥) مريم : ٣٩

(٨٦) رواه الشيخان والنسائى والترمذى .

(٨٧) رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أنفق زوجين فى شىء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب الجنة : يا عبد الله •• هذا خير •• فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة •• ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد •• ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة •• ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » ••

فقال أبو بكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله •• ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة •• فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ فقال : « نعم •• وأرجو أن تكون منهم »[88] .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم قال : «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ـ أو يسبغ ـ الوضوء•• ثم يقول : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله •• الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء »[89] .

وعنه رضى الله عنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فى الجنة ثمانية أبواب •• باب منها يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون »[90] .

وعن عتبة بن عبد الله السلمى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد •• لم يبلغوا الحنث •• الا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية •• من أيها شاء دخل »[91] .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه فى حديث الشفاعة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ••• فأنطلق •• فآتى العرش •• فأقع ساجدا لربى •• فيقيمنى رب العالمين مقاما لم يقمه أحدا قبلى ولا يقيمه أحدا بعدى •• فأقول : يا رب •• أمتى أمتى •• فيقول : يا محمد •• أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن ـ وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ـ والذى نفس

---

(88) رواه البخارى ومسلم .   (89) رواه مسلم .

(90) رواه البخارى ومسلم .

(91) رواه ابن ماجه وعبد الله بن أحمد .

محمد بيده .. ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ــ أو هجر ومكة » .

وفى لفظ : « لكما بين مكة وهجر .. أو كما بين مكة وبصرى »[٩٢] .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى الصلوات الخمس .. وصام شهر رمضان .. كان حقا على الله أن يغفر له : هاجر أو قعد حيث ولدته أمه » .. قلت : يا رسول الله .. ألا أخرج فأوذن الناس ؟ قال : « لا .. دع الناس يعملون .. فان فى الجنة مائة درجة .. بين كل درجتين مثل ما بين السماء والأرض .. وأعلاها درجة منها الفردوس .. وعليها يكون العرش .. وهى أوسط شىء فى الجنة .. ومنها تفجر أنهار الجنة .. فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس »[٩٣] .

وروى ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أهل الجنة فى نعيمهم .. اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم .. فاذا الرب قد أشرف عليهم .. فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة .. وهو قول الله عز وجل : ((**سلام قولا من رب رحيم**))[٩٤] .. فلا يلتفتون الى شىء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم » .

* * *

فاللهم .. انا نسألك من الخير كله .. عاجله وآجله .. ما علمنا منه وما لم نعلم .. ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله .. ما علمنا منه وما لم نعلم ..

اللهم .. انا نسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك ــ صلى الله عليه وسلم .. ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك ــ صلى الله عليه وسلم ..

اللهم انا نسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل .. ونعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل .. ونسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لنا خيرا ..

---

(٩٢) رواه الشيخان . (٩٣) رواه الترمذى .
(٩٤) يس : ٥٨

اللهم اغسل عنا خطايانا بالمـــاء والثلج والبرد •• ونق قلوبنا من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس •• وباعد بيننا وبين خطايانا كما باعدت بين المشرق والمغرب ••

اللهم انا أسلمنا أنفسنا اليك •• وفوضنا أمورنا اليك •• وألجأنا ظهورنا اليك •• وخلينا وجوهنا اليـــك •• لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك •• آمنا برسولك الذى أرسلت •• وبكتابك الذى أنزلت ••

وصل اللهم على سيدنا ومولانا •• وحبيبنا : محمد وعلى آله وصحبه وســـلم •

* * *

❁ النار .. « أعاذنا الله من شرها » :

يقول الله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القـوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب . اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا ، كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار »(١) .

ويقول : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، ان الله كان عزيزا حكيما »(٢) .

ويقول : « والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ، أولئك ينـالهم نصيبهم من الكتاب ، حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله ، قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين . قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار ، كلما دخلت أمة لعنت أختها ، حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذابا ضعفا من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون . وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون . ان الذين كذبوا بآياتنـا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمـل فى سم الخياط ، وكذلك نجزى المجرمين . لهم من جهنم مهـاد ومن فوقهم غواش ، وكذلك نجـزى الظالمين »(٣) .

ويقول تعالى : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، قالوا نعم ، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله

---

(١) البقرة : ١٦٥ ــ ١٦٧ (٢) النساء : ٥٦
(٣) الأعراف : ٣٦ ــ ٤١

ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون · وبينهما حجاب ، وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ، لم يدخلوها وهم يطمعون · واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين · ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون · أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ، ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون · ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من المـاء أو مما رزقكم الله ، قالوا ان الله حرمهما على الكافرين · الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون »[٤] .

ويقول جل شأنه : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ، ما لهم من الله من عاصم ، كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون · ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون »[٥] .

ويقول : « يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه ، فمنهم شـقى وسعيد · فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق · خالدين فيها ما دامت السـموات والأرض الا ما شاء ربك ، ان ربك فعـال لمـا يريد »[٦] .

ويقول جل وعلا : « وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ، وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقا »[٧] .

ويقول : « أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ، انا أعتـدنا جهنم للكافرين نزلا · قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا · الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا · أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا · ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا »[٨] .

---

(٤) الأعراف : ٤٤ ـــ ٥١
(٥) يونس : ٢٧ ، ٢٨
(٦) هود : ١٠٥ ـــ ١٠٧
(٧) الكهف : ٢٩
(٨) الكهف : ١٠٢ ـــ ١٠٦

ويقول : « وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم »[٩] .

* * *

هل اتضحت القضية ؟!

هل علم الذين كفروا وطغوا وبغوا •• وكذبوا الرسل مآلهم ؟!

هل عرف الذين اتخذوا من دون الله أندادا وأولياء وشفعاء مصيرهم ؟!

لقد أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله •• وجعل التوحيد هو أساس هذا الدين ••

فالله وحده هو الخالق •• وهو وحده الرازق •• وهو وحده المحيى •• وهو وحده المميت •• واليه وحده المصير ••

والمؤمن •• هو الذى يسلم قياده لله تعالى •• فلا تنقطع طاعته له •• لأنه يعلم أن أمره كله بيد الله وحده ••

وما جاء به الرسول — صلى الله عليه وسلم — هو الحق من عند ربه •• ولهذا يطيعه المؤمن فى كل ما جاء به •• لأنه يعلم أن طاعة الرسول من طاعة الله ••

وعلى هذا فالطريق واضح •• من شاء الايمان فليؤمن •• فذلك خير له ••

ومن شاء الكفر فليكفر •• فما ظلم الا نفسه !!

ولكن الشياطين أضلت بعض الناس عن طريق ربهم •• وسلكت بهم فى عبادتهم طرقا شتى ••

فاتخذوا من عباد الله أربابا من دونه •• يطيعونهم فيما شرعوا •• ويتوجهون اليهم بالسؤال والدعاء •• متخذين منهم وسائط وشفعاء •

وجعلوا ولاءهم لهم من دون الله !!

وسينكشف لهؤلاء العذاب الذى أعده الله لهم •• يوم يكون الملك لله وحده •• وتكون الطاعة له وحده ••

---

(٩) ابراهيم : ٢٢

عندئذ يعرفون أن عملهم — فى حياتهم الدنيا — كان باطلا ٠٠ وكانوا يظنون أنهم يحسنون صنعا ٠٠

فيلجأون الى أوليائهم وشفعائهم ٠٠ طالبين منهم النجاة ٠٠ ظانين أنهم سيجدون عندهم الغناء بعد أن أخلصوا لهم فى الدنيا الولاء ٠

ولكنهم يتنكرون لهم ٠٠ ويتبرأون منهم ٠٠ ويقولون : ما دعوناكم لطاعتنا فى معصية ربكم ٠٠ وانما هو هواكم وسوء تصرفكم !!

حتى ابليس نفسه ٠٠ سوف يتبرأ منهم ٠٠ ويقول : هل أجبرتكم على أمر من الأمور ؟ ٠٠ انما كان شأنى واياكم أن دعوتكم فاستجبتم لدعوتى ٠٠ ودعاكم الله فأعرضتم عن دعوته ٠٠ لقد غفلتم عن أمر ربكم فلا تلومونى ولكن لوموا أنفسكم ٠٠ فاننى برىء منكم ومن أعمـــالكم !!

عندئذ ٠٠ تنقطع الصلات والمودات التى كانت بينهم فى الدنيا ٠٠ ويصير بعضهم لبعض أعداء ٠٠ ويتبين الأتباع أنهم كانوا على ضلال فى حياتهم الدنيا ٠٠ وأنهم قد خسروا أعمالهم كلها ٠٠ وبدت لهم سيئات أعمالهم فكانت حسرة عليهم ٠٠ فيندمون ، وماذا يفيد النـــدم ؟

ويتمنون أن يعودوا الى الدنيا ٠٠ ليتنكروا لآلهتهم وأوليائهم وشفعائهم ٠٠ كما تبرأوا منهم ٠ ولكن : هيهات أن يعودوا !!

* * *

ويصف لنا الله تعالى أهوال النار يوم القيامة — أعاذنا الله من شرها — فيقول :

« وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر ، وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون »(١٠) ٠

ويقول تعالى : **« فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم ٠ يصهر به ما فى بطونهم والجلود ٠ ولهم مقامع من حديد ٠ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق »**(١١) ٠

ويقول : **« ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ٠ تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ٠ ألم تكن آياتى**

---

(١٠) مريم : ٣٩ — (١١) الحج : ١٩ — ٢٢

تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون · قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين · ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون · قال اخسـأوا فيها ولا تكلمون »(١٢) ·

ويقول : « ويستعجلونك بالعـذاب ، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب ، وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون · يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين · يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون »(١٣) ·

ويقول جل شأنه : « ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين · قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم ، بل كنتم مجرمين · وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفـر بالله ونجعل له أندادا ، وأسروا الندامة لمـا رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا ، هل يجزون الا ما كانوا يعملون »(١٤) ·

ويقول : « أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم · انا جعلناها فتنة للظالمين · انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم · طلعها كأنه رؤوس الشياطين · فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون · ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم · ثم ان مرجعهم لالى الجحيم »(١٥) ·

ويقول تعالى : « هذا ، وان للطاغين لشر مآب · جهنم يصلونها فبئس المهاد · هذا فليذوقوه حميم وغساق · وآخر من شكله أزواج · هذا فوج مقتحم معكم ، لا مرحبا بهم ، انهم صالوا النار · قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم ، أنتم قدمتموه لنا ، فبئس القرار · قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار »(١٦) ·

ويقول : « واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار · قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد · وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب · قالوا أو لم تك تأتيكم

---

(١٢) المؤمنون : ١٠٣ ـــ ١٠٨ (١٣) العنكبوت : ٥٣ ـــ ٥٥
(١٤) سبأ : ٣١ ـــ ٣٣ (١٥) الصافات : ٦٢ ـــ ٦٨
(١٦) سورة ص : ٥٥ ـــ ٦١

رسلكم بالبينات ، قالوا بلى ، قالوا فادعوا ، وما دعاء الكافرين الا فى ضــلال »[١٧] .

ويقول : « ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون • لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون • وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين • ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ، قال انكم ماكثون »[١٨] .

ويقول جل وعلا : « ان شجرة الزقوم • طعام الأثيم • كالمهل يغلى فى البطون • كغلى الحميم • خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم • ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم • ذق انك أنت العزيز الكريم • إن هذا ما كنتم به تمترون »[١٩] .

ويقول : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد »[٢٠]

ويقول : « ان المجرمين فى ضلال وسعر • يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر »[٢١] .

ويقول تعالى : « هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون • يطوفون بينها وبين حميم آن • فبأى آلاء ربكما تكذبان »[٢٢] .

* * *

ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب النار •• ويأمرنا أن نتعوذ منه •• عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم : كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن •• قولوا : « اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم •• وأعوذ بك من عذاب القبر •• وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال •• وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات »[٢٣] .

وعن أم حبيبة — زوج الرسول — رضى الله عنها قالت : سمعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول : اللهم أمتعنى بزوجى رسول الله •• وبأبى أبى سفيان •• وبأخى معاوية •• فقال : « سألت الله لآجال مضروبة •• وأيام معدودة •• وأرزاق مقسومة •• لن يعجل

---

(١٧) غافر : ٤٧ — ٥٠ (١٨) الزخرف : ٧٤ — ٧٧
(١٩) الدخان : ٤٣ — ٥٠ (٢٠) سورة ق : ٣٠
(٢١) القمر : ٤٧ ، ٤٨ (٢٢) الرحمن : ٤٣ — ٤٥
(٢٣) رواه مالك ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .

شيئا منها قبل أجله ولا يؤخر •• ولو كنت سألت الله أن يعيذك من النار وعذاب القبر كان خيرا وأفضل »[٢٤] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما استجار عبد من النار سبع مرات الا قالت النار : يا رب •• ان عبدك فلانا استجار منى فأجره •• ولا سأل عبد الجنة سبع مرات الا قالت الجنة : يا رب •• ان عبدك فلانا سألنى فأدخله الجنة »[٢٥] •

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله ملائكة سيارة يتبعون مجالس الذكر » — فذكر الحديث الى أن قال : « فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك •• قال فما يسألونى ؟ قالوا : يسألونك جنتك •• قال : وهل رأوا جنتى ؟ قالوا : لا أى رب •• قال : فكيف لو رأوا جنتى ؟

قالوا : ويستجيرونك • قال : ومما يستجيرونى ؟ قالوا : من نارك يا رب • قال : وهل رأوا نارى ؟ قالوا : لا •• قال : فكيف لو رأوا نارى ؟

قالوا : ويستغفرونك • قال فيقول : قد غفرت لهم •• وأعطيتهم ما سألوا •• وأجرتهم مما استجاروا »[٢٦] •

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة •• وفى الآخرة حسنة •• وقنا عذاب النار »[٢٧] •

فاللهم ربنا •• انك لست باله استحدثناه •• ولا برب ابتدعناه •• ولا كان لنا قبلك من اله نلجأ اليه ونذرك •• ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه فيك •• تباركت ربنا وتعاليت ••

اللهم انك تسمع كلامنا •• وترى مكاننا •• وتعلم سرنا وعلانيتنا •• لا يخفى عليك شىء من أمورنا •• ونحن البائسين الفقراء المستغيثين المستجيرين الوجلين المشفقين •• المقرين المعترفين بذنوبنا ••

---

(٢٤) رواه مسلم •
(٢٥) رواه أبو يعلى •
(٢٦) رواه الشيخان •
(٢٧) رواه البخارى •

نسألك مسألة المساكين •• ونبتهل اليك ابتهال المذنبين الأذلاء •• وندعوك دعاء الخائفين •• من خضعت لك رقابهم •• وفاضت لك عبراتهم •• وذلت لك أجسامهم •• ورغمت لك أنوفهم ••

اللهم لا تجعلنا بدعائك أشقياء •• وكن بنا رؤوفا رحيما •• يا خير المسئولين •• وياخير المعطين ••

اللهم اننا ننزل بك حاجتنا وان قصر رأينا •• وضعفت أعمالنا •• افتقرنا الى رحمتك •• نسألك يا قاضى الأمور •• وياشافى الصدور •• كما تجير بين البحور أن تجيرنا من عذاب السعير •• ومن دعوة الثبور •• ومن فتنة القبور ••

اللهم ما قصرت عنه آراؤنا •• ولم تبلغه نياتنا •• ولم تبلغه مسألتنا من خير وعدته أحدا من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك •• فاننا نرغب اليك فيه •• ونسألك برحمتك يا رب العالمين ••

اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد — عليهم السلام — نعوذ بك من النار ••

* * *

ولا يزال فى وصف النار الكثير •• والكثير ••

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : **« وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال • فى سموم وحميم • وظل من يحموم • لا بارد ولا كريم • أنهم كانوا قبل ذلك مترفين • وكانوا يصرون على الحنث العظيم • وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون • أو آباؤنا الأولون • قل ان الأولين والآخرين • لمجموعون الى ميقات يوم معلوم • ثم انكم أيها الضالون المكذبون • لآكلون من شجر من زقوم • فمالئون منها البطون • فشاربون عليه من الحميم • فشاربون شرب الهيم • هذا نزلهم يوم الدين »**[٢٨] •

ويقول : **« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون • يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ، انما تجزون ما كنتم تعملون »**[٢٩] •

---

(٢٨) الواقعة : ٤١ — ٥٦ (٢٩) التحريم : ٦ ، ٧

ويقول : «وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم ، وبئس المصير • اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور • تكاد تميز من الغيظ ، كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير • قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ان أنتم الا فى ضلال كبير • وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير • فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير »(٣٠) •

ويقول جل شأنه : « وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه • ولم أدر ما حسابيه • يا ليتها كانت القاضية • ما أغنى عنى ماليه • هلك عنى سلطانيه • خذوه فغلوه • ثم الجحيم صلوه • ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه • انه كان لا يؤمن بالله العظيم • ولا يحض على طعام المسكين • فليس له اليوم ههنا حميم • ولا طعام الا من غسلين • لا يأكله الا الخاطئون »(٣١) •

ويقول : « يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه • وصاحبته وأخيه • وفصيلته التى تؤيه • ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه • كلا انهـا لظى • نزاعة للشـوى • تدعوا من أدبر وتولى • وجمع فأوعى »(٣٢) •

ويقول : « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا • وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا • ان لدينا أنكالا وجحيما • وطعاما ذا غصة وعذابا أليما • يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيـلا »(٣٣) •

ويقول جل وعلا : « ذرنى ومن خلقت وحيدا • وجعلت له مالا ممدودا • وبنين شهودا • ومهدت له تمهيدا • ثم يطمع أن أزيد • كلا انه كان لآياتنا عنيدا • سأرهقه صعودا • انه فكر وقدر • فقتل كيف قدر • ثم قتل كيف قدر • ثم نظر • ثم عبس وبسر • ثم أدبر واستكبر • فقال ان هذا الا سحر يؤثر • ان هذا الا قول البشر • سأصليه سقر • وما أدراك ما سقر • لا تبقى ولا تذر • لواحة للبشر • عليها تسعة عشر »(٣٤) •

---

(٣٠) الملك : ٦ — ١١
(٣١) الحاقة : ٢٥ — ٣٧
(٣٢) المعارج : ١١ — ١٨
(٣٣) المزمل : ١٠ — ١٤
(٣٤) المدثر : ١١ — ٣٠

ويقول : « انا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا »[٣٥] .

ويقول : « ويل يومئذ للمكذبين . انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب . انها ترمى بشرر كالقصر . كأنه جمالات صفر . ويل يومئـــذ للمكذبين . هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون . ويل يومئذ للمكذبين . هذا يوم الفصل ، جمعناكم والأولين . فان كان لكم كيد فكيدون . ويل يومئذ للمكذبين »[٣٦] .

ويقول تعالى : « ان جهنم كانت مرصادا . للطاغين مآبا . لابثين فيها أحقابا . لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا . الا حميما وغساقا . جزاء وفاقا . انهم كانوا لا يرجون حسابا . وكذبوا بآياتنا كذابا . وكل شيء أحصيناه كتابا . فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا »[٣٧] .

ويقول : « هل أتاك حديث الغاشية . وجوه يومئذ خاشـــعة . عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية . تسقى من عين آنية . ليس لهم طعام الا من ضريع . لا يسمن ولا يغنى من جوع »[٣٨] .

ويقول : « كلا اذا دكت الأرض دكا دكا . وجاء ربك والملك صفا صفا . وجيء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى . يقول يا ليتنى قدمت لحياتى . فيومئذ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد »[٣٩] .

ويقول جل شأنه : « ويل لكل همزة لمزة . الذى جمع مالا وعدده . يحسب أن ماله أخلده . كلا لينبذن فى الحطمة . وما أدراك ما الحطمة . نار الله الموقدة . التى تطلع على الأفئدة . انها عليهم مؤصدة . فى عمد ممـــددة »[٤٠] .

* * *

عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ـ قال : وأشاح ـ ثم قال : اتقوا النار ـ ثم أعرض وأشاح ثلاثا حتى ظننا أنه ينظر اليها ـ ثم قال : اتقوا النار ولو بشق تمرة .. فمن لم يجد فبكلمة طيبة »[٤١] .

---

(٣٥) الانسان : ٤

(٣٦) المرسلات : ٢٨ ـ ٤٠

(٣٧) النبأ : ٢١ ـ ٣٠

(٣٨) الغاشية : ١ ـ ٧

(٣٩) الفجر : ٢١ ـ ٢٦

(٤٠) سورة الهمزة .

(٤١) رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : « وأنذر عشيرتك الأقربين »[٤٢] .. دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا .. فعم وخص فقال : يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار .. يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار .. يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار .. يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار .. يا فاطمة أنقذى نفسك من النار .. فانى لا أملك لكم من الله شيئا »[٤٣] .

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انما مثلى ومثل أمتى كمثل رجل استوقد نارا .. فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها .. فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيها »[٤٤] .

وفى رواية لمسلم : « انما مثلى كمثل رجل استوقد نارا .. فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب يقعن فيها .. وجعل يحجزهن ويغلبنه .. فيتقحمن فيها .. قال : فذلكم مثلى ومثلكم .. وأنا آخذ بحجزكم عن النار .. هلم عن النار .. هلم عن النار .. فيغلبونى ويقتحمون فيها » ..

وروى عن كليب بن حزن رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أطلبوا الجنة جهدكم .. واهربوا من النار جهدكم .. فان الجنة لا ينام طالبها .. وان النار لا ينام هاربها .. وان الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره .. وان الدنيا محفوفة باللذات والشهوات فلا تلهينكم عن الآخرة »[٤٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتى بفرس يجعل كل خطو منه أقصى بصره .. فسار وسار معه جبريل عليه السلام .. فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم .. كلما حصدوا عاد كما كان .. فقال : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله .. تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه ..

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالحجارة .. كلما رضخت عادت

---

(٤٢) الشعراء : ٢١٤

(٤٣) رواه الشيخان والترمذى والنسائى .

(٤٤) رواه البخارى ومسلم . (٤٥) رواه الطبرانى .

كما كانت .. ولا يفتر عنهم من ذلك شيء .. قال : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة ..

ثم أتى على قوم على أدبارهم رقاع .. وعلى أقبالهم رقاع .. يسرحون كما تسرح الأنعام الى الضريع والزقوم ورضف جهنم . قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم .. وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ..

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة .. لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها .. فقال : يا جبريل .. ما هذا ؟ قال : هذا رجل من أمتك عليه أمانة الناس لا يستطيع أداءها وهو يريد أن يزيد عليها .

ثم أتى على قوم تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من حديد .. كلما قرضت عادت كما كانت .. لا يفتر عنهم من ذلك شيء .. قال : يا جبريل .. ما هؤلاء ؟ قال : خطباء الفتنة ..

ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم .. فيريد الثور أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع .. قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها .. فيريد أن يردها فلا يستطيع ..

ثم أتى على واد فوجد ريحا طيبة .. ووجد ريح مسك مع صوت .. فقال : ما هذا ؟ قال : صوت الجنة تقول : يا رب ائتنى بأهلى وبما وعدتنى .. فقد كثر غرسى وحريرى وسندسى واستبرقى .. وعبقريى ومرجانى وفضتى وذهبى وأكوابى وصحافى وأباريقى .. وفواكهى وعسلى ومائى ولبنى وخمرى .. ائتنى بما وعدتنى . قال : لك كل مسلم ومسلمة .. ومؤمن ومؤمنة .. ومن آمن بى وبرسلى .. وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئا .. ولم يتخذ من دونى أندادا .. فهو آمن .

ومن سألنى أعطيته .. ومن أقرضنى جزيته .. ومن توكل على كفيته .. انى أنا الله لا اله الا أنا .. لا خلف لميعادى .. قد أفلح المؤمنون .. تبارك الله أحسن الخالقين .. فقالت : قد رضيت ..

ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا .. فقال : يا جبريل .. ما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول : يا رب ائتنى بأهلى وبما وعدتنى .. فقد كثرت سلاسلى وأغلالى وسعيرى .. وحميمى وغساقى وغسلينى .. وقد بعد قعرى واشتد حرى .. ائتنى بما وعدتنى ..

قال : لك كل مشرك ومشركة •• وخبيث وخبيثة •• وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب •• قالت : قد رضيت » — فذكر الحديث فى قصة الاسراء وفرض الصلاة وغير ذلك[٤٦] •

وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والذى نفسى بيده •• لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا •• قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال : رأيت الجنة والنار »[٤٧] •

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فى حين غير حينه الذى كان يأتيه فيه •• فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جبريل •• مالى أراك متغير اللون ؟ فقال : ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بمنافخ النار •• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جبريل •• صف لى النار وانعت لى جهنم •

فقال جبريل : ان الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت •• ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت •• ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت •• فهى سوداء مظلمة لا يضىء شررها ولا يطفأ لهبها ••

والذى بعثك بالحق لو أن قدر نقب ابرة فتح من جهنم لمات من فى الأرض كلهم جميعا من حره ••

والذى بعثك بالحق لو أن خازنا من خزنة جهنم برز الى أهل الدنيا لمات من فى الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه ••

والذى بعثك بالحق لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التى نعت الله فى كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت وما تقارت حتى ينتهى الى الأرض السفلى ••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبى يا جبريل لا ينصدع قلبى فأموت !

قال : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو يبكى •• فقال : تبكى يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذى أنت به ؟

فقال : ومالى لا أبكى ؟ •• أنا أحق بالبكاء لعلى أكون فى علم الله على غير الحال التى أنا عليها •• وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى

---

(٤٦) رواه البزار •

(٤٧) رواه مسلم وابو يعلى •

به ابليس •• فقد كان من الملائكة(*) •• وما أدرى لعلى أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت •

قال : فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل عليه السلام •• فما زالا يبكيان حتى نوديا : أن يا جبريل ويا محمد •• ان الله عز وجل قد أمنكما أن تعصياه ••

فارتفع جبريل عليه السلام وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون •• فقال : أتضحكون ووراءكم جهنم ؟ •• فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليــلا ولبكيتم كثيرا •• ولمــا أسغتم الطعام والشراب •• ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله »[٤٨] •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل : « مالى لا أرى ميكائيل ضاحكا قط ؟ قال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار »[٤٩] •

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم •• ولولا أنها أطفئت بالمــاء مرتين ما استمتعتم بها •• وانها لتدعو الله أن لا يعيدها فيها »[٥٠] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم • قالوا : والله ان كانت لكافية • قال : انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها »[٥١] •

وزاد فى رواية : « ••• وضربت بالبحر مرتين •• ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » •

وفى رواية للبيهقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تحسبون أن نار جهنم مثل ناركم هذه ؟ •• هى أشد سوادا من القار •• هى جزء من بضعة وستين جزءا منها — أو نيف وأربعين شك أبو سهيل — •

(*) روى الضحاك عن ابن عباس قال : « كان ابليس فى حى من احياء الملائكة يقال لهم الجن ، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة » — راجع تفسير ابن كثير لسورة البقرة .

(٤٨) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤٩) رواه أحمد .

(٥٠) رواه ابن ماجه والحاكم .

(٥١) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو كان فى هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون .. وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه »[٥٢] .

ورواه البزار بلفظ : « لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن غربا من جهنم جعل فى وسط الأرض لأذى نتن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب .. ولو أن شررة من شرر جهنم بالمشرق لوجد حرها من بالمغرب »[٥٣] .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : **« اذا رأتهم من مكان بعيد »**[٥٤] من مسيرة مائة عام .. وذلك اذا أتى بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك .. لو تركت لأتت على كل بر وفاجر : **« سمعوا لها تغيظا وزفيرا »**[٥٤] : تزفر زفرة ولا تبقى قطرة من دمع الا ندرت .. ثم تزفر الثانية فتقطع القلوب من أماكنها .. تقطع اللهوات والحناجر وهى قوله : **« وبلغت القلوب الحنـــاجر »**[٥٥] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : **« وقودها الناس والحجارة »**[٥٦] فقال : « أوقد عليها ألف عام حتى احمرت .. وألف عام حتى ابيضت .. وألف عام حتى اسودت .. فهى سوداء مظلمة لا يضىء لهبها »[٥٧] .

وفى رواية : « لا يطفأ لهبها » .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعــره »[٥٨] .

---

(٥٢) رواه ابو يعلى .

(٥٣) رواه الطبرانى .

(٥٤) الفرقان : ١٢

(٥٥) رواه آدم بن أبى اياس فى تفســيره ـــ والآية من ســورة الاحزاب : ١٠

(٥٦) البقرة : ٢٤ ، التحريم : ٦

(٥٧) رواه البيهقى والاصبهانى

(٥٨) رواه أحمد والترمذى .

وفى رواية الترمذى قال : « واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعره » .

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى : « **سأرهقه صعودا** »(٥٩) قال : « جبل من نار يكلف أن يصعده .. فاذا وضع يده عليه ذابت .. فاذا رفعها عادت .. واذا وضع رجله عليه ذابت .. فاذا رفعها عادت .. يصعد سبعين خريفا ثم يهوى كذلك »(٦٠) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى : « **فسوف يلقون غيا** »(٦١) قال : « واد فى جهنم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات »(٦٢) .

وعن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعوذوا بالله من جب الحزن — أو وادى الحزن — قيل : يا رسول الله .. وما جب الحزن — أو وادى الحزن — ؟ قال : واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة .. أعده الله للقراء المرائين »(٦٣) .

وعن شفى بن ماتع قال : « ان فى جهنم قصرا يقال له « هوى » يرمى الكافر من أعلاه أربعين خريفا قبل أن يبلغ أصله .. قال الله تعالى : « **ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى** »(٦٤) .. وان فى جهنم واديا يدعى « أثاما » فيه حيات وعقارب .. فقار احداهن مقدار سبعين قلة سم .. والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة تلدغ الرجل .. ولا يلهيه ما يجد من حر جهنم عن حموة لدغتها فهو لمن خلق له .. وان فى جهنم واديا يدعى « غيا » يسيل قيحا ودما .. وان فى جهنم سبعين داءا كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم »(٦٥) .

وعن عطاء بن يسار رضى الله عنه قال : « ان فى النار سبعين ألف واد .. فى كل واد سبعين ألف شعب .. فى كل شعب سبعين ألف جحر .. وفى كل جحر حية تأكل وجوه أهل النار »(٦٦) .

(٥٩) المدثر : ١٧

---

(٦٠) رواه أحمد والحاكم والترمذى .
(٦١) مريم : ٥٩ (٦٢) رواه الطبرانى والبيهقى .
(٦٣) رواه البيهقى . (٦٤) طه : ٨١
(٦٥) رواه ابن ابى الدنيا موقوفا .
(٦٦) رواه البخارى وابن أبى الدنيا .

وفى رواية عن نفير بن مجيب قال : « ان فى جهنم سبعين ألف واد .. فى كل واد سبعون ألف شعب .. فى كل شعب سبعون ألف دار .. فى كل دار سبعون ألف بيت .. فى كل بيت سبعون ألف بئر .. فى كل بئر سبعون ألف ثعبان .. فى شـدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب .. لا ينتهى الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله »[٦٧] .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن صخرة وزنت عشر خلفيات قذف بها من شفير جهنم .. ما بلغت قعرها سبعين خريفا حتى ينتهى الى غى .. وأثام .. قيل : وما غى وأثام ؟ قال : بئران فى جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار .. وهما اللتان ذكرهما الله فى كتابه : « أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا »[٦٨] وقـوله : « ومن يفعل ذلك يلق أثاما »[٦٩] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لسرادق النار أربعة جدر .. كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة »[٧٠] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن رصاصة مثل هذه ــ وأشار مثل الجمجمة ــ أرسلت من السماء الى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل .. ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها »[٧١] .

وعن يعلى بن منية رفع الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ينشىء الله سحابة سوداء مظلمة .. فيقال : يا أهل النار أى شىء تطلبون ؟ .. فيذكرون بها سحابة الدنيا فيقولون : يا ربنا .. الشراب .. فتمطرهم أغلالا تزيد فى أغلالهم .. وسلاسل تزيد فى سلاسلهم .. وجمرا تلتهب عليهم »[٧٢] .

---

(٦٧) رواه ابن أبى حاتم .　　(٦٨) مريم : ٥٩
(٦٩) رواه الطبرانى والبيهقى ــ والآية من سورة الفرقان : ٦٨
(٧٠) رواه الترمذى والحاكم .
(٧١) رواه أحمد والترمذى والبيهقى .
(٧٢) رواه الطبرانى .

وعن محمد بن هاشم رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : « **نارا وقودها الناس والحجارة** »[٧٣] قرأها النبى صلى الله عليه وسلم فسمعها شاب الى جنبه فصعق .. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فى حجره رحمة له .. فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم فتح عينيه فقال : بأبى أنت وأمى .. مثل أى شىء الحجر ؟ قال : أما يكفيك ما أصابك ؟ على أن الحجر الواحد منها لو وضع على جبال الدنيا كلها لذابت منه .. وان مع كل انسان منهم حجرا وشيطانا »[٧٤] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى : « **وقودها الناس والحجارة** » قال : « هى حجارة من كبريت .. خلقها الله يوم خلق السموات والأرض فى السماء الدنيا يعدها للكافرين »[٧٥] .

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى النار حيات كأمثال أعناق البخت .. تلسع احداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفا .. وان فى النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تسلع احداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين سنة »[٧٦] .

وعن يزيد بن شجرة قال : « ان لجهنم لجبابا .. فى كل جب ساحلا كساحل البحر .. فيه هوام وحيات كالبخاتى وعقارب كالبغال الذل .. فاذا سأل أهل النار التخفيف قيل : اخرجوا الى الساحل .. فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك .. فتكشطها فيرجعون فيبادرون الى معظم النيران .. ويسلط عليهم الجرب حتى ان أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم .. فيقال : يا فلان .. هل يؤذيك هـذا ؟ فيقول : نعم . فيقال له : ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين »[٧٧] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه .. فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه — وهو الصهر — ثم يعاد كما كان »[٧٨] .

---

(٧٣) التحريم : ٦ — (٧٤) رواه ابن ابى الدنيا .
(٧٥) رواه الحاكم موقوفا .
(٧٦) رواه أحمد والطبرانى وابن حبان .
(٧٧) رواه ابن أبى الدنيا . — (٧٨) رواه الترمذى والبيهقى .

وفى رواية البيهقى : « ... فيخلص فينفذ الجمجمة حتى يخلص الى جوفه » ..

والحميم : هو المذكور فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : **« وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم »**[٧٩] .

وعن ابى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : **« ويسقى من ماء صديد . يتجرعه »**[٨٠] قال : يقرب الى فيه فيكرهه .. فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه .. فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره .. قال الله عز وجل : **« وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم »**[٨١] .. ويقـول : **« وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب »**[٨٢] .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا »[٨٣] .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمـر ، وقاطع الرحم ، ومصدق بالسحر .. ومن مات مدمن الخمر سقاه الله جل وعلا من نهر الغوطة .. قيل : وما نهر الغوطة ؟ قال : نهر يجرى من فروج المومسات .. يؤذى أهل النار ريح فروجهم »[٨٤] .

وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أنها سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة .. فان مات مات كافرا .. فان عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال . قيل : يا رسول الله .. وما طينة الخبال ؟ قال : صديد أهل النار »[٨٥] .

وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران .. وبعث من قبره

---

(٧٩) محمد : ١٥ (٨٠) ابراهيم : ١٦ ، ١٧

(٨١) محمد : ١٥

(٨٢) رواه احمد والترمذى ـــ والآية من سورة الكهف : ٢٩

(٨٣) رواه الترمذى .

(٨٤) رواه احمد وابن حبان والحاكم .

(٨٥) رواه احمد وابن حبان .

سكران •• وأمر به الى النار سكران •• فيه عين يجرى منها القيح والدم •• هو طعامهم وشرابهم ما دامت السموات والأرض » •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية : **« اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون »**[86] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم •• فكيف بمن يكون طعامه »[87] •

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يلقى على أهل النار الجوع •• فيعدل ما هم فيه من العذاب •• فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع •• لا يسمن ولا يغنى من جوع •• فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة •• فيذكرون أنهم يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب •• فيستغيثون بالشراب فيدفع اليهم بكلاليب الحديد •• فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم •• فاذا دخلت بطونهم قطعت ما فى بطونهم ••

فيقولون : ادعوا خزنة جهنم •• فيقولون : **« أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ، قالوا بلى ، قالوا فادعوا ، وما دعاء الكافرين الا فى ضلال »**[88] •

قال : فيقولون : ادعوا مالكا فيقولون : **« يا مالك ليقض علينا ربك »**[89] قال : فيجيبهم : **« انكم ماكثون »**[89] •

قال الأعمش : نبئت أن بين دعائهم وبين اجابة مالك اياهم ألف عام •• قال فيقولون : ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم •• فيقولون : **« ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين • ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون »**[90] قال : فيجيبهم : **« اخسأوا فيها ولا تكلمون »**[91]

قال : فعند ذلك يئسوا من كل خير •• وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل »[92] •

---

(٨٦) آل عمران : ١٠٢

(٨٧) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان .

(٨٨) غافر : ٥٠ — (٨٩) الزخرف : ٧٧

(٩٠) المؤمنون : ١٠٦ ، ١٠٧ — (٩١) المؤمنون : ١٠٨

(٩٢) رواه الترمذى والبيهقى .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : « لو أن رجلا من أهل النار أخرج الى الدنيا لمات أهل الدنيا من وحشة منظره .. ونتن ريحه .. قال : ثم بكى عبد الله بكاء شديدا »(٩٣) .

وعن أبى العجلان قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة يتوطؤه الناس »(٩٤) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « أتدرى ما سعة جهنم ؟ قال مجاهد : قلت : لا .. قال : أجل والله .. والله ما تدرى ان بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا .. تجرى فيه أودية القيح والدم . قلت : أنهارا ؟ قال : لا .. بل أودية »(٩٥) .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « وهم فيها كالحون »(٩٦) قال : تشويه النار .. فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه .. وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته »(٩٧) .

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهون أهل النار عذابا رجل منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه مع أجزاء العذاب .. ومنهم من فى النار الى كعبيه مع أجزاء العذاب .. ومنهم من فى النار الى ركبتيه مع أجزاء العذاب .. ومنهم من قد اغتمر »(٩٨) .

وعند مسلم : « ان أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حر نعليه » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أهون أهل النار عذابا أبو طالب .. وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه »(٩٩) .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « منهم من تأخذه النار الى كعبيه .. ومنهم من تأخذه النار الى

---

(٩٣) رواه ابن أبى الدنيا موقوفا .
(٩٤) رواه البيهقى والترمذى .
(٩٥) رواه أحمد والحاكم .
(٩٦) المؤمنون : ١٠٤
(٩٧) رواه أحمد والترمذى والحاكم .
(٩٨) رواه أحمد والبزار .
(٩٩) رواه مسلم .

ركبتيه •• ومنهم من تأخذه النار الى حجزته •• ومنهم من تأخذه النار الى عنقه •• ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته »[100] .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « **فيؤخذ بالنواصى والأقدام** »[101] قال : يجمع بين رأسه ورجليه ثم يقصف كما يقصف الحطب »[102] .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية : « **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب** »[103] قال : « يا كعب •• أخبرنى عن تفسيرها فان صدقت صدقتك •• وان كذبت رددت عليك •• فقال : ان جلد ابن آدم يحرق ويجدد فى ساعة أو فى يوم مقدار ستة آلاف مرة •• قال : صدقت »[104] .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ فى النار صبغة •• ثم يقال له : يا ابن آدم •• هل رأيت خيرا قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ••

ويؤتى بأشد الناس بؤسا فى الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة فى الجنة •• فيقال له : يا ابن آدم •• هل رأيت بؤسا قط ؟ هل مر بك من شدة قط ؟ •• فيقول : لا والله يا رب •• ما مر بى بؤس قط ولا رأيت شدة قط »[105] .

وعن سويد بن غفلة رضى الله عنه قال : اذا أراد الله أن ينسى(*) أهل النار جعل للرجل منهم صندوقا على قدره من نار •• لا ينبض منه عرق الا فيه مسمار من نار •• ثم تضرم فيه النار •• ثم يقفل بقفل من نار •• ثم يجعل ذلك الصندوق فى صندوق من نار ثم يضرم بينهما نارا •• ثم يقفل بقفل من نار •• ثم يجعل ذلك الصندوق فى صندوق من نار ثم يضرم بينهما نار ثم يقفل •• ثم يلقى — أو يطرح فى النار •• فذلك قوله : « **لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخوف الله به عباده ، يا عباد فاتقون** »[106] •• وذلك قوله :

---

(١٠٠) رواه مسلم . (١٠١) الرحمن : ٤١
(١٠٢) رواه البيهقى موقوفا . (١٠٣) النساء : ٥٦
(١٠٤) رواه البيهقى . (١٠٥) رواه مسلم .
(*) بضم الياء وتسكين النون وفتح السين والياء .
(١٠٦) الزمر : ١٦

« لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون »[107] .. قال : فما يرى أن فى النار أحدا غيره »[108] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : ان أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما .. ثم يقول : « انكم ماكثون » .. ثم يدعون ربهم فيقولون : « ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » فلا يجيبهم مثل عمر الدنيا .. ثم يقول : « اخسـأوا فيها ولا تكلمون » ثم ييأس القوم فما هو الا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير .. أولها شهيق وآخرها زفير »[109] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع .. ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود .. لو أرسلت فيه السفن لجرت »[110] .

وفى رواية قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا أيها الناس .. ابكوا فان لم تبكو فتباكوا .. فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم فى خدودهم كأنها جداول .. حتى تنقطع الدموع فيسيل ـ يعنى الدم ـ فيقرح العيون » .

ورواه الحاكم مختصرا عن عبد الله بن قيس مرفوعا قال : « ان أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن فى دموعهم لجرت .. وانهم ليبكون الدم مكان الدمع » .. وقال : صحيح الاسناد .

* * *

وبعد .. فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط .. فيقال : يا أهل الجنة .. فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ..

ثم يقال : يا أهل النار .. فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه .. فيقال : هل تعرفون هذا ؟ .. قالوا : نعم .. هذا الموت ..

---

(١٠٧) الأنبياء : ١٠٠ (١٠٨) رواه البيهقى موقوفا .

(١٠٩) رواه الطبرانى والحاكم موقوفا .

(١١٠) رواه ابن ماجه وأبو يعلى .

قال : فيؤمر به فيذبح على الصراط .. ثم يقال للفريقين كلاهما : خلود فيما يجدون ، لا موت فيها أبدا »(١١١) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح .. فيوقف بين الجنة والنار .. ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة .. فيقولون : لبيك ربنا .. قال فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ربنا .. هذا الموت ..

ثم ينادى مناد : يا أهل النار .. فيقولون : لبيك ربنا .. قال فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ربنا .. هذا الموت ..

فيذبح كما تذبح الشاة .. فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء »(١١٢)

* * *

* موعظة للحارث المحاسبى :

ويقول أبو عبيد الله الحارث بن أسد المحاسبى البصرى فى كتابه « التوهم » :

« فتوهم ممرك على الجسر بشدة الخوف وضعف البدن .. وأن يكون مغضوبا عليك غير معفى عنك .. ولم تشعر الا وقد زلت قدمك عن الصراط .. فتوهم نفسك ان لم يعف عنك أن زلت رجلك عن الصراط .. فقلت فى نفسك مع ذلك : ذهبت أبدا .. هذا الذى كنت أحاذر وأخاف ..

وطار عقلك .. ثم زلت الأخرى فتنكست هامتك .. وارتفعت عن الصراط رجلاك .. فلم تشعر الا والكلوب قد دخل فى جلدك ولحمك .. فجذبت به وبادرت اليك النار ثائرة غضبانة لغضب مولاها ..

فهى تجذبك وأنت تهوى من الجسر وتنـادى حين وجدت مس لفحها : ويلى .. ويلى !!

وقد غلب على قلبك الندم والتأسف .. ألا كنت أرضيت الله عز وجل فرضى عنك وأقلعت عما يكره قبل أن تموت فغفر لك ؟؟

حتى اذا وجدت فى جوفها .. التحمت عليك بحريقها .. وقلبك قد بلغ غاية حرقته ومضيضه .. فتورمت فى أول ما ألقيت فيها .. ونادى الله عز وجل النـار وأنت مكبوب على وجهك تنادى بالويل

---

(١١١) رواه ابن ماجه .

(١١٢) رواه أبو يعلى والطبرانى والبزار .

والثبور •• فناداها : « هل امتلأت » ؟ فسمعت نداءه وسمعته اجابتهــا له : « هل من مزيد » ؟

يقول : هل من سعه وأنت فى قعرها •• وهى تتلهب فى بدنك •• لها قصيف فى جسدك •• ثم لم تلبث أن تقطر بدنك وتساقط لحمك •• وبقيت عظامك •• ثم أطلقت النار على ما فى جوفك فأكلت ما فيه •• فتوهم كبدك والنار تداخل فيها •• وأنت تنادى فلا ترحم •• وتبكى وتعطى الندم •• ان رددت : ألا تعود فلا تقبل توبتك ولا يجاب نداؤك ••

فتوهم نفسك وقد طال فيها مكثك وألح العذاب •• فبلغت غاية الكرب •• واشتد بك العطش فذكرت الشراب فى الدنيا •• ففزعت الى الجحيم •• فتناولت الاناء من يد الخازن الموكل بعذابك •• فلما أخذته نشت كفك من تحته •• وتفسخت لحرارته ••وهيج حريقه ••

ثم قربته الى فيك فشوى وجهك •• ثم تجرعته فسلخ حلقك •• ثم وصل الى جوفك فقطع أمعــاءك •• فناديت بالويل والثبور •• وذكرت شراب الدنيا وبرده ولذته •• ثم أقلعت الحريق •• فبادرت الى حياض الحميم لتبرد بها •• كما تعودت فى الدنيا الاغتسال والانغماس فى المــاء •• اذا اشتد عليك الحر ••

فلما اغتمست فى الحميم تسلخ من قرنك الى قدمك •• فبادرت الى النار رجاء أن تكون هى أهون عليك •• ثم اشتد عليك حريق النار •• فرجعت الى الحميم وأنت تطوف بينها وبين حميم آن •• وهو الذى قد انتهى حره •• وتطلب الروح فلا روح بين الحميم وبين النار •• تطلب الروح فلا روح أبدا ••

فلما اشتد بك الكرب والعطش •• وبلغ منك المجهود ذكرت الجنان ••فهاجت غصة من فؤادك الى حلقك أسفا على جوار الله عز وجل •• وحزنا على نعيم الجنة ••

ثم ذكرت شرابها وبرد مائها وطيب عيشها •• فتقطع قلبك حسرة لحرمان ذلك •• ثم ذكرت أن فيها بعض القرابة من أب أو أم أو أخ •• وغيرهم من القرابة فناديتهم بصوت محزون من قلب محترق قلق : يا أماه أو يا أبتاه أو يا أخاه أو يا خالاه أو يا عماه أو يا أختاه •• شربة من ماء •• فأجابوك بالخيبة فتقطع قلبك حسرة بما خيبوا من أملك •• وبما رأيت من غضبهم عليك لغضب ربك عز وجل ••

ففزعت الى الله بالنداء •• بالمرجع والعتبى أن يردك الى الدنيا ••
فمكث عنك دهرا طويلا لا يجيبك هوانا بك •• وان صوتك عنده ممقوت
•• وجاهك عنده ساقط •• ثم ناداك بالخيبة منه أن : « اخسأوا فيها
ولا تكلمون » •

فلما سمعت نداءه بجلال كلامه بالتخسية لك ابتداء •• فمثلك
لا تجاب •• ومناخرك وفيك ملجومة بلجـام •• فبقى نفسك مترددا
فى جوفك لا مخرج له •• فضاقت نفسك فى صدرك وبقيت قلقا ترفع ••
لا تطيق الكلام ولا يخرج منك نفس •• ثم أراد أن يزيدك اياسا وحسرة
•• فأطبق أبواب النار عليك وعلى أعدائه فيها ••

فما ظنك ان لم يعف عنك •• وقد سمعت رجوف بابها قد أغلق
•• فيا اياسك ويا اياس سكان جهنم حين سمعوا وقع أبوابها تطبق
عليهم •• فعلموا عند ذلك أن الله عز وجل انما أطبقها لئلا يخرج منها
أحد أبدا •• فتقطعت قلوبهم اياسا •• وانقطع الرجاء منهم ألا فرج
أبدا ولا مخرج منها ولا محيص لهم من عذاب الله عز وجل أبدا ••
خلود فلا موت •• وعذاب لا زوال له عن أبدانهم •• ودوام حرق
قلوبهم ومضيضها •• فلا روح ولا راحة تعلق بهم أبدا ••

أحزان لا تنقضى •• وغموم لا تنفد •• وسقم لا يبرأ •• وقيود
لا تحل •• وأغلال لا تفك أبدا •• وعطش لا يروون بعده أبدا ••
وكرب لا يهدأ أبدا •• وجوع لا يشبعون بعده أبدا •• الا بالزقوم
ينشب فى حلوقهم ••

فيستغيثون بالشراب ليسوغوا به غصصهم فيقطع أمعاءهم ••
وحسرة فوت رضوان الله عز وجل فى قلوبهم •• وكمد حرمان جوار الله
عز وجل يتردد فى صدورهم •• لا يرحم بكاؤهم •• ولا يجاب دعاؤهم
•• ولا يغاثون عند تضرعهم •• ولا تقبل توبتهم •• ولا تقال عثرتهم •

غضب الله عز وجل عليهم فلا يرضى عنهم أبدا •• اذ أبغضهم
ومقتهم •• وسقطوا من عينه •• وهانوا عليه فأعرض عنهم ••

فلو رأيتهم وقد عطشوا وجاعوا •• فنادوا من أهل الجنة الأقرباء
•• فقالوا جميعا : يا أهل الجنة •• يا معشر الآباء والأمهات والاخوة
والأخوات •• خرجنا من قبورنا عطاشا •• وأوقفنا بين يدى الله عز وجل
عطاشا •• وأمر بنا ربنا الى النار عطاشا •• أفيضوا علينا من الماء
أو مما رزقكم الله ••

فأجابوهم بالتخسية •• فتراجع فى قلوبهم الحسرة والندامة •• فهم فيها يتقلقون •• لا ينفح وجوههم روح أبدا •• ولا يذوقون منها باردا أبدا •• ولا يطبقون جفونهم على غمض نوم أبدا •• فهم فى عذاب دائم وهوان لا ينقطع •• فمثل نفسك بهذا الوصف ان لم يعف عنك ••

فلو رأيت المعذبين فى خلقهم •• وقد أكلت النار لحومهم •• ومحت محاسن وجوههم •• واندرس تخطيطهم •• فبقيت العظام مواصلة محترقة مسودة •• وقد قلقوا واضطربوا فى قيودهم وأغلالهم •• وهم ينادون بالويل والثبور •• ويصرخون بالبكاء والعويل •• اذن لذاب قلبك فزعا من سوء خلقهم •• وتضعفت من رائحة نتنهم •• ولما بقى روحك فى بدنك من شدة وهج أبدانهم وحرارة أنفاسهم ••

فكيف بك اذا نظرت الى نفسك فيها وأنت أحدهم •• وقد زال من قلبك الأمل والرجاء •• ولزمه القنوط والاياس •• وعطفت على بدنك فتقحمت على الحدقتين فسمعت تفضيضهما انتقاما •• وبدلا من نظرك الى مالا يحب ولا يرضى •• ودخلت النار فى مسامعك فتسمع لها فيه قصيفا وجلبة •• والتحفت عليك فنفضت منك العظام •• ودوبت اللحام •• واطلعت الى الجوف فأكلت الكبد والأحشاء •• فغلب على قلبك الحسرات والندامة والتأسف ••

فتوهم ذلك بعقل فارغ •• وقد هاجت منه رحمة لضعفك •• وارجع عما يكره مولاك وترضى •• عسى أن يرضى عنك •• وأعذ به بعقلك واستقله يقلك عثراتك •• وابك من خشيته عسى أن يرحمك ويقيل عثراتك ••

فان الخطر عظيم •• وان البدن ضعيف •• والموت منك قريب •• والله جل جلاله مع ذلك مطلع يراك •• وناظر لا يخفى عليه منك سر ولا علانية ••

فاحذر نظره بالمقت والبغضة والغضب والقلاء •• وأنت لا تشعر فرحا أو قرير العين •• فاحذر الله عز وجل وخفه •• واستحى منه وأجله •• ولا تستخف بنظره ولا تتهاون باطلاعه •• وأجل مقامه عليك وعلمه بك •• وافرقه واخشه قبل أن يأخذك بغتة ••

وليرِ أثر مصيبة مخالفتك نه ليعلم ما قد بلغ منك خلافه ..
فيعظم حزنك ويشتد غمك بمخالفته .. وليعلم أنه قد بلغ اليك خلافه ..
فان علم ذلك منك صفح عنك وعفى عنك ..

فلا تتعرض لله عز وجل فانه لا طاقة لك بغضبه .. ولا قوة لعذابه .. ولا صبر لك على عقابه .. ولا صبر عندك عن جواره فتدارك نفسك قبل لقائه .. فكأنك بالموت قد نزل بك بغتة .. الموت فكأن قد نزل »(١١٣) .

* * *

« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »(١١٤) .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، انك أنت الوهاب . ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، ان الله لا يخلف الميعاد »(١١٥) .

« ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار »(١١٦) .

« ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين »(١١٧)

« ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين »(١١٨) .

« ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ، وما للظالمين من أنصار . ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد »(١١٩) .

« صدق الله العظيم »

* * *

---

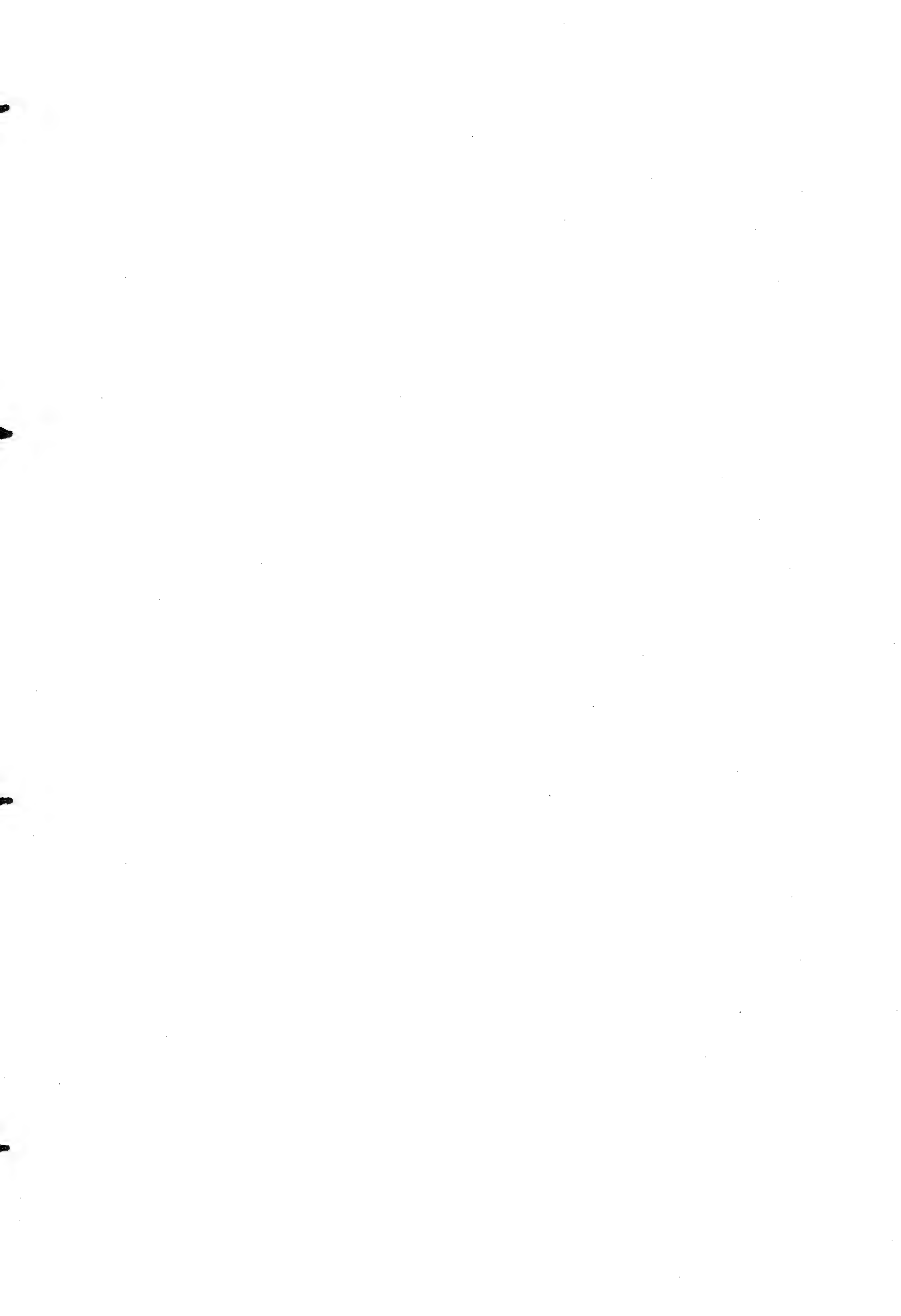
(١١٣) كتاب « التوهم » للحارث المحاسبى ، ص ٢٦ — ٢٩ ، طبع دار التراث العربى — سنة ١٩٨٠ م .

(١١٤) البقرة : ٢٨٦ (١١٥) آل عمران : ٨ ، ٩

(١١٦) آل عمران : ١٦ (١١٧) آل عمران : ٥٣

(١١٨) آل عمران : ١٤٧

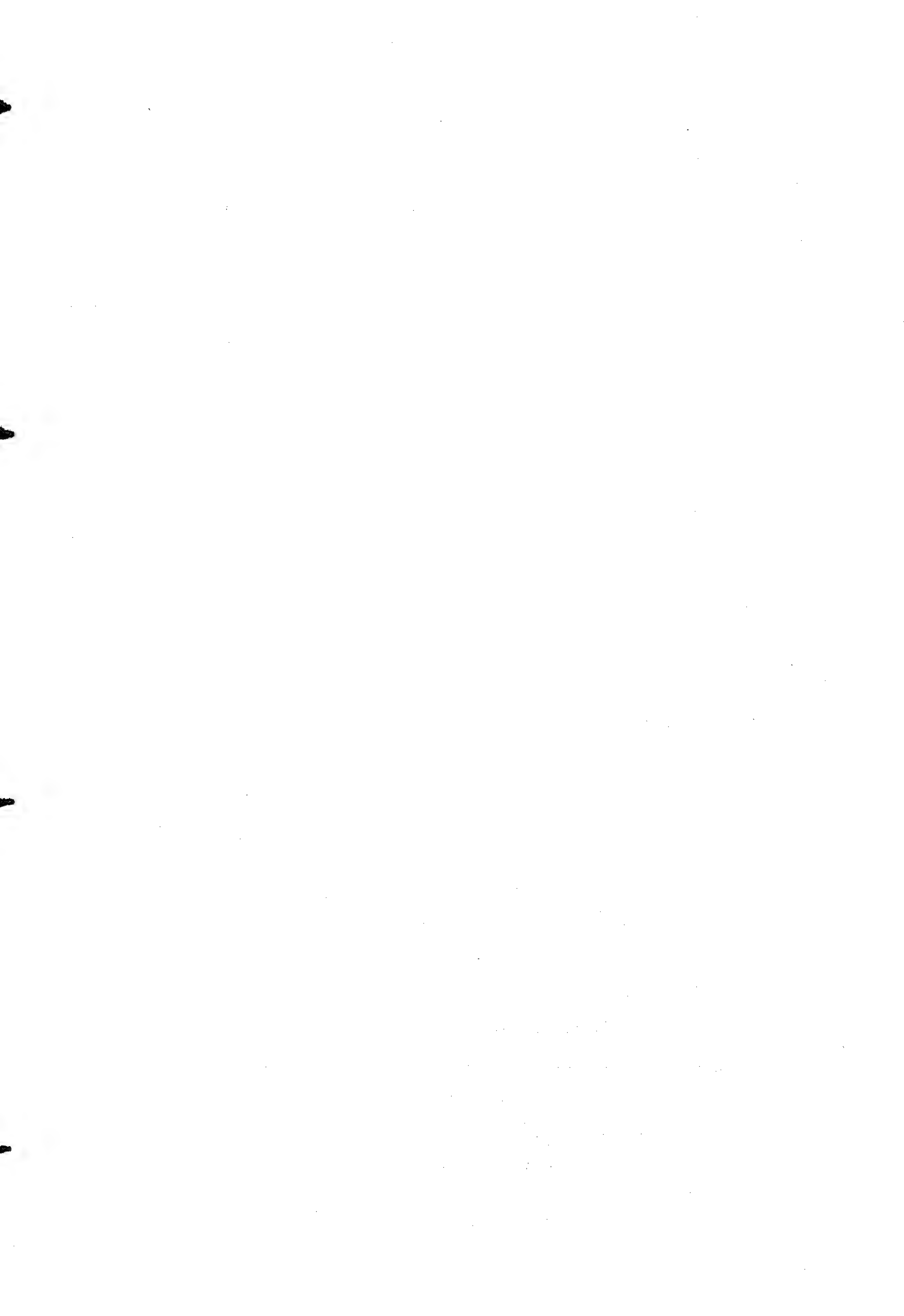
(١١٩) آل عمران : ١٩١ — ١٩٤



الفصل الخامس

عَالمُ الغيبِ وَالشهَادة

* ميزان عدل ..
* غيب السموات والأرض ..
* من أسماء الله وصفاته ..
  - العليم ..
  - السميع البصير ..
  - اللطيف الخبير ..
  - القادر المقتدر ..
* لا يعلم الغيب الا الله تعالى ..
  - الملائكة لا يعلمون الغيب .
  - الأنبياء لا يعلمون الغيب .
  - الجن لا يعلمون الغيب .
* مزاعم وأباطيل ..
  - علم الظاهر .. وعلم الباطن !!
  - أهل الشريعة وأهل الحقيقة ..
  - مسالة الخضر .
  - هل كان نبيا .. أم وليا ؟
* ما هو التصوف الاسلامى ؟
  - تعريف التصوف .. أصله ونشأته .
  - الوجه الآخر للعملة ..
* السحر .. والكهانة !!



*** ميزان عدل :**

يقول الله تعالى على لسان لقمان الحكيم :

« يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير »[1] .

روى أن ناثان بن لقمان الجكيم .. سأل أباه : عن الحبة تقع فى سفل البحر .. أيعلمها الله ؟

فراجعه لقمان بهذه الآية ..

وقيل انه قال لأبيه : يا أبت .. ان عملت الخطيئة حيث لا يرانى أحد .. كيف يعلمها الله ؟

فقال له لقمان : **« يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة .. »** فما زال ابنه يضطرب حتى مات .. قاله مقاتل ..

والمعنى على الرواية الأولى : أنه لو كان للانسان رزق مثل حبة خردل فى هذه المواضع .. جاء الله بها حتى يسوقها الى من هى رزقه .. أى لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض ، وعن اتباع سبيل من أناب الى الله .

ومن هذا المعنى قول الرسـول صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : « لا تكثر همك .. ما يقدر يكن وما ترزق يأتك » .

وعلى القول الثانى : ان المظلمة أو الخطيئة ولو كانت مثقال حبة من خردل .. محصنة محجبة .. فى داخل صخرة صماء .. أو غائبة ذاهبة فى أرجاء السموات والأرض .. يأتى بها الله يوم القيامة .. يوم لا تظلم نفس شيئا .. لأنه تعالى لا تخفى عليه خافية .. ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض .

---

(١) لقمان : ١٦

ولهذا قال : « **ان الله لطيف خبير** » •• أى لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت •• خبير بدبيب النمل فى الليل البهيم ••

والمراد •• أن هذه الحبة فى حقارتها •• لو كانت داخل صخرة ، فان الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه[2] .

* * *

يقول الله تعالى : « **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين** »[3] .

ويقول تعالى : « **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون • ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون** »[4] .

ويقول جل شأنه : « **ان الله لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما** »[5] .

ويقول : « **وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين** »[6] .

ويقول جل وعلا : « **ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** »[7] .

ويقول تعالى : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** »[8] .

لا مفر من الموت الذى يهرب الناس منه •• فانه ملاقيهم مهما طالت أعمارهم •• ثم يردون الى عالم السر والعلانية •• الله الخبير المتعال •• واليه وحده مصيرهم بعد هذه الحياة الدنيا •• فيخبرهم تعالى بما كانوا يعملون •• ويجازيهم بما يستحقون •• فهو وحده عالم السر والعلانية •• ولا يغيب عن علمه تعالى شىء فى وزن الذرة •• فى الأرض ولا فى السماء •• ولا أصغر من ذلك ولا أكبر منه ••

---

(٢) الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبى ، وتفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير .

(٣) الأنبياء : ٤٧

(٤) الأعراف : ٨ ، ٩

(٥) النساء : ٤٠

(٦) يونس : ٦١

(٧) التوبة : ٩٤ ؛ الجمعة : ٨

(٨) الزلزلة : ٧ ، ٨

والله تعالى يحاسب عباده على الخير والشر •• مهما صغر أو ضؤل •• ومهما كان الخير قليلا فانه يوشك أن يكثر •• ومهما كان الذنب يسيرا فانه يوشك أن يكثر •• وهو تعالى يسجل الكبير والصغير عنده فى كتاب بين واضح ••

ويخبرنا تعالى بأنه سيضع الموازين العادلة يوم القيامة[9] •• فلا تظلم نفس بنقص شىء من حسناتها •• أو زيادة شىء من سيئاتها •• حتى ولو كانت مثل الحبة الصغيرة •• فان الله تعالى سيأتى بها ويحاسب عليها ••

وكفى أن يكون الله تعالى هو المحاسب حتى لا تظلم نفس شيئا •• لأنه تعالى بعدله لا ينقص من أجر العامل ولا يزيد فى عذابه شيئا •• وان كان بكرمه يضاعف للمحسن ثواب حسناته مهما قلت •• ويعطى من فضله العطاء الكبير غير المقابل بالحسنات التى يضاعفها لمن يشاء ••

فى ذلك اليوم العظيم •• حين يسألنا الله ويخبرنا بأعمالنا •• سيكون تقدير الأعمال للجزاء عليها تقديرا عادلا •• فالذين كثرت حسناتهم ورجحت على سيئاتهم هم الفائزون الذين يصونهم الله تعالى عن النار ويدخلهم الجنة ••

أما الذين كثرت سيئاتهم •• ورجحت على حسناتهم فانهم الخاسرون •• فقد باعوا أنفسهم للشيطان •• وتركوا التدبر فى آيات الله كفرا وعنادا •• فهؤلاء مصيرهم الى النار •• وهذا هو العدل الذى يقيمه الله تعالى يوم القيامة •

* * *

* غيب السموات والأرض :

يقول الله تعالى : **« وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين »**[10] •

والذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء •• يقتضى أن يكون عليما •• سميعا بصيرا •• لطيفا خبيرا •• قادرا مقتدرا ••

---

(٩) تحدثنا عن « الميزان » فى الفصل الرابع من هذا الكتاب — راجع صفحة ٢٨٥ وما بعدها .

(١٠) يونس : ٦١

ليس لعلمه ولا لسمعه ولا لبصره ٠٠ أو لطفه وخبرته وقدرته حـــدود ٠٠

وهذه الصفات لا تكون الا لله تعالى وحده ٠٠ فهو وحده الخالق ٠٠ وهو وحده العليم بما خلق ٠٠

يقول الله تعالى : **« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ٠ وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار »**(١١) ٠

ويقول جل شأنه : **« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تســقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ٠ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون »**(١٢) ٠

ويقول : **« الله يعــلم ما تحمــل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شىء عنده بمقدار ٠ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ٠ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهــار »**(١٣) ٠

ويقول تعالى : **« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير »**(١٤) ٠

ويقول : **« وهو الذى خلق السموات والأرض بالحق ، ويوم يقول كن فيكون ، قوله الحق ، وله الملك يوم ينفخ فى الصور ، عالم الغيب والشهادة ، وهو الحكيم الخبير »**(١٥) ٠

ويقول جل وعلا : **« ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون »**(١٦) ٠

---

(١١) ابراهيم : ٣٢ — ٣٤
(١٢) الأنعام : ٥٩ ، ٦٠
(١٣) الرعد : ٨ — ١٠
(١٤) لقمان : ٣٤
(١٥) الأنعام : ٧٣
(١٦) هود : ١٢٣

والانسان يرى فى محيط محدود •• بقدر ما يصل اليه بصره ••

ولكن الله تعالى لا يحد بصره حدود •• فهو سبحانه الذى يشاهد ويرى •• ولا يغيب عنه ما فى السموات العلا •• وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ••

وهو سبحانه الحاضر الذى لا يغيب ••

ولهذا عندما أمر تعالى موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالذهاب الى فرعون مصر •• وأبديا خوفهما من أن يفرط عليهما أو يطغى •• قال لهما تعالى : « **لا تخافا ، اننى معكما أسمع وأرى** »[٢٤] •

* * *

*** اللطيف الخبير :**

يقول الله تعالى : « **ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير** »[٢٥] •

ويقول تعالى : « **بديع السموات والأرض ، أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شىء ، وهو بكل شىء عليم • ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل • لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** »[٢٦] •

ويقول جل شأنه : « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** »[٢٧] •

● وقد ورد اسمه تعالى « اللطيف » فى ٦٠ آية ••

وللطيف معان كثيرة •• منها أنه يفيض بالخير كل الخير على عباده برفق ورحمة •• وذلك يظهر من قوله تعالى : « **الله لطيف بعباده يرزق من يشاء ، وهو القوى العزيز** »[٢٨] •

ومنها أنه العليم بدقائق الأمور •• خافيها وباطنها •• وهذا ما تشير اليه الآية الكريمة : « **يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، ان الله لطيف خبير** »[٢٩] •

---

(٢٤) طه : ٤٦
(٢٥) آل عمران : ١٨٠
(٢٦) الأنعام : ١٠١ ــ ١٠٣
(٢٧) الملك : ١٤
(٢٨) الشورى : ١٩
(٢٩) لقمان : ١٦

فهو وحده العليم بخفيات الأمور •• البر بعباده الذى يلطف بهم من حيث لا يعلمون •• ويهيء مصالحهم من حيث لا يحتسبون ••

* * *

● كما ورد اسمه تعالى « الخبير » فى ٣٣ آية ••

فالله سبحانه وتعالى الخبير •• الذى يسمع ويبصر ويعلم •• وبعلمه الذى احتوى الوجود وما قبله •• وما بعده •• يأمر فيكون •• وما أمره فى كل الكون ووحداته •• والانسان فى مختلف حالاته •• الا لأنه الخبير ••

الخبير الذى يعلم الخير فيما أراد •• مما يصلح الوجود والعباد •• لذلك نجد أن لفظ « الخبير » قد ارتبط « بالحكيم » فى عدة آيات مثل قوله تعالى : **« وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير »**(٣٠) •

ووردت مع « اللطيف » فى آيات أخرى مثل قوله تعالى : **« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »**(٣١) •

ولحقت بلفظ « العليم » فى آيات مثل قوله جل شأنه : **« وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير »**(٣٢) •

وهو سبحانه الخبير الذى يعلم من الانسان كل ما يعمل •• ويعلم كل الجوانب والدوافع والأهداف والنوايا التى كانت فى الانسان فى عمله •• وكانت منه فى صنعه ••

ولذلك تكررت الآيات التى تؤكد أن الله سبحانه وتعالى هو الخبير بما يعمل عباده وبما يصنعونه فى مثل قوله تعالى : **« والله خبير بما تعملون »**(٣٣) •• وقوله تعالى : **« ان الله خبير بما يصنعون »**(٣٤) •

فهو سبحانه الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء •• ولا تتحرك حركة •• ولا تسكن ساكنة فى السموات والأرض الا ويعلم مستقرها ومستودعها ••

* * *

---

(٣٠) الأنعام : ١٨ — (٣١) الملك : ١٤

(٣٢) لقمان : ٣٤ — (٣٣) آل عمران : ١٥٣

(٣٤) النور : ٣٠

* **القادر المقتدر :**

يقول الله تعالى : « **أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا ، ان الله على كل شىء قدير** »[٣٥] .

ويقول جل شأنه : « **وأن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله على كل شىء قدير** »[٣٦] .

ويقـــول : « **ولله ملك السموات والأرض ، والله على كل شىء قدير** »[٣٧] .

ويقول : « **يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير** »[٣٨] .

ويقول تعالى : « **وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير** »[٣٩] .

وقد ورد اسمه تعالى « القدير » فى ٣٩ آية ..

والقادر سبحانه وتعالى .. هو الذى لا يعجزه شىء .. أى شىء .

وفى استطاعته أن يفعل ما يشاء .. كيف يشاء .. وأنى يشاء .. لا يتقيد فى ذلك بأسباب .. ولا يأخذ الأمر منه أى جهد أو حساب .

وهو سبحانه المقدر لقضائه المدبر شئون الكون بقدر وحكمة .

والمقتدر جل شأنه .. هو من يمسك بقدرته هذا الوجود .. فلا يخرج عنها كائن ولا موجود .. وهذه القدرة لا بداية لها .. ولا نهاية فيها .. غير محدودة .. وليست مقطوعة ..

قدرة بمعرفة آثار بعضها أطاعت السموات فعلت .. وامتدت الأرض فانبسطت .. وانتصبت الجبال ووقفت .. وانشقت البحار وجـــرت ..

فهو سبحانه عظيم القدرة .. المسيطر بقدرته البالغة على خلقه .. المتمكن بسلطانه من ملكه .. قدر فكان الوجود مظهر اقتداره ..

* * *

وكتب أستاذنا فضيلة الشيخ محمد الغزالى تحت عنوان « الكمال الأعلى »[٤٠] يقول :

---

(٣٥) البقرة : ١٤٨ (٣٦) البقرة : ٢٨٤
(٣٧) آل عمران : ١٨٩ (٣٨) المـــائدة : ١٧
(٣٩) الحج : ٦
(٤٠) عقيدة المسلم ــ للشيخ محمد الغزالى ، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٤ ، ص ٨٣ ــ ٨٥ ، ٩١ ــ ٩٥

« القـدرة : العالم وما فيه من سكون وحركة ، أثر لقدرة الله سبحانه وتعالى • وليست لشىء ما ، قدرة ذاتية يستمدها من طبيعته المجـردة •

فاذا رأيت البذور تشق التربة وتنمو رويدا رويدا لتستوى على سوقها فذلك بقدرة الله •

واذا رأيت الأمواج تلطم الشطآن ، رائحة غادية لا تهدأ حتى تثور ، فذلك بقدرة الله •

واذا رأيت القاطرات أو الطائرات تنهب الفضاء ، وتطوى الأبعاد ، وتحمل الأثقال • فذلك بقدرة الله •

واذا رأيت البشر يموج بعضهم فى بعض ، وينفعـلون بالحب والبغض والفرح والحزن ، وينطلقون عاملين ، أو يهدأون نائمين ، فذلك بقدرة الله •

وسواء شعرت أو لم تشعر ، فنبضات قلبك فى حناياك ، وسريان دمك فى عروقك ، وكمون الحس فى أعصابك ، وتجدد الحياة فى خلاياك ، وانسكاب الافرازات من غددك • ذلك كله بقدرة الله !

لا تحسبن شيئا فى الكون قادرا بنفسه •

فكما أن القدرة أبدعته أولا من عدم ، فقـد أودعت فيه من أسرارها ، وبثت فيه من آثارها ، ما يدل عليها •

وبعض الجاحدين من علماء الطبيعة يردون ما يقع تحت أبصارهم من هذه الدلائل الباهرة الى مجهول محض • أو قوى كامنة فى المواد والعناصر المختلفة •

وهذا تخريف شائن ، وتسفيه للعقل ، ومغالطة للواقع •

ان النور المتولد عن انتشار الكهرباء فى الأسلاك ، والحركة الناشئة عن امتداد الأبخرة فى المواسير ، والحديد المرتفع فى الجو ، نتيجة تغيير المراوح الدائرة لمقادير الضغط ـــ فى الطائرة ـــ كل أولئك لا يرفع قدر عنصر من العنـاصر المخلوقة فيهبه الوجود المستقل ، فضلا عن الايجاد الرائع !

لـماذا يطلب منا أن نظن فى مواد التربة أنها ـ بقدرتها ـــ خلقت النبـات ؟

ولو كان ذلك حقا فما الذى يمنع التربة أن تكون الها !

ولو كانت العناصر جميعا بهذه المثابة مع حركاتها وسكونها ، فأى خبط نقع فيه نتيجة هذا الفرض الأحمق ؟

أليس أقصر طريق نصل به الى الحق أن ننظر الى العالم كله ، من أرضه لسمائه ، على أنه صنع القدرة العليا ، وأن كل ما يتجدد فيه انما يقع تحت اشراف القدرة وهيمنتها ؟!

من المؤسف أن تكون السمة الغالبة على كافة العلوم الطبيعية أنها تقوم على البحث المجرد فى مادة الوجود ، وتعرف حقيقة العلاقات والتطورات والروابط بين شتى العناصر .

وقلما تلتفت الى شىء بعد ذلك ، اذا وقفت الى نتائج معينة فى موضوع بحثها .

وتنتهى أغلب هذه العلوم بمن يدرسونها الى علم جيد بالمخلوقات ، وجهل مطبق بخالقها ، لأنه لم ترد اليه اشارة ما فى غضون البحوث الكثيرة المتشعبة .

وهذه — لا ريب — خيانة علمية ، فان دراسة هذا الكون العظيم تنفذ الى صميم الفكر الحر بأشعة من الهدى والايمان ، وتجعل الانسان يتطلع — ملء الفؤاد — بعواطف الرهبة والرغبة — الى هذا الخالق العظيم .

وهذه البحوث المجردة تشعر بآثار القدرة الرائعة فيما تتناوله من نواحى الطبيعة ، غير أنها تطويها طيا تحت أسماء مبهمة ، وتستدرج المتعلم باجراء الملاحظات والتجارب ثم تشغله بتدوين النتائج .

أما الالتفات من وراء هذه الحجب الشفافة الى عظمة الله جل جلاله فأمر لا يكترث له كثير من علماء الكون والحياة .

وهكذا تظل بحوثهم مبتورة ، لأنها تنقصها الحلقة المفقودة بين الخلق والخالق .

من ذلك كله نعلم أن الله قدير على كل شىء ، وأنه قوى متين ، وأنه لا يؤوده خلق ولا أمر .

« وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض ، انه كان عليما قديرا »(٤١) .

---

(٤١) فاطر : ٤٤

والقدرة فى مجالها الواسع لا يعييها شىء ألبتة ، وآثارها التى نشهدها تدل على طاقة لا تقف عند حدود •

وليس معنى ذلك بداهة أن تخرج القدرة على منطقها •

فيقال ــ مثلا ــ : انها لا تستطيع قلب الحقائق !

وقد كان الدكتور « زكى مبارك » سخيفا ، ولعه كان « مسطولا » يوم كتب فى « البلاغ » : ان الله لا يستطيع اخراجى من ملكه ، وان الله لا يستطيع الجمع بين النقيضين !!

والجنون فنون » اهـ •

* * *

ثم يتحدث عن علم الله تعالى فيقول :

« الله تعالى عليم بكل شىء ، لم يسبق معرفته جهل ، ولا يعدو عليها نسيان ، ولا يمكن أن تخالف الواقع •

وعلمه محيط بالأمس واليوم والغد ، بالظاهر والباطن ، بالدنيا والآخــرة •

قد يعرف الانسان شيئا عن حاضره ، وقد يذكر طرفا من ماضيه ، وما وراء ذلك فهو بالنسبة اليه عماء •

بيد أن الانسان لا يذكر من ماضيه الطويل الا قليلا من الحوادث ، ولا يدرى من تاريخ العالم الذى يعيش فيه شيئا طائلا •

لكن الله ــ وحده ــ يحصى أعمالنا المــاضية ساعة ساعة ، ويسجل أحوال العالم الغابر دولة دولة ، وحادثة حادثة •

« قال فما بال القرون الأولى • قال علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضل ربى ولا ينسى »[42] •

انه علم يشرق على كل شىء ، فيجلى بواطنه وخوافيه ، ويكشف بداياته ونهاياته ، ويكتنه ذاته وصفاته •

فالمشهود والغيب لديه سواء ، والقريب والبعيد ، والقاصى والدانى •

« اليه يرد علم الساعة ، وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه »[43] •

---

(٤٢) طه : ٥١ ، ٥٢ (٤٣) فصلت : ٤٧

والعلم الالهى يشرف على كل شىء اشرافا تاما ، ويهيمن على أطوار الموجودات ـ ما يحس منها وما يتوهم ـ هيمنة كاملة .

فعدد ما فى صحارى الأرض من رمال ، وعدد ما فى بحار الدنيا من قطرات ، وعدد ما فى الأشجار من ورقات ، وعدد ما فى الأغصان من ثمار ، وما فى السنابل من حبوب ، وما فى رؤوس البشر وجلودهم من شعر .

ثم ما يمكن أن يطرأ على هذه الأعداد الكثيرة من أحوال شتى ، وما تحتاجه فى وجودها من قوى متجددة ، وما يعتريها من أوصاف متغايرة . ذلك كله يستوعبه شعاع واحد من أشعة العلم التى لا تدرى عقولنا من كنهها الا قليلا : **« وأسروا قولكم أو اجهروا به ، انه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »**(٤٤) .

وهذا العلم من خصائص الذات المقدسة .

وقد ينير الله بعض العقول بحقائق يسيرة ـ على قدر طاقتها من المعارف الكونية ، أو رشحات ضئيلة من الغيوب الخفية ، حسب قواعد مدروسة ، وحكم مأنوسة .

وما وصل اليه البشر من ذلك مقرر معروف ، وما أوتوا الا القليل .

أما الله عز وجل فكما قال فى كتابه :

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين »(٤٥) .

* * *

وعن عائشة رضى الله عنها : « الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات »

لقد جاءت المجادلة « خولة » الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جانب البيت تحدثه وما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل :

« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير »(٤٦) .

أجل ! فما من كلام يدور بين الناس ، أو حديث يتجاذبون أطرافه الا سبق وقعه الى سمع الرحمن ، جل وعلا ، قبل أى شىء !

---

(٤٤) الملك : ١٣ ، ١٤ — (٤٥) الانعام : ٥٩

(٤٦) المجادلة : ١

ولا تحسبن أن الله حين يسمع نجوى جماعة يشغله ذلك عن سماع قوم آخرين •

كلا ، فما يشغله شأن عن شأن ، وما تغيب عنه همسة وسط الضجيج ، ولا تشتبه عليه لغة على اختلاف الألسنة •

انك — بالوسائل التى هدى اليها البشر — تجلس فى المشرق فتنقل اليك محطات الاذاعة الأغانى ، والأحاديث من المغرب ، طاوية الأبعاد الشاسـعة •

فما أدرانا بما وراء ذلك من أسرار الكون •

وما أيسر — فى منطق العقل — أن يشرف رب الكون بسمعه على كل حركة وسكنة فى الوجود تنبعث من مصدرها القريب أو البعيـد — وليس ثم قرب ولا بعد بالنسبة الى الله — فيعلم كنهها ويسمع صوتها ويبصر وضعها ! ان ربك يسمع كل صوت •

وهناك أصوات يسمعها ويحبها « ما أذن — ما استمع — الله لشىء أذنه لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به » •

وكما يحب الله صوت الوحى ، تتلوه الألسنة ، يكره أصـوات الفحش والسوء •

« لا يحب الله الجهـر بالسـوء من القول الا من ظلم ، وكان الله سميعا عليما »(٤٧) •

ولا تستكثر أن يقال لك : ان الله يسمع خفقان القلوب فى حنايا الخلق أجمعين •

فما القلوب الا أثر قدرته ، شحنها بالحياة ثم دفعها فهى تسير الى أجل معلوم ، فكيف لا يسمع أثر ما أوجد ؟

وكما أن الله يسمع كل شىء ، فهو يشهد كل شىء ، ورؤيته تنظر فى أعماق الظلمات فتستشف كوامنها •

فما هو بحاجة الى ضياء يبصر به الخفى ، أو مكبر يعظم به الدقيـق •

اذا كنت ثالث ثلاثة ، فاعلم أن هناك رابعا يبصر ما تفعلون ، ويسمع ما تقولون •

« له غيب السموات والأرض ، أبصر به وأسمع ، ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا »(٤٨) •

---

(٤٧) النساء : ١٤٨ (٤٨) الكهف : ٢٦

عندما أرسل الله موسى وهارون الى فرعون ، توجسا من طغيانه وقالا :

« ربنا اننـــا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى • قال لا تخافا ، اننى معكما أسمع وأرى »[٤٩] •

انه معهما ، ومع كل كائن ، من بدء الخلق الى قيام الســاعة ، وما قبل ذلك وما بعد ذلك ، يسمع ويرى •

وهو ــ سبحانه ــ قد ركب فى وجوهنا هذه العيون التى نقرأ بها ونكتب ، ونشهد بها ما نشاء •

ولكن ما قيمة رؤيتنا هذه الى جانب الرؤية الالهية المحيطة الشاملة •

لو أن كل ذى بصر انتظموا صفا يستغرق محيط الأرض ، ثم اجتهدوا فى رؤية ما حولهم ، ما أبصروا شيئا يذكر الى جانب الرؤية الالهية التى تستوعب جميع المدركات ، من جميع الجهات ، فى وقت واحد •

سواء فيها المستخفى بالليل والسارب بالنهار ، الخالى وحده ، والبارز للناس :

« وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه »[٥٠] •

والاحساس بهذه الحقيقة جزء من الدين ، بل هو قمته العليا :

« الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه يراك » •

وملاحظة العبد لله ، أساسها شعوره بأنه سبحانه قائم على كل نفس بما كسبت ، ومطلع على ما أسرت وأعلنت ، وذلك وحده لب التقوى وسر الاخلاص » اهـ •

* * *

---

(٤٩) طه : ٤٥ ، ٤٦

(٥٠) يونس : ٦١

لا يعلم الغيب الا الله تعالى ..

الله سبحانه وتعالى هو وحده بكل شىء عليم .

وهو وحده .. السميع البصير ..

وهو وحده .. اللطيف الخبير ..

وهو وحده .. على كل شىء قدير ..

وهو وحده .. الذى يعلم غيب السموات والأرض ..

وهو وحده .. عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ..

يقول الله تعالى : ((**قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله**))[1] .

يستوى فى ذلك الملائكة .. والأنبياء والرسل .. والانس والجن ..

* * *

* الملائكة لا يعلمون الغيب :

لا يتم ايمان المسلم الا اذا آمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، والقضاء خيره وشره .

يقول الله تعالى : ((**آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**))[2] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خلقت الملائكة من نور .. وخلق الجان من مارج من نار .. وخلق آدم مما وصف لكم » ..

فالملائكة اذن موجودون .. والايمان بهم ضرورى ليتم ايمان المســلم ..

وهم أجسام نورانية .. خلقها الله تعالى من نور .. ولم يجعلهم ذكورا أو اناثا .. لا يأكلون أو يشربون .

لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

يسبحون الليل والنهار لا يفترون ..

(*) استعنا فى كتابة هذا المبحث بالجامع لأحكام القرآن للامام القرطبى ، وتفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير ، وقصص الأنبياء له .

(١) النمل : ٦٥ (٢) البقرة : ٢٨٥

ويجب على المسلم الايمان بمن ذكر منهم تفصيلا : كجبريل ، وميكائيل ، وملك الموت ، ونافخ الصور ، وحملة العرش ، وخازن النار ، والحفظة ، والزبانية •• وبباقى الملائكة اجمالا •

كما يجب الايمان بوظائفهم التى أوكلها الله تعالى اليهم •• من تبليغ للرسل •• أو كتابة لأعمال الانسان •• أو كتابة رزقه وأجله وشقاوته وسعادته •• وقبض الأرواح •• وسؤال الموتى فى قبورهم •• وحراسة الآدميين •• وحضور المساجد وأماكن العبادة ومجالس الخير والذكر ••

الى غير ذلك من الوظائف الموكلة لبعضهم مما هو مفصل فى الكتاب والسـنة ••

ومع كل هذه الخصائص التى خصهم الله بها •• فانهم لا يعلمون الغيب ••

* * *

يقول الله تعالى : **« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم مالا تعلمون ••**

« وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ••

« قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم •

« قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »(٣) •

لمـا أراد الله خلق آدم ــ عليه السلام ــ أعلم الملائكة بما يريد •• وأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته •• كما يخبر بالأمر العظيم قبل وقوعه : **« انى جاعل فى الأرض خليفة »** •

فقال بعض الملائكة فى أنفسهم : لن يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه ••

وكتم هذا البعض قوله فى نفسه ••

---

(٣) البقرة : ٣٠ ــ ٣٣

ثم تساءلوا مستكشفين ومستعلمين عن وجه الحكمة فى ذلك : **« أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ؟**

ولم يكن سؤالهم على وجه الاعتراض والتنقص لآدم وذريته أو حسدا لهم ..

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : كانت الجن قبل آدم بألفى عام .. فسفكوا الدماء .. فبعث الله اليهم جندا من الملائكة فطردوهم الى جزائر البحور ..

ولهذا أيقن الملائكة أن الأرض لا يخلق فيها الا من يكون أغلب أحواله بهذه المثابة .. فقد خبروا أمر الجن ، ومن قبلهم الحن .. قبل خلق آدم عليه السلام ..

وقارنوا بين أنفسهم وبين هذا المخلوق الجديد .. وتساءلوا عن وجه الحكمة فى خلقه .. أليسوا يعبدون الله فى كل الأحوال .. ولا يقدر أن يعصاه منهم أحد ؟ .. فاذا كان المراد من خلق آدم وذريته عبادة الله تعالى .. فها هم الملائكة لا يفترون عن العبـــادة ليل نهـــار !!

ولكن الله العليم الحكيم .. الذى لا يسئل عما يفعل .. أجابهم على تساؤلهم بقوله : **« انى أعلم مالا تعلمون »** .. فهو وحده الذى يعلم المصلحة الراجحة من خلق آدم وذريته مما لا يعلمه الملائكة .. فقد شاء تعالى أن يوجد من نسله الأنبياء والمرسلون .. والصديقون والشهداء والصالحون ..

ثم بين لهم شرف آدم عليهم فى العلم .. فعلمه أســماء الذوات وأفعالها .. كبيرها وصغيرها .. عظيمها وحقيرها ..

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : علمه سائر الأسماء التى يتعارف بها الناس .. كانسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وجمل ، وحمار .. وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ..

بل انه تعالى علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شىء .. كالصحفة والقدر .. حتى الفسوة والفسية ــ كما قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم ..

ثم عرض تعالى المسميات على الملائكة •• وطلب منهم تعريفها قائلا : **« أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين »** •• وذلك ردا على من قال منهم : لا يخلق ربنا خلقا الا كنا أعلم منه ••

فعجز الملائكة جميعا •• وقالوا : سبحانك أن يحيط أحد بشيء من علمك من غير تعليمك ••

فأمر آدم عليه السلام باخبارهم بما عجزوا عنه •• فأخبرهم ••

ولو كانت الملائكة تعلم الغيب •• لما عجزت عن معرفة الأسماء بعد أن عرضت عليهم مسمياتها ••

بل ان الملائكة عجزت عن قراءة أفكار آدم عليه السلام •• بعد أن انطبعت على صفحتها هذه الأسماء !!

فقال تعالى : **« ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون »** •• فأنبأهم تعالى بأنه يعلم ما أبدوه من تساؤل •• وما كتموه فى أنفسهم من ظن لم ينطقوا به ••

ثم أمرهم بالسجود لآدم •• تشريفا له •• وتكريما للعلم الذى أودعه الله اياه ••

* * *

*** الأنبياء •• لا يعلمون الغيب :**

والرسل الكرام •• الذين اصطفاهم الله تعالى •• وأرسلهم الى الناس بالهدى والايمان •• مبشرين ومنذرين ••

هؤلاء الرسل لا يعلمون الغيب •• الا ما ارتضاه الله لهم •• وأوحاه اليهم ليكون دليلا على صدق رسالتهم ••

يقول الامام الذهبى فى تفسير قوله تعالى : **« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا • الا من ارتضى من رسول »**[4] :

« قال ابن الجوزى : **« عالم الغيب »** هو الله عز وجل ، لا شريك له فى ملكه •• **« فلا يظهر »** أى فلا يطلع **« على غيبه »** الذى لا يعلمه أحد من الناس **« الا من ارتضى من رسول »** لأن الدليل على صدق الرسل اخبارهم بالغيب •• والمعنى — يقول الذهبى — أن من ارتضاه

---

(٤) الجن : ٢٦ ، ٢٧

للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب •• وفى هذا الدليل على من زعم أن النجوم تدل على الغيب •• فهو كافر والله أعلم »[٥] •

* * *

● وهذا آدم عليه السلام •• أبو البشر •• خلقه الله بيده •• ونفخ فيه من روحه •• وعلمه الأسماء كلها •• وأسجد له الملائكة •• وأسكنه وزوجه الجنة •• وأباح لهما ثمارها •• الا شجرة واحدة نهاهما عنها •• ولم يتركهما سدى •• بل حذرهما الشيطان وكيده •• وأطلعهما بأنه سيعمل جهده على اخراجهما من الجنة كما طرد منها ••

ولكن آدم •• مع ما حباه الله تعالى من عظيم الخصال •• نسى ولم يكن له عزما •• فعصى ربه وأكل من الشجرة التى نهى عن الأكل منها •• فأخرجه الله وزوجه من الجنة ••

يقول الله تعالى : **« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين • وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين • فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم • قلنا اهبطوا منها جميعا ، فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »**[٦] •

أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم تشريفا له وتكريما للعلم الذى أودعه الله اياه ••

ولكن ابليس قارن بين نفسه وبين آدم عليه السلام •• فرأى أنه أشرف منه •• وظن أن النار التى خلق منها أشرف من الطين الذى خلق منه آدم •• فامتنع عن السجود له •• مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود ••

ويقول الامام ابن كثير : « القياس اذا كان مقابلا بالنص كان فاسد الاعتبار •• ثم هو فاسد فى نفسه •• فان الطين أنفع وأخير من النار •• لأن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو •• والنار فيها

---

(٥) الكبائر — للامام الذهبى — طبع دار التراث العربى — ص ٢٥
(٦) البقرة : ٣٤ — ٣٨

الطيش والخفة والسرعة والاحراق .. ثم ان آدم شرفه الله تعالى بخلقه بيده .. ونفخ فيه من روحه .. وعلمه الأسماء كلها .. ولهذا أمر الملائكة بالسجود له » ..

ترفع ابليس عن السجود لآدم وأبدى احتقاره له .. فخالف بذلك الأمر الالهى .. وحين أراد أن يعتذر كان اعتذاره أشد من ذنبه .. فقال مكابرا : **« أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين »**(٧) .

فخرج عمدا باستكباره وعناده عن طاعة الله ..

يقول تعالى : **« قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين . قال أنظرنى الى يوم يبعثون . قال انك من المنظرين . قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذءوما مدحورا ، لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين »**(٨) .

ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : ان الله أخرج ابليس من الجنة .. وأسكنها آدم فكان يمشى فيها وحده ليس له فيها زوج يسكن اليها .. فقام من نومه فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة .. خلقها الله تعالى من ضلعه .. فسألها : من أنت ؟ قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ؟ قالت : لتسكن الى .. فقالت الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء .. قالوا : ولم كانت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شىء حى ...

ولم يتركهما الله وشأنهما .. بل حذرهما من ابليس ومكره .. وأعلمهما بكراهيته وعداوته لهما .. فقال تعالى : **« يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى . وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى »**(٩) .

وقال له : **« اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين »**(١٠) .

---

(٧) الأعراف : ١٢
(٨) الأعراف : ١٣ — ١٨
(٩) طه : ١١٧ — ١١٩
(١٠) الأعراف : ١٩

قيل : هى الكرم •• وقيل : الحنطة •• وقيل : النخلة ، وقيل : التينــه ••

وقال أبو العالية : كانت شجرة من أكل منها أحدث •• ولا ينبغى فى الجنة الحدث •• والله أعلم بحقيقتها •

ولم يتركهما الشيطان ينعمان بنعيم الجنة •• بعد أن كانا السبب فى طرده منها •• فوسوس لهما حتى يخرجهما من النعيم والنضرة والسرور •• الى دار التعب والكد والشرور •• فقال لآدم : هل أدلك على الشجرة التى اذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم ، واستمررت فى ملك لا يبيد ولا ينقضى ؟ •• انها الشجرة التى نهاكما الله عن الأكل منها •• وما نهاكما عن ذلك حتى لا تخلدا فيما أنتما فيه •• فهذه هى شجرة الخــلد •• ومن أكل منها خلد ولم يمت !!

وأقسم على صحة قوله •• ولم يكن آدم يتصور أن مخلوقا يمكن أن يقسم بالله كاذبا •• فصدقه وأكل من الشجرة !!

« وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين • فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشــيطان لكما عدو مبين • قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين • قال اهبطوا بعضكم لبعض عــدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتــاع الى حين • قال فيها تحيون وفيهــا تموتون ومنها تخرجون »(١١) •

ويقول تعالى : **« ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما »**(١٢) •

وعن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أباكم آدم كان كالنخلة السحوق ستون ذراعا •• كثير الشعر موارى العورة •• فلما أصاب الخطيئة فى الجنة بدت له ســوأته •• فخــرج من الجنة فلقيته شجرة فأخذت بناصيته •• فناداه ربه : أفرارا منى يا آدم ؟ •• قال : بل حياء منك يا رب مما جئت به » •

---

(١١) الأعراف : ٢١ ــ ٢٥ (١٢) طه : ١١٥

ويقول : « **ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شىء عليم** »[17] .

ويقول تعالى . « **هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم** »[18] .

ويقـــول : « **أن الله لا يخفى عليـــه شىء فى الأرض ولا فى السمـــاء** »[19] .

عن اياس بن سلمة قال : حدثنى أبى أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم .. اذ جاءه رجل بفرس له يقودها عقوق .. ومعه مهرة له يبيعها .. فقال له : من أنت ؟ .. قال : « أنا نبى الله » ..

قال : وما نبى الله ؟ .. قال : « رسول الله » .

قال الرجل : متى تقوم الساعة ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « غيب .. ولا يعلم الغيب الا الله » .

قال : متى تمطر السماء ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « غيب .. ولا يعلم الغيب الا الله » .

قال الرجل : ما فى بطن فرسى هذا ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « غيب .. ولا يعلم الغيب الا الله » .

قال : أرنى سيفك .. فأعطاه النبى صلى الله عليه وسلم سيفه .. فهزه الرجل ثم رده اليه ..

فقال صلى الله عليه وسلم : « أما انك لم تكن تستطيع الذى أردت » .

يقول اياس : وكان الرجل قال : أذهب اليه فأسأله عن هذه الخصال ثم أضرب عنقه[20] .

وروى أن الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة ــ رجل من أهل البادية ــ جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم .. فسأله عن الساعة ووقتها .. وقال : ان أرضنا أجدبت ، فمتى ينزل الغيث ؟ .. وتركت امرأتى حبلى ، فماذا تلد ؟ .. وقد علمت أين ولدت ، فبأى أرض أموت ؟

---

(١٧) المـــائدة : ٩٧ (١٨) الحشر : ٢٢
(١٩) آل عمران : ٥
(٢٠) أسباب النزول للنيسابورى ص ٢٣٤

فأنزل الله تعالى : **« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، ان الله عليم خبير »**[٢١] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمهن الا الله تعالى : لا يعلم متى تقوم الساعة الا الله .. ولا يعلم ما تغيض الأرحام الا الله .. ولا يعلم ما فى غد الا الله .. ولا يعلم بأى أرض تموت الا الله .. ولا يعلم متى ينزل الغيث الا الله »[٢٢] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنت مستترا بأستار الكعبة .. فجاء ثلاثة أنفار كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم .. قرشى وختناه ثقفيان — أو ثقفى وختناه قرشيان — فتكلموا بكلام لم أفهمه .. فقال بعضهم : أترون أن الله سمع كلامنا ؟ فقال الآخر : اذا رفعنا أصواتنا سمع ، واذا لم نرفع لم يسمع .. وقال الآخر : ان سمع منه شيئا سمعه كله ..

قال : فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم .. فنزل قوله تعالى : **« وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون . وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين »**[٢٣] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : تبارك الذى وسع علمه كل شىء .. انى لأسمع كلام خويلة بنت ثعلبة .. ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهى تقول : يا رسول الله .. أبلى شبابى .. ونشرت له بطنى .. حتى اذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى .. اللهم انى أشكو اليك ..

فما برح حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات : **« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير »**[٢٤] .

---

(٢١) المصدر السابق .. والآية من سورة لقمان : ٣٤

(٢٢) رواه البخارى .

(٢٣) أسباب النزول — المرجع السابق — ص ٢٥٠ ، والآية من سورة فصلت : ٢٢ ، ٢٣

(٢٤) المجادلة : ١

وفى رواية أنها قالت : الحمد لله الذى توسع لسمع الأصوات كلها •• جاءت المجادلة فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم •• وأنا فى جانب البيت لا أدرى ما تقول •

وكان من خبر المجادلة •• ما رواه عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : حدثتنى خويلة بنت ثعلبة •• وكانت عند أوس بن الصامت أخى عبادة بن الصامت قالت : دخل على ذات يوم وكلمنى بشر •• وهو فيه ضجر فعاودته فغضب •• فقال : أنت على كظهر أمى •• ثم خرج فى نادى قومه ثم رجع الى فراودنى عن نفسى •• فامتنعت منه •• فشادنى فشاددته •• فغلبته بما تغلب به المرأة الرجل الضعيف •• فقلت : كلا والذى نفس خويلة بيده •• لا تصل الى حتى يحكم الله تعالى فى وفيك بحكمه ••

ثم أتينا النبى صلى الله عليه وسلم أشكو ما لقيت •• فقال : « زوجك وابن عمك •• اتقى الله وأحسنى صحبته » •• فما برحت حتى نزل القرآن : **« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ••• »** حتى انتهى الى الكفارة ••

قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « مريه فليعتق رقبة » •

قلت : يا نبى الله •• والله ما عنده رقبة يعتقها ••

قال : « مريه فليصم شهرين متتابعين » •

قلت : يا نبى الله •• شيخ كبير ما به من صيام •

قال : « فليطعم ستين مسكينا » ••

قلت : يا نبى الله •• والله ما عنده ما يطعم ••

قال : « بلى •• سنعينه بعرق من تمر •• مكتل يسع ثلاثين صاعا »

قلت : وأنا أعينه بعرق آخر •• فقال : « قد أحسنت •• فليتصدق » ••

وفى رواية عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ان أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة •• فشكت ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم •• فقالت : ظاهر منى حين كبر سنى ورق عظمى ••

فأنزل الله تعالى : **« الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ، ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم ، وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ، وان الله لعفو غفور • والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله**

بما تعملون خبير ٠ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعـام ستين مسكينا ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله ، وللكافرين عذاب أليم »[٢٥] ٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأوس : « أعتق رقبة » فقال : مالى بذلك يدان ٠٠ قال : « فصم شهرين متتابعين » ٠٠ قال : أما انى اذا أخطأنى أن لا آكل فى اليوم كل بصرى ٠٠ قال : « فأطعم ستين مسكينا » قال : لا أجد الا أن تعيننى منك بعون وصلة ٠٠

قال : فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا ٠٠ حتى جمع الله له والله رحيم ٠٠ وكانوا يرون أن عنده مثلها ٠٠ وذلك ستون مسكينا »[٢٦] ٠

وعن مقاتل رضى الله عنه قال : نزلت : **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٠ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »**[٢٧] فى رجلين :

كان أحدهما يأتيه السـائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ٠٠ ويقول : ما هذا بشىء ٠٠ وانمـا نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه ٠٠

وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير : الكذبة والغيبة والنظرة ٠٠ ويقول : ليس على من هذا شىء ٠٠ انما أوعد الله بالنار على الكبائر ٠٠

فأنزل الله عز وجل يرغبهم فى القليل من الخير فانه يوشك أن يكثر ٠٠ ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك أن يكثر[٢٨] ٠

* * *

---

(٢٥) المجادلة : ٢ ــ ٤
(٢٦) المصدر السابق ص ٢٧٤
(٢٧) الزلزلة : ٧ ، ٨
(٢٨) المصدر نفسه ص ٢٥٠

من أسماء الله وصفاته

* العليم :

وردت صفة العلم لله تعالى فى ١٤٠ آية ..

فقال تعالى : « **قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ، ويعلم مافى السموات وما فى الأرض ، والله على كل شىء قدير** »(١) .

وقال : « **ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب** »(٢) .

وقال تعالى : « **أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** »(٣) .

وقال : « **وهو الله فى السموات وفى الأرض ، يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون** »(٤) .

وقال جل شأنه : « **وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى** »(٥) .

وقال : « **انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون** »(٦) .

وقال : « **واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه** »(٧) .

وقال عز من قائل : « **يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور** »(٨) .

وقال تعالى : « **ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد** »(٩) .

وقال : « **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** »(١٠) .

وقال : « **والله بما تعملون عليم** »(١١) .

(*) استعنا فى هذا المبحث بكتاب « مع الله فى اسمائه الحسنى » للدكتور عبد الرزاق نوفل ، وكتاب : « حق الله على العباد » للأستاذ الشيخ طه عبد الله العفيفى .

(١) آل عمران : ٢٩
(٢) التوبة : ٧٨
(٣) البقرة : ٧٧
(٤) الأنعام : ٣
(٥) طه : ٧
(٦) الأنبياء : ١١٠
(٧) البقرة : ٢٣٥
(٨) غافر : ١٩
(٩) سورة ق : ١٦
(١٠) البقرة : ٢٥٥
(١١) البقرة : ٢٨٣

والعلم لله تعالى •• ليس من جنس ما نعلم •• ولا بالكيفية التى بها نعلم •• اذ أن من يعلم من البشر لابد قد مرت به فترة لم يكن يعلم •• فاتخذ من الأسباب والسبل ما جعلته بها يعلم ••

ولكن علم الله سبحانه وتعالى علم أبدى أزلى ••

والعلم يحدث للانسان بما هو واقع به أو بغيره •• وفيما هو موجود وقائم •• فلا يعلم الانسان ـ أى انسان ـ غيبا ••

ولكن علم الله سبحانه وتعالى واسع بحيث يشمل ما لم يقع •• فهو يعلم بالأمر الذى يقع •• ويعلم به حال وقوعه •• ويعلم ما هو ليس بقائم •• اذ يعلمه قبل وقوعه •• كما أنه جل شأنه يعلم ما خفى وما هو فى الغيب •• وصدق الله العظيم اذ يقول : **« قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب »**(١٢) •

واذا أردنا أن نتخيل بعض درجات علمه تعالى •• ونتصور القليل مما يعلم •• فعلينا بالتدبر والتأمل فى قوله تعالى : **« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين »**(١٣) •

فالغيب كله •• والعلن كله يعلمه الله •• وكل ما فى البر من مخلوقات وكائنات وأشياء •• وكل ما فى البحر من أسماك وحشرات ونباتات •• يعلم بها الله ••

بل يعلم ما يطرأ عليها وما يحدث لها وما يقع فيها •• وما تسقط ورقة من شجرة أو نبات أو كائن الا ويعلمها •

والحبة تحت الأرض لتزرع أو مخفاة •• فى أرض زراعية أو صحراء قاحلة •• يعلم بها الله ••

كيف لا •• وهو الذى خلقها وأوجدها •• **« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »**(١٤) •

نعم •• يعلم من خلق كل ما يقع لما خلق •• وكل ما لم يقع •• فهو سبحانه لا تخفى عليه خافية •• قاصية أو دانية •• وهو العالم بما كان وبما يكون •• وبما لا يكون •• جل شأن الله •

❀ ❀ ❀

---

(١٢) سبأ : ٤٨
(١٣) الأنعام : ٥٩
(١٤) الملك : ١٤

* السميع البصير :

يقول الله تعالى : « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير »(١٥) .

ويقول : « وله ما سكن فى الليل والنهار ، وهو السميع العليم »(١٦)

ويقول : « ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا ، وهو السميع العليم »(١٧) .

ويقول جل شأنه : « ان الله هو السميع البصير »(١٨) .

ويقول : « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، ان الله سميع بصير »(١٩) .

ويقول : « هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون بصـــير »(٢٠) .

ويقول تعالى : « ان الله يعلم غيب السموات والأرض ، والله بصير بما تعملون »(٢١) .

ويقول : « ان الله بعباده لخبير بصير »(٢٢) .

ويقول جل وعلا : « ألم يعلم بأن الله يرى »(٢٣) .

ونحن عندما نقول : « زيد سميع » .. فانما نعنى أن زيدا ليس بأصم .. وأن حاسة السمع عنده سليمة ..

واذا قلنا : « عمرو بصير » .. فانما نقصد أنه مبصر وليس بكفيف .. وأن حاسة البصر عنده قوية ..

ولكن سمع زيد .. وبصر عمرو .. محدودان بحدود لا يتجاوزانها .

أما اذا قلنا : « ان الله هو السميع البصير » ــ وأدخلنا أداة التعريف على الصفتين ــ فان المعنى الذى لا معنى سواه .. أنه لا سميع ولا بصير باطلاق سوى الله تعالى ..

---

(١٥) الشورى : ١١
(١٦) الأنعام : ١٣
(١٧) يونس : ٦٥
(١٨) غافر : ٢٠
(١٩) الحج : ٧٥
(٢٠) الحديد : ٤
(٢١) الحجرات : ١٨
(٢٢) فاطر : ٣١
(٢٣) العلق : ١٤

● وقد ورد اسم الله « السميع » فى ٤٣ آية ٠

ومن المعروف أن السمع يتم عن طريق اهتزاز الهواء بالصوت حتى يصل الى الأذن •• لتهتز أجهزتها فيسمع الانسان ••

ولكن الله سبحانه وتعالى يسمع بلا أذن وبلا اهتزاز للهواء ••

فهو سبحانه يسمع ما فى البحـر •• وما فوق السموات حيث لا هواء ولا اهتزاز ••

واذا كانت قدرة البشر على السمع انما هى لطاقات محدودة •• والى أبعاد محدودة •• فان الله جل شأنه يسمع القريب والبعيد — القريب منا نحن والبعيد عنا •• اذ لا بعيد عنه أو قريب منه — لأنه سبحانه موجود فى كل الوجود ••

فالسماع من الله تعالى سماع من غير جنس ما نعلم أو نعرف •• انه يسمع ما يجول بخاطر الانسان •• فهو يسمع ما لم يتحدث به •• يسمع الحديث الذى لم يصل بعد الى طور الكلمات •• ولم يخرج بعد الى حيز الأصوات •• سبحانه وتعالى هو السميع العليم ••

فلا تخفى عليه سبحانه أصوات خلقه فى سمائه أو أرضه •• فهو المدرك للمسموع وان خفى •• لا يفوت سمعه شىء •• ولا يشغله نداء عن نداء •• وهو وحده الذى يسمع النملة السوداء •• على الصخرة الصماء •• فى الليلة الظلماء ••

* * *

● كما ورد اسمه تعالى « البصير » فى ٣٦ آية ••

والبصير مشتقة من البصر أى الرؤية •• والانسان عندما يرى فليعرف ما لم يسبق أن عرفه •• أو ليزداد به معرفة وعلما •• فكلما رأى عرف أكثر ••

ولكن الله سبحانه وتعالى سبق فى علمه ما يراه •• فما يراه يعلمه •• وما يعلمه يراه •• ولا يسبق أحدهما الآخر ••

والانسان يرى بقدر ما تمكنه له أجهزة بصره •• وهى العيون ••

ولكن الله جل شأنه تعالى عن الشبه •• وتنزه عن المثل •• فلا عين له ولا جهاز يرى به •• ولكنه يرى بقدرته ، وقدرته لا تحد •• ويرى بعظمته ، وعظمته لا تنتهى •• ولذلك فانه يرى ما خفى وما ظهر •• وما وضح وما استتر •• فلا يخفى عليه خافية •• ولا يحتجب عنه أى مستتر ••

وعن مجاهد قال : أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره •• فنزع جبريل التاج عن رأسه •• وحل ميكائيل الأكليل عن جبينه •• وتعلق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة •• فنكس رأسه يقول : العفو •• العفو •• فقال الله تعالى له : أفرارا منى ؟ قال : بل حياء منك يا سيدى ••

يقول الأوزاعى : مكث آدم فى الجنة مائة عام — وفى رواية ستين عاما — وبكى على الجنة سبعين عاما •• وعلى خطيئته سبعين عاما •• وعلى ولده حين قتل أربعين عاما !!

وعن أبى بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال آدم عليه السلام : أرأيت يا رب ان تبت ورجعت أعائدى الى الجنة ؟ فقال : نعم •• فذلك قوله : **« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه »**(١٣) .

والمقصود •• هل لو كان آدم عليه السلام يعلم الغيب •• أكان يأكل من الشجرة التى نهاه الله عنها •• فى حين أن طرده من الجنة ناتج عن الأكل منها ؟!

* * *

● وهذا نوح عليه السلام •• أول الأنبياء وأطولهم عمرا •• وأول داع الى التوحيد •• لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعو الى افراد الله وحده بالعبادة •• وسماه الله تعالى : عبدا شكورا ••

عانده قومه وكابروه •• وأصروا على ضلالهم وطغيانهم •• فعكفوا على عبادة الأصنام والأوثان •• ونصبوا له العداوة فى كل وقت وأوان •• وتنقصوه وتنقصوا من آمن به •• وسخروا منهم وتوعدوهم بالرجم والاخراج •• ونالوا منهم وبالغوا فى أمرهم •• وما آمن معه الا قليل ••

فلما يئس منهم دعا ربه فقال : **« رب أن قومى كذبون . فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين »**(١٤) .

وألجأوه بكفرهم وعنادهم الى أن يقول : **« رب انهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا . ومكروا مكرا كبارا .**

---

(١٣) البقرة : ٣٧

(١٤) الشعراء : ١١٧ ، ١١٨

وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا • وقد أضلوا كثيرا ، ولا تزد الظالمين الا ضلالا »[١٥] •

وقال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا • انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا »[١٦] •

فأوحى الله تعالى اليه : « أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون • واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ، انهم مغرقون »[١٧] •

كما قال : « فأوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ، ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ، انهم مغرقون »[١٨]

وشرع نوح عليه السلام فى صنع السفينة التى أمره الله ببنائها •

ويقال : ان الله تعالى لما استجاب له أمره أن يغرس شجرا ليعمل منه السفينة •• فغرسه وانتظره مائة سنة •• ثم نجره فى مائة أخرى •• وقيل : فى أربعين سنة •• والله أعلم •

وقيل : انها كانت من خشب الساج •• وقيل من الصنوبر كما ورد فى التوراة ••

ويقول الثورى : أمره الله أن يجعل طولها ثمانين ذراعا •• وأن يطلى ظاهرها وباطنها بالقار •• وأن يجعل له جؤجؤا أزور — أى صدرا مائلا منحرفا — يشق الماء ••

وقيل : كان طولها ثلاثمائة ذراع فى عرض خمسين ذراعا •• وقيل : ستمائة فى عرض ثلاثمائة •• وعن ابن عباس : ألف ومائتا ذراع فى عرض ستمائة ذراع •• وقيل كان طولها ألفى ذراع وعرضها مائة ذراع •• والله أعلم •

واتفق القول بأن ارتفاعها كان ثلاثين ذراعا ••

وكانت من ثلاث طبقات •• كل واحدة عشرة أذرع •• فالسفلى للدواب والوحوش •• والوسطى للناس •• والعليا للطيور ••

وكان بابها فى عرضها ، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها ••

---

(١٥) نوح : ٢١ — ٢٤
(١٦) نوح : ٢٦ ، ٢٧
(١٧) هود : ٣٦ ، ٣٧
(١٨) المؤمنون : ٢٦

كل هذا •• وقومه يمرون عليه ساخرين مستهزئين •• حتى اذا جاء أمر الله •• أرسل من السماء مطرا لم تعهده الأرض قبله ولا تمطره بعده •• كان كأفواه القرب •• وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها وسائر أرجائها ••

يقول تعالى : **« فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر • ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر • وفجرنا الأرض عيونا فالتقى المـاء على أمر قد قدر • وحملناه على ذات ألواح ودسر »**[19] •

ويقال : ان المـاء قد ارتفع على أعلى جبل فى الأرض خمسة عشرة ذراعا •• وقيل : ثمانين ذراعا •• وعم جميع الأرض طولها والعرض •• سهلها وحزنها •• وجبالها وقفارها ورمالها •• ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير ••

فى هذا الهول المهول •• ينادى نوح ابنه ليركب معه •• فيأبى عليه ويعصى أمره •• وقيل ان هذا الابن هو « يام » أخو سام وحام ويافث •• وقيل اسمه « كنعان » •• فاتبع قومه فى كفرهم وخالف أباه فى دينه •• فهلك مع الهالكين ••

يقول الله تعالى : **« وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين • قال سآوى الى جبل يعصمنى من المـاء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين • وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض المـاء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين »**[20] •

قضى الأمر •• واستقرت الأمور •• وعندئذ تحركت عواطف الأبوة :

« ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين • قال يا نوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين • قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين »[21] •

---

(١٩) القمر : ١٠ ــ ١٣

(٢٠) هود : ٤٢ ــ ٤٤

(٢١) هود : ٤٥ ــ ٤٧

كيف يراجع ربه وقد قال له : **« ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ، انهم مغرقون »** .

ترى لو كان نوح عليه السلام يعلم الغيب .. أكان يراجع ربه فى أمر ابنه فى حين أنه مكتوب فى عداد العاصين الهالكين ؟!

* * *

● وهذا ابراهيم عليه السلام .. أبو الأنبياء .. الذى زكاه الله تعالى فقال عنه : **« ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكرا لأنعمه ، اجتباه وهداه الى صراط مستقيم . وآتيناه فى الدنيا حسنة ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين »**(٢٢) .

يخبرنا الله تعالى أنه لم يعرف الملائكة حين وفدوا اليه فى طريقهم الى قوم لوط عليه السلام .. فذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم .. بل وأوجس فى نفسه خيفة حين وجدهم لا يقربون طعامه (!!) ظنا منه أنهم أضياف عاديين من البشر !!

يقول تعالى : **« ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما ، قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط »**(٢٣) .

وقال جل وعلا : **« هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين . اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون . فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه اليهم قال ألا تأكلون . فأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف ، وبشروه بغلام عليم »**(٢٤) .

وقال : **« ونبئهم عن ضيف ابراهيم . اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون . قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم . قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون . قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين . قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون . قال فما خطبكم أيها المرسلون . قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين »**(٢٥)

---

(٢٢) النحل : ١٢٠ ــ ١٢٢ (٢٣) هود : ٦٩ ، ٧٠
(٢٤) الذاريات : ٢٤ ــ ٢٨ (٢٥) الحجر : ٥١ ــ ٥٨

لـمـا اشتد كفر قوم لوط وطغيانهم •• أنزل الله الملائكة بعذابهم — قيل كانوا جبريل وميكائيل واسرافيل — فلما مروا بابراهيم عليه السلام نزلوا عنده ليبشروه بالولد الذى طال انتظاره •• وكان من عادته أن كل من نزل به يحسن ضيافته وقراه ••

ولم يعرف ابراهيم عليه السلام أنهم رؤساء الملائكة •• بل ظنهم ضيوفا عاديين من البشر •• فأسرع عليه السلام الى حظيرته وأتى بعجل سمين فذبحه ثم شواه •• وقدمه اليهم ليأكلوا •

ولكنهم قبضوا أيديهم عن الطعام فلم تمتد اليه — فالملائكة لا تأكل ولا تشرب — فلما قبضوا أيديهم نكرهم وخاف على نفسه منهم •• وظن أن وراءهم شرا يقصدونه به ••

ومن آداب الضيافة أنه اذا قدم الطعام أن يبادر الضيف اليه •• فكرامة الضيف تعجيل التقديم •• وكرامة المضيف المبادرة بالقبول •• ولكن هؤلاء الأضياف يخرجون على العادة ويخالفون السنة •• فلا تمتد أيديهم الى طعامه •• لذا خافهم •• فان الضيف اذا امتنع عن طعام مضيفه كان ذلك دليلا على شر يخفيه فى نفسه !!

فلما رأى الملائكة خوفه ووجله •• قالوا : **« لا تخف ، انا أرسلنا الى قوم لوط »** •• وعندئذ سكنت نفسه وهدأ باله ••

والمقصود •• أن ابراهيم عليه السلام •• لم يعرف الملائكة عندما مروا به •• فذبح العجل وقدمه اليهم •• فهل كان يجهل أمرهم لو كان يعلم الغيب ؟!

* * *

● وهذا لوط بن هاران بن تارح — وهو آزر — ابن أخى ابراهيم الخليل عليهما السلام •• لم يعرف الملائكة حين أتوه ••

يقول الله تعالى : **« ولـمـا جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب • وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى ، أليس منكم رجل رشيد • قالوا لقـد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد • قال لو أن لى بكم قوة**

أو آوى الى ركن شـديد • قالوا يا لوط انا رسـل ربك لن يصلوا اليـك »(٢٦) •

خرجت الملائكة من عند ابراهيم •• قاصدين قرية لوط ــ عليهما السلام ــ وكان بينه وبين هذه القرية أربعة فراسخ •• فبصرت بنتا لوط ــ وهما تستقيان ــ بهم •• ورأتا هيئة حسنة •• فقالتا : ما شأنكم ؟ ومن أين أقبلتم ؟ قالوا : أقبلنا من فلسطين •• ونريد هذه القـرية ••

قالتا : فان أهلها أصحاب الفواحش !! فقالوا : أ. ' من يضيفنا ؟

قالتا : نعم •• هذا الشيخ • وأشارتا الى أباهما ••

فلما رأى لوط عليه السلام هيئتهم •• خاف قومه عليهم وساءه مجيئهم •• وضاق صدره به وكرهه •• وقال فى نفسه : هذا يوم شديد شره ••

وقيل : ان الملائكة الثلاثة وجدوا ابنته تستقى المـاء من نهر سدوم •• فسألوها الدلالة على من يضيفهم •• وخافت عليهم قومها بعد أن رأت هيئتهم •• فقالت لهم : مكانكم ••

ثم ذهبت الى أبيها فأخبرته خبرهم •• فخرج اليهم •• فقالوا : نريد أن تضيفنا الليلة •• فقال عليه لسلام : أوما سمعتم بعمل هؤلاء القوم ؟

قالوا : وما عملهم ؟ •• قال : أشهد بالله انهم لشر قوم فى الأرض •

وقد كان الله عز وجل قال لملائكته : لا تعذبوهم حتى يشهد لوط عليهم أربع شهادات ــ فلما قال لوط هذه المقالة قال جبريل عليه السلام لأصحابه : هذه واحدة ••

وتردد القول بينهم •• حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات •• ثم دخل بهم المدينة ••

ويقال ان امرأة لوط ــ وكانت على ملة قومها ــ لمـا رأت الأضياف وجمالهم وهيئتهم •• خرجت حتى أتت مجالس قومها •• فقالت لهم : ان لوطا قد أضاف الليلة فتية ما رؤى مثلهم جمالا •• وكذا وكذا •• الخ •

فحينئذ جاءه قومه يهرعون اليه •• قاصدين أضيافه •• فقام

---

(٢٦) هود : ٧٧ ــ ٨١

اليهم لوط عليه السلام مدافعا •• يناشدهم ألا يهينوه فى أضيافه •• وألا يذلوه •• والقوم فى غيهم وضلالهم ••

فلما أصروا على ضلالهم •• عرض على سيدين من سادتهم أن يزوجهما بابنتيه « رثيا » و « زعوراء » •• راجيا أن يردا أتباعهما عن أضيافه •• خاصة وأن القوم يهابونهما ويطيعونهما •

ولكنهما ردا عليه قائلين : **« لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق »** • فضلا عن أنه ليس لنا اليهم تعلق •• ولاهن قصدنا •• ولا لنا عادة بذلك •• وانك لتعلم أننا لا نبغى سوى أضيافك !!

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : كان هذين الرئيسين قد خطبا بناته فلم يجبهما •• وأراد ذلك اليوم أن يفدى أضيافه ببناته !!

وكانت عادة القوم أن من رد فى خطبة امرأة لم تحل له أبدا •• وكان لوط عليه السلام قد ردهما من قبل •• ولذا قالا : **« لقد علمت مالنا فى بناتك من حق »** •

ويقول مجاهد وسعيد بن جبير : أشار بقوله « بناتى » الى النساء جملة •• اذ نبى القوم أب لهم ••

وعن أبى عبيدة قال : انما كان الكلام مدافعة ولم يرد امضاءه ••

وقال عكرمة : لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمته •• وانما قال لهم هذا لينصرفوا •• والله أعلم •

فلما اشتد الأمر على لوط عليه السلام •• قال يناشدهم : أليس فيكم رجل صالح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر •• ولكنهم استمروا فى غيهم وضلالهم •• فقال متفجعا مستكينا بعد أن رأى ضعفه عنهم وعدم قدرته على دفعهم : **« لو أن لى بكم قوة »** ـ أى أنصارا وأعوانا أستعين بهم على ردكم •• **« أو آوى الى ركن شديد »** ـ أى ألجأ الى عشيرة وكثرة أغالبكم بها ••

لقد طفح الكيل •• وبلغ به فعلهم الى هذا القول •• مع علمه بما عند الله تعالى من القوة والمنعة والنصر ••

عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يرحم الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد » •

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : أغلق لوط بابه •• والملائكة معه فى الدار •• وهو يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب •• وهم يعالجون تسور الجدار •• فلما رأت الملائكة ما لقى من الجهد والكرب

والنصب بسببهم قالوا : يا لوط •• ان ركنك لشديد •• وانهم آتيهم عذاب غير مردود •• وانا رسل ربك فافتح الباب ودعنا واياهم •• ففتح الباب فضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس أعينهم وعموا •• وانصرفوا على أعقابهم يقولون : النجاء ••

ثم كان من أمرهم ما قص الله علينا فى كتابه الكريم من تدميرهم وخسفهم وانزال العذاب بهم ••

فهل كان لوط عليه السلام يقف هذا الموقف العصيب •• لو كان يعلم الغيب ويعرف أنه ينافح عن ملائكة أرسلوا لهلاك القوم الظالمين ؟!

* * *

● وهذا يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام •• الكريم ابن الكريم ابن الكريم •• ظل يبكى ابنه يوسف وبنيامين حتى ابيضت عيناه •• بينما أولهما يعيش فى مصر وزيرا عزيزا •• والآخر يعيش فى كنفه آمنا مطمئنا •• وهو يحسبهما فى عداد الهلكى ••

لقد قص علينا القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام مع اخوته حين ألقوه فى الجب حسدا له وحقدا عليه ••

وقص علينا ما كان من حبسه فى السجن بضع سنين لذنب لم يرتكبه ••

وما كان من تأويله لرؤيا الملك •• وخروجه من السجن •• وتوليه منصب الوزارة ••

ثم يقول الله تعالى : **« وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ، فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين • قال اجعلنى على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم • وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين »**(٢٧) •

وجاء اخوة يوسف الى مصر يطلبون الميرة •• بعد أن أصابتهم سنى الجدب التى عمت المنطقة كلها •

ويقول تعالى : **« وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون • ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم ، ألا ترون أنى أوفى الكيل وأنا خير المنزلين • فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون • قالوا سنراود عنه أباه وانا لفاعلون »**(٢٨) •

---

(٢٧) يوسف : ٥٤ — ٥٦ (٢٨) يوسف : ٥٨ — ٦١

وكان أن أحضروا أخاهم بنيامين الى مصر .. فلما دخلوا على يوسف : « **آوى اليه أخاه ، قال انى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون** »(٢٩) .

ثم ما كان من احتجازه اياه بما أخبر الله تعالى فى القرآن الكريم .

ويعود الاخوة الى أبيهم .. تاركين بنيامين خلفهم بين يدى أخاه .. وزير مصر وعزيزها .. ثم يعتذرون الى أبيهم بما اعتذروا به ..

الا أن يعقوب عليه السلام يتولى عنهم وهو يقول : « **يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم . قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال انما أشكوا بثى وحزنى الى الله** »(٣٠) .

والمقصود .. لو كان يعقوب عليه السلام يعلم الغيب .. هل كانت عيناه تبيضان حزنا وبكاء على ولديه .. وأحدهما يتقلد فى مصر أعلى مناصبها .. والآخر يعيش فى كنفه آمنا مطمئنا ؟!

* * *

● وهذا موسى بن عمران ـــ عليه السلام ـــ اصطنعه الله لنفسه .. وصنعه على عينه .. وألقى عليه محبة منه !!

شرح صدره .. ويسر أمره .. وحل عقدة لسانه .. وكلمه تكليما !!

ثم بعثه وأخاه هارون نبيين كريمين .. وأرسلهما الى فرعون مصر ومليكها .. وأيدهما بالمعجزات الباهرة .. والآيات الدالة الناطقة !!

أنجاه من اليم صغيرا .. وشق له البحر كبيرا !!

ألقته أمه فى اليم بيديها .. فأعاده الله اليها كى تقر عينها ولا تحزن !!

كان فرعون يبحث عنه ليقتله .. فرباه فى بيته ، ثم جعل موت فرعون على يديه !!

جعل معجزته فى عصاه ويده .. وأنزل عليه كتابا من السماء فيه هدى ونور .

أنبع له من الصخرة ماء .. وأنزل عليه المن والسلوى من السماء !!

اختاره الله .. وفضله على بنى اسرائيل ..

---

(٢٩) يوسف : ٦٩

(٣٠) يوسف : ٨٤ ـــ ٨٦

يقول الله تعالى : « **قال رب اشرح لى صدرى • ويسر لى أمرى • واحلل عقدة من لسانى • يفقهوا قولى • واجعل لى وزيرا من أهلى • هارون أخى • أشدد به أزرى • وأشركه فى أمرى • كى نسبحك كثيرا • ونذكرك كثيراً • انك كنت بنا بصيراً • قال قد أوتيت سؤلك يا موسى • ولقد مننا عليك مرة أخرى • اذ أوحينا الى أمك ما يوحى • أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له ، وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى** »[٣١] •

ويقول تعالى : « **واصطنعتك لنفسى • اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى • اذهبا الى فرعون انه طغى • فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى • قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى • قال لا تخافا ، اننى معكما أسمع وأرى** »[٣٢] •

ويقول جل شأنه : « **ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين** »[٣٣] •

ومع هذا •• لم يكن عليه السلام مع ما حباه الله من فضائل •• وأسبغ عليه من نعم •• يعلم الغيب ••

خرج موسى عليه السلام من مصر هاربا •• بعد أن قتل المصرى وجد أعوان فرعون فى طلبه •• حتى ورد ماء مدين ••

وكان ما قصه القرآن الكريم من زواجه بابنة شعيب وقضاؤه الأجل المتفق عليه صداقا لها •• ثم اشتاق الى أهله •• فقفل عائدا متخفيا •• وسار بأهله وبعض أولاده قاصدا مصر ••

واتفق ذلك فى ليلة مظلمة باردة •• فتاهوا فى طريقهم فلم يهتدوا الى السلوك فى الدروب المألوفة •• وجعل يورى زناده فلا يورى شيئا •• واشتد الظلام والبرد ••

فبينما هو كذلك اذ أبصر عن بعد نارا تأجج فى جانب الطور ••

ويقول الامام ابن كثير : « **قال لأهله امكثوا انى آنست نارا** » • وكأنه — والله أعلم — رآها دونهم •• لأن هذه النار هى نور فى الحقيقة ، ولا يصلح رؤيتها لكل أحد ، « **لعلى آتيكم منها بخبر** » أى لعلى أستعلم من عندها عن الطريق « **أو جذوة من النار لعلكم تصطلون** » فدل على أنهم كانوا قد تاهوا عن الطريق فى ليلة باردة

---

(٣١) طه : ٢٥ — ٣٩ (٣٢) طه : ٤١ — ٤٦
(٣٣) القصص : ١٤

ومظلمة ، لقوله تعالى فى الآية الأخرى : « **وهل أتاك حديث موسى • اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى** »[٣٤] فدل على وجود الظـلام وكونهم تاهوا عن الطريق •• وجمع الكل فى سورة النمل فى قوله : « **اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشـهاب قبس لعلكم تصطلون** »[٣٥] •• وقد آتاهم بخبر وأى خبر ، ووجد عندها هدى وأى هدى ، واقتبس منها نورا وأى نور ؟

يقول الله تعالى : « **فلما قضى موسى الأجل وسـار بأهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعـلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون • فلما آتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين • وأن ألق عصاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ، يا موسى أقبل ولا تخف ، انك من الآمنين** »[٣٦] •

ويقول جل شأنه : « **وما تلك بيمينك يا موسى • قال هى عصاى أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى • قال ألقها يا موسى • فألقاها فاذا هى حية تسعى • قال خذها ولا تخف ، سنعيدها سيرتها الأولى** »[٣٧] •

امتثل موسى ــ عليه السلام ــ لأمر ربه •• وألقى العصا التى يعتمد عليها •• فاذا هى تصير حية عظيمة •• لها ضخامة هائلة •• وأنياب تصك •• وهى مع ذلك فى سرعة حركة الجان ــ ضرب من الحيات يقال له الجان والجنان ، وهو لطيف ولكنه سريع الاضطراب والحركة جدا ــ فجمعت عصاه بين الضخامة والسرعة الشديدة •• فلما رآها موسى عليه السلام ولى هاربا منها •• ولم يلتفت اليها •• فناداه ربه أن أقبل ولا تخف •• انك من الآمنين ••

ثم أمره تعالى بأن يتناولها •• فانه تعالى سـيعيدها سيرتها الأولى •• عصا كما كانت •• ويقال انه هابها جدا •• فأدخل يده فى كمه •• ثم وضعها فى وسط فمها •• ويقال أمسك بذنبها •• فلما استمكن منها عادت عصا ذات شعبتين كما كانت !!

---

(٣٤) طه : ٩ ، ١٠ (٣٥) النمل : ٧

(٣٦) القصص : ٢٩ ــ ٣١ (٣٧) طه : ١٧ ــ ٢١

والمقصود .. هل كان موسى يخاف عصاه التى يعرفها منذ صحبها عندما انقلبت حية .. لو كان يعلم الغيب ؟!

* * *

● وهذا داوود عليه السلام .. ألان له الله الحديد .. وعلمه صنعة الدروع .. وسخر له الجبال والطير يسبحن معه بالعشى والاشراق .. وأعطاه الملك العظيم .. وآتاه الحكمة وفصل الخطاب ..

يقول الله تعالى : « **ولقد آتينا داوود وسليمان علما ، وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين** »(٣٨) .

ويقول تعالى : « **ولقد آتينا داوود منا فضلا ، يا جبال أوبى معه والطير ، وألنا له الحديد • أن اعمل سابغات وقدر فى السرد ، واعملوا صالحا ، انى بما تعملون بصير** »(٣٩) .

ويقول جل شأنه : « **واذكر عبدنا داوود ذا الأيد ، انه أواب • انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق • والطير محشورة ، كل له أواب • وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** »(٤٠) .

عن الحسن البصرى وقتادة والأعمش قالوا : كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده لا يحتاج الى نار ولا مطرقة !!

وقال قتادة : كان أول من عمل الدروع من زرد .. وانما كانت قبل ذلك من صفائح ..

وعن ابن شوذب : أنه كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة آلاف درهم .

وقد ثبت فى الحديث الشريف أن « أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وان نبى الله داوود كان يأكل من كسب يده » .

وعن ابن عباس ومجاهد وغيرهما : أن الله تعالى وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحدا .. بحيث أنه كان اذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير فى الهواء يرجع بترجيعه .. ويسبح بتسبيحه .. وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشية !!

وعن الأوزاعى قال : حدثنى عبد الله بن عامر قال : أعطى داوود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط .. حتى ان كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشا وجوعا .. وحتى ان الأنهار لتقف !!

---

(٣٨) النمل : ١٥ (٣٩) سبأ : ١٠ ، ١١

(٤٠) سورة ص : ١٧ ــ ٢٠

ومع هذا .. لم يعرف داوود عليه السلام الملكين حين تسور عليه المحراب ليحتكما اليه .. وجلس يقضي بينهما وقد ظنهما خصمين من البشر .

يقول الله تعالى : « **وهل أتاك نبأ الخصم اذا تسوروا المحراب . اذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب** »(٤١) .

روى أن داوود عليه السلام قال يوما : يا رب .. ما من يوم الا ومن آل داوود لك فيه صائم .. وما من ليلة الا ومن آل داوود لك فيها قائم .. فأوحى الله اليه : يا داوود .. منك ذلك أو منى ؟ .. وعزتى لأكلنك الى نفسك .

قال : يا رب .. فاعف عنى .. قال : أكلك الى نفسك سنة .. قال : لا ، بعزتك .. قال : فشهرا .. قال : لا ، بعزتك .. قال : فأسبوعا .. قال : لا ، بعزتك .. قال : فيوما .. قال :لا ، بعزتك .. قال : فساعة .. قال : لا ، بعزتك .. قال : فلحظة ..

فقال له الشيطان : وما قدر لحظة ؟ .. فقال : كلنى الى نفسى لحظة .. فوكله الله الى نفسه لحظة .. وقيل له هى فى يوم كذا .. وفى وقت كذا ..

فلما جاء ذلك اليوم جعله للعبادة .. ووكل الأحراس حول مكانه — قيل كانوا أربعة آلاف ، وقيل ثلاثين ألفا ، وقيل ثلاثة وثلاثين ألفا — وخلا لعبادة ربه .. ونشر الزبور بين يديه ..

فبينما هو يقرأ الزبور .. اذ مثل الشيطان له فى صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن .. فوقعت بين رجليه .. فمد يده ليأخذها فيدفعها لابن له صغير .. فطارت غير بعيد ولم تؤيسه من نفسها ، فامتد اليها ليأخذها فتنحت عنه .. فتبعها فطارت حتى وقعت فى كوة .. فذهب ليأخذها فطارت .. ونظر داوود يرتفع فى اثرها ليبعث اليها

---

(٤١) سورة ص : ٢١ — ٢٥

من يأخذها •• فاذا به يرى امرأة فى بستان على شط بركة تغتسل •• فلما رأته غطت جسدها بشعرها •• فوقعت فى قلبه !!

ثم ان داوود عليه السلام أقدم على خطبة المرأة •• وكان أوريا ابن حنان — أحد قواده — قد خطبها لنفسه •• فمال القوم الى تزويجها من داوود راغبين فيه •• وزاهدين فى الخاطب الأول لاسيما وأنه كان غائبا فى دار الحرب !!

ولم يكن داوود عارفا بخطوبتها لأوريا — وقد كان يمكنه معرفة ذلك لو حاول فيعدل عن هذه الرغبة وعن الخطبة بها ، ولكنه لم يفعل ذلك من حيث أعجب بها •• فكانت فتنته التى فتن بها فى اللحظة التى وكله الله فيها الى نفسه ••

وقد كان لداوود عليه السلام من النساء العدد الكثير — قيل تسع وتسعون زوجة — ولم يكن لأوريا سوى هذه الخطيبة •• فلما غاب فى الحرب وخطبها داوود زوجت منه لجلالته •• فاغتم أوريا لذلك — وقيل انه مات من الغم — وعتب الله على داوود اذ لم يتركها لخاطبها ••

وبينما داوود يوما فى محرابه يتعبد •• بعث الله ملكين فى صورة انسيين — قيل هما جبريل وميكائيل — فمنعهما الحراس من الدخول •• فتسوروا المحراب عليه •• فما شعر وهو فى صلاته الا وهما بين يديه جالسين •• ففزع منهما !!

ويقول ابن العربى : « وكان محراب داوود عليه السلام من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقى اليه آدمى بحيلة الا أن يقيم عليه أياما أو أشهرا بحسب طاقته •• مع أعوان يكثر عددهم •• وآلات جمة مختلفة الأنواع » •

ولهذا لما رأى داوود الملكين فزع منهما وقال : ما أدخلكما على ؟ ••

قالا : لما لم يأذن لنا الموكلون بالحجاب •• توصلنا الى الدخول بالتسور •• وخفنا أن يتفاقم الأمر بيننا ••

فقبل داوود عذرهما وأصغى الى قولهما ••

قالا : **« لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط »** — أى : لا تجر ••

يقول الماوردى : لما كانا ملكين •• ولم يكونا خصمين ولا

باغيين .. ولا يأتى منهما كذب .. فان تقدير كلامهما : ما تقول ان أتاك خصمان وقالا بغى بعضنا على بعض ؟ ..

فتكلم أحدهما عن آوريا فقال : **« ان هذا اخى »** — أى على دينى ، وأشار الى المدعى عليه — **« له تسع وتسعون نعجة »** — كناية عن النساء — **« ولى نعجة واحدة »** - أى امرأة واحدة — **« فقال أكفلنيها »** — أى انزل لى عنها حتى أكفلها — **« وعزنى فى الخطاب »** — أى غلبنى ..

فقال داوود عليه السلام : **« لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وأن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم »** .

فلما قضى بينهما على هذا النحو .. نظر أحدهما الى صاحبه فضحك — وقيل ان المدعى عليه هو الذى ضحك — ولم يفطن داوود للأمر .. فأحبا أن يعرفهما .. فصعدا الى السماء حيال وجهه ..

وقيل : انه سمع ملكا يقول له : فهلا قضيت بذلك على نفسك يا داوود ؟

عندئذ علم داوود عليه السلام أن الله تعالى قد ابتلاه .. فسجد خاضعا لربه .. معترفا بذنبه .. تائبا عن خطيئته ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : ان داوود مكث أربعين ليلة ساجدا .. حتى نبت العشب من دموعه على رأسه .. وأكلت الأرض من جبينه .. وهو يقول فى سجوده : يا رب .. داوود زل زلة بعد بها ما بين المشرق والمغرب .. رب ان لم ترحم ضعف داوود وتغفر ذنبه .. جعلت ذنبه حديثا فى الخلق من بعده .. فقال له جبريل بعد أربعين يوما : يا داوود .. ان الله قد غفر لك ..

وكانت هذه هى فتنة داوود الثانية .. فقد قضى لأحد الخصمين دون أن يسمع دفاع الآخر .. وكان العدل يقتضيه أن يسمع دفاع المدعى عليه .. فقد يكون الحق معه .. أن تكون النعجة له ، وأن الآخر قد اغتصب منه هذه الواحدة ، وأنه عندما ضمها الى نعاجه يكون قد استرد حقه .. ولكنه عليه السلام لم يفعل !!

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر » ..

والمقصود .. أن نبى الله داوود — مع مكانته وما وصفه الله

تعالى به •• لم يعرف أن المـــرأة التى تزوجها كانت مخطوبة لغيره •• كما لم يعرف حقيقة الملكين اللذين تسوروا عليه المحراب •• بل جلس يقضى بينهما وهو يظن أنهما خصمان من البشر[٤٢] !!

* * *

● وهذا سليمان بن داوود عليهما السلام •• آتاه الله الحكمة صغيرا •• ومنحه الملك والنبوة •• وسخر له الريح •• وأخضع له الجن •• وعلمه منطق الطير •• وآتاه من كل شىء علما •• ووعده بالزلفى وحسن المآب ••

يقول الله تعالى : **« وورث سليمان داوود ، وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء ، ان هذا لهو الفضل المبين »**[٤٣] .

ويقول : **« ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الأرض التى باركنا فيها ، وكنا بكل شىء عالمين • ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك ، وكنا لهم حافظين »**[٤٤] .

ويقول جل شأنه : **« قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى ، انك أنت الوهاب • فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب • والشياطين كل بناء وغواص • وآخرين مقرنين فى الأصفاد • هذا عطاؤنا فامنن أو أمســك بغير حساب • وان له عندنا لزلفى وحسن مآب »**[٤٥] .

ويقول جل وعلا : **« وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون • حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نمـلة يا أيها النمل ادخـلوا مساكنكم لا يحطمنكم ســليمان وجنوده وهم لا يشعرون • فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشــكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين »**[٤٦] .

---

(٤٢) عن الجامع لأحكام القرآن للامام القرطبى بتصرف كبير .. فقد اورد الامام القرطبى فى تفسير هذه الآيات كثيرا من الروايات .. هى من قبيل الاسرائيليات التى لا يطمئن القلب اليها .. ولهذا تصرفنا فى استخراج هذا النص المستشهد به ..

(٤٣) النمـل : ١٦
(٤٤) الانبياء : ٨١ ، ٨٢
(٤٥) سورة ص : ٣٥ ــ ٤٠
(٤٦) النمل : ١٧ ــ ١٩

ومع كل هذا •• لم يكن سليمان عليه السلام يعلم الغيب •• فلم يعرف حين تفقد الطير أين غاب الهدهد •• حتى أخبره الهدهد بنفسه !!

يقول تعالى : « **وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين • لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين • فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين** »[٤٧] •

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان الهدهد مهندسا يدل سليمان عليه السلام على المـــاء اذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له المـــاء فى تخوم الأرض •• كما يرى الانسان الشىء الظاهر على وجه الأرض •• ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض •• فاذا دلهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا ذلك المكان حتى يستنبط المـــاء من قراره •

فنزل سليمان عليه السلام يوما بفلاة من الأرض •• فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم يره •• فقال . « **مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين** » ؟

فقام رجل من الخوارج يقال له نافع بن الأزرق — وكان كثير الاعتراض على ابن عباس — وقال : قف يا ابن عباس •• غلبت اليوم • قال : ولم ؟ قال : أتخبر عن الهدهد أنه يرى المـــاء فى تخوم الأرض •• وأن الصبى ليضع الحبة فى الفخ ويحثو على الفخ ترابا •• فيجىء الهدهد ليأخذها فيقع فى الفخ فيصيده الصبى •• فقال ابن عباس : لولا أن يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لمـــا أجبته •• ثم قال له : ويحك •• انه اذا نزل القدر عمى البصر وذهب الحذر •• فقال له نافع : والله لا أجادلك فى شىء من القرآن أبدا !!

وقال محمد بن اسحاق : كان سليمان عليه السلام اذا غدا الى مجلسه الذى كان يجلس فيه تفقد الطير •• وكان فيما يزعمون يأتيه نوب من كل صنف من الطير •• كل يوم طائر •• فنظر فرأى من أصناف الطير كلها من حضره •• الا الهدهد •• فقال : ماله أخطأه بصرى من الطير •• أم غاب فلم يحضر ؟ ••

وتوعده بنتف ريشه والقاؤه فى الشمس يأكله النمل •• أو بقتله

---

(٤٧) النمل : ٢٠ — ٢٢

ان لم يأته بعذر بين واضح •• فلما قدم الهدهد قالت له الطير : ما خلفك ؟ •• فقد نذر سليمان دمك •• فقال : هل استثنى ؟ قالو : نعم •• قال : « **لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبيـــن** » •• قال : نجوت اذن ••

يقول الله تعالى : « **فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين • انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم • وجدتها وقومها يســـجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون • ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون • الله لا اله الا هو رب العرش العظيم • قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين** »(٤٨) •

فهل كان سليمان عليه السلام يجهل أمر الهدهد لو كان يعلم الغيب ؟ !

* * *

● وهذه مريم ابنة عمران عليها السلام •• نذرتها أمها وهى فى بطنها لله •• فتقبلها ربها بقبول حسن •• واصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين ••

شهد لها الله وبرأها •• وكانت الملائكة تأتيها برزقها رغـدا فى محرابها ••

يقول الله تعالى : « « **اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى ، انك أنت السميع العليم • فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ، وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم • فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا** »(٤٩) •

ويقـــول : « **واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين • يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين** »(٥٠) •

---

(٤٨) النمل : ٢٢ ـــ ٢٧

(٤٩) آل عمران : ٣٥ ـــ ٣٧

(٥٠) آل عمران : ٤٢ ، ٤٣

ويقول جل شأنه : **« كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »**(٥١) .

ومع هذا لم تكن تعلم الغيب .. ففزعت عندما تمثل لها روح الله بشرا سويا .. فتعوذت منه .. ثم تمنت الموت لنفسها حين رأت وليدها وخافت من اتهام قومها !!

يقول تعالى : **« واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا أليها روحنا فتمثل لهـا بشرا سويا . قالت انى أعـوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . قالت أنى يكون لى غـلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضيا »**(٥٢) .

عندما أراد الله تعالى جلت قدرته أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام .. أحد الرسل أولى العزم الخمسة العظام .. اعتزلت اهلها وتنحت عنهم .. وذهبت الى شرقى المسجد المقدس — قيل لحيض أصابها .. وقيل لغير ذلك — وقال محمد بن اسحاق : ذهبت بقلتها لتستقى المـاء .. فاستترت من أهلها وتوارت .. فأرسل الله تعالى اليها جبريل عليه السلام فى صورة انسان تام كامل .. فلما رأته وهى فى مكان منفرد ، وبينها وبين قومها حجاب .. خافته وظنت أنه يريدها على نفسها .. فقالت : **« انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا »** — أى ان كنت تخاف الله — فقال لها الملك مجيبا لها ومزيلا لمـا حصل عندها من الخوف على نفسها : **« انما أنا رسول ربـك »** — أى لست مما تظنين .. ولكنى رسول ربك بعثنى اليك ليهب لك غلاما زكيا ..

ويقول جل شأنه : **« فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسـيا منسيا »**(٥٣) .

---

(٥١) آل عمران : ٣٧

(٥٢) مريم : ١٦ — ٢١

(٥٣) مريم : ٢٢ ، ٢٣

فتمنت الموت لنفسها .. لأنها عرفت أنها ستبتلى وتمتحن بهذا المولود الذى لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد .. ولا يصدقونها فى خبرها .. وبعد أن كانت عندهم عابدة ناسكة .. تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية .. فتمنت لو أنها ماتت قبل هذا الحال .. أو أنها لم تخاق ولم تك شيئا ..

فهل كانت عليها السلام لتجهل أمر جبريل عليه السلام .. أو تتمنى الموت بعد أن تلقت بشارة الملائكة بوليدها العظيم .. لو كانت تعلم الغيب ؟!

* * *

*** حادثة الافك :**

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه .. فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ..

قالت عائشة : فأقرع بيننا فى غزوة غزاها .. فخرج سهمى .. فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل الحجاب .. فأنا أحمل فى هودجى وأنزل فيه .. فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل .. ودنونا من المدينة قافلين .. آذن ليلة بالرحيل ..

فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش .. فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى .. فاذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع .. فالتمست عقدى وحبسنى ابتغاؤه .. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت ركبت وهم يحسبون أنى فيه ..

وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم .. انما تأكل العلقة من الطعام .. فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه .. وكنت جارية حديثة السن .. فبعثوا الجمل وساروا ..

فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش .. فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب .. فأممت منزلى الذى كنت به .. وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون الى .. فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت ..

وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش .. فأدلج فأصبح عند منزلى .. فرأى سواد انسان نائم .. فأتانى فعرفنى حين رآنى .. وكان يرانى قبل الحجاب .. فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى .. فخمرت وجهى بجلبابى .. والله ما كلمنى كلمة .. ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتى أناخ راحلته فوطىء على يديها فركبتها ..

فانطلق يقود بى الراحلة .. حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة .. فهلك من هلك .. وكان الذى تولى الافك عبد الله بن أبى بن سلول ..

فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا .. والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك .. لا أشعر بشىء من ذلك وهو يريبنى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كان فيه حين أشتكى .. انما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم .. ثم يقول : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف .. فذاك الذى يريبنى ولا أشعر ..

حتى خرجت بعد ما نقهت .. فخرجت معى أم مسطح قبل المناصع — وهو متبرزنا — وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل .. وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا .. وأمرنا أمر العرب الأول فى التبرز قبل الغائط .. فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا .

فانطلقت أنا وأم مسطح .. وهى ابنة أبى رهم بن عبد مناف .. وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق .. وابنها مسطح ابن أثاثة .. فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى .. قد فرغنا من شأننا .. فعثرت أم مسطح فى مرطها .. فقالت : تعس مسطح ..

فقلت لها : بئس ما قلت .. أتسبين رجلا شهد بدرا ؟

قالت : أى هنتاه .. أو لم تسمعى ما قال ؟

قلت : وما قال ؟ .. فأخبرتنى بقول أهل الافك .. فازددت مرضا على مرضى .. فلما رجعت الى بيتى ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم — تعنى سلم — ثم قال : كيف تيكم ؟ .. فقلت : أتأذن لى أن آتى أبوى ؟ ..

قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ..

قالت : فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فجئت أبوى ••
فقلت لأمى : يا أمتاه •• ما يتحدث الناس ؟
قالت : يا بنية •• هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجلها يحبها ولها ضرائر •• الا كثرن عليها ••
قالت : فقلت : سبحان الله •• ولقد تحدث الناس بهذا ؟
قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع •• ولا أكتحل بنوم •• حتى أصبحت أبكى ••
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وأسامة ابن زيد رضى الله عنهما — حين استلبث الوحى — يستأمرهما فى فراق أهله ••
قالت : فأما أسامة بن زيد •• فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة أهله •• وبالذى يعلم لهم فى نفسه من الود •• فقال : يا رسول الله •• أهلك وما نعلم الا خيرا ••
وأما على بن أبى طالب •• فقال : يا رسول الله •• لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير •• وان تسأل الجارية تصدقك ••
قالت : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال : أى بريرة •• هل رأيت من شىء يريبك ؟
قالت بريرة : لا والذى بعثك بالحق •• ان رأيت عليها أمـرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن •• تنام عن عجين أهلها •• فتأتى الداجن فتأكله !!
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر يومئذ من عبد الله ابن أبى بن سلول ٠ قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر : « يا معشر المسلمين •• من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى •• فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا •• ولقـد ذكروا رجلا ما علمت عليه الا خيرا •• وما كان يدخل على أهلى الا معى » ••
فقام سعد بن معاذ الأنصارى فقال : يا رسول الله •• أنا أعذرك منه •• ان كان من الأوس ضربت عنقه •• وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك •••
قالت : فقام سعد بن عبادة — وهو سيد الخزرج — وكان قبل

ذلك رجلا صالحا •• ولكن احتملته الحمية •• فقال لسعد : كذبت لعمر الله •• لا تقتله ولا تقدر على قتله !!

فقام أسيد بن حضير — وهو ابن عم سعد — ابن معاذ — فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله •• لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين !!

فتثاور الحيان الأوس والخزرج •• حتى هموا أن يقتتلوا •• ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر •• فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا •• وسكت ••

قالت : فمكثت يومى ذاك لا يرقأ لى دمع •• ولا أكتحل بنوم •• قالت : فأصبح أبواى عندى •• وقد بكيت ليلتين ويوما •• لا أكتحل بنوم •• ولا يرقأ لى دمع •• يظنان أن البكاء فالق كبدى ••

قالت : فبينما هما جالسان عندى ، وأنا أبكى •• فاستأذنت على امرأة من الأنصار •• فأذنت لها •• فجلست تبكى معى ••

قالت : فبينا نحن على ذلك •• دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس •• قالت : ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها •• وقد لبث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى ••

قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس •• ثم قال : « أما بعد •• يا عائشة ، فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا •• فان كنت بريئة فسيبرئك الله •• وان كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه •• فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب الله عليه » ••

قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة •• فقلت لأبى : أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال !!

قال : والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم !!

فقلت لأمى : أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم !!

قالت : ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم !!

قالت : فقلت — وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن — انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به •• فلئن قلت لكم انى بريئة ، والله يعلم أنى بريئة لا تصدقونى بذلك •• ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أنى منه بريئة

لتصدقنى •• والله ما أجد لكم الا قول أبى يوسف قال : « **فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون** »[٥٤] ••

قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشى •• قالت : وأنا حينئذ أعلم أنى بريئة •• وأن الله مبرئى ببراءتى •• ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل فى شأنى وحيا يتلى •• ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى •• ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها ••

قالت : فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت •• حتى أنزل عليه •• فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء •• حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق •• وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى ينزل عليه •• قالت : فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •• سرى عنه وهو يضحك ••فكانت أول كلمة تكلم بها : « يا عائشة •• أما الله عز وجل فقد برأك » •

فقالت أمى : قومى اليه ••

قالت : فقلت : والله لا أقوم اليه •• ولا أحمد الا الله عز وجل ••

وأنزل الله تعالى : « **ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم • لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين • لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ، فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون • ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم • اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم • ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم • يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين • ويبين الله لكم الآيات ، والله عليم حكيم • ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون • ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم** »[٥٥] •

* * *

---

(٥٤) يوسف : ١٨

(٥٥) النور : ١١ — ٢٠ — والحديث رواه البخارى بطوله ••

هذه عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — الصديقه بنت الصديق •• وأحب نساء النبى اليه •• لم تعرف بافك الآفكين فى حقها •• حتى أخبرتها أم مسطح — بعد شهر كامل — والمدينة كلها ترجف بهذا الحديث !!

وهذا على بن أبى طالب — رضى الله عنه — أول من أسلم من الصبيان •• كرم الله وجهه فلم يسجد لصنم قط •• ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم •• وصهره •• لم تتضح له براءة أم المؤمنين •• وأشار بطلاقها فالنساء كثيرات !!

وهذا أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم •• وصاحبه وحبيبه •• ثانى اثنين اذ هما فى الغار •• لم يدر كيف يدافع عن ابنته لدى زوجها صلى الله عليه وسلم !!

بل •• وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه •• لبث عنه الوحى شهرا كاملا •• فلم يعرف براءة زوجه الحبيبة برغم المحنة الشديدة التى عاشها •• فراح يستشير أسامة وعليا •• ويسأل عنها بريرة •• حتى أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات !!

فهل لقائل بعد هذا — مهما كان شأنه — أن يدعى العلم بالغيب •• أو أن حجابه قد كشف عنه ؟؟

❋ ❋ ❋

❋ والجن أيضا لا يعلمون الغيب :

يقول الله تعالى : ((**ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير • يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، اعملوا آل داوود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور • فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين**))(٥٦) •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى •• فأمكننى

---

(٥٦) سبأ : ١٢ — ١٤

الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم .. فذكرت دعوة أخى سليمان : « **رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى ، انك أنت الوهاب** »[٥٧] فرددته خاسئا »[٥٨] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك .. ألعنك بلعنة الله » — ثلاثا — وبسط يده كأنه يتناول شيئا .. فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله .. قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك !! قال : « ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات .. ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات .. ثم أردت أخذه .. والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة »[٥٩] .

وعن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الجن على ثلاثة أصناف .. صنف له أجنحة يطيرون فى الهواء .. وصنف حيات وكلاب .. وصنف يحلون ويظعنون »[٦٠] .

وذكر ابن أبى حاتم أن ابن أنعم قال : « الجن ثلاثة أصناف .. صنف لهم الثواب وعليهم العقاب .. وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض .. وصنف حيات وكلاب » .

وذكر أيضا عن الحسن قال : « الجن ولد ابليس والانس ولد آدم .. ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون .. وهم شركاؤهم فى الثواب والعقاب .. ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولى الله تعالى .. ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان » .

وقد سخر الله تعالى لسليمان عليه السلام من الجن الغواصين الذين يغوصون فى الماء لاستخراج ما فى البحار من الجواهر واللآلىء مما لا يوجد الا فى أعماق البحار .. والطيارين الذين يطيرون فى الهواء فيأتونه بأخبار الأمم .. والعمال الذين يعملون له ما يشاء .. لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته .. ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به ..

---

(٥٧) سورة ص : ٣٥

(٥٨) رواه البخارى .

(٥٩) رواه مسلم .

(٦٠) رواه ابن ابى حاتم .

ويخبرنا الله تعالى أنهم كانوا يبنون له المعابد والقصور الشاهقة ٠٠ ويقيمون له التماثيل من النحاس وغيره ــ وكان هذا سائغا فى شريعتهم ــ وينشئون له الجفان فى حجم الأحواض الضخمة ٠٠ ويعملون القدور الثابتة الراسخة فى أماكنها فلا تتحرك ولا تتحول عنها لعظمها وضخامتها٠٠

ومع كل هذا ٠٠ فان الجن لا يعلمون الغيب ٠٠

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان سليمان عليه السلام يتجرد فى بيت المقدس السنة والسنتين ٠٠ والشهر والشهرين ٠٠ وأقل من ذلك وأكثر ٠٠ يدخل طعامه وشرابه ٠٠ فأدخله فى المرة التى توفى فيها ٠٠

فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت فى بيت المقدس شجرة ٠٠ فيأتيها فيسألها : ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمى كذا وكذا ٠ فان كانت لغرس غرسها ٠٠ وان كانت نبتت دواء قالت : نبت دواء كذا وكذا ، فيجعلها كذلك ٠

حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة ٠٠ فسألها : ما اسمك ؟ فقالت : أنا الخروبة ٠ فقال : ولأى شىء نبت ؟ فقالت : نبت لخراب هذا المسجد ٠٠

فقال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حى ٠٠ أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ٠٠

فنزعها وغرسها فى حائط له ٠٠ ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه ٠٠ فمات ٠٠ ولم تعلم به الشياطين ٠٠ وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم ٠٠

وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ٠٠ وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه ٠٠ فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول : ألست جليدا ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب ٠٠ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر ٠٠

فدخل شيطان من أولئك فمر ــ ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام وهو فى المحراب الا احترق ــ فلم يسمع صوت سليمان ٠٠ ثم رجع فلم يسمع ٠٠ ثم رجع فوقع فى البيت ولم يحترق ٠٠ ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا ٠٠ فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ٠٠

ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته ــ وهى العصا بلسان الحبشة ــ قد أكلتها الأرضة ٠٠ ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا

الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة •• ثم حسبوا على هـذا النحو فوجدوه قد مات منذ سنة !!

وعن ابن مسعود : فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا •• فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون •• ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له ذلك ••

وذلك قول الله عز وجل : **« ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خـر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين »**(٦١) ••

يقول : تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ••

ثم ان الشياطين قالوا للأرضة : لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام •• ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب •• ولكنا سننقل اليك المـاء والطين •• قال : فانهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت •• ألم تر الى الطين الذى يكون فى جوف الخشب •• فهو ما يأتيها به الشيطان تشكرا لها !!

يقول الامام ابن كثير : وهذا فيه من الاسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب ••

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال :

قال سليمان لملك الموت : اذا أمرت بى فأعلمنى •• فأتاه فقال : يا سليمان •• قد أمرت بك ، وقد بقيت لك سويعة ••

فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب •• فقام يصلى فاتكأ على عصاه •• قال : فدخل علية ملك الموت فقبض روحه وهو متوكىء على عصاه •• ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت ••

قال : والجن تعمل بين يديه •• وينظرون اليه يحسبون أنه حى ••

قال : فبعث الله دابة الأرض ـ يعنى الى منسأته ـ فأكلتهـا حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها •• فخر •• فلمـا رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا ••

وصدق الله العظيم •• لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين •••

* * *

---

(٦١) سبأ : ١٤

مزاعم وأباطيل

لنا أن نتساءل .. ماذا لو كان الأنبياء يعلمون الغيب ؟

أكان آدم عليه السلام يأكل من الشجرة .. فى حين أن خروجه من الجنة مرتب على أكله منها ؟!

وهل كان نوح عليه السلام يراجع ربه فى أمر ابنه .. فى حين أنه مكتوب فى عداد العاصين الهالكين ؟!

أكان ابراهيم عليه السلام يذبح العجل للملائكة .. وهو يعلم أن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ؟!

وهل كان لوط عليه السلام يستميت دفاعا عن ضيوفه ، ويقف فى وجه قومه .. وهم ملائكة أرسلهم الله لاهلاكهم ؟!

أكانت عينا يعقوب عليه السلام تبيضان من البكاء والحزن .. فى حين أن ابنه وزير فى مصر يأمر ويحكم فيها ؟!

وهل كان موسى عليه السلام يفزع من عصــاه .. فى حين أنها سوف تعود عصا كما كانت ؟!

أكان داوود عليه السلام يجلس للقضاء بين الخصمين .. وقد أرسلا فتنة له فلم يعرف أنهما من رؤساء الملائكة ؟!

وهل كان سليمان عليه السلام يبحث عن الهدهد حين تفقد الطير فلم يجده فيتوعده بأشد العقاب .. وهو يعلم أنه فى ســبأ يطالع أحوالها ؟!

أكانت مريم عليها السلام تفزع وتتعوذ من جبريل .. فى حين أنه روح الله ؟!

وهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشير أسامة وعليــا فى أمر زوجه ويسأل عنها بريرة .. وهى أطهر نساء الأرض ؟!

الحق .. أن الأنبياء لا يعلمون من الغيب الا بالقدر الذى ارتضاه الله لهم وأوحاه اليهم ..

كما أن الملائكة بدورهم لا يعلمون الغيب ..

والجن كذلك .. لا يعلمون الغيب .. فلا يعلم الغيب الا الله وحده ..

* * *

ثم يأتى بعد ذلك أقوام •• ينسبون لأنفسهم من خوراق العادات ما لم يأت به الأنبياء والمرسلون !!

ويقول قائلهم[1] : « أخذتم علمكم ميتا عن ميت •• وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت » !!

يعنون بذلك أن المسلمين قد أخذوا علمهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخذه بدوره عن جبريل عليه السلام •• فى حين أنهم يأخذون علمهم عن الله مباشرة !!

وفى اعتقادهم أنهم يرون الله تعالى فى صحوهم وفى منامهم •• فيتحدث اليهم ويتحدثون اليه ••

ويقول قائلهم[1] : « رأيت رب العزة فى المنام فقال لى : كل الناس يطلبون منى غير أنك تطلبنى » !!

سبحانك ربى •• هذا بهتان عظيم ••

فهذا موسى عليه السلام خاطبه الله •• ولكنه لم يره ••

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رفعه الله الى أعلا سماء •• ولكنه لم يره •• ثم يزعم زاعمهم أنه أوتى ما لم يؤت موسى أو محمد عليهما الصلاة والسلام !!

عن أبى موسى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حجابه النور — وفى رواية « النار » — لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه — أى أنوار وجهه — ما انتهى اليه بصره من خلقه »[2] .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : **« لا تدركه الأبصار »**[3] : « **ذاك نوره الذى هو نوره •• اذا تجلى لشىء لا يقوم له شىء** » ••

وهذا موسى عليه السلام نبى الله وكليمه •• مع ما أوتى من منزلة عالية •• ومرتبة سنية •• لما سمع خطاب الله تعالى سأله رفع الحجاب •• فأنبأه تعالى بأنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى •• لأن الجبل نفسه الذى يقف عليه •• والذى هو أقوى وأكبر ذاتا •• وأشد ثباتا من الانسان لا يثبت عند التجلى من الله الرحمن ••

---

(١) هو ابو يزيد البسطامى .　　(٢) متفق عليه .
(٣) الأنعام : ١٠٣

يقول الله تعالى : **« ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك ، قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين »**[4] .

تجلى تعالى بعظمته للجبل .. فلم يتمالك وأقبل فدك على أوله .. ورأى موسى عليه السلام ما يصنع الجبل فخر صعقا ..

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : **« فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا »** قال : « هكذا ــ باصبعه ووضع الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر ــ فساخ الجبل »[5] .

وذكر السدى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم قال : « ما تجلى ــ يعنى من العظمة ــ منه الا قدر الخنصر فجعل الجبل دكا .. قال : ترابا **« وخر موسى صعقا »** أى مغشيا عليه .. وقال قتادة : ميتا » ..

وهؤلاء السبعون من علماء بنى اسرائيل الذين اختارهم موسى لميقات ربه .. وأصعدهم معه الجبل .. حتى يعتذروا عمن بقى حيا من عبدة البقرة .. وليستغفروا لهم حتى يرفع الله عنهم القتل ..

لما سألوا موسى عليه السلام أن يروا الله تعالى .. رجف بهم الجبل وأخذتهم الصاعقة .. ثم بعثهم الله من بعد موتهم ..

يقول تعالى : **« واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون »**[6] .

وقال فى الأعراف : **« واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا »**[7] .

حدث ما أنبأنا به الله تعالى لموسى عليه السلام وللسبعين الذين اختارهم ــ وفيهم هارون ويوشع وناذاب وأبيهو ، وهم أفضل علماء بنى اسرائيل ــ فقد سألوا الله تعالى أمرا عظيما .. سألوه كشف الحجاب لهم .. فلم تستطع بشريتهم الصمود أمام تجلى عظمته سبحانه وتعالى ...

---

(٤) الأعراف : ١٤٣ — (٥) رواه احمد .

(٦) البقرة : ٥٥ ، ٥٦ — (٧) الأعراف : ١٥٥

ولم يره موسى •• ولم يره علماء بنى اسرائيل المختارون •• فهل يتاح لغيرهم ــ مهما عظمت منزلته ــ ما ضعف عنه موسى ومن معه ؟ !

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم •• لم ير ربه ليلة أسرى به الى المسجد الأقصى وعرج به الى ما فوق السموات العلا ••

عن مسروق رضى الله عنه قال : كنت متكئا عند عائشة ــ رضى الله عنها ــ فقالت : يا أبا عائشة •• ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ••

قلت : ما هن يا أم المؤمنين ؟

قالت : من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ••

قال : وكنت متكئا فجلست فقلت : يا أم المؤمنين •• أنظرينى ولا تعجلينى •• ألم يقل الله عز وجل : « **ولقد رآه بالأفق المبين** »[8] ويقول : « **ولقد رآه نزلة أخرى** »[9] ؟

قالت : أو لم تسمع أن الله تعالى يقول : « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** »[10] .

أو لم تسمع أن الله تعالى يقول : « **وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء ، انه على حكيم** »[11] .

وروى مسلم عن أبى ذر رضى الله عنهما قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال : « نور •• أنى أراه » ؟!

وقيل فى تفسير قوله تعالى : « **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** »[12] : أنه رأى فيما رأى من آيات الله وعجائبه العظمى : جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى فى صورته له ستمائة جناح » •• وقد جعل الله ما عاينه الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من العجائب امتحانا واختبارا للناس •• يزداد به ايمان المؤمن •• وكفر الكافر ••

---

(٨) التكوير : ٢٣ (٩) النجم : ١٣
(١٠) الأنعام : ١٠٣
(١١) الشورى : ٥١ ــ والحديث رواه مسلم .
(١٢) النجم : ١٨

فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .. ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار .. والرؤية — ولو فى المنام — تقتضى التجسيم والتشبيه .. فكيف يرون الله تعالى ؟ .. وعلى أى صورة يرونه فيها ؟ .. وبأى لسان يخاطبهم وأى وحى أنزله اليهم ؟!

ان الرؤيا فى أغلب أحوالها انعكاس لما يعتمل فى أعماق النفس البشرية من أفكار وخيالات .. ثم تطفو حال النوم بحسب تصور الرائى واعتقاده .. فهم انما رأوا أعماق نفوسهم وخيالاتهم وأوهامهم .. فما رأوا الله ولا تحدث اليهم ..

انما ذلكم الشيطان سول لهم .. فأضلهم وأعمى أبصارهم !!

* * *

ثم يزعمون أنهم يعلمون الغيب .. وأن حجابه قد كشف عنهم .. فيشركون أنفسهم بذلك فى خاصية هى من خواص الله تعالى وحده .. لم تتأت لملك من الملائكة .. أو لنبى من الأنبياء .. أو لانسى أو جنى !!

ثم ينسبون لأنفسهم القدرة على التصرف فى أمور الناس .. يعطونهم ويمنعونهم .. يحيون من يشاءون منهم ويميتون .. يسلبون الناس ايمانهم ويمنحونهم اياه .. يمشون على الماء .. ويطيرون فى الهواء .. ويحولون التراب ذهبا .. ويحيلون الناس مسوخا وحيوانات !!

هل هذا هو الاسلام الذى أنزله الله على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ؟!

هل هذا هو الدين الحق منذ بعث الله تعالى الرسل حتى يرث الأرض ومن عليها ؟!

ان الدين عند الله الاسلام ..

والاسلام دين توحيد كامل ..

انهم يسمون توحيدنا أوحالا .. ويبتهلون الى ربهم أن ينتشلهم من أوحال التوحيد .. وأن يغرقهم فى بحار الوحدة !!

ويقولون فى أورادهم : « اللهم انشلنى من أوحال التوحيد ، وأغرقنى فى عين بحر الوحدة .. حتى لا أرى ولا أجد ولا أحس الا بها » !!

والحقيقة عندهم أن ربهم هو النواة التى خرج منها الكون كله .. وان أسماءه وصفاته هى أجزاء هذا الكون ومظاهره من كل ناطق

وصامت •• وساكن ومتحرك •• ويقولون ان كل عابد مهما عبد من انسان وحجر وشجر وكوكب وحيوان فما عبد الا ربهم ••

اسمع لقائلهم[١٣] وهو يقول عن الله تعالى :

وان عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء فى الأخبار فى كل حجـة
فما عبدوا غيرى وما كان قصدهم سواى وان لم يضمروا عقد نيتى

واسمع الى الآخر[١٤] يقول عن نفسه :

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى اذا لم يكن دينى الى دينه دانى
فأصبح قلبى قابـلا كل حـالة فمرعى لغزلان وديـر لرهبـان
وبيت لأوثـان وكعبـة طـائف وألواح تـوراة ومصحف قـرآن

واسمع الى الثالث[١٥] يقول عن نفسه :

لى الملك فى الدارين لم أر فيهمـا سواى فأرجو فضله أو فأخشاه
وقد حزت أنواع الكمال ، وانني جمال جـلال الكل ما أنا الا هـو

• • • • • • • • • • • • •

وانى رب للأنـام وسـيد جميع الورى اسم وذاتى مسماه

والى الرابع[١٦] وهو يقول :

أنا من أهـوى ومن أهـوى أنا نحن روحـان حللنـا بدنـا
فـاذا أبصـرتنى أبصـرته واذا أبصـرته أبصرتنـا

الوجود عندهم وحـدة واحدة •• انبثق من نـواة واحدة •• ويزعمون أنه سوف يعود الى نواته يوم القيامة •• فمن ثم فلا جنة ولا نار •• ولا ثواب ولا عقاب •• فمن يثيب من ؟ •• ومن يعاقب من ؟•• ما دام الكل فى واحد !!

فهل للائم أن يلومنا •• حين نقول : ان هؤلاء الناس ــ وهذه أفكارهم وعقيدتهم ــ قد خرجوا عن الدين •• ومرقوا منه كما يمرق السهم من قوسه ؟

انهم يسمون هذا شطحا •• وأنه تنتابهم أحوال ومواجيد فلا يدرون بما ينطقون •• وأن عقيدتهم لا تقرأ فى الكتب •• ولا تتلقى عن الأنبياء •• انما هى معنى يقذفه الله فى القلوب ••

ان هذا هو الجنون بعينه ان لم يكن هو الكفر !!

---

(١٣) هو محمد المغربى الشاذلى .
(١٤) هو ابن عربى .
(١٥) هو الجيلى فى الانسان الكامل .
(١٦) هو الحلاج .

فماذا تسمى القائل[17] :

وما الكلب والخنزير الا الهنا   وما الله الا راهب فى كنيسة

أستغفر الله .. وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ..

وأى اسم نطلقه على الآخر[18] حين يقول :

فيحمدنى وأحمده   ويعبدنى وأعبده

أو يقول : « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها » !!

لقد كان أبو يزيد البسطامى عندما يسمع القارىء يتلوا : « أن بطش ربك لشديد » يقول : « وعزتى وجلالى .. ان بطشى لأشد من بطشه » !!

ويروى عنه أنه قال : « قلت يوما : سبحان الله .. فنادانى الخالق فى سرى : هل فى عيب تنزهنى عنه ؟ قلت : لا يا رب .. قال : فنفسك نزه عن ارتكاب الرذائل .. فأقبلت على نفسى بالرياضة حتى تنزهت عن الرذائل .. وتحلت بالفضائل .. فصرت أقول : « سبحانى سبحانى .. ما أعظم شانى .. الجنة لعبة صبيان » (!!) .

ماذا نسمى مثل هذه الأقوال الشاذة .. أهى تجليات وكشف .. أم شطحات محب .. أم جنون وخبال .. ان لم تكن كفر وضلال ؟

ولكنه الزعم بوحدة الوجود .. والادعاء بأن العبد رب والرب عبد .. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ..

وذلك الذى كان يتشوش من قول المؤذن « الله أكبر » .. فيرجمه ويقول : عليك يا كلب .. نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا (!!)

ثم يقول لخادمه : أوصيك أن لا تفعل الخير فى هذا الزمان .. فينقلب عليك بالشر(!!)

أو ذلك الذى ينادى خادمه وهو يصلى .. فان لم يجبه ضربه وقال له : كم أقول لك لا تعد تصلى هذه الصلاة المشئومة(!!)

أهذا هو بحر الوحدة .. الذى يرجون أن يغرقوا فى عينه حتى لا يروا ، ولا يجدوا ، ولا يحسوا الا بها !!

---

(١٧) هو محمد بهاء الدين العطار فى النفحات القدسية .

(١٨) هو ابن عربى .

اللهم انهم يسمون توحيدنا أوحالا •• ويسمون عقيدتهم وحدة !!
اللهم فأغرقنا فى أوحال التوحيد •• كما يسمونها ••
وأنقذنا من بحار الوحدة •• التى يزعمونها !!

* * *

وما نفتات على القوم •• أو نرسل الكلام من عند أنفسنا •• انما كلامهم هذا مسطور فى كتبهم التى يتداولها الناس •• ويتناقلونه كابرا عن كابر •• ويلقونه الى أتباعهم فيبثون السموم فى أفكارهم •• ويدخلون الزيغ والضلال على عقائدهم ••

نقول هذا •• وفى يدنا أكثر من دليل •• فهذا كتاب مطبوع •• يباع فى أكثر من مكتبة •• طبع عدة طبعات •• وهو فى متناول الخاص والعام ••

ويحمل هذا الكتاب عنوانا مهيبا •• لقطب من أقطابهم •• اتخذ الناس من قبره مسجدا •• يطوفون به صبح مساء •• يتمسحون بمقامه ويلتمسون عنده البركة •• ويرجون منه الغوث والنجاة ••

وأستميح القارىء عذرا •• حين أشق عليه فأصحبه لقراءة مقتطفات قليلة من كتاب « الطبقات الكبرى : المسماة بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار •• لأبى المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن على الأنصارى الشافعى المصرى المعروف بالشعرانى •• من أعيان علماء القرن العاشر الهجرى » •

ومعذرة مرة أخرى •• فهذا اسم الكتاب ، واسم مؤلفه ••

يقع هذا الكتاب فى ثلاثمائة وست وتسعين صفحة من القطع الضخم •• ويترجم لأكثر من سبعمائة وثلاثة وعشرين قطبا من أقطابهم •• أصحاب المقامات العالية ••

وسوف نلتزم الحيدة التامة ونحن ننقل المقتطفات التى اخترناها نقلا أمينا — كنموذج لما يحوى هذا الكتاب وأمثاله •• فنحرص على ايراد الألفاظ كما جاءت •• برغم ما فيها من ضعف فى السياق •• أو ركاكة فى الأسلوب !!

وسيرى القارىء فى هذه الصفحات القليلة •• ما يكفى لعرض أفكار القوم وعقيدتهم •• وقانا الله واياهم شر الفتنة فى الدين •• وهدانا واياهم الى سواء السبيل •• والله وحده هو المستعان ••

* * *

● يقول ذو النون المصرى : « قد جاءتنى امرأة فقالت ان ابنى اخذه التمساح •• فلما رأيت حرقتها على ولدها أتيت النيل •• وقلت : اللهم أظهر التمساح •• فخرج الى •• فشققت عن جوفه فأخرجت ابنها حيا صحيحا •• فأخذته ومضت وقالت : اجعلنى فى حل •• فانى كنت اذا رأيتك سخرت منك •• وأنا تائبة الى الله عز وجل » (!!)
[الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٧٠]

* * *

● ويقول أبو بكر الكتانى : « النقباء ثلثمائة ، والنجباء سبعون ، والأبدال أربعون ، والأخيار سبعة ، والعمد أربعة ، والغوث واحد •• فمسكن النقباء المغرب ، والنجباء مصر ، والأبدال الشام ، والأخيار سياحون فى الأرض ، والعمد فى زوايا الأرض ، والغوث مسكنه بمكة ••

فاذا عرض حاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ، ثم النجباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخيار ، ثم العمد ، ثم الغوث •• فلا يتم الغوث مسألته حتى تجاب دعوته »(!!)
[الجزء الأول ص ١١٠]

* * *

● وهذا أبو العباس أحمد الملثم — قطب من أقطابهم — « كان أبوه ملكا بالمشرق •• وكان له مكاشفات عجيبة فى مستقبل الزمان •• فكان لا يخبر بشىء الا جاء كما قال••ويقول : أنا ما أتكلم باختيارى »(!!)

وكان الناس مختلفين فى عمره •• فمنهم من يقول : هذا من قوم يونس عليه السلام •• ومنهم من يقول : انه رأى الامام الشافعى رضى الله عنه وصلى خلفه بمصر •• ومنهم من يقول : انه رأى القاهرة وهى أخصاص (!!)

وقال الشيخ عبد الغفار القوصى : فسألته عن ذلك فقال : عمرى الآن نحو أربعمائة سنة (!!)

وكان أهل مصر لا يمنعون حريمهم منه فى الرؤية والخلوة •• فأنكر عليه بعض الفقهاء فقال : يا فقيه •• اشتغل بنفسك ، فانه بقى من عمرك سبعة أيام وتموت •• فكان كما قال » (!!)

[الجزء الأول ص ١٥٧]

* * *

● وهذا ابراهيم الدسوقي — قطب آخر من أقطابهم — « من أجلاء مشايخ الفقراء •• أصحاب الخرق •• وكان من صدور المقربين •• وكان صاحب كرامات ظاهرة •• ومقامات فاخرة •• ومآثر ظاهرة •• وبصائر باهرة •• وأحوال خارقة •• وأنفاس صادقة •• وهمم عالية •• ورتب سنية •• ومناظر بهية ••• الخ (!!)

ويقول الشعراني : « كتب رضي الله عنه سلاما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسله مع الحجاج : « سلام على أمير حي المحيا •• جميل المعنى •• سخي المراشف •• أرخى المعاطف •• كريم الخلق •• سني الصدق •• عرفوط الوقت •• وردساني الفهم •• ثاقب المرحب •• محبول الرحب •• قطابة النفل •• قيدوح النماطة •• ليدوح النباطة •• سرسامع الوحب •• بهدياني الوعب •• بهبساني الحداقة •• سهبري النساقة •• موز الرموز • عموز النهوز ••

سلاحات أفق فردفانية أمق شوامق اليرامق حيد وفرقيـــد وفرغاط الأسباط ومبيط البساط الكرقولية والقدد القيلولية ••

ان حدول شذول •• وان عرذل خردل •• السبل السبل •• بيط العقـــود النماحة النياحة •• جاجوى نبا كلكوى سبا •• متطعات حم •• ومحكمات حكيم •• بدايع لوايع ان شدت أنشدت عنيقبات رسمانية ناتوتية نابهتنية بابلية أرس أرسون كمين كبيوت ناتون نون وجيم ونقطة عين تنعيم أزمح همدج تنسج هيج دهبر رعبوت قيداف قيدوف عرائش مجليات شعشانية على قطط النبط لا النمط •• والبعـــد لا الشطط •• فلاق القندم •• خلاق الزيدم •• وابقى الهندم •• ان طاطا فطاوما •• وان تعاطى فاستبرق ••

يسمع عنين النبك وعنين التبك من أرباح فـــوائد •• وأدراح قلائد •• ليش من لفظ •• قس الأيادى ولا له بها أيادى •• نهدبانية النهاسبهانية •• الرباقل تيشقلت •• بالنباهة أبيا •• وتعطرفت بالسياحة عبيا •• طرايقا عجنبا عرائفها حبا •• ان تمادى تمدى •• وان بعـــد أعدد •• لفظه بارق •• لحظه حاذق • ان ينشد فردقونية • قد أعدت بالرشطاط •• من قروربأن وحرموزان كروم المرتبلاء ولا أشباه •• ألم تك والدتك والدتك » انتهى (!!) [الجزء الأول ص ١٦٨ ، ١٦٩]

* * *

[ومعذرة للقطب الكبير .. فلقد تدخلنا فى رسالته حتى نيسر على القارىء بعض المعاناة فى متابعتها .. فوضعنا الفواصل بين سطور رسالته الجليلة .. ونرجوه العفو والسماح اذا كنا قد أخطأنا فوضعناها فى غير أماكنها .. فنحن نجهل هذه اللغة العجيبة التى كتب بها رسالته الى النبى العربى صلى الله عليه وسلم] !!

● ولهذا القطب الكبير ـــ غفر الله له ـــ قصائد وأشعار .. أورد بعضها الشعرانى فى كتابه .. وهى مفصحة عن عقيدة القوم فى وحدة الوجود .. يقول الشيخ من نظمه :

سقانى محبوبى بكأس المحبة	فتهت عن العشاق سكرا بخلوتى
ولاح لنا نور الجلالة لو أضــا	لصم الجبال الراسيات لدكت
وكنت أنا الساقى لمن كان حاضرا	أطــوف عليهم كرة بعـــد كرة
ونـــادمنى سرا بسر وحكمـــة	وان رسول الله شيخى وقدوتى
وعاهدنى عهدا حفظت لعهـــده	وعشـــت وثيقـــا صادقا بمحبتى
وحكمنى فى سائر الأرض كلهـــا	وفى الجـــن والأشـــباح والمردية
وفى أرض صين الصين والشرق كلها	وكل الورى من أمر ربى رعـــيتى
وكم عالم قد جاءنا وهو منـــكر	فصار بفضل الله من أهل خرقتى
وما قلت هذا القول فخرا فانما	أتى الاذن كى لا يجهلون طريقتى

ويقول أيضا غفر الله له :

تجلى لى المحبوب فى كل وجهـــة	فشاهدته فى كل معنى وصـــــورة
وخاطبنى منى بكشـــف سرائرى	فقال أتدرى من أنا قلت منيتى
فأنت مناى بل أنا أنت دائمـــا	اذا كنت أنت اليوم عين حقيقتى
فقال كذاك الأمـــــر لكنــه اذا	تعينت الأشـــياء كنت كنســـختى
فأوصلت ذاتى باتحادى بذاتـــه	بغير حلول بل بتحقيق نســـبتى
فصرت فنـــاء فى بقاء مؤبـــــد	لذات بديمـــــومة سرمديـــــة
وغيبنى عنى فأصبحت بســـائلا	لذاتى عن ذاتى لشغلى بغيبتى
وأنظر فى مـــرآة ذاتى مشاهدا	لذاتى بذاتى وهى غـــاية بغيتى

. . . .

الى أن يقول :

يرونى فى المـــرآة وهى صـــدية	وليس يرونى بالمـــرآة الصقيلة
وبى قامت الأنبيـــاء فى كل أمـــة	بمختـــلف الآراء والكل أمـــتى

ولا جامع الا ولى فيـــه منبر | وفى حضرة المختـــار فزت ببغيتى
وما شهدت عينى سوى عين ذاتها | وان ســـواها لا يلم بفــكرتى
بذاتى تقوم الذات فى كل ذروة | اجـــدد فيهـــا حلة بعــد حــلة

. . . .

ثم يقول :

نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم | وسرى فى الأكوان من قبل نشأتى
أنا كنت فى العلياء مع نور أحمد | على الدرة البيضـــاء فى خلويتى
أنا كنت فى رؤيا الذبيح فــداءه | بلطف عنـــايات وعين حقيقــــة
أنا كنت مع ادريس لـــا أتى العلا | وأسكن فى الفردوس أنعم بقعــة
أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقا | وأعطيت داوودا حــلاوة نغمــة
أنا كنت مع نوح بما شهد الورى | بحارا وطوفانا على كف قــدرة
أنا القطب شيخ الوقت فى كل حالة | أنا العبد ابراهيم شيخ الطريقـــة

[•••••• !!!] [الجزء الأول ص ١٨١ ، ١٨٢]

* * *

● وكان سهل التسترى ــ أحد أقطابهم ــ « يقول : أعرف تلامذتى من يوم : **« ألست بربكم »** [يعنى وهم فى عالم الذر !!] وأعرف من كان فى ذلك الموقف عن يمينى ومن كان عن شــمالى •• ولم أزل من ذلك اليوم أرى تلاميذى وهم فى الأصلاب •• لم يحجبوا عنى الى وقتى هذا » (!!)

وكان يقول : « أشهدنى الله تعالى ما فى العلا وأنا ابن ست سنين •• ونظرت فى اللوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين •• وفككت طلسم السماء وأنا ابن تسع سنين •• ورأيت فى السبع المثانى حرفا معجما حار فيه الجن والانس ففهمته وحمدت الله تعالى على معرفته •• وحركت ما سكن••وسكنت ما تحرك باذن الله تعالى وأنا ابن أربعة عشرة سنة(!!) [الجزء الأول ص ١٨٣]

* * *

● وهذا أحمد البدوى ــ قطب الأقطاب ــ « وكان متلثما بلثامين •• فاشتهى تلميذه عبد المجيد يوما رؤية وجهه •• فقال : يا سيدى •• أريد أن أرى وجهك أعرفه •• فقال : يا عبد المجيد •• كل نظرة برجل •• فقال : يا سيدى ، أرنى وجهك ولو مت •• فكشف له اللثام الفوقانى فصعق ومات فى الحال » (!!) [الجزء الأول ص ١٨٤]

وتخلف الشعرانى عن حضور مولده عام ٩٤٨ هجرية . فقال : « وكان هناك بعض الأولياء .. فأخبرنى أن سيدى أحمد كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ويقول : أبطأ عبد الوهاب ما جاء » (!!)

وأراد انتخلف سنة من السنين .. يقول : « فرأيت سيدى أحمد ومعه جريدة خضراء .. وهو يدعـو الناس من سائر الأقطار .. والناس خلفه ويمينه وشماله .. أمم وخلائق لا يحصون .. فمر على وأنا بمصر فقال : أما تذهب ؟ فقلت : بى وجع .. فقال : الوجع لا يمنع المحب ..

ثم أرانى خلقا كثيرا من الأولياء وغيرهم الأحياء والأموات .. من الشيوخ والزمنى بأكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد .. ثم أرانى جماعة من الأسرى جاءوا من بلاد الافرنج مقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم .. فقال : انظـرَ الى هؤلاء فى هذا الحـال ولا يتخلفون (!!)

فقوى عزمى على الحضور فقلت له : ان شاء الله تعالى نحضر .. فقال : لابد من الترسيم عليك .. فرسم على سبعين عظيمين أسودين كالأفيال .. وقال : لا تفارقاه حتى تحضرا به (!!)

فأخبرت بذلك سيدى الشيخ محمد الشناوى فقال : سائر الأولياء يدعون الناس بقصادهم .. وسيدى أحمد يدعو الناس بنفسه الى الحضور ...

ثم قال : ان سيدى الشيخ محمد السروى تخلف سـنة عن الحضور .. فعاتبه سيدى أحمد وقال : موضع يحضر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معه وأصحابهم والأولياء رضى الله عنهم ما تحضره ؟ (!!)

فخرج الشيخ محمد الى المولد فوجـد الناس راجعين وفات الاجتماع .. فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه » (!!)

[الجزء الأول ص ١٨٦]

ويقول الشعرانى : « وقد اجتمعت أنا وأخى أبو العباس الحريثى بولى من أولياء الهند بمصر المحروسة .. فقال : ضيفونى .. فانى غريب . وكان معه عشرة أنفس .. فصنعت له فطيرا وعسلا فأكلوا ..

فقلت له : من أى البلاد أنت ؟ فقال : من الهند (!!)

فقلت : وما حاجتك فى مصر ؟ قال : حضرنا مولد سيدى أحمد (!!)

فقلت له : متى خرجت من الهند ؟

فقال : خرجنا يوم الثلاثاء •• فنمت ليلة الأربعاء عند سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم •• وليلة الخميس عند الشيخ عبد القادر ببغداد •• وليلة الجمعة عند سيدى أحمد بطندتا (!!)

فتعجبنا من ذلك فقال : الدنيا كلها خطوة عند أولياء الله عز وجل(!!)

واجتمعنا به يوم السبت انفضاض المولد طلعة الشمس •• فقلت لهم : من عرفكم بسيدى أحمد فى بلاد الهند ؟

فقالوا : يالله العجب •• أطفالنا الصغار لا يحلفون الا ببركة سيدى أحمد •• وهو من أعظم أيمانهم •• وهل أحد يجهل سيدى أحمد •• ان أولياء ما وراء البحر المحيط وسائر البلاد والجبال يحضرون مولده » (!!) [الجزء الأول ص ١٨٦ ، ١٨٧]

ويقول الشعرانى : « وسبب حضورى مولده كل سنة •• أن شيخى العارف بالله تعالى محمد الشناوى — أحد أعيان بيته رحمه الله — قد كان أخذ على العهد فى القبة تجاه وجه سيدى أحمد •• وسلمنى اليه بيده •• فخرجت اليد الشريفة من الضريح وقبضت على يدى •• وقال : يا سيدى •• يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك •• فسمعت سيدى أحمد من القبر يقول : نعم »(!!) [الجزء الاول ص ١٨٦]

« ويروى أن شخصا أنكر حضور مولده •• فسلب الايمان •• فلم يكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام •• فاستغاث بسيدى أحمد فقال : بشرط أن لا تعود ؟ فقال : نعم • فرد عليه ثوب ايمانه »(!!) •• ثم قال له : وماذا تنكر علينا ؟ •• قال : اختلاط الرجال والنساء •• فقال : ذلك واقع فى الطواف ولم يمنع أحد منه ••

ثم قال : وعزة ربى •• ما عصى أحد فى مولدى الا وتاب وحسنت توبته •• واذا كنت أرعى الوحوش والسمك فى البحار وأحميهم من بعضهم بعضا •• أفيعجزنى الله عز وجل عن حماية من يحضر مولدى »(!!) [الجزء الأول ص ١٨٧]

« ووقع ابن اللبان فى حقه •• فسلب القرآن والعلم والايمان •• فلم يزل يستغيث بالأولياء •• فلم يقدر أحد أن يدخل فى أمره •• فدلوه على الشيخ ياقوت العرشى فمضى الى سيدى أحمد وكلمه فى

القبر وأجابه •• وقال له : أنت أبو الفتيان •• رد على هذا المسكين رسماله •• فقال : بشرط التوبة •• فتاب ورد عليه رسماله »(!!)

[الجزء الأول ص ١٨٧]

وكان من خصائصه ـ فيما يزعمون ـ أنه يأتي بالأسرى من بلاد الافرنج •• يقول الشعراني : « وقد شاهدت أنا بعيني سنة ٩٤٥ أسيرا على منارة سيدي عبد العال مقيدا مغلولا •• وهو مخبط العقل •• فسألته عن ذلك فقال : بينا أنا في بلاد الافرنج آخر الليل •• توجهت الى سيدي أحمد •• فاذا أنا به فأخذني وطار بي في الهواء •• فوضعني هنا •• فمكث يومين ورأسه دائر عليه من شدة الخطفة » (!!)

[الجزء الأول ص ١٨٧]

[ويروى عنه أنه دعا الله بثلاث دعوات •• فأجاب الله دعوتين وأبطل الثالثة •• دعا الله أن يشفعه في كل من زار قبره فأجاب الله ذلك (!!)

ودعا الله أن يكتب حجة وعمرة لكل من زار قبره فأجاب الله ذلك (!!)

فدعا الله أن يدخله النار •• غرفض الله ذلك •• قالوا : ولماذا رفض الله أن يدخلك النار ؟ فقال : لأني لو دخلتها فتمرغت فيها تصير حشيشا أخضر •• وحق على الله أن يعذب بها الكافرين] (!!)

* * *

● اسماعيل الامبابي ـ قطب آخر من أقطابهم ـ « أجرى الله على يديه الكرامات •• وكلمته البهائم •• وكان يخبر أنه يرى اللوح المحفوظ ويقول : قطع كذا وكذا لفلان •• فيجيء الأمر كما قال (!!)

فأنكر عليه شخص من علماء المالكية ، وأفتى بتعزيره •• فبلغ ذلك الامبابي فقال : ومما رأيته في اللوح المحفوظ : أن هذا القاضي يغرق في بحر الفرات ••

فأرسله ملك مصر الى ملك الافرنج ليجادل القسيس عندهم •• فانه وعد باسلامه ان قطعهم عالم المسلمين بالحجة •• فلم يجدوا في مصر أكثر كلاما ولا جدلا من هذا القاضي •• فأرسلوه فغرق في بحر الفرات » (!!) [الجزء الأول ص ١٨٥]

* * *

● محيى الدين بن عربى — قطب من أقطابهم — « أراد شخص من المنكرين عليه أن يحرق تابوته •• فجاء بنار بعد صلاة العشاء •• فخسف به دون القبر بتسعة أذرع •• فغاب فى الأرض •• وفقده أهله من تلك الليلة •• فلما علموا بالقصة جاءوا وحفروا فوجدوا رأسه •• فكلما حفروا نزل وغار فى الأرض الى أن عجزوا وردموا عليه التراب » (!!) [الجزء الأول ص ١٨٨]

* * *

[وابن عربى هذا هو القائل :

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى ... اذا لم يكن دينى الى دينه دانى
فأصبح قلبى قابلا كل حالة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن

وهو القائل :

فيحمدنى وأحمده ... ويعبدنى وأعبده (!!)]

* * *

● داوود الكبير بن ماخلا — قطب آخر من أقطابهم — « كان شرطيا فى بيت الوالى بالاسكندرية •• وكان يجلس تجاه الوالى وبينهما اشارة يفهم منها وقوع المتهوم أو براءته •• فان أشار اليه أنه برىء عمل باشارته •• أو أنه فعل ما اتهم به عمل بذلك •• وكانت اشارته أنه ان قبض على لحيته وجذبها الى صدره علم أنه وقع •• وان جذبها الى فوق علم أنه برىء •• وله كلام عال فى الطريق •• وكان أميا لا يكتب ولا يقرأ » (!!) [الجزء الأول ص ١٨٨]

* * *

● ابراهيم الجعبرى — قطب آخر — « ذو الأحوال الغريبة والمكاشفات العجيبة •• وكان مجلس وعظه يطرب السامعين ويستجلب العاصين ••

أخبر بموته قبل وفاته •• ونظر الى موضع قبره وقال : يا قبير •• جاءك دبير ••

وكان يضحك أهل مجلسه اذا شاء فى حال بكائهم •• ويبكيهم اذا شاء فى وسط ضحكهم •• وكان يعظ وهو يمشى بين أهل مجلسه يسدى وينير •••

وكان له مريدة تسمع وعظه وهو بمصر وهى بأرض أسوان من أقصى الصعيد •• فبينما هو يعظ الناس وهم يبكون أنشد :

قاعــدة فى الطــاقة والكلب ياكل فى العجين
يا كنب نل وانهــنى ما لنعجين آصــــحاب

فالتفتت المريدة فاذا بالكلب يأكل فى عجينها •• وأرخوا الحكاية فجاء الخبر بذلك (!!)

وكان يوما يعظ والناس يبكون فقال لهم : قولوا معى : شقع بقع بالله يقع •• فجاء الخبر أن القاضى المـالكى نزل من باب المـدرج فى قلعة مصر •• فوقع فانكسرت رقبته •• وكان القضـاة قد عقدوا للشيخ عقد مجلس فى منعه من الوعظ وقالوا انه يلحن فى القـرآن وفى الحديث •• فامتنع القضاة الثلاثة وأفتى المـالكى بمنعه •• فجاء القضاة الثلاثة وقبلوا رجل الشيخ وقالوا : كلنا كنا هالكين لو أفتينا فيك بشىء •• فقال الشيخ : نحن لا نلحن •• انما سمعكم هو الذى يلحن ويسمع الزور والباطل (!!)

وكان يكاتب السـلطان : من ابراهيم الجعـبرى الى الكلب الزوبرى (!!) •• فكان السلطان يقول : من أطلع هذا على اسمى فى بلادى •• انه والله اسمى فى بلادنا قبل أن أجىء » (!!)

[الجزء الأول ص ٢٠٣ ، ٢٠٤]

* * *

● حسين أبو على ـ قطب آخر من أقطابهم ـ « كان من كمل العارفين •• وأصحاب الدوائر الكبرى •• وكان كثير التطـورات •• تدخل عليه فى بعض الأوقات تجده جنديا •• ثم تدخل فتجده سبعا (!!) •• ثم تدخل فتجـده فيـلا (!!) •• ثم تدخـل فتجده صبيا •• وهكذا (!!)

ومكث نحو أربعين سنة فى خلوة مسدودة بابها •• ليس لهـا غير طاقة يدخل منها الهواء (!!)

وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة •• وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول هذا كيماوى سيماوى (!!)

ولمـا شرع الخواجا ابن القنيش البرلسى فى بناء زاويته •• قال أعداؤه : ان هذا المصروف العظيم انما هو من كيمياء الشيخ حسين •• فبرطلوا عليه بعض العياق أن يقتلوه •• فدخلوا على الشيخ فقطعوه

بالسيوف •• وأخذوه فى تليس ورموه على الكوم •• وأخذوا على قتله ألف دينار •• ثم أصبحوا فوجدوا الشيخ حسينا جالسا فقال لهم : غراكم القمر (!!)

وكانت النموس تتبعه حيثما مشى •• فى شوارع وغيرها •• فسموا أصحابه بالنموسية » (!!) [الجزء الثانى ص ٨٧]

* * *

● محمد الشويمى — قطب آخر — « كان من أرباب الأحوال العظيمه •• وكان يعمل هلالات المواذن والضبب •• وكان يجلس بعيدا عن سيدى مدين فكل من مر على خاطره شىء قبيح يسحب العصا وينزل عليه •• غنيا أو فقيرا •• كبيرا أو صغيرا أو أميرا •• لا يراعى فى ذلك أحدا فكان من يعرف بحاله لا يتجرأ يجلس بين يدى سيدى مدين أبدا (!!)

ومرض سيدى مدين مرة أشرف فيها على الموت •• فوهبه من عمره عشر سنين •• ثم مات فى غيبة الشويمى فجاء وهو على المغتسل فقال : كيف مت ؟ •• وعزة ربى لو كنت حاضرك ما خليتك تموت •• ثم شرب ماء غسله كله » (!!) [الجزء الثانى ص ١٠٣]

* * *

[ونرجو ألا يضيق صدرك — عزيزى القارىء — وأن تصبر معنا على مطالعة هذه الخرافات •• فالأمر جد لا هزل فيه •• ولا أرب لنا سوى ازالة ما علق بديننا من أوهام وأباطيل •• ولا نشك لحظة فى أنك تقرنا فى ضرورة ازالة ما ألصق زورا بالاسلام •• دين التوحيد الكامل ••

نحن لا نعادى الأولياء أو نكرههم •• بل نجلهم ونحترمهم •• ونؤمن بأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ••

ولا نشن حربا على الصوفيين أو نريدها معهم •• فليس بيننا وبين تصوفهم تارات أو أحقاد ••

ولكننا نكره الخرافة باسم الولاية ••

ونحارب التضليل باسم الدين ••

ونعادى الكفر فى الاسلام ••

نحن نبغى ازالة ما علق بالتصوف الاسلامى من أباطيل •• فلا يمكن لذى عقل سليم أن يصدق ما يزعمه هؤلاء القوم من خرافات وأكاذيب •• تسىء الى التصوف نفسه •• قبل أن تسىء الى الاسلام ••

والأقطاب لا يزالون كثيرين •• والحكايات عنهم لا تنتهى •• ويزعمون لكل منهم خاصية تميزه عن غيره •• مما لم يتأت للأنبياء والرسل ••

وعذرنا •• أننا اخترنا نماذج قليلة •• من آلاف الحالات التى امتلأت بها مثل هذه الكتب الصفراء •• التى تلقى الرواج فى الريف وبين صفوف العامة •• فتضللهم وتدخل على عقيدتهم الزيغ والضلال •• والله وحده هو المستعان]

* * *

ولنعد الى « الطبقات الكبرى » نقلب فى صفحاته •• فلا يزال بها العجب العجاب (!!)

● هذا أبو العباس الغمرى الواسطى — قطب من أقطابهم — صاحب كرامات •• ومن كراماته : « وقع من جماعته صرة فيها فضة أيام عباب البحر •• والمركب منحدرة •• نواحى سمنود •• فلم يشعروا بها الا بعد أن انحدرت كذا وكذا بلدا •• فأوقف الشيخ المركب •• وقال : روحوا الى المكان الفلانى وارموا الشبكة تجدوها •• ففعلوا فوجدوها (!!)

ويروى ابنه أبو الحسن : أنه كان معه — ومعهما عمود رخام — على جملين •• فجاءوا الى قنطرة ضيقة لا تسع سوى جمل واحد •• فساق الشيخ الجمل الآخر فمشى على الهواء بالعمود (!!)

ومنها أنه أراد أن يعدى من ميت غمر الى زفتى •• فلم يجد المعدية فركب على ظهر تمساح وعدى عليه (!!)

ومنها أن الناس لما أرادوا أن يقيموا عمد جامعه •• بيتوا على الناس يساعدونهم •• فقام الشيخ وحده فأقام صفين من العمد •• فأصبحوا فرأوهم واقفين » (!!) : [الجزء الثانى ص ١٢١]

* * *

● وهذا محمد الحضرى — قطب آخر من أقطابهم — « كان يتكلم بالغرائب والعجائب من دقائق العلوم والمعارف ما دام صاحيا •• فاذا قوى عليه الحال تكلم بالألفاظ لا يطيق أحد سماعها فى حق الأنبياء وغيرهم •• وكان يرى فى كذا وكذا بلد فى وقت واحد (!!)

يقول الشعرانى : وأخبرنى الشيخ أبو الفضل السرسى •• أنه جاءهم يوم الجمعة فسألوه الخطبة فقال : بسم الله •• فطلع المنبر

فحمد الله وأثنى عليه ومجده ثم قال : وأشهد أن لا اله لكم الا ابليس عليه الصلاة والسلام (!!)

فقال الناس : كفر .. فسل السيف ونزل .. فهرب الناس كلهم من الجامع .. فجلس عند المنبر الى أذان العصر وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع .. ثم جاء بعض أهل البلاد المجاورة فأخبر أهل كل بلد أنه خطب عندهم وصلى بهم .. قال : فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة .. هذا ونحن نراه جالسا عندنا فى بلدنا (!!)

[الجزء الثانى ص ١٠٦]

* * *

● وهذا عيسى بن نجم خفير البرلسى — قطب آخر — « مكث بوضوء واحد سبع عشرة سنة .. فقد توضأ يوما قبل أذان العصر واضطجع على سريره وقال للنقيب : لا تمكن أحـــدا يوقظنى حتى أستيقظ بنفسى .. فما تجرأ أحد يوقظه فانتظروه هذه المدة كلهـــا فاستيقظ وعيناه كالدم الأحمـــر .. فصلى بذلك الوضوء الذى كان قبل اضطجاعه .. ولم يجدد وضوءا (!!) وكان فى وسطه منطقة فلما قام وحلها تناثر من وسطه الدود (!!)

ونذر شخص ان ولدت فرسه حصانا فهو للشيخ عيسى .. فولدت له حصانا فلما كبر أراد أن يبيعه وقال : ايش يعمل سيدى عيسى ؟ .. فبينما هو مار به ذات يوم وقد صار تجاه سيدى عيسى رمح من صاحبه حتى دخل الزاوية .. فرمح صاحبه وراءه فدخل الحصان قبر الشيخ فلم يخرج » (!!) [الجزء الثانى ص ١٠٧]

* * *

● أبو الحمايل محمـــد السروى — قطب آخر — « كان يغلب عليه الحال .. فيتكلم بالألسن العبرانية والسريانية والعجمية .. وتارة يزغرت [أى يزغرد] فى الأفراح والأعراس كما تزغرت النســـاء .. وكان اذا قال قولا ينفذه الله له (!!)

وشكا له أهل بلده من الفأر وكثرته فى مقثأة البطيخ .. فقال لصاحب المقثأة : رح وناد فى الغيط : حسب ما رسم محمد أبو الحمايل أنكم ترحلون أجمعون .. فنادى الرجل لهم كما قال الشيخ .. فلم ير بعد ذلك اليوم منهم ولا فأرا واحدا » (!!)

وكان مبتلى بزوجته يخاف منها أشد الخوف .. حتى كان يخلى الفقير في الخلوة فتخرجه من الخلوة بلا اذن من الشيخ .. فلا يقدر أن يتكلم (!!)

ويقول الشعرانى : « وأخبرتنى قبل موتها أنه كان كثيرا ما يكون جالسا عندها .. فتمر عليه الفقراء [أى الأولياء] فى الهواء .. فينادونه فيجيبهم ويطير معهم .. فلا تنظره الى الصباح (!!)

وسمعه الشعرانى يحكى يقول : « بينمـــا أنا ذات يوم فى منارة جامع غارسكور ليلة من الليالى .. اذ مر على جماعة طيارة فدعـــونى الى مكة .. فطرت معهم .. فحصل عندى عجب بحالى فسقطت فى بحر دمياط .. فلولا كنت قريبا من البر والا كنت غرقت وســـاروا وتركونى (!!)

وكان اذا اشتد عليه الحال فى مجلس الذكر ينهض قائما .. ويأخذ بالرجلين ويضرب بهما الحائط » (!!) [الجزء الثانى ص ١٢٦ ، ١٢٧]

* * *

● تاج الدين الذاكر ــ قطب آخر من أقطابهم ، وأرجو من القارىء ألا يمل ــ « كان يمكث السبعة أيام بوضوء واحد .. وانتهى أمره أنه كان فى آخر عمره يتوضأ كل أحد عشر يوما وضوءا واحدا (!!)

وعزم عليه جماعة فى جامع طولون ليمتحنوه فى ذلك .. فدعوه الى ناحية الجيزة فى الربيع .. وصاروا يعملون له الخراف والدجاج واللبن بالرز وغير ذلك .. وهو يأكل معهم من ذلك كله .. ثم لا يرونه يتوضأ لا ليلا ولا نهارا مدة تسعة أيام .. فقيل له انك فى امتحان مع هؤلاء .. فتشوش منهم وجاء الى البحر ليعدى .. فعدى فى مركب والجماعة المتحنون فى مركب فغرق بهم (!!)

ومكث [هذا القطب الكبير] خمسا وعشرين سنة لم يضع جنبه على الأرض »(!!) [الجزء الثانى ص ١٢٩]

* * *

● أبو السعود الجارحى ــ القطب المعروف ــ « كان ينزل فى سرب تحت الأرض من أول ليلة من رمضان .. فلا يخـــرج الا بعد العيد بستة أيام .. وذلك بوضوء واحد من غير أكل .. وأما المـــاء فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية » (!!) [الجزء الثانى ص ١٢٩]

* * *

● على أبو خودة ـ قطب آخر من أقطابهم ـ « كانت خودته [أى خوذته] من الحديد •• وكان زنتهـا قنطاراً وثلثا •• ولم يزل حاملها ليلا ونهارا •• وكان شيخا أسمر قصيرا •• وكان معه عصـا لها شعبتان كل من زاحمه ضربه بها (!!)

وكان يهوى العبيد السود والحبش •• ولم يزل عنـده نحـو العشرة يلبسون الخوذ •• لكل واحد منهم حمار يركبه •• فكانوا هم جماعته كل موضع ركب يركبون معه •• وما رآه أحد يصلى مع الناس الا وحده (!!)

وكان اذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن نفسه [ـ !! ـ أى والله] •• وحسس على مقعدته (!!) سواء كان ابن أمير أو ابن وزير •• ولو كان بحضرة والده أو غيره •• ولا يلتفت الى الناس ولا عليه من أحد (!!)

وكان اذا حضر السماع يحمل المنشد ويجرى به كالحصان (!!)

وكان يوما فى دمياط •• فأراد السفر فى مركب قد انوسقت ولم يبق منها مكان لأحد •• فقالوا للريس : ان أخذت هـذا غرقت المركب •• لأنه يفعل فى العبيد الفاحشة •• فأخرجه الريس من المركب •• فلمـا أخرجوه من المركب قال : يا مركب تسمرى •• فلم يقدر أحد يسيرها بريح ولا بغيره [ـ !! ـ هكذا] •• وطلع الجميـع من فيها ولم تسر (!!)

وركب يوما أحد المراكب فمرس عليها الريح •• فضربها بعكازه فلم تتزحزح •• فنزل هو وعبيده يمشـون على المـاء •• الى أن وصلوا شربين والناس ينظرون ذلك »(!!) [الجزء الثانى ص ١٣٥]

❋ ❋ ❋

● محمد الشربينى ـ قطب من أقطابهم ـ « كان يتكلم على سائر أقطار الأرض كأنه تربى فيها •• ولمـا ضعف ولده أحمـد وأشرف على الموت وحضر عزرائيل يقبض روحه •• قال له الشيخ : ارجع الى ربك فراجعه فان الأمر نسخ (!!) فرجع عزرائيل وشفى أحمد من تلك الضعفة وعاش بعدها ثلاثين سنة (!!)

وكان يقول للعصا التى كانت معه : كونى انسانا •• فتكون انسانا ويرسلها تقضى الحوائج ثم تعود كما كانت (!!)

وكان يقبض من الهواء كل شيء يحتاجون اليه للبيت وغيره ويعطيه لهم » (!!) [الجزء الثانى ص ١٣٥ ، ١٣٦]

* * *

● على الدويب ـ قطب آخر ـ « كان يمشى على المـاء فى البحر •• وما رآه أحد قط نزل من مركب •• وجاء الى مصر وأقام بها عشرين سنة (!!)

وكان يقول : فلان مات فى الهند أو فى الشام أو فى الحجاز •• فبعد مدة يأتى الخبر كما قال (!!)

ولمـامات وجدوا فى داره نحو المـائة ألف دينار •• وما علمـوا أصل ذلك فانه كان متجردا من الدنيا » (!!) [الجزء الثانى ص ١٣٦]

* * *

● ابراهيم بن عصيفير ـ أحد أقطابهم ـ « كان وهو صغير ينام فى الغيط •• ويأتى البلد وهو راكب الذئب أو الضبع •• وكان يمشى على المـاء لا يحتاج الى مركب •• وكان بوله كاللبن الحليب أبيض (!!)

وكان يغلب عليه الحال فيخاصم ذباب وجهه (!!)

وكان يتشوش من قول المؤذن : الله أكبر (!!) •• فيرجمه ويقول : عليك يا كلب ، نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا (!!)

وكان أكثر نومه فى الكنيسة •• ويقول : النصـارى لا يسرقون النعال فى الكنيسة بخلاف المسلمين(!!)

وكان يقول : أنا ما عندى من يصوم حقيقة الا من لا يأكل اللحم الضانى أيام الصوم كالنصارى •• وأما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضانى والدجاج أيام الصوم فصومهم عندى باطل (!!)

وكان يقول لخادمه : أوصيك أن لا تفعل الخير فى هـذا الزمان فينقلب عليك بالشر ، وجرب أنت نفسك (!!)

ومن كراماته : « أن الأمير جانم أراد السفر الى بلاد الروم فشاوره •• فقال : تروح وتجىء سالمـا •• ففارقه وراح للشيخ محيسن فقال له : ان رحت شنقوك وان قعدت قطعوا رقبتك •• فرجع الى الشيخ ابن عصيفير فقال : تروح وتجىء سالمـا •• وكان الأمـر كذلك •• فراح تلك السفرة ورجع سالمـا ، ثم ضرب عنقه بعد ذلك فصدق الشيخان (!!)

وكان يفرش تحته فى مخزنه التبن ليلا ونهارا •• وقبل ذلك كان يفرش زبل الخيل (!!)

وكان اذا مرت عليه جنازة وأهلها يبكون •• يمشى أمامها معهم ويقول : زلابية هريسة •• زلابية هريسة » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٠]

* * *

● شهاب الدين الطويل النشيلى — « كان ينادى خادمه وهو يصلى •• فان لم يجبه مشى اليه وصكه ومشى به •• وقال : كم أقول لك لا تعد تصلى هذه الصلاة المشئومة •• فلا يستطيع أحد أن يخلصه منه •• وكان يضرب الانسان على وجهه » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤١]

* * *

● محمد الرويجل العريان — قطب من أقطابهم — « كان من أرباب الكشف التام — يقول الشعرانى — : رأيته مرة من بعيد نحو مائة قصبة •• فقال لى رفيقى : هل يحس بأحد اذا ضربه •• فلما وصلنا اليه قال لرفيقى : تضربنى على ايش ؟ (!!)

وكان يدخل ينام فى كانون الطباخ (!!)

ومات مقتولا •• قتله عساكر ابن عثمان حين دخل مصر •• وأخبرنى — يقول الشعرانى — عن قطع رقبته يوم موته •• وصار يقول : ايش عمل الرويجل يقطعون رقبته ؟ •• ووقف على شباك محمد بن عثمان وصار يقول : يا سيدى •• ايش عمل الرويجل يقطعون رقبته ؟ » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤١]

* * *

● ابراهيم العريان — قطب آخر من أقطابهم — « كان اذا دخل بلدا سلم على أهلها كبارا وصغارا بأسمائهم كأنه تربى بينهم (!!)

وكان يطلع على المنبر ويخطب عريانا فيقول : السلطان ودمياط •• باب اللوق بين القصرين وجامع طيلون ، الحمد لله رب العالمين •• فيحصل للناس بسط عظيم (!!)

وكان اذا صحا يتكلم بكلام حلو •• حتى يكاد الانسان لا يفارقه •• طلع لنا — يقول الشعرانى — مرارا عديدة فى الزواية وسلم على باسمى واسم أبى وأمى •• ثم قال للذى بجنبه : ايش اسم هذا (!!)

وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر •• ثم يقول هذه ضرطة فلان •• ويحلف على ذلك فيخجل ذلك الكبير منه » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٢]

* * *

● محيسن البرلسي — قطب آخر — « كان من أصحاب الكشف التام .. فكان يربط عنده عنزا وديكا .. ويجعل النار موقدة عنده فى أغلب أوقاته صيفا وشتاء .. وكان على الخواص [أحد أقطابهم] اذا شك فى نزول بلاء على أهل مصر يقول : اذهبوا للشيخ محيسن فانظروا النار التى عنده .. هل هى موقودة أو مطفية .. فان كانت مطفية حصل فى مصر رخاء ونعمة ، وكان الناس فى غاية الراحة (!!)

فأوقد الشيخ محيسن النار فقال الشيخ : الله لا يبشره بخير .. فاصبح الناس فى شدة عظيمة فى مسكهم لبلاد الهند .. وحصل لهم غاية الضيق » (!!)

ويقول الشعرانى : « وكنت عنده مرة فجاء انسان ومزح معه — وكانت فى رجله أكلة من أصحاب النوبة ولم تزل تدود الى أن مات — فقال له ذلك الانسان : الذى جعل فى هذه الرجل الأكلة قادر أن يجعلها فى الأخرى .. فقال : ما يستحق ذلك الا الذى زنى بامرأة جاره .. فخجل ذلك الانسان .. فقلت له : مالك ؟ .. فقال : هذا وقع لى وأنا شاب فى نواحى دمياط منذ خمسين سنة .. فقلت : الذى يطلع على هذا تمزح معه ؟ .. فقال : والله ما علم بهذه الواقعة أحد الا الله عز وجل »(!!) [الجزء الثانى ص ١٤٣]

* * *

● أبو الخير الكليباتى — قطب آخر — « كان من الأولياء المعتقدين .. وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر وأهل عصره (!!)

وكان رجلا قصيرا .. فى يده عصا فيها حلق وشخاليل وكان يعرج .. وكان أغلب أوقاته واضعا وجهه فى حلق الخلاة فى ميضأة جامع الحاكم (!!)

وكانت الكلاب التى تسير معه من الجن .. وكانوا يقضون حوائج الناس .. ويأمر صاحب الحاجة أن يشترى للكلب منهم اذا ذهب معه لقضاء حاجته رطل لحم .. وكان يدخل الجامع بالكلاب (!!) .. فأنكر عليه بعض القضاة فقال : هؤلاء لا يحكمون باطلا ولا يشهدون زورا .. فرمى القاضى بالزور وجرسوه على ثور بكرش على رأسه .. ولم يزل ممقوتا الى أن مات » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٣]

* * *

● الشيخ أمين الدين امام جامع الغمرى – قطب من أقطابهم – « صاحب كرامات وخوارق – يقول الشعرانى : « مما وقع لى معه أننى كنت أقابل معه فى شرح البخارى فى جزاء الصيد •• فذكر جـزاء التيتل •• فقلت : ما هو التيتل ؟ •• فقال : هذا الوقت تنظره •• فخرج التيتل من المحراب فوقف على كتفى فرأيته دون الحمار وفوق تيس المعـز •• وله لحية صغيرة •• فقال : هاهو •• ثم دخل الحائط فقبلت رجله فقال : اكتم حتى أموت » (!!)

ورآه الشعرانى : « بعد موته بسنتين فروى له حديثا سـنده بالسريانى ومتنه بالعربى •• أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أدمن النوم بعد صـلاة الصبح ابتلاه الله تعالى بوجع الجنب » •• وفى رواية : « ابتلاه الله فى جنبه بالبعج » (!!) ••

وقال عنه أبو العباس الغمرى [أحد أقطابهم] : الجامع جثة والشيخ أمين روحها (!!) •• ومصداق ذلك – يقول الشعرانى – أن الناس كانوا يخرجون من الجامع فى مثل خروج الحج فلم يبق فى الجامع الا هو فكأن الجامع لم يخرج منه أحد •• وكان اذا سافر صار الجامع كأنه ما فيه أحد » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٦]

* * *

● بركات الخياط – قطب آخـر – « كان يخيط المضربات المثمنة •• وكان يقول لمن يخيط له : هات معك فوطة والا يتسخ قماشك من ثيابى •• وكان دكانه منتنا قذرا •• لأن كل كلب وجده ميتـا أو قطا أو خروفا يأتى به •• فيضعه داخل الدكان •• فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده (!!)

ومدحه الشيخ عبد الواحد للشيخ جمال الدين الصائغ مفتى الجامع الأزهر وجماعة فقالوا : امضوا بنا نزوره •• وكان يوم جمعة •• فسلم المؤذن على المنارة فقالوا له : نصلى الجمعة ؟ فقال : ما لى عادة بذلك (!!) •• فأنكروا عليه فقال : نصـلى اليوم لأجلكم (!) •• فخرج الى جامع المـاردانى فوجد فى الطريق مسقاة الكلاب فتطهر منها (!!) •• ثم وقع فى مشخة حمير (!) •• ففارقوه وصاروا يوبخون الشيخ عبد الواحد الذى جاء بهم الى هـذا الرجل •• وصار الشيخ بركات يوبخ عبد الواحد ويقول : ايش هؤلاء الحجارة الذى أتيت بهم ؟ لا يعود لك بالعادة أبدا •• والله يا ولدى مسقاة الكلاب انمـا

هى مثال مطعمهم ومشربهم •• وكذلك مشخة الحمير انما هى صـورة اعتقادهم النجس (!!)

وكان اذا قدموا له لحم الضانى واشتهى لحم حمام ينقلب فى الحال حماما (!!)

وكان يوما خارج باب زويلة بالقرب من بيت الوالى •• واذا بشخص تاجر مغربى راكب بغلة •• فمسكه الشيخ وقال : هذا سرق بيتى •• فدخلوا به بيت الوالى •• فقال للوالى : يا سيدى •• اضربه مقارع وكسارات •• وان مات أنا أزن ديته • فلما فرغ الوالى من عقابه نظـر الى وجه التاجر وقال للوالى : أنا غلطت •• هذا ما هو الذى أخـذ حوائجى •• فضرب الوالى الشيخ بعصاه •• فخرج ورقد على بابه وقال : والله يا زربون ما أفارق هذه العتبة حتى أعزلك •• فقام فجاء القاصد بعزله من السلطان فى الحال » (!!) [الجزء الثانى ص ١٤٤]

* * *

● على الخواص — قطب كبير من أقطابهم ، وشيخ الشعرانى نفسه — « كان أميا لا يكتب ولا يقـرأ •• وكان يتكلم عن معـانى القرآن العظيم والسنة المشرفة كلاما نفيسا تحير منه العلماء (!!)

وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والاثبات •• فكان اذا قال قولا لابد أن يقع على الصفة التى قال (!!)

يقول الشعرانى : «وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم •• فما كان قط يحوجهم الى كلام •• بل كان يخبر الشخص بواقعته التى أتى من أجلها قبل أن يتكلم •• فيقول — طلق — مثلا — أو شارك ، أو فارق ، أو اصبر ، أو سافر ، أو لا تسافر •• فيتحير ويقول : من أعلم هذا بأمرى (!!)

وكان له طب غريب يداوى به أهل الاستسقاء والجذام والفالج والأمراض المزمنة •• فكل شىء أشار باستعماله يكون الشفاء فيه » (!!)
[الجزء الثانى ص ١٥٠]

* * *

● عبد القادر السبكى • قطب آخـر — « كان من أصحاب التصريف بقرى مصر •• وكان كثير التلاوة للقرآن كثير الشطح •• لا يصبر على معاشرته الا أكابر الفقراء [أى الأولياء] •• وكان كثير التشعيث لمن عرف منه أنه يعتقده (!!)

وكان كثير الكشف •• لا يحجبه الجدران والمسافات البعيدة من اطلاعه على ما يفعله الانسان فى قعر بيته •• وكان ليله كله تارة يقرأ وتارة يضحك وتارة يكلم نفسه الى الصباح (!!)

وكان اذا ذهب الى السوق يسخره أهل الحارة فى قضاء حوائجهم •• فيقضيها لهم على أتم الوجوه •• وكان له فى خرجه وعاء واحد يشترى فيه جميع ما يطلبه الناس من المائعات •• فكان يضع فيه الشيرج والعسل والزيت الحار وغير ذلك •• ثم يرجع فيعصر من الاناء لكل أحد حاجته من غير اختلاط (!!)

وكان له حمارة يجعل لها ولأولادها براقع على وجوهها •• ويقول : انما أفعل ذلك خوفا من العين — وكان اذا لم يجد مركبا يعدى فيه •• يركبها ويسوقها على وجه الماء الى ذلك البر (!!)

وكان يتكلم بالكلام الذى يستحى منه عرفا •• وخطب مرة عروسا فرآها فأعجبته •• فتعرى لها بحضرة أبيها وقال : انظرى أنت الأخرى حتى لا تقولى بعد ذلك بدنه خشن أو فيه برص أو غير ذلك •• ثم •••• [ثم كلام بذىء •• لا يتفق مع أدب أو عرف أو دين •• مما يخدش الحياء ويعاقب عليه القانون — ومثل ذلك الكلام كثير منتشر بين صفحات الكتاب] (!!) [الجزء الثانى ص ١٨٤]

* * *

● شعبان المجذوب — قطب آخر — « كان من أهل التصريف بمصر •• وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل (!!)

يقول الشعرانى : « أخبرنى سيدى على الخواص أن الله تعالى يطلع الشيخ شعبان على ما يقع فى كل سنة من رؤية هلالها •• فكان اذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوبا على العباد (!!)

وكان اذا اطلع على موت البهائم يلبس صبيحة تلك الليلة جلد البهائم البقر أو الغنم •• أو تسخير الجمال لجهة السلطنة يلبس الشليف والليف •• فيقع الأمر كما نوه به (!!)

يقول الشعرانى : « جاءتنى مرة امرأة من الريف •• تريد أن تفسخ نكاح ابنتها لكون زوجها غاب عنها مدة طويلة •• فباتت عندى من غير علمى •• فأرسل نقيبه لى من الفجر يقول لى : يقول لك الشيخ : لا تفرق بين رأسين فى الحلال •• فعلمت أن زوجها سيرجع فأخبرت المرأة فرجعت عن ذلك •• وجاء الأمر كما قاله •• هذا والمرأة لم

تخاطبنى بكلام •• وانما كانت مضمرة فى نفسها أن تخبرنى بذلك بكرة النهار •• فعلم الشيخ بخاطرها (!!)

وكان يقرأ سورا غير السور التى فى القرآن على كراسى المساجد يوم الجمعة وغيرها •• فلا ينكر عليه أحد •• وكان العامى يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات فى الفواصل » (!!) [الجزء الثانى ص ١٨٥]

* * *

ماذا نقول بعد هذا ؟

لا يسعنا الا أن نقول : انا لله ، وانا اليه راجعون ••

حسبنا الله ونعم الوكيل •••

لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ••

* * *

قد يكون هؤلاء الرجال قوما صالحين •• يصومون نهارهم ويقومون ليلهم لا يفترون !!

وقد يكونوا أمضوا حياتهم كلها فى ذكر وتسبيح •• وتلاوة أوراد •• وقراءة قرآن !!

ليس هذا موضوع حديثنا •• ولا نحب أن نتعرض له أو نخوض فيه •• فلقد أفضوا الى خالقهم •• وقدموا على ما قدموا •• وانما أجرهم على الله وحده الذى يعلم سرهم ونجواهم •• وهو وحده الذى يحاسبهم على عقائدهم وأعمالهم ••

أما أن تنسب لهم خوارق العادات بما لم يأت به الرسل الكرام !!

وأن ينسب اليهم العلم بالغيب •• فى حين حرم منه الملائكة والأنبياء وسائر الانس والجن ؟ !

أما حين يلعن الرسول — صلى الله عليه وسلم — المتخذين على القبور المساجد والسرج •• فيتخذ الناس من قبورهم مساجد •• ويوقدون عليها الشموع والقناديل !!

وحين ينهى صلى الله عليه وسلم عن النذر لغير الله •• والحلف بغير الله •• والتوسل الى غيره تعالى •• فتقدم لهم النذور والقرابين •• ويحلف الناس بهم •• ويتوسلون بمقامهم •• ويرتجون الشفاعة عندهم !!

أما وهذا هو الحال اليوم . فلا .. وألف مرة لا ..

فالله وحده هو العليم القدير ..

وهو وحده عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ..

وهو وحده الذى يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ..

ومن نذر لغير الله فقد أشرك ..

ومن حلف بغير الله فقد أشرك ..

ومن توسل الى غير الله .. فقد أشرك ..

هذا ديننا .. والله وحده وكيلنا .. ومحمد صلى الله عليه وسلم نبينا وشفيعنا .. وهو وحده أسوتنا وقائدنا ..

يقول الله تعالى : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** »(١٩) .

اللهم انا نحكم رسولك صلى الله عليه وسلم فيما شجر بيننا وبينهم ..

اللهم انا لا نجد فى أنفسنا حرجا مما قضى رسولك صلى الله عليه وسلم ..

اللهم انا نسلم بما قضى تسليما ...

* * *

---

(١٩) النساء : ٦٥

علم الظاهر .. وعلم الباطن !!

* أهل الشريعة وأهل الحقيقة :

قضية الغيب .. من أخطر القضايا التى اهتم بها الاسلام .. وقد حرص القرآن الكريم فى كثير من آياته على تأكيد انفراد الله وحده بالعلم بالغيب والشهادة ..

وثبت لنا بالدليل العملى أن أمر الغيب قد حجب عن الملائكة الكرام والأنبياء المرسلين .. وعن كافة الجن والانس ..

يقول الله تعالى : **« هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم »**(1) .

ويقول : **« ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله »**(2) .

ويقول جل شأنه : **« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو »**(3) .

ويقول جل وعلا : **« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول »**(4) .

ويقول لرسوله صلى الله عليه وسلم : **« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون »**(5) .

ويقول على لسان نوح عليه السلام ــ أول الأنبياء : **« ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك »**(6) .

غير أن فريقا من المسلمين .. ادعوا الكشف والعلم بالغيب .. وأسسوا عقيدتهم على هذا الادعاء .. وأعرضوا عن الدليل الشرعى الذى يستند الى الكتاب والسنة ..

وعن طريق هذا الادعاء شككوا الناس فى مصادر الشرع .. بل وأنكروا بعض الأحاديث النبوية الثابتة فى الكتب الصحيحة .. وأولوا بعضها الآخر وفقا لأهوائهم !!

---

(1) الحشر : ٢٢ (2) هود : ١٢٣
(3) الأنعام : ٥٩ (4) الجن : ٢٦ ، ٢٧
(5) الأعراف : ١٨٨ (6) هود : ٣١

وتحت زعم كشف الحجب عنهم •• ادعوا بأنهم يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا •• فيتلقون منه ما يعينهم على تأويل الأحاديث •• أو التمييز بين الصحيح منها والضعيف !!

ويقول محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية : « ورب حديث يكون صحيحا عن طريق رواية حصل لهذا الكاشف للذي عاين هذا المظهر •• فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الحديث فأنكره •• وقال له : لم أقله ولا حكمت به •• فيعلم ضعفه فيترك العمل به على بينة من ربه •• وان كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه •• وهو في نفس الأمر ليس كذلك » !!

وعلى هذا قسموا الدين الى شريعة وحقيقة •• وظاهر وباطن !!

وأهل الشريعة — عندهم — ومن بينهم علماء المذاهب الأربعة وفقهاء الشرع وعلماء الحديث •• هم أهل الظاهر !!

وعلى هذا يعتبرونهم طبقة العوام •• لايمانهم بالنصوص الشرعية دون اللجوء الى التأويل !!

أما أهل الحقيقة — في زعمهم — فهم أهل الباطن •• وهم الخاصة الذين يعتمدون على تأويل النصوص الشرعية عن طريق الكشف والخواطر والأحلام !!

ولهذا قال أبو يزيد البسطامي : « أخذتم علمكم ميتا عن ميت •• وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » !!

لأن علماء الشريعة يأخذون علمهم عن الرسل •• بينما هم — باعتبارهم أهل الحقيقة — يتجاوزون هذا المستوى فيأخذون علمهم عن الله مباشرة !!

ويقول الجنيد : « لا يبلغ الرجل عندنا مبلغ الرجال حتى يشهد فيه ألف صديق من علماء الرسوم — أي الشريعة — بأنه زنديق •• لأن أحوالهم وراء النقل والعقل » !!

ويقول : « أحب للمبتدىء ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغير حاله : التكسب ، وطلب الحديث ، والتزوج •• وأحب للصوفي ألا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه » !!

ولهذا يعتقدون أن للقرآن ظاهرا وباطنا •• وأن في كل آية منه •• وكل كلمة •• بل وكل حرف معنى باطني لا يكشفه الله الا للخاصة

من عباده ــ وهم أهل الحقيقة ــ فتشرق معانيها فى قلوبهم أوقات وجدهم !!

ويروى ابن عربى فى ذلك حديثا موضوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •• يقول : « ما من آية فى القــرآن الا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع •• ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال •• ولكل طائفة قطب •• وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف » ••

ثم يعقب على ذلك بقوله : « وقد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحته » !!

وباسم هذا الكشف ــ الذى يدعونه ــ يعطون لأنفسهم الحق فى تأويل آيات الله تعالى وفقا لأهوائهم •• فتسمع أحــدهم يقول : حدثنى قلبى عن ربى (!!)

وآخر يقول : رأيت رسول الله وحدثنى قال •••• (!!)

ولهم فى ذلك أقوال مأثورة •• فيقول قائلهم : أحسن الظن ولا تنتقد •• بل اعتقد ••

ويقول الآخر : من اعترض انطرد •• وهكذا !!

* * *

ولهم فى تصريف أمور الكون معتقدات عجيبة •• ومصطلحات لا يمكن أن ترتقى اليها عقول طبقة العوام من أهل الظاهر أمثالنا ••

فعندهم النقباء الثلاثمائة الذين يسكنون المغرب ••

والنجباء السبعون الذين يسكنون مصر ••

والأبدال الأربعون الذين يسكنون الشام ••

والأخيار السبعة ــ وهم الأقطاب ــ الذين يسيحون فى الأرض ••

والعمد الأربعة الكامنون فى زوايا الأرض ••

وقطب الغوث ساكن مكة ••

فاذا عرضت للعامة حاجة ابتهل النقباء •• ثم يبتهل النجباء •• ثم الأبدال •• ثم الأخيار •• ثم العمد •• ثم الغوث ، فلا يتم الغوث مسألته حتى تجاب دعوته !!

هكذا قال أبو بكر الكتانى •• ونقل عنه الشعرانى !!

ثم هذا « الديوان » الذى يحدثنا عنه الدباغ فى « الابريز » •• فيقول : والديوان مقره غار حــراء •• فيجلس الغوث خارج الغار •• ومكة خلف كتفه الأيمن •• والمدينة أمام ركبته اليسرى •• والأقطاب

الأربعة عن يمينه وهم مالكية •• وثلاثة أقطاب عن يساره من كل مذهب واحد ••

ويجلس الوكيل ـ وهو قاضى الديوان ـ أمامه •• ويتكلم الغوث مع الوكيل •• ويتصرف الأقطاب السبعة على أمر الغوث !!

ولكل واحد من هؤلاء السبعة عدد مخصوص يتصرفون تحته •• ولغة هذا الديوان هى السريانية !!

واذا اجتمع أهل الديوان فيه •• اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت الى مثله من الغد •• فهم يتكلمون فى قضـاء الله تعالى فى اليوم المستقبل والليلة التى تليه •• ولهم التصرف فى العوالم كلها السفلية والعلوية •• وحتى فى الحجب السبعين •• فهم الذين يتصرفون فيه وفى أهله وفى خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم •• فلا يهجس فى خاطر واحد منهم شىء الا باذن أهل التصريف !!

والشيخ ـ عندهم ـ هو الواسطة بين الله وبين المريد •• وهو أمين الالهام كما كان جبريل عليه السلام أمينا للوحى !!

يقول السهروردى فى كتاب « عوارف المعارف » :

« كلام الشيخ بالحق من الحق •• فالشيخ للمريدين أمين الالهام كما أن جبريل أمين الوحى •• فكما لا يخون جبريل فى الوحى لا يخون الشيخ فى الالهام •• وكما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى •• فالشيخ لا يتكلم عن الهوى » !!

وعلى المريد أن يستسلم لشيخه •• منقادا راضيا بتصرفاته •• يخدمه بالمـال والدين •• وألا يعترض عليه فيما يفعله ولو كان ظاهره حراما •• فمن اعترض انطرد !!

ولا يسأله عن شىء فعله •• لم فعلت هذا ؟ •• فمن قال لشيخه : لم ؟ •• لا يفلح أبدا !!

ويقول الشاذلى : على المريد أن يعتصـم بالشيخ ويتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء البحر بقائده •• بحيث يفوض أمره اليه بالكلية •• فلا ينازعه فى الأمر ولا يخالفه ••

حتى ليقول شاعرهم :

كن عنده كالميت عند مغسـل ... يقلبه ما شاء وهو مطـاع
وسلم له فيمـا تراه ولو يكن ... على غير مشروع فثم مخـادع

بل ان ذا النون المصرى يقول : « طاعة المريد لشيخه فوق طاعته لربه » !!

* * *

ومقام الولاية عندهم فوق مقام النبوة !!

يقول محيى الدين بن عربى مدللا على ذلك :

« وليس هذا العلم — أى معرفة الله — الا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء •• وما يراه أحد من الأنبياء والرسل الا من مشكاة الرسول الخاتم •• وما يراه أحد من الأولياء الا من مشكاة الولى الخاتم ••

حتى أن الرسل لا يرونه اذا رأوه الا من مشكاة خاتم الأولياء •• فان الرسالة والنبوة — أعنى نبوة التشريع ورسالته — ينقطعان ••

وأما الولاية فلا تنقطع أبدا •• فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرونه الا من مشكاة خاتم الأولياء » (!!)

ثم يسوق الكلام الى أن يذكر :

« أن خاتم الأنبياء موضع لبنة فضة •• وأن خاتم الاولياء موضع لبنتين •• لبنة ذهب ولبنة فضة (!!)

فهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهره وما يتبعه من الأحكام •• لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلابد أن يراه هكذا (!!)

وهو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن •• فانه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به الى الرسل » (!!)

ويتصدى الامام ابن تيمية للرد على هذا الضلال •• فيقول :

« دعواه أن الأولياء كلهم حتى الأنبياء يستفيدون من خاتم الأولياء •• فهذا مخالف للعقل والشرع •• فان الأنبياء أفضل من الأولياء •• وخيار الأولياء أتبعهم للأنبياء •• كما كان أبو بكر أفضل من طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين ••

وكذلك دعواه : أن خاتم الأولياء يأخذ العلم الظاهر من حيث يأخذ النبى •• ويأخذ العلم الباطن من المعدن الذى يأخذ منه الملك ما يوحيه الى النبى •• فهذا من أعظم الكفر والضلال •• وهو مبنى على قول المتفلسفة الذين يجعلون النبوة فيضا يفيض على عقل النبى •

ويقولون ان الملك هو ما يتمثل فى نفس النبى من الأشكال النورانية •• فيقولون ان النبى يأخذ عن تلك الصور الخيالية وهى

الملك عندهم •• فمن أخذ المعانى الفعلية عن العقل المجرد كان أعظم وأكمل ممن يأخذ عن الأمثلة الخيالية ••

فهؤلاء اعتقدوا أقوال الفلاسفة الملحدين •• وسلكوا مسلك الرياضة •• فأخذوا يتكلمون بتلك الأمور الالحادية الفلسفية •• ويخرجونها فى قالب المكاشفات والمخاطبات ••

وما ذكروه فى خاتم الأولياء لا حقيقة له •• وان كان قد ذكره الحكيم الترمذى فى كتاب « خاتم الأولياء » فقد غلط فى ذلك الكتاب غلطا معروفا عند أهل المعرفة والعلم والايمان » (*)

ومن هذا المنطلق يقول أبو يزيد البسطامى : « لقد خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله » !!

فالأنبياء يتلقون رسالاتهم عن جبريل •• أما الأولياء فيتلقون علمهم عن الله مباشرة •• ويسمون هذا العلم بالعلم اللدنى •• لأنه من لدن الله ••

ويقول الجيلى : « الولى يسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات •• وكان البعيد منه كالقريب » •

ثم يقول عن نفسه : « وفى هذا التجلى سمعت علم الرحمانية » ••

ولهذا يعتقدون أن الخضر عليه السلام كان وليا •• وليس نبيا !!

ويزعمون أنه لا يزال حيا يرزق حتى الآن •• وأنه يزورهم ويزورونه •• ويجتمعون به ويتلقون عنه !!

ولما كان للشريعة — فى زعمهم — ظاهرا وباطنا •• فقد اعتبروا موسى عليه السلام من أهل الظاهر •• واعتبروا الخضر من أهل الباطن •• وليس لأهل الظاهر أن يعترضوا على أهل الباطن ••

ولأن موسى عليه السلام من أهل الظاهر •• فقد ذهب الى الخضر ليتعلم منه •• وقد تعلم منه فعلا أمورا غابت عنه •• ولهذا يقولون :

مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولى

أى أن مقام النبى أكبر درجة من مقام الرسول •• وهو فى نفس الوقت أقل درجة من مقام الولى !!

* * *

(*) علم الحديث — للامام ابن تيمية ص ٥١٦

* مســألة الخضر عليه السلام :

يقول الله تعــالى : « وإذ قال موسى لفتــاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا . فلمــا بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخــذ سبيله فى البحــر سربا . فلمــا جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينــا من سفرنا هــذا نصبا . قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشــيطان أن أذكره ، واتخذ ســبيله فى البحر عجبا . قال ذلك ما كنا نبغ ، فارتدا على آثارهما قصصا ..

« فوجدا عبدا من عبادنا آتينــاه رحمة من عندنا وعلمنــاه من لدنا علمــا . قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن ممــا علمت رشــدا . قال انك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا . قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال فان اتبعتنى فلا تســألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا ..

« فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقهــا قال أخرقتها لتغــرق أهلها لقد جئت شيئا امرا . قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا . قال لا تؤاخذنى بمــا نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا ..

« فانطلقا حتى اذا لقيــا غلاما فقتله قال أقتلت نفســا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا . قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا . قال ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى ، قد بلغت من لدنى عذرا ..

« فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجــدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليــه أجرا . قال هذا فراق بينى وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ..

« أما السفينة فكانت لمســاكين يعملون فى البحــر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ..

« وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيــانا وكفرا . فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ..

« وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهمــا

وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ، وما فعلته عن أمرى ، ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا »[1] .

روى البخارى عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : ان نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو صاحب بنى اسرائيل ..

فقال ابن عباس : كذب عدو الله .. حدثنا أبى بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان موسى قام خطيبا فى بنى اسرائيل .. فسئل : أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا .. فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه .. فأوحى الله اليه : ان لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك ..

قال موسى : يا رب .. فكيف لى به ؟ قال : تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكتل .. فحيثما فقدت الحوت فهو ثم ..

فأخذ حوتا فجعله فى مكتل .. ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع ابن نون .. حتى اذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما .. واضطرب الحوت فى المكتل .. فخرج منه فسقط فى البحر .. واتخذ سبيله فى البحر سربا ..

وأمسك الله عن الحوت جرية الماء .. فصار عليه مثل الطاق .. فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت .. فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ..

حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه : « **آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا** » .. قال : ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمره الله به ، فقال له فتاه : « **أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله فى البحر عجبا** » قال : فكان للحوت سربا .. ولموسى ولفتاه عجبا فقال له موسى : « **ذلك ما كنا نبغ ، فارتدا على آثارهما قصصا** » ..

قال : فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا الى الصخرة .. فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى .. فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ؟ .. قال : أنا موسى . قال : موسى بنى اسرائيل ؟ قال :

---

(١) الكهف : ٦٠ — ٨٢

نعم •• أتيتك لتعلمنى مما علمت رشــدا **« قال انك لن تستطيع معى صبرا »** •• يا موسى انى على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت •• وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه •• فقال موسى : **« ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا »** ••

فقال له الخضر : **« فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا »** •• فانطلقا يمشيان على ساحل البحر •• فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم •• فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول ـ أى أجر ـ ••

فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم •• فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول •• عمدت الى سفينتهم فخرقتها **« لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئا امرا • قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا • قال لا تؤاخــذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا »** •

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فكانت الأولى من موسى نسيانا » •• قال : وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحــر نقرة •• فقال له الخضر : ما علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر ••

ثم خرجا من السفينة •• فبينما هما يمشيان على الساحل اذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان ـ ويقال ان اسمه جيسور ـ فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله •• ويقال : أضجعه ثم ذبحه بالسكين •• فقال له موسى : **« أقتلت نفســا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا • قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا »** ـ قال : وهذه أشــد من الأولى ـ فقال موسى : **« ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى ، قد بلغت من لدنى عذرا »** ••

« فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض » قال : مائل •• فقام الخضر **« فأقــامه »** بيده •• فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا **« لو شئت لاتخذت عليه أجرا • قال هذا فراق بينى وبينك • سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا »** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » ••

وشرع الخضر عليه السلام يفسر لموسى ما غمض عليه ..

فأما ما كان من أمر السفينة .. فانها كانت لمساكين يعملون فى البحر .. وكان أمامهم ملك ـ قيل انه هدد بن بدد ـ كان يأخذ كل سفينة غصبا .. فأراد الخضر اذا هى مرت به أن يدعها لعيبها .. فاذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها .. ومنهم من يقول : سدوها بقارورة .. ومنهم من يقول بالقار ..

وأما ما كان من أمر الغلام .. فقد كان أبواه مؤمنين .. وكان هو كافرا .. فخشى الخضر أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه .. فأراد أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة ـ لقول موسى أقتلت نفسا زكية ـ وأقرب رحما .. هما به أرحم منهما بالأول الذى قتل الخضر ..

وأما ما كان من أمر الجدار .. فقد كان لغلامين يتيمين .. قال السهيلى : وهما أصرم وصريم ابنا كاشح .. **« وكان تحته كنز لهما »** قيل : كان ذهبا ، قاله عكرمة .. وقال ابن عباس : كان علما . والأشبه أنه كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه علم ..

عن أبى ذر رضى الله عنه يرفعه قال : « ان الكنز الذى ذكره الله فى كتابه لوح من ذهب مصمت .. مكتوب فيه : عجبت لمن أيقن بالقدر كيف نصب ؟ وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك ؟ وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل ؟ » ..

وهكذا روى عن الحسن البصرى وعمر مولى غفرة وجعفر الصادق نحو هذا ..

وأما قوله : **« وكان أبوهما صالحا »** ، قيل أنه كان الأب السابع .. وقيل العاشر .. وعلى كل تقدير : فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ فى ذريته ..

* * *

* هل كان الخضر نبيا .. أم وليا ؟ :

يعتقد الصوفيون أن الخضر عليه السلام ، كان وليا وليس بنبى .. كما يعتقدون أنه ما زال حيا يرزق !!

وعلى هذه العقيدة أقاموا مزاعمهم التى تؤكد أن الولى أعلم من النبى .. فقد ذهب موسى عليه السلام ـ وهو نبى ـ الى الخضر ليتعلم منه .. وقد تعلم منه بالفعل علما كان يجهله !!

ويقول الامام ابن كثير : « قوله تعالى : **« رحمة من ربك ، وما فعلته عن أمرى »** دليل على أنه كان نبيا •• وأنه ما فعل شيئا من تلقاء نفسه بل بأمر ربه فهو نبى •• وقيل رسول » ••

كما يقول : دل سياق القصة على نبوته من وجوه :

أحدها قوله تعالى : **« فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما »** [وفى هذا دليل على نبوته] ••

الثانى : قول موسى له : **« هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا • قال انك لن تستطيع معى صبرا • وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا • قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا • قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا »** ••

فلو كان وليا وليس بنبى لم يخاطبه بهذه المخاطبة •• ولم يرد على موسى هذا الرد ••

بل موسى انما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذى اختصه الله به دونه •• فلو كان غير نبى لم يكن معصوما •• ولم تكن لموسى — وهو نبى عظيم ورسول كريم واجب العصمة — كبير رغبة ولا عظيم طلبة فى علم ولى غير واجب العصمة •• ولما عزم على الذهاب اليه والتفتيش عنه •• ولو أنه أمضى حقبا من الزمان — قيل ثمانين سنة — ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه •• واتبعه فى صورة مستفيد منه ••

فدل على أنه نبى مثله يوحى اليه كما يوحى اليه •• وقد خص من العلوم اللدنية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم •• نبى بنى اسرائيل الكريم • وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرمانى على نبوة الخضر عليه السلام ••

الثالث : أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام •• وما ذلك الا للوحى اليه من الملك العلام ••

وهذا دليل مستقل على نبوته •• وبرهان ظاهر على عصمته •• لأن الولى لا يجوز له الاقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقى فى خلده •• لأن خاطره ليس بواجب العصمة •• اذ يجوز عليه الخطأ بالاتفاق ••

ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام الذى لم يبلغ الحلم •• علما منه بأنه اذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتهما له فيتبعانه عليه •• ففى قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته ••

صيانة لأبويه عن الوقوع فى الكفر وعقوبته .. دل ذلك على نبوته وأنه مؤيد من الله بعصمته ..

وقد رأيت – يقول ابن كثير – الشيخ أبا الفرج ابن الجوزى طرق هذا المسلك بعينه فى الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه .. وحكى الاحتجاج عليه الرمانى أيضا ..

الرابع : أنه لما فسر الخضر تأويل الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلى ، قال بعد ذلك كله : **« رحمة من ربك ، وما فعلته عن أمرى »** يعنى ما فعلته من تلقاء نفسى .. بل أمر أمرت به وأوحى الى فيه .. فدلت هذه الوجوه على نبوته » ..

ان قصة الخضر عليه السلام قد دلتنا على أن الله تعالى قد أطلعه على شىء من الغيب .. وما كان الله ليطلع على هذا الغيب الا الرسل .. يقول تعالى : **« وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء »**[٢] .

كما يقول : **« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . الا من ارتضى من رسول »**[٣] .

أما عن ادعائهم بأنه ما زال حيا حتى الآن .. وأنه يزورهم ويزورونه .. ويجتمعون به ويتلقون عنه .. فيقول الشيخ على محفوظ فى كتابه « الابداع فى مضار الابتداع » : لو صح بقاء بشر من لدن آدم الى قرب خراب الدنيا لحسن ذكر هذا الأمر العظيم فى القرآن الكريم مرة على الأقل » ..

وسئل بعض أئمة السلف عن ذلك فقرأ قوله تعالى : **« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد »**[٤] .

وسئل الامام البخارى عنه وعن الياس عليهما السلام : هل هما حيان ؟ فأجاب : كيف هذا .. وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بقليل : « لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » ؟ ..

ويقول الامام ابن تيمية : « لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم ويجاهد بين يديه .. ويتعلم منه » ..

---

(٢) آل عمران : ١٧٩
(٣) الجن : ٢٦ ، ٢٧
(٤) الأنبياء : ٣٤

وقد ذهب الى أنه عليه السلام قد مات : البخارى ، وابراهيم الحربى ، وأبو الحسن ابن المنادى ، وأبو الفرج ابن الجوزى الذى انتصر لذلك وألف كتابا أسماه « عجالة المنتظر فى حالة الخضر » .. ويحتج فيه بأشياء كثيرة .. منها قوله تعالى : **« وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد »** .. فالخضر ان كان بشرا فقد دخل فى هذا العموم لا محالة .. ولا يجوز تخصيصه منه الا بدليل صحيح .. والأصل عدمه حتى يثبت .. ولم يذكر فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله ..

ومنها أن الله تعالى قال : **« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين »**(٥) ..

قال ابن عباس : ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه .. وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق .. لئن بعث محمدا وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه .. ذكره البخارى عنه ..

والخضر عليه السلام داخل فى هذا الميثاق .. فلو كان حيا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه ، يؤمن بما أنزل الله عليه .. وينصره أن يصل أحد من الأعداء اليه .. لأنه ان كان وليا فالصديق أفضل منه .. وان كان نبيا فموسى أفضل منه .. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعنى »(٦) . فذكر موسى عليه السلام من دون الأنبياء دلالة على جلالة قدره وشرفه عليهم ..

وقد دلت هذه الآية الكريمة أن الأنبياء كلهم .. لو فرض أنهم أحياء مكلفون فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكانوا كلهم أتباعا له وتحت أوامره وفى عموم شرعه ..

كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لما اجتمع بهم ليلة الاسراء رفع فوقهم كلهم .. ولما هبطوا معه الى بيت المقدس وحانت الصلاة

---

(٥) آل عمران : ٨١

(٦) رواه أحمد فى مسنده .

•• أمره جبريل عليه السلام عن أمر الله أن يؤمهم •• فصلى بهم فى محل ولايتهم ودار اقامتهم •• فدل على أنه الامام الأعظم •• والرسول الخاتم المبجل المقدم •• صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ••

فاذا علم هذا — وهو معلوم عند كل مؤمن — علم أنه لو كان الخضر حيا لكان من جملة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وممن يقتدى بشرعه لا يسعه الا ذلك ••

ويقول الامام ابن كثير : « وهذا عيسى ابن مريم عليه السلام •• اذا نزل فى آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة •• لا يخرج منها ولا يحيد عنها •• وهو أحد أولى العزم الخمسة المرسلين •• وخاتم أنبياء بنى اسرائيل •• والمعلوم أن الخضر — عليه السلام — لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن اليه النفس أنه اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم واحد •• ولم يشهد معه قتالا فى مشهد من المشاهد ••

وهذا يوم بدر •• يقول الصادق المصدوق فيما دعا به لربه عز وجل •• واستنصره واستفتحه على من كفره : « اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها فى الأرض » •• وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ •• وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام •• كما قال حسان بن ثابت فى قصيدة له •• فى بيت يقال انه أفخر بيت قالته العرب :

وببئر بدر اذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد ••

فلو كان الخضر حيا •• لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته ••

قال القاضى أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى : سئل بعض أصحابنا عن الخضر •• هل مات ؟ فقال : نعم •• قال : وبلغنى مثل هذا عن أبى طاهر ابن الغبارى قال : وكان يحتج بأنه لو كان حيا لجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

نقله ابن الجوزى فى « العجالة » ••

فان قيل : فهل يقال انه كان حاضرا فى هذه المواطن كلها •• ولكن لم يكن أحد يراه ؟

فالجواب : ان الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذى يلزم

منه تخصيص العموميات بمجرد التوهمات •• ثم ما الحامل له على هذا الاختفاء ؟ وظهوره أعظم لأجره وأعلى فى مرتبته وأظهر لمعجزته ••

ثم لو كان باقيا بعده •• لكان تبليغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحاديث النبوية والآيات القرآنية •• وانكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة والروايات المقلوبة والآراء البدعية والأهواء العصبية •• •• وقتاله مع المسلمين فى غزواتهم وشهوده جمعهم وجماعاتهم •• ونفعه اياهم ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم •• وتسديده العلماء والحكام • وتقديره الأدلة والأحكام •• أفضل مما يقال عنه من كنونه فى الأبصار •• وجوبه الفيافى والأقطار •• واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم •• وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم •• وهذا الذى ذكرناه لا يتوقف فيه أحد بعد التفهيم •• والله يهدى من شاء الى صراط مستقيم » ••

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما •• أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ليلة العشاء ثم قال : « أرأيتم ليلتكم هذه ؟ فانه الى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد » •• وفى رواية : « عين تطرف » ••

قال ابن عمر : فوهل الناس — أى فزعوا — من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه(٧) •• أراد انقطاع قرنه •

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بقليل — أو بشهر — : « ما من نفس منفوسة — أو ما منكم من نفس اليوم منفوسة — يأتى عليها مائة سنة وهى يومئذ حية »(٨) •

قال ابن الجوزى : فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر •• ولو سلمنا جدلا — وهو ما أثبتنا عدم صحته — أنه كان حيا حتى أدرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فهذين الحديثين يقتضيان أنه لم يعش بعد مائة سنة •• ويستحيل معه بقاءه حيا الى اليوم ••

فالخضر عليه السلام كان نبيا ولم يكن وليا •• كما أنه لم يدرك زمن الرسول صلى الله عليه وسلم •• والله أعلم ••

* * *

---

(٧) رواه البخارى ومسلم . (٨) رواه أحمد .

ما هو التصـــوف الاسلامى ؟

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين : **« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدى القوم الكافرين »**[1] .

ويقـــول : **« وما آتاكم الرســول فخـــذوه وما نهــاكم عنــه فانتهوا »**[2] ..

ويقــول : **« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »**[3] ..

ويقول جل شأنه : **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »**[4] ..

لقد أكمل الله لنا الدين .. وأتم النعمة .. ورضى لنا الاســلام دينا .. وأطلق علينا اسم المسلمين دون سائر الأسماء .. فقال : **« هو سماكم المسلمين »**[5] ..

ولهذا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ للناس ما أنزل اليه .. ولا يكتم منه شيئا .. فان لم يفعل فما بلغ الرسالة ، ولا أدى الأمانة ..

ثم أمرنا تعالى باتباع ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم .. واجتناب ما نهى عنه ..

بل انه تعالى أقسم بذاته .. نافيا الايمــان عمن يأبى الرجوع الى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يعترضه من خلاف فى الرأى أو العقيدة أو الدين .. وفى سائر العبادات والمعاملات .. ويكون ذلك بتحكيمه صلى الله عليه وسلم حال حياته .. وبالرجوع الى سنته بعد موته ..

وغلظ تعالى فى ذلك .. فنفى الايمان عمن يحكم الرسول ثم يجد فى صدره ضيقا مما يقضى به الرسول أو تقضى به السنة المطهرة ..

---

(١) المـــائدة : ٦٧ (٢) الحشر : ٧
(٣) النساء : ٦٥ (٤) المـــائدة : ٣
(٥) الحج : ٧٨

فالمؤمن كامل الايمان ــ كما وصفه الله تعالى ــ هو الذى يرجع الى الرسول صلى الله عليه وسلم •• والى سنته المطهرة فى كل شأن من شئونه •• مستلهما الحل لمـا يعترضه من أمور فى كتاب الله وسنة رسوله •• ثم يرضى بالحل الاسلامى كل الرضا ويسلم تسليما ••

والتسليم لا يكون الا بنبذ الارادة تماما اذا تعارضت مع حكم الله أو حكم رسوله •• وقد وصف الله من لا يحكم بما أنزله تعالى بالكفر •• والظلم •• والفسوق •• نعوذ بالله من ذلك ••

وقد أدى الرسول صلى الله عليه وسلم الأمانة • وبلغ الرسالة •• ونصح للأمة •• وجاهـد فى الله حق جهـاده •• ولم يكتم شـيئا مما أنزله الله عليه •• ولهذا نراه يكرر أكثر من مرة فى حجة الوداع •• وبعد تقرير كل أصل من أصول العقيدة •• يكرر كلمته المشهورة : « ألا هل بلغت » ؟ فيقول الناس : نعم •• فيقول صلى الله عليه وسلم : « اللهم فاشهد » •••

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تركتكم على المحجة البيضاء •• ليلها كنهارها •• لا يزيغ عنها الا هالك » ••

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هـذا ما ليس منه فهو رد »(٦) ••

وفى رواية لمسلم : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ••

وعن جابر رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم •• ويقول : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ــ ويقرن بين اصبعيه السـبابة والوسطى ــ ويقول : « أما بعد •• فان خير الحديث كتاب الله •• وخير الهدى هدى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشر الأمور محدثاتها •• وكل بدعة ضلالة »(٧) •

ولهذا يقول الامام مالك رضى الله عنه : « من ابتدع فى الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة •• لأن الله جل شأنه يقول : **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليـكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** ••

---

(٦) متفق عليه .

(٧) رواه مسلم .

تعالوا الى كتاب الله •• هل جاء فيه ذكر للتصوف أو الصوفية ؟

لم يرد ذلك فى آية واحدة منه !!

تعالوا الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ••هل فيها ذكر للتصوف أو الصوفية ؟

لم يذكرها صلى الله عليه وسلم مرة واحدة !!

والقرآن الكريم لم يغادر كبيرة ولا صغيرة الا أحصاها ••

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك كبيرة ولا صغيرة •• سواء فى أمر ديننا أو دنيانا الا وتعرض لها ••

فلماذا لم يرد ذكر التصوف أو الصوفية فى كتاب الله أو فى سنة رسوله ان كان لهما أصل فى الاسلام !!

هل عرف الصحابة رضوان الله عليهم الصوفية أو التصوف ؟ !

هل قال الصحابة رضوان الله عليهم بوحدة الوجود •• وأن الوجود حقيقة واحدة لا فرق فيها بين الحق والخلق ؟!

لم يقل بذلك واحد منهم !!

فلماذا لا نتبع الصراط المستقيم ؟!

لماذا لا نتبع الرسول ونتخذ منه الأسوة الحسنة ؟ !

لماذا نخالف عن أمره •• ونتعرض للفتنة تصيبنا وللعذاب الأليم ينزل بنا ؟ !

يقول الله تعالى : **« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »**(٨) .

ويقول : **« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم »**(٩) ••

ويقول : **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر »**(١٠) .

ويقول : **« فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم »**(١١) .

---

(٨) الانعام : ١٥٣
(٩) آل عمران : ٣١
(١٠) الأحزاب : ٢١
(١١) النور : ٦٣

ويقـــول : **« انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورســوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون »**(١٢) .

فلماذا ننأى عن الفلاح •• ونأبى أن نقول لله ولرسوله : « سمعنا وأطعنا » ؟ !

لـــماذا نترك الطريق الواضح •• والمحجة البيضاء •• ونتبع الطرق المتشعبة •• والمسالك الوعرة ؟!

لـــماذا لا نتدبر قول الله تعالى : **« هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشـــابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعــلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولوا الألباب »**(١٣) ؟ !

لـــماذا لا نعقل تحذيره تعالى لنا : **« ولا تكونوا كالتى نقضــت غزلها من بعد قوة أنكاثا »**(١٤) ؟!

عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك »(١٥) .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الحلال بين ، وان الحرام بين •• وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس •• فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه •• ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام : كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه •• ألا وان لكل ملك حمى •• ألا وان حمى الله محارمه •• ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله •• واذا فسدت فسد الجسد كله •• ألا وهى القلب »(١٦) .

فاللهم ربنا : أصلح فســاد قلوبنا •• وأرنا الحق حقا وارزقنـــا إتباعه •• وأرنا الباطل باطلا وارزقنا إجتنابه •• وجنبنا الشبهات •• واهدنا الى صراطك المستقيم ••

* * *

---

(١٢) النور : ٥١

(١٣) آل عمران : ٧

(١٤) النحل : ٩٢

(١٥) رواه الترمذى .

(١٦) متفق عليه .

* **تعريف التصوف .. أصله ونشأته :**

يعرف أستاذنا الدكتور ابراهيم هلال التصوف فيقول[17] :

« التصوف كما يراه الصوفية فى عمومه : هو السير فى طريق الزهد .. والتجرد عن زينة الحياة وشكلياتها .. وأخذ النفس بأسلوب من التقشف وأنواع من العبادة والأوراد والجوع والسهر .. فى صلاة أو تلاوة حتى يضعف فى الانسان الجانب الجسدى .. ويقوى فيه الجانب النفسى أو الروحى ..

فهو اخضاع الجسد للنفس بهذا الطريق المتقدم .. سعيا الى تحقيق الكمال الأخلاقى للنفس ــ كما يقولون ــ .. والى معــرفة الذات الالهية وكمالاتها .. وهو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة ..

« والاسلام يدعو حقيقة الى اخضاع الجسد أو الحس للنفس وللدين والعقل .. ولكن لا عن اتخاذ كل ما أشار به الصوفية .. وانما عن طريق الايمان بالله واليوم الآخر .. وبالرسل والأنبياء جميعهم والعمل بشريعتهم التى تبلورت أخيرا فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فى حدود الطاقة بعد أداء الواجبات .. والانتهاء عن المنهيات ..

« وبهذا فسلوك التصوف سلوك متزيد .. يطهــر فى النفس الانسانية معنوياتها .. ويحاول فى أحوال تطرفه أو تفلسفه أن يباعد بينها وبين الحياة ..

والله سبحانه يقول : **« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »(*)** ..

« واذا كان التصوف فى الاسلام قد غلب عليه هذا الطابع فى التعريف المتقدم .. فان ذلك راجع الى أنه قد تأثر فى ذلك بفلسفات أجنبية عن الدين الاسلامى وعن بيئته .. سواء أكانت هذه الفلسفات فلسفات أجنبية عن البيئة الاسلامية كلها .. أو أنها أخذت من البيئة الاسلامية عن طريق الشيعة وعن طريق الفلاسفة الاسلاميين ..

---

(١٧) راجع كتاب التصوف الاسلامى بين الدين والفلسفة ــ للأستاذ الدكتور ابراهيم هلال ــ ط أولى سنة ١٩٧٥ ص ١ وما بعدها .

(*) الأعراف : ٣٢

« فالتصوف الاسلامى قد خلط بالدين الاسلامى ما ليس منه فى جانب العبادة والمعرفة •• وأصبحت معرفة الصوفية فى عمومها معرفة فلسفية أو اشراقية لا معرفة دينية فى كشفها ، الى محض التمسك بالكتاب والسنة ••

« والاشراق بالمعنى الفلسفى الصوفى هو تلقى العلم الغيبى والمعرفة الالهية عن العالم العلوى الروحانى بعد سلوك طريق التصوف من رياضة روحية ومجاهدة للنفس بحيث تصفو من الكدورات البشرية •• وحينئذ ينعكس عليها — أو يشرق فيها — من العلوم والمعارف ما هو منقوش فى العالم العلوى الروحانى من الملائكة أو العقول والنفوس الفلكية •• والاشراقيون هم الذين يرون أن المعارف تحصل عن هذا الطريق ويطلبونها به [هامش] ••

« فالاشراق الفلسفى الذى عرف من قبل عند سقراط وأفلاطون وأفلوطين •• وغيرهم من فلاسفة اليونان والهنود والفرس •• والذى يصل فيه المرء بعد مرحلة التجرد والرياضة والعبادة الى مرحلة الكشف والاخبار عن المغيبات •• هو غاية التصوف الاسلامى فى منهجه الفلسفى ••

وقد شاع هذا المنهج بتلك الغاية الاشراقية فى البيئة الاسلامية •• وان كنا وجدنا المنهج السنى والأصول الاسلامية •• بجانب ذلك المنهج الاشراقى •• تعيش معه جنبا الى جنب عند كثير من المتصوفة •• فأفادوا فى علم الأخلاق وفى أصول تربية النفس •• وفى مناهج البحث فى العلوم » ••

ويتحدث سيادته عن تأثر التصوف الاسلامى بالفلسفات الأجنبية فيقول[١٨] :

« أدى ولع الصوفية المسلمين بالمنهج الاشراقى •• أن أخذوا المعرفة عن مخالفيهم من أبناء الديانات الأخرى •• التى رثت وبليت ودخلها التبديل والغنوص •• فهذا ابراهيم بن أدهم يفصح لنا عن أصول التصوف وغايته فيقول : « تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان •••••

---

(١٨) المرجع السابق ص ٣

« ويحدثنا أبو يزيد البسطامى .. أنه سافر مرة حاجا .. فلقيه القطب فى الطريق وأمره أن يعود قائلا له : ان الله هو ما تراه فى بعين قلبك .. لأنه اختارنى بيتا له .. فاذا رأيتنى فقد رأيته ، وطفت حول الكعبة .. واذا عبدتنى فقد عبدته وسبحت له .. فلا تظنن أننى شىء غيره » (!!)

« فهنا التعظيم للولى أو القطب ... وان كان سر التعظيم هنا قد وضح بفعل التطور .. وهو أن الله قد حل فى ذلك القطب .. وأن ذلك القطب مجلى من مجالى الله سبحانه وتعالى .. كما يقول أصحاب مذهب الحلول أو وحدة الوجود »[19] !!

ويعقب على ذلك فيقول :

« ... فأبو يزيد هو الذى أدخل فى التصوف الاسلامى فكرة وحدة الوجود التى كانت ذائعة ذيوعا عظيما فى أنحاء فارس حتى زمن الساسانيين .. وهذه النزعة الفارسية الهندية ــ أعنى نزعة وحدة الوجود ــ من خصائص التفكير الشرقى .. كما أن النزعة « الثيوسوفية » ــ النزعة نحو المعرفة الالهية ــ من خصائص التفكير اليونانى »[20] ..

ويقول نقلا عن الدكتور محمد مصطفى حلمى[21] : « على أن ثمة شبها ظاهرا بين بعض العقائد والنزعات الفارسية القديمة .. وبين بعض التعاليم والمذاهب الصوفية الاسلامية .. فالزهد فى التصوف الاسلامى يشبه الزهد والرهبنة المانوية .. كما يشبه الزهد والقناعة والنهى عن ذبح الحيوان فى الديانة المزدكية .. ولقد شاعت هذه العقائد فيما شاع بين المسلمين من تراث الفرس القديم .. ووجدت من الشيعة من اعتنقها وتعصب لها .. ومن الصوفية من تلقاها بالقبول وتأثر بها عن قصد أو غير قصد »[22] ..

ويحدثنا عن التصوف الملامتي فيقول[23] :

« فاذا انتقلنا عن هؤلاء وعن معرفتهم .. وعن فنائهم عن أنفسهم .. وذهبنا الى أبى عثمان الحيرى المتوفى سنة ٢٩٨ هـ ، وأبى عمرو

---

(١٩) المرجع نفسه ص ٤ (٢٠) نفس المرجع والصفحة .

(٢١) فى كتابه الحياة الروحية فى الاسلام ص ٤٢

(٢٢) التصوف الاسلامى بين الدين والفلسفة ــ مرجع سابق ص ٨

(٢٣) المرجع نفسه ص ١١

ابن نجيد المتوفى سنة ٣٦١ هـ ـــ وهما من الملامتية ـــ رأينا نمطا آخر من التصوف وهو الفناء عن الأعمال .. أو الاستهتار فيها جلبا للملامة وتعرضا لذم الخلق بدلا من مدحهم ... أو الاتجاه دائما ـــ من جانب الشخص نفسه ـــ نحو النفس باللوم والشك فيها دائما .. والنظـــر اليها نظرة التقصير .. ونستطيع أن نتبين أن هذا التطرف موجود فى كلا الاتجاهين : الفناء عن النفس .. والفناء عن الأعمال ..

« ... واذا اجتمع هذان الاتجاهان فى شىء فانما يجتمعان فى السلبية نحو دين الله ومجتمعه . فأحدهما لا يبغى من أعماله الا الوصول الى الله أو الاتحاد به والبعد عن الناس .. والآخر لا يبغى من أعماله الا الوصول الى مذمة الناس له على خلقه وعمله .. والعمـــل على اشاعة الفساد واظهاره بينهم »[٢٤] !!

« ونستطيع اذن رد هذا كله الى مصادر غير اسلامية .. منها ما تقدم فى تشكيل المذهب الملامتى .. ومنهـــا ذلك العنصر اليونانى والمذهب الغنوصى .. وقد أثر كل منهما تأثيرا كبيرا فى الفكر الفلسفى والدينى فى الاسلام .. وقبل الاسلام وخاصة فى التصوف .. والظاهرة الكبرى التى تؤكد لنا صلة التصوف بالمصادر الأجنبية ـــ لسيطرتها على اتجاه المتصوفة عموما ـــ هى ما نراه من المغالاة فى الاهتمام بالعرفان »[٢٥] .

ويحدثنا الأستاذ الدكتور عن «المعرفة » أو « العرفان » عند الصوفية .. فيقول[٢٦] :

« ... ومما يحملنا على الجزم بوجود أثر للفلسفة اليونانية فى التصوف الاسلامى .. أن نظرية المعرفة فيه ظهرت فى غربى آسيا ومصر .. فى بلاد تأصلت فيها الثقافة اليونانية أحقابا طويلة .. وكان بعض المبرزين فى الكلام فيها من أصل غير عربى ..

وسأكتفى هنا بذكر المعرفة كمثال واحد يوضح ما ذكرناه .. فان ما يسميه الصوفية « المعرفة بالله » ويعتبرونه من أخص صفاتهم .. يرادف فى اللغة اليونانية كلمة « جنوسيس » التى معناها : العلم بلا واسطة الناشىء عن الكشف والشهود .. وقد عرفها هذا التعريف

---

(٢٤) نفس المرجع ص ١٢
(٢٥) نفس المرجع ص ١٤
(٢٦) المرجع نفسه ص ١٧

كثير من صوفية القرن الثالث .. بل ان كلمة تصوف نفسها ليست اسلامية ..

ثم يقول : « ... أما أجنبية التصوف عن الاسلام بالنسبة للتسمى بتلك الكلمة .. فانها فى أصل مضمونها القديم قبل أن تدخل الى الأوساط العربية أو الاسلامية .. لم يكن يراعى فيها لبس الصوف أو القوم الذين يلبسون الصوف .. وانما كان يراعى فيها طلب النفاذ الى الأسرار الخفية أو المعانى الكونية المغيبة .. واتخاذ الطرق للوصول الى ذلك »[٢٧] .

« ... ان التصوف فى ذاته ليس جديداً فى الاسلام .. وانما هو قد عاش فى كل بلد ذهب اليه الاسلام .. ونما وترعرع قبل أن يفتحه المسلمون .. فهذا الاتجاه الباطنى .. والبحث فيما وراء الطبيعة عن خفايا الكون .. ومحاولة الوصول اليها بطريق المجاهدة النفسية والجسمية .. لا يعرفه الاسلام ولا يعتبر من سار فى هذا الطريق أنه يسير على صراطه المستقيم .. وانما هو استيراد من خارج الاسلام فى المخبر والمظهر .. أو فى الحقيقة والشكل ..

« الحقيقة أو الاتجاه أخذ عن أديان مختلفة سماوية وغير سماوية..

« والشكل أو المظهر .. أخذ عن زى الرهبان المسيحيين .. فجاء علماء العربية فنسبوهم الى الشكل الذى هو ألصق شىء باتجاههم — هذا اذا قلنا ان تلك الكلمة فى لفظها عربية — ومن المحتمل أن تكون أجنبية وجدت منذ القدم علما على هؤلاء الذين يريدون أن يشفوا هوى نفوسهم من ناحية الكون والحياة .. غير مقتنعين بما جاءت به الأديان .. أو جريا وراء الأفكار الفلسفية أو الكهنوتية [٢٨]..

« ومن الراجح أن تكون كلمة تصوف مشتقة من كلمة « ثيوصوفية » اليونانية التى كانت تطلق عند قدماء اليونان على مذهب روحى يعتنقه النساك والزهاد السالفون قبل الاسلام بعدة قرون .. فكانوا ينأون بجانبهم عن الدنيا .. ويلجأون الى أنواع من الرياضات الروحية والعبادة مما اقتبسوه عن أنبيائهم ورسلهم حبا فى التقرب بالروح من خالقهم .. وتلقى الحكمة والمعارف القدسية عنه تعالى ..[٢٩] .

---

(٢٧) المرجع نفسه ص ٢٧ — (٢٨) نفس المرجع ص ٢٩

(٢٩) نفس المرجع ص ٣٠

ثم يقول جزاه الله خيرا[٣٠] : « ان التصــوف الاسلامى وله المسمى بالزهد •• وآخره المعروف بالتصوف •• انما هو استيراد من خارج الاسلام وليس من صميمه ••

« وان تسميته بالزهد فى أوله انما هى بالنسبة الى جانب منه •• مثل تسمية العباد والنساك والجوعية المتقدمة والحكماء ••

« وكل هذه أسماء ملحوظ فيها جانب من جوانب التصوف •• وهو يجمعها كلها •• وكل منها يتطابق معه فى وجه من وجوهه أو مذهب من مذاهبه ••

« ومن هنا يمكن أن ننظر الى تلك الكلمة « صوف » و « صوفية » فى اطلاقها المبكر قبل الاسلام •• وبعده فى القرن الأول — فى المجال العربى — على جماعة المتعبدين أو الفرد العابد — وأن لا نكذب تلك الروايات التى تقول باطلاقها فى اللغة العربية فى ذلك الوقت المتقدم على الاسلام — على أنها من باب الكلمات الدخيلة فى اللغة العربية •• كما نعرف تطرق تلك الألفاظ اليها فى القديم فى لغات الأمم المختلفة ••

« ثم جاء المتأخرون واعتبروها منسوبة الى الصوف فى أصح أقوالهم •• خاصة وأن لباس الصوف شاع فى عصر الجمع والتدوين والتأليف ••

« على أن اطلاقها فى العصر الأول على العباد والنساك ليس ببعيد •• اذا عرفنا أن اتصالا حقيقيا نشــأ فى العالم الاسلامى اتصل فيه المسلمون بالفلسفة اليونانية فى العقود الاسلامية الأولى •• ذلك أن « ابن كثير » وهو مؤرخ ممتاز ذكر لنا فى بعض النصوص أن علوم الأوائل انتشرت فى العالم الاسلامى فى القرن الأول الهجرى •• والمقصود بعلوم الأوائل الفلسفة اليونانية وعلم النجوم وغيرهما من معارف يونانية لم يوافق عليها العقل الاسلامى » ••

« ••• فلا مانع أن تكون قد استوردت بلفظها فى ذلك الوقت المتقدم الذى غزت فيه علوم هذا الصنف من الأجانب العالم العربى الاسلامى فى ذلك الوقت أو قبله •• اذا تذكرنا أيضا أن الأديرة والكنائس كانت منتشرة فى الجزيرة العربية منذ القدم •• وأن العرب لم يكونوا بمعزل منهم •• وكثير منهم خالطهم واعتنق دينهم •• فضلا

---

(٣٠) نفس المرجع ص ٣١

عن أن العرب كانت لهم صلات تجارية بالعالم المتمدين كله فى ذلك الوقت •• والذى شاعت فيه ديانات سماوية وغير سماوية ، وفلسفات دينية وميتافيزيقية •• كما كانت هناك الى جانب تلك الصلات التجارية صلات حربية وسياسية بين العالم اليونانى من قديم •• حين غـزا الاسكندر بلاد الشرق وبين العالم الرومانى والفارسى والحبشى بعد ذلك •• حتى ظهور الاسلام ••

« فالتصوف فى أصله وفى لفظه ومعناه •• متقدمه ومتأخره •• استيراد أجنبى وليس من الاسلام فى شىء »[٣١] •• ا هـ .

* * *

● ويقول أستاذنا •• فضيلة الشيخ محمد الغزالى[٣٢] :

« التوحيد جوهر الاسلام ومظهره •• ولبابه وقشوره •• ودعامة التعاليم التى جاء بها •• بل هو رباط بنائه •• ولون طلائه •• ومعقد أصوله وفروعه ••

وليس الاسلام بدعا فى الدعوة الى توحيد الله ••

فرسل الله — قاطبة — بعثوا بهذا الايمان الخالص ، وجمعـوا الناس عليه . وحذروهم من كل شائبة تعكر صفوه وتطفىء رونقه :

« وما أرسلنا من قبلك من رســول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون »[٣٣] .

غير أن جماهير غفيرة من البشر أبت الا أن تزيغ عن هذا الصراط •• وأن تتشبث بأوهام سخيفة •• باعدتها عن الله •• وأحلتها البوار ••

فكان كل نبى سبق •• يجىء بالحق •• ويناشد الأمم أن تثوب اليه •• حتى جاء خاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليـه وسلم •• فصدع صرح الشك •• وخط فى شغاف القلوب عقيدة الايمان بالله الواحد ••

وكان القرآن الكريم — ولا يزال — النداء العالى لهذا اليقين الحق •• والمجادل القوى عما يعرض له من شبه أو يلتبس به من تخليط ••

---

(٣١) نفس المرجع ص ٣٢

(٣٢) ليس من الاسلام — للشيخ محمد الغزالى — الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٣ — ص ١٦١ ، ١٦٢

(٣٣) الأنبياء : ٢٥

ومن المؤسف •• أن المسلمين أصابهم مس من داء الامم السابقه•• فظلموا رسالتهم الجليلة بما شابوا به عقيدة التوحيد •• وبما أقحموه عليها من بدع وخرافات ••

وهى بدع وخرافات •• تشبه ما انزلق اليه الأولون •• أو هى ترديد لما كان من لغو •• حذوك النعل بالنعل : **« كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون »**[٣٤] .

والابتداع قد يأتى بالشىء وضده معا •• ليفسد العقيدة الوسط ••

فتسوية المخلوق بالخالق شرك يفسد عقيدة التوحيد •• وكذلك افناء الخلق فى الخالق •• ضلال لا أصل له فى هـذه الملة ، وان كان ظاهره أنه غلو فى تقدير الله •• واغراق فى مبدأ التوحيد » ••

ويقول فضيلته – جزاه الله خيرا – فى موضع آخر عن « وحدة الوجود » :

« كنا نظن أن هذه الخرافة قد انتهت بانتهاء أصحاب الشطحات الذين اشتهروا فى التصوف القديم ••

الا أن نفرا من عصاة المسلمين – فى عصرنا هذا – عندما يتركون حياة المجون •• ويرغبون فى العودة الى الله •• تصيبهم لوثات غريبة ••

فيحسبون أن من تمام توبتهم تغليب ذات الله على كل ما يعرض لهم من أشخاص وأشياء •• فتراهم يخرجون من أنفسهم •• ويسلخون العالم من خصائصه العتيدة ••وقد تتردد على ألسنتهم كلمة « الحلاج » عندما سئل : من فى الجبة ؟ •• فقال : الله (!!)

ولما كان من المتعذر بناء سلوك عملى على هذه الفكرة •• فان الجانحين اليها يكتفون بنوع من الجبر الذى يشل الارادة •• والتسليم لما تفـد به الأحداث •• ثم الحديث عن الله الكامن فى كل شىء حديث استكانة وذوبان ••

وقد أصيب جمهور المسلمين برشاش من هذه الخرافة •• أوقف نمو المنطق المادى فى بلاد الاسلام •• وخلط بالالهيات أمورا كثيرة •• لا تمت اليها بسبب ••

ان العالم شىء يغاير الله – برغم ما يقوله فريق من المتصوفة – ولله عز وجل ذاته وأسماؤه •• وحقوقه التى فصلت تفصيلا فى كتبه المنزلة ••

---

(٣٤) البقرة : ١١٨

وهناك فرق كبير •• بين وحدة الوجود •• ووحدة الشهود ••

ان المرء قد يستغرق فى النظر الى مسألة ما •• استغراقا يذهله عما حوله •• وربما نودى — وهو غارق فى بحار الفكر — فلا يسمع النداء ••

فهل هذه الصورة من صور الانحصار الذاتى •• تعنى فناء ما حول الانسان •• لأن الانسان غائب عنه بفكره ؟

والشمس تطلع فتغمر بأشعتها الساطعة أرجاء الكون •• فلا يمكنك أن ترى فى الأفق البعيد أو القريب نجما •• حتى اذا عاد الليل ونشر ظلامه أخذت النجوم المختفية عن العين تلوح فرادى وجماعات ••

هل غلبة أشعة الشمس عليها تعنى لمن لا يراها أنها معدومة ؟ ••

ان من المؤمنين الأخيار من يعيشون فى أنوار الله معيشة رفيعة •• رسخوا فى مقام الاحسان حتى ألفوا أطواره الزاهية ••

ومقام الاحسان — كما عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم — « أن تعبد الله كأنك تراه •• فان لم تكن تراه فانه يراك »[٣٥] •

وهذا الالف يصح أن نطلق على حقيقته « وحدة الشهود » ••

وهو منحى يغاير تمام المغايرة « وحدة الوجود » •• وان اختلط الأمران على القاصرين ••

وأكثر الذين يعتنقون فكرة ما •• أو تسيرهم عاطفة خاصة •• يقيسون ما يلقاهم من شئون الحياة على شئونها •• ألا ترى الرجل الغزل يقول :

لا أرى الدنيا على نور الضحى بل أرى الدنيا على نور العيون

فليس بعجيب أن يوجد مؤمنون تستولى على مشاعرهم عاطفة دينية •• تجعل نشاطهم كله محصورا فى مرضاة الله •• وتجعل نظرتهم للأمور من هذه الزاوية الخاصة وحدها ••

بل فى هذا يساق الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم •• أن الله قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب •• وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه •• وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه •• فاذا أحببته كنت سمعه الذى

---

(٣٥) رواه البخارى ومسلم •

يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها •• ولئن سألنى لأعطينه •• ولئن استعاذنى لأعيذنه » ••

فالحديث يشير الى مرتبة التفانى فى ارضاء الله تفانيا يجعل حواس المرء وجوارحه مسخرة فى طاعة الله وحده ••

ولا يعنى — ألبتة — أن ادمان العبادة ينتهى بحلول أو اتحاد كما يتصوره بعض السذج •• أو ينتهى على القليل بطور خارق للنواميس المعتادة •• كما صور ذلك المتصوفة فى حديث مكذوب : « عبدى •• أطعنى أجعلك ربانيا •• تقول للشىء كن فيكون »[٣٦] ••

* * *

وبعد •• لقد آثرنا فى الصفحات القلائل المتقدمة أن ننتحى جانبا •• وأن نترك الحديث لفضيلة الشيخ محمد الغزالى •• ومن قبله للأستاذ الدكتور ابراهيم هلال •• ولم نتدخل فى السياق الا عند اختيار بعض الفقرات •• أو التنسيق بينها ••

وليس معنى التزامنا موقف الحياد أن نقف سلبيين ازاء هذه القضية الخطيرة ••

فنحن ندين بالاسلام •• ونتعصب للتوحيد •• عقيدة الاسلام ••

ولا يمكن أن نقف مكتوفى الأيدى •• ونحن نرى عقيدتنا تتعرض للطعن والهجوم من أعدائها •• بسبب خرافات وأوهام دخيلة •• ألصقها بعض القوم زورا بالاسلام •• وجعلت منه هدفا سهلا لأعدائه ••

فاللهم افتح لنا البصائر مكان العيون •• وفهمنا الحقائق مكان الظنون •• واكفنا شر نفوسنا وأهوائنا •• واجعلنا ممن يحب فى الله •• ويكره لله •• لا لهوى نفوسنا ••

وارحمنا وعافنا واعف عنا • واشرح صدورنا •• وكفر عنا سيئاتنا •• وتوفنا مع الأبرار ••

* * *

* الوجه الآخر للعملة :

قلنا اننا لا نعادى الأولياء أو نكرههم •• بل نجلهم ونحترمهم •• ونؤمن بأن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ••

---

(٣٦) المرجع السابق ص ١٦٢ — ١٦٤

كما قلنا اننا لا نشن حربا على الصوفية .. أو نريدها مع الصوفيين .. فليس بيننا وبين تصوفهم تارات أو أحقاد ..

ولكننا نكره الخرافة باسم الولاية .. ونحارب التضليل باسم الدين .. ونعادى الكفر فى الاسلام ..

اننا نبغى ازالة ما علق بالتصوف الاسلامى من أباطيل .. فلا يمكن لذى عقل سليم أن يصدق ما يزعمه هؤلاء القوم من خرافات وأكاذيب .. تسىء الى التصوف نفسه .. قبل أن تسىء الى الاسلام !!

وقد عرضنا رأى الاسلام فى أمور الغيب .. وناقشنا مسألة أهل الشريعة وأهل الحقيقة ، وعلم الظاهر وعلم الباطن !!

بقى أن نرى الوجه الآخر للعملة .. ونستمع الى رأى امام جليل من أئمة الصوفية المعتدلين ..

● يقول فضيلة الامام الأكبر .. الدكتور عبد الحليم محمود .. شيخ الأزهر الأسبق .. وامام الصوفية فى عصرنا هذا عن التصوف[٣٧] :

« ان اليقين الذى لا شك فيه .. هو أن الانسان فى هذه الدنيا الى انتهاء .. وأن الحق الذى لا مرية فيه أن أجل الله آت لا مناص ..

لقد حدد سبحانه الآجال : **« فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون »**[٣٨] .

والمؤمن يعرف أن فى عقد ايمانه .. أن الحياة الدنيا فانية .. وقد تكون ساعات .. وقد تكون شهورا أو سنين .. ولكنها مهما طالت فانها الى زوال ..

ويعرف المؤمنون قول الله تعالى : **« والآخرة خير وأبقى »**[٣٩] ..

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالموت عبرة » ..

ويعرف المؤمنون أن الانسان مجزى بعمله : ان خيرا فخير .. وان شرا فشر .. وأن الأمر كما يقول الله تعالى : **« وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »**[٤٠] ..

---

(٣٧) فى كتابه : « سلطان العارفين .. ابو يزيد البسطامى » نشر دار التراث العربى ــ ص ٩١ وما بعدها .

(٣٨) النحل : ٦١

(٣٩) الأعلى : ١٧

(٤٠) الاسراء : ١٣ ، ١٤

وأنــــه : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره • ومن يعمل مثقــال ذرة شراً يره** »[٤١] •

ومن أدق أوصاف الشعور الصادق تجاه كلمة الله الأخيرة هذه •• أنه حينما سمعها أحد الصحابة قال : « حسبى أن لا أسمع غيرها » ••

ويعرف المؤمنون أن القبر اما روضة من رياض الجنة •• واما حفــرة من حفر النار ••

ويعرف المؤمنون ــ مع كل هذا ــ أن نعم الله على الانســان التى لا تحصى ولا تعد تتطلب الشكر •• وشكرها انما هو استعمالها فى مرضاة الله سبحانه •• وشكرها ــ حينما يؤدى ــ يديمها ويزيدها : « **لئــن شكرتم لأزيدنكم** »[٤٢] •

وكان من الواجب ــ اذن ــ أن يسير المؤمنون فى الطريق الذى رسمه الله تعالى للمؤمنين •• وأخذ العهد عليهم فى عقــد الايمان أن يسيروا فيه •• وخصوصا لأنهم يعلمون :

أولا ــ أن هذا الطريق الذى رسمه سبحانه للأفراد •• ورســـمه للجماعات هو طريق معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه •• وما دام طريقا معصوما فانه لا يتأتى لعاقل أن يتركه ليسير فى طريق خطه البشر الذين ليسوا بمعصومين ••

ثانيا ــ ومما لا شك فيه •• أن الانحــراف عن طريق الله الى الطريق البشرى خلل فى الايمــان •• وقد وصف الله الذين يسيرون فيه بأقسى ما يوصف به الانسان •• انه سبحانه يقول فى حق الذين لا يحكمون بما أنزل فى أنفسهم وفى أسرهم وفى مجتمعهم : « **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** »[٤٣] ، « **ومن لم يحكم بمــا أنزل الله فأولئك هم الظالمون** »[٤٤] ، « **ومن لم يحكم بمــا أنزل الله فأولئك هم الفاسقون** »[٤٥] •

ويقول سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيمــا شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا ممــا قضيت ويسلموا تسليما** »[٤٦] •

---

(٤١) الزلزلة : ٧ ، ٨ — (٤٢) ابراهيم : ٧
(٤٣) المــائدة : ٤٤ — (٤٤) المــائدة : ٤٥
(٤٥) المــائدة : ٤٧ — (٤٦) النساء : ٦٥

تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته •• وتحكيم سنته بعد انتقاله الى الرفيق الأعلى •• وتحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد مماته هو تحكيم الوحى المنزل المعصوم من قبل الله تعالى ••

وسارت الأمور على هذا الوضع — رعاية حقوق الله فى النفس والأسرة والمجتمع — فترة من الزمن ••

ثم بدأ نوع من الانفصال بين الحاكم الخليفة والحاكم ، الحاكم — ملكا او رئيس جمهورية — وأرخى هذا النوع من الانفصال — وهو لم يكن تاما — نوعا من التراخى فى تطبيق الدين فى النفس والأسرة والمجتمع •• فهب طائفة من العلماء للتبشير والوعظ والارشاد حتى تستمر راية الدين خفاقة فى النفس والأسرة والمجتمع •• وكان هؤلاء العلماء يتمثل فيهم حقيقة الخلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم •• وصدق فيهم قوله : « وان العلماء ورثة الأنبياء •• وان لأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما •• انما ورثوا العلم •• فمن أخذ أخذ بحظ وافر » ••

وهذه الوراثة هى وراثة الدعوة ووراثة الهداية ••

ولقد استدرجوا النبوة بين جنبيهم •• كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم •• وساروا بنورها مهديين هادين فى مختلف الأجواء ••

وكانوا أقرب الناس درجــة من النبــوة •• وفى ذلك يقــول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات الجميلة : « وأقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد •• أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل •• وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل » ••

وساروا — هؤلاء العلماء — ناصحين للحكام وللرعية •• كانوا مصابيح هداية للأوساط الحاكمة •• ومصابيح هداية للشعب •• وكانت مهمتهم بيان شرع الله لهؤلاء وأولئك •• وقد نفضوا أيديهم من دنيــا الملوك وأموالهم •• وعاشوا من كسب أيديهم •• فلم يبق فى وجه حريتهم مال الملوك ولا دنياهم •• فكانوا بذلك مثلا كريمة للاخلاص لله ولرسوله •• وقد قاموا بالدعوة خير قيام •• وحققوا ما رســمه الله سبحانه للدعاة •• وبينه لهم فى القرآن الكريم •• ومن ذلك ما يقوله

سبحانه : **« قل هذه سبيلى أدعوا الى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعنى »**(٤٧) ..

والبصيرة هى التزود من العلم الربانى ..

فتزودوا من أجل ذلك بالعلم قرآنا وسنة .. فكان منهم أعلام التفسير .. وأمراء المؤمنين فى الحديث .. وأنتج العلم فى التفسير والحديث العلم بالفقه فكان منهم كبار الفقهاء ..

ومما رسمه الله للدعاة أن تكون خشيتهم له وحده .. يقول سبحانه : **« الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله ، وكفى بالله حسيبا »**(٤٨) .

كفى بالله حسيبا – سبحانه – لمن يخشاه ولا يخشى الا هو تعالى .. » .

ثم يقول فضيلة الامام الأكبر : « ... والأمر الثالث .. مع العلم والاخلاص الذى يتمثل فى خشية الله وحده .. هو أسلوب الدعوة : **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »**(٤٩) .

ويقول الله تعالى لموسى وأخيه هارون عليهما السلام حينما أرسلهما الى فرعون : **« فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى »**(٥٠) .

لابد من العلم بموضوع الدعوة ..

ولابد من الاخلاص لله وحده ..

ولابد من العرض الجميل بحسب مقتضى حال المدعوين ..

وهذه الصفات كلها استكملها دعاة الاسلام الأول ..

ولكن كثيرا من الحكام .. وكثيرا جدا من بطانتهم .. بل وبعض أفراد الشعب من ذوى الشهوات والنزعات كانوا يضيقون ذرعا بهؤلاء الدعاة .. وانه كما يقول سبحانه : **« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين »**(٥١) .

هؤلاء الأعداء من المجرمين .. ماذا كانت نزعتهم التى توجههم وتقودهم ؟

---

(٤٧) يوسف : ١٠٨
(٤٨) الأحزاب : ٣٩
(٤٩) النحل : ١٢٥
(٥٠) طه : ٤٤
(٥١) الفرقان : ٣١

انها شهواتهم •• انهم المترفون الذين تحــدث عنهم القــرآن كثيرا •• يأمرهم الدعــاة بالفضيلة فلا يأتون الا الرذيلة •• يقول سبحانه : **« واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه »**(٥٢) .

وقال : **« وما أرســلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون »**(٥٣) .

وقال : **« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها** ــ أى أمرناهم بالفضيلة فأبوا ــ **ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »**(٥٤) .

وأخذ الملوك •• وأخذت بطانتهم تفكر فى كيفية التخلص من هؤلاء العلماء •• وكانت الطرق متعددة ••

لقد استعمل الحكام طريق الرهبة •• فكان الغضب •• وكان التنكيل •• ولكن ذلك لم يكن حاسما بالنسبة لكثير من العلماء الذين آثروا الله ورسوله ••

ولمــا رأى الملوك ذلك اتخذوا مع طريق الرهبة ــ طريق الرغبة •• فكانت المناصب •• وكان المــال •• وكانت الدنيا ••

ومن لم تثنه الرهبة أطمعته الرغبة !!

ومن كان فقيرا جذبه المــال !!

ومن كان غنيا جذبته الرياسة ، وجذبته المناصب !!

وتعالم العالم كثير من الناس ممن لا هم لهم الا دنياهم •• وساروا ــ بعلمهم ــ فى ركاب الأمراء والملوك •• وتغلب السـفلة على الأشراف •• وتغلبت المداهنة على الاخلاص •• وكذلك كان أمر التاريخ فى كل الحضارات والدول ••

ولكن بقى فى الجو طائفة من العلماء حافظوا على أمر الله •• ورفعوا علم السنة •• وحملوا الدعوة ••

ولن يخلى الله العالم من دعاة اليه •• ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق •• لا يضرهم من خذلهم •• ولا من خالفهم الىأن تقوم الساعة » •• وهو حديث يملأ النفس أملا •• ويمسك الأمل فى النفس •• والثقة بأن الحق تحمله طائفة عن طائفة •• الى أن تقوم الساعة ••

---

(٥٢) هود : ١١٦ (٥٣) سبأ : ٣٤
(٥٤) الاسراء : ١٦

وقدر الله سبحانه أن تقوم من بين هذه الطائفة صفوة هى صفوة العلم •• تجردت الى الله سبحانه فى النية •• وفى القول •• وفى العمل ••

فكانت اخلاصا لا يشوبه نفاق •• والوا الله فوالاهم •• وطرقوا بابه عن طريق العبودية ففتح لهم •• قبلهم فى رحابه •• وأنار قلوبهم بنوره •• أحبهم وأحبوه •• ورضى عنهم ورضوا عنه •• لم تفتنهم الدنيا بزخرفها •• ولم تغرهم قصور هارون الرشيد •• ولا رياض المأمون •• ولا مواكب البرامكة •• لقد كان هدفهم الله تعالى : **« وأن الى ربك المنتهى »**[٥٥] .

وقدوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »**[٥٦] .

حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا •• ووزنوها قبل أن ينصب لهم ميزان الحساب يوم العرض الأكبر •• **« يوم لا ينفع مال ولا بنون • الا من أتى الله بقلب سليم »**[٥٧] •• انهم الصوفية ! » .

* * *

ويتساءل فضيلة الامام الأكبر فيقول [٥٨] : « ما هو التصوف •• وما هى سمات الصوفية ؟

ويجيب : سأل رجل أبا يزيد عن التصوف فقال : « طرح النفس فى العبودية •• وتعليق القلب بالربوبية •• واستعمال كل خلق سنى •• والنظر الى الله بالكلية » .

وهذا تعريف للتصوف •• ورسم لصفات الصوفية من حيث جو نفوسهم وقلوبهم •• وأخلاقهم •• وغايتهم الأخيرة هى الله !! » .

فهم منغمسون دائما فيما يحب •• بعيدون باستمرار عما ينهى عنه •• ويبدأ طريقهم بالتوبة الصادقة •• يقول فضيلته :

« والتوبة ألوان •• منها التوبة من المعاصى وهى فرض •• وبعض الناس يظن أنها التوبة لا غيرها فلا توبة الا اذا كانت معصية •• ولكن الأمر غير ما يظن هؤلاء •• فهناك التوبة من الغفلة •• وهناك توبة العبودية •• وتوبة الطاعة » ••

---

(٥٥) النجم : ٤٢
(٥٦) الاحزاب : ٢١
(٥٧) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩
(٥٨) المرجع السابق ص ٩٨

يقول سبحانه : « **إن الله يحب التوابين** »[٥٩] •• انه سبحانه لم يقل : إن الله يحب التائبين •• وانما قال : « التوابين » •• أى الذين يكثرون من التوبة •• يتوبون حيث لا ذنب •• يتوبون توبة عبادة •• وتوبة عبودية !! »[٦٠] •

واذا صدقت التوبة استتبعت المجاهدة •• ومن المجاهدة أن يركز الانسان كيانه كله فى اتجاه واحد •• هو الاتجاه نحو الربوبية !

ومن عرف الله فانه يزهد فى كل شىء يشغله عنه •• واذا صدقت التوبة دفعت الى العبادة والعبودية •• فان العبادة اذا لم تتسم بالعبودية فانها لا تكون كاملة ••

والمعرفة أقسام •• معرفة العوام •• ومعرفة الخواص •• ومعرفة خواص الخواص ••

فمعرفة العوام معرفة العبودية ، ومعرفة الربوبية ، ومعرفة الطاعة ، ومعرفة المعصية ، ومعرفة العدو والنفس ••

ومعرفة الخواص معرفة الاجلال والعظمة ، ومعرفة الانسان والمنة ، ومعرفة التوفيق ••

وأما معرفة خاص الخاص •• فمعرفة الأنس والمناجاة •• ومعرفة اللطف والتلطف •• ثم معرفة القلب •• ثم معرفة السر ••

ولا تتنافى كل واحدة من هذه الأنواع مع الأخرى ولا تتعارض معها •• وجميعها ضرورية للسالك وللعارف »[٦١] •

***

وعن مصادر علم الصوفية يقول فضيلته[٦٢] مستشهدا بقول أبو يزيد البسطامى :

« الحقيقة فى العلم والاجتهاد » •• أى العلم والعبادة •• وذلك ينتج الصفاء والالهام ••

والالهام الصادق هو هدف العلماء الربانيين الذين يسيرون على طريق القرآن فى قوله عن موسى وفتاه : « **فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما** »[٦٣] •

---

(٥٩) البقرة : ٢٢٢
(٦٠) المرجع نفسه ص ٩٩
(٦١) نفس المرجع ص ١٠١
(٦٢) نفس المرجع ص ٣٥
(٦٣) الكهف : ٦٥

ان الصوفية يسعون الى هذا النمط من العلم •• وهذا النمط من العلم يتأتى بتوفيق الله من الجمع بين العلم الكسبى والعبادة •• بشرط أن يكون العلم الكسبى علما اتباعيا » ••

« ••• ولقد ضرب الصوفية بسهم وافر فى العلم الكسبى •• وكانوا أئمة فى هذا المجال •• وقد سبق أن كتبنا ما يلى : « أما عن الصوفية والعلم فان الصوفية يملكون العلم الاسلامى فى قمته •• وفى جميع فروعه •• فى الفقه وفى التفسير وفى الحديث وفى الأخلاق » •

ثم يقول فضيلته [٦٤] : « وما كان علم الكتب هو غايتهم الأخيرة •• وانما مع علم الكتب كان طموحهم الى العلم الوهبى •• العلم الذى يمنحه الله لبعض عباده •• العلم الذى سافر موسى عليه السلام سفرة شاقة مجهدة ليلتقى فى نهايتها مع عبد من عباد الله تعالى •• علمه الله من لدنه علما ••

« ••• وهو علم يمنحه الله لمن حقق له العبودية •• ولأن هذا العلم ــ وهو مطمحهم الأخير ــ لا يتأتى الا باخلاص العبودية لله •• ولأن اخلاص العبودية لا يتأتى الا بأن يكون الاستغراق فى العمل ــ صلاة وذكرا وصياما ــ من الأسس الجوهرية فى حياة الانسان••فانهم اتجهوا فى صورة موفقة الى العمل ••

لقد أخذوا الكتاب بقوة •• وكانوا أتقياء •• فأفاض الله عليهم من الهاماته •• واتسم ما دونوه بطابع الروحانية •• واتسم بالنضرة •• وكان طابعه أن يزكو على مر الزمن ••

« ••• انهم يفرقون بين نوعين من العلم •• علم كسبى من الكتب ومن المعلمين •• وعلم وهبى ــ أى الهام عن الله تعالى ــ وكلا العلمين أثبتهما الله سبحانه وتعالى » ••

* * *

وعن التوكل عند الصوفية يقول فضيلته [٦٥] :

« يمكننا أن نعرف الاسلام بمجموعة من التعاريف تتناسق وتأتلف •• ويشرح بعضها بعضا ••

يمكننا أن نعرفه أولا بهذا التعريف الجميل الذى عرفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئل عن الاسلام ما هو ؟ فقال : « أن يسلم لله قلبك •• وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك » ••

---

(٦٤) المرجع نفسه ص ٣٨ ، ٣٩ (٦٥) المرجع نفسه ص ١٠٧

ويمكننا أن نعرفه بالتوحيد •• والله سبحانه وتعالى يقول : « **وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون** »[٦٦] .

ويمكننا أن نعرفه بأنه المفهوم لقوله تعالى : « **اياك نعبد واياك نستعين** »[٦٧] .

ويمكن أن نعرف الاسلام بأنه اسلام الوجه لله •• والله سبحانه وتعالى يقول : « **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** »[٦٨] .

وكل هذه التعريفات ينبثق عنها التوكل •• بل ان التوكل على الله جزء من أجزائها لا ينفك عنها ••

لقد أمر الله سبحانه وتعالى به •• جاعلا منه صفة لا تنفك عن الايمان قائلا : « **وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين** »[٦٩] .

ويأمر به سبحانه أمرا مطلقا كل مؤمن فيقول : « **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** »[٧٠] .

وللتوكل صور كثيرة •• منها صورة التفويض ••

وصورة التفويض هذه تحدث عنها القرآن الكريم بمناسبة قصة رجل مؤمن صادق الايمان •• وقف ناصحا فى وجه الطغيان والجبروت •• يدعو الى الله ، ويبشر بالتعاليم الصادقة •• وينذر ويهدد بالعقاب فى أسلوب قوى لا يخشى فى الله لومة لائم •• تلك هى قصة مؤمن آل فرعون » ••

وبعد أن يذكر فضيلته قصة مؤمن آل فرعون كما جاء بها القرآن •• يستخلص منها النتيجة •• وهى ما قصه الله سبحانه بقوله : « **فوقاه الله سيئات ما مكروا ، وحاق بآل فرعون سوء العذاب** »[٧١] .

ثم يقول فضيلته[٧٢] : « ومن كل ما تقدم ننتهى كما بدأنا بالقول بأن التوكل جزء لا يتجزأ من الايمان •• والصورة المثلى فيه هى صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان امام المتوكلين •• وكان امام المناضلين ••

---

(٦٦) الانبياء : ٢٥
(٦٧) الفاتحة : ٥
(٦٨) النساء : ١٢٥
(٦٩) المائدة : ٢٣
(٧٠) التوبة : ٥١
(٧١) غافر : ٤٥
(٧٢) المرجع نفسه ص ١١٠

ولقد سئل يحيى بن معاذ •• متى يكون الرجل متوكلا ؟ فقال : اذا رضى بالله وكيلا ••

ويتحدث القرآن عن بعض الظروف التى ظهر فيها أن المؤمنين الصادقين هم الذين يتخذون الله وكيلا •• يقول سبحانه وتعالى عن المؤمنين فى غزوة أحد : « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** »(٧٣) ••

ماذا كانت النتيجة ؟ •• انها ما عبر الله سبحانه عنها بقوله : « **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم** »(٧٤) •

وبعد أن يعرض فضيلته موقف المسلمين والمشركين يوم أحد يقول : « والتوكل اذن ــ والمتوكلون يتخذون الأسباب •• ويستعدون كأكمل ما يكون الاستعداد •• وأدق ما يكون الاستعداد ••

وبعد •• فان الامام القشيرى يقول : « واعلم أن التوكل محله القلب •• والحركة بالظاهر لا تنافى التوكل بالقلب بعد ما تحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى •• فان تعسر شىء فبتقديره •• وان اتفق شىء فبتيسيره » ••

التقدير من قبل الله تعالى •• واذا آمن الانسان بذلك ــ ولابد أن يؤمن به ــ فهو متوكل ••

والمتوكل يتخذ الأسباب اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم •• ويتلون التوكل بحسب درجاته •• ويأخذ اسما تبعا لدرجته •• فيكون توكلا •• ويكون تسليما •• ويكون تفويضا ••

والتوكل بداية هذا المقام الروحى • والتسليم واسطة •• والتفويض نهاية •• ان كان للثقة فى الله نهاية ••

ومع ذلك •• فان كلمة التوكل تطلق على كل درجاته •• وتستعمل فى كل أنواعه » ••



---

(٧٣) آل عمران : ١٧٣ (٧٤) آل عمران : ١٧٤

وعن الحب عند الصوفية يقول فضيلة الامام الأكبر [٧٥] :

« الذين يدعون المحبة لله ورسوله كثيرون •• والصادقون منهم قليلون ••

« ••• ولقد وضع القرآن مقياسا لهذا الحب •• يقول تعـالى : **« قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم »** [٧٦] •

ان الحب فى الجو الاسلامى اتباع •• اتباع فى العقيدة ، واتباع فى السلوك !

وقد وجد قوم تركوا العمل •• وقالوا : نحن نحسن الظن بالله •• فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كذبوا •• وقال صلى الله عليه وسلم : « لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » ••

ويقول فضيلة الامام : « ومن أجمل ما كتب الكاتبون فى الحب ما كتبه أبو يزيد شارحا الصورة الاسلامية فى سموها وجمالها وجلالها عن حب الله سبحانه •• فقد حدث ابراهيم بن محمد الخواص قال : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : « ظاهر الصدق وباطنه سواء » ••

ولقد اشترك الايمان والحب فى قلب الصديق •• فكلما ازداد الايمان ازداد الحب فى الله •• قال الله تعالى : **« والذين آمنـوا أشد حبا لله »** [٧٧] •

فاذا قال ذلك رمى قوس الدنيا بالفرقة •• وقطع حلقوم الطمع بسكين الاياس •• وألجم نفسه بلجام الخوف •• وساقها بسـوط الرجاء •• ولبس قميص الصبر •• وتردى برداء التصابر •• واستوى عنده المنع والعطاء •• والشدة والرخاء •• والندم والثناء •• فسقط من ظاهره وباطنه التصنع •• فليس عنده فرق بين الدانق والدينار •• لعلمه أنه لو بورك فى الدانق كان أعظم بركة من الدينار !

فاذا كانت هذه حالته قالت الجنة : اللهم أدخل هـذا العبد بين ساكنى •• فكانت الجنة طالبة له دونه !

واذا رأته النار على هذه الحالة علمت أن نوره يطفىء شررها •• فتعوذت النار منه !

فلو عرج بذلك العبد أعلى عليين لكان شكره ذلك الشكر الذى كان فى أعظم البلاء !

---

(٧٥) نفس المرجع ص ١١٧ — (٧٦) آل عمران : ٣١

(٧٧) البقرة : ١٦٥

ولو أنزله الله من أعلى العليين فأسكنه الدرك الأسفل من النار ..
لكان شكره ذلك الشكر الذى كان فى أعلى العليين » !!

* * *

أما عن الحجب عند الصوفية فيقول فضيلته[٧٨] :

« ويعتبر ذو النون — فى النهاية — أن الزهد حجاب .. فالزاهد محجوب بزهده .. ينظر اليه ويقدره ويعتبره ..

ولعل نظرة أبى يزيد تلتقى فى الزهد — زهد الزاهدين لا زهد الصوفية — بنظرة ابن سينا ..

وابن سينا يقول عن زهد الزاهدين : « الزهد عن غير العارف معاملة ما .. كأنه يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة » ..

وكلام ابن سينا يعنى أن غاية الزاهد — الذى ليس بصوفى — من الامتناع عن طيبات هذا العالم أن يمنحه الله فى الدار الآخرة ألذ وأمتع .. انه كتاجر يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة ..

أما الزاهد العارف — فيما يرى ابن سينا — فانه : « تنزه عما يشغل سره عن الحق .. وتكبر عن كل شىء غير الحق » !!

أى أن زهد العارف انما هو سمو بنفسه عن كل ما يشغله عن الله تعالى .. وترفع عن الدنيا .. تلك التى لا تساوى عن الله جناح بعوضة ..

والحجاب الثانى : العبادة ..

انه لا مناص من العبادة .. ولكن اذا نظر الانسان الى العبادة على أنها وسيلة للتقدير فقد أصبحت حجابا ..

ان العابد اذا رضى عن نفسه لأنه صلى مثلا واعتبر صلاته من الأمور التى تضعه فى مكانة رفيعة .. فقد أصبحت صلاته حجابا .. أى أنها وان أسقطت عنه الفرض .. وأكسبته حسنات فانها — على الوضع الذى هو عليه — لا تؤدى به الى القرب .. والله سبحانه وتعالى يقول : **« ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا »**[٧٩] .

ثم يقول[٨٠] : « والعبادة على هذا النسق حجاب عن القرب ..

---

(٧٨) المرجع نفسه ص ١٢٦ (٧٩) النور : ٢١
(٨٠) المرجع نفسه ص ١٢٩

والحجاب الثالث : حجاب العلم ..

العلم الشكلى الذى هو التعمق فى كلام المتكلمين .. وفى الجدل فى المتشابه .. العلم النظرى الذى لا يفيد العمل ولا يحفز على التزكية ..

واذا كان الله سبحانه قد مدح العلماء .. واذا كانت مكانة العلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكانة السامية .. فانه العلم الذى لا يصرف عن الله .. بل يقودنا الى زيادة معرفة به ..

والواقع أن العلم سواء أكان ماديا أو روحيا انما هو زيادة معرفة الله .. لأنه بيان عن آثار صفاته .. فاذا ما بعث فى النفس الكبرياء والخيلاء .. وأصبح العلم فى مثل كبرياء ابليس بعلمه .. فانه يطرد من رحمة الله ..

واذا أنتج العلم الخشية .. فانه ينتج القرب من الله تعالى .. يقول سبحانه : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** »(٨١) .

* * *

وبعد .. ليس لنا بعد ما سقنا من آراء فضيلة الامام الأكبر أى تعقيب .. فقد طرحنا كل ما عندنا فى هذه القضية .. وعرضنا مختلف الآراء حولها .. ولعل القارىء قد لمس موقف الحياد الذى التزمناه ازاءها ..

والله نسأل أن يوفق المسلمين الى اتباع كتابه والالتزام بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ..

يقول الله تعالى : « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر** »(٨٢) .. صدق الله العظيم ..

ويقول صلى الله عليه وسلم : « تركتكم على المحجة البيضـــاء .. ليلها كنهارها .. لا يزيغ عنها الا هالك » .. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(٨١) فاطر : ٢٨ (٨٢) الأحزاب : ٢١

● والكاهن •• والساحر •• والعراف •• والمنجم لا يعلمون الغيب •• وليس لهم قدرة التدخل فى تغيير المقادير التى قدرها الله على عباده ••

يقول الله تعالى : **« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو »**(١) •

ويقول : **« قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله »**(٢) •

ويقول : **« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا • الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا »**(٣) •

ويقول جل شأنه : **« ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »**(٤) •

ويقول : **« ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين • والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون »**(٥) •

لقد كان الكهنة قديما يدعون معرفة الغيب •• وينسبون لأنفسهم القدرة على تعاطى أخبار المستقبل ، ومعرفة أسرار الناس والاطلاع على ضمائرهم !!

ومنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورئيا يلقى اليه بالأخبار !!

ومنهم من كان يزعم معرفة الأمور بمقدمات أسبابها •• وأنه يستدل بهذه المقدمات على مواقعها من كلام السائل أو فعله وحاله !!

ومثل هؤلاء فى زماننا هذا ــ العرافون الذين يدعون معرفة الأشياء المسروقة •• والاخبار عن أماكن الضوال والمخبئات !!

---

(١) الأنعام : ٥٩
(٢) النمل : ٦٥
(٣) الجن : ٢٦ ، ٢٧
(٤) الاسراء : ٣٦
(٥) الأعراف : ١٩٦ ، ١٩٧

وهذا كله باطل .. نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وشدد في التحذير منه ..

عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من تطير أو تطير له .. أو تكهن أو تكهن له .. أو سحر أو سحر له .. ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — »[6] .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — »[7] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة »[8] .

وعن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أتى كاهنا فسأله عن شىء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة .. فان صدقه بما قال كفر »[9] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن ينال الدرجات العلا من تكهن .. أو استقسم .. أو رجع من سفره تطيرا »[10] .

[والاستقسام : ضرب القداح ، فقد كانوا اذا قصدوا فعلا استقسموا بالأزلام : أى القداح] .

وعن صفية بنت أبى عبيد رضى الله عنها عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أتى عرافا فسأله عن شىء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما »[11] .

روى البخارى ومسلم عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الملائكة تنزل من العنان — أى السحاب — فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان

---

(٦) رواه البزار .
(٧) رواه البزار .
(٨) رواه الطبرانى .
(٩) رواه الطبرانى .
(١٠) رواه الطبرانى .
(١١) رواه مسلم .

السمع فيسمعه فيوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » .

وعنها رضى الله عنها قالت : سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أناس عن الكهان فقال : ليس بشىء .. قالوا : يا رسول الله .. أليس قد قالوا كذا وكذا ؟ .. فقال : تلك الكلمة من الحق يحفظها الجنى فيقرها فى أذن وليه – أى يلقيها – فيخلط معها مائة كذبة » .

* * *

● والسحر فى حقيقته خداع وتخييل .. يقول الله تعالى عن سحرة فرعون : « **فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم** »[١٢] .

ويقول عن موسى عليه السلام : « **فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى** »[١٣] .

ويقول جل شأنه : « **انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى** »[١٤] .

كما أنه سلب لأموال الناس بالباطل .. بما يفعله المشعوذون من صرف لأنظار الناس عما يأتونه من خفة فى أيديهم .. فيبهرونهم بما يفعلون .. ويسلبونهم أموالهم بعد أن اعتقدوا فيهم القدرة على اتيان الخوارق ..

والسحر أنواع .. فقد يكون باستجلاب معاونة الشيطان بالتقرب اليه وتسخيره فى معرفة الأخبار .. وفى هؤلاء يقول الله تعالى : « **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم** »[١٥] .

وقد يكون بادعاء معرفة الاسم الأعظم لايهام الناس بأن الجن يطيعونهم .. فينقاد لهم ضعاف العقول من الناس !!

وقد يكون بأخذ العيون والتخييل بتركيب آلات هندسية .. كما فعل سحرة موسى .. فقد أتوا بحبالهم وعصيهم وأدخلوا فيها من الزئبق ما يجعلها تتحرك كأنها حيات تسعى !!

وقد يكون بالاستعانة بالأدوية المبلدة للشعور المزيلة للعقل !!

وقد يكون بعبادة الكواكب والاستعانة بالأرواح السفلية .. الخ !!

---

(١٢) الأعراف : ١١٦ (١٣) طه : ٦٦
(١٤) طه : ٦٩ (١٥) الشعراء : ٢٢١ ، ٢٢٢

ولهذا غلظ الرسول صلى الله عليه وسلم فى اتيان السحر •• وجعل عقابه مساويا لعقاب الكفر •• وتوعد فاعله والمصدق به بالنار يوم القيامة •• والحرمان من الجنة فلا يدخلها أو يشم ريحها ••

فان ما يأتيه السحرة من الأعمال الوضيعة •• والأخلاق المرذولة •• وما يرتكبونه من الموبقات المدمرة للدين والهادمة للاسلام •• الهالكة للحس والمال ما يكفى لتكفير فاعله •• فضلا عما فيه من اشراك بالله •• واعتقاد تأثير السحر بذاته •• الى نسيان قدرة الله تعالى فى جميع الأشياء •• بالاضافة الى ما يرتكبونه من أفعال شائنة •• وأعمال سفلية •• واستعانة بالجن وعبادة الشياطين •• حتى يتمكن الساحر من سحره •• مما لا يقدم عليه عابد لوثن أو ساجد لصنم !!

ولهذا تنحط منزلة الساحر عند الله •• وتضيع هيبته يوم القيامة •• ويمنع عنه العون والمساعدة والرعاية فى الدنيا •• بعد أن باع نفسه للشيطان وأصبح أداة طيعة فى يده •• يسخرها كيف يشاء لاضلال الناس ••

ولقد فشا السحر فى عهد سليمان عليه السلام •• حتى زعم أقوام أن الجن يعلمون الغيب •• وأن ملك سليمان عليه السلام قد قام بالسحر •• وأن تسخير الجن والانس والريح له كان بتأثيره •• وضلوا فى ذلك •• فقد نفوا المعجزة التى آتاها الله نبيه •• وجردوه من العصمة التى عصمها الله اياه •• لأن المؤمن بالسحر وتأثيره فاقد للايمان بأن الله تعالى هو المؤثر فى جميع الأعمال والتصرفات •• وأن علم السحر قد أوجده الله تعالى ليفرق بينه وبين المعجزة التى يأتيها الأنبياء ••

يقول تعالى : « **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم ، لو كانوا يعلمون** »[١٦] .

---

(١٦) البقرة : ٢ : ١٠٢

لقد أعلن هاروت وماروت عندما نزلا فى بابل أنهما ما أرسلا الا فتنة للناس وابتلاء •• وأن من تعلم السحر منهما وعمل به فقد كفر •• وأن من اعتقد فى تأثيره ونسب له قوة فى ذاته فقد كفر •• وأن منه ما يكون سببا فى الاضرار بالناس ووسيلة الى التفريق بين المرء وزوجه •• فى حين أن الله تعالى حرم الاضرار بالناس •• وليس لأحد قدرة على أن يلحق ضررا بأحد الا أن يشاء الله •• فالسحر وغيره من الأسباب ليست مؤثرة بذاتها •• بل بأمر الله تعالى ••

ولكن فريقا من الناس ضلوا وأضلوا •• واتبعوا كتب السحرة التى أملتها شياطين الجن والانس منذ عهد سليمان عليه السلام •• وقد كانت الشياطين تسترق السمع ثم تضيف الى ما سمعت الكثير من الأكاذيب •• يلقونها الى الكهنة والسحرة •• فيدونونها عندهم ويعلمون بها الناس ••

ولهذا عد الرسول صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر السبع الموبقة ••

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات •• قالوا : يا رسول الله •• وما هن ؟ قال : الشرك بالله •• والسحر •• وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق •• وأكل الربا •• وأكل مال اليتيم •• والتولى يوم الزحف •• وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »(١٧) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر •• ومن سحر فقد أشرك •• ومن تعلق بشىء وكل اليه »(١٨) .

وعن عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كان لداوود نبى الله — صلوات الله وسلامه عليه — ساعة يوقظ فيها أهله يقول : يا آل داوود قوموا فصلوا •• فان هذه الساعة يستجيب الله فيها الدعاء الا لساحر أو عاشر »(١٩) .

---

(١٧) رواه البخارى ومسلم .　　(١٨) رواه للنسائى .

(١٩) رواه احمد .

[والعاشر : الذى يأخذ عشر أموال الناس ظلما •• ويضرب عليهم الضرائب الباهظة] ••

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فان الله يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء : من مات لم يشرك بالله شيئا •• ولم يكن ساحرا يتبع السحرة •• ولم يحقد على أخيه »[٢٠] .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة مدمن خمر •• ولا مؤمن بسحر •• ولا قاطع رحم »[٢١] .

* * *

● أما المنجمون والعرافون •• فقد اعتقدوا أن للنجوم تأثيرا فى العالم السفلى •• ونسبوا لأنفسهم القدرة على استنبائها والاخبار بالغيب الذى توحيه اليهم •• ويربطون وقوع الأحداث بطلوع النجوم أو أفولها ••

يقول الخطابى : « علم النجوم المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التى لم تقع وستقع فى مستقبل الزمان بأوقات هبوب الرياح ومجىء المطر وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار •• وما كان فى معناها من الأمور التى يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب فى مجاريها •• واجتماعها وافتراقها •• ويدعون أن لها تأثيرا فى السفليات •• وأنها تجرى على قضاء موجباتها •• وهذا منهم تهجم على الغيب وتعاطى علم قد استأثر الله به •• ولا يعلم الغيب سواه » ••

عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سماء كانت من الليل — أى أمطار — فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ •• قالوا : الله ورسوله أعلم • قال : قال : أصبح من عبادى مؤمن وكافر •• فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب •• وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب »[٢٢] .

---

(٢٠) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

(٢١) رواه ابن حبان . (٢٢) رواه مسلم .

ولهـذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن اتيـان السحرة والعرافين وتصديقهم •• وقرر أن من يقبل عليهم سائلا اياهم عن حظه •• أو مستعلما عما يصيبه فى مستقبل حياته •• فقد أشرك بالله •• وأغفل قدرته تعالى •• ولهذا ترد أعماله الصالحة •• ويضرب بها عرض الحائط •• ولا يقبل الله صلاته لأنها ناقصة لا وزن لها ••

فما قيمة الصلاة اذا لم تهذب صاحبها •• أو تقوى ايمانه بربه •• أو تذهب عنه الشك والضلال •• ما قيمة هذه الصلاة اذا لم توجد عند صاحبها الثقة بالله والاعتماد عليه ؟ !

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر •• زاد ما زاد »[٢٣] ـ أى كلما زاد من علم النجوم ازداد اثمه ••

وعن قطن بن قبيصـة عن أبيه رضى الله عنهمـا قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « العيافة والطيرة والطرق من الجبت »[٢٤] .

والعيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها •• والطيرة : زجر الطير للتيمن بطيرانه جهة اليمين أو التشاؤم بطيرانه جهة الشمال •• والطرق : الضرب بالحصى والودع وفتح الكوتشينة واستطلاع الفنجان والمندل والبخت ونحوها مما يدل على المغيبات •• والجبت : هو السحر ••

* * *

ان قضية الغيب من أخطر القضايا •• انها احدى قضايا التوحيد !!

ولقد حسمها الله سبحانه وتعالى فقال : **« لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله »**[٢٥] .

ولم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم مناسبة الا وأوضح فيها أن أمر الغيب الى الله تعالى وحده •• فلا يعلم الغيب سواه ••

حضر صلى الله عليه وسلم يوما عرسا من الأعراس •• وتغنت جارية بمدحه فكان مما غنت أن قالت : « وفينا نبى يعلم ما فى غد » ••

---

(٢٣) رواه أبو داوود وابن ماجه .

(٢٤) رواه أبو داوود .

(٢٥) النمل : ٦٥

وفى مثل هذه المناسبات يتساهل الناس عـادة فيما يتغنى به المغنون •• ولا يلتفتون الى كل ما يقال •• فالمجال مجال فرح وأنس ••

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم •• رأى بثاقب نظره فى غناء هذه الجارية ما يتعارض مع احدى الحقائق الاسلامية الكبرى •• فنهاها عن مثل هذا القول ••

روى خالد بن ذكوان ، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضى الله عنها •• قالت : جاء النبى صلى الله عليه وسلم يدخل حين بنى على(٢٦) •• فجلس على فراشى كمجلسك منى(٢٧) •• فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائى يوم بدر(٢٨) •• اذ قالت احداهن : « وفينا نبى يعلم ما فى غد » •• فقال صلى الله عليه وسلم : « دعى هذه •• وقولى بالذى كنت تغنين »(٢٩) ••

وفى رواية لحماد بن سلمة أنه قال : « لا يعلم ما فى غد الا الله » ••

لقد حرص رسول الاسلام •• صلى الله عليه وسلم على تصحيح العقيدة الاسلامية فى مسألة الغيب •• ولو فى أغنية من الأغنيات •• فما كادت الجارية تنسب اليه — صلى الله عليه وسلم — شيئا من علم الغيب حتى أمرها من فوره بأن تترك هذا القول •• « فلا يعلم ما فى غد الا الله » •• وطلب اليها أن تعود الى ما كانت تتغنى به من ذكر أوصاف البطولة والفداء ••

فما بالنا نرى الناس — فى هذه الأيام — يتساهلون فى هذه المسألة الخطيرة •• وينسبون علم الغيب لكل من هب ودب •• من أولياء •• وكهنة •• وسحرة •• ومنجمون ؟ ! ••

وصدق الله العظيم حيث يقول : **« وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون »**(٣٠) ••

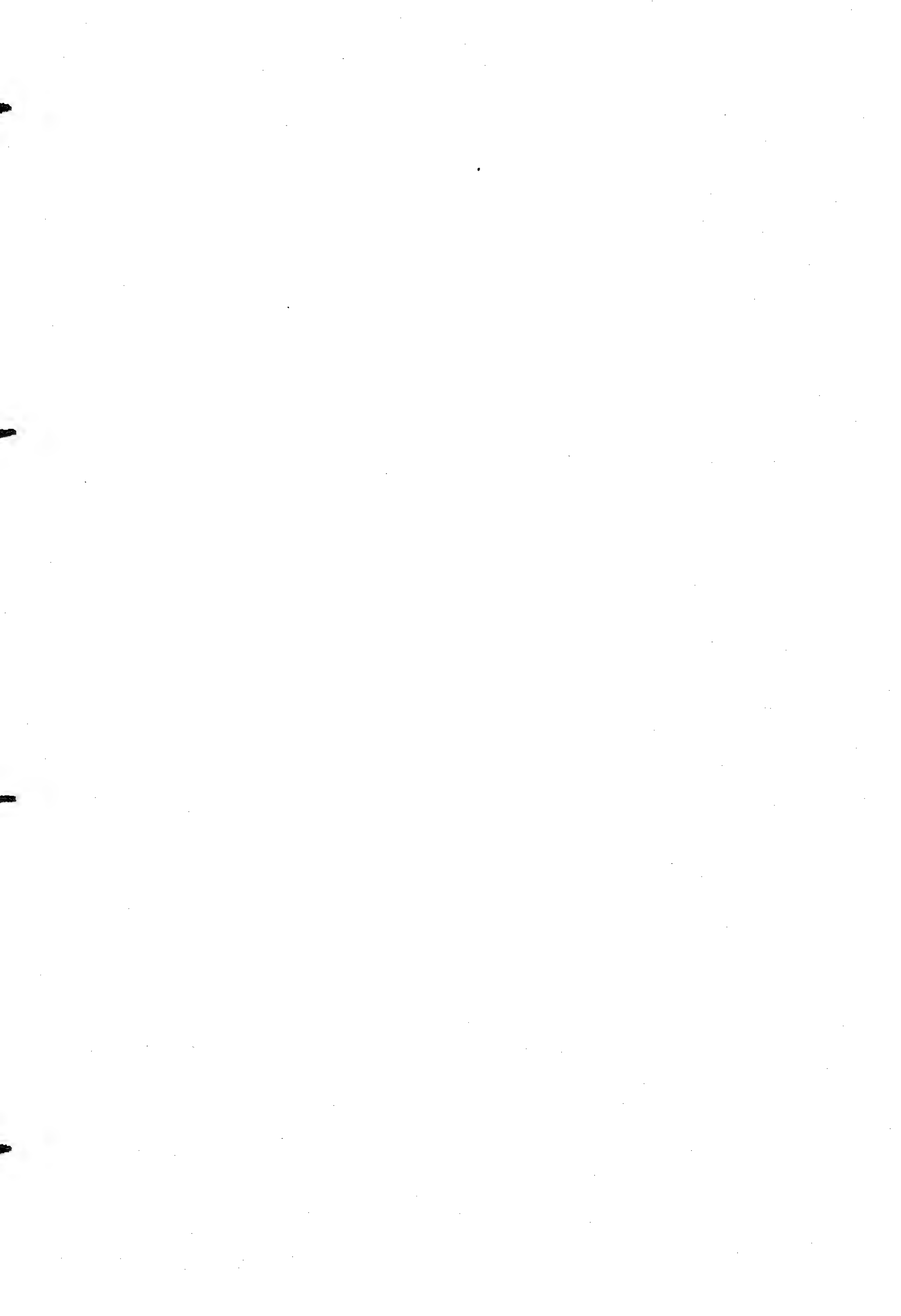
* * *

(٢٦) اى حين تزوجت من اياس بن بكير الليثى .
(٢٧) الخطاب لخالد بن ذكوان راوى الحديث .
(٢٨) اى يعددن محاسنهم .
(٢٩) رواه احمد والبخارى والبيهقى والترمذى .
(٣٠) يوسف : ١٠٦

الفصل السادس

الصلاة .. الصلاة !!

* الصلاة عماد الدين ..
* متى فرضت الصلاة ..
* كتابا موقوتـــا ..
* خير الأذان ..
* الطهارة شرط لصحة الصلاة ..
* الغسل والوضوء والتيمم ..
* الصلاة ..
* ثمرة الصلاة ..
* السنن .. وصلاة التطوع ..
* قيام الليل وفضله ..
* تارك الصلاة .. وجاحدها ..
* ... ويؤتون الزكاة ..
* الحل الاسلامى لمشكلة الفقر ..
* موارد الزكاة .. ومقاديرها ..
* مصارف الزكاة ..
* مانع الزكاة ..
* القول فى الصدقة ..



الصلاة عماد الدين

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه : « **يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور** »[1] .

أوصى رضى الله عنه ابنه بأن يقوم بحدود الصلاة وفروضها وأوقاتها •• وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب طاقته وجهده •• وأن يصبر على ما أصابه ••

وانما أوصاه بالصبر •• لأنه عرف بالتجربة أن الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر •• لابد وأن يناله الأذى من الناس ••

فأوصى ابنه بالصبر على أذاهم •• لأن الصبر على أذى الناس من مكارم الأخلاق •• وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة ••

وقيل : انه أوصاه بعظيم الطاعات •• وهى الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• وهذا انما يريد به بعد أن يمتثل ذلك هو فى نفسه ويزدجر عن المنكر •• وهذه هى الطاعات والفضائل أجمع — ذكره الامام القرطبى فى تفسيره — ثم قال : وقوله تعالى : « **واصبر على ما أصابك** » يقتضى حضا على تغيير المنكر وان نالك ضرر •• فهو اشعار بأن المغير يؤذى أحيانا •• وهذا الضرر على جهة الندب والقوة فى ذات الله ، وأما على اللزوم فلا ••

وقيل : أمره بالصبر على شدائد الدنيا •• كالأمراض وغيرها •• وألا يخرج من الجزع الى معصية الله عز وجل •• وهذا قول حسن لأنه يعم ••

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : من حقيقة الايمان الصبر على المكاره ••

وقيل : ان اقامة الصلاة •• والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• من عزم الأمور •• أى مما عزمه الله وأمر به •• قاله ابن جريج ••

* * *

---

(١) لقمان : ١٧

يقول الله تعــالى : **« وأستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين »[٢] ..**

ويقول تعالى : **« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين »[٣] ..**

ويقــول : **« اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصــلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشــاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعــلم ما تصنعون »[٤] ..**

ويقول جل شأنه : **« وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين »[٥] ..**

ويقــول : **« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين »[٦] ..**

ويقــول : **« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة »[٧] ..**

* * *

ان استقامة الانسان على أمر الله تعــالى .. تكون على قدر وضوح العقيدة فى نفسه ويقظة الايمان فى قلبه ..

والصلاة هى المرتكز الأساسى لصلة الانسان بربه ..

وهى التى تحيى معانى الايمان فى قلبه .. لهذا كانت أفضل الأعمال بعد الايمان بالله تعالى ..

فبها تحيا عقيدة الحق فى نفس الانسان .. وهى التى تجعله على ذكر لله من مبدأها الى منتهاها ..

وبها يتذكر الانسان اليوم الآخر .. ويتذكر الايمان بالرسول صلى الله عليــه وسلم .. كما يتذكر القرآن ـ كتاب الله ـ والطريق الذى يهدى اليه ..

وهى لغة : الدعــاء .. لقوله تعالى : **« وصل عليهم ، ان صلاتك**

---

(٢) البقرة : ٤٥
(٣) البقرة : ٢٣٨
(٤) العنكبوت : ٤٥
(٥) هود : ١١٤
(٦) التوبة : ١٨
(٧) البينة : ٥

سكن لهم »[8] وقوله : « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »[9] ..

وهى فى اصطلاح الفقهاء : « عبادة ذات أقوال وأفعال .. مفتتحة بالتكبير .. مختتمة بالتسليم .. بشرائط مخصوصة » .. لقوله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور .. وتحريمها التكبير .. وتحليلها السلام » ..

وقد اشتق اسم الصلاة من الصلة .. لأنها تصل العبد بربه .. وتقربه من رحمته .. وحكمة مشروعيتها القيام بشكر المنعم على انعامه .. وتكفير ذنوب العباد بأدائها .. وثمرتها سقوط الطلب عن مؤديها .. وبعده عن المخالفات فى الدنيا .. ونواله الثواب فى الآخرة .. ولعظم شأنها فرضها الله تعالى من فوق سبع سموات .. فى ليلة الاسراء قبل الهجرة بعام ونصف ..

وللصلاة أنواع .. وشروط .. وأركان — تسمى فرائض — وسنن .. ومكروهات .. ومبطلات ..

فمن أنواعها ما لا يشتمل على ركوع وسجود كصلاة الجنازة .. وما يشتمل عليهما كسائر الصلوات من فرائض ونوافل مسنونة ومندوبة ..

أما عن شروطها .. فقد اتفقت الآراء : على أنها بلوغ دعوة النبى صلى الله عليه وسلم .. والعقل .. والبلوغ .. والنقاء من دم الحيض والنفاس .. والطهارة من الحدثين فى البدن .. ومن الخبث غير المعفو عنه فى البدن والثوب والمكان .. واستقبال القبلة مع الأمن والقدرة .. وستر العورة لقادر عليه ..

وأما فرائضها (أركانها) : فالنية .. وتكبيرة الاحرام .. والقيام لها لقادر عليه .. وقراءة الفاتحة بالعربية لقادر عليها .. والركوع .. والرفع منه .. والسجود .. والرفع منه .. والطمأنينة .. والقعود الأخير .. والتشهد .. والسلام .. وللمذاهب أقول فى ذلك محلها كتب الفقه[10] ..

---

(٨) التوبة : ١٠٣ (٩) الأحزاب : ٥٦

(١٠) راجع الفقه على المذاهب الأربعة قسم العبادات .. وفقه السنة لفضيلة الشيخ السيد سابق جزء العبادات .. وغيرها ..

والأصل فى ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه فى الرجل الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة لما أخل بها •• فقال له : « اذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء •• ثم استقبل القبلة •• ثم كبر •• ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن •• ثم اركع حتى تطمئن راكعا •• ثم ارفع حتى تعتدل قائما •• ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا •• ثم ارفع حتى تطمئن جالسا •• ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها » ••

ومثله حديث رفاعة بن رافع الذى أخرجه الدارقطنى وغيره ••

فبين قوله صلى الله عليه وسلم •• أركان الصلاة •• وسكت عن الاقامة •• ورفع اليدين •• وعن حد القراءة •• وعن تكبير الانتقالات •• وعن التسبيح فى الركوع والسجود •• وعن الجلسة الوسطى والتشهد فيها •• وعن الجلسة الأخيرة والتشهد فيها •• وعن السلام •• لم يتعرض الحديث لهذه الأمور •• لأنها كانت كلها معروفة للرجل •• ولكنه كان يسرع فى صلاته ولا يطمئن فى سجود أو ركوع أو قيام •• فأراد صلى الله عليه وسلم أن يلفته الى ذلك ••

* * *

والعبد عندما يقف بين يدى الله تعالى •• مفتتحا صلاته بالتكبير •• فانما يعبر بذلك عن ايمانه بأن الله تعالى هو الخالق لكل الأشياء •• وبالتالى فهو أكبر من جميع الأشياء ••

وعندما يحمد الله تعالى •• فانما يعبر بذلك عن معرفته بأنه وحده هو الخالق •• وأنه وحده هو المنعم المتفضل عليه بالايجاد والحياة والرزق •• فيتقدم له بالشكر على نعمه وأفضاله ••

وعندما يسبحه فى ركوعه وسجوده •• فانما يقر بأنه تعالى ليس له شبيه فى ملكه •• ويعترف له وحده بالربوبية •• وأن محل الانسان فى الوجود هو العبودية لله تعالى ••

وعندما يصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم فى تشهده •• فانما يجدد البيعة له •• بأن يلتزم تعاليمه •• وينتهى عن نواهيه ••

فالصلاة اذن •• هى المظهر العملى للايمان بالغيب كله ••

ولهذا كانت مقياسا وميزانا للمؤمن الحق •• وكانت خير ما يفعله العبد •• وأعظم ما يتقرب به الى الله •• لأنها الرمز الكامل على معرفته به تعالى •• والقيام بحقوق العبودية له ••

ولما كانت الصلاة هى رمز العبودية لله سبحانه •• وهى التى تعطى لعبد اليقظة الدائمة بالايمان •• فانه لا يسهل على الانسان أداءها الا اذا كان ايمانه بالله تعالى واليوم الآخر عميقا فى قلبه ••

أما مهزوز العقيدة •• ضعيف الايمان •• فان الصلاة تكون من أصعب الأمور عليه •• ولهذا كان أداؤها دليلا على الايمان •• وتركها دليلا على الكفر ••

ولما كانت الصلاة تجديدا للصلة بالله •• وتجديدا للعهد معه •• فان الذنوب والأخطاء كلها تصبح مغفورة مقهورة معها ••

والعبد حين يعلم أن صلاته تنهاه عن الفحشاء والمنكر •• فانه يعرف بالتالى أن اقامتها لا تكون الا بترك كل ما أمره الله بتركه •• وفعل كل ما أمره بفعله •

وعن أبى أمامة رضى الله عنه •• أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الله •• وصلوا خمسكم •• وصوموا شهركم •• وأدوا زكاة أموالكم •• وأطيعوا ذا أمركم : تدخلوا جنة ربكم »[(١١)] •

* * *

ولو تدبرنا فى الآيات — التى ذكرت فيها الصلاة — لوجدناها تعبر عنها دائما بقوله تعالى : **« أقم الصلاة »**[(١٢)] •• و **« أقيموا الصلاة »**[(١٣)] •• و **« الذين يقيمون الصلاة »**[(١٤)] •• ولو كان المطلوب من الناس مجرد تأديتها أو اتيانها فحسب •• لاكتفى بقوله : « أدوا الصلاة » •• أو « صلوا » ••

فالمقصود من الصلاة اذن •• ليس تأدية حركاتها من ركوع وسجود وقيام وقراءة •• يؤديها الجسد واللسان بصورة آلية •• دون تدبر أو فهم بالعقل واللب ••

انما طلب القرآن « اقامة الصلاة » •• وليس تأديتها على أية حال ••

وعلى هذا •• يكون اقامة الصلاة بمعرفة معناها •• والغرض منها •

ويكون اقامتها بفهم معانى ما يتلى فيها من قرآن وتدبره ••

---

(١١) رواه البيهقى والترمذى •

(١٢) الاسراء : ٧٨ — (١٣) البقرة : ٤٣

(١٤) المائدة : ٥٥

كما يكون بفهم معانى الحركات التى تؤدى بها .. من قيام وركوع وسجود وجلوس .. ولماذا شرع السجود مرتين ولم يكن مرة واحدة .. وشرع الركوع مرة واحدة ولم يكن مرتين ؟ !

وعندما يقرن العبد فهمه لمعانى هذه الحركات عند قيامه بها .. يكون بذلك قد أشرك قلبه وعقله مع لسانه وجوارحه فى تدبر وفهم هذه المعانى .. واستغرق بروحه وجسده فى صلاته ..

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : اقامة الصلاة يكون بالقيام بفروضها .. على مواقيتها .. واسباغ الطهور لها .. والخشوع فيها .. والاقبال عليها .. واتمام ركوعها وسجودها .. وتلاوة القرآن فيها .. والتشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ..

ويقول الامام القرطبى : اقامة الصلاة أداؤها بأركانها وسننها وهيآتها فى أوقاتها ..

وقيل : يقيمون الصلاة أى يداومون عليها .. والى هذا المعنى يشير عمر رضى الله عنه بقوله : « من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه .. ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع » ..

ونضيف .. ان اقامة الصلاة يكون بالخشوع الكامل فيها والاقبال عليها .. وذلك يتحصل للعبد بتمثل عظمة الرب ــ سبحانه ــ الذى يؤدى الصلاة بين يديه .. ومعرفة حقه تعالى على عباده بأن يعبدوه ويطيعوه .. وأن ينفذوا أوامره ويجتنبوا نواهيه ..

والمؤمن حين يقف بين يدى الله تعالى مصليا .. ينخلع عن دنياه كلها انخلاعا تاما وكاملا .. ويطرح أفكاره وخواطره ومشاغله الدنيوية كلها .. ويتجه بروحه وقلبه وعقله الى خالقه .. طالبا رضاه تعالى .. ناشدا التنعم بالوقوف فى حضرته ومناجاته .. طارحا من قلبه وفكره أى غرض دنيوى من رفعة أو جاه أو قبول بين الناس .. فانما الدنيا حطام زائل .. والآخرة خير وأبقى .

* * *

والمؤمن حين يقف فى مصلاه بين يدى الله تعالى .. ينوى بصلاته التخلى عن جميع الأشياء .. واخراج ما فى قلبه سوى الله تعالى .. فلا يستحضر فى وجدانه سوى هيبته واجلاله وتعظيمه ..

لذا يفتتح صلاته بالتكبير .. رافعا يديه حذو أذنيه .. مقبلا بكفيه على الله تعالى .. طارحا الدنيا كلها وراءه ..

وعندما يقول : « الله أكبر » — وقد طرح الدنيا وراء ظهره — فانما يعنى بهذه العبارة أن الله تعالى أكبر من أن يقبل العبد على غيره أو يتجه لسواه ..

فاذا أقبل العبد على مولاه .. فقد وجب الثناء عليه وحمده .. اذ وفقه وشرفه بالوقوف بين يديه .. فيتقدم بالشكر لله رب السموات والأرض .. كما يثنى على « الرحمن » الذى فاضت رحمته على جميع الأشياء .. حتى على الكافرين .. حامدا « الرحيم » الذى اختص برحمته المؤمنين يوم القيامة .. فهو تعالى وحده رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ..

ثم يتذكر العبد القيامة .. وأن الله تعالى هو وحده المالك لهذا اليوم .. وهو وحده سيده والحاكم عليه والمتصرف فيه .. لهذا استحق وحده التمجيد .. واستحق وحده العبادة والاستعانة .. فلا يعبد سواه .. ولا يستعين بغيره ..

ثم يسأله تعالى الهداية الى الطريق الواضح الذى لا بدعة فيه ولا ضلالة .. الطريق الذى اختاره الله للمسلمين الذين رضى عنهم .. لا طريق اليهود الذين غضب عليهم أو النصارى الذين ضلوا عن سبيله ..

وهذه هى المعانى التى يتدبرها العبد من « الفاتحة » التى يتلوها فى كل ركعة ..

روى الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل — أى فى الحديث القدسى — : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ما سأل .. فاذا قال العبد : **« الحمد لله رب العالمين »** قال الله تعالى : حمدنى عبدى .. واذا قال العبد : **« الرحمن الرحيم »** قال الله : أثنى على عبدى .. واذا قال العبد : **« مالك يوم الدين »** قال : مجدنى عبدى — وفى رواية أخرى : « فوض الى عبدى » — واذا قال : **« اياك نعبد واياك نستعين »** قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل .. فاذا قال : **« اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »** قال : هؤلاء لعبدى .. ولعبدى ما سأل » ..

فاذا فرغ العبد من تلاوة الفاتحة •• تلا ما تيسر معه من قرآن •• متدبرا معانيه •• متفهما مراميه •• فيشعر قلبه بعظمة الله تعالى •• وتمتلىء نفسه بالخشوع له والخضوع بين يديه ••

فيعبر عن احساسه بهذا التعظيم وهذا الخضوع بالركوع لخالقه •• فيركع بجسده وروحه بين يدى كبرياء الله وعظمته قائلا : « الله أكبر » ••

الله أكبر •• مما وقع فى نفسه من كل تعظيم له •• فيقول : « سبحان ربى العظيم » •• تعبيرا عن احساسه بهذا المعنى •• منزها عظمة الله عن العظمة التى يشاهدها فى الكون •• فعظمته تعالى لا تحيط بها العقول •• ولا تدركها الأبصار ••

فاذا أحس العبد فى نفسه بالتواضع الواجب نحو الله تعالى فى ركوعه •• أيقن أن من تواضع لله رفعه •• فيرتفع من ركوعه مدركا فضل الله عليه •• اذ رفعه بعد أن كان راكعا •• فيبادر الى حمده تعالى والثناء عليه قائلا : « سمع الله لمن حمده •• ربنا ولك الحمد » ••

ويحس المؤمن بفضل الله عليه •• اذ رفعه بعد أن تواضع له •• فيزداد تواضعه فيسجد لله •• ناويا وضع نفسه بين يدى ربه أسفل من كل سفل •• وتحت كل تحت ••

ولهذا كان العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد •• ويحس العبد بدنوه وقربه من مولاه •• فيسبحه ويمجده قائلا : « سبحان ربى الأعلى » •• فهو الأعلى من كل علو •• الأعظم من كل عظيم ••

ويزداد فضل الله على عبده •• فيرفعه من السجود •• فلا يستطيع أن ينهض من سجوده قائما •• فيجلس شاعرا بالعجز والفاقة الى الله تعالى •• مستغرقا فى تأمل عظمته سبحانه •• فلا يجد من وسيلة يعبر بها عن خضوعه الكامل لله الا بأن يكرر السجود •• اعترافا لله بنعمته وفضله اذ قربه اليه وأدناه منه ••

فاذا تم له ذلك الفهم والتدبر •• أعانه الله على القيام لركعة ثانية •• فينهض مكبرا الله تعالى •• بعد أن أحس بعظمة الله وشعر بجلاله ••

فاذا أراد العبد أن ينصرف من صلاته بعد أن أتمها •• وجلس للتشهد الأخير •• تداعت على خواطره رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم •• ليلة أسرى به ربه الى السموات العلا •• حيث فرض عليه الصلاة من فوق سبع سموات •• اشعارا بخطرها واعظاما لشأنها ••

فيبدأ بالثنـاء على الله تعـالى : « التحيات لله .. والصلوات والطيبات » ..

ثم يسلم على الرسول صلى الله عليه وسلم : « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » ..

ثم يدعو لنفسه وللصالحين من عباد الله : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ..

ويجدد البيعة : « أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » ..

ثم يدعو للرسول صلى الله عليه وسلم .. بعد أن عرف فضله على أمته .. واخراجه اياهم من الظلمات الى النور .. فيقول : « اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد .. كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم .. وبارك على محمد وعلى آل محمد .. كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم .. فى العالمين انك حميد مجيد » ..

ولابد أن يعود الانسان الى عالمه وحياته التى يحياها فى هـذه الدنيـا .. ولهذا يسلم على من يجاوره من المصلين والملائكة .. عن يمين وشمال قائلا : « السلام عليكم ورحمة الله .. السلام عليكم ورحمة الله » ..

ثم يقبل على عالمه ودنيـاه .. بعد أن عادت روحه من رحلة السماء الى دنيا الواقع ..

هذه هى معانى الحركات التى يؤديها العبد فى صلاته .. وعلى المؤمن أن يفهمها ويتدبرها .. ويستحضر معانيها عند تأديته لـكل صلاة ..

* * *

ولأستاذنا فضيلة الشيخ موسى محمد على فى « التحيات » .. لمحات مشرقة وتجليات روحانية مضيئة .. يقول جزاه الله خيرا :

« ... فاذا أتيت بالسجدة الثانية .. فقد حصل لك ثلاثة أنواع من الطاعة : الركوع الواحد .. والسجودان .. وبها تنجو من العقبات الثلاث المهلكة ..

فبالركوع : تنجو من عقبة الشهوات ..

وبالسـجود الأول : تنجو من عقبة الغضب الذى هو رئيس المؤذيات ..

وبالسجود الثـــانى : تنجو من عقبة الهوى الذى هو الداعى الى كل المهلكات والمضلات ••

فاذا تجاوزت هذه العقبات •• وتخلصت عن هذه الدركات •• فقد وصلت الى الدرجات العاليات •• وملكت الباقيات الصالحات •• وانتهيت الى عتبة جلال مدبر الأرض والسموات •• فقل عند ذلك : « التحيات المباركات •• الصلوات الطيبات لله » ••

فالتحيات المباركات باللسان •• والصلوات بالأركان •• والطيبات بالجنان •• وقوة الايمان ••

ثم فى هذا المقام يصعد نور روحك وينزل نور روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم •• فيتلاقى الروحان •• ويحصل هناك : الروح والراحة والريحان •• فلابد لروح سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من محمدة وتحية فقل :

« السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته » ••

فعند ذلك يقول سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام :

« السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » ••

وكأنه قيل لك : فهذه الخيرات والبركات بأى وسيلة وجدتها ؟ •• وبأى طريق وصلت اليها ؟ فقل :

بقـــولى : « أشـــهد أن لا اله الا الله •• وأشـــهد أن محمـــدا رسول الله » ••

فقيل لك : ان محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ هو الذى هداك اليه •• فبأى شىء هديتك له ؟

فقل : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » ••

فقيل لك : ان ابراهيم هو الذى طلب من الله أن يرسل اليك مثل هذا الرسول •• فقال : **« ربنــا وابعث فيهم رســولا منهم »** •• فما جزاؤك له ؟ ••

فقل : « كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » ••

فيقال لك : فكل هذه الخيرات من سيدنا محمد •• أو من سيدنا ابراهيم •• أو من الله تعالى ؟ ••

فقل : بل من الحميد المجيد : « انك حميد مجيد » ••

ثم ان العبد اذا ذكر الله بهذه الأثنية والمدائح •• ذكره الله تعالى فى محافل الملائكة •• بدليل قوله عليه الصلاة والسلام حكاية

عن الله عز وجل : « اذا ذكرني عبدى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملأه » ..

فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى هذا السعيد فقال الله : ان ملائكة السموات اشتاقوا الى زيارتك وأحبوا القرب منك .. وقد جاءوك فابدأ بالسلام عليهم .. لتحصل لك فيه مرتبة السابقين .. فيقول العبد عن يمينه وعن شماله : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته »(*) .

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : دخل رجل المسجد فصلى .. ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يسلم .. فرد عليه السلام وقال : « ارجع فصل فانك لم تصل » .. فرجع ففعل ذلك ثلاث مرات .. قال : فقال : والذى بعثك بالحق .. ما أحسن غير هذا .. فعلمنى ..

فقال صلى الله عليه وسلم : « اذا قمت الى الصلاة فكبر .. ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن .. ثم اركع حتى تطمئن راكعا .. ثم ارجع حتى تعتدل قائما .. ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا .. ثم ارفع حتى تطمئن جالسا .. ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا .. ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها »(١٥) .

ذلك أن الرجل كان يسرع فى صلاته .. فلم تقم له صلاة حيث لم يتدبر معانيها ..

* * *

لهذا كانت الصلاة عماد الدين .. من أقامها فقد أقام الدين .. ومن أضاعها فقد أضاع الدين ..

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رأس الأمر الاسلام .. وعموده الصلاة .. وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله » ..

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله . وأن محمدا رسول الله .. واقام الصلاة .. وايتاء الزكاة .. وحج البيت .. وصوم رمضان »(١٦) ..

(*) انظر مقدمة كتاب « أسرار الصلاة ومهماتها » للامام الغزالى .
(١٥) رواه احمد والبخارى ومسلم .
(١٦) متفق عليه .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. ويقيموا الصلاة .. ويؤتوا الزكاة .. فان فعلوا ذلك عصموا منى دمائهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله »[١٧].

وعن معاذ رضى الله عنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقال : « انك تأتى قوما من أهل الكتاب .. فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله .. فان أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم .. فان هم أطاعوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم .. واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب »[١٨] ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته .. فان صلحت فقد أفلح وأنجح .. وان فسدت فقد خاب وخسر .. فان انتقص من فريضته شيئا قال الرب عز وجل : انظروا هل لعبدى من تطوع ؟ فيكمل منها ما انتقص من الفريضة .. ثم يكون سائر أعماله على هذا »[١٩] .

وعن عبد الله بن قرط قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة .. فان صلحت صلح سائر عمله .. وان فسدت فسد سائر عمله »[٢٠] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » .. قلت : ثم أى ؟ .. قال : « بر الوالدين » .. قلت : ثم أى ؟ .. قال : « الجهاد فى سبيل الله »[٢١] .

ولأهمية الصلاة فى الاسلام .. كانت آخر وصية للرسول صلى الله عليه وسلم : « الصلاة الصلاة .. وما ملكت أيمانكم » .

* * *

---

(١٧) متفق عليه .
(١٨) متفق عليه .
(١٩) رواه الترمذى .
(٢٠) رواه الطبرانى .
(٢١) متفق عليه .

* متى فرضت الصلاة :

وقد كانت الصلاة أول ما فرضه الله تعالى من العبادات •• وتولى فرضها بمخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به من غير واسطه ••

فعن أنس رضى الله عنه قال : « فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به خمسين •• ثم نقصت حتى جعلت خمسا •• ثم نودى : يا محمد •• انه لا يبدل القول لدى •• وان لك بهذه الخمس خمسين »[٢٢] .

وكان أبو ذر رضى الله عنه يحدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة •• فنزل جبريل ففرج صدرى •• ثم غسله بماء زمزم •• ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا •• فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه •• ثم أخذ بيدى فعرج بى الى السماء الدنيا ••

فلما جئت الى السماء الدنيا •• قال جبريل لخازن السماء : افتح • قال : من هذا ؟ •• قال : هذا جبريل • قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم •• معى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : أرسل اليه ؟ قال : نعم ••

فلما فتح علونا السماء الدنيا •• فاذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعلى يساره أسودة[٢٣] اذا نظر قبل يمينه ضحك •• واذا نظر قبل يساره بكى •• فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح •• قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم •• وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه •• فأهل اليمين منهم أهل الجنة •• والأسودة التى عن شماله أهل النار •• فاذا نظر عن يمينه ضحك •• واذا نظر قبل شماله بكى ••

حتى عرج بى الى السماء الثانية •• فقال لخازنها : افتح •• فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح ــ فذكر أنه وجد فى السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم صلوات الله عليهم ــ ولم يثبت الراوى كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا •• وابراهيم فى السماء السادسة ••

---

(٢٢) رواه أحمد والنسائى والترمذى .

(٢٣) أى جمع كثير من الناس .

قال : فلما مر جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم بادريس قال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح .. فقلت : من هذا ؟ قال : هذا ادريس ..

ثم مررت بموسى فقال : مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح .. قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى ..

ثم مررت بعيسى فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح .. قلت : من هذا ؟ قال : هذا عيسى ..

ثم مررت بابراهيم فقال : مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح .. قلت : من هذا ؟ قال : هذا ابراهيم ـ صلى الله عليه وسلم ..

يقول ابن شهاب : فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صرير الأقلام » ..

قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ففرض الله على أمتى خمسين صلاة .. فرجعت بذلك حتى مررت على موسى .. فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة .. قال : فارجع الى ربك .. فان أمتك لا تطيق ذلك ..

فراجعنى فوضع شطرها .. فرجعت الى موسى قلت : قد وضع شطرها .. فقال : راجع ربك فان أمتك لا تطيق .. فراجعت فوضع شطرها .. فرجعت اليه فقال : ارجع الى ربك فان أمتك لا تطيق ذلك فراجعته ..

فقال : هى خمس وهى خمسون .. لا يبدل القول لدى ..

فرجعت الى موسى .. فقال : راجع ربك .. فقلت : استحييت من ربى ..

ثم انطلق بى حتى انتهى بى الى سدرة المنتهى .. وغشيها ألوان لا أدرى ما هى .. ثم أدخلت الجنة فاذا فيها حبايل اللؤلؤ .. واذا ترابها المسك .. »[٢٤] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين .. فى الحضر والسفر .. فأقرت صلاة السفر .. وزيد فى صلاة الحضر »[٢٥] .

* * *

---

(٢٤) من رواية البخارى .   (٢٥) رواه البخارى .

وروى عن ابن اسحاق أنه قال : « حدثنى بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. أتاه جبريل وهو بأعلى مكة .. فهمز له بعقبه فى ناحية الوادى .. فانفجرت منه عين .. فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه .. ليريه كيف الطهور للصلاة .. ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ .. ثم قام جبريل فصلى به .. وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته .. ثم انصرف جبريل عليه السلام ..

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة .. فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل .. فتوضأت كما توضأ لها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ثم صلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صلى به جبريل .. فصلت بصلاته »[٢٦] .

* * *

*** كتابا موقوتا :**

يقول الله تعـــالى : **« ان الصـــلاة كانت على المؤمنين كتـــابا موقوتـــا »**[٢٧] .

ويقـــول : **« وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليـــل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين »**[٢٨] .

ويقول جل شأنه : **« أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل ، وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا »**[٢٩] .

ويقول تعـــالى : **« وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى »**[٣٠] .

وعن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل عليه السلام فقال له : « قم فصله .. فصلى الظهر حين زالت الشمس .. ثم جاءه العصر فقال : قم فصله .. فصلى العصر حين صار ظل كل شىء مثله .. ثم جاءه المغرب فقال : قم فصله .. فصلى المغرب حين وجبت الشمس .. ثم جاءه العشاء فقال : قم فصله .. فصلى العشاء

---

(٢٦) سيرة النبى ــ لابن هشام ــ جـ ١ ص ١٥٢
(٢٧) النساء : ١٠٣ (٢٨) هود : ١١٤
(٢٩) الاسراء : ٧٨ (٣٠) طه : ١٣٠

حين غاب الشفق •• ثم جاءه الفجر حين برق الفجر — أو قال : سطع الفجر — •

ثم جاءه من الغد للظهر فقال : قم فصله •• فصلى الظهر حين صار كل شيء مثله •• ثم جاءه العصر فقال : قم فصله •• فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثليه •• ثم جاءه المغرب وقتا واحدا لم يزل عنه •• ثم جاءه العشاء حين ذهب نصف الليل — أو قال : ثلث الليل — فصلى العشاء •• ثم جاءه حين أسفر جدا فقال : قم فصله •• فصلى الفجر •• ثم قال : ما بين هذين الوقتين وقت »[٣١] •

روى الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان للصلاة أولا وآخرا •• وان أول وقت صلاة الظهر حين تزول الشمس وآخر وقتها حين يدخل وقت العصر •• وان أول وقت العصر حين يدخل وقتها — أى حين يكون ظل كل شيء مثله — وان آخر وقتها حين تصفر الشمس •• وان أول وقت المغرب حين تغرب الشمس وان آخر وقتها حين يغيب الشفق •• وان أول وقت العشاء حين يغيب الشفق وان آخر وقتها حين ينتصف الليل •• وان أول وقت الفجر حين يطلع الفجر وان آخر وقتها حين تطلع الشمس » •

* * *

* خبر الأذان :

عن ابن اسحاق أنه قال : « لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة •• واجتمع اليه اخوانه من المهاجرين •• واجتمع أمر الأنصار استحكم أمر الاسلام •• فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام •• وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام •• وتبوأ الاسلام بين أظهرهم •• وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوأوا الدار والايمان ••

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها •• انما اجتمع الناس اليه للصلاة لحين مواقيتها •• بغير دعوة •• فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقا كبوق يهود الذين يدعون به لصلاتهم •• ثم كرهه •• ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة ••

---

(٣١) رواه أحمد والنسائى والترمذى .. وقال البخارى : هو أصح شيء فى المواقيت — يعنى امامة جبريل عليه السلام — •

فبينما هم على ذلك •• اذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة — أخو بلحارث بن الخزرج — النداء •• فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا رسول الله •• انه طاف بى هذه الليلة طائف •• مر بى رجل عليه ثوبان أخضران •• يحمل ناقوسا فى يده •• فقلت له : يا عبد الله •• أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ •• قال قلت : ندعو به الى الصلاة •• قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قال قلت : وما هو ؟ •• قال تقول : « الله أكبر •• الله أكبر •• الله أكبر •• الله أكبر •• أشهد أن لا اله الا الله •• أشهد أن لا اله الا الله •• أشهد أن محمدا رسول الله •• أشهد أن محمدا رسول الله •• حى على الصلاة •• حى على الصلاة •• حى على الفلاح •• حى على الفلاح •• الله أكبر •• الله أكبر •• لا اله الا الله » ••

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انها لرؤيا حق ان شاء الله •• فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها •• فانه أندى صوتا منك ••

فلما أذن بها بلال •• سمعها عمر بن الخطاب رضى الله عنهما •• وهو فى بيته •• فخرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول : يا نبى الله •• والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى •• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلله الحمد على ذلك »[٣٢] ••

وعن عطاء قال : سمعت عبيد بن عمر الليثى يقول : ائتمر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة •• فبينما عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — يريد أن يشترى خشبتين للناقوس •• اذ رأى عمر بن الخطاب فى المنام : لا تجعلوا الناقوس •• بل أذنوا للصلاة ••

فذهب عمر — رضى الله عنه — الى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذى رأى •• وقد جاء النبى صلى الله عليه وسلم الوحى بذلك •• فما راع عمر الا بلال — رضى الله عنه — يؤذن •• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبر بذلك : « قد سبقك بذلك الوحى » ••

---

(٣٢) سيرة النبى — لابن هشام — جـ ٢ ص ٣٢٢

وعن عروة بن الزبير ـ رضى الله عنه ـ عن امرأة من بنى النجار قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد .. فكان بلال يؤذن عليه الفجر غداة .. فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر .. فاذا رآه تمطى ثم قال : اللهم انى أحمدك وأستعينك على قريش ان يقيموا على دينك .. قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة[٣٣] .

* * *

لقد فضل الله هذه الأمة عن الأمم السابقة .. فهداها الى النداء .. وما يتضمنه من اعلاء شعار الاسلام والجهر بدعوة التوحيد .. وتذكير الناس بها خمس مرات فى كل يوم وليلة .. ولهذا كان أبغض الأشياء الى الشيطان ..

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان ، له ضراط حتى لا يسمع التأذين .. فاذا قضى النداء أقبل حتى اذا ثوب بالصلاة أدبر .. حتى اذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه .. يقول : اذكر كذا واذكر كذا ـ لما لم يذكر من قبل ـ حتى يظل الرجل ما يدرى كم صلى »[٣٤] .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه .. ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا اليه .. ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا »[٣٥] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول .. ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا .. ثم سلوا الله لى الوسيلة .. فانها منزلة فى الجنة لا تبتغى الا لعبد من عباد الله .. وأرجو أن أكون أنا هو .. فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة »[٣٦] .

---

(٣٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٢٣
(٣٤) متفق عليه .
(٣٥) متفق عليه .
(٣٦) رواه مسلم .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة .. آت محمدا الوسيلة والفضيلة .. وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته .. حلت له شفاعتى يوم القيامة »[٣٧] .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله .. رضيت بالله ربا .. وبمحمد رسولا .. وبالاسلام دينا .. غفر له ذنبه »[٣٨] ..

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة »[٣٩] .

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أن أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال له : انى أراك تحب الغنم والبادية .. فاذا كنت فى غنمك أو باديتك .. فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء .. فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس .. ولا شىء الا شهد له يوم القيامة .. قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤٠] .

وعن معاوية رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة »[٤١] .

* * *

* الطهارة شرط لصحة الصلاة :

يقول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ، ان الله كان عفوا غفورا »[٤٢] .**

---

(٣٧) رواه البخارى .
(٣٨) رواه مسلم .
(٣٩) رواه أبو داوود والترمذى .
(٤٠) رواه البخارى .
(٤١) رواه مسلم .
(٤٢) النساء : ٤٣

ويقول جل شأنه : « **يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين ، وأن كنتم جنبا فاطهروا ، وأن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** »[٤٣] .

قلنا : ان للصلاة أنواع .. وشروط .. وأركان .. وسنن .. ومكروهات .. ومبطلات ..

وقلنا : ان من أنواعها ما لا يشتمل على ركوع وسجود كصلاة الجنازة..وما يشتمل عليهما كسائر الصلوات من فرائض ونوافل مسنونة ومندوبة ..

كما قلنا : ان الآراء قد اتفقت على أن شروطها : بلوغ دعوة النبى صلى الله عليه وسلم .. والعقل .. والبلوغ .. والنقاء من دم الحيض والنفاس .. والطهارة من الحدثين فى البدن .. ومن الخبث غير المعفو عنه فى البدن والثوب والمكان ..

كما أن من شروطها استقبال القبلة مع الأمن والقدرة .. وحلول وقتها .. وستر العورة لقادر عليه ..

فلا تصح الصلاة الا باستقبال البيت الحرام حقيقة .. أو أجتهادا ..

ولا تصح الا بحلول وقتها .. فمن صلاها قبل دخول وقتها لم تجز صلاته .. الا فيما أبيح فيه الجمع ..

ولا تصح الا اذا كانت العورة مستورة .. وحد العورة للرجل ما بين السرة الى الركبة .. والمرأة كلها عورة الا وجهها وكفيها فى الصلاة .. وفيما عداها فكلها عورة على القول الذى قامت عليه الأدلة ..

كما لا تصح الصلاة لفاقد الوعى كالمجنون والسكران .. سواء أكان بمسكر أو مخدر ..

وقد أفاضت كتب الفقه فى تفصيل كل ما له علاقة بهذه الشئون ..

ونتحدث هنا عن شرط الطهارة من الحيض والنفاس والجنابة والبول والغائط ..

---

(٤٣) المائدة : ٦

فلا تصح الصلاة من حائض أو نفساء •• الا بعد النقاء من دم الحيض والنفاس ••

كما لا تصح الا بطهارة كاملة من النجاسات والأحداث •• فمن أصابت ثوبه أو بدنه نجاسة لزمه تطهيرها •• ومن كان جنبا لزمه الاغتسال •• ومن لم يكن متوضئا لزمه الوضوء •• لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور » ••

وبادىء ذى بدء •• لا تتم الطهارة الا بالاستبراء من البول والغائط •• وذلك يكون بالاستنجاء بالمـاء •• أو الاستجمار بالحجارة اذا تعذر المـاء ••

* * *

* الغسل والوضوء والتيمم :

وصفت السيدة ميمونة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى عنها غسله من الجنابة فقالت : « ••• فغسل يديه •• ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه وما أصابه •• ثم مسح بيده على الحائط — أو الأرض — ثم توضأ وضوءه للصلاة غير رجليه •• ثم أفاض عليه المـاء •• ثم نحى رجليه فغسلهما » ••

هكذا كان غسل الرسول صلى الله عليه وسلم من الجنابة ••

● وللغسل موجبات — أى أسباب — وشرائط ، وفرائض ، وسنن ، ومندوبات ، وأنواع •• ومكروهات ••

ويوجب الغسل أمور خمسة •• وهى : دم الحيض •• والنفاس •• والولادة بلا دم •• وموت المسلم الا اذا كان شهيدا •• واسلام الكافر جنبا . أما اذا أسلم غير جنب فيندب له الغسل ••

وتحصل الجنابة من جماع أو احتلام ••

أما شروطه : فهى شروط الوضوء — وسنتحدث عنها فى موضعها — الا أن الاسلام ليس شرطا فى صحة غسل الكتابية بعد انقطاع دم الحيض أو النفاس •• فيجوز لزوجها قربانها بعد غسلها ولو بلا نية ••

وفرائض الغسل هى النية عند غسل أول جزء من البدن — ولا يضر تقدمها على ذلك بزمن يسير •• وتعميم الجسم والشعر بالمـاء الطهور بشرط عدم وجود حائل يمنع وصول المـاء الى البشرة كشمع ودهن

وعجين ونحوها •• وكذا الأوساخ المتجمدة على ما يأتى فى الحديث عن الوضوء ••

* * *

ويروى لنا عثمان بن عفان رضى الله عنه صفة وضوء الرسول عليه الصلاة والسلام •• فقد روى أنه — رضى الله عنه — دعا بماء •• فأفرغ على كفيه ثلاث مرات •• فغسلهما ثم أدخل يمينه فى الاناء فمضمض واستنثر •• ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى المرفقين ثلاث مرات •• ثم مسح رأسه •• ثم غسل رجليه ثلاث مرات ••

ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئى هـذا •• ثم قال : « من توضأ نحو وضوئى هذا •• ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه » ••

● وللوضوء أيضا شروط وفرائض وسنن ومندوبات ومكروهات ومبطلات ••

أما شروطه •• فمنها شروط وجوب فقط ، وهى : البلوغ •• ودخول وقت الصلاة •• والقدرة على الوضوء بوجود المـاء الكافى له مع القدرة على استعماله •• فلا يجب الوضوء على فاقد المـاء — ولو حكما — كأن يحتاجه لشرب ونحوه ••

ومنها شروط صحة ، وهى : عدم الحائل المـانع من وصول المـاء الى البشرة •• كشمع أو دهن أو عجين ونحوها — مثل طلاء الأظافر — وكذا الأوساخ المتجمدة على العضو •• وعدم المنـافى للوضوء •• فلا يصح حال حصول ما يبطله من النواقض ••

ومنها شروط وجوب وصحة معا •• وهى : البلوغ •• والدعوة •• والعقل •• والاسلام ••

وأما عن فرائض الوضوء •• فهى غسل جميع الوجه بالمـاء الطهور •• وحده طولا من منبت شعر الرأس المعتاد الى منتهى الذقن •• والى منتهى اللحية لمن له لحية •• وحده عرضا ما بين شحمتى الأذنين •• وغسل اليدين مع المرفقين •• ومسح الرأس •• وان لم يكن عليـه شعر — وغسل الرجلين مع الكعبين — مرة واحدة — لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الوضوء مرة مرة » •• أما تكراره فمن السنة ••

والنية •• والترتيب والموالاة من فرائض الوضوء ••

أما سننه فمنها التسمية •• وغسل اليدين الى الرسغين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ومسح الأذنين ظاهرا وباطنا •• وتخليل الأصابع لليدين والرجلين •• وتخليل شعر اللحية •• وتقديم اليمنى على اليسرى •• واطالة الغرة •• والفور والتتابع والموالاة •• يفعل ذلك ثلاث مرات ••

ومكروهات الوضوء هى الاسراف فى استعمال الماء •• والزيادة على الثلاث •• ومبالغة الصائم فى المضمضة والاستنشاق •• والوضوء فى موضع متنجس •• وترك سنة من سننه ••

وينقض الوضوء الخارج من السبيلين •• وغيبة العقل بسكر أو مخدر أو اغماء أو جنون •• وكذا النوم •• ولمس ما يشتهى •• على تفصيل فى المذاهب •• كما ينقض الوضوء بالردة — أى الخروج عن الاسلام ••

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء •• فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل »[٤٤] .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا توضأ العبد المسلم — أو المؤمن — فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء — أو مع آخر قطر الماء — فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء — أو مع آخر قطر الماء — فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء — أو مع آخر قطر الماء — حتى يخرج نقيا من الذنوب »[٤٥] .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره »[٤٦] .

---

(٤٤) رواه مسلم .
(٤٥) رواه مسلم .
(٤٦) رواه مسلم .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ — أو فيسبغ الوضوء — ثم قال : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله •• الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء »(٤٧) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة •• فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين •• وانا ان شاء الله بكم لاحقون •• وددت أنا قد رأينا اخواننا » •• قالوا : أو لسنا اخوانك يا رسول الله ؟ قال : « أنتم أصحابى •• واخواننا الذين لم يأتوا بعد » •• قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فقال : « أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم • ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى •• يا رسول الله • قال : « فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض »(٤٨) •

❋ ❋ ❋

❋ التيـــمم :

قال الله تعـــالى : **« وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منـــكم من الغائط أو لامستم النســـاء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ، ان الله كان عفوا غفورا »(٤٩) •**

والتيمم لغة : القصد •• وشرعا : القصد الى الصعيد لمسح الوجه واليدين بنية استباحة الصلاة ونحوها •• لعدم المـــاء •• أو لمن كان به جراحة أو مرض ويخاف زيادته أو تأخر شفاؤه لو استعمل المـــاء •• أو اذا كان المـــاء شديد البرودة وغلب على ظنه حصول الضرر باستعماله بشرط العجز عن تسخينه •• أو اذا احتاجه حالا أو مآلا لشربه أو شرب غيره ولو كان كلب غير عقور ••

والصعيد الذى يتيمم به هو التراب الطاهر •• وما كان من جنس الأرض كالرمل والحصى والجص •

---

(٤٧) رواه مسلم •
(٤٨) رواه مسلم •
(٤٩) النساء : ٤٣

عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جعلت الأرض كلها لى ولأمتى مسجدا وطهورا •• فأينما أدركت رجلا من أمتى الصلاة فعنده طهوره »(٥٠) •

ولما كان التيمم يحل محل الوضوء والغسل عند عدم الماء •• فانه يباح به ما يباح بهما من صلاة ومس للمصحف وغيرها •• ولا يشترط لصحته دخول الوقت •• فللمتيمم أن يصلى بالتيمم الواحد ما شاء الله من الفرائض والنوافل •• فحكمه كحكم الوضوء سواء بسواء •• لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الصعيد طهور المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين •• فاذا وجد الماء فليمسه بشرته فان ذلك خير »(٥١) •

وعلى المتيمم أن يقدم النية •• ثم يسمى الله تعالى •• ويضرب بيديه الصعيد الطاهر •• ويمسح بهما وجهه ويديه الى الرسغين ••

فعن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال : اجتنبت فلم أصب الماء •• فتمعكت فى الصعيد — أى تمرغت — وصليت •• فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « انما كان يكفيك هكذا — وضرب بكفيه الأرض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه »(٥٢) •

وفى رواية أنه قال : « انما كان يكفيك أن تضرب بكفيك فى التراب ثم تنفخ فيهما ثم تمسح بهما وجهك وكفيك الى الرسغين »(٥٣) •

فدل هذا الحديث على الاكتفاء بضربة واحدة •• والاقتصار فى مسح اليدين على الكفين •• ومن السنة لمن تيمم بالتراب أن ينفض يديه وينفخهما منه ولا يعفر به وجهه ••

وينقض التيمم كل ما ينقض الوضوء •• كما ينقضه وجود الماء لمن فقده أو قدر على استعماله لمن عجز عنه •• ولا تجب الاعادة لمن صلى به ثم وجد الماء بعد الفراغ منها •• ولو كان الوقت باقيا ••

* * *

وقد اختص الله تعالى هذه الأمة دون سائر الأمم بالتيمم ••

فعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى •• نصرت بالرعب من مسيرة

---

(٥٠) رواه احمد .
(٥١) رواه احمد والترمذى .
(٥٢) رواه الشيخان .
(٥٣) رواه الدارقطنى .

شهر •• وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا •• فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل •• وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى •• وأعطيت الشفاعة •• وكان النبى يبعث فى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة »(٥٤) •

وروت عائشة — رضى الله عنها — سبب مشروعية التيمم قالت : « خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره •• حتى اذا كنا بالبيداء وانقطع عقد لى •• فأقام النبى صلى الله عليه وسلم على التماسه •• وأقام الناس معه •• وليسوا على ماء وليس معهم ماء •• فأتى الناس الى أبى بكر رضى الله عنه فقالوا : ألا ترى الى ما صنعت عائشة ؟ ••

فجاء أبو بكر — رضى الله عنه — والنبى صلى الله عليه وسلم على فخذى قد نام •• فعاتبنى وقال ما شاء الله أن يقول •• وجعل يطعن بيده خاصرتى فما يمنعنى من التحرك الا مكان النبى صلى الله عليه وسلم على فخذى •• فنام حتى أصبح على غير ماء ••

فأنزل الله تعالى آية التيمم •• قال أسيد بن حضير : ما هى أول بركتكم يا آل أبى بكر !! •• فقالت : فبعثنا البعير الذى كنت عليه •• فوجدنا العقد تحته »(٥٥) •

وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها : أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت •• فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من أصحابه فى طلبها •• فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء •• فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه •• فنزلت آية التيمم •• فقال أسيد بن حضير : جزاك الله خيرا •• فوالله ما نزل بك أمر قط الا جعل الله لك منه مخرجا •• وجعل للمسلمين منه بركة ••

* * *

يقول الامام ابن قدامة : « للطهارة أربع مراتب •• تطهير الظاهر من الأحداث والأنجاس والفضلات •• وتطهير الجوارح من الذنوب والآثام •• وتطهير القلب من الأخلاق المزمومة والرذائل المقوتة ••

---

(٥٤) رواه الشيخان .

(٥٥) رواه الجماعة الا الترمذى .

والرابعة : تطهير السر عما سوى الله تعالى •• وهذا هو الغاية القصوى •• فمن قويت بصيرته سمت الى هذا المطلوب •• ومن عميت بصيرته لم يفهم من مراتب الطهارة الا المرتبة الأولى •• فتراه يضيع أكثر زمانه الشريف •• فى المبالغة فى الاستنجاء وغسل الثياب •• ظنا منه بحكم الوسوسة وقلة العلم أن الطهارة المطلوبة هى هذه فقط •• وجهلا بسير المتقدمين الذين كانوا يستغرقون الزمان فى تطهير القلوب •• ويتساهلون فى أمر الظاهر ••

كما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه توضأ من جـرة نصرانية •• وكانوا لا يكادون يغسلون أيديهم من الزهم ــ أى الشحم ــ ويصلون على الأرض •• ويمشون حفاة •• ويقتصرون فى الاستجمار على الأحجار ••

وقد انتهى الأمر الى قوم يسمون الرعونة ــ أى الحماقة ــ نظافة •• فترى أكثر زمانهم يمضى فى تزيين الظواهر •• وبواطنهم خراب محشوة بخبائث الكبر •• والعجب •• والجهل •• والرياء •• والنفـاق •

ولو رأوا مقتصرا فى الاستجمار على الحجر •• أو حافيا يمشى على الأرض •• أو من يصلى عليها من غير حائل •• أو متوضئا من آنية عجوز •• لأنكروا عليه أشد الانكار •• ولقبوه بالقذر •• واستنكفوا من مؤاكلته ••

فانظر كيف جعلوا البذاذة ــ أى التواضع فى اللباس ــ التى هى من الايمان قذارة •• والرعونة نظافة •• وصيروا المنكر معروفا •• والمعروف منكرا •• لكن من قصد بهذه الطهارة النظافة ولم يسرف فى المـاء •• ولم يعتقد أن استعمال المـاء الكثير أصل الدين •• فليس ذلك بمنكر ، بل هو فعل حسن »[٥٦] اهـ •



---

(٥٦) مختصر منهاج القاصدين ــ لابن قدامة ص ٢٢

* كيف كانت صلاة الرسول صلى الله عليــه وسلم وصحابته الكرام :

لمـا كانت الصلاة هى عماد الدين وغرة الطاعات •• فقد ورد فى فضائلها أخبار كثيرة مشهورة •• ومن أحسن آدابها الخشوع فيها والاقبال على الله تعالى ••

ولقد كانت الصلاة قرة عين رسول الله صلى الله عليــه وسلم •• وكان اذا حزبه أمر يفزع اليها •• ويقول لبلال : « أرحنا بها يا بلال » ••

وكان صلى الله عليــه وسلم يؤدى واجباته الاجتماعية والسياسية وما أقساها •• كما يؤدى واجباته الدينية والأسرية •• ثم يخلو الى ربه فيصلى من الليــل حتى تتورم قدماه •• وأشفقت عليــه يوما أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت : تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ !

فقال صلى الله عليــه وسلم : « أفلا أكون عبدا شكورا »(١) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حبب الى من دنياكم الطيب والنساء •• وجعلت قرة عينى فى الصلاة »(٢) .

وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا ذات يوم والناس حوله •• فقال : « ان الله جعل لكل نبى شهوة •• وان شهوتى فى قيام الليل •• اذا قمت فلا يصلين أحد خلفى •• وان الله جعل لكل نبى طعمة •• وان طعمتى هذا الخمس •• فاذا قضيت فهو لولاة الأمر من بعدى »(٣) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ــ أو قال : ساقاه ــ فقيل له : أليس قــد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبدا شكورا »(٤) .

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) رواه أحمد والنسائى .
(٣) رواه الطبرانى .
(٤) رواه أبو داوود .

وعنه رضى الله عنه قال : تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار كالشن البالى .. قالوا : يا رسول الله .. ما يحملك على هذا ؟ .. أليس الله قد غفر لك ما تقـدم من ذنبك وما تأخر ؟ . قال : « بلى .. أفلا أكون عبدا شكورا » ..

وسئل أنس بن مالك رضى الله عنه عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فقال : ما كنا نشاء من الليـل أن نراه مصليا الا رأيناه .. وما كنا نشاء أن نراه نائما الا رأيناه .. وكان يصوم من الشهر حتى نقول : لا يفطر منه شيئا .. ويفطر حتى نقول : لا يصوم منه شيئا[٥] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة .. فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء .. قلنا : ما هممت ؟ قال :هممت أن أجلس وأدعه[٦] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا .. فلما أصبح قيل : يا رسول الله .. ان أثر الوجع عليك بين . قال : « انى على ما ترون .. قد قرأت البارحة السبع الطوال »[٧] .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة .. فافتتح البقرة .. فقلت : يركع عند المـائة . قال : ثم مضى . فقلت : يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت : يركع بها .. فافتتح النساء فقرأها .. ثم افتتح آل عمران فقرأها .. يقرأه مترسلا .. اذا مر بآية فيها تسبيح سبح .. واذا مر بسؤال سأل .. واذا مر بتعوذ تعوذ ..

ثم ركع فجعل يقول : « سبحان ربى العظيم » فكان ركوعه نحوا من قيامه — أى قدر تلاوة البقرة وآل عمران والنساء — ثم قال : « سمع الله لمن حمده » ثم قام طويلا قريبا مما ركع .. ثم سجد فقال : « سبحان ربى الأعلى » فكان سجوده قريبا من قيامه »[٨] .

[ويلاحظ أنه ذكر سورة النساء مقدمة على آل عمران .. فهكذا كانت فى مصحف ابن مسعود] ..

---

(٥) رواه الشيخان .
(٦) رواه الشيخان .
(٧) رواه أبو يعلى .
(٨) رواه مسلم .

وفى رواية للطبرانى عنه قال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى •• فصليت بصلاته من ورائه وهو لا يعلم •• فاستفتح البقرة حتى ظننت أنه سيركع ثم مضى ــ قال سنان : لا أعلمه الا قال : صلى أربع ركعات كان ركوعه مثل قيامه ــ قال : فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا أعلمتنى » ؟! قال حذيفة : والذى بعثك بالحق نبيا انى لأجده فى ظهرى حتى الساعة •• قال : « لو أعلم أنك ورائى لخففت » ••

وعن عائشة رضى الله عنها أنها ذكر لها أن ناسا يقرأون القرآن فى الليل مرة أو مرتين •• فقالت : أولئك قرأوا ولم يقرأوا •• كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام •• فكان يقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء •• فلا يمر بآية فيها تخويف الا دعا الله واستعاذ •• ولا يمر بآية فيها استبشار الا دعا الله ورغب فيه »[٩] ••

* * *

وأخرج البخارى عن الأسود قال : كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها • قالت : « لما مرض النبى صلى الله عليه وسلم مرضه الذى مات فيه •• فحضرت الصلاة فأذن بلال ــ رضى الله عنه ــ فقال صلى الله عليه وسلم : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » •• فقيل له : ان أبا بكر رجل أسيف ــ أى سريع البكاء ــ اذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس ••

وأعاد صلى الله عليه وسلم فأعادوا له •• فأعاد الثالثة فقال : « انكن صواحب يوسف •• مروا أبا بكر فليصل بالناس » ••

فخرج أبو بكر •• فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى نفسه خفة •• فخرج يهادى بين رجلين ــ أى يمشى بينهما معتمدا عليهما من ضعفه ــ تقول عائشة : كأنى أنظر الى رجليه تخطان من الوجع •• فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ اليه النبى صلى الله عليه وسلم : أن مكانك •• ثم أتى به حتى جلس الى جنبه » •

وفى رواية أنها رضى الله عنها قالت : « لقد عاودت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى ذلك •• وما حملنى على معاودته الا أنى خشيت أن يتشاءم الناس بأبى بكر •• والا أنى علمت أنه لن يقوم

---

(٩) رواه احمد .

مقامه أحد الا تشاءم الناس به •• فأحببت أن يعدل رسول الله عن أبى بكر الى غيره » ••

وعن عبيد الله بن عبد الله قال : دخلت على عائشة فقلت : ألا تحدثينى عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : « بلى •• ثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال : « أصلى الناس » ؟ قلنا : لا •• هم ينتظرونك يا رسول الله •• فقال : « صبوا لى ماء فى المخضب » •• ففعلنا •• قالت : فاغتسل ثم ذهب لينوء ــ أى لينهض ــ فأغمى عليه ثم أفاق فقال : « أصلى الناس » ؟ قلنا : لا •• هم ينتظرونك يا رسول الله •• قال: « ضعوا لى ماء فى المخضب » ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ــ الثانية ــ ثم أفاق فقال : « أصلى الناس » ؟ قلنا : لا •• هم ينتظرونك يا رسول الله • قال : « ضعوا لى ماء فى المخضب » ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ــ الثالثة ــ ثم أفاق فقال : « أصلى الناس » ؟ قلنا : لا •• هم ينتظرونك يا رسول الله ••

قالت : والناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء •• فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر رضى الله عنه بأن يصلى بالناس •• وكان أبو بكر رجلا رقيقا •• فقال : قم يا عمر •• صل بالناس • فقال : أنت أحق بذلك •• فصلى بهم تلك الأيام ــ ثم ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى حديث البخارى »(١٠) •

وعن أنس رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه كان يصلى لهم فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه •• حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة •• فكشف النبى صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر الينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف تبسم يضحك •• فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبى صلى الله عليه وسلم •• ونكص ــ أى تأخر ــ أبو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن النبى صلى الله عليه وسلم خارج الى الصلاة •• فأشار الينا صلى الله عليه وسلم : أن أتموا صلاتكم •• وأرخى الستر وتوفى من يومه صلى الله عليه وسلم(١١) •

---

(١٠) رواه أحمد .

(١١) رواه البخارى .

وفى رواية عنه قال : « لم يخرج النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثا •• فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم •• فقال نبى الله — صلى الله عليه وسلم — : « عليكم بالحجاب » •• فرفعه •• فلما وضح وجه النبى صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا كان أعجب الينا من وجه النبى صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا •• فأومأ النبى صلى الله عليه وسلم بيده الى أبى بكر أن يتقدم •• وأرخى النبى صلى الله عليه وسلم الحجاب فلم يقدر عليه حتى مات صلى الله عليه وسلم »[١٢].

أرأيتم كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعطى للصلاة أهميتها ؟ ••

أرأيتم كيف كان يفعل حين يقوم الليل •• فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء •• ثم يركع مثل قيامه للقراءة •• ويسجد مثل ذلك ؟ ••

أرأيتم كيف كان صلى الله عليه وسلم وهو يغالب سكرات الموت •• لا يشغله الا السؤال : « أصلى الناس » •• ولا ينسيه الاغماء ثلاث مرات هذا الشأن الخطير ؟!

أرأيتم كيف يصف أنس — رضى الله عنه — وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فى يومه الأخير •• وهو يرى المسجد غاصا بالمصلين وصفوفهم متراصة خلف أبى بكر للصلاة فيقول :

« ما نظرنا منظرا كان أعجب الينا من وجه النبى صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا •• كأن وجهه ورقة مصحف تبسم يضحك حتى كدنا أن نفتتن من الفرح برؤيته » ••

وعن أنس رضى الله عنه قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الوفاة : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتى جعل يغرغر بها وما يفصح بها لسانه[١٣] .

وفى رواية لأحمد قال : « كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت : « الصلاة وما ملكت أيمانكم » حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها صدره — أى بلغ روحه حلقومه — وما يكاد يفيض بها لسانه ••

---

(١٢) رواه مسلم .

(١٣) رواه البيهقى والنسائى وابن ماجه .

وعن على رضى الله عنه قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده .. قال : فخشيت أن تفوتنى نفسه فقلت : انى أحفظ وأعى . قال : « أوصى بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم » .

وفى رواية له قال : « كان آخر كلام النبى صلى الله عليه وسلم : « الصلاة .. الصلاة .. واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم »[١٤] ..

أسمعتم أيها المسلمون ؟؟

كان آخــر كلام النبى صلى الله عليه وسلم : « الصلاة الصلاة .. واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » ؟ !

* * *

لقد وعى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم وصيته الأخيرة .. وعملوا بها جهدهم .. بل جعلوها دائما نصب أعينهم ..

وقد مر بنا فى حديث عائشة : « ان أبا بكر رجل أسيف ــ أى سريع البكاء والحزن ــ اذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس » ..

ولقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول على المنبر : لا اسلام لمن لم يصل[١٥] .

ولهذا يروى المسور بن مخرمة رضى الله عنه يقول : « دخلت على عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وهو مسجى فقلت : كيف ترونه ؟ قالوا : كما ترى .. قلت : أيقظوه بالصلاة .. فانكم لن توقظوه لشىء أفزع له من الصلاة .. فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين .. فقال : ها الله اذن .. ولا حق فى الاسلام لمن ترك الصلاة ..

فصلى رضى الله عنه وان جرحه يثعب دما »[١٦] .

وعنه رضى الله عنه قال : « لمــا طعن عمر جعل يغمى عليه .. فقيل : انكم لن تفزعوه بشىء مثل الصلاة ان كانت به حياة .. فقال : الصلاة يا أمير المؤمنين .. الصلاة قد صليت .. فانتبه فقال : الصلاة .. ها الله اذن ! ولا حظ فى الاسلام لمن ترك الصلاة »[١٧] .

* * *

---

(١٤) رواه البخارى وابو داوود وابن ماجه وابن جرير .

(١٥) رواه ابن سعد عن ابى المليح .

(١٦) رواه الطبرانى .   (١٧) رواه ابن سعد .

وعن عثمان بن عبد الرحمن التيمى قال : قال أبى : « لأغلبن الليلة على المقام •• قال : فلما صليت العتمة تخلصت الى المقام حتى قمت فيه •• قال : فبينا أنا قائم اذا رجل وضع يده بين كتفى فاذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه •• قال : فبدأ بأم القرآن فقرأ •• حتى ختم القرآن فركع وسجد •• ثم أخذ نعليه •• فلا أدرى أصلى قبل ذلك شيئا أم لا »[18]

ورواه البيهقى والدارقطنى وفيه : قال : رأيت عثمان عند المقام ذات ليلة قد تقدم فقرأ القرآن فى ركعة ثم انصرف (!!)

وعن محمد بن مسكين قال : قالت امرأة عثمان رضى الله عنه حين أحاطوا به : « تريدون قتله ؟ •• ان تقتلوه أو تتركوه فانه كان يحيى الليل كله فى ركعة يجمع فيها القرآن »[19] .

وفى رواية عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قالت امرأة عثمان بن عفان رضى الله عنه حين قتلوه : « لقد قتلتموه وانه ليحيى الليل بالقرآن فى ركعة »[20] .

وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه •• فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها ••

وعن المسيب بن رافع قال : لما كف بصر ابن عباس رضى الله عنهم أتاه رجل فقال له : ان أنت صبرت لى سبعا لم تصل الا مستلقيا تومىء ايماء داويتك فبرأت ان شاء الله تعالى ••

فأرسل الى عائشة وأبى هريرة — رضى الله عنهما — وغيرهما من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم كل يقول : أرأيت ان مت فى هذه السبع كيف تصنع بالصلاة ؟ فترك عينه ولم يداوها[21] .

وعنه رضى الله عنه أنه قال : لما كف بصرى قيل : نداوك وتدع الصلاة أياما •• قال : لا •• ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان »[22] .

---

(١٨) رواه ابو نعيم فى الحلية . (١٩) رواه الطبرانى .
(٢٠) رواه ابو نعيم . (٢١) رواه الحاكم .
(٢٢) رواه البزار والطبرانى .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه كان لا يكاد يصوم .. وقال : انى اذا صمت ضعفت عن الصلاة .. والصلاة أحب الى من الصيام .. فان صام صام ثلاثة أيام من الشهر (٢٣) .

وكان عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما اذا قام فى الصلاة كأنه عود من الخشوع .. وكان ينزل فتنزل العصافير على ظهره ولا تحسبه الا جذع حائط .. وصلى يوما فى الحجر فجاء حجر قذافة — أى المنجنيق — فذهب ببعض ثوبه فما انفتل ..

وقيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها ؟

قال : لا أعود نفسى شيئا يفسد على صلاتى .. فقيل له : وكيف تصبر على ذلك ؟ ..

قال : بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال : فلان صبور .. ويفتخرون بذلك .. فأنا قائم بين يدى ربى .. أفأتحرك لذبابة ؟ ..

وكان على بن الحسين رضى الله عنهما اذا توضأ اصفر لونه .. فقيل له : ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء ؟ فقال : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟ ..

ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان اذا أراد الصلاة قال لأهله : تحدثوا أنتم فانى لست أسمعكم ..

ويروى أنه كان يصلى ذات يوم فى جامع البصرة فوقعت خلفه أسطوانة معقود بناؤها على أربع طبقات .. فتسامع بها أهل السوق فدخلوا المسجد وهو قائم يصلى مكانه وما انفتل من صلاته ..

فلما فرغ جاءه الناس يهنونه فقال : على أى شىء تهنونى ؟ قالوا : وقعت هذه الأسطوانة العظيمة فسلمت منها .. فقال : متى وقعت ؟ قالوا : وأنت تصلى . قال : ما شعرت بها ..

هكذا كان شأن الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصلاة ..

وهكذا كان شأن صحابته الكرام .. وشأن السلف الصالح رضى الله عنهم .

* * *

---

(٢٣) رواه الطبرانى .

ويقول الامام ابن قدامة[٢٤] : « اعلم أن للصلاة أركانا وواجبات وسننا .. وروحها النية والاخلاص والخشوع وحضور القلب .. فان الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال ..

ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة .. لأن النطق اذا لم يعرب عما فى الضمير كان بمنزلة الهذيان ..

وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال .. لأنه اذا كان المقصود من القيام الخدمة .. ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم .. ولم يكن القلب حاضرا .. لم يحصل المقصود .. فان الفعل متى خرج عن مقصوده بقى صورة لا اعتبار بها ..

قال الله تعالى : **« لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم »**[٢٥] .

والمقصود أن الواصل الى الله سبحانه وتعالى هو الوصف الذى استولى على القلب حتى حمله على امتثال الأوامر المطلوبة .. فلابد من حضور القلب فى الصلاة .. ولكن سامح الشارع فى غفلة تطرأ .. لأن حضور القلب فى أولها ينسحب حكمه على باقيها » .

ثم يقول : « والمعانى التى تتم بها حياة الصلاة كثيرة ..

المعنى الأول : حضور القلب كما ذكرنا .. ومعناه أن يفرغ من غير ما هو ملابس له ، وسبب ذلك الهمة .. فانه متى أهمك أمر حضر قلبك ضرورة .. فلا علاج لاحضاره الا صرف الهمة الى الصلاة .. وانصراف الهمة يقوى ويضعف بحسب قوة الايمان بالآخرة واحتقار الدنيا .. فمتى رأيت قلبك لا يحضر فى الصلاة .. فاعلم أن سببه ضعف الايمان .. فاجتهد فى تقويته ..

والمعنى الثانى : التفهم لمعنى الكلام .. فانه أمر وراء حضور القلب .. لأنه ربما كان القلب حاضرا مع اللفظ دون المعنى .. فينبغى صرف الذهن الى ادراك المعنى بدفع الخواطر الشاغلة وقطع موادها .. فان المواد اذا لم تنقطع لم تنصرف الخواطر عنها ..

والمواد .. اما ظاهرة وهى ما يشغل السمع والبصر .. واما باطنة وهى أشد .. كمن تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا .. فانه لا ينحصر

---

(٢٤) فى كتابه مختصر منهاج القاصدين ـــ ص ٢٤ ، ٢٥

(٢٥) الحج : ٣٧

فكره فى فن واحد •• ولم يغنه غض البصر •• لأن ما دفع فى القلب كان فى الاشتغال به ••

وعلاج ذلك ان كان من المواد الظاهرة •• بقطع ما يشغل السمع والبصر •• وهو القرب من القبلة •• والنظر الى موضع سجوده •• والاحتراز فى الصلاة من المواضع المنقوشة •• وأن لا يترك عنده ما يشغل حسه •• فان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما صلى فى انبجانية(٢٦) لها أعلام نزعها وقال : « انها ألهتنى آنفا عن صلاتى » •

وان كان من المواد الباطنة •• فطريق علاجه أن يرد النفس قهرا الى ما يقرأ فى الصلاة ويشغلها به عن غيره •• ويستعد لذلك قبل الدخول فى الصلاة •• بأن يقضى أشغاله •• ويجتهد فى تفريغ قلبه •• ويجدد على نفسه ذكر الآخرة وخطر القيام بين يدى الله عز وجل وهول المطلع •• فان لم تسكن الأفكار بذلك •• فليعلم أنه انما يتفكر فيما أهمه واشتهاه •• فليترك تلك الشهوات وليقطع تلك العلائق ••

واعلم أن العلة متى تمكنت لا ينفعها الا الدواء القوى •• والعلة اذا قويت جاذبت المصلى وجاذبها الى أن تنقضى الصلاة فى المجاذبة •• ومثل ذلك كمثل رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره •• وكانت أصوات العصافير تشوش عليه وفى يده خشبة يطيرها بها •• فما يستقر فكره حتى تعود العصافير فيشتغل بها •• فقيل له : هذا شىء لا ينقطع •• فان أردت الخلاص فاقطع الشجرة ••

فكذلك شجرة الشهوة •• اذا علت وتفرقت أغصانها •• انجذبت اليها الأفكار كانجذاب العصافير الى الأشجار •• والذباب الى الأقذار •• فذهب العمر النفيس فى دفع ما لا يندفع •• وسبب هذه الشهوة التى توجب هذه الأفكار حب الدنيا ••

قيل لعامر بن عبد قيس رحمه الله : هل تحدثك نفسك بشىء من أمور الدنيا فى الصلاة ؟ فقال : لأن تختلف الأسنة فى أحب الى من أجد هذا ••

واعلم أن قطع حب الدنيا من القلب أمر صعب •• وزواله بالكلية عزيز •• فليقع الاجتهاد فى الممكن منه •• والله الموفق المعين ••

---

(٢٦) كساء منسوب الى « منبج » — بكسر الباء — وهى مدينة من أعمال حلب .. وقيل الى موضع اسمه « انبجان » .

المعنى الثالث : التعظيم لله والهيبة •• وذلك يتولد من شيئين : معرفة جلال الله تعالى وعظمته •• ومعرفة حقارة النفس وأنها مستعبدة •• فيتولد من المعرفتين : الاستكانة ، والخشوع •

ومن ذلك الرجاء : فانه زائد على الخوف •• فكم من معظم ملكا يهابه لخوف سطوته كما يرجو بره ••

والمصلى ينبغى أن يكون راجيا بصلاته الثواب •• كما يخاف من تقصيره العقاب » •

ويستطرد رحمه الله ورضى عنه فيقول[٢٧] :

« وينبغى للمصلى أن يحضر قلبه عند كل شيء من الصلاة •• فاذا سمع نداء المؤذن •• فليمثل النداء للقيامة ويشمر للاجابة •• ولينظر ماذا يجيب •• وبأى بدن يحضر ••

واذا ستر عورته فليعلم أن المراد من ذلك تغطية فضائح بدنه عن الخلق •• فليذكر عورات باطنه وفضائح سره التى لا يطلع عليها الا الخالق •• وليس لها عنه ساتر •• وأنها يكفرها الندم •• والحياء •• والخوف ••

واذا استقبل القبلة • فقد صرف وجهه عن الجهات الى جهة بيت الله تعالى •• فصرف قلبه الى الله تعالى أولى من ذلك •• فكما أنه لا يتوجه الى جهة البيت الا بالانصرف عن غيرها •• كذلك القلب لا ينصرف الى الله تعالى الا بالانصرف عما سواه ••

اذا كبرت أيها المصلى •• فلا يكذبن قلبك لسانك •• لأنه اذا كان فى قلبك شيء أكبر من الله تعالى فقد كذبت •• فاحذر أن يكون الهوى عندك أكبر بدليل ايثارك موافقته على طاعة الله تعالى ••

فاذا استعذت •• فاعلم أن الاستعاذة هى لجأ الى الله سبحانه •• فاذا لم تلجأ بقلبك كان كلامك لغوا •• وتفهم معنى ما تتلو •• واحضر التفهم بقلبك عند قولك : « **الحمد لله رب العالمين** » •• واستحضر لطفه عند قولك : « **الرحمن الرحيم** » •• وعظمته عند قولك : « **مالك يوم الدين** » •• وكذلك فى جميع ما تتلو ••

وقد روينا عن زرارة بن أبى أوفى رضى الله عنه أنه قرأ فى صلاته : « **فاذا نقر فى الناقور** »[٢٨] فخر ميتا •• وما ذاك الا لأنه تصور تلك الحال فأثرت عنده التلف ••

---

(٢٧) المرجع السابق ص ٢٦ (٢٨) المدثر : ٨

واستشعر فى ركوعك التواضع •• وفى سجودك زيادة الذل •• لأنك وضعت النفس موضعها •• ورددت الفرع الى أصله بالسجود على التراب الذى خلقت منه •• وتفهم معنى الأذكار بالذوق •

واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدأ •• وحصول الأنوار فيه التى بها تتلمح عظمة المعبود •• وتطلع على أسراره وما يعقلها الا العالمون •

فأما من هو قائم بصورة الصلاة دون معانيها •• فانه لا يطلع على شىء من ذلك بل ينكر وجوده » اهـ •

* * *

سئل حاتم الأصم رضى الله عنه يوما عن صلاته فقال : « اذا حانت الصلاة •• أسبغت الوضوء •• وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى •• ثم أقوم الى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى •• والصراط تحت قدمى •• والجنة عن يمينى •• والنار عن شمالى •• وملك الموت ورائى أظنها آخر صلاتى ••

ثم أقوم بين الرجاء والخوف •• وأكبر تكبيرا بتحقيق •• وأقرأ قراءة بترتيل •• وأركع ركوعا بتواضع •• وأسجد سجودا بتخشع •• وأقعد على الورك الأيسر •• وأفرش ظهر قدمها •• وأنصب القدم اليمنى على الابهام •• وأتبعها الاخلاص •• ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا » ؟

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « حبب الى من دنياكم : النساء والطيب •• وجعلت قرة عينى فى الصلاة » •

وفى هذا المعنى يقول الامام ابن القيم (*) :

« وقرة العين فوق المحبة ، فانه ليس كل محبوب تقر به العين ، وانما تقر العين على المحبوب الذى يحب لذاته ، وليس ذلك الا الله الذى لا اله الا هو • وكل ما سواه فانما يحب تبعا لمحبته ، فيحب لأجله ، ولا يحب معه ، فان الحب معه شرك ، والحب لأجله توحيد •

(*) فى كتابه : « الطريق الى الهدايـــة » نشر دار التراث العربى سنة ١٩٨٤ ص ٤٨ ـــ ٥٩

فالمشرك يتخذ من دون الله أندادا يحبهم كحب الله ، والموحد انما يحب من يحبه الله ، ويبغض من يبغضه الله ، ويفعل ما يفعله لله ، ويترك ما يتركه لله • ومدار الدين على هـذه القواعد الأربعة • وهى : الحب ، والبغض • ويترتب عليهما : الفعل ، والترك ، والعطاء ، والمنع •

فمن استكمل أن يكون هذا كله لله فقد استكمل الايمان ، وما نقص منها أن يكون لله عاد ينقص ايمان العبد •

والمقصود أن ما تقر به العين أعلا من مجرد ما يحبه • فالصلاة قرة عيون المحبين فى هذه الدنيـا ، لمـا فيها من مناجاة من لا تقر العيون الا به ، ولا تطمئن ولا تسكن النفس الا اليه ، والتنعم بذكره ، والتلذذ والخضوع له ، والقرب منه ، ولاسيما فى حال السجود ، وتلك الحال أقرب ما يكون العبد من ربه فيها •

ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « أرحنا بها يا بلال » • كما أخبر أن قرة عينه فيها • فأين هذا من قول من يقول : نصلى ونستريح من الصلاة • فالمحب راحته وقرة عينه فى الصلاة ، والغافل المعرض ليس له نصيب من ذلك ، بل الصلاة كبيرة شاقة عليه ، اذا قام فكأنه قائم على الجمر حتى يتخلص من واجب الصلاة ، وعجلها وأسرعها ، فهو ليس له قرة عين فيها ، ولا لقلبه راحة بها •

والعبد اذا قرت عينه بشىء ، واستراح قلبه به ، فأشق ما عليه مفارقته ، والمتكلف الفارغ القلب من الله والدار الآخرة ، المبتلى بحب الدنيا ، أشق ما عليه الصلاة ، وأكره ما اليه طولها ، مع تفرغه ، وصحته ، وعدم اشغاله •

ومما ينبغى أن يعلم أن الصلاة التى تقر بها العين ، ويستريح بها القلب ، هى التى تجمع ستة مشاهد •

المشهد الأول ــ الاخلاص :

وهو أن يكون الحامل عليها ، والداعى اليها : رغبة العبد فى الله ، ومحبته له ، وطلبه مرضاته ، والقرب منه ، والتردد اليه ، وامتثال أمره ، بحيث لا يكون الباعث له عليها حظ من حظوظ الدنيا ألبتة ، بل يأتى بها ابتغاء وجه ربه الأعلى ، محبة له ، وخوفا من عذابه ، ورجاء لمغفرته وثوابه •

المشهد الثانى ـ الصدق والنصح :

وهو أن يفرغ قلبه لله فيها ، ويستفرغ جهده فى اقباله فيها على الله ، وجمع قلبه عليها ، وايقاعها على أحسن الوجوه وأكملها ، ظاهرا وباطنا • فان الصلاة لها ظاهر وباطن • فظاهرها الأفعال المشاهدة ، والأقوال المسموعة • وباطنها الخشوع والمراقبة ، وتفريغ القلب لله ، والاقبال بكليته على الله فيها ، لا يلتفت قلبه عنه الى غيره ، فهذا بمنزلة الروح لها ، والأفعال بمنزلة البدن ، فاذا خلت من الروح كانت كبدن بلا روح •

أفلا يستحى العبد أن يواجه سيده بمثل ذلك ؟ ولهذا تلف كما يلف الثوب الخلق ، ويضرب بها وجه صاحبها وتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى •

والصلاة التى كمل ظاهرها وباطنها تصعد ولها نور وبرهان كنور الشمس حتى تعرض على الله ، فيرضى بها ، ويقبلها ، وتقول : حفظك الله كما حفظتنى •

المشهد الثالث ـ المتابعة والاقتداء :

وهو أن يحرص كل الحرص على الاقتداء فى صلاته بالنبى صلى الله عليه وسلم ، كما كان يصلى ، ويعرض عما أحدث الناس فى الصلاة من الزيادة والنقصان ، والأوضاع التى لم ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء منها ، ولا عن أحد من الصحابة •

ولا تقف عند أقوال المرخصين الذين يقفون مع أقل ما يعتقدون وجوبه ، ويكون غيرهم قد نازعهم فى ذلك ، وأوجب ما أسقطوه • ولعل الأحاديث الثابتة ، والسنة النبوية من جانبه ، ولا يلتفتون الى ذلك ، ويقولون : نحن مقلدون لمذهب فلان وفلان •

وهذا لا تخلص عند الله تعالى ، ولا يكون عذرا لمن تخلف عما علمه من السنة ، فان الله تعالى انما أمر بطاعة رسوله واتباعه وحده ، ولم يأمر باتباع غيره ، وانما يطاع غيره اذا أمر بما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم • وكل أحد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم فمتروك أمره •

وقد أقسم سبحانه وتعالى بنفسه الكريمة أنا لا نؤمن حتى نحكم الرسول فيما شجر بيننا ، وننقاد لحكمه ، ونسلم تسليما(*) • فلا ينفعنا تحكيم غيره ، ولا ينجينا من عذاب الله ، ولا يقبل منا هذا الجواب اذا سمعنا نداءه سبحانه يوم القيامة يقول : « **ماذا أجبتم المرسلين** » •

فانه لابد أن يسألنا عن ذلك ويطالبنا بالجواب ، قال تعالى :

« **فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين** » •

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أوحى الى أنكم بى تعيشون ، وعنى تسئلون » • يعنى المسألة فى القبر •

فمن انتهت اليه سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتركها لقول أحد من الناس ، فسيرد يوم القيامة ويعلم الحق •

المشهد الرابع ـ الاحسان :

وهو مشهد المراقبة ، وهو : أن تعبد الله كأنك تراه ، وهـذا المشهد انما ينشأ من كمال الايمان بالله وأسمائه وصفاته ، حتى كأنه يرى الله سبحانه وتعالى فوق سماواته ، مستويا على عرشه ، يتكلم بأمره ونهيه ، ويدبر أمر الخليقة ، فينزل الأمر من عنده ، ويصعد اليه ، وتعرض أعمال العباد وأرواحهم عند الوفاة عليه •

فيشهد ذلك بقلبه ، ويشهد أسماءه وصفاته ، ويشهد قيوما حيا سميعا بصيرا عزيزا حكيما ، آمرا ناهيا ، يحب ويغضب ، لا يخفى عليه شىء من أعمال العباد ولا أقوالهم ، ولا بواطنهم ، بل يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور •

ومشهد الاحسان أصل أعمال القلوب كلها ، فانه يوجب الاجلال والتعظيم ، والخشية والمحبة ، والانابة والتوكل ، والخضـوع لله سبحانه ، والذل له ، ويقطع الوساوس وحديث النفس ، ويجمع القلب والهم على الله •

(*) وذلك قوله تعالى : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » • (النساء : ٦٥) •

فحظ العبد من القرب من الله على قدر حظه من مقام الاحسان ، وبحسبه تتفاوت الصلاة ، حتى يكون بين صلاة الرجلين فى الفضل كما بين السماء والأرض ، وقيامهما وركوعهما وسجودهما واحد •

المشهد الخامس :

أن يشهد أن المنة لله سبحانه فى كونه أقامه فى هذا المقام ، وأهله ووفقه لقيام قلبه وبدنه فى خدمته ، فلولا الله سبحانه لم يكن شىء من ذلك ، كما كان الصحابة يجدون بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

قال تعالى : **« يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على أسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين »** •

فالله سبحانه هو الذى جعل المسلم مسلما ، والمصلى مصليا ، كما قال الخليل عليه السلام : **« ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا »** • وقال : **« رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى »** •

فالمنة لله وحده فى أن جعل عبده قائما بطاعته ، وكان هذا من أعظم نعمه عليه ، وقال تعالى : **« وما بكم من نعمة فمن الله »** • وقال : **« ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون »** •

وهذا المشهد من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد ، وكلما كان العبد أعظم توحيدا كان حظه من هذا المشهد أتم •

وفيه من الفوائد : أنه يحول بين القلب وبين العجب بالعمل ورؤيته ، فانه اذا شهد أن الله سبحانه هو المان به ، الموفق له ، الهادى اليه ، شغله شهود ذلك عن رؤية نفسه ، والاعجاب بعمله ، وأن يصول به على الناس • فيرفع من قلبه فلا يعجب به ، ومن لسانه فلا يمن به ، ولا يستكثر به ، وهذا شأن العمل المرفوع •

ومن فوائده : أن يضيف الحمد على وليه ومستحقه ، فلا يشهد لنفسه حمدا ، بل يشهده كله لله ، كما يشهد النعمة كلها منه ، والفضل كله له ، والخير كله فى يده ، وهذا من كمال التوحيد •

فلا يستقر قلبه فى مقام التوحيد الا بعلم ذلك وشهوده ، فاذا علمه ورسخ فيه صار له مشهدا ، واذا صار لقلبه مشهدا أثمر له من المحبة والأنس بالله ، والشوق الى لقائه ، والتنعم بذكره ، وطاعته ، ما لا نسبة بينه وبين أعلا نعيم الدنيا ألبتة .

وما المرء خير فى حياته اذا كان قلبه عن هذا مصدودا ، وطريق الوصول اليه عنه مسدودا ، بل هو كما قال تعالى :

« ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهم الأمل ، فسوف يعلمون » .

المشهد السادس ــ رؤية التقصير :

وهو أن العبد لو اجتهد فى القيام بالأمر غاية الاجتهاد ، وبذل وسعه ، فهو مقصر ، وحق الله سبحانه عليه أعظم ، والذى ينبغى أن يقابله به من الطاعة والعبودية فوق ذلك بكثير ، وأن عظمته وجلاله سبحانه يقتضى من العبودية ما يليق بهما .

واذا كان خدم الملوك وعبيدهم يعاملونهم فى خدمتهم بالاجلال لهم ، والتعظيم والاحترام والتوقير والحياء والمهابة والخشية والنصح ، بحيث يفرغون قلوبهم وجوارحهم لهم ، فمالك الملوك ، ورب السموات والأرض أولى أن يعامل بأضعاف ذلك .

واذا شهد العبد من نفسه أنه لم يعرف لربه فى عبوديته حقه ، ولا قريبا من حقه ، علم تقصيره وتفريطه ، وعدم القيام بما ينبغى له من حقه ، وأنه الى أن يغفر له العبودية ويعفو عنه فيها أحوج منه الى أن يطلب منه عليها ثوابا .

وهو لو وفاها حقها لكانت مستحقة عليه بمقتضى العبودية ، فان خدمة العبد وعمله لسيده مستحق عليه بحكم كونه عبده ومملوكه ، فاذا طلب منه الأجرة على عمله وخدمته لعده الناس أحمق أخرق .

هذا وليس هو عبده ومملوكه على الحقيقة ، بل هو عبد الله ومملوكه على الحقيقة من كل وجه . فعمله وخدمته مستحق عليه بحكم كونه عبده ، فاذا أثابه عليه كان ذلك مجرد فضل ومنة واحسان اليه ، لا يستحقه العبد .

ومن هنا كان قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله • قيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، الا أن يتغمدنى الله برحمته » •

وقال أنس بن مالك : « يخرج للعبد يوم القيامة ثلاثة دواوين ، ديوان حسناته ، وديوان سيئاته ، وديوان النعم التى أنعم الله عليه بها • فيقول الرب سبحانه لنعمه : خذى حقك من حسنات عبدى • فيقوم أصغرها ، فيستنفد حسناته • ثم تقول : وعزتك ما استوفيت حقى بعد • فاذا أراد الله أن يرحم عبده وهبه نعمه ، وغفر سيئاته ، وضاعف حسناته » •

وهذا من أدل الدلالات على كمال علم الصحابة بربهم وحقوقه عليهم ، كما أنهم أعلم الأمة بنبيهم وشفقته ودينه • فان فى هذا الأثر من العلم والمعرفة ما لا يدركه الا أولوا البصائر العارفون بالله وأسمائه ، وصفاته ، وحقه •

ومن هنا يفهم قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أبو داوود والامام أحمد من حديث زيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وغيرهما : أن الله تعالى لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم » اهـ

***

* ثمرة الصلاة :

اذا أقيمت الصلاة بالخشــوع الواجب لهــا •• وأقبل على الله تعالى بها •• فانهــا تثمر الرضوان والمغفرة ••

تثمر الفلاح فى الدنيا •• والفوز فى الآخرة ••

لقوله تعــالى : **« فمن زحزح عن النــار وأدخل الجنــة فقد فــاز »**[٢٩] والجنة ثمرة من ثمار الصلاة ••

لذا كان من دعاء ابراهيم عليه السلام قوله : **« رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء • ربنا اغفــر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »**[٣٠] •

---

(٢٩) آل عمران : ١٨٥ (٣٠) ابراهيم : ٤٠ ، ٤١

فقدم عليه السلام اقامة الصلاة على طلب المغفرة .. لأن المغفرة ثمرة مرجوة .. وهى غاية والصلاة هى الوسيلة اليها ..

وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »**(٣١) .

فأرشدنا تعالى الى الصراط المستقيم .. فكما أن أمر الحياة والموت بيد الله وحده .. لذا فان الصلاة والعبادة لا تكون الا له تعالى وحده ..

كما أمره تعالى بارشاد أمته الى هذا الطريق المستقيم فقال : **« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال »**(٣٢) .

ولما كانت الصلاة هى حجر الزاوية فى العبادات كلها .. بعد شهادة التوحيد والايمان بالرسول .. وهى عنوان التقوى .. فقد وصف تعالى المتقين بأنهم : **« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »**(٣٣) .

كما وعد الخاشعين فى صلاتهم بالفلاح فقال : **« قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشعون »**(٣٤) .

ثم وصف المؤمنين بقوله تعالى : **« والذين هم على صلواتهم يحافظون »**(٣٥) .

فاذا كان الانسان يحافظ وهو فى الدنيا على ماله برغم كونه عارية زائلة .. ألا يجب عليه المحافظة على صلاته وهى زخره الوحيد فى الآخرة ؟ !

وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقيام الليل فقال : **« ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »**(٣٦) .

كما وصف تعالى عباده بقوله : **« والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما »**(٣٧) .

---

(٣١) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣
(٣٢) ابراهيم : ٣١
(٣٣) البقرة : ٣
(٣٤) المؤمنون : ١ ، ٢
(٣٥) المؤمنون : ٩
(٣٦) الاسراء : ٧٩
(٣٧) الفرقان : ٦٤

ومدحهم لقيامهم وصلاتهم فقال : « **كانوا قليلا من الليل ما يهجعون • وبالأسحار هم يستغفرون • وفى أموالهم حق للسائل والمحروم** »[٣٨] .

وقال جل شأنه : « **انما يؤمن بآيتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون • تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون • فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** »[٣٩] .

وكما مدح الطائعين بصلاتهم •• ذم العاصين بالاعراض عنها واضاعتها فقال : « **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا** »[٤٠] .

وهذا هو العدل الالهى •• لقد أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات •• فباءوا بغضب الله •• وخسروا دنياهم وأخراهم ••

ولهذا كان لا عون للمسلم فى حياته وآخرته الا الصلاة •• ولقد صدق الله تعالى وهو أصدق القائلين : « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين • أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون • واستعينوا بالصبر والصلاة ، وأنها لكبيرة الا على الخاشعين • الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون** »[٤١] .

* * *

● ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم فضل الصلاة •• لما لها من شأن عظيم فى الاسلام •• فاذا كانت الصلاة هى الفرق ما بين المؤمن والكافر •• فقد كثرت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم شارحة لنا قيمتها ••

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات •• هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء •• قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس •• يمحو الله بهن الخطايا »[٤٢] .

---

(٣٨) الذاريات : ١٧ ــ ١٩
(٣٩) السجدة : ١٥ ــ ١٧
(٤٠) مريم : ٥٩
(٤١) البقرة : ٤٣ ــ ٤٦
(٤٢) متفق عليه .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « الصلوات الخمس •• والجمعة الى الجمعة •• كفارة لمـا بينهن ما لم تغش الكبائر »[٤٣] .

وروى أبو عثمان رضى الله عنه قال : كنت مع سلمان رضى الله عنه تحت شجرة •• فأخذ غصنا منها يابسا فهزه حتى تحات ورقه — أى تساقط — ثم قال : يا أبا عثمان •• ألا تسألنى لم أفعل هذا ؟ •• قلت : ولم تفعله ؟••

قال : هكذا فعل بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه تحت شجرة وأخذ منها غصنا يابسا فهزه حتى تحات ورقه •• فقال : « يا سلمان •• ألا تسألنى لم أفعـل هـذا ؟ •• قلت : ولم تفعله يا رسول الله ؟ قال : ان المسلم اذا توضأ فأحسن الوضوء •• ثم صلى الصلوات الخمس •• تحاتت خطاياه كما تحات هذا الورق » وقال : **« وأقم الصلاة طرفى النهـار وزلفا من الليـل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين »**[٤٤] .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى عليـه وسلم يقول : « ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها •• الا كانت كفارة لمـا قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة •• وذلك الدهر كله »[٤٥] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة •• فأتى النبى صلى الله عليـه وسلم فأخبره •• فأنزل الله تعـالى : **« وأقم الصلاة طرفى النهـار وزلفا من الليـل ، ان الحسنات يذهبن السيئات »**[٤٦] فقال الرجل : ألى هذا ؟ قال : لجميع أمتى كلهم »[٤٧] .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : كان رجلان أخوان على عهد رسول الله صلى الله عليـه وسلم •• وكان أحدهما أفضل من الآخر •• فتوفى الذى هو أفضلهم وعمر الآخر بعده ثم توفى •• فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الأول على الآخر فقال : « ألم يكن يصلى » ؟ •• قالوا : بلى يا رسول الله •• فقال صلى الله عليـه وسلم :

---

(٤٣) رواه مسلم .

(٤٤) رواه أحمد والنسائى والطبرانى — والآية من سورة هود : ١١٤

(٤٥) رواه مسلم . (٤٦) هود : ١١٤

(٤٧) متفق عليه .

« ما يدريك ما بلغت به صلاته » ؟ ثم قال عند ذلك : « انما مثل الصلاة كمثل نهر جار بباب رجل غمر عذب يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فماذا ترون يبقى من درنه »[٤٨] .

وزاد الطبراني : « .. ثم عمـر الآخر بعده أربعين ليلة .. فذكر .. » الحديث .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رجلان من بلى — حى من قضاعة — أسلما مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم .. فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة .. — قال طلحة بن عبيد الله : فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد — أى رآه فى منامه — فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم — أو ذكر لرسول الله صلى الله عليـه وسلم — فقال : « أليس قد صام بعده رمضان .. وصلى ستة آلاف ركعة .. وكذا وكذا ركعة — أى صلاة سنة — ؟ »[٤٩] .

وزاد ابن ماجه وابن حبان فى آخره : « فلما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض » .

وعن عمرو بن مرة الجهنى رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أرأيت ان شهدت أن لا اله الا الله وأنك رسول الله .. وصليت الصلوات الخمس .. وأديت الزكاة .. وصمت رمضان وقمتـه .. فممن أنا ؟ قال : « من الصديقين والشهداء »[٥٠] .

* * *

● وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب فى السعى الى المساجد وتعميرها والحرص على الجماعة .. ويأمر باتمام الصفوف الأول .. وتسويتها والتراص فيها .. كما تصف الملائكة ..

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله .. قال : « اسباغ الوضوء على المكاره .. وكثرة

---

(٤٨) رواه أحمد .
(٤٩) رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والبيهقى .
(٥٠) رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان .

الخطا الى المساجد •• وانتظار الصلاة بعد الصلاة •• فذلكم الرباط •• فذلكم الرباط »(٥١) .

وعنه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تطهر فى بيته •• ثم مضى الى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله •• كانت خطواته احداها تحت خطيئة •• والأخرى ترفع درجة »(٥٢) .

وعنه أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من غدا الى المسجد أو راح •• أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح »(٥٣) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم اليها ممشى فأبعدهم •• والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذى يصلى ثم ينام »(٥٤) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان •• قال الله عز وجل : **« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر »**(٥٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال : يا رسول الله •• ليس لى قائد يقودنى الى المسجد •• فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلى فى بيته فرخص له فلما ولى قال : « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ •• قال : نعم • قال : فأجب »(٥٦) .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال أحدكم فى صلاة ما دامت الصلاة تحبسه •• لا يمنعه أن ينقلب الى أهله الا الصلاة »(٥٧) .

---

(٥١) رواه مسلم .
(٥٢) رواه مسلم .
(٥٣) متفق عليه .
(٥٤) متفق عليه .
(٥٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن — والآية من سورة التوبة : ١٨
(٥٦) رواه مسلم .
(٥٧) رواه البخارى .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا •• وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء •• ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة •• لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة •• فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث ، تقول : اللهم صل عليه •• اللهم ارحمه •• ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة »(٥٨) .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر ليلة صلاة العشاء الى شطر الليل •• ثم أقبل علينا بوجهه بعدما صلى فقال : « صلى الناس ورقدوا •• ولم تزالوا فى صلاة منذ انتظرتموها »(٥٩) .

* * *

● وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على صلاة الجماعة لما لها من فضل عظيم •• فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة »(٦٠) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة •• الا قد استحوذ عليهم الشيطان •• فعليكم بالجماعة فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية »(٦١) .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « من سره أن يلقى الله تعالى غدا مسلما •• فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن •• فان الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى •• وانهن من سنن الهدى ••

ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم •• ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ••

---

(٥٨) رواه البخارى .

(٥٩) رواه البخارى .

(٦٠) متفق عليه .

(٦١) رواه أبو داوود .

ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق •• ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى – أى يتمايل لشدة مرضه – بين الرجلين حتى يقام فى الصف »[٦٢] •

وفى رواية أنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى •• وان من سنن الهدى الصلاة فى المسجد الذى يؤذن فيه ••

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده •• لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب •• ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها •• ثم آمر رجلا فيؤم الناس •• ثم أخالف الى رجال فأحرق عليهم بيوتهم »[٦٣] •

***

● وكان صلى الله عليه وسلم يأمر باتمام الصفوف الأولى وتسويتها والتراص فيها ••

فعن جابر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها » ؟ •• فقلت : يا رسول الله •• وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : « يتمون الصفوف الأول •• ويتراصون فى الصف »[٦٤] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها •• وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها »[٦٥] •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فى أصحابه تأخرا فقال لهم : « تقدموا فائتموا بى •• ويأتم بكم من بعدكم •• لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله »[٦٦] •

وعن أبى مسعود رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا فى الصلاة ويقول : « استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم •• ليلينى منكم أولوا الأحلام والنهى •• ثم الذين يلونهم •• ثم الذين يلونهم »[٦٧] •

---

(٦٢) رواه مسلم •
(٦٣) متفق عليه •
(٦٤) رواه مسلم •
(٦٥) رواه مسلم •
(٦٦) رواه مسلم •
(٦٧) رواه مسلم •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقيموا الصفوف •• وحاذوا بين المناكب •• وسدوا الخلل •• ولينوا بأيدى اخوانكم •• ولا تذروا فرجات للشيطان •• ومن وصل صفا وصله الله •• ومن قطع صفا قطعه الله »[٦٨] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتموا الصف المقدم •• ثم الذى يليه •• فما كان من نقص فليكن فى الصف المؤخر »[٦٩] .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سووا صفوفكم •• فان تسوية الصف من تمام الصلاة »[٧٠] .

وفى رواية للبخارى : « ••• فان تسوية الصفوف من اقامة الصلاة » .

وعن البراء رضى الله عنه قال : كنا اذا صلينا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه •• فسمعته يقول : « رب قنى عذابك يوم تبعث — أو تجمع — عبادك »[٧١] .

* * *

● وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على صلاة الصبح والعصر والعشاء •• ويرغب فيها •• لأنها الأوقات التى يتكاسل الناس فيها عادة عن الصلاة ••

فعن جندب بن سفيان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصبح فهو فى ذمة الله •• فانظر يا ابن آدم •• لا يطلبنك الله من ذمته بشىء »[٧٢] ••

وعن بريدة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بشروا المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة »[٧٣] .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى البردين دخل الجنة »[٧٤] .

---

(٦٨) رواه أبو داوود .
(٦٩) رواه أبو داوود .
(٧٠) متفق عليه .
(٧١) رواه أبو داوود .
(٧٢) رواه مسلم .
(٧٣) رواه أبو داوود والترمذى .
(٧٤) رواه البخارى ومسلم — والبردان هما الصبح والعصر .

وعن أبى زهير رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها »[٧٥] .

وعن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال : كنا عند النبى صلى الله عليـه وسلم •• فنظر الى القمر ليلة البدر فقال : « انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر •• لا تضامون فى رؤيته •• فان استطعتم أن لا تقبلوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا »[٧٦] .

وفى رواية : « فنظر الى القمر ليلة أربع عشرة » •• ولا تضامون : أى لا ينالكم تعب ولا مشقة فى رؤيته ••

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار •• ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر •• ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله ــ وهو أعلم بهم ــ كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون »[٧٧] .

وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »[٧٨] .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليـل •• ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله »[٧٩] .

وفى رواية للترمذى : « من شهد العشاء فى جماعة كان له كقيام نصف ليلة •• ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة كان له كقيام ليلة » ••

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء •• ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا »[٨٠] .

* * *

---

(٧٥) رواه مسلم ــ ويعنى الفجر والعصر .

(٧٦) متفق عليه .

(٧٧) متفق عليه .

(٧٨) رواه البخارى .

(٧٩) رواه مسلم .

(٨٠) متفق عليه .

* السنن •• وصلاة التطوع :

قلنا ان الصلاة تنقسـم الى فرائض وسنن ونوافل •• وقد افترض الله تعالى الفرائض على عباده •• فاذا أقامها العبد وأدى حقها من خشوع واقبال : أثابه الله جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين •• الذين وصفهم الله تعالى بقوله : **« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »**(٨١) •

أما اذا أعرض عنها وجحد فرضيتها •• فانه يخرج بذلك على الاسلام ويحكم بكفره ان لم يرجع عن ضلاله ويتوب الى الله تعالى •• وقد توعده الله تعالى بالشدة والضيق فى حياته الدنيا •• فضلا عن العذاب والهوان فى الآخرة ••

يقول تعـالى : **« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيـامة أعمى • قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا • قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى »**(٨٢) •

والحد الأدنى من الصلاة •• اقامة فرائضها •• أما من شاء الاستزادة من فضل الله وعبادته •• فقد فتح له تعالى باب الاستزادة ••

روى أن رجلا من أهل نجد جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم •• ثائر الرأس •• يسمعون دوى صوته ولا يفقهون له قولا •• حتى دنـا من الرسول صلى الله عليـه وسلم •• فاذا هو يسأله عن الاسلام ••

فكان مما قاله له الرسول صلى الله عليـه وسلم أن قال : « خمس صلوات فى اليوم والليلة » •• قال : هل على غيرهن ؟ قال : « لا •• الا أن تطوع » •

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وصيام شهر رمضان » • فقال الرجل : هل على غيره ؟ •• فقال : « لا •• الا أن تطوع » ••

وذكر له الرسول صلى الله عليـه وسلم الزكاة •• فقال : هل على غيرها ؟ •• قال : « لا •• الا أن تطوع » ••

فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه •• فقال صلى الله عليه وسلم : « أفلح ان صدق » ••

---

(٨١) البقرة : ٣ (٨٢) طه : ١٢٤ ـ ١٢٦

هذا عن الفرائض وقد بينا فضائلها •• أما السنن التى استنها الرسول صلى الله عليه وسلم — وهى صلاة التطوع — فانها تنقسم الى أربعة أقسام :

الأول : السنن الرواتب •• ويدخل فيها راتبة الظهر •• وهى ركعتان أو أربع قبلها •• وركعتان أو أربع بعدها ••

وراتبة العصر •• وهى ركعتان أو أربع قبلها •• وليس لها رواتب بعدها ••

وراتبة المغرب •• وهى ركعتان بعدها ••

وراتبة العشاء •• وهى ركعتان أو أربع بعدها ••

وراتبة الفجر •• وهى ركعتان قبلها •• ولا صلاة بعدها ••

ثم تأتى بعد صلاة العشاء صلاة الوتر التى حض عليها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا » ••

وكان صلى الله عليه وسلم — فيما تروى عائشة رضى الله عنها — يوتر من أول الليل ومن أوسطه ومن آخره •• وانتهى وتره الى السحر ••

وكان يوقظها من نومها ويقول : « قومى فأوترى يا عائشة » ••

ويمتد وقت الوتر حتى الفجر •• وأقلها ركعة على بعض المذاهب •• أو ثلاث على رأى آخرين •• وأكثر الوتر احدى عشر ركعة ••

بالاضافة الى راتبة الضحى •• وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان ••

والقسم الثانى منها : هو ما يسن له الجماعة من التطوعات •• وهو صلاة التراويح فى رمضان •• وصلاة العيدين على القول بأنها سنة ••

أما القسم الثالث : فهو التطوع المطلق •• وهو مشروع بالليل والنهار الا فى الأوقات المنهى عن الصلاة فيها •• أو صلاة النافلة فقط ••

والقسم الرابع من صلوات التطوع : هو صلوات لها أسباب •• منها تحية المسجد •• وسجود التلاوة •• وسجود الشكر •• وصلاة الاستخارة •• وصلاة الاستسقاء •• وكسوف الشمس وخسوف القمر ••

* * *

وكثير من الناس يؤدون النوافل •• وينوون بها زيادة الأجر والثواب من الله تعالى ••

وحقيقة الأمر •• أن النافلة ـ فضلا عما فيها من زيادة فى الأجر والثواب ـ فانها تجبر ما يكون قد حدث فى الفرائض من نقص أو خلل ••

ومن منا لا يحدث فى صلاته نقص أو خلل ؟!

من منا لا يسهو فى صلاته •• أو تحدثه نفسه بأمر من أمور الدنيا ومشاغلها •• فيلهيه ذلك عن الاقبال على صلاته ؟!

من منا لم يحدث له ـ ولو مرة واحدة ـ أن ينصرف من صلاته •• فلم يدر أخمسا صلى أم أربعا ؟!

لقد كان السلف الصالح يتجردون من الدنيا تماما عند اقبالهم على الصلاة ••

تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته كأحدنا •• فاذا حان وقت الصلاة مضى كأن لم يعرفنا ولم نعرفه[٨٣] ••

وكان على بن الحسين رضى الله عنهما اذا مشى الى الصلاة اصفر لونه وارتعد بدنه •• ويقول : أتدرون بين يدى من أقوم ؟

وأصيبت رجل عروة بن الزبير رضى الله عنهما وقرر الطبيبُ قطعها •• فاختار أن يقطعها الطبيب وهو فى صلاته •• حتى لا يحس بالألم !!

ولكننا شغلنا أنفسنا بالدنيا وشغلتنا همومها •• فاذا قمنا الى الصلاة أتيناها متكاسلين أو كارهين •• وننقر فيها نقر الديكة فلا نتم تلاوتها أو ركوعها أو سجودها !!

وننصرف منها مسرعين الى مشاغل دنيانا وكأن عدوا يطاردنا !!

والويل كل الويل •• لو أطال الامام قليلا فى خطبته أو فى صلاته •• لقد أضاع وقت الناس •• وعطل أعمالهم وأضر بمصالحهم !!

فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ••

والحق •• أننا لو اتجهنا الى الله فى صلاتنا بالاخلاص اللازم والخشوع الواجب •• لو أقبلنا عليه بأرواحنا وقلوبنا بعد أن نطرح

---

(٨٣) رواه النسائى .

وراءنا هموم الدنيا ومشاكلها •• لو فعلنا ذلك لدبر الله أمورنا •• وما أصبحت لدينا هموم أو عانينا من مشاكل ••

فلقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر يفزع الى الصلاة ويقول : « يا أهلاه •• صلوا »[٨٤] .

ووجهنا صلى الله عليه وسلم الى الدعاء فى سجودنا حتى ييسر الله أمورنا •• فقال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد •• فأكثروا الدعاء »[٨٥] .

ولهذا سن الرسول صلى الله عليه وسلم النوافل •• لجبر ما يحدث فى صلاتنا من سهو أو خلل أو نقص ••

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب بل المرء من عبادته الصلاة •• فان كانت تامة كتبت تامة •• وان كانت ناقصة قال الله : انظروا هل لعبدى من نافلة •• فان كانت له نافلة أكلمت بها »[٨٦] .

ولهذا يجب على العبد حين يؤدى صلاة النافله •• أن ينوى بها جبر ما يكون قد حدث فى صلاته المفروضة من خلل أو نقص •• والله يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه .

* * *

* السنن الراتبة :

وعن أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد مسلم يصلى لله تعالى كل يوم ثنتى عشرة ركعة تطوعا غير الفريضة •• الا بنى الله له بيتا فى الجنة »[٨٧] .

وفى رواية : « الا بنى له بيت فى الجنة » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها •• وركعتين بعد الجمعة •• وركعتين بعد المغرب •• وركعتين بعد العشاء[٨٨] ••

---

(٨٤) رواه الطبرانى . (٨٥) رواه الترمذى .

(٨٦) رواه أبو يعلى والطبرانى .

(٨٧) رواه مسلم . (٨٨) متفق عليه .

وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين كل أذانين صلاة .. بين كل أذانين صلاة .. بين كل أذانين صلاة » — قال فى الثالثة : « لمن شاء »(٨٩) .

والمراد بالأذانين : الأذان الأول ، والاقامة .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أربعا قبل الظهر ، وركعتين قبل الغداة(٩٠) .

وعنها رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها »(٩١) .

وفى رواية : « لهما أحب الى من الدنيا وما فيها » ..

وعنها أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين خفيفتين بين النداء والاقامة من صلاة الصبح(٩٢) .

وفى رواية : « يصلى ركعتى الفجر .. اذا سمع الأذان فيخففهما حتى أقول : هل قرأ فيهما بأم القرآن » ؟ !

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل مثنى مثنى .. ويوتر بركعة من آخر الليل .. ويصلى الركعتين قبل صلاة الغداة .. وكأن الأذان بأذنيه »(٩٣) .

وعنه رضى الله عنه قال : رمقت النبى صلى الله عليه وسلم شهرا .. وكان يقرأ فى الركعتين قبل الفجر : **« قل يا أيها الكافرون » و « قل هو الله أحد »**(٩٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة . يسلم بين كل ركعتين .. ويوتر بواحدة .. فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر وجاءه المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين .. ثم اضطجع على شقه الأيمن .. حتى يأتيه المؤذن للاقامة(٩٥) .

---

(٨٩) متفق عليه .
(٩٠) رواه البخارى .
(٩١) رواه مسلم .
(٩٢) متفق عليه .
(٩٣) متفق عليه .
(٩٤) رواه الترمذى .
(٩٥) رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « اذا صلى أحدكم ركعتى الفجر •• فليضطجع على يمينه »[٩٦] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى بيتى قبل الظهر أربعا •• ثم يخرج فيصلى بالناس ، ثم يدخل فيصلى ركعتين •• وكان يصلى بالناس المغرب •• ثم يدخل فيصلى ركعتين •• ويصلى بالناس العشاء •• ويدخل بيتى فيصلى ركعتين »[٩٧] .

وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها •• حرمه الله على النار »[٩٨] .

وعن عبد الله بن السائب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى أربعا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر . قال : « انها ساعة تفتح فيها أبواب السماء •• فأحب أن يصعد لى فيها عمل صالح »[٩٩] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله امرءا صلى قبل العصر أربعا »[١٠٠] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كنا نصلى على عهد رسول الله صلى الله عليـه وسلم ركعتين بعد غروب الشمس قبل المغرب •• فقيل : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاهما ؟ قال : كان يرانا نصليهما فلم يأمرنا ولم ينهنا[١٠١] .

وعنه رضى الله عنه قال : كنا بالمدينة فاذا أذن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السوارى •• فركعوا ركعتين •• حتى ان الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب أن الصلاة قد صليت من كثرة من يصليهما[١٠٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا صلى أحدكم الجمعة •• فليصل بعدها أربع »[١٠٣] .

* * *

---

(٩٦) رواه أبو داوود والترمذى .

(٩٧) رواه مسلم .

(٩٨) رواه أبو داوود والترمذى .

(٩٩) رواه الترمذى .

(١٠٠) رواه أبو داوود والترمذى .

(١٠١) رواه مسلم .

(١٠٢) رواه مسلم .

(١٠٣) رواه مسلم .

● وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على صلاة الضحى والوتر •• ورغب فى أداء النوافل فى البيوت •• حتى لا تحرم من بركتها ••

فعن على كرم الله وجهه قال : الوتر ليس بحتم كصلاة المكتوبة •• ولكن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قال : « ان الله وتر يحب الوتر •• فأوتروا يا أهل القرآن »(١٠٤) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا »(١٠٥) .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم : « من خاف أن لا يقوم من آخر الليـل فليوتر من أوله •• ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل •• فان صلاة آخر الليل مشهودة •• وذلك أفضل »(١٠٦) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يصبح على كل سلامى(١٠٧) من أحدكم صدقة : فكل تسبيحة صدقة •• وكل تحميدة صدقة •• وكل تهليلة صدقة •• وكل تكبيرة صدقة •• وأمر بالمعروف صدقة •• ونهى عن المنكر صدقة •• ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى »(١٠٨) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى أربعا •• ويزيد ما شاء الله (١٠٩) .

وعن أم هانىء فاختة بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت : ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل •• فلما فرغ من غسله صلى ثمان ركعات •• وذلك ضحى(١١٠) .

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه أنه رأى قوما يصلون من الضحى •• فقال : أما لقد علموا أن الصلاة فى غير هذه الساعة أفضل •• ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الأوابين حين ترمض الفصال »(١١١) .

---

(١٠٤) رواه ابو داوود والترمذى

(١٠٥) متفق عليه .

(١٠٦) رواه مسلم

(١٠٧) السلامى ـــ بفتح السين : عظام الأصابع فى اليد والقدم .. والجمع : سلاميات .

(١٠٨) رواه مسلم .

(١٠٩) رواه مسلم .

(١١٠) متفق عليه .

(١١١) رواه مسلم .

قال النووي[112] : « ترمض : بفتح التاء والميم وبالضاد المعجمة يعني : شدة الحر .. والفصال ـ جمع فصيل ـ وهو الصغير من الإبل » ..

فصلاة الضحى تجوز من ارتفاع الشمس الى زوالها .. والأفضل أن تصلى عند اشتداد الحر وارتفاع الضحى .

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا أيها الناس فى بيوتكم .. فان أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة »[113] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم .. ولا تتخذوها قبورا »[114] .

شبهها صلى الله عليه وسلم بالقبور .. لأن الصلاة لا تجوز فى المقابر ..

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قضى أحدكم صلاته فى مسجده .. فليجعل لبيته نصيبا من صلاته .. فان الله جاعل فى بيته من صلاته خيرا »[115] .

وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين »[116] .

* * *

● ويستحب صلاة ركعتين بعد الوضوء لما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال : « يا بلال .. حدثنى بأرجى عمل عملته فى الاسلام فانى سمعت دف نعليك بين يدى فى الجنة » قال : ما عملت عملا أرجى عندى من أنى لم أتطهر طهورا فى ساعة من ليل أو نهار .. الا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلى »[117] .

والدف ـ بفتح الدال ـ السير اللين ..

والمعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم رآه بين يديه فى الجنة .. لأن باب الجنة لا يفتح لأحد قبل الرسول صلى الله عليه

---

(١١٢) فى كتابه : رياض الصالحين .
(١١٣) متفق عليه .
(١١٤) متفق عليه .
(١١٥) رواه مسلم .
(١١٦) متفق عليه .
(١١٧) متفق عليه .

وسلم •• ويتبين لنا من هذا الحديث فضل المبادرة لصلاة النافلة •• ولو كانت ركعتين اثر الفراغ من الوضوء ••

* * *

● ولما كان ليوم الجمعة من فضل عظيم •• فقد اختصه الرسول صلى الله عليه وسلم بالحث على الاكثار فيه من الفضائل •• ففيه ساعة للاجابة •• ولهذا يجب الاستعداد له بالاغتسال والتطيب •• ولبس أحسن الثياب •• والتبكير بالذهاب الى المسجد •• وكثرة الدعاء فيه •• والاكثار من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ••

يقول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »**(١١٨) •

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة •• فيه خلق آدم •• وفيه أدخل الجنة •• وفيه أخرج منها »(١١٩) •

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ فأحسن الوضوء •• ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت •• غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام •• ومن مس الحصى فقد لغا »(١٢٠) •

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصلوات الخمس •• والجمعة الى الجمعة •• ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر »(١٢١) •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره : « لينتهين أقوام عن ودعهم — أى تركهم — الجمعات •• أو ليختمن الله على قلوبهم •• ثم ليكونن من الغافلين »(١٢٢) •

---

(١١٨) الجمعة : ٩ ، ١٠ .
(١١٩) رواه مسلم .
(١٢٠) رواه مسلم .
(١٢١) رواه مسلم .
(١٢٢) رواه مسلم .

وعن سلمان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر .. ويدهن من دهنه .. أو يمس من طيب بيته .. ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين .. ثم يصلى ما كتب له .. ثم ينصت اذا تكلم الامام .. الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى »[123] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة[124] ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة .. ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة .. ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن .. ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة .. ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة .. فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر »[125] .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال : « فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه » ــ وأشار بيده يقللها[126] .

وعن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما قال : قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت نعم .. سمعته يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هى ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة »[127] .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة .. فأكثروا على من الصلاة فيه .. فان صلاتكم معروضة على »[128] .

* * *

---

(123) رواه البخارى .

(124) اى غسلا كغسل الجنابة فى الصفة .

(125) متفق عليه .

(126) متفق عليه .

(127) رواه مسلم .

(128) رواه أبو داوود .

● ويستحب سجود الشـكر عند حصول نعمة ظاهرة •• أو اندفاع بلية ظاهرة ••

فعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم من مكة نريد المدينة •• فلما كنا قريبا من غروراء نزل ثم رفع يديه •• فدعا الله ساعة •• ثم خر ساجدا •• فمكث طويلا •• ثم قام فرفع يديه ساعة •• ثم خر ساجدا ــ فعله ثلاثا ــ وقال : « سألت ربى •• وشفعت لأمتى •• فأعطانى ثلث أمتى •• فخررت ساجدا لربى شكرا •• ثم رفعت رأسى فسألت ربى لأمتى فأعطانى ثلث أمتى •• فخررت ساجدا لربى شكرا •• ثم رفعت رأسى فسألت ربى لأمتى •• فأعطانى الثلث الآخـر •• فخررت سـاجدا لربى »(١٢٩) .



(١٢٩) رواه ابو داوود .

قيام الليـــل وفضله

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : ((**أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليـــل وقرآن الفجر ، أن قرآن الفجر كان مشهودا • ومن الليـــل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا • وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا**))(١) •

ويقول جل شأنه : ((**انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون • تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون • فلا تعـــلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون • أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ، لا يستوون**))(٢) •

ويقول جل وعلا : ((**ان المتقين فى جنات وعيون • آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين • كانوا قليلا من الليل ما يهجعون • وبالأسحار هم يستغفرون • وفى أموالهم حق للسائل والمحروم**))(٣) •

من بدهيات الأمور •• أن كل مجتهد لابد أن يجد ثمرة لاجتهاده ••

ولا يستقيم مع العقل أن يتساوى الجاد فى حياته مع الهازل فيـــها ••

وهل يمكن أن يتساوى — فى النتيجة — الخامل مع النشيط •• أو الكسول مع المجد •• أو الفاشل مع الناجح ؟؟

ان طبائع الأمور تأبى مثل هذا المنطق •• فلكل مجتهد نصيب ••

والله تعـــالى يقول : ((**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب**))(٤) فحتى فى العلم والمعرفة •• لا يتساوى الجاهل مع العالم •• أو الأحمق مع النابه ••

---

(١) الاسراء : ٧٨ — ٨٠ (٢) السجدة : ١٥ — ١٨

(٣) الذاريات : ١٥ — ١٩ (٤) الزمر : ٩

ولقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم — وأمته من بعده — باقامة الصلاة المفروضة من أول زوال الشمس نحو الغروب الى ظلمة الليـل •• وهى الصلوات المفروضة : — الظهر والعصر والمغرب والعشاء — كما أمره بأن يقيم صلاة الفجر التى تشهدهـا الملائكة •• وهذا أمر عام له صلى الله عليـه وسلم ولأمته ••

ثم خصه صلى الله عليه وسلم بأمر زائد عن الصلوات المفروضة •• فأمره بأن يخصص جانبا من الليل للتهجد والعبادة •• فكلفه بصلوات زائدة عن الصلوات الخمس •• رجاء أن يقيمه تعالى يوم القيامة مقاما يحمده فيه الخلائق كلها ••

ولذا يوجهه تعالى — ويوجهنا معه — الى الدعاء بأن يدخله ربه ادخالا مرضيا كريما فى كل ما أدخل فيه من أمر أو مكان •• وأن يخرجه منه اخراجا مرضيا كريما •• وأن يجعل له من فضله قوة ينصره بها على أعدائه ••

وقد استجاب الرسول صلى الله عليـه وسلم لهذا التكليف •• فكان يقوم من الليل حتى تتورم قدماه •• ويأبى أن يشفق على نفسه وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر •• فقد جعل الصلاة قرة لعينه ••

كما استجاب الصحابة الأجلاء لأمر ربهم وسنة نبيهم •• فرأينا صحابيا كعثمان رضى الله عنه يقوم الليـل بالقرآن كله •• يقرأه فى ركعة واحدة ••

والمقياس الصحيح لمعرفة المؤمن بربه المصدق بآياته •• من الكافر به المكذب لها •• هو استجابته لأوامر الله وابتعاده عن نواهيـه •• واتعاظه بما جاء به كتابه الكريم ••

لذا نراه يعدل دائما من أسلوب حياته •• ويصحح من منهاجه فيها ليتفق مع صراط الله المستقيم الذى شاءه لعباده ••

فنراه دائم السجود لعظمة الله •• منزها اياه عن كل نقص •• مقبلا عليه بكل كمال •• ولا يستكبر أبدا عن الانقياد لآيات ربه •• والاستهداء بهدى نبيه صلى الله عليه وسلم ••

فاذا أوى الى فراشه ليـلا •• رأيناه يتقلب فيه ويتململ •• كالمريض أو اللديغ •• فلا يجد راحته الا فى تنحية بدنه عنه ليقوم الى صلاته •• متوجها الى الله تعالى داعيا اياه •• راجيـا رحمته

وثوابه •• خائفا من سخطه وعذابه •• فيجافى جنبه مضجعه •• ويجافى المضجع جنبه ••

* * *

ثم هو لا يكتفى بالعبادات المجانية كما يعمل أكثر الناس •• لأنه يعلم أن المـال مال الله •• أنعم به عليه فضلا منه ورحمة •• فهو عارية فى يده •• يملكه اليوم ويخرج عنه غدا •• فينفق مما رزقه الله فى وجوه الخير سرا وعلانية •• لا يرد سائلا أو مسكينا أو محروما •• لأنه يعلم أن لهم فيه حقا ثابتا •• ونصيبا واجبا أوجبه الله عليه •

ولهذا فهو يعطى كل ذى حق حقه •• يؤدى حق الله عبادة وصلاة وقياما •• ويؤدى حق المسكين بذلا وعطاء •• وهو على ثقة من أن ما عنده هو الذى ينفد •• وما عند الله باق ••

أليس عدلا اذن •• ألا تعلم نفس مقدار ما أعده الله له من النعيم العظيم •• الذى تقر به عينه فلا يحزن أبدا ؟

لقد أجهد نفسه وبدنه فى عبادة الله وطاعته •• وآن لهما أن يستقرا ويستريحا •• وأن يجنى ثمرة كده وكدحه فى حياته الدنيا •• جزاء وفاقا لمـا اكتسب فيها من طاعة وعمل صالح •

ويعقد الله لنا المقارنة •• ويلفت نظرنا الى السؤال البديهى •• هل يستوى الناس فى جزائهم وقد اختلفوا فى أعمالهم ؟

هل من كان مؤمنا بالله كمن كان كافرا به عاصيا له ؟

يؤكد لنا تعالى •• انهم لا يستوون ••

وما كان لهم أن يستووا •• **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »**(٥) •

* * *

ثم يبشرنا تعالى بأن الذين أطاعوه وخافوه •• سوف ينعمون فى جنات وعيون •• لا يحيط بها الوصف •• ولا يصل اليها الخيال •• متقبلين ما أعطاهم ربهم من الثواب والتكريم ••

ولمـاذا هذا يا رب ؟ ••

لأنهم كانوا قبل ذلك — وهم فى حياتهم الدنيا — محسنين فى أداء ما طلب منهم •• لقد كانوا لا ينامون من الليل الا أقله •• ويجعلون

---

(٥) الزلزلة : ٧ ، ٨

أكثره للعبادة بالصـلاة والتسبيح •• ويحيونه بتلاوة القرآن وتدبر معانيه •• حتى اذا آذن الليل بالرحيل أخذوا فى الاستغفار الى ربهم والتوبة اليه •• راجين رحمته طامعين فى نعيمه ••

فكان عدلا اذن •• ألا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين .

* * *

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن سلام رضى الله عنه : « أيها الناس •• أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام •• تدخلوا الجنة بسلام »[٦] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصيام بعد رمضـان شهر الله المحرم •• وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »[٧] .

ويروى لنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كيفيته •• فيذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الليل مثنى مثنى •• فاذا خفت الصبح فأوتر بواحدة »[٨] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعقد الشيطان على قافية[٩] رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد •• يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد •• فان استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة •• فان توضأ انحلت عقدة •• فان صلى انحلت عقدة •• فأصبح نشيطا طيب النفس •• والا أصبح خبيث النفس كسلان »[١٠] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أحب الصلاة الى الله صلاة داوود •• وأحب الصيام الى الله صيام داوود •• كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه •• ويصوم يوما ويفطر يوما »[١١] .

وعن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله

---

(٦) رواه الترمذى .　　(٧) رواه مسلم .

(٨) متفق عليه .

(٩) القافية : مؤخرة الرأس من العنق .

(١٠) متفق عليه .　　(١١) متفق عليه .

تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه •• وذلك كل ليلة »[١٢] •

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نام عن حزبه — أو عن شىء منه — فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر ••كتب له كأنما قرأه من الليل »[١٣] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته •• فان أبت نضح فى وجهها الماء •• رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها •• فان أبى نضحت فى وجهه الماء »[١٤] •

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا نعس أحدكم فى الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم •• فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه »[١٥] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول •• فليضطجع »[١٦] •

* * *

● وقد رغب الرسول صلى الله عليه وسلم فى قيام رمضان •• وخص ليلة القدر لما فيها من خير كثير ••

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »[١٧] •

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا •• غفر له ما تقدم من ذنبه »[١٨] •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور فى العشر الأواخر من رمضان ويقول : « تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان »[١٩] •

---

(١٢) رواه مسلم •

(١٣) رواه مسلم .. والحزب : هو ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة وصلاة كما جاء فى النهاية لابن الأثير •

(١٤) رواه أبو داوود •

(١٥) متفق عليه •

(١٦) رواه مسلم •

(١٧) متفق عليه •

(١٨) متفق عليه •

(١٩) متفق عليه •

وعنها رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأواخر من رمضان : أحيا الليل •• وأيقظ أهله •• وجد وشد المئزر »[٢٠] •

والمئزر : الازار وهو ثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن •• والمعنى هنا أنه صلى الله عليه وسلم كان يتهيأ ويتشمر •• كناية عن زيادة الاجتهاد •• فقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد فى رمضان ما لا يجتهد فى غيره •• ويجتهد فى العشر الأواخر منه ما لا يجتهد فى غيرها •• كما روى الامام مسلم عن عائشة رضى الله عنها ••

وسألت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : أرأيت ان علمت أى ليلة ليلة القدر •• ما أقول فيها ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « قولى : اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى »[٢١] •

* * *

● ومن التطوع ما يسن له الجماعة كصلاة العيدين •• ومنها ما له أسباب خاصة كصلاة الاستسقاء •• وصلاة الخسوف والكسوف •• وصلاة الاستخارة •• وسجود التلاوة •• وسجدة الشكر على ما قدمنا •• ومحل ذكره كتب الفقه خوفا من الاطالة ••

* * *

● ولا تجوز الصلاة فى المقبرة أو الحمام •• لأن الاسلام يهدف الى طهارة الثوب والبدن والمكان •• وهذه الأماكن يغلب فيها النجاسات ••

فقد أخرج الترمذى وأبو داوود وابن ماجه •• عن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الأرض كلها مسجد •• الا الحمام والمقبرة » ••

* * *

● كما لا تجوز صلاة الحاقن والجائع ••

لأن من شأن الصلاة الاقبال على الله تعالى •• والجائع أو الحابس لبوله أو غائطه •• يكون متألما •• مشتت الفكر •• مشوش الصفاء ••

---

(٢٠) متفق عليه .　　(٢١) رواه الترمذى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يصلي بحضرة الطعام •• ولا وهو يدافعه الأخبثان »[٢٢] •

وعن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ••• ولا يصلى وهو حقن حتى يتخفف »[٢٣] •

ويقول القاضى عياض : « ان من صلى على حاله هذه فصلاته باطلة » ••

ويقول بعض أئمة الشافعية : « لا يصلى بحاله هذه •• بل يأكل ويتطهر وان خرج الوقت » ••

وقال الامام النووى : « اذا صلى على حاله وفى الوقت سعة فقد ارتكب المكروه •• وصلاته صحيحة عندنا وعند الجمهور » •

* * *

---

(٢٢) رواه الترمذى والنسائى وأبو داوود وابن ماجه •

(٢٣) رواه أبو داوود •

تارك الصلاة •• وجاحدها ••

يقول الله تعالى : « **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا • الا من تاب وآمن وعمل صالحا** »[1] •

ويقول تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** »[2] •

ويقول : « **فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون** »[3] •

ويقول جل شانه : « **يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون • خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ، وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون** »[4] •

ويقول جل وعلا : « **ما سلككم فى سقر • قالوا لم نك من المصلين • ولم نك نطعم المسكين • وكنا نخوض مع الخائضين • وكنا نكذب بيوم الدين • حتى أتانا اليقين • فما تنفعهم شفاعة الشافعين** »[5] •

● تارك الصلاة الجاحد بها المنكر لها •• كافر خارج عن ملة الاسلام باجماع المسلمين •• أما تاركها مع ايمانه بها واعتقاده فرضيتها •• ولكنه تركها تكاسلا أو تشاغلا عنها — بما لا يعد عذرا فى الشرع •• فقد صرحت بعض الأحاديث بكفره ووجوب قتله ••

غير أن كثيرا من علماء السلف والخلف •• رأوا أنه لا يكفر •• بل يفسق ويستتاب •• فان لم يتب قتل حدا عند مالك والشافعى وغيرهما ••

وعند أبى حنيفة : لا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلى ••

أما أحاديث التكفير •• فقد حملوها على الجاحد أو المستحل للترك ••

وللشوكانى : « والحق أنه كافر يقتل •• أما كفره ، فلأن الأحاديث قد صحت أن الشارع سمى تارك الصلاة بذلك الاسم •• وجعل الحائل بين الرجل وبين جواز اطلاق هذا الاسم عليه هو الصلاة ••

---

(١) مريم : ٥٩ ، ٦٠ . (٢) المنافقون : ٩

(٣) الماعون : ٤ ، ٥ (٤) القلم : ٤٢ ، ٤٣

(٥) المدثر : ٤٢ — ٤٨

فتركها مقتضى لجواز الاطلاق •• ولا يلزمنا شىء من المعارضات التى أوردها المعارضون •• لأنا نقول : لا يمنع أن يكون بعض أنواع الكفر غير مانع من المغفرة واستحقاق الشفاعة •• ككفر أهل القبلة ببعض الذنوب التى سماها الشارع كفرا •• فلا ملجىء الى التأويلات التى وقع الناس فى مضيقها » •

وقد صرحت بعض الأحاديث النبوية الشريفة بكفر تارك الصلاة •• وصرحت أخرى بوجوب قتله ••

فعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »(٦) •

وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة •• فمن تركها فقد كفر »(٧) •

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة •• ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وأبى بن خلف »(٨) •

واستند الامام ابن القيم بكون تارك المحافظة على الصلاة مع أئمة الكفر فى الآخرة مما يقتضى كفره •• يقول : « تارك المحافظة على الصلاة اما أن يشغله ماله أو ملكه أو رياسته أو تجارته •• فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون •• ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون •• ومن شغله عنها رياسته ووزارته فهو مع هامان •• ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبى بن خلف » ••

وروى الترمذى والحاكم عن عبد الله بن شقيق العقيلى قال : « كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا تركه كفر غير الصلاة » ••

وقال محمد بن نصر المروزى : سمعت اسحاق يقول : « صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر » ••

---

(٦) رواه أحمد ومسلم وابو داوود والترمذى وابن ماجه .

(٧) رواه أحمد واصحاب السنن .

(٨) رواه أحمد والطبرانى وابن حبان .

ويقول الامام ابن حزم : « وقد جاء عن عمر وعبد الرحمن ابن عوف ومعاذ بن جبل وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة : « أن من ترك صلاة فرض واحدة متعمدا حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد » .. ولا نعلم لهؤلاء الصحابة مخالفا ..

ويقول المنذرى فى « الترغيب والترهيب » ـ بعد ذكر مقالة ابن حزم السالفة ـ يقول : « قد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمدا تركها حتى يخرج جميع وقتها .. منهم عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ومعاذ بن جبل ، وجابر بن عبد الله ، وأبو الدرداء رضى الله عنهم ..

ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، والنخعى ، والحكم بن عتيبة ، وأبو أيوب السختيانى ، وأبو داوود الطيالسى ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وزهير ابن حرب .. وغيرهم رحمهم الله »[٩] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة .. عليهن أسس الاسلام .. من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله .. والصلاة المكتوبة .. وصوم رمضان »[١٠] .

وفى رواية : « من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر .. ولا يقبل منه صرف ولا عدل .. وقد حل دمه وماله » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. ويقيموا الصلاة .. ويؤتوا الزكاة .. فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام .. وحسابهم على الله عز وجل »[١١] .

وعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون .. فمن كره فقد برىء .. ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع » قالوا : يا رسول الله .. ألا نقاتلهم ؟ قال : « لا .. ما صلوا »[١٢] ..

---

(٩) انظر فقه السنة ـ للشيخ السيد سابق جـ ١ ص ٦٩

(١٠) رواه أبو يعلى .

(١١) رواه البخارى ومسلم .

(١٢) رواه مسلم .

فجعل صلى الله عليه وسلم الصلاة مانعا من مقاتلة أمراء الجور ••

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : بعث على — كرم الله وجهه — وهو باليمن الى النبى صلى الله عليه وسلم بذهيبة فقسمها بين أربعة ••

فقال رجل : يا رسول الله •• اتق الله (!!)

فقال : « ويلك •• أو لست أحق أهل الأرض أن يتقى الله » ؟

ثم ولى الرجل •• فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه : يا رسول الله •• ألا أضرب عنقه ؟ •• فقال : « لا •• لعله أن يكون يصلى » ••

فقال خالد : وكم من رجل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ••

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم »(١٣) •

فجعل صلى الله عليه وسلم الصلاة هى المانعة من القتل •• ومفهوم المخالفة اذن يقضى بأن عدم الصلاة موجب للقتل ••

وقد ذكر السبكى(١٤) فى طبقات الشافعية •• أن الامامين الجليلين الشافعى وأحمد رضى الله عنهما تناظرا فى تارك الصلاة ••

قال الشافعى رضى الله عنه : يا أحمد •• أتقول انه يكفر ؟

قال : نعم ••

قال : اذا كان كافرا •• فبم يسلم ؟

قال أحمد : يقول : لا اله الا الله محمد رسول الله ••

فقال : فالرجل مستديم لهذا القول لم يتركه ••

قال : يسلم بأن يصلى ••

فقال الشافعى : صلاة الكافر لا تصح •• ولا يحكم له بالاسلام بها ••

فسكت الامام أحمد •• رحمهما الله تعالى •• ولهذا كان الشافعى رضى الله عنه يرى أنه لا يكفر •• بل يفسق ويستتاب •• فان لم يتب قتل حدا •• ووافقه فى ذلك مذهب الامام مالك ••

* * *

---

(١٣) رواه البخارى ومسلم .

(١٤) انظر فقه السنة — المرجع السابق ص ٧٠

● يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا • الا من تاب وآمن وعمل صالحا** »[15] : « ليس معنى أضاعوها أنهم تركوها بالكلية •• ولكن أخروها عن أوقاتها » ••

وقال سعيد بن المسيب رضى الله عنه : « هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر •• ولا يصلى العصر الى المغرب •• ولا يصلى المغرب الى العشاء •• ولا يصلى العشاء الى الفجر •• ولا يصلى الفجر الى طلوع الشمس •• فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بالغى •• وهو واد فى جهنم بعيد قعره خبيث طعمه » ••

ويقول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون فقال : « هو تأخير الوقت »(*) أى أنهم أخروا صلواتهم أوقاتها •• وذلك قوله تعالى : « **فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون** »[16] ••

لأن الله سماهم « مصلين » •• ولكنهم تهاونوا بها وأخروها عن وقتها •• فوعدهم تعالى بالويل •• وهو شدة العذاب •• وقيل : هو واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره •• وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها الا أن يتوب الى الله تعالى ويندم على ما فرط ••

وقال صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة •• فان صلحت فقد أفلح وأنجح •• وان نقصت فقد خاب وخسر »[17] .

وقال المفسرون فى قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوآ لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** »[18] : المراد بذكر الله تعالى فى هذه الآية : الصلوات الخمس •• فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين[19] .

---

(١٥) مريم : ٥٩ ، ٦٠ . (*) رواه البزار .
(١٦) الماعون : ٤ ، ٥
(١٧) رواه المنذرى فى الترغيب والترهيب وعزاه للطبرانى .
(١٨) المنافقون : ٩
(١٩) الكبائر : للامام الذهبى ص ١٣

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله »(٢٠) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله عز وجل »(٢١) .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أى الأعمال أحب الى الله تعالى فى الاسلام ؟ .. قال : « الصلاة لوقتها .. ومن ترك الصلاة فلا دين له .. والصلاة عماد الدين »(٢٢) .

وتقدم .. أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما طعن قيل له : الصلاة يا أمير المؤمنين .. قال : نعم .. أما انه لا حظ لأحد فى الاسلام أضاع الصلاة .. وصلى رضى الله عنه وجرحه يثعب دما ..

وسئل على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن امرأة لا تصلى .. فقال : من لم يصل فهو كافر(٢٣) ..

ولابن مسعود رضى الله عنه : من لم يصل فلا دين له .. وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « من ترك صلاة واحدة متعمدا لقى الله تعالى وهو عليه غضبان » ..

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لقى الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته اذا كان مضيعا للصلاة » ..

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت الى السماء ولها نور حتى تنتهى الى العرش فتستغفر لصاحبها الى يوم القيامة وتقول : حفظك الله كما حفظتنى ..

واذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت الى السماء وعليها ظلمة .. فاذا انتهت الى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق .. ويضرب بها وجه صاحبها وتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى »(٢٤) .

---

(٢٠) رواه ابن ماجه والبيهقى . (٢١) رواه أحمد .

(٢٢) رواه البيهقى . (٢٣) رواه الترمذى والحاكم .

(٢٤) رواه الطبرانى والطيالسى والبيهقى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر »[٢٥] .

وعنه رضى الله عنه قال : « اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدى الله عز وجل .. فيأمر به الى النار .. فيقول : يا رب .. لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخيرك الصلاة عن وقتها وحلفك بى كاذبا » ..

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم : من تقدم قوما وهم له كارهون .. ومن استعبد محررا .. ورجل أتى الصلاة دبارا »[٢٦] ــ أى يأتيها بعد أن تفوته ..

ويقول الامام الذهبى[٢٧] : « من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات : يرفع عنه ضيق العيش ، وعذاب القبر ، ويعطيه كتابه بيمينه ، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب ..

ومن تهاون بها عاقبه الله تعالى بخمس عشر عقوبة : خمس فى الدنيا .. وثلاث عند الموت .. وثلاث فى القبر .. وثلاث عند خروجه من القبر(*) ..

فأما اللاتى فى الدنيا : فالأولى ينزع البركة من عمره .. والثانية يمحى سيماء الصالحين من وجهه .. والثالثة كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه .. والرابعة لا يرفع له دعاء الى السماء .. والخامسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين ..

وأما اللاتى تصيبه عند الموت : فانه يموت ذليلا .. والثانية يموت جائعا .. والثالثة يموت عطشانا ولو سقى بحار الدنيا ما روى من عطشه ..

وأما اللاتى تصيبه فى قبره : فالأولى يطبق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه .. والثانية يوقد عليه القبر نارا يتقلب على الجمر

---

(٢٥) رواه الحاكم .　　(٢٦) رواه أبو داوود .

(٢٧) فى الكبائر ص ١٧

(*) وهذه أربعة عشر عقوبة ، ولم يذكر الذهبى الخامسة عشر ..

ليلا ونهارا •• والثالثة يسلط عليه فى قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع •• عيناه من نار •• وأظافره من حديد •• طول كل ظفر مسيرة يوم •• يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع •• وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح الى طلوع الشمس • • وأضربك على تضييع صلاة الظهر الى العصر •• وأضربك على تضييع صلاة العصر الى المغرب •• وأضربك على تضييع صلاة المغرب الى العشاء •• وأضربك على تضييع صلاة العشاء الى الصبح •• فكلما ضربه ضربة يغوص فى الأرض سبعين ذراعا •• فلا يزال فى الأرض معذبا الى يوم القيامة ••

وأما اللاتى تصيبه عند خروجه من قبره فى موقف القيامة : فشدة الحساب •• وسخط الرب •• ودخول النار ••

وقيل : انه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات ••
السطر الأول : يا مضيع حق الله ••
السطر الثانى : يا مخصوصا بغضب الله ••
السطر الثالث : كما ضيعت فى الدنيا حق الله •• فآيس اليوم أنت من رحمة الله » اه •

وروى أنه أول ما يسود يوم القيامة وجوه تاركى الصلاة •• وأن فى جهنم واديا يقال له « الملحم » •• فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير •• طولها مسيرة شهر • تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة •• ثم يتهرى لحمه •• أعاذنا الله من ذلك ••

* * *

وروى فى تفسير قوله تعالى : « **فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون** »[٢٨] أنه الذى ينقر فى الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها ••

وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس سرقة •• الذى يسرق من صلاته » •• قيل : وكيف يسرق من صلاته ؟ •• قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها »[٢٩] •

---

(٢٨) الماعون : ٤ ، ٥ (٢٩) رواه أحمد والحاكم •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله الى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده »[٣٠] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك صلاة المنافق .. يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا »[٣١] .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بأصحابه .. ثم جلس فدخل رجل فقام يصلى .. فجعل يركع وينقر سجوده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترون هذا ؟ .. لو مات مات على غير ملة محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم »[٣٢] .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مصل الا وملك عن يمينه ، وملك عن يساره .. فان أتمها عرجا بها الى الله تعالى .. وان لم يتمها ضربا بها وجهه »[٣٣] .

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة مكيال .. فمن وفى وفى له .. ومن طفف فقد علمتم ما قال الله فى المطففين »[٣٤] .

والمطفف .. هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذرع أو الصلاة .. وعدهم الله بالويل .. وهو واد فى جهنم تستغيث جهنم من حره .. قال الله تعالى : **« ويل للمطففين »**[٣٥] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض .. فان الله تعالى أوحى الى أن أسجد على سبعة أعضاء : الجبهة والأنف والكفين والركبتين وصدور القدمين .. وأن لا أكف شعرا ولا ثوبا .. فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته »[٣٦] .

---

(٣٠) رواه أحمد .
(٣١) متفق عليه .
(٣٢) رواه ابن خزيمة .
(٣٣) رواه الدارقطنى .
(٣٤) رواه فى المسند عن سالم بن أبى الجعد عن سلمان .
(٣٥) المطففين : ١
(٣٦) متفق عليه .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر •• لم تقبل منه الصلاة التى صلى » قيل : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : « خوف أو مرض »(٣٧) •

وعنه رضى الله عنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوما وهم له كارهون •• وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط •• ورجل سمع : حى على الصلاة ، حى على الفلاح ــ ثم لم يجب »(*) •

ولذا كان الربيع بن خيثم رضى الله عنه يخرج الى الصلاة ــ وقد سقط شقه من الفالج ــ يتوكأ على رجلين •• فيقال له : يا أبا محمد •• قد رخص لك أن تصلى فى بيتك •• أنت معذور •• فيقول : هو ما تقولون •• ولكن أسمع المؤذن يقول : حى على الصلاة •• حى على الفلاح •• فمن استطاع أن يجبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل ••

وروى ابن عمر : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خرج يوما الى حائط له •• فرجع وقد صلى الناس العصر •• فقال : انا لله وانا اليه راجعون •• فاتتنى صلاة العصر فى الجماعة •• أشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر •

[والحائط هو البستان فيه النخل] •

وعنه أيضا رضى الله عنه قال : كنا اذا تخلف منا انسان فى صلاة العشاء والصبح فى الجماعة أسأنا به الظن أن يكون قد نافق ••

وذلك لما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان هاتين الصلاتين ــ يعنى العشاء والفجر ــ أثقل الصلوات على المنافقين •• ولو يعلمون ما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حبوا »(٣٨) •

* * *

وروى الامام الذهبى(٣٩) عن عبيد الله بن عمر القواريرى ــ شيخ البخارى ومسلم وأبى داوود قال :

---

(٣٧) رواه ابو داوود وابن حبان وابن ماجه •

(*) رواه الحاكم •

(٣٨) رواه البخارى ومسلم •

(٣٩) فى الكبائر ص ٢٤ ــ المرجع السابق •

« لم تكن تفوتنى صلاة العشاء فى الجماعة قط •• فنزل بى ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتنى صلاة العشاء فى الجماعة •• فخرجت أطلب الصلاة فى مساجد البصرة فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد •• فرجعت الى بيتى وقلت : لقد ورد فى الحديث أن صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة •• فصليت العشاء سبعا وعشرين مرة •• ثم نمت فرأيت فى المنام كأنى مع قوم على خيل •• وأنا أيضا على فرس ونحن نستبق •• وأنا أركض فرسى فلا ألحقهم •• فالتفت الى أحدهم فقال لى : لا تتعب فرسك فلست تلحقنا • قلت : ولم ؟ قال : لأنا صلينا العشاء فى جماعة •• وأنت صليت وحدك •• فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك »(!!) •

❋ ❋ ❋

وروى أن امرأة من بنى اسرائيل جاءت الى موسى عليه السلام •• فقالت : يا رسول الله •• انى أذنبت ذنبا عظيما •• وقد تبت منه الى الله فادع الله أن يغفـــر لى ذنبى ويتوب على ••

فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك ؟

قالت : يا نبى الله •• انى زنيت وولدت ولدا •• فقتلته ••

فقال لها موسى عليه السلام : اخرجى يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك ••

فخرجت من عنده منكسرة القلب •• فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا موسى •• الرب تعالى يقول لك : لم رددت التائبة ؟ •• يا موسى •• أما وجدت شرا منها ؟

قال موسى : يا جبريل •• ومن شر منها ؟

قال : تارك الصلاة عامدا متعمدا (٤٠) •

❋ ❋ ❋

وعن بعض السلف أنه أتى أختا له ماتت •• فسقط كيس منه فيه مال فى قبرها •• فلم يشعر به أحد حتى انصرف عن قبرها ••

ثم ذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس •• فوجد القبر يشتعل عليها نارا •• فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا •• فقال : يا أماه •• أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل ؟

---

(٤٠) المرجع السابق ص ١٨

قالت : وما سؤالك عنها ؟ •• قال : يا أمى •• رأيت قبرها يشتعل عليها نارا ••

قال : فبكت وقالت : يا ولدى •• كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها[٤١] •

فاذا كان هذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها •• فكيف حال من لا يصليها ؟؟

* * *

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوما لأصحابه : « اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما » •• ثم قال صلى الله عليه وسلم : « أتدرون من الشقى المحروم » ؟ قالوا : من هو يا رسول الله ؟ •• قال : « تارك الصلاة » •

* * *

وبعد •• يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين :

« ان الانسان خلق هلوعا • اذا مسه الشر جزوعا • واذا مسه الخير منوعا • الا المصلين • الذين هم على صلاتهم دائمون • والذين فى أموالهم حق معلوم • للسائل والمحروم • والذين يصدقون بيوم الدين • والذين هم من عذاب ربهم مشفقون • ان عذاب ربهم غير مأمون • والذين هم لفروجهم حافظون • الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون • والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم بشهاداتهم قائمون • والذين هم على صلاتهم يحافظون • أولئك فى جنات مكرمون »[٤٢] •

« صدق الله العظيم » ••

* * *

---

(٤١) نفس المرجع ص ١٩

(٤٢) المعارج : ١٩ ـ ٣٥

... ويؤتون الزكاة

يقول الله تعالى : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين »[1] .

ويقول : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله »[2] .

ويقول جل شأنه : « لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ، والمقيمين الصلاة ، والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما »[3] .

ويقول : « ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ، وقال الله انى معكم ، لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل »[4] .

ومدح الله اسماعيل عليه السلام بقوله : « واذكر فى الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا »[5] .

كما مدح المؤمنين بقوله تعالى : « الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور »[6] .

ووصفهم تعالى بأحب الأوصاف اليه .. فقال : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار »[7] .

---

(١) البقرة : ٤٣
(٢) التوبة : ٧١
(٣) النساء : ١٦٢
(٤) المائدة : ١٢
(٥) مريم : ٥٤ ، ٥٥
(٦) الحج : ٤١
(٧) النور : ٣٧

وحض عباده المؤمنين عليها فقال تعالى : « **قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال**»[٨] .

ونلاحظ أن الله تعالى قد قرن — فى الآيات التى سقناها — الصلاة بالزكاة .. حيث جاءت الزكاة مقرونة بالصلاة فى ست وعشرين آية من آيات القرآن الكريم ..

فكما أن جاحد الصلاة كافر .. فان من يجحد فرضية الزكاة يكفر كذلك ..

فالصلاة والزكاة عمودين من العمد الخمسة التى قام عليها بناء الاسلام ..

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : « ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث .. لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها ..

احداها : قوله تعالى : « **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** »[٩] .. فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه ..

والثانية : قوله تعالى : « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** »[١٠] .. فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه ..

والثالثة : قوله تعالى : « **أن اشكر لى ولوالديك** »[١١] .. فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه »[١٢] .

ولهذا كانت صيحة أبى بكر عالية فى وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عندما أراد اثنائه عن قتال مانعى الزكاة .. فقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة .. » وكان الحق مع أبى بكر رضى الله عنه .. فلم يلبث عمر أن اقتنع بوجهة نظره ..

* * *

---

(٨) ابراهيم : ٣١

(٩) النساء : ٥٩ ، والنور : ٥٤

(١٠) النور : ٥٦ — (١١) لقمان : ١٤

(١٢) انظر صفحة ١٠٤ من هذا الكتاب .

❋ الحل الاسلامى لمشكلة الفقر :

كان الفقر — ولا يزال — هو مشكلة المشاكل التى عانت — ولا تزال تعانى — منها المجتمعات القديمة والحديثة •• لما يسببه من اختلال فى الأمن •• وتخريب للمرافق •• واشعال لنيران الفتن بين طبقات المجتمع !!

فالفقير الذى لا يجد كفايته فى مجتمع من المجتمعات •• يحس باغترابه عن ذلك المجتمع وعدم انتمائه اليه •• مما يدفعه الى الاحساس بالخوف والقلق على مستقبله ومستقبل أسرته !!

كما يشعر بالحقد نحو القادرين على العطاء الذين يزيد المال عن حاجاتهم •• فينفقونه ببذخ على ملاذهم وشهواتهم •• بينما هو وأفراد أسرته يتضورون جوعا •• ولا يجدون الكفاف !!

وقد تتزلزل عقيدة الفقير وهو يرى المجتمع يتجاهله ويتنكر له •• فيختل بذلك ايمانه تحت ضغط الحاجة وفقدان النصير !!

فاذا اختلت عقيدته وضعف ايمانه •• اختلت أمامه الموازين والقيم كلها •• فيخرج على العرف والمجتمع •• ويلجأ الى السرقة والاغتصاب •• كما يلجأ الى الاتجار فى المواد المحرمة والممنوعة •• ليسد بذلك خلته وفقره •• ويستطيع بذلك أن ينافس المتعالين عليه بأموالهم من الأغنياء !!

❋ ❋ ❋

ولا تخرج أسباب الفقر عن واحد من أربعة ••

التعطل عن العمل ••

أو الضعف عن أدائه وقتا طويلا •• لمرض أو شيخوخة ••

أو ضآلة العائد من العمل نفسه ان وجده ••

أو لسوء التصرف •• وذلك بانفاق المال القليل على الملاذ والشهوات مجاريا بذلك الأغنياء •• بغير تبصر للعواقب أو احتساب لفاجآت الزمن •• وكم من غنى افتقر لسوء تصرفه ••

فالبطالة •• والمرض •• وضآلة الدخول •• وانعدام التخطيط السليم •• هى الأسباب المباشرة للفقر فى أى مجتمع من المجتمعات •• القديمة منها والحديثة !!

ولقد عجزت فلسفات العالم كلها — سواء أكانت رأسمالية أم اشتراكية أم شيوعية — عن ايجاد الحل الدائم والعادل للقضاء على هذه المشكلة .. كما فشلت فى ضمان الاستقرار لمجتمعاتها وايجاد الوسيلة الفعالة للأمن لكافة الطبقات فيها من ويلات الفقر والحاجة !!

ولن تعدم طبقة فقيرة فى أى مجتمع من المجتمعات .. سواء الغربية منها أو الشرقية !!

* * *

ولكن الاسلام وحده تمكن من الوصول الى العلاج الناجع والدائم لهذه المشكلة .. بل واستطاع القضاء عليها فى عصره الذهبى .. يوم كانت أحكامه وشرائعه وحدها هى التى تسود مجتمعاته !!

حتى ان المال ليفيض فى عهد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز .. فيأمر عامله بأن يكرى منزلا لمن لا منزل له .. ويزوج من لا زوج له .. ويؤجر خادما لمن لا خادم له !!

فكيف استطاع الاسلام مواجهة هذه المشكلة وتوصل الى ايجاد الحل لها ؟؟

هل توصل الى ذلك باطلاق الحرية — كل الحرية — لرأس المال .. يفعل فى المجتمع ما يريد .. ويستغل حاجة الناس كيف يشاء ؟ !

انه لو فعل هذا .. لاتسعت الفوارق بين الطبقات .. ولازداد الغنى غنا على غناه .. وازداد الفقير فقرا على فقره !!

هل وجد الاسلام حل هذه المشكلة فى تأميم الأموال ومصادرة الممتلكات ؟ !

انه لو فعل هذا .. لانعدمت الفوارق فعلا بين الطبقات .. ولأصبح المجتمع كله طبقة واحدة يجمعها الفقر وتوحد بينها المسغبة !!

والمجتمعات المعاصرة — الغربى منها والشرقى — خير شاهد على ذلك ..

ان الاسلام لم يتبع هذا الأسلوب أو ذاك .. انما أوجد الحل الأمثل عن طريق ربط المشكلة الاقتصادية بالعقيدة الدينية نفسها .. فجعل الزكاة ركنا أساسيا فى بناء الاسلام ذاته !!

نرى ذلك جليا حين نتأمل وصف القرآن للمؤمنين بالاسلام .. انه يصفهم بأعظم ما فيهم من صفات ..

فالمؤمنون والمؤمنات يتحابون ويتناصرون بمقتضى عقيدة الايمان التى تجمعهم .. يأمرون بما يأمر به دينهم الحق ، وينهون عما ينكره الدين .. يؤدون الصلاة فى أوقاتها ، ويؤتون الزكاة لمستحقيها فى ابانها .. يمتثلون ما يأمر به الله ورسوله ، ويجتنبون ما ينهى عنه الله ورسوله ..

يقول الله تعالى : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله** »(١٣) .

نعم .. يرحمهم الله ما داموا يتراحمون فيما بينهم ..

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابن عمر رضى الله عنهما : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله .. واقام الصلاة .. وايتاء الزكاة .. وحج البيت .. وصوم رمضان »(١٤) .

وبهذا وضع الاسلام المؤمنين به فى مواجهة واجبهم مباشرة .. وجعلهم يسهمون فى حل مشكلة الفقر بدافع من عقيدتهم والايمان بربهم .. فهم جميعا مسئولون عن حل هذه المشكلة فيما بينهم .. وذلك بالصدقة المفروضة — وهى الزكاة — .. وبالصدقات المسنونة — وهى صدقة التطوع — اذا احتاج الأمر اليها !!

* * *

والمال فى الاسلام مال الله ..

والعبد وكيل عن الله ومستخلف فى المال الذى أوتيه ..

يقول تعالى : « **وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** »(١٥) .

ويقول جل شأنه : « **آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** »(١٦) .

ولهذا .. فان المسلم ينفق من هذا المال عن طيب نفس .. بعد أن جعل الله من هذا الانفاق طهرة للمال ونماءا له ..

يقول تعالى : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ، ان صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم** »(١٧) .

---

(١٣) التوبة : ٧١
(١٤) متفق عليه .
(١٥) النور : ٣٣
(١٦) الحديد : ٧
(١٧) التوبة : ١٠٣

ويقـول : « قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين »[18] .

ويقول جل شأنه : « وما تنفقـوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون »[19] .

* * *

والأصل فى المـال أن يكون فى خدمة المجتمع كله .. ولا يتأتى ذلك الا بتداوله بين الناس .. أما اذا حبس عن التداول فانه يصبح حكرا على فئة قليلة فى المجتمع .. وهم الأغنياء .. بينما تحرم الغالبية الفقيرة من حقها فيه .. ولهذا نرى الاسلام ينهى عن اكتناز المـال ويدعو الى تفتيت الثروات بأحكام المواريث والحض على بذله عن طريق الزكاة والصدقة فيقول تعالى : « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم »[20] .

ومن هذا المنطلق لم يترك الاسلام أمور المـال لاجتهاد الناس وتقديراتهم .. فيشرعون فيها حسب أهوائهم .. بل جعل للمـال المحتبس حدا معينا مسموحا به وأعفاه من الزكاة .. فاذا تجاوزه المـال كان على مدخره أن يؤدى عنه نسبة ضئيلة لا تكاد تذكر .. حقا للفقراء والمحتاجين .. اذ لا شك أن هـذا المـال لو أخذ دورته الطبيعية فى المجتمع لعاد بالخير الكثير على الجميع .. بما فيهم الفقراء والمحتاجين ..

أما وقد شاء حائزه ـ وهو حر فى ماله ـ أن يحبسه عن التداول .. فان من العدل اذن أن يؤدى تلك النسبة الضئيلة التى فرضها الاسلام لتعويض الفقراء والمحتاجين عن نصيبهم الذى كان سوف يئول اليهم لو أخذ هذا المـال المحبوس فرصته فى التداول ..

والاسلام يراعى دائما العدل فى أحكامه .. لهذا جعل لنصـابه الزكاة شرطين أساسيين ..

الأول : أن يكون المـال فاضلا عن الحاجات الضرورية التى لا غنى للانسان عنها من مأكل وملبس ومسكن ومركب وآلات حرفة .. دون أن يضع لذلك مقياسا معينا لا يجوز تجاوزه ..

---

(18) سـبأ : 39 (19) البقرة : 272
(20) الحشر : 7

والثانى : أن يحول عليه الحول الهجرى •• واعتبر ابتداء الحول من يوم ملك النصاب •• ولابد من كماله فى الحول كله •• فلو نقص المــال أثناء الحول ثم كمل اعتبر ابتداء الحول من يوم كماله ••

يقول الامام النووى : « مذهبنا ومذهب مالك وأحمد والجمهور : أنه يشترط فى المــال الذى تجب الزكاة فى عينه — ويعتبر فيه الحول كالذهب والفضة والمــاشية — وجود النصاب فى الحول •• فان نقص النصاب فى لحظة من الحول انقطع الحول •• فان كمل بعد ذلك استؤنف الحول من حين يكمل النصاب »[٢١] •

أما نصاب الزكاة — وهو الحد المسموح به للمــال المدخر المعفى من الزكاة — فهو ما لم يبلغ عشرين دينارا من الذهب — أى ما يساوى ٨٥ جراما من الذهب الخالص بسعر السوق يوم اخراج الزكاة •• ومن الفضة حتى تبلغ مائتى درهم — أى ما يساوى ٥٩٥ جراما تقريبا من الفضة الخالصة ••

فاذا بلغ المــال المدخر هذا الحد •• وحال عليه الحول •• وكان زائدا عن الحاجات الضرورية للانسان •• أوجب الاسلام ربع العشر زكاة له ••

وماذا يؤثر ربع العشر — ٢٫٥٪ — فى مال مكتنز زائد عن الحاجة •• ومحبوس عن التداول لمــدة عام كامل ؟ !

❋ ❋ ❋

ولقد جعل الاسلام الزكاة حقا للفقير •• وليست منحة من الغنى يمنحها له وقت يشاء •• أو يحرمه منها اذا أراد •• بل هى حق للفقير •• وفى ذلك يقول تعالى : **« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا »**[٢٢] •

ويقول جل شأنه : **« ان المتقين فى جنات وعيون • آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين • كانوا قليلا من الليل ما يهجعون • وبالأسحار هم يستغفرون • وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »**[٢٣] •

كما يقول : **« ان الانسان خلق هلوعا • اذا مســه الشر جزوعا • واذا مسه الخير منوعا • الا المصلين • الذين هم على صلاتهم دائمون • والذين فى أموالهم حق معلوم • للسائل والمحروم »**[٢٤] •

---

(٢١) فقه السنة للشيخ السيد سابق — ج ١ ص ٢٥٢ ••

(٢٢) الاسراء : ٢٦ (٢٣) الذاريات : ١٥ — ١٩

(٢٤) المعارج : ١٩ — ٢٥

فجعل الزكاة حقا معلوما .. يؤدى لذوى القربى والمساكين .. ولأبناء السبيل .. وللسائل والمحروم ..

ولهذا ينظر الاسلام الى مانع الزكاة نظرته الى من يجرم فى حق دينه وأمته .. حيث دفعه نضوب الرحمة من قلبه وتحجره الى سلب المحتاج والجائع حقه الشرعى الذى فرضه الله له ..

يقول تعالى : **« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير »**(٢٥) .

ويقـــول : **« ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقــراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »**(٢٦) .

الاسلام اذن يعتبر مانع الزكاة لصا سلب الفقير نصيبه من مال الله الذى استخلفه فيه .. يعتبره سارقا لقمة العيش من فم صاحبها لا ليشبع بها نفسه .. ولكن لينفقها على شهواته وملذاته ..

بالاضافة الى أن مانع الزكاة لم يرض بوعــد الله اياه بالثواب فى الآخرة والنماء لمــاله فى الدنيا .. فاختار الشح والبخل على الكرم والانفاق .. واختار عبادة المــال من دون الله .. ولهذا نرى القرآن الكريم يتوعده بقوله : **« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »**(٢٧) .

لقد زهد مانع الزكاة فى ثواب الآخرة الذى أعده الله لمن يسدون حاجة الجوعى والمحتاجين .. فاستحق بذلك العذاب الشــديد فى الآخرة .. والقهر والذل فى الدنيا ..

العذاب الشديد فى الآخرة .. يوم يحمى على أموالهم فى نار جهنم وتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ..

والقهر والذل فى الدنيا .. لأنه لشحه وطمعه لن يشبع أبدا .. ولن يعدم الوسائل لزيادة أمواله ومدخراته .. ولو داس بقدميه كل

---

(٢٥) آل عمران : ١٨٠ (٢٦) محمد : ٣٨
(٢٧) التوبة : ٣٤ ، ٣٥

القيم وأعرض عن جميع المبادىء •• الى أن يصل به الأمر ــ بعد أن يصير عبدا للمــال ــ الى حرمان نفسه من جميع متع الحياة •• والتقتير على أبنائه وأسرته حرصا على المــال ورغبة فى زيادته ••

ولهذا شرع الاسلام قتال مانعى الزكاة •• واعتبرهم خارجين عليه ••

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لمــا توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم •• وكان أبو بكر رضى الله عنه •• وكفر من كفر من العرب •• فقال عمر رضى الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله •• فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقها •• وحسابه على الله » ؟

فقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة •• فان الزكاة حق المــال •• والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ••

فقال عمر : فوالله ما هو الا أن قد شرح الله صدر أبى بكر للقتال •• فعرفت أنه الحق »[٢٨] •

وفى رواية مسلم وأبى داوود والترمذى أنه قال : « لو منعــونى عقالا » ــ بدلا من « عناقا » •

والعناق أنثى المعز التى لم تبلغ سنة •• والعقال هو الحبل الذى يعقل به البعير !!

حدث هذا فى أول خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى السنة الحاديــة عشرة من الهجرة •• حين جمع بنو يربوع زكاة أموالهم وأرادوا أن يبعثوا بها الى أبى بكر •• فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم •• فقاتلهم الخليفة لأنهم منعوا حق الله وفرقوا بين الصلاة والزكاة ••

* * *

بهذا المنهج السليم •• استطاع الاسلام حماية الفقير من تزلزل العقيدة تحت ضغط الحاجة وفقدان النصير ••

---

(٢٨) رواه الجماعة ..

واستطاع أن يحفظ للفقير آدميته ويصونها من التبذل والإمتهان ..

كما حمى عرضه من التهتك تحت ضغط الحاجة والفقر .. وحماه من التردى الى الجرائم حتى يسد حاجاته الضرورية ..

لقد جعل الاسلام الزكاة مظهرا من مظاهر الحب والوئام والترابط بين أفراد المجتمع .. وجعل رابطة الاسلام التى تفوق رابطة الدم والنسب هى التى تدفع اليها ..

ولهذا نرى القرآن الكريم يربط بين الصلاة والزكاة فى أكثر من موضع .. بل ان أغلب الآيات التى أمرت باقامة الصلاة قرنتها بالحث على أداء الزكاة ..

* * *

وتتكفل الدولة فى ظل النظام الاسلامى بجمع الزكاة .. وعلى الخاضعين لها أن يؤدوا زكاة أموالهم الى الأجهزة التى تعدها لذلك ..

والدولة هى التى تتولى انفاق حصيلة الزكاة فى سد حاجات الفقراء والمحتاجين .. كأن تقيم المشاريع التى تعود بنفعها على هذه الفئة من الناس ..

والاسلام لا يهدف من تشريع الزكاة الى اعطاء الفقير قروشا معدودة تسد حاجة وقتية له فى مناسبة معينة .. ثم يبقى بعد ذلك طيلة العام فى أدنى درجات السلم الاجتماعى .. فقيرا معدما .. ينتظر الاحسان من الناس والعون من الدولة ..

انما هدف بتشريع الزكاة الى تحقيق مستوى لائق لمعيشة الفرد الفقير .. مستوى يليق بوصفه انسانا كرمه الله وجعله خليفة له فى الأرض ..

مستوى يليق بوصفه مسلما ينتسب الى دين العدل والاحسان .. وينتمى الى أمة الاسلام .. التى فضلها الله على سائر الأمم وجعلها خير أمة أخرجت للناس ..

فاذا لم تستطع الدولة أن تكفل لكل الفقراء فيها حق العمل .. أو اذا لم يكن الفقير قادرا على العمل لمرض أو عجز أو شيخوخة .. فلا أقل من أن تكفل له الدولة مستوى لائقا من المعيشة ..

وأدنى ما يتحقق به هذا المستوى الانسانى •• أن يتهيأ له ولأسرته طعام وشراب ملائمين •• وكسوة للشتاء وأخرى للصيف •• وأن يعيش وأسرته فى مسكن يكنه حر الصيف وبرد الشتاء !!

هذا هو أدنى مستوى ليكون الانسان انسانا !!

ونقرأ فى كتاب « الخراج » للقاضى أبى يوسف •• رسالة كتبها الخليفة لأحد عماله •• يبين فيها حق السجين فى ظل دولة الاسلام •• فلا نملك الا أن نمسك الأنفاس انبهارا واعجابا بعدالة الاسلام ••

يقول الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فى رسالته : « لا تدعن فى سجونكم أحدا من المسلمين فى وثاق لا يستطيع معه أن يصلى قائما •• ولا يبيتن فى قيد الا رجل مطلوب !!

وأجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم فى طعامهم وأدمهم !!

ومر بتقدير ما يقوتهم فى طعامهم •• وصير ذلك دراهم تجرى عليهم فى كل شهر •• فانك ان أجريت الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة — أى الشرطة !!

وول ذلك رجلا من أهل الخير •• يثبت أسماء من فى السجن ممن تجرى عليهم الصدقة •• وتكون الأسماء عنده •• ويدفع ذلك اليهم شهرا بشهر •• يقف ويدعو باسم رجل رجل يدفع ذلك اليه فى يده !!

ويكون للأجراء عشرة دراهم فى الشهر •• لكل واحد •• وليس كل من فى السجن يجرى عليه !!

وكسوتهم فى الشتاء قميص وكساء •• وفى الصيف قميص وازار !!

وكسوة النساء فى الشتاء قميص ومقنعة وكساء •• وفى الصيف قميص وازار ومقنعة !!

وأغنهم عن الخروج فى السلاسل يتصدق الناس عليهم •• فانه من العظيم أن يكون قوم من المسلمين قد أذنبوا وأخطأوا •• وقضى الله عليهم بما هم فيه فحبسوا •• فيخرجون فى السلاسل يتصدقون لما هم فيه من جهد الجوع •• فربما أصابوا ما يأكلون وربما لم يصيبوا !!

ان ابن آدم لم يعر من الذنوب •• فتفقد أمرهم » !!

هذا هو حق السجين الخارج على المجتمع — كما يراه الخليفة — فى ظل عدالة الاسلام •• فكيف بحق الفقير الذى لم يأت بأى جريرة أو ذنب •• الا أن ظروف حياته جعلته فقيرا معدما •• محتاجا الى احسان الناس وعون المجتمع !!

أرأيت الى الخليفة كيف دفعه اسلامه ــ بالرغم من مشاغله ــ أن يجد الوقت الذى يفكر فيه فى أمور السجناء فى سجونهم ؟!

الاسلام اذن .. يهدف من الزكاة ــ بالنسبة للفقراء والمساكين الذين لا يستطيعون حرفة ولا يقدرون على عمل ــ أن يكفل لهم مستوى معيشى ملائم .. فيعطيهم تمام كفايتهم لمدة عام كامل ..

وبهذا يصون وجوههم عن مسألة الناس .. ويجعلهم يحسون بانتمائهم الى المجتمع الذى يعيشون فيه ..

وبهذا أيضا .. تكون الزكاة بالنسبة لهذا الصنف من الناس معونة دائمة منتظمة .. حتى يزول الفقر بالغنى .. ويزول العجز بالقدرة .. وتزول البطالة بالكسب ..

* * *

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا بن جبل رضى الله عنه الى اليمن .. قال : « انك تأتى قوما أهل كتاب .. فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله .. فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة .. فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم .. تؤخذ من أغنيائهم وترد الى فقرائهم .. فان هم أطاعوا لذلك فاياك وكرائم أموالهم .. واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب »(٢٩) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة .. فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام .. وحسابهم على الله »(٣٠) .

وعن أبى أيوب رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة .. قال : « تعبد الله لا تشرك به شيئا .. وتقيم الصلاة .. وتؤتى الزكاة .. وتصل الرحم »(٣١) .

---

(٢٩) متفق عليه .

(٣٠) متفق عليه .

(٣١) متفق عليه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. دلنى على عمل اذا عملته دخلت الجنة .. قال : « تعبد الله لا تشرك به شيئا .. وتقيم الصلاة .. وتؤتى الزكاة المفروضة .. وتصوم رمضان » .

قال : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا ..

فلما ولى قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا »(٣٢) .

وروى عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال : بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على : اقام الصلاة .. وايتاء الزكاة .. والنصح لكل مسلم(٣٣) .

وعن على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله فرض على أغنيــاء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم .. ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا أو عروا الا بما يصــنع أغنياؤهم .. ألا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا .. ويعذبهم عذابا أليما »(٣٤) .

وعن أبى كبشة الأنمارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة أقسم عليهن .. وأحدثكم حديثا فاحفظــوه : ما نقص مال من صدقة .. ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها الا زاده الله بها عزا .. ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر »(٣٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أن الله عز وجل يقبل الصدقات ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره أو فلوه أو فصيله .. حتى ان اللقمة لتصير مثل جبل أحد »(٣٦) .

ويقول وكيع .. بعد أن روى الحديث : وتصديق ذلك فى كتاب الله قــوله : **« ألم يعلمــوا أن الله هو يقبــل التوبة عن عباده ويأخــذ الصدقات »**(٣٧) .

---

(٣٢) متفق عليه .
(٣٣) متفق عليه .
(٣٤) رواه الطبرانى .
(٣٥) رواه الترمذى .
(٣٦) رواه احمد والترمذى .
(٣٧) التوبة : ١٠٤

ويقـــول : « يمحق الله الربا ويربى الصدقات »[٣٨] .

والمهر والفلو والفصيل ـ فى الحديث ـ هو ولد الفرس ..

وعن أنس رضى الله عنه قال : أتى رجل من تميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انى ذو مال كثير .. وذو أهل ومال وحاضرة .. فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج الزكاة من مالك .. فانها طهرة تطهرك .. وتصل أقرباءك .. وتعرف حق المسكين والجار والسائل »[٣٩] .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث أحلف عليهن .. لا يجعل الله من له سهم فى الاسلام كمن لا سهم له .. وأسهم الاسلام ثلاثة : الصلاة .. والصوم .. والزكاة .. ولا يتولى الله عبدا فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة . ولا يحب رجل قوما الا جعله الله معهم .. والرابعة لو حلفت عليها رجوت أن لا آثم : لا يستر الله عبدا فى الدنيا الا ستره يوم القيامة »[٤٠] .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله .. أرأيت ان أدى الرجل زكاة ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أدى زكاة ماله ذهب عنه شره »[٤١] .

* * *

---

(٣٨) البقرة : ٢٧٦

(٣٩) رواه أحمد .

(٤٠) رواه أحمد .

(٤١) رواه الطبرانى .

تعريف الزكاة

● الزكاة لغة : هى التطهير والنماء .. قال الله تعالى : ((**قد أفلح من زكاها**))[1] .. أى طهرها من الأدناس .. ويقال : زكا الزرع اذا نما وزاد ..

● وشرعا : تمليك مال مخصوص لمستحقه بشرائط مخصوصة ..

وهى ركن من أركان الاسلام الخمسة .. وفرض عين على كل من توفرت فيه شروطها .. فرضها الله تعالى فى السنة الثانية من الهجرة .. وفرضيتها معلومة من الدين بالضرورة .. ودليل فرضيتها الكتاب والسنة والاجماع ..

● وتجب الزكاة فى خمسة أصناف : الذهب والفضة ــ ولو كانا غير مضروبين ــ ويدخل فى حكمهما أوراق البنكنوت والسـندات ، وعروض التجارة ، والنعم كالابل والبقر والغنم ، والزروع والثمار ، والمعدن والركاز ..

والمراد من النعم : الابل والبقر والغنم المستأنسة .. أما الوحشى منها أو المتولد بين وحشى ومستأنس ــ سواء أكانت الأم مستأنسة أم لا ــ فلا زكاة عليها ..

والمراد بالبقر ما يشمل الجاموس .. وبالغنم ما يشمل المـاعز ..

ولا زكاة فى الخيل والبغال والحمير .. والفهد والكلب المعلوم ونحوها .. الا اذا كانت للتجارة .. ففيها زكاة التجارة ..

* * *

● ويشترط لوجوب الزكاة أمور : منها البلوغ .. فلا تجب على الصبى .

ومنها العقل .. فلا تجب على المجنون .. وتجب الزكاة فى مال كل منهما .. ويجب على الولى اخراجها منه اذا بلغ نصابا ..

وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تخرج زكاة أيتـام كانوا فى حجرها .. ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه

---

(١) الشمس : ٩

عمروبن شعيب عن أبيه عن جده .. عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : « من ولى يتيما له مال فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله الصدقة » فصرح أن فى مال اليتيم والصبى صدقة ..

وللصحابة فى ذلك آراء ..فيذهب عمر وعلى وعائشة وابن عمر — رضى الله عنهم — الى أن فى مال اليتيم زكاة .. وبه يقول مالك والشافعى وأحمد واسحاق ..

بينما يرى سفيان وابن المبارك أنه ليس فى ماله زكاة[٢] .

ومن شروط وجوب الزكاة : الاسلام .. فلا تجب الزكاة على كافر .. سواء أكان أصليا أو مرتدا .. واذا أسلم المرتد فلا يجب عليه اخراجها لما مضى من زمن ردته ..

وكما أن الاسلام شرط لوجوبها .. فهو شرط لصحتها أيضا .. لأن الزكاة لا تصح الا بالنية .. والنية لا تصح من الكافر ..

ومنها الملك التام ..

ومنها حولان الحول القمرى على ملك النصاب .. ويجب احراجها فورا عند وجوبها .. ويحرم تأخير أوانها عن وقت الوجوب .. الا اذا لم يتمكن من أدائها فيجوز له التأخير حتى يتمكن ..

فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما خالطت الصدقة مالا قط الا أهلكته »[٣] .

ورواه الحميدى وزاد فقال : يكون قد وجب عليك فى مالك صدقة فلا تخرجها .. فيهلك الحرام والحلال .

وعن عقبة بن الحارث قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر .. فلما سلم قام سريعا فدخل على بعض نسائه ثم خرج .. ورأى ما فى وجوه القوم من تعاجبهم لسرعته فقال : ذكرت وأنا فى الصلاة تبرا — أى ذهبا — عندنا فكرهت أن يمسى — أو قال « يبيت » — عندنا فأمرت بقسمته »[٤] .

ومن هنا أوجب الفقهاء اخراج الزكاة فورا عند وجوبها .. واستدلوا بذلك عن حرمة تأخير أداءها عن وقت الوجوب ..

---

(٢) فقه السنة — للشيخ السيد سابق ج ١ ص ٢٥٣ طبع دار التراث العربى .

(٣) رواه الشافعى والبخارى .

(٤) رواه أحمد والبخارى .

ويجوز تعجيل الزكاة وأداءها قبل الحول ولو لعامين[٥] .

ومن شروط وجوبها أن يبلغ المـــال المملوك نصابا .. فلا تجب الزكاة الا على مالك النصاب ـ والنصاب هو ما نصبه الشارع علامة على وجوب الزكاة ـ ويختلف النصاب باختلاف المـــال المزكى ..

ومنها الحرية .. فلا تجب على الرقيق ولو كان مكاتبا ..

ومنها فراغ المـــال من الدين .. فمن كان عليه دين يستغرق النصاب أو ينقصه فلا تجب عليه الزكاة ..

ومن مات وعليه زكاة فانها تجب فى ماله .. وتقدم على الغرماء والوصية والورثة .. وبهذا الرأى أخذ الشافعى .. عملا بقوله تعالى : **« من بعد وصيـــة يوصى بها أو دين »**[٦] .. والزكاة دين قائم لله تعالى ..

روى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ان أمى ماتت وعليها صـــوم شهر .. أفأقضيه عنها ؟ فقال : « لو كان على أمك دين .. أكنت قاضيه عنها ؟ .. قال : نعم .. فقال صلى الله عليه وسلم : « فدين الله أحق أن يقضى » ..

* * *

● ولا تجب الزكاة فى دور السكنى .. وثياب البدن .. وأثاث المنزل .. ودواب الركوب .. وسلاح الاستعمال .. وما يتجمـــل به من الأوانى ـ اذا لم يكن من الذهب أو الفضة فانها محرمة ـ

وكذا لا تجب فى المجوهرات كاللؤلؤ والياقوت والزبرجد ونحوها اذا لم تكن للتجارة ..

ولا تجب فى آلات الصناعة مطلقا .. سواء أبقى أثرها فى المصنوع أم لا ..

كما لا تجب فى كتب العلم ـ اذا لم تكن للتجارة ـ سواء أكان مالكها من أهل العلم أم لا ..

* * *

---

(٥) فقه السنة ـ المرجع السابق ج ١ ـ ص ٢٥٥

(٦) النساء : ١٢

● وللزكاة آداب باطنة •• وفى دقائقها يقول الامام ابن قدامة[٧] :

« اعلم أن على مريد الآخرة فى زكاته وظائف ••

الأولى : أن يفهم المراد من الزكاة •• وهو ثلاثة أشياء : ابتلاء مدعى محبة الله تعالى باخراج محبوبه ، والتنزه عن صفة البخل المهلك ، وشكر نعمة المـال ••

الوظيفة الثانية : الاسرار باخراجها لكونه أبعد من الرياء والسمعة •• وفى الاظهار اذلال للفقير أيضا •• فان خاف أن يتهم بعدم الاخراج أعطى من لا يبالى من الفقراء بالأخذ بين الجماعة علانية •• وأعطى غيره سرا ••

الوظيفة الثالثة : أن لا يفسـدها بالمن والأذى •• ذلك أن الانسان اذا رأى نفسه محسنا الى الفقير •• منعما بالاعطاء •• ربما حصل منه ذلك •• ولو حقق النظر لرأى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله الذى هو طهرة له ••

واذا استحضر مع ذلك أن اخراجه للزكاة شكر لنعمة المـال •• فلا يبقى بينه وبين الفقير معاملة •• ولا ينبغى أن يحتقر الفقير لفقره ، لأن الفضل ليس بالمـال ولا النقص بعدمه ••

الوظيفة الرابعة : أن يستصغر العطية •• فان المستعظم للفعل معجب به •• وقد قيل : لا يتم المعروف الا بثلاث : بتصغيره •• وتعجيله •• وستره ••

الوظيفة الخامسة : أن ينتقى من ماله أحله وأجوده وأحبه اليه ••

أما الحل : فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ••

وأما الأجود : فقد قال الله تعالى : « **ولا تيمموا الخبيث منه تنفقـون** »[٨] وينبغى أن يلاحظ فى ذلك أمرين :

أحدهما : حق الله سبحانه وتعالى بالتعظيم له •• فانه أحق من اختير له •• ولو أن الانسان قدم الى ضيفه طعاما رديئا لأوغـر صدره •

والثانى : حق نفسه •• فان الذى يقدمه هو الذى يلقاه غدا فى القيامة •• فينبغى أن يختار الأجود لنفسه ••

---

(٧) فى كتابه : مختصر منهاج القاصدين ص ٣٠ — ٣٢.

(٨) البقرة : ٢٦٧

وأما أحبه اليه : فلقوله تعالى : **« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »**(٩) .

وكان ابن عمر رضى الله عنهما اذا اشتد حبه لشىء من ماله قربه لله عز وجل .. وروى أنه نزل الجحفة وهو شاك .. فقال : انى لأشتهى حيتانا — أى سمكا — فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا .. فأخذته امرأته فصنعته ثم قربته اليه .. فأتى مسكين .. فقال ابن عمر رضى الله عنهما : خذه .. فقال له أهله : سبحان الله .. قد عنيتنا .. ومعنا زاد نعطيه .. فقال : ان عبد الله يحبه(!!)

وروى أن سائلا وقف بباب الربيع بن خيثم رضى الله عنه .. فقال : أطعموه سكرا — أى حلوى — فقالوا : نطعمه خبزا أنفع له .. فقال : ويحكم .. أطعموه سكرا فان الربيع يحب السكر ..

الوظيفة السادسة : أن يطلب لصدقته من تزكو به .. وهم خصوص من عموم الأصناف الثمانية .. ولهم صفات :

الأولى : التقوى .. فليخص بصدقته المتقين .. فانه يرد بها هممهم الى الله تعالى ..

وقد كان عامر بن عبد الله بن الزبير يتخير العباد وهم سجود .. فيأتيهم بالصرة فيها الدنانير والدراهم .. فيضعها عند نعالهم بحيث يحسون بها ولا يشعرون بمكانه .. فقيل له : ما يمنعك أن ترسل بها اليهم ؟ .. فيقول : أكره أن يتمعر وجه أحدهم — أى يتغير وجهه من الخجل — اذا نظر الى رسولى أو لقينى ...

الثانية : العلم .. فان فى اعطاء العالم اعانة على العلم ونشر للدين وذلك تقوية للشريعة ..

الثالثة : أن يكون ممن يرى الانعام من الله وحده .. ولا يلتفت الى الأسباب الا بقدر ما ندب اليه من شكرها .. فأما الذى عادته المدح عند العطاء فانه سيذم عند المنع ..

الرابعة : أن يكون صائنا لفقره .. ساترا لحاجته .. كاتما للشكوى .. كما قال تعالى : **« يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف »**(١٠)

وهؤلاء لا يحصلون فى شبكة الطالب الا بعد البحث عنهم .. وسؤال أهل كل محلة عمن هذه صفته ..

---

(٩) آل عمران : ٩٢ (١٠) البقرة : ٢٧٣

الخامسة : أن يكون ذا عائلة •• أو محبوسا لمرض أو دين •• فهذا من المحصرين •• والتصدق عليه اطلاق لحصره ••

السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام •• فان الصدقة عليهم صدقة وصلة •• وكل من جمع من هذه الخلال خلتين أو أكثر •• كان اعطاؤه أفضل على قدر ما جمع » •• اهـ •

* * *

وبعد •• فقد روى الامام البخارى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله » ؟ قالوا : يا رسول الله •• ما منا أحد الا ماله أحب اليه •• قال : « فان ماله ما قدم •• ومال وارثه ما أخر » ••

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يصعد الى الله الا الطيب — فان الله يتقبلها بيمينه •• ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل »(١١) •

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الصدقة لتطفىء غضب الرب •• وتقى ميتة السوء » •• وفى حديث آخر قال : « تصدقوا •• فان الصدقة فكاككم من النار » ••

وعن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يخرج أحد شيئا من الصدقة حتى يفك عنه لحى سبعين شيطانا » ••

وعن عائشة رضى الله عنها أنهم ذبحوا شاة •• فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بقى منها » ؟ قالت : ما بقى الا كتفها •• فقال : « بقى كلها الا كتفها » ••

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الصدقة أفضل ؟ قال : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح •• تخشى الفقر وتأمل الغنى •• ولاتهمل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا •• ولفلان كذا •• وقد كان لفلان »(١٢) •

---

(١١) رواه الشيخان •   (١٢) رواه الشيخان •

وروى أن راهبا تعبد فى صومعة ستين سنة •• ثم نزل يوما ومعه رغيف •• فعرضت له امرأة فتكشفت له •• فوقع عليها •• فأدركه الموت وهو على تلك الحال •• وجاء سائل فأعطاه الرغيف •• ثم مات ••

فجىء بعمل ستين سنة فوضع فى كفة •• وخطيئته فى كفة فرجحت بعمله •• حتى جىء بالرغيف فوضع مع عمله •• فرجح بخطيئته(١٣) !!

* * *

---

(١٣) رواه ابن قدامة فى كتابه « مختصر منهاج القاصدين » .

أحكام الزكاة

يقول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد »**[1] .

أوجب الله تعالى الزكاة فى الذهب والفضة .. وعروض التجارة .. والسوائم .. والزروع والثمار .. والمعدن والركاز ..

ويقول تعالى فى زكاة النقدين — الذهب والفضة — : **« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم »**[2] .

● والزكاة(*) واجبة فى الذهب والفضة .. سواء أكانا نقودا .. أم سبائك .. أم تبرا .. متى بلغ مقدار المملوك منهما نصابا .. وحال عليه الحول .. وكان فارغا عن الدين والحاجات الأصلية ..

● ولا شيء فى الذهب حتى يبلغ عشرين دينارا — ما يساوى ٨٥ جراما تقريبا من الذهب الخالص عيار ٥ر٢٣ — فاذا بلغ عشرين دينارا وحال عليه الحول .. ففيه ربع العشر (٥ر٢ ٪) وما زاد على النصاب يؤخذ عنه نفس النسبة أيضا ..

عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس عليك شيء — يعنى فى الذهب — حتى يكون لك عشرون دينارا .. فاذا كانت لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار .. فما زاد فبحساب ذلك .. وليس فى مال زكاة حتى يحول عليه الحول »[3] .

---

(١) البقرة : ٢٦٧ (٢) التوبة : ٣٤

(*) اقتصرنا — بقدر الامكان — على المبادىء العامة للزكاة .. ولم نتعرض للتفاصيل التى تحمل آراء المذاهب .. ويمكن الرجوع فى ذلك الى كتب الفقه المتخصصة .. مثل الفقه على المذاهب الأربعة ، وفقه السنة وغيرها ..

(٣) رواه احمد وابو داوود والبيهقى وصححه البخارى وحسنه الحافظ .

● وأما الفضة فلا شيء فيها حتى تبلغ مائتى درهم ــ ما يساوى ٥٩٥ جراما تقريبا من الفضة الخالصة ــ فاذا بلغت مائتى درهم ففيها ربع العشر (٥ر٢ ٪) وما زاد فبحسابه •• قل أم كثر •• فانه لا عفو فى زكاة النقد بعد بلوغ النصاب ••

وعن على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قد عفوت لكم عن الخيل والرقيق •• فهاتوا صدقة الرقة ــ أى الفضة ــ من كل أربعين درهما درهم •• وليس فى تسعين ومائة شىء •• فاذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم »[٤] .

● ومن ملك من الذهب أقل من نصاب •• ومن الفضة كذلك لا يضم أحدهما الى الآخر •• ليكمل منهما نصابا لأنهما جنسان •• لا يضم أحدهما الى الثانى كالحال فى البقر والغنم ــ وسيأتى ــ فلو كان فى يده تسعة عشر دينارا من الذهب و ١٩٩ درهما من الفضة فلا زكاة عليه ••

● وللفقهاء فى زكاة الدين آراء ••

فالدين اما أن يكون على معترف به باذل له •• وهذا يؤدى صاحبه زكاته الا أنه لا يلزمه اخراجها حتى يقبضه فيؤدى لما مضى ••

ويذهب رأى الى أنه يلزمه اخراج الزكاة فى الحال وان لم يقبضه لأنه قادر على أخذه والتصرف فيه ••

وعن عائشة وابن عمر : أنه لا زكاة فيه لأنه غير نام •• فلم تجب زكاته كعروض القنية ••

كما أن من الفقهاء من يرى أنه يزكيه اذا قبضه لسنة واحدة ••

والنوع الثانى من الدين •• اما أن يكون على معسر أو جاحد أو مماطل به فان كان كذلك فلا تجب فيه الزكاة على قول لبعض الفقهاء •• لأنه غير مقدور على الانتفاع به ••

وقيل : يزكيه اذا قبضه لما مضى •• لأنه مملوك يجوز التصرف فيه •• فوجبت زكاته لما مضى كالدين على الملىء ••

وفى رأى ثالث : أنه يزكيه اذا قبضه لعام واحد ••

● وحكم أوراق البنكنوت والسندات أنها وثائق بديون مضمونة تجب فيها الزكاة اذا بلغت أول النصاب •• لأنه يمكن دفع قيمتها فضة

---

(٤) رواه أصحاب السنن .

فورا •• والأفضل اخراج الزكاة بنصاب الفضة مراعاة لمصلحة الفقير ••

● واتفق العلماء على أنه لا زكاة فى الماس والدر والياقوت واللؤلؤ والمرجان والزبرجد ونحو ذلك من الأحجار الكريمة اذا كانت حليا للنساء •• أما اذا اتخذت للتجارة ففيها الزكاة ••

واختلفوا فى حلى المرأة من الذهب والفضة ••

فذهب رأى الى وجوب الزكاة فيه اذا بلغ نصابا •• وهو مذهب أبى حنيفة وابن حزم ••

بينما يرى الأئمة الثلاثة أنه لا زكاة فى حلى المرأة بالغا ما بلغ ••

وحجة من ذهب الى الوجوب حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : أتت النبى صلى الله عليه وسلم امرأتان فى أيديهما أساور من ذهب •• فقال لهما الرسول صلى الله عليه وسلم : « أتحبان أن يسوركما الله يوم القيامة أساور من نار » ؟ قالتا : لا •• قال : « فأديا حق هذا الذى فى أيديكما » ••

وعن أسماء بنت يزيد قالت : دخلت أنا وخالتى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلينا أسورة من ذهب •• فقال لنا : « أتعطيان زكاته » ؟ قالت : فقلنا : لا •• قال : « أما تخافان أن يسوركما الله أسورَة من نارَ ؟ •• أديا زكاته »(٥) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى فى يدى فتخات من ورق — أى خواتيم من فضة — فقال لى : « ما هذا يا عائشة » ؟ فقلت : صنعتهن أتزين لك يا رسول الله •• فقال : « أتؤدين زكاتهن » ؟ قلت : لا — أو ما شاء الله — قال : « هو حسبك من النار »(٦) .

أما من ذهب الى أنه لا زكاة فى الحلى •• بالغا ما بلغ •• فلما رواه البيهقى أن جابرا بن عبد الله سئل عن الحلى •• أفيه زكاة ؟ فقال : لا •• فقيل : وان كان يبلغ ألف دينار ؟ •• فقال : وأكثر ••

كما روى أن أسماء بنت أبى بكر كانت تحلى بناتها بالذهب ولا تزكيه •• نحوا من خمسين ألفا ••

---

(٥) رواه احمد .

(٦) رواه أبو داوود والدارقطنى والبيهقى .

وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه — كما جاء فى الموطأ — أن عائشة رضى الله عنها كانت تلى بنات أخيها — يتامى فى حجرها — لهن الحلى فلا تخرج من حليهن الزكاة •• وفيه : أن عبد الله بن عمر كان يحلى بناته وجواريه الذهب •• ثم لا يخرج فى حليهن الزكاة ••

وهذا الخلاف بالنسبة للحلى المباح •• أما اذا اتخذت المرأة حليا ليس لها اتخاذه — كما اذا اتخذت حلية الرجال كحلية السيف مثلا — فهو محرم ، وعليها الزكاة •• وكذا الحكم فى اتخاذ أوانى الذهب والفضة ••

ويلجأ بعض النسوة الى تحويل أموالهن السائلة الى حلى بقصد بيعه عند ارتفاع قيمته •• وهذا يأخذ حكم التجارة وفيه الزكاة •• اذ القصد منه نماء المال وليس لاتخاذه زينه •

● وتجب الزكاة فى أجرة الدور المؤجرة اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول •• ويذهب أبو حنيفة ومالك : الى أن المؤجر لا يستحق الأجرة بالعقد وانما يستحقها بانقضاء مدة الايجار •• وعلى هذا الرأى فمن أجر دارا لا تجب عليه زكاة أجرتها حتى يقبضها ••

بينما يرى الحنابلة أن المؤجر يملك الأجرة من حين العقد •• وعليه فان من أجر داره تجب الزكاة فى أجرتها اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول •• لأن المؤجر يملك التصرف فى الأجرة بأنواع التصرفات •• أما كون الاجارة عرضة للفسخ فانه لا يمنع وجوب الزكاة •• كالصداق قبل الدخول •• ثم ان كان قد قبض الأجرة أخرج الزكاة منها •• وان كانت دينا فهى كالدين معجلا كان أو مؤجلا •• أى أنه يؤدى زكاتها حين يقبضها لما مضى من حين العقد ان كان مضى عليها حول أو أكثر ••

● وفى زكاة صداق المرأة آراء ••

« فمن رأى أبى حنيفة أنه لا زكاة فيه الا اذا قبضته •• لأنه بدل عما ليس بمال •• فلا تجب فيه الزكاة قبل القبض •• كدين الكتابة •• ويشترط أن يبلغ بعد قبضه نصابا ويحول عليه الحول •• الا اذا كان عندها نصاب آخر سوى المهر •• فانها اذا قبضت من الصداق شيئا ضمته الى النصاب وزكته بحوله ••

ويرى الشافعى أن المرأة يلزمها زكاة الصداق اذا حال عليه الحول •• ويلزمها الاخراج عن جميعه آخر الحول •• وان كان قبل

الدخول .. ولا يؤثر كونه معرضا للسقوط بالفسخ ــ بردة أو غيرها ــ أو نصفه بالطلاق ..

بينما يرى الحنابلة أن الصداق فى الذمة دين للمرأة .. حكمه حكم الديون عندهم .. فان كان على ملىء به ــ أى غنى ــ فالزكاة واجبة فيه اذا قبضته أدت لما مضى .. وان كان على معسر أو جاحد فاختيار الخرقى وجوب الزكاة فيه .. ولا فرق بين ما قبل الدخول أو بعده ..

فان سقط نصفه بطلاق المرأة قبل الدخول .. وأخذت النصف .. فعليها زكاة ما قبضته .. دون ما لم تقبضه .. وكذلك لو سقط الصداق قبل قبضه .. لانفساخ النكاح بأمر من جهتها .. فليس عليها زكاته »[٧] .

❋ ❋ ❋

● والصنف الثانى من الزكاة .. هو عروض التجارة ..

وتجب الزكاة فى عروض التجارة باجماع العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الفقهاء .. لأنها مال مقصود به التنمية .. فأشبه الأجناس الثلاثة التى فيها الزكاة باتفاق .. وهى الذهب والفضة والماشية والحرث ..

ويقول فى المنار : « جمهور علماء الملة يقولون بوجوب زكاة عروض التجارة .. وليس فيها نص قطعى من الكتاب أو السنة .. وانما ورد فيها روايات يقوى بعضها بعضا .. مع الاعتبار المستند الى النصوص .. وهو أن عروض التجارة المتداولة للاستغلال نقود .. لا فرق بينها وبين الدراهم والدنانير التى هى أثمانها .. الا فى كون النصاب يتقلب ويتردد بين الثمن وهو النقد ، والمثمن وهو العروض .. فلو لم تجب الزكاة فى التجارة لأمكن لجميع الأغنياء ــ أو أكثرهم ــ أن يتجروا بنقودهم .. ويتحروا أن لا يحول الحول على نصاب من النقدين أبداً .. وبذلك تبطل الزكاة فيهما عندهم ..

ورأس الاعتبار فى المسألة : أن الله تعالى فرض فى أموال الأغنياء صدقة لمواساة الفقراء .. ومن فى معناهم .. واقامة المصالح العامة .. وأن الفائدة فى ذلك للأغنياء تطهير أنفسهم من رذيلة البخل .. وتزكيتها بفضائل الرحمة بالفقراء .. وسائر أصناف المستحقين ومساعدة الدولة

---

(٧) انظر فقه السنة ــ ج ١ ــ ص ٢٥٩

والأمة فى أقامة المصالح العامة .. والفائدة للفقراء وغيرهم واعانتهم على نوائب الدهر ..

مع ما فى ذلك من سد ذريعة المفاسد فى تضخم الأموال وحصرها فى أناس معدودين .. وهو المشار اليه بقوله تعالى - فى حكمة قسمة الفــىء : **« كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم »**[8] ..

فهل يعقل أن يخرج من هذه المقاصد الشرعية كلها التجار الذين ربما تكون معظم ثروة الأمة فى أيديهم ؟ ...

● وتصير العروض للتجارة - كما يقول صاحب « المغنى » بشرطين :

« الأول : أن يملكه بفعله كالبيع ، والنكاح ، والخلع ، وقبول الهبة ، والوصية ، والغنيمة ، واكتساب المباحات ..

لأن ما لا يثبت له حكم الزكاة بدخوله فى ملكه لا يثبت بمجــرد النية كالصوم .. ولا فرق بين أن يملكه بعوض أم بغير عوض .. لأنه ملكه بفعله فأشبه الموروث .

والثانى : أن ينوى عند تملكه أنه للتجارة .. فان لم ينو عند تملكه أنه للتجارة .. لم يصر للتجارة وان نواه بعد ذلك ..

وان ملكه بارث - وقصد أنه للتجارة - لم يصر للتجارة .. لأن الأصل القنية .. والتجارة عارض فلا يصير اليها بمجرد النية .. كما لو نوى الحاضر السفر .. لم يثبت له حكم السفر بدون الفعل .. وان اشترى عرضا للتجارة فنوى به الاقتناء صار للقنية وسقطت الزكاة منه »[9] .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : « أما بعد .. فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع »[10] .

وعن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « فى الابل صدقتها .. وفى الغنم صدقتها .. وفى البقر صدقتها .. وفى البز - أى المتاع - صدقته »[11] .

---

(٨) الحشر : ٧ (٩) فقه السنة ج ١ ص ٢٦١

(١٠) رواه أبو داوود والبيهقى .

(١١) رواه الدارقطنى والبيهقى .

وعن أبى عمرو بن حماس عن أبيه قال : كنت أبيع الأدم والجعاب — أى الجلد والجفان — فمر بى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : أد صدقة مالك .. فقلت : يا أمير المؤمنين .. انما هو الأدم . قال : قومه .. ثم أخرج صدقته(١٢) .

● وانما تجب الزكاة فى قيمتها لا فى عينها .. ويضم عند التقويم بعضها الى بعض ولو اختلفت أجناسها كثياب ونحاس .. كما يضم الربح الناشىء عن التجارة الى أصل المال فى الحول .. وكذلك المال الذى استفاده من غير التجارة .. وفى ذلك تفصيل فى المذاهب ..

واذا كان الذهب أو الفضة مخلوطا .. فلا زكاة فيهما حتى يبلغ ما فيهما من الذهب والفضة الخالصين نصابا ..

ومن ملك من عروض التجارة قدر نصاب وحال عليه الحول وقومه .. أخرج زكاته وهو ربع عشر قيمته (٢ر٥ ٪) وهكذا يفعل التاجر فى تجارته كل حول .. ولا ينعقد الحول حتى يكون القدر الذى يملكه نصابا .. فلو ملك عرضا قيمته دون النصاب فمضى جزء من الحول وهو كذلك .. ثم زادت قيمة النماء به أو تغيرت الأسعار فبلغ نصابا .. أو باعه بنصاب .. أو ملك فى أثناء الحول عرضا آخر أو أثمانا تم بها النصاب .. ابتدأ الحول من حينئذ ولا يحتسب بما مضى .. على قول الأحناف والشافعية ..

بينما يرى المالكية أن الحول ينعقد على ما دون النصاب .. فاذا بلغ فى آخره نصابا زكاه ..

ثم اذا نقص النصاب أثناء الحول .. وكمل فى طرفيه لا ينقطع الحول — عند أبى حنيفة — لأنه يحتاج الى أن تعرف قيمته فى كل وقت .. ليعلم أن قيمته فيه تبلغ نصابا .. وذلك يشق ..

ويرى الحنابلة أنه اذا نقص أثناء الحول .. ثم زاد حتى بلغ نصابا استأنف الحول عليه .. لكونه انقطع بنقصه فى أثنائه ..

* * *

---

(١٢) رواه الشافعى واحمد وابو عبيد والدارقطنى والبيهقى وعبد الرزاق .

● والصنف الثالث من الزكاة الواجبة هو النعم ..

تقدم أن النعم هى الابل والبقر والغنم المستأنسة .. وأن البقر يشمل الجاموس .. ويشمل الغنم المـاعز ..

والزكاة تجب فى النعم بشرط أن تكون سائمة ـ الا عند مالك فلم يشترط السوم ـ وبشرط أن تبلغ النصاب الذى يختلف باختـلاف أنواعها ..

والسائمة هى التى ترعى فى الكلأ المباح ـ أى فى البرارى ـ فى أكثر العام .. بخلاف المعلوفة ـ على آراء فى المذاهب ..

● وأول نصاب الابل خمس ـ فلا زكاة على أربع من الابل ـ فاذا بلغتها ففيها شاة من الضأن أو المعز .. وهكذا فى كل خمس : شاة .. الى أن تبلغ عشرين ففيها أربع شياه .. والشـاة المجزئة هى ما أتمت سنة ـ الا عند الحنابلة فتجزىء ما أتمت ستة شهور ..

فاذا بلغت الابل خمسا وعشرين ففيها بنت مخاض ـ وهى ما بلغت من الابل سنة ودخلت فى الثانية ..

واذا بلغت ستا وثلاثين ففيها بنت لبون ـ وهى ما أتمت سنتين ودخلت فى الثالثة ..

فاذا بلغت ستا وأربعين ففيها بنتا لبون ..

وفى احدى وستين جذعة ـ وهى التى لها أربع سنين ودخلت فى الخامسة ..

فاذا بلغت احدى وتسعين ففيها حقتان ـ والحقة هى ما أتمت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة .

فاذا بلغت مائة واحدى وعشرين ففيها ثلاث بنات لبون ..

فاذا بلغت مائة وثلاثين : تغير الواجب .. فيكون فى كل أربعين بنت لبون .. وفى كل خمسين حقة ..

ففى مائة وثلاثين بنتا لبون وحقة .. وفى مائة وأربعين حقتان وبنت لبون .. وفى مائة وخمسين ثلاث حقاق .

وهكذا يكون التفاوت بزيادة عشرة فعشرة ..

وما بين كل فريضتين من جميع الفرائض المتقدمة معفو عنـه ولا زكاة فيه .. فمثلا الخمس من الابل فيها شاة .. والتسع فيها شاة أيضا ـ فلا شىء عليه فى مقابلة الأربع الزائدة على أصل النصاب .. وهكذا ..

● أما البقر •• فأول نصابه ثلاثون •• فاذا بلغتها ففيها تبيع أو تبيعه ـ وهو ما أوفى سنة ودخل فى الثانية ••

فاذا بلغت أربعين ففيها مسنة ـ وهى ما أوفت سنتين ودخلت فى الثالثة ••

فاذا زادت عن ذلك ففى كل ثلاثين تبيع أو تبيعة •• وفى كل أربعين مسنة ••

ففى الستين تبيعان أو تبيعة •• وفى السبعين مسنة وتبيع •• وفى الثمانين مسنتان •• وفى التسعين ثلاثة أتبعة •• وفى المائة مسنة وتبيعان •• وفى مائة وعشرة مسنتان وتبيع •• وفى مائة وعشرين الواجب أربعة أتبعة أو ثلاث مسنات •• وهكذا ••

وما بين الفريضتين معفو عنه ولا زكاة فيه •••

● وأول نصاب الغنم أربعون •• وفيها شاة من الضأن أو المعز بالسن الذى تقدم بيانه فى البقر •• الا أنه اذا كانت الغنم ضأنا تعين الاخراج منها •• واذا كانت معزا فالاخراج من المعز •• وان كانت الغنم ضأنا ومعزا فان الغالب أحدهما •• فالشاة المخرجة تكون منه وان تساويا ـ مثل أن يكون عنده عشرون من الضأن وعشرون من المعز ـ خير الساعى فى أخذ الشاة من أى الصنفين شاء ••

فاذا بلغت مائة واحدى وعشرين ففيها شاتان ••

فاذا بلغت مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه ••

وفى أربعمائة شاة أربع شياه •• وما زاد ففى كل مائة شاة ••

وما بين الفريضتين معفو عنه فلا زكاة فيه ••

● ومن ملك نصابا من الابل أو البقر أو الغنم فنتجت فى أثناء الحول وجبت زكاة الجميع عند تمام حول الكبار •• وأخرج عن الأصل وعن النتاج زكاة المال الواحد •

● وأجمع الفقهاء على أنه لا تضم الابل الى البقر ولا الى الغنم •• ولا البقر الى الغنم •• فمن ملك من الابل أقل من النصاب •• ومن البقر ومن الغنم كذلك •• فلا يضم أحدها الى الآخر لأنها أجناس متعددة لا يضم أحدها الى الآخر لاكمال النصاب ••

❋ ❋ ❋

● ويجب مراعاة حق أرباب الأموال عند أخذ الزكاة من أموالهم •• فلا يؤخذ من كرائمها وخيارها •• الا اذا سمحت أنفسهم بذلك •• كما تجب مراعاة حق الفقير •• فلا يجوز أخذ الحيوان المعيب عيبا يعتبر نقصا عند ذى الخبرة بالحيوان •• الا اذا كانت كلها معيبة •• وانما تخرج الزكاة من وسط المـــال ••

وعن الزهرى عن سالم عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كتب الصدقة ولم يخرجها الى عماله حتى توفى •• فأخرجها أبو بكر رضى الله عنه فعمـــل بها حتى توفى •• ثم أخرجها عمر رضى الله عنه من بعده فعمل بها •• قال : فلقد هلك عمـــر يوم هلك وان ذلك لمقرون بوصيته ••

وقد جاء فى كتاب أبى بكر : « لا تؤخـــذ فى الصدقة هرمة ــ وهى التى سقطت أسنانها ــ ، ولا ذات عوار ــ أى العوراء ــ ، ولا تيس » ••

وعن سفيان بن عبد الله الثقفى أن عمر رضى الله عنه نهى المصدق أن يأخذ الأكولة ــ أى العاقر من الشاة ــ ، والربى ــ أى التى تربى فى البيت للبنها ــ ، والمـــاخض ــ أى التى حان ولادها ــ ، وفحل الغنم ــ أى التيس المعد للنزو ••

وعن عبد الله بن معاوية الغاضرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الايمـــان : من عبد الله وحده •• وأن لا اله الا هو •• وأعطى زكاة ماله طيبة بهـــا نفسه رافدة عليه كل عام ــ أى تعينه على أداء الزكاة ــ ولا يعطى الهرمة ، ولا الدرنة ، ولا المريضة ، ولا الشرط ، ولا اللئيمة •• ولكن من وسط أموالكم •• فان الله لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بشره »[١٣] •

والدرنة هى الجرباء ، والشرط أى صغار المـــال وشراره ، واللئيمة التى تبخل باللبن ••

* * *

● والصنف الرابع من الزكاة هو الزروع والثمار ••

ثبتت فرضية الزكاة فى الزروع والثمار على ما تقدم من الدليـــل العام بدليل خاص من الكتاب والسنة •• فقد قال تعالى : **« يا أيهـــا**

---

(١٣) رواه ابو داوود والطبرانى .

الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض »[14] .

وقال تعالى : **« وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده »[15] .**

قال ابن عباس رضى الله عنهما : حقه الزكاة المفروضة .. وقال : العشر ونصف العشر ..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما سقت السماء ففيه العشر .. وما سقى غرب أو دالية ففيه نصف العشر » . والغرب هو الدلو ، والدالية هى الدولاب ــ أى بآلة كالساقية والنورج ونحوها ــ

وقد كانت الزكاة تؤخذ على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من الحنطة والشعير والتمر والزبيب .. ولم تكن تؤخذ من الخضروات ولا من غيرها من الفواكه الا العنب والرطب ..

ولم يختلف أحد من العلماء فى وجوب الزكاة فى الزروع والثمار .. وانما اختلفوا فى الأصناف التى تجب فيها ..

فيرى أبو حنيفة أن الزكاة واجبة فى كل ما أنبتته الأرض .. لا فرق بين الخضروات وغيرها .. واشترط أن يقصد بزراعته استغلال الأرض ونماؤها عادة .. واستثنى الحطب والبوص والحشيش .. والشجر الذى لا ثمر له .. استنادا الى قوله صلى الله عليه وسلم : « فيما سقت السماء العشر » .. وهذا عام يتناول جميع أفراده .. ولأنه يقصد بزراعته نماء الأرض فأشبه الحب ..

ويرى مالك : أنه يشترط فيما يخرج من الأرض أن يكون مما يبقى وييبس ويستنبته بنو آدم .. سواء أكان مقتاتا كالقمح والشعير .. أو غير مقتات كالقرطم والسمسم .. ولا زكاة عنده فى الخضروات والفواكه كالتين والرمان والتفاح ..

ويرى الشافعى : وجوب الزكاة فيما تخرجه الأرض بشرط أن يكون مما يقتات ويدخر ويستنبته الآدميون كالقمح والشعير .. ويقول النووى : مذهبنا أنه لا زكاة فى غير النخل والعنب من الأشجار .. ولا فى شىء من الحبوب الا فيما يقتات ويدخر .. ولا زكاة فى الخضروات ..

---

(١٤) البقرة : ٢٦٧ (١٥) الأنعام : ١٤١

بينما يرى أحمد : وجوب الزكاة فى كل ما أخرجه الله من الأرض من الحبوب والثمار مما ييبس ويبقى ويكال ويستنبته الآدميون فى أراضيهم • سواء أكان قوتا كالحنطة أو من القطنيات ــ كالعدس والحمص والبسلة والترمس واللوبيا والفول وما أشبه لأنها تقطن فى البيوت ــ أو من الأباريز كالكسبرة والكراويا •• أو من البذور كبذر الكتان والقثاء والخيار •• أو حب البقول كالقرطم والسمسم ••

كما تجب عنده فيما جمع هذه الأوصاف من الثمار اليابسة كالتمر والزبيب والمشمش والتين واللوز والبندق والفستق ••

ولا زكاة عنده فى سائر الفواكه كالخوخ والكمثرى والتفاح والمشمش والتين اللذين لا يجففان •• ولا فى الخضروات كالقثاء والخيار والبطيخ والباذنجان واللفت والجزر ••

● وذهب أكثر أهل العلم الى أن الزكاة لا تجب فى شىء من الزروع والثمار •• حتى تبلغ خمسة أوسق بعد تصفيتها من التبن والقشر •• فان لم تصف بأن تركت فى قشرها فيشترط أن تبلغ عشرة أوسق ••

والوسق ستون صاعا بالاجماع والصاع قدح وثلث •• فيكون النصاب خمسين كيلة ••

روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة »(١٦) •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس فيما دون خمسة أوسق من تمر ولا حب صدقة » •

وذهب أبو حنيفة ومجاهد الى وجوب الزكاة فى القليل والكثير •• لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « فيما سقت السماء العشر •• وفيما سقى بنضح أو غرب فنصف العشر » ••

ولهذا يجب العمل بكلا الحديثين •• ولا يجوز معارضة أحدهما بالآخر •• والغاء أحدهما بالكلية •• فان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض فى هذا أو فى هذا ••

فاذا بلغت الزروع النصاب ــ أى خمسون كيلة ــ ففيها العشر (١٠ ٪) اذا كانت تسقى بماء السماء •• ونصف العشر (٥ ٪)

---

(١٦) رواه أحمد والبيهقى •

اذا سقيت بآلة •• ولا يعتبر الحول •• لأن الزروع يكمل نماؤها بالحصاد لا ببقائها •• واعتبر الحول فى غيرها لأنه مظنة لكمال النماء فى سائر الأموال •• واعتبر النصاب ليبلغ حدا يحتمل المواساة منه •• فلهذا اعتبر فى الزروع بالنصاب دون الحول ••

* * *

● والصنف الخامس من الزكاة هو المعدن والركاز :

والمعدن هو ما خلقه الله تعالى فى الأرض من ذهب أو فضة أو غيرهما كالنحاس والرصاص والمغرة ــ طين أحمر يصبغ به ــ والكبريت ونحوها ••

وتنقسم المعادن الى أقسام ثلاثة :

ما ينطبع بالنار •• ومائع •• وما ليس بمنطبع ولا مائع ••

فالمنطبع •• ما كان كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد ••

والمائع •• ما كان كالقار « الزفت » والنفط والزئبق ونحوها ••

وما ليس بمنطبع ولا مائع •• ما كان كالنورة(*) والجواهر واليواقيت ••

أما الركاز •• فهو ما يوجد فى باطن الأرض ــ أو على ظهرها ــ من دفائن أهل الجاهلية من ذهب وفضة وغيرهما •• وكان عليه أو على شىء منه علامة كفر •• أما ان وجد عليه علامة اسلام •• أو علامة اسلام وكفر •• فهو لقطة تجرى عليه أحكامها ••

ودليل مشروعية الزكاة فيها قوله تعالى : **« واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول »**[17] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : « العجماء جرحها جبار •• والبئر جبار •• والمعدن جبار •• وفى الركاز الخمس »[18] .

أى اذا انفلتت بهيمة فأتلفت شيئا فهو جبار ــ أى هدر ــ واذا حفر انسان بئرا فتردى فيه آخر فهو هدر •• واذا استأجر من يحفر له معدنا فسقط عليه فقتله فهو هدر ••

---

(١٧) الأنفال : ٤١ (١٨) متفق عليه .

(*) النورة : بضم النون مع التشديد وفتح الراء ــ حجر الكلس ، والنورة : أخلاط من أملاح الكالسيوم والباريون تستعمل لازالة الشعر . (قاموس) ••

واشترط الفقهاء فى زكاة المعدن شروطا •• فذهب أحمد الى أنه كل ما خرج من الأرض مما يخلق فيها من غيرها مما له قيمة مثل الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والياقوت والزبرجد والزمرد والفيروز والبللور والعقيق والكحل والزرنيخ والقار والنفط والكبريت والزاج ونحو ذلك •• واشترط فيه أن يبلغ الخارج نصابا بنفسه أو بقيمته ••

وذهب أبو حنيفة الى أن الوجوب يتعلق بكل ما ينطبع ويذوب بالنار كالذهب والفضة والحديد والنحاس •• أما المائع كالقار أو الجامد الذى لا يذوب بالنار كالياقوت •• فان الوجوب لا يتعلق به •• ولم يشترط فيه نصابا •• فأوجب الخمس فى قليله وكثيره ••

وقصر مالك والشافعى الوجوب على ما استخرج من الذهب والفضة •• واشترطا — مثل أحمد — أن يبلغ الذهب والفضة نصابهما •• واتفقوا على أنه لا يعتبر له الحول •• وتجب زكاته حين وجوده مثل الزرع •• ويجب فيه ربع العشر عند الثلاثة ومصرفه مصرف الزكاة عندهم •• وعند أبى حنيفة مصرفه مصرف الفىء ••

● أما الركاز •• فقد تقدم أنه ما كان من دفن الجاهلية •• وأن الواجب فيه الخمس •• وأما الأربعة أخماس الباقية فهى لأقدم مالك للأرض ان عرف •• وان كان ميتا فلورثته ان عرفوا •• والا وضع فى بيت المال •• وهذا مذهب أبى حنيفة ومالك والشافعى ••

أما أحمد فيرى أنها لمن وجده •• هذا ما لم يدعه مالك الأرض •• فان ادعى ملكه فالقول قوله اتفاقا ••

ويجب الخمس فى قليله وكثيره •• من غير اعتبار نصاب فيه عند أبى حنيفة وأحمد وأصح الروايتين عن مالك •• وعند الشافعى فى الجديد يعتبر النصاب فيه •• وأما الحول فانه لا يشترط بلا خلاف ••

واتفق جمهور العلماء على أن الخمس واجب على من وجده •• من مسلم وذمى وكبير وصغير •• وعاقل ومجنون •• الا أن ولى الصغير والمجنون هو الذى يتولى الاخراج عنهما ••

قال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم : على أن الذمى فى الركاز يجده الخمس •• قاله مالك وأهل المدينة والثورى والأوزاعى وأهل العراق وأصحاب الرأى وغيرهم •• قال الشافعى : لا يجب الخمس الا على من تجب عليه الزكاة لأنه زكاة[19] .

---

(١٩) فقه السنة ج ١ ص ٢٨٥

الا أن القوانين الحديثة فى الدول •• تجرم التصرف فى دفائن الجاهلية •• كالآثار وغيرها •• وتعتبره من أموال الدولة التى لا يجوز التصرف فيها ••

* * *

*** أحكام عامة فى المــال المستفاد[٢٠] :**

من استفاد مالا •• مما يعتبر فيه الحول ــ ولا مال له سواه وبلغ نصابا •• أو كان له مال من جنسه لا يبلغ نصابا فبلغ بالمستفاد نصابا انعقد عليه حول الزكاة من حينئذ •• فاذا تم الحول وجبت الزكاة فيه ••

فاذا كان المــال المستفاد من نمائه كربح التجارة ونتاج الحيوان ــ وكان ما عنده منها مبلغ النصاب فربحت العروض وتوالد الحيوان أثناء الحول وجب اخراج الزكاة على الجميع •• الأصل والمستفاد ••

أما اذا كان المستفاد من جنس النصاب •• ولم يكن متفرعا عنه أو متولدا منه •• بأن استفاده بشراء أو هبة أو ميراث •• فان الحنفية يقولون بضم المستفاد الى النصاب ويكون تابعا له فى الحول والزكاة •• وتزكى الفائدة مع الأصل ••

ويقول الشافعية والحنابلة بتبعية المستفاد للأصل فى النصاب •• ويستقبل به حول جديد •• سواء أكان الأصل نقدا أو حيوانا •• مثل أن يكون عنده مائتا درهم ثم استفاد أثناء الحول أخرى •• فانه يزكى كلا منهما عند تمام حوله ••

بينما يرى المــالكية رأى الحنفية فى الحيوان •• ورأى الشافعية والحنابلة فى النقدين ••

واذا كان المستفاد من غير جنس ما عنده •• فانه لا يضم الى ما عنده فى حول ولا نصاب •• بل ان كان نصابا استقل به حولا •• وزكاه آخر الحول •• والا فلا شىء فيه ••

● والزكاة واجبة فى الذمة لا فى عين المــال •• لأنه قد صح أنه من وجبت عليه زكاة بر أو شعير أو تمر أو ذهب أو فضــة •• وأعطى زكاته الواجبة عليه من غير هذه الأصناف فانه لا يمنع ذلك •• ولا يكره له ذلك •• سواء أعطى من تلك العين أو مما عنده من غيرها أو مما يشترى أو مما يوهب أو مما يستقرض ••

---

(٢٠) راجع فقه السنة الجزء الأول ــ باب الزكاة .. بتصرف ..

فصح يقينا — كما يقول ابن حزم — « أن الزكاة فى الذمة لا فى العين .. اذ لو كانت فى العين لم يحل له البتة أن يعطى من غيرها .. ولوجب منعه من ذلك كما يمنع من له شريك فى شىء من كل ذلك أن يعطى شريكه من غير العين التى هم فيها شركاء الا بتراضيهما وعلى حكم البيع » ..

● واذا وجبت الزكاة فى المال — بأن حال عليه الحول أو حان حصاده — وتلف المال قبل أداء الزكاة أو تلف بعضه .. فالزكاة كلها واجبة فى ذمة صاحب المال سواء أكان التلف بتفريط منه أم بغير تفريط ..

● ولو عزل الزكاة ليدفعها الى مستحقيها .. فضاعت كلها أو بعضها فعليه اعادتها لأنها فى ذمته حتى يوصلها الى من أمره الله بايصالها اليه ..

● وتأخير الزكاة لا يسقطها .. فمن مضى عليه سنون ولم يؤد ما عليه من زكاة .. لزمه اخراج الزكاة عن جميعها سواء علم وجوب الزكاة أم لم يعلم .. وسواء أكان فى دار الاسلام أم فى دار الحرب — فى مذهب الشافعى ..

● ولا يجوز دفع القيمة بدل العين المنصوص عليها فى الزكوات الا عند عدمها وعدم الجنس .. وذلك لأن الزكاة عبادة .. ولا يصح أداء العبادة الا على الجهة المأمور بها شرعا .. وليشارك الفقراء الأغنياء فى أعيان أموالهم ..

● واذا كان المال مشتركا بين شريكين أو أكثر .. لا تجب الزكاة على واحد منهم .. حتى يكون لكل واحد منهم نصاب كامل ..

● ولا تسقط الزكاة عمن ملك نصابا من أى نوع من أنواع المال فباعه قبل الحول أو وهبه أو أتلف جزءا منه بقصد الفرار من الزكاة .. وتؤخذ منه فى آخر الحول اذا كان تصرفه هذا عند قرب الوجوب .. ولو فعل ذلك فى أول الحول لم تجب الزكاة لأن ذلك ليس بمظنة الفرار ..

* * *

مصارف الزكاة

حدد الله تعالى مصارف الزكاة •• ولم يتركها لاجتهادات الناس أو لعواطفهم يشرعون فيها كيف شاءوا •• كما فصلتها السنة النبويـــه المباركه ••

يقول الله تعــالى : « **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم** »[1] .

وعن زياد بن الحارث الصدائى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته •• فأتى رجل فقال : أعطنى من الصدقة ••

فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يرض بحكم نبى ولا غيره فى الصدقات حتى حكم فيها هو •• فجزأها ثمانية أجزاء •• فان كنت من تلك الأجزاء أعطيتك »[2] .

وعن قبيصة بن مخارق الهلالى قال : تحملت حمالة ـ أى تحمل بأداء دين لاصلاح ذات البين ـ فأتيت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم أسأله فيها فقال : « أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها » ••

ثم قال : « يا قبيصة •• ان المسألة لا تحل الا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة •• فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك •• ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله •• فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ـ أو قال : سدادا من عيش ـ ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة •• فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش ـ أو قال : سدادا من عيش ـ •• فما سواهن من المسألة يا قبيصة فسحت يأكلها صاحبها سحتا •• »[3] ••

---

(١) التوبة : ٦٠ . (٢) رواه ابو داوود .

(٣) رواه أحمد ومسلم وابو داوود والنسائى .

والجائحة هى ما أتلف المـال كالحريق ونحوه •• والفاقة هى الفقر والحاجة •• والسداد فى العيش : ما تقوم به حاجته ويستغنى به •• والسحت هو الحرام ••

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة : لعامل عليها •• أو رجل اشتراها بماله •• أو غارم •• أو غاز فى سبيل الله •• أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى منها لغنى »[٤] ••

وعن البراء رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل يقربنى من الجنة ويبعدنى من النار •• فقال : « أعتق النسمة وفك الرقبة » فقال : يا رسول الله •• أو ليسا واحدا ؟ قال : « لا •• عتق الرقبة أن تنفرد بعتقها •• وفك الرقبة أن تعين بثمنها »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة كلهم حق على الله عونه : الغازى فى سبيل الله •• والمكاتب الذى يريد الأداء •• والناكح المتعفف »[٦] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحل المسألة الا لثلاث : لذى فقر مدقع •• أو لذى غرم مفظع •• أو لذى دم موجع »[٧] .

وذو الفقر المدقع : أى الشديد فقره •• والغرم المفظع : أى ما يلزم أداؤه تكلفا وكان شديدا شنيعا مجاوزا للحد فلا يطيقه وحده •• وذو الدم الموجع •• الذى يتحمل دية عن قريبه أو صديقه القاتل يدفعها الى أولياء المقتول •• فان لم يدفعها قتل قريبه أو صديقه القاتل الذى يتوجع لقتله واراقة دمه ــ كما يقول صاحب فقه السنة ••

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : أصيب رجل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمار ابتاعها •• فكثر دينه •• فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا عليه » فتصدق الناس عليه •• فلم يبلغ ذلك وفاء دينه •• فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم لغرمائه : « خذوا ما وجدتم •• وليس لكم الا ذلك »[٨] .

---

(٤) رواه احمد وابو داوود وابن ماجه والحاكم .

(٥) رواه احمد والدارقطنى . (٦) رواه احمد واصحاب السنن .

(٧) رواه احمد وابو داوود وابن ماجه والترمذى .

(٨) رواه مسلم .

فأنت ترى أن الله تعالى •• قد حدد مصارف الزكاة فى أصناف ثمانية هم : الفقراء •• والمساكين •• والعاملون عليها •• والمؤلفة قلوبهم •• والأرقاء •• والغارمون •• وأبناء السبيل •• والمجاهدون فى سبيل الله ••

ولهذا لا يجوز صرف الزكاة المفروضة الى غيرهم •• فلا تدفع لبناء المساجد أو القناطر •• أو اصلاح الطرقات •• والتوسعة على الأضياف •• وتكفين الموتى وما أشبه •• ولقد سئل الامام أحمد رضى الله عنه عن تكفين الموتى من الزكاة فقال : لا •• ولا يقضى منها دين الميت ••

وقال : يقضى من الزكاة دين الحى •• ولا يقضى منها دين الميت •• لأن الميت لا يكون غارما •• فقيل له : فانما يعطى أهله •• قال : ان كانت على أهله فنعم(٩) .

وحكم الزكاة المفروضة فى هذا يختلف عن الصدقات المسنونة •• كصدقة التطوع والفطر •• والكفارات •• فقد أدخل الله عليها ذوى القربى •• واليتامى •• والجار ذى القربى •• والجار الجنب •• والصاحب بالجنب •• وما ملكت الأيمان ••

● والفقراء هم المحتاجون الذين لا يجدون الكفاية •• فاذا صح تعريف الغنى بأنه الذى يملك نصابا زائدا عن حاجته وأولاده الأصلية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ودابة وآلة حرفة — ونحو ذلك مما لا غنى عنه — فان من عدم هذا القدر فهو الفقير المستحق للزكاة •• لأن الزكاة تؤخذ من الغنى المالك للنصاب •• وتعطى للفقير الذى لا يملك هذا القدر .

● واختلف علماء اللغة وأهل الفقه فى الفرق بين الفقير والمسكين •• فذهب يعقوب بن السكيت والقتبى ويونس بن حبيب الى أن الفقير أحسن حالا من المسكين •• وقالوا : ان الفقير الذى له بعض ما يكفيه •• والمسكين الذى لا شىء له ••

وعن مالك : الفقير المحتاج المتعفف •• والمسكين السائل ••

وعن محمد بن مسلمة : الفقير الذى له المسكن والخادم الى من هو أسفل •• والمسكين الذى لا مال له ••

---

(٩) رواه أبو داوود .

وقيل ان المسكين يدخل تحت وصف الفقير •• الا أن له صفة خاصة تميزه عن غيره من سائر الفقراء •• فهو الذى يتعفف عن السؤال ولهذا لا يفطن اليه الناس — عادة — لتجمله وتعففه ••

وواقع الأمر •• أنه لا فرق بين الفقراء والمساكين من حيث حاجتهم وفاقتهم •• ومن حيث استحقاقهم للزكاة ••

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان •• ولا اللقمة واللقمتان •• انما المسكين الذى يتعفف •• اقرأوا ان شئتم : **« لا يسألون الناس الحافا »**(١٠) ••

وفى رواية : « ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان •• والتمرة والتمرتان •• ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه •• ولا يفطن له فيتصدق عليه •• ولا يقوم فيسأل الناس »(١١) •

* * *

ولهذا قلنا : ان الاسلام لا يهدف من تشريع الزكاة الى اعطاء الفقير قروشا معدودة تسد حاجة وقتية له فى مناسبة معينة •• ثم يبقى بعد ذلك طيلة العام فى أدنى درجات السلم الاجتماعى •• فقيرا معدما •• ينتظر الاحسان من الناس والعون من الدولة ••

انما هدف الاسلام بتشريع الزكاة الى تحقيق مستوى لائق يعيشه الفرد الفقير •• مستوى يليق بوصفه انسانا كرمه الله وجعله خليفة له فى الأرض ، ويليق بوصفه مسلما ينتسب الى دين العدل والاحسان •• وينتمى الى أمة الاسلام التى فضلها الله على سائر الأمم وجعلها خير أمة أخرجت للناس ••

وذكرنا أن أدنى ما يتحقق به هذا المستوى الانسانى أن يتهيأ له ولأسرته طعام وشراب ملائمين •• وكسوة للشتاء وأخرى للصيف •• وأن يعيش وأسرته فى مسكن يكنه حر الصيف وبرد الشتاء •• فهذا هو أدنى مستوى ليكون الانسان انسانا(١٢) •

---

(١٠) البقرة : ٢٧٣ — (١١) رواه البخارى ومسلم .

(١٢) راجع ص ٥٨٩ من هذا الكتاب .

ويؤكد ما ذهبنا اليه .. ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث قال : « اذا أعطيتم — يعنى فى الصدقة — فأغنوا » ..

ويقول القاضى عبد الوهاب : لم يجد مالك لذلك حدا .. فانه قال : « يعطى من له المسكن والخادم والدابة التى لا غنى عنها » ..

ويدلنا حديث قبيصة رضى الله عنه أن المسألة تحل للفقير حتى يأخذ ما يقوم بعيشه ويستغنى به مدى حياته .. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بين فيه الحد الذى تقف عنده المسألة فقال : « ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه : لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش — أو قال : سدادا من عيش » ..

فحد المسألة أن يصيب الفقير قواما من عيش — أو سدادا من عيش — فاذا استقرت أموره لم تحل له المسألة ولا يعطى من مال الصدقة ..

بل انه عندما يجد كفايته ويملك النصاب المفروض للزكاة .. فانه سوف يكون بدوره موردا جديدا من موارد الزكاة .. فتؤخذ منه لتعطى للفقراء والمساكين .. وهكذا يدور المال دورته فى المجتمع .

● والعاملون عليها : هم الذين تعينهم الدولة لجمع الزكاة ويقومون بتحصيلها .. ويدخل فيهم الحفظة لها .. والرعاة للأنعام منها .. والكتبة لديوانها حتى لو كانوا من الأغنياء .. انما يجب أن يكونوا من المسلمين وألا يكونوا ممن تحرم عليهم الصدقة من آل الرسول صلى الله عليه وسلم .. وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب .. وما يحصلون عليه انما هو بمثابة الأجر لقيامهم بهذا العمل ..

● أما المؤلفة قلوبهم : فهم الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الاسلام أو تثبيتها عليه لضعف اسلامهم .. أو لكف شرهم عن المسلمين ..

وقد سقط الآن هذا السهم باعزاز الله لدينه ..

جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وعباس بن مرداس .. وطلبوا من أبى بكر رضى الله عنه نصيبهم — الذى كان يعطى لهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم — فكتب لهم به .. وجاءوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأعطوه الخط .. فأبى ومزقه وقال :

هذا شيء كان النبى صلى الله عليه وسلم يعطيكموه تأليفا لكم على الاسلام •• وأغنى الله عنكم •• فان ثبتم على الاسلام والا فبيننا وبينكم السيف : **« وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »**(١٣) •

فرجعوا الى أبى بكر رضى الله عنه فقالوا : الخليفة أنت أم عمر ؟ •• بذلت لنا الخط فمزقه عمر !! فقال أبو بكر رضى الله عنه : هو ان شاء •• قالوا : ان أبا بكر وافق عمر (رضى الله عنهما) •

وعلى هذا سار الأمر من بعد •• فلم ينقل عن عثمان أو على رضى الله عنهما أنهما أعطيا أحدا من سهم المؤلفة قلوبهم ••

● وسهم الرقاب : يخص المكاتبين والأرقاء •• فيعان المكاتبون بمال الزكاة لفك رقابهم من الرق •• ويشترى به العبيد ويعتقون •• ولم يبق اليوم عبيد أو أرقاء بعد أن انتهى أمر الرق ••

● والغارمون : هم الذين تحملوا الديون •• وتعذر عليهم أداءها •• وهم على أقسام •• فمنهم من تحمل حمالة •• أو ضمن دينا فلزمه •• فأجحف بماله •• أو استدان لحاجته الى الاستدانة •• أو فى معصية تاب منها •• فهؤلاء جميعا يأخذون من الزكاة ما يفى بديونهم ••

ويفسر العلماء الحمالة بأنها ما يتحمله الانسان عن غيره ويلزمه فى ذمته بالاستدانة •• ليدفعه فى اصلاح ذات البين ••

وقد كانت العرب اذا وقعت بينهم فتنة اقتضت غرامة فى دية أو غيرها •• قام أحدهم فتبرع بالتزام ذلك والقيام به •• حتى ترتفع تلك الفتنة ••

وهذا بلاشك من مكارم الأخلاق •• لذا كانوا يبادرون الى معاونة من يتحمل حمالة ويعطونه ما تبرأ به ذمته ••

وكان الغارم الذى يتحمل حمالة لا يعد سؤاله الناس فى المعاونة على أدائها نقصا فى قدره •• بل كان يعد ذلك فخرا •• اذ لا يشترط أن يكون عاجزا من الوفاء بها •• بل له السؤال والأخذ وان كان فى ماله الوفاء ••

---

(١٣) الكهف : ٢٩

● وفى سبيل الله : أى الطريق الموصل الى مرضاته من العلم والعمل •• والمراد هنا هو الغزو والجهاد •• وعلى هذا يعطى سهم « سبيل الله » للمتطوعين من الغزاة الذين ليس لهم راتب من الدولة •• فهؤلاء لهم سهم من الزكاة يعطونه •• سواء أكانوا من الأغنياء أم الفقراء ••

ولم يعد العلماء الحج من سبيل الله التى تصرف فيها الزكاة — لأن الحج مفروض على المستطيع دون غيره ••

ويقول الامام محمد عبده •• فى تفسير المنار : « **وفى سبيل الله** » وهو يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التى هى ملاك أمر الدين والدولة ••

وأولها — وأولاها بالتقديم — الاستعداد للحرب بشراء السلاح وأغذية الجند وأدوات النقل وتجهيز الغزاة ••

ولكن الذى يجهز به الغازى يعود بعد الحرب الى بيت المـــال — ان كان مما يبقى — كالسلاح والخيل وغير ذلك •• لأنه لا يملكه دائما بصفة الغزو التى قامت به •• بل يستعمله فى سبيل الله •• ويبقى بعد زوال تلك الصفة منه فى سبيل الله •• بخلاف الفقير والعامل عليها والغارم والمؤلف وابن السبيل •• فانهم لا يردون ما أخذوا بعد فقد الصفة التى أخذوا بها ••

ويدخل فى عمومه انشاء المستشفيات العسكرية •• وكذا الخدمة العامة •• واشراع الطرق •• ومنها بناء البوارج المدرعة •• والمناطيد •• والطيارات الحربية •• والحصون •• والخنادق ••

ومن أهم ما ينفق فى سبيل الله — فى زماننا هذا — اعداد الدعاة الى الاسلام •• وارسالهم الى بلاد الكفار •• من قبل جمعيات منظمة تمدهم بالمـــال الكافى كما يفعله الكفار فى نشر دينهم ••

ويدخل فيه النفقة على المدارس للعلوم الشرعية •• وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة ••

وفى هذه الحالة يعطى منها معلمو هذه المدارس •• ما داموا يؤدون وظائفهم الشرعية التى ينقطعون بها عن كسب آخر •• ولا يعطى عـــالم غنى لأجل علمه •• وان كان يفيد به الناس »[١٤] .

---

(١٤) تفسير المنار جـ ١٠ ص ٤٣٦ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ويرى الامام محمد عبده : « أنه يجوز الصرف من هذا السهم على تأمين طرق الحج •• وتوفير المـاء والغذاء •• وأسباب الصحة للحجاج ان لم يوجد لذلك مصرف آخر »[١٥] ••

● وابن السبيل : وهو المسافر المنقطع عن بلده بشرط أن يكون سفره فى طاعة أو فى غير معصية •• واتفق العلماء على أنه يعطى من الصدقة ما يستعين به على تحقيق مقصده •• اذا لم يتيسر له شىء من ماله نظرا لفقره العارض ••

هذه هى المصارف الثمانية للزكاة •• كما حددها الله •• فاذا سقط سهم فئة منهم لانعدامها وجب صرفها الى الأصناف الباقية ان وجدوا •• والا فللموجود منهم •• ولا يجوز ترك صنف منهم مع وجوده •• فى رأى الشافعى ••

واختصاص الزكاة بهذه الأصناف الثمانية لا يستلزم أن تكون موزعة بينهم على السوية •• فمن وجب عليه شىء من جنس الصدقة ووضعه فى جنس الأصناف فقد فعل ما أمره الله به •• وسقط عنه ما أوجبه الله عليه ••

وتحرم الزكاة على الكفرة والمـلاحدة •• وعلى آل البيت من بنى هاشم وبنى عبد المطلب •

ولا يجوز أعطاؤها للآباء والأجداد والأمهات والجدات •• ولا للأبناء والبنات وأبنائهم •• لأن نفقتهم واجبة عليــه •• كما لا يجوز اعطاؤها للزوجة •• لنفس السبب ••

انما يجوز أن تعطى الزوجة زكاتها لزوجها •• لتعينه على أعباء الحياة لأنه لا يجب عليها الانفاق عليــه •• أما اذا كان يستعين بما يأخذه منها على نفقتها فلا يجوز — فى رأى مالك — ويجوز ان كان يصرفه فى غير نفقتها ••

ويستحب اعطاء الزكاة للمستحقين من سائر الأقارب كالاخوة والأخوات والأعمام والأخوال والعمات والخالات لقول الرسول صلى الله عليــه وسلم : « الصدقة على المسكين صدقة •• وعلى ذى القرابة اثنتان : صلة وصدقة »[١٦] ••

---

(١٥) المصدر السابق ج ١٠ ص ٤٣٥

(١٦) رواه أحمد والنسائى والترمذى .

وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن زينب امرأة ابن مسعود قالت : يا نبى الله •• انك أمرت اليوم بالصدقة •• وكان عندى حلى فاردت ان اتصدق به فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم •• فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « صدق ابن مسعود •• زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم »(١٧) ••

ويجوز اعطاء طلبة العلم من الزكاة •• كما يجوز نقلها الى من يستحقها من بلد الى أخرى •• اذا استغنى أهل بلد المزكى عنها ••

***

* زكاة الفطر :

أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة •• على كل فرد مسلم •• صغيرا كان أم كبيرا •• ذكرا أم أنثى •• حرا أم عبدا •• طهرا للصائم مما يكون قد وقع فيه من اللغو والرفث •• ولتكون عونا للفقراء والمساكين ••

وتجب على المسلم الحر •• المالك لمقدار صاع من تمر أو شعير يزيد عن قوته وقوت عياله يوما وليلة •• يخرجها عن نفسه وعمن تلزمه نفقته من زوجة أو أبناء أو خدم •• وسائر من يتولى أمرهم ويقوم بالانفاق عليهم ••

فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين »(١٨) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث •• وطعمة للمساكين •• من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة •• ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات »(١٩) .

والواجب فيها صاع من قمح أو شعير أو تمر أو زبيب •• أو

---

(١٧) رواه البخارى .   (١٨) رواه البخارى ومسلم .

(١٩) رواه ابو داوود وابن ماجه والدارقطنى .

أقط أو أرز أو ذرة ونحوها •• مما يعتبر قوتا •• على تفصيل فى المذاهب ••

والصاع يساوى قدحا وثلث — أو قدحين — لأن الصاع أربعة أمداد والمد حفنة بكفى الرجل المعتدل الكفين •• والأقط هو اللبن المجفف الذى لم تنزع زبدته ••

ويجوز عن أبى حنيفة اخراج قيمتها نقودا ••

● وتجب زكاة الفطر فى آخر رمضان على تفصيل فى المذاهب •• على أن تكون قبل صلاة العيد لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة » •• ويجوز تعجيل اخراجها قبل العيد بيوم أو يومين •

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة •• وكان رضى الله عنه يؤديها قبل ذلك باليوم واليومين •• ويجوز عند أبى حنيفة تقديمها على شهر رمضان ••

ولا يجوز تأخيرها عن يوم العيد فى رأى أغلب الفقهاء •• كما أنها لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب •• بل تصير دينا فى ذمة من لزمته حتى تؤدى ولو فى آخر العمر ••

● ومصرف زكاة الفطر هو مصرف الزكاة المفروضة •• فتوزع على الأصناف الثمانية التى ذكرها الله تعالى فى مصارف الزكاة ••

ويجب صرفها فى سهم الفقراء والمساكين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقى والدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر وقال : « أغنوهم فى هذا اليوم » •• وفى رواية : « أغنوهم عن طواف هذا اليوم » ••

ويجوز عند الزهرى وأبى حنيفة ومحمد وابن شبرمة اعطاء الذمى من زكاة الفطر لقوله تعالى : **« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين »**(٢٠) •

---

(٢٠) الممتحنة : ٨

وقد كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم – فيما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما – « أجود الناس .. وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل .. وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن .. فلرسول الله صلى الله عليـه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة »[٢١] .

* * *

---

(٢١) متفق عليه .

صدقة التطوع

يقول الله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون »[١] .

ويقول تعالى : « وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ، وما للظالمين من أنصار • ان تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير • ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون • للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا ، وما تنفقوا من خير فان الله به عليم • الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[٢] .

ويقول جل شأنه : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب »[٣] .

عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى المال حقا سوى الزكاة » •• ثم تلا هذه الآية : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب »[٤] •• الى آخرها »[٥] .

---

(١) البقرة : ١٧٧
(٢) البقرة : ٢٧٠ — ٢٧٤
(٣) الحشر : ٧
(٤) البقرة : ١٧٧
(٥) أخرجه الدارقطنى .

وعن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء •• وأن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث •• ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » ••

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له •• ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » •• قال : فذكر من أصناف المـــال ما ذكر •• حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل ••

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت من فضول أموال الأغنياء •• فقسمتها على فقراء المهاجرين » •

وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول : « ان الله تعالى فرض على الأغنياء فى أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم •• فان جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء •• وحق على الله تعالى أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليـــه » •

ويقول الامام محمد عبده : « ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه المسلم أو لذمى •• لأنه يجب فرضا على صاحب الطعام اطعام الجائع •• فاذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر الى الميتة •• ولا الى لحم الخنزير •• وله أن يقاتل على ذلك •• فان قتل فعلى قاتله القود •• وان قتـــل المـــانع فالى لعنة الله •• لأنه منع حقا •• وهو من الطائفة الباغية » ••

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على كل مسلم صدقة » فقالوا : يا نبى الله •• فمن لم يجد ؟ قال : « يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق » قالوا : فان لم يجد ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قالوا : فان لم يجد ؟ قال : « فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر •• فانها له صدقة »[٦] ••

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « على كل نفس فى كل يوم طلعت فيه الشمس صدقة منه على نفسه » قلت : يا رسول الله •• من أين أتصدق ، وليس لنا أموال ؟

---

(٦) رواه البخارى .

قال : « ان من أبواب الصدقة : التكبير وسبحان الله ولا اله الا الله وأستغفر الله .. وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .. وتعزل الشوك عن طريق الناس والعظم والحجر .. وتهدى الأعمى .. وتسمع الأصم والأبكم حتى يفقه .. وتدل المستدل على حاجة له قد علمت مكانها .. وتسعى بشدة على ساقيك الى اللهفان المستغيث .. وترفع بشدة ذراعيك مع الضعيف .. كل ذلك من أبواب الصدقة منك على نفسك .. ولك فى جماع زوجتك أجر » ..

قالوا : يا رسول الله .. أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ .. قال : « أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر ؟ .. فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر »(٧) .

وروى أحمد ومسلم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من استطاع منكم أن يتقى النار فليتصدق ولو بشق تمرة .. فمن لم يجد فبكلمة طيبة » ..

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم .. مرضت فلم تعدنى .. قال : يا رب .. كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ .. أما لو عدته لوجدتنى عنده .. يا ابن آدم .. استطعمتك فلم تطعمنى . قال : يا رب .. كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه .. أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى .. يا ابن آدم .. استسقيتك فلم تسقنى . قال : يا رب .. كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ .. قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه .. أما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى »(٨) .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد والترمذى : « كل معروف صدقة .. ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق .. وأن تفرغ من دلوك فى انائه » ..

كما قال صلى الله عليه وسلم : « لا يغرس مسلم غرسا .. ولا يزرع زرعا فيأكل منه انسان ولا دابة ولا شىء الا كانت له صدقة »(٩) .

---

(٧) رواه أحمد ، والزيادة من (قالوا) عند مسلم .

(٨) رواه مسلم . (٩) رواه البخارى .

● وأولى الناس بالصدقة أولاد المتصدق وأهلـه وأقاربه •• ولا يجوز التصدق على اجنبى وهو محتاج الى ما يتصدق به لنفقته ونفقه عياله •• فقد قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم سيما يرويه الطبرانى والحاكم : « أفضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح » •• والكاشح هو الذى يضمر العداوة للشخص فاذا كانت على ذى الرحم المحب •• كان من باب أولى ••

فعن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كان احدكم فقيرا فليبدا بنفسه •• وان كان فضل فعلى عياله •• وان كان فضل فعلى ذوى قرابته — أو قال : ذوى رحمه — وان كان فضل فههنا وهنا »(١٠) ••

وروى أبو داوود والنسائى والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تصدقوا » •• فقال رجل : عندى دينار • قال : « تصدق به على نفسك » قال : عندى دينار آخر • قال : « تصدق به على زوجتك » قال : عندى دينار آخر • • قال : « تصدق به على ولدك » قال : عندى دينار آخر •• قال : « تصدق به على خادمك » •• قال : عندى دينار آخر • قال : « أنت به أبصر » ••

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأبو داوود : « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » ••

● بل ان الصدقة تجب على الحيوان الأعجم •• فقـد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش •• فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فاذا كلب يلهث الثرى من العطش •• فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش الذى كان قد بلغ منى •• فنزل البئر •• فملأ خفه ماء •• ثم أمسكه بفمه حتى رقى فسقى الكلب •• فشكر الله له ، فغفر له •• » قالوا : يا رسول الله •• وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : « فى كل كبد رطبة أجر » ••

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما كلب يطيف بركية •• قد كاد يقتله العطش •• اذ رأته بغى من بغايا بنى اسرائيل فنزعت موقها — أى خفها — فاستقت له به •• فسقته فغفر لها به »(١١) •

---

(١٠) رواه أحمد ومسلم .

(١١) رواه البخارى ومسلم .

● وتجوز الصدقة على غير المسلمين •• فعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : قدمت على أمى وهى مشركة فقلت يا رسول الله •• ان أمى قدمت على وهى راغبة •• أفأصلها ؟ •• قال : « نعم •• صلى أمك » ••

● وأفضل الصدقة هى الصدقة الجارية •• اذ بها يستمر عمل الانسان بعد موته •• فعن أحمد ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية •• أو علم ينتفع به •• أو ولد صالح يدعو له » •

● وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الصدقة تطفىء غضب الرب •• وتدفع ميتة السوء »(١٢) •

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان صدقة المسلم تزيد فى العمر •• وتمنع ميتة السوء •• ويذهب الله بها الكبر والفخر » •

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « صنائع المعروف تقى مصارع السوء •• والصدقة خفيا تطفىء غضب الرب •• وصلة الرحم تزيد فى العمر •• وكل معروف صدقة •• وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة •• وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة •• وأول من يدخل الجنة أهل المعروف » •

ولهذا حث الرسول صلى الله عليه وسلم •• على الاكثار من الصدقة ••

فعن حكيم بن حزام رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول •• وخير الصدقة عن ظهر غنى •• ومن يستعفف يعفه الله •• ومن يستغن يغنه الله »(١٣) ••

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق •• ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها »(١٤) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان ••

---

(١٢) رواه الترمذى .
(١٣) متفق عليه .
(١٤) متفق عليه .

فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا •• ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا »[15] •

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال : « قال الله تعالى : أنفق يا ابن آدم •• ينفق عليك »[16] •

وعن أبى أمامة صدى بن عجلان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « يا ابن آدم •• انك ان تبذل الفضل خير لك •• وان تمسكه شر لك •• ولا تلام على كفاف •• وابدأ بمن تعول •• واليد العليا خير من اليد السفلى »[17] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نقصت صدقة من مال •• وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا •• وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل »[18] •

وعن أبى كبشة عمر بن سعد الأنمارى رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة •• ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا •• ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر — أو كلمة نحوها — وأحدثكم حديثا فاحفظوه •• قال : انما الدنيا لأربعة نفر :

عبد رزقه الله مالا وعلما •• فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا •• فهذا بأفضل المنازل ••

وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا •• فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت بعمل فلان •• فهو ونيته فأجرهما سواء ••

وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما •• فهو يخبط فى ماله بغير علم •• لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا •• فهذا بأخبث المنازل ••

وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما •• فهو يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان •• فهو ونيته فوزرهما سواء »[19] •

---

(١٥) متفق عليه •

(١٦) متفق عليه •

(١٧) رواه مسلم •

(١٨) رواه مسلم •

(١٩) رواه الترمذى •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض .. فسمع صوتا فى سحابة : اسق حديقة فلان .. فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة .. فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك المـاء كله .. فتتبع المـاء فاذا رجل قائم فى حديقته يحول المـاء بمسحاته .. فقال له : يا عبد الله .. ما اسمك ؟ قال : فلان ــ للاسم الذى سمع فى السحابة ــ فقال له : يا عبد الله .. لم تسألنى عن اسمى ؟ .. فقال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان .. لاسمك .. فما تصنع فيها ؟ .. فقال : أما اذ قلت هذا .. فانى أنظر الى ما يخرج منها .. فأتصدق بثلثــه .. وآكل أنا وعيالى ثلثــا .. وأرد فيــها ثلثــه »[20] .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة .. واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم .. حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[21] .

* * *

● وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم المزكى أن يشترى زكاته حتى لا يرجع فيما تركه لله عز وجل .. فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حمل على فرس فى سبيل الله ــ أى أعطاه لرجل ليجاهد عليه ــ فوجده يباع .. فأراد أن يبتاعه .. فسأل رسول الله صلى الله عليــه وسلم عن ذلك .. فقال : « لا تبتعه .. ولا تعد فى صدقتك »[22] .

● ولا تجوز الصدقة من حرام .. ولا يقبلها الله .. لمـا رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها الناس .. ان الله طيب لا يقبل الا طيبا .. وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين .. فقال عز وجل : **« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليــم »**[23] وقال : **« يا أيها الذين آمنوا**

---

(٢٠) رواه مسلم . (٢١) رواه مسلم .
(٢٢) رواه الشيخان وابو داوود والنسائى .
(٢٣) المؤمنون : ٥١

كلوا من طيبات ما رزقناكم»[٢٤] .. ثم ذكر الرجل يطيل السفر .. أشعث أغبر يمد يديه الى السماء : يا رب .. يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام .. وغذى بالحرام فأنى يستجاب له » ..

* * *

ويقول الامام محمد عبده فى الصدقة[٢٥] : « وهذا الايتاء غير ايتاء الزكاة .. وهو ركن من أركان البر .. وواجب كالزكاة .. وذلك حيث تعرض الحاجة الى البذل فى غير وقت أداء الزكاة بأن يرى الواجد مضطرا بعد أداء الزكاة أو قبل تمام الحول .. وهو لا يشترط فيه نصاب معين .. بل هو على حسب الاستطاعة ..

فاذا كان لا يملك الا رغيفا .. ورأى مضطرا اليه — فى حال استغنائه عنه بأن لم يكن محتاجا اليه لنفسه أو لمن تجب عليه نفقته — وجب عليه بذله ..

وليس المضطر وحده هو الذى له الحق فى ذلك .. بل أمر الله تعالى المؤمن أن يعطى من غير الزكاة « **ذوى القربى** » وهم أحق الناس بالبر والصلة .. فان الانسان اذا احتاج — وفى أقاربه غنى — فان نفسه تتوجه اليه بعاطفة الرحم ..

ومن المغروز فى الفطرة : أن الانســان يألم لفاقة ذوى رحمه وعدمهم .. أشد مما يألم لفاقة غيرهم .. فانه يهــون بهوانهم .. ويعتز بعزتهم .. فمن قطع الرحم ورضى بأن ينعم وذوو قرباه بائسون .. فهو برىء من الفطرة والدين .. وبعيد عن الخير والبر .. ومن كان أقرب رحما .. كان حقه آكد وصلته أفضل ..

« **واليتــامى** » فانه لموت كافلهم تتعلق كفالتهم وكفايتهم بأهل الوجد واليسار من المسلمين .. كيلا تسوء حالهم .. وتفسد تربيتهم .. فيكونوا مصابا على أنفسهم وعلى الناس ..

« **والمساكين** » : فانهم لمــا قعد بهم العجز عن كسب ما يكفيهم وسكنت نفوسهم للرضا بالقليل عن مد كف الذليل وجبت مساعدتهم .. ومواساتهم على المستطيع ..

« **وابن السبيل** » : المنقطع فى السفر .. لا يتصل بأهل ولا قرابة .. كأن السبيل أبوه وأمه ورحمه وأهله .. وهــذا التعبير بمكان من اللطف .. لا يرتقى اليه سواه ..

---

(٢٤) البقرة : ١٧٢

(٢٥) تفسير المنار جـ ٢ ص ٩٤

وفى الأمر بمواساته واعانته فى سفره •• ترغيب من الشرع فى السياحة والضرب فى الأرض ••

« **والسائلين** » : الذين تدفعهم الحاجة العارضة الى تكفف الناس •• وأخرهم لأنهم يسألون •• فيعطيهم هذا وهذا •• وقد يسأل الانسان لمواساة غيره •• والسؤال محرم شرعا •• الا لضرورة يجب على السائل أن لا يتعداها ••

« **وفى الرقاب** » : أى فى تحريرها وعتقها •• وهو يشمل ابتياع الأرقاء وعتقهم •• واعانة المكاتبين على أداء نجومهم — أى أقساطهم — ومساعدة الأسرى على الافتداء ••

وفى جعل هذا النوع من البذل حقا واجبا فى أموال المسلمين دليل على رغبة الشريعة فى فك الرقاب •• واعتبارها أن الانسان خلق ليكون حرا — الا فى أحوال عارضة •• تقتضى المصلحة العامة فيها أن يكون الأسير رقيقا — وأخر هذا عن كل ما سبقه لأن الحاجة فى تلك الأصناف قد تكون لحفظ الحياة •• وحاجة الرقيق الى الحرية حاجة الى الكمال ••

ومشروعية البذل لهذه الأصناف من غير مال الزكاة •• لا تتقيد بزمن ولا بامتلاك نصاب محدود •• ولا يكون المبذول مقدارا معينا بالنسبة الى ما يملك •• ككونه عشرا أو ربع عشر أو عشر العشر مثلا •• وانما هو أمر مطلق بالاحسان موكول الى أريحية المعطى — بكسر الطاء — وحالة المعطى — بفتحها — •

ووقاية الانسان المحترم من الهلاك والتلف •• واجبة على من قدر عليها •• وما زاد على ذلك فلا تقدير له ••

وقد أغفل الناس أكثر هذه الحقوق العامة •• التى حث عليها الكتاب العزيز •• لما فيها من الحياة الاشتراكية المعتدلة الشريفة فلا يكادون يبذلون شيئا لهؤلاء المحتاجين الا القليل النادر لبعض السائلين •• وهم فى هذا الزمان أقل الناس استحقاقا •• لأنهم اتخذوا السؤال حرفة •• وأكثرهم واجدون » ••

* * *

● وكما حدثنا الامام ابن قدامة عن آداب دافع الزكاة[٢٦] •• يحدثنا هنا عن آداب القابض لها •• فيقول :

« لابد أن يكون آخذ الزكاة من الأصناف الثمانية •• وعليه فى ذلك وظائف •• الأولى : أن يفهم أن الله تعالى انما أوجب صرف الزكاة اليه ليكفيه ما أهمه •• ويجعل همومه هما واحدا فى طلب رضا الله عز وجل ••

الوظيفة الثانية : أن يشكر المعطى ويدعو له ويثنى عليه •• وليكن ذلك بمقدار شكر السبب •• فان من لم يشكر الناس لم يشكر الله •• كما ورد فى الحديث ••

ومن تمام الشكر أن لا يحتقر العطاء وان قل •• ولا يذمه •• ويغطى ما فيه من عيب •• وكما أن وظيفة المعطى الاستصغار ، فوظيفة الآخذ الاستعظام •• وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل •• فان من لا يرى الواسطة واسطة فهو جاهل •• وانما المنكر أن يرى الواسطة أصلا ••

الوظيفة الثالثة : أن ينظر فيما يعطاه •• فان لم يكن من حل لم يأخذه أصلا •• لأن اخراج مال الغير ليس بزكاة •• وان كان من شبهة تورع عنه •• الا أن يضيق عليه الأمر •• فمن كان أكثر كسبه حراما فأخرج الزكاة ولم يعرف لما أخرجه مالك معين •• كانت الفتوى فيه أن يتصدق به •• فيجوز لهذا الفقير أن يأخذ قدر حاجته عند ضيق الأمر عليه وعجزه عن الصافى •

الوظيفة الرابعة : أن يتوقى مواقع الشبه فى قدر ما يأخذ •• فيأخذ القدر المباح له •• ولا يأخذ أكثر من حاجته •• فان كان غارما لم يزد على مقدار الدين •• أو غازيا لم يأخذ الا مقدار ما يحتاج اليه •• وان أخذ بالمسكنة أخذ قدر حاجته دون ما يستغنى عنه •• وكل ذلك موكول الى اجتهاده •• والورع ترك ما يريب »[٢٧] •

ويقول فى صدقة التطوع : « وأما آدابها •• فنحو ما تقدم فى الزكاة •• واختلفوا : أيما أفضل للفقير •• أن يأخذ من الزكاة •• أو من الصدقة •• فقال قوم : من الزكاة أفضل •• وقال آخرون : من الصدقة أفضل ••

---

(٢٦) راجع ص ٥٩٦ من هذا الكتاب .

(٢٧) مختصر منهاج القاصدين ـ لابن قدامة ص ٣٢

وأما أفضل الصدقة •• فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليـــه وآله وسلم : أى الصدقة أفضل ؟ قال : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح •• تخشى الفقر وتأمل الغنى •• ولا تهمل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا •• ولفلان كذا •• وقد كان لفلان » أخرجاه فى الصحيحين »[٢٨] •

* * *

(٢٨) المصدر السابق ص ٣٤

كيف كان انفاق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابتـــه الـــكرام

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس •• وما سئل شيئا فمنعه •• وكان يرغب أهله وصحابته فى الانفاق فى سبيل الله •• والجود على الفقراء والمساكين •• ضاربا بنفسه المثل الأعلى فى البذل والانفاق •• فكان صلى الله عليـــه وسلم لأصحابه الأسوة الحسنة ••

عن عمر رضى الله عنه أن رجلا جاء الى رســول الله صلى الله عليـــه وسلم فسأله أن يعطيه فقال : « ما عندى ما أعطيك ولكن ابتع على شيئا فاذا جاءنى شىء قضيته » • فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله •• قد أعطيته فما كلفك الله ما لا تقدر عليه • فكره النبى صلى الله عليـــه وسلم قول عمر ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله •• أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا • فتبسم رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وعرف التبسم فى وجهه لقول الأنصارى وقال : « بهذا أمرت »[1] •

وعن جرير رضى الله عنه قال : كنا فى صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فجاءه قوم عراة حفاة مجتابى النمار أو العباء — أى لابسيها — متقلدى السيوف ، عامتهم من مضر بل كلهم من مضر • فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم — أى تغير وجهه — لما رأى ما بهم من الفاقة • فدخل ثم خرج فأمر بلالا رضى الله عنه فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : **« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة »**[2] الى آخر الآية **« ان الله كان عليـــكم رقيبا »**[2] ، والآية التى فى الحشر : **« اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد »**[3] تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمرة » • قال : فجاء رجل من الأنصار

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) النساء : ١
(٣) الحشر : ١٨

بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت . قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة — أى استنار كأنه مموه بالذهب — .

فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء »(٤) .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليــه وســلم وهو ســاهم الوجه فخشيت ذلك من وجع فقلت : يا رسول الله .. مالك ساهم الوجه ؟ فقال : « من أجل الدنانير السبعة التى أتينا بها أمس أمسينا وهى فى خصم الفراش » . وفى رواية : « أتتنا ولم ننفقها »(٥) ، وخصم الفراش — بضم الخاء وتسكين الصاد — جانبه وناصيته ، أى فى طياته .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : كانت عند رسول الله صلى الله عليــه وسلم سبعة دنانير وضعها عند عائشة رضى الله عنها . فلما كان عند مرضه قال : « يا عائشة .. ابعثى بالذهب الى على » ، ثم أغمى عليــه وشغل عائشة ما به حتى قال ذلك مرارا ، كل ذلك يغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشغل عائشة رضى الله عنها ما به ، فبعث الى على فتصدق بها .

وأمسى رسول الله صلى الله عليــه وسلم فى حديد الموت ليلة الاثنين فأرسلت عائشة رضى الله عنها بمصباح لها الى امرأة من نسائها فقالت : أهدى لنا فى مصباحنا من عكتك السمن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسى فى حديد الموت(٦) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتصدق بذهب كان عندنا فى مرضه . قالت : فأفاق ، قال : « ما فعلت » ؟ قلت : شغلنى ما رأيت منك . قال : « فهلم بها » قال : فجاءت بها اليه سبّعة — أو تسعة ، أبو حازم يشك — دنانير ، فقال حين جاءت بها : « ما ظن محمد لو لقى الله وهذه عنده وما تنفى هذا من محمد صلى الله عليه وسلم لو لقى الله وهذه عنده »(٧) .

---

(٤) رواه مسلم والنسائى .
(٥) رواه أحمد وابو يعلى .
(٦) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٧) رواه أحمد والبيهقى .

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله •• لقد أهمته الدنانير التى تبقت من الصدقة أن يلقى الله وهذه عنده •• وكأنه صلى الله عليه وسلم حين مات وهو يوصى بالصلاة وما ملكت أيماننا •• كان يوصينا بالزكاة أيضا •• فقرن الزكاة بالصلاة فى آخر يوم له من أيام الدنيا ••

ولقد كان أزواجه صلى الله عليه وسلم أجود النساء على الاطلاق •• ولا عجب فقد عشن فى بيت الرسول •• وتأثرن به •• رضى الله عليهن جميعا •• فقد كن حقا أمهات للمؤمنين ومعلمات لهم ••

فعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : ما رأيت امرأتين أجود من عائشة وأسماء — رضى الله عنهما — وجودهما مختلف ، أما عائشة فكانت تجمع الشىء الى الشىء حتى اذا كان اجتمع عندها قسمت ، أما أسماء فكانت لا تمسك شيئا لغد[8] •

وأخرج مالك فى الموطأ أنه بلغه عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها أن مسكينا سألها وهى صائمة وليس فى بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها : أعطيها اياه ، فقالت : ليس لك ما تفطرين عليه ، فقالت : أعطيها اياه • قالت : ففعلت • فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو انسان ما كان يهدى لنا شاة وكفتها — أى مطبوخة للأكل — فدعتنى عائشة رضى الله عنها فقالت : كلى من هذا • هذا خير من قرصك •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا » قالت : فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا ، قالت : وكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتتصدق • وفى طريق آخر : قالت عائشة رضى الله عنها : فكنا اذا اجتمعنا فى بيت احدانا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نمد أيدينا فى الجدار نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا فعرفنا حينئذ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انما أراد طول اليد بالصدقة ، وكانت زينب امرأة صناع اليدين فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به فى سبيل الله[9] •

* * *

---

(٨) رواه البخارى •

(٩) رواه الشيخان واللفظ لمسلم •

* من انفاق أبى بكر رضى الله عنه :

عن أسماء رضى الله عنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر رضى الله عنه احتمل أبو بكر ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم فانطلق بها معه قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة رضى الله عنه وقد ذهب بصره فقال : والله .. انى لأراه قد فجعلكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت .. انه قد ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : وأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة فى البيت الذى كان أبى يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت .. ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه فقال : لا بأس ، اذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم ، ولا والله .. ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك(١٠) .

وعن عمر رضى الله عنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أن نتصدق ، ووافق ذلك مالا عندى فقلت : اليوم أسبق أبا بكر رضى الله عنه ان سبقته يوما . فجئت بنصف مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أبقيت لأهلك » ؟ قلت : أبقيت لهم . قال : « ما أبقيت لهم » ؟ فقلت : مثله . وأتى أبو بكر بكل ما عنده . فقال : « يا أبا بكر .. ما أبقيت لأهلك » ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : لا أسبقه الى شىء أبدا(١١) .

وعن الحسن البصرى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها . قال : يا رسول الله .. هذه صدقتى ولله عز وجل عندى معاد . وجاء عمر رضى الله عنه بصدقته فأظهرها فقال : يا رسول الله .. هذه صدقتى ولى عند الله معاد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عمر .. وترت قوسك بغير وتر . ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما »(١٢) .

* * *

---

(١٠) رواه أحمد والطبرانى .
(١١) رواه أبو داوود والترمذى .
(١٢) رواه أبو نعيم فى الحلية .

* من انفاق عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

ابن عمر — رضى الله عنهما — قال : أصاب عمر بخيبر أرضا ، فأتى الى النبى صلى الله عليـــه وسلم ، فقال : أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه فكيف تأمرنى به ؟ قال : « ان شئت حبست أصلها ، وتصدقت بها » ، فتصدق عمر رضى الله عنه أنه لا تباع أصلها ، ولا توهب ، ولا تورث فى الفقراء والقربى والرقاب ، وفى سبيل الله والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه(١٣) .

وعن أسلم قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين .. هلك زوجى ، وترك صبية صغارا ، والله ما ينضجون كراعا ولا لهم زرع ولا ضرع ، وخشيت أن يأكلهم الضبع — أى السنة المجدبة — وأنا بنت خفاف ابن ايماء الغفارى رضى الله عنه وقد شهد أبى الحديبية مع النبى صلى الله عليـــه وسلم . فتوقف معها عمر ولم يمض ثم قال : مرحبا بنسب قريب . ثم انصرف الى بعير ظهير كان مربوطا فى الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطامه ثم قال : اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير . فقال رجل : يا أمير المؤمنين .. أكثرت لها ! فقال عمر : ثكلتك أمك .. شهد أبوها الحديبية مع النبى صلى الله عليه وسلم ، والله .. انى لأرى أبا هذه وأخاها وقد حاصرا حصنا زمانا فافتتحناه ، ثم أصبحنا نستفىء سهماننا فيه(١٤) .

* * *

* من انفاق عثمان بن عفان رضى الله عنه :

عن عبد الرحمن بن حباب السلمى رضى الله عنه قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم فحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها . قال : ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حث ، فقال عثمان رضى الله عنه : على مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها . قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده

---

(١٣) اخرجه الستة .
(١٤) رواه البخارى والبيهقى .

هكذا يحركها ــ وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجب : ما على عثمان ما عمل بعد هذا[١٥] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « من يشترى لنا بئر رومة فيجعلها صدقة للمسلمين سقاه الله يوم القيامة من العطش » ، فاشتراها عثمان بن عفان رضى الله عنه فجعلها صدقة للمسلمين[١٦] .

وعن بشير رضى الله عنه قال : لمــا قدم المهاجرون المدينة استنكروا المــاء ، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد ، فقال له رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « بعنيها بعين فى الجنة » . فقال : يارسول الله .. ليس لى ولا لعيالى غيرها ولا أستطيع . فبلغ ذلك عثمان رضى الله عنه فاشتراها بخمس وثلاثين ألف درهم . ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أتجعل لى مثل الذى جعلت له عينا فى الجنة ان اشتريتها ؟ قال : « نعم » . قال : قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين[١٧] .

***

* من انفاق على بن ابى طالب رضى الله عنه :

عن عبيد الله بن محمد ابن عائشة قال : وقف سائل على أمير المؤمنين على فقال للحسن ــ أو للحسين ــ رضى الله عنهم : اذهب الى أمك فقل لها : تركت عندك ستة دراهم فهات منها درهما . فذهب ثم رجع فقال : قالت : انما تركت ستة دراهم للدقيق . فقال على : لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ، قل لها : ابعثى بالستة دراهم ، فبعثت بها اليه فدفعها الى السائل . قال : فما حل حبوته حتى مر به رجل معه جمل يبيعه . فقال على : بكم الجمل ؟ قال : بمائة وأربعين درهما . فقال على : اعقله على أن نؤخرك بثمنه شيئا ، فعقله الرجل ومضى . ثم أقبل رجل فقال : لمن هذا البعير ؟ فقال على : لى . فقال : أتبيعه ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بمائتى درهم . قال : قد ابتعته . قال : فأخذ البعير وأعطاه المــائتين . فأعطى الرجل الذى أراد أن يؤخره مائة وأربعين درهما وجاء بستين

---

(١٥) رواه احمد .
(١٦) رواه ابن عدى وابن عساكر .
(١٧) رواه الطبرانى وابن عساكر .

درهما الى فاطمة رضى الله عنها فقالت : ما هذا ؟ قال : هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : « **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالهـا** »[18] .

* * *

* من انفاق عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه :

عن أنس رضى الله عنه قال : بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها اذ سمعت صوتا فى المدينة قالت : ما هذا ؟ قالوا : عير لعبد الرحمن ابن عوف قدمت من الشام تحمل كل شىء . قال : وكانت سبعمائة بعير . قال : فارتجت المدينة من الصوت . فقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا » . فبلغ ذلك عبد الرحمن ابن عوف فقال : لئن استطعت لأدخلنها قائما ، فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله[19] .

وعن الزهرى قال : تصدق عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه على عهد رسول الله صلى الله عليـه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألف ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلـة فى سبيل الله ، وكان عامة ماله من التجارة[20] .

* * *

* قصة رجل من الأنصار :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقال : انى مجهود ، فأرسل الى بعض نسائه فقالت : لا والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء . ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك ، حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء . فقال : « من يضيف هذا الليلة رحمه الله » ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يارسول الله . فانطلق به الى رحله فقال لامرأته : هل عندك شىء ؟ قالت : لا .. الا قوت صبيانى . قال : فعلليهم بشىء ،

---

(١٨) اخرجه العسكرى ـــ والآية من سورة الأنعام : ١٦٠ .
(١٩) رواه احمد وابو نعيم .   (٢٠) اخرجه ابو نعيم فى الحلية .

فاذا أرادوا العشاء فنوميهم ، فاذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل — وفى رواية : فاذا أهوى ليأكل فقومى الى السراج حتى تطفئيه . قال : فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين . فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما » . زاد فى رواية : فنزلت هذه الآية : **« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »**(٢١) .

* * *

* النهى عن الشح والبخل :

وكما حض الرسول صلى الله عليه وسلم أمته على البذل والانفاق .. فقد نهاهم عن الشح والبخل ..

فعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الظلم .. فان الظلم ظلمات يوم القيامة .. واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم .. حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »(٢٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما .. فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت — أو وفرت — على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره .. وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها .. فهو يوسعها فلا تتسع »(٢٣) .

ويقول الامام النووى : « والجنة الدرع .. ومعناه : أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه وتخفى رجليه وأثر مشيه وخطواته » ..

ومر بنا حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان .. فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا .. ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا » ..

---

(٢١) رواه البخارى ومسلم والنسائى — والآية من سورة الحشر : ٩

(٢٢) رواه مسلم . (٢٣) متفق عليه .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق » ..

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبدا » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاث مهلكات : شح مطاع .. وهوى متبع .. واعجاب المرء بنفسه » ..

وروى جابر رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لبنى سلمة : « من سيدكم » ؟ قالوا : جد بن قيس .. على أننا نبخله .. فقال : « وأى داء أدوأ من البخل ؟ .. بل سيدكم بشر ابن البراء بن معرور » .

وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى أعوذ بك من الجبن والبخل » ..

وعن سلمان الفارسى قال : اذا مات السخى قالت الأرض والحفظة : رب تجاوز عن عبدك فى الدنيا بسخائه .. واذا مات البخيل قالت : اللهم احجب هذا العبد عن الجنة .. كما حجب عبادك عما جعلت فى يديه من الدنيا ..

وقال بعض الحكماء : من كان بخيلا ورث ماله عدوه ..

ووصف أعرابى رجلا فقال : لقد صغر فى عينى لعظم الدنيا فى عينه ..

وذم آخر قوما فقال : يصومون عن المعروف ويفطرون على الفواحش ..

* * *

ويقول ابن قدامة المقدسى[٢٤] : « اعلم أن السخاء والبخل درجات .. فأرفع درجات السخاء الايثار .. وهو أن تجود بالمال مع الحاجة اليه ..

---

(٢٤) مختصر منهاج القاصدين ص ١٨١

وأشد درجات البخل أن يبخل الانسان على نفسه مع الحاجة .. فكم من بخيل يمسك المــال ويمرض فلا يتداوى .. ويشتهى الشهوة فيمنعه منها البخل ..

فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة .. وبين من يؤثر على نفسه مع الحاجة .. فالأخلاق عطايا يضعها الله عز وجل حيث يشاء » ..

* * *

عقوبة تارك الزكاة

يقول الله تعالى : **« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »**(١) •

ويقول تعالى : **« كل نفس بما كسبت رهينة • الا أصحاب اليمين • فى جنات يتساءلون • عن المجرمين • ما سلككم فى سقر • قالوا لم نك من المصلين • ولم نك نطعم المسكين • وكنا نخوض مع الخائضين • وكنا نكذب بيوم الدين • حتى أتانا اليقين • فما تنفعهم شفاعة الشافعين »**(٢) •

ويقول جل شأنه : **« وويل للمشركين • الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون »**(٣) •

ويقول : **« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير »**(٤) •

ويقول جل وعلا : **« انما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم • فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »**(٥) •

ويقول : **« وأما من بخل واستغنى • وكذب بالحسنى • فسنيسره للعسرى • وما يغنى عنه ماله اذا تردى »**(٦) •

أجمع الفقهاء على أن الزكاة من الفرائض التى افترضها الله على الناس •• وأنها ضرورة من ضروريات الدين •• بحيث لو أنكر أحد وجوبها خرج عن الاسلام •• وقتل كفرا •• الا اذا كان حديث عهد بالاسلام •• فانه يعذر لجهله بأحكامه ••

---

(١) التوبة : ٣٤ ، ٣٥
(٢) المدثر : ٣٨ — ٤٨
(٣) فصلت : ٦ ، ٧
(٤) آل عمران : ١٨٠
(٥) التغابن : ١٥ ، ١٦
(٦) الليل : ٨ — ١١

أما من امتنع عن أدائها — مع اعتقاده وجوبها — فانه يأثم بامتناعه دون أن يخرجه ذلك عن الاسلام •• وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهرا ويعزره •• ولا يأخذ من ماله أزيد منها ••

الا عند أحمد والشافعى فى القديم •• فانه يأخذها منه ، ونصف ماله عقوبة له •• ويلحق به من أخفى ماله ومنع الزكاة ثم انكشف أمره للحاكم ••

ولو امتنع قوم عن أدائها — مع اعتقادهم وجوبها •• وكانت لهم قوة ومنعة — فانهم يقاتلون عليها حتى يعطوها •• لما رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله •• وأن محمدا رسول الله •• ويقيموا الصلاة •• ويؤتوا الزكاة •• فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام •• وحسابهم على الله »[٧] •

وقد قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانعى الزكاة •• وقال : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة •• فان الزكاة حق المال •• والله لو منعونى عناقا — وقيل : عقالا — كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها » ••

والعناق هى الأنثى من المعز التى لم تبلغ سنة •• والعقال : هو الحبل الذى يعقل به البعير •

❋ ❋ ❋

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع — أى ثعبانا ذهب شعره من كثرة السم — له زبيبتان — أى نكتتان سوداوان فوق عينيه — يطوقه يوم القيامة •• ثم يأخذ بلهزمتيه — يعنى شدقيه — ثم يقول له : أنا كنزك •• أنا مالك » ••

ثم تلا هذه الآية : **« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »**[٨] •

---

(٧) فقه السنة — المجلد الاول ص ٢٥١ ، ٢٥٢

(٨) رواه البخارى ومسلم — والآية من سورة آل عمران : ١٨٠

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة •• لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار •• فأحمى عليــها فى نار جهنم •• فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره •• كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة •• حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله •• اما الى الجنة واما الى النار » •

قيل : يا رسول الله •• فالابل ؟

قال : « ولا صاحب ابل لا يؤدى منها حقها •• ومن حقها حلبها يوم وردها •• الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر — أى أرض منخفضة لينة — أوفر ما كانت •• لا يفقد منها فصيلا واحدا •• تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها •• فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة •• حتى يقضى بين العباد •• فيرى سبيله •• اما الى الجنة واما الى النار » •

قيل : يا رسول الله •• فالبقر والغنم ؟

قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها •• الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر •• لا يفقد منها شيئا •• ليس فيها عقصاء وجلحاء ولا عضباء — أى ملتوية القرنين أو عديمة القرن أو مكسورته — تنطحه بقرونهـا وتطؤه بأظلافهـا •• كلما مر عليــه أولاها رد عليه أخراها •• فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد •• فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » ••

قيل : يا رسول الله •• فالخيل ؟

قال : « الخيل ثلاثة : هى لرجل وزر •• وهى لرجل ستر •• وهى لرجل أجر •• فأما التى هى له وزر : فرجل ربطها رياء وفخرا ونواء — أى اعتداء — على حق الاسلام •• فهى له وزر •

وأما التى هى له ستر : فرجل ربطها فى سبيل الله •• ثم لم ينس حق الله فى ظهرها ولا رقابها •• فهى له ستر •

وأما التى هى له أجر : فرجل ربطها فى سبيل الله لأهل الاسلام فى مرج أو روضة •• فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شىء الا كتب

له عدد ما أكلت حسنات •• وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات •• ولا تقطع طولها — أى المرج — فاستنت شرفا أو شرفين الا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات •• ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ، ولا يريد أن يسقيها الا كتب الله له عدد ما شربت حسنات » ••

قيل : يا رسول الله •• فالحمر ؟

قال : ما أنزل على فى الحمر شىء •• الا هذه الآية الفاذة الجامعة : **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »**[٩] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط •• وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله تعالى من ماله •• وفقير فخور »[١٠] •

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا معشر المهاجرين •• خصال خمس ان ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن •• لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يلعنوا بها الا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم •• ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين — أى بالفقر — وشدة المؤنة وجور السلطان •• ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا •• ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فيأخذ بعض ما فى أيديهم •• وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم »[١١] •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « خمس بخمس » •• قالوا : يا رسول الله •• وما خمس بخمس ؟

قال : « ما نقض قوم العهد الا سلط عليهم عدوهم •• وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر •• وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت •• ولا طففوا المكيال والميزان الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين •• ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر »[١٢] •

---

(٩) متفق عليه .. وهذا لفظ مسلم ، والآية من سورة الزلزلة : ٧ ، ٨

(١٠) رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما — والفقير الفخور : هو المتكبر .

(١١) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقى .

(١٢) رواه الطبرانى والمنذرى .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى فى مانعى الزكاة :
« يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم »
قال : لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم •• ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته ••

ويقول الامام الذهبى فى الكبائر : « فان قيل : لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكى ؟ قيل : لأن الغنى البخيل اذا رأى الفقير عبس فى وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبيه •• فاذا قرب منه ولى بظهره •• فعوقب بكى هذه الأعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل » ••

وعن الأحنف بن قيس رضى الله عنه قال : جلست الى ملأ من قريش •• فجاء رجل — هو أبو ذر رضى الله عنه — خشن الشعر والثياب والهيئة •• حتى قام عليهم فسلم ثم قال : بشر الكانزين برضف — أى حجر — يحمى عليه من نار جهنم •• ثم يوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه — أى أعلاه — ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فيتزلزل ••

ثم ولى فجلس الى سارية •• وتبعته وجلست اليه وأنا لا أدرى من هو •• فقلت : لا أرى القوم الا كرهوا الذى قلت ؟ !

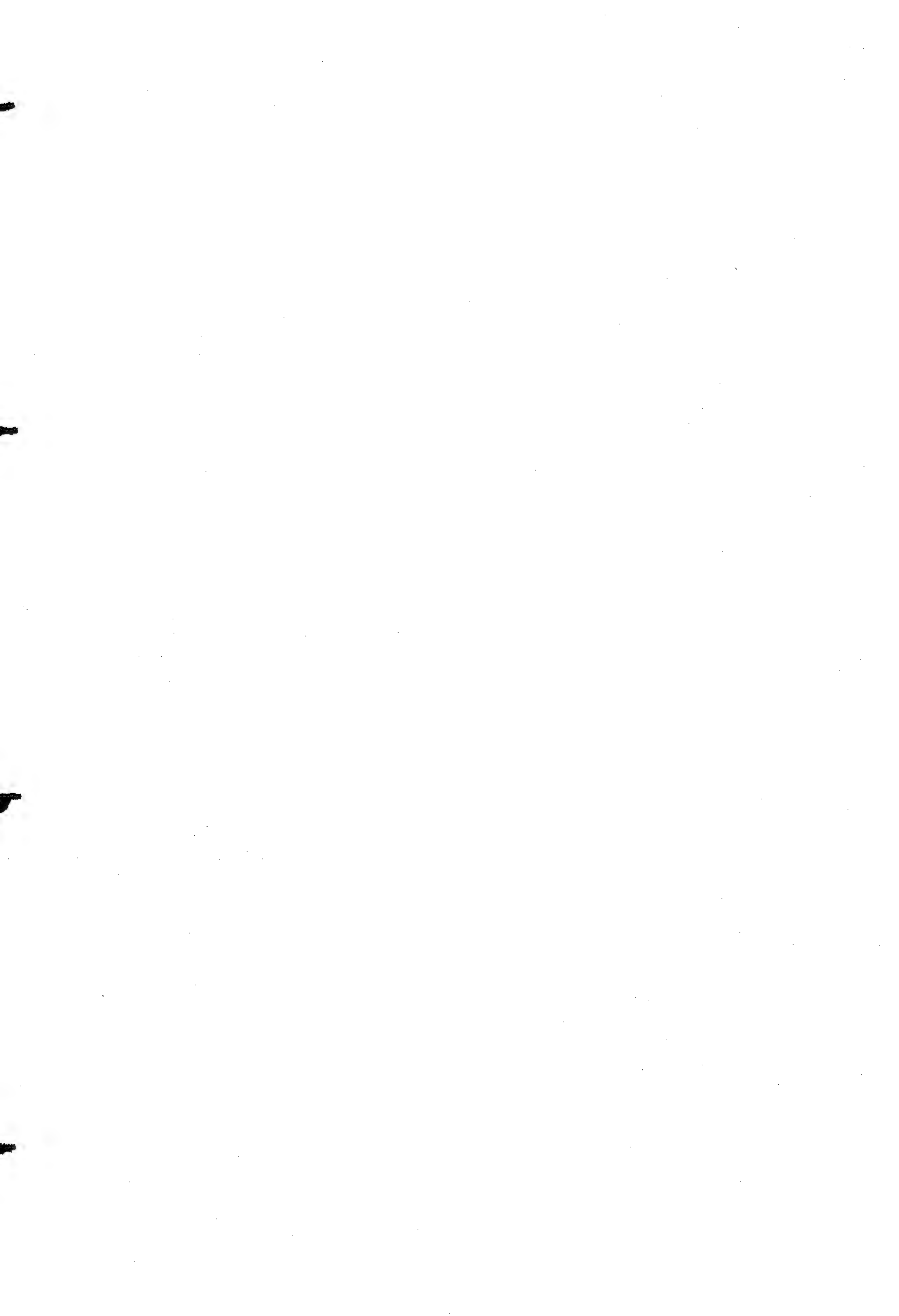
قال : انهم لا يعقلون شيئا •• قال لى خليلى •••• قلت : من خليلك ؟ قال : النبى صلى الله عليه وسلم •• قال : « أتبصر أحدا » ؟ •• قال : فنظرت الى الشمس ما بقى من النهار •• وأنا أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسلنى فى حاجة له •• قلت : نعم •• قال : « ما أحب أن لى مثل « أحد » ذهبا أنفقه كله الا ثلاثة دنانير » •• وان هؤلاء لا يعقلون •• انما يجمعون الدنيا •• لا والله لا أسألهم دنيا •• ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله عز وجل ••

* * *

الفصل السابع

الأمر بالمعروف .. والنهى عن المنكر

* مجتمع فضائل
* فى الأمر بالمعروف ·· والنهى عن المنكر
* فى الآمر بالمعروف ·· والناهى عن المنكر
* من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام
* من هدى السلف الصالح
* الى الذين يقولون ما لا يفعلون



مجتمع فضائل

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه .. فيما يقصه علينا القرآن الكريم : **« يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ، ان ذلك من عزم الأمور »** ..

ويقول الله تعالى : **« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون »**(١) .

ويقول : **« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »**(٢) .

ويقول : **« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »**(٣) .

ويقول جل شأنه : **« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم »**(٤) .

ويقول : **« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »**(٥) .

ويقول جل وعلا : **« وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »**(٦) .

ويقول تعالى : **« فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »**(٧) .

ويقول : **« فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون »**(٨) .

* * *

الاسلام .. هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده ..

يقول تعالى : **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »**(٩) .

---

(١) آل عمران : ١٠٤
(٢) آل عمران : ١١٠
(٣) الأعراف : ١٩٩
(٤) التوبة : ٧١
(٥) المائدة : ٧٨ ، ٧٩
(٦) الكهف : ٢٩
(٧) الحجر : ٩٤
(٨) الأعراف : ١٦٥
(٩) المائدة : ٣

ويروى أن ابن عباس رضى الله عنهما قرأ هذه الآية وعنده يهودى .. فقال اليهودى : لو أنزلت هذه الآية علينا فى يوم لاتخذناه عيدا .. فقال ابن عباس : فانها نزلت فى عيدين اتفقا فى يوم واحد .. يوم جمعة وافق ذلك يوم عرفة[10] .

ذلك أن هذه الآية نزلت فى حجة الوداع .. فى السنة العاشرة للهجرة .. والنبى صلى الله عليه وسلم بعرفات على ناقته العضباء ..

لقد كمل الدين .. وتمت النعمة .. وارتضى الله تعالى لنا دين الاسلام ..

ولا يكمل الدين — أى دين — الا اذا وضع لأتباعه الأسس التى يبنون عليها مجتمعاتهم .. ويوضح لهم النهج السليم الذى يأخذ بأيديهم نحو المجتمع الفاضل .. فاذا هم بنوا على هذه الأسس .. واتبعوا هذا النهج ضمنوا الخير فى الدنيا والآخرة ..

والاسلام .. الذى ارتضاه الله تعالى لنا .. جاء بالفضائل كلها ليقوم من أخلاق الناس .. ويرشدهم الى الطريق السليم لسعادة الدارين .. واستطاع بذلك فى فترة وجيزة من عمر الزمن أن يحول المجتمع الجاهلى الممزق .. الى مجتمع متدين متماسك ..

وما نجح الاسلام فى ذلك الا لحضه على العدل والتراحم .. ودعوته الى الأخوة والمحبة .. ونهيه عن الظلم والبغى .. ونبذه للشقاق والتنابز ..

فمجتمع الاسلام يدعو الى الخير ويدل على الهدى :

« من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا .. ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »[11] .

مجتمع الاسلام .. يحض على التعاون والبر والتقوى :

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب »[12] .

مجتمع الاسلام .. يأمر بالتناصح ويدعو الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : « الدين النصيحة » .. قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم »[13] .

---

(١٠) أسباب النزول للنيسابورى ص ١٢٧

(١١) رواه مسلم . (١٢) المائدة : ٢ (١٣) رواه مسلم .

« بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره •• وعلى أثرة فينـا •• وعلى أن لا ننازع الأمر أهله الا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان •• وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم »[١٤] •

مجتمع الاسلام •• مجتمع متحاب تسوده العدالة والتراحم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[١٥] •

« اتقوا الظلم •• فان الظلم ظلمات يوم القيامة •• واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم •• حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[١٦] •

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[١٧] •

مجتمع الاسلام •• يعظم حرمات المسلمين ويستر عوراتهم : « المسلم أخو المسلم •• لا يظلمه ولا يسلمه •• من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته •• ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة •• ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »[١٨] •

« لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الا ستره الله يوم القيامة »[١٩] •

مجتمع الاسلام •• يشفق على الضعيف ويرحم المسكين ويكفل اليتيم :

« ابغونى الضعفاء •• فانما تنصرون وترزقون بضعفائكم »[٢٠] •

« الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله »[٢١] •

« أنا وكافل اليتيـم فى الجنـة هكذا » — وأشـار بالسبابة والوسطى[٢٢] •

مجتمع يحرم الغش والخديعة •• ويعاقب على الكذب والخيانة •• ويدين الغصب والعدوان : « من حمل علينا السلاح فليس منا •• ومن غشنا فليس منا »[٢٣] •

---

(١٤) متفق عليه .
(١٥) متفق عليه .
(١٦) رواه مسلم .
(١٧) متفق عليه .
(١٨) متفق عليه .
(١٩) رواه مسلم .
(٢٠) رواه ابو داوود .
(٢١) متفق عليه .
(٢٢) رواه البخارى .
(٢٣) رواه مسلم .

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا •• ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها : اذا اؤتمن خان •• واذا حدث كذب •• واذا عاهد غدر •• واذا خاصم فجر »[٢٤] .

« ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر •• ورجل باع حرا فأكل ثمنه •• ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره »[٢٥] .

« لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا •• ولا يبع بعضكم على بيع بعض •• وكونوا عباد الله اخوانا •• المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله •• التقوى ههنا ـ ويشير الى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم •• كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه »[٢٦] .

مجتمع شعاره : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده •• والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »[٢٧] .

مجتمع قوامه : « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا •• وكونوا عباد الله اخوانا •• ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »[٢٨] .

مجتمع أبرز سماته : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما •• وأن يحب المرء لا يحبه الا لله •• وأن يكره أن يعود الى الكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار »[٢٩] .

سئلت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : « كان خلق نبى الله صلى الله عليه وسلم القرآن »[٣٠] .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم المعلم الأول للمجتمع الاسلامى •• وكان الأسوة والقدوة لأمته •• فلا عجب أن كان قرآنا يمشى على قدمين ••

* * *

---

(٢٤) متفق عليه .

(٢٥) رواه البخارى

(٢٦) رواه مسلم .

(٢٧) متفق عليه .

(٢٨) متفق عليه .

(٢٩) متفق عليه .

(٣٠) رواه مسلم .

ولقد ظل المسلمون بخير ما تمسكوا بهذه الفضائل وحرصوا عليها ..

فلما أعرض الناس عن هذه الفضائل وأغفلوها .. أصابهم ما أصاب الأمم من تفكك وضياع ..

وحين تصل الأمور بالناس الى هذا الحد .. يصبح انبعاث فئة من المؤمنين للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أمرا ضروريا .. حتى تظل الأمة الاسلامية كما وصفها الله تعالى : خير أمة أخرجت للناس .. تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ..

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. من أهم الواجبات الدينية .. اذ لو كف الناس عن التناصح لانمحت معالم الدين .. وعم الناس الفساد .. وضاعت الحقوق .. وتلاشت المجتمعات .. وتهاوت الأمم ..

ولقد بعث الله تعالى النبيين للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. ولهذا أوجبه تعالى على المؤمنين .. واعتبر الاسلام الساكت عن الحق شيطان أخرس ..

ومن رحمة الله تعالى بالناس أنه لم يفرض هذا الواجب على جميع المسلمين فتلتزم الأمة كلها به .. بل جعله فرض كفاية .. اذا قام به البعض سقط عن باقى الأمة .. فقال تعالى : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** »(٣١) .

لذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم حين يشبه المجتمع .. فانه يشبهه بقوم ركبوا سفينة تمخر بهم عباب البحر .. وكان بعضهم فى السفل منها والبعض الآخر فى أعلاها .. فاذا قال الذين فى أسفل السفينة : اننا نؤذى أصحابنا بالمرور عليهم كلما أردنا التزود بالماء .. فلو خرقنا فى نصيبنا خرقا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا .. ماذا يكون حال الركاب جميعا لو تركوهم يفعلون ذلك ؟ ..

لا شك أن السفينة كلها سوف تغرق .. وأن الجميع سوف يهلكون ..

أما اذا منعوهم عن هذا الفعل .. وأخذوا على أيديهم .. فان السفينة سوف تنجو وتصل بهم جميعا الى بر الأمان ..

هكذا يكون حال المجتمع .. وعلى هذا تكون أحوال أفراده ..

---

(٣١) آل عمران : ١٠٤

فالعقيدة الدينية هى السفينة التى تحمل الناس الى بر النجاة •• وولاة الأمر من حكام وعلماء ورجال دين هم الذين بأعلى السفينة •• وسائر الناس فى أسفلها ••

وعلى ولاة الأمر ورجال الوعظ والارشاد أن يحولوا دون انثلام العقيدة •• وذلك يكون بالوعظ والارشاد •• والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• بالحكمة والموعظة الحسنة •• لأن العقيدة متى انثلمت لا يلبث الخرق أن يتسع ولا يجدى فيه ترقيع •• وعندئذ يهلك المجتمع كله ببعده عن تعاليم الدين •• واعراضه عن عقيدته التى ارتضاها الله له ••

ومن هنا كان ضروريا فى كل مجتمع أن يتصدى بعض أفراده للباطل •• يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر •• فينصحون الغافل ويزجرون العاصى •• والا هلك المجتمع كله ••

ولم يكلف الشارع الناس من أمرهم عسرا •• فقد أسند الى قوم تغيير المنكر بأيديهم وهم الحكام •• ولآخرين تغييره باللسان وهم العلماء وأصحاب الرأى من رجال الدين والوعاظ ••

أما بقية المجتمع ممن لا يملكون حيلة ولا يستطيعون سبيلا •• فان تغييرهم للمنـــكر يكون بقلوبهم •• فيعرضون عن أصحابه •• ويسألون الله الهداية لهم •• والتوفيق لولاة الأمر فى ازالته ••

أما لو رأى الناس المنكر •• فلم يغيروه بأيديهم •• أو بألسنتهم •• أو بقلوبهم — وهو أضعف الايمان — فان الله تعالى سوف يعمهم بعذاب من عنده •• ويمكن شرارهم من امتلاك أمورهم وتدبير شئونهم ••

وعندئذ لن ينفع الدعاء أو الوعظ أو الارشاد •• فان الناس لن يستجيبوا لدعائهم أو يغيروا من واقعهم •• بعد أن أصبح الفساد أمرا عاديا ألفه الناس فى حياتهم •• وتعودوا عليه وعايشوه ••

فاذا وصل الناس الى هذا الحال •• انمحت معالم الدين •• وضاعت الحقوق وتهاوت الأمم •• يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم •• فقد تودع منهم »••

* * *

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده .. فان لم يستطع فبلسانه .. فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان »[٣٢] .

وفى رواية : « من رأى منكرا فغيره بيده فقد برىء .. ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء .. ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء .. وذلك أضعف الايمان » .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له فى أمته حواريون وأصحاب .. يأخذون بسنته ويقتدون بأمره .. ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون .. ويفعلون ما لا يأمرون .. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن .. ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن .. ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن .. وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »[٣٣] .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أول ما دخل النقص على بنى اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا .. اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك .. ثم يلقاه من الغد وهو على حاله .. فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده .. فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوبهم بعضهم ببعض » ثم قال :
« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون »[٣٤] .

ثم قال : « كلا .. والله لتأمرن بالمعروف .. ولتنهون عن المنكر .. ولتأخذن على يد الظالم .. ولتأطرنه على الحق أطرا .. ولتقصرنه على

---

(٣٢) رواه مسلم . (٣٣) رواه مسلم .
(٣٤) المائدة : ٧٨ — ٨١

الحق قصرا •• أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض •• ثم ليلعنكم كما لعنهم »[٣٥] •

وعن أم المؤمنين أم سلمة ــ هند بنت أبى أمية ــ رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليـــه وسلم أنه قال : « انه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون •• فمن كره فقد برىء •• ومن أنكر فقد سلم •• ولكن من رضى وتابع » •

قالوا : يا رسول الله •• ألا نقاتلهم ؟

قال : « لا •• ما أقاموا فيكم الصلاة »[٣٦] •

والمعنى أن من كره بقلبه ولم يستطع انكارا بيد ولا لسان فقد برىء من الاثم وأدى وظيفته •• ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية •• ومن رضى بفعلهم وتابعهم فهو العاصى ••

وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليـــه وسلم دخل عليها فزعا يقول : « لا اله الا الله •• ويل للعرب من شر قد اقترب •• فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » ــ وحلق باصبعيه الابهام والتى تليها ــ فقلت : يا رسول الله •• أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم •• اذا كثر الخبث »[٣٧] •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر »[٣٨] •

وعن طارق بن شهاب البجلى رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليـــه وسلم : أى الجهاد أفضل ؟ قال : « كلمة حق عند سلطان جائر »[٣٩] •

وروى الترمذى والحاكم عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـــه وسلم قال : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب •• ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله » •

وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـــه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف •• ولتنهون عن المنكر •• أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه •• ثم تدعونه فلا يستجاب لـــكم »[٤٠] •

---

(٣٥) رواه ابو داوود والترمذى •
(٣٦) رواه مسلم •
(٣٧) متفق عليه •
(٣٨) رواه ابو داوود والترمذى •
(٣٩) رواه النسائى •
(٤٠) رواه الترمذى •

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها .. كمثل قوم استهموا على سفينة .. فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها .. وكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من المـاء مروا على من فوقهم .. فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا .. فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا .. وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجو جميعا »[٤١] .

يقول الامام النووى : « القائم فى حدود الله .. معناه : المنكر لها القائم فى دفعها وازالتها .. والمراد بالحدود : ما نهى الله عنه » ..

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والجلوس فى الطرقات » فقالوا : يا رسول الله .. مالنا من مجالسنا بد .. نتحدث فيها ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه » .. قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « غض البصر .. وكف الأذى .. ورد السلام .. والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »[٤٢] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على كل ميسم من الانسان صلاة كل يوم » .. فقال رجل من القوم : هذا من أشد ما أنبأتنا به . قال : « أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صلاة .. وانحاؤك القذى عن الطريق صلاة .. وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صلاة »[٤٣] .

وعن أبى ذر رضى الله عنه أن أناسا قالوا : يا رسول الله .. ذهب أهل الدثور بالأجور .. يصلون كما نصلى .. ويصومون كما نصوم .. ويتصدقون بفضول أموالهم .. قال : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به .. ان بكل تسبيحة صدقة .. وكل تكبيرة صدقة .. وكل تحميدة صدقة .. وكل تهليلة صدقة .. وأمر بمعروف صدقة .. ونهى عن منكر صدقة »[٤٤] .

---

(٤١) رواه البخارى .
(٤٢) متفق عليه .
(٤٣) رواه ابن خزيمة .
(٤٤) رواه مسلم .

وعن أبى كثير السحيمى عن أبيه قال : سألت أبا ذر قلت : دلنى على عمل اذا عمل العبد به دخل الجنة • قال : سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤمن بالله واليوم الآخر » • قلت : يا رسول الله •• ان مع الايمان عملا • قال : « يرضخ مما رزقه الله » • قلت : يا رسول الله •• أرأيت ان كان فقيرا لا يجد ما يرضخ به ؟ قال : « يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » قال : قلت : يا رسول الله •• أرأيت ان كان عييا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟ قال : « يصنع لأخرق » • قال : أرأيت ان كان أخرق لا يستطيع أن يصنع شيئا ؟ قال : « يعين مغلوبا » •• قال : أرأيت ان كان لا يستطيع أن يعين مغلوبا ؟ قال : « ما تريد أن يكون فى صاحبك من خير ؟ •• يمسك عن أذى الناس » فقلت : يا رسول الله •• اذا فعل ذلك دخل الجنة ؟ قال : « ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء الا أخذت بيده حتى تدخله الجنة »(٤٥) •

وروى عن ذرة بنت أبى لهب رضى الله عنهـا قالت : قلت : يا رسول الله •• من خير الناس ؟ قال : « أتقاهم للرب عز وجل •• وأوصلهم للرحم •• وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر »(٤٦) •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « لا تزال لا اله الا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة •• ما لم يستخفوا بحقها » • قالوا : يا رسول الله •• وما الاستخفاف بحقها ؟ قال : « يظهر العمـل بمعاصى الله فلا ينـكر ولا يغير »(٤٧) •

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا •• فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء •• وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين •• على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنـة ما دامت السموات والأرض •• والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا ــ أى مائلا منكوسا ــ لا يعرف معروفا ولا ينـكر منـكرا الا ما أشرب من هواه »(٤٨) •

---

(٤٥) رواه الطبرانى وابن حبان والحاكم •

(٤٦) رواه ابو الشيخ والبيهقى •

(٤٧) رواه الأصبهانى •

(٤٨) رواه مسلم •

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : « أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير : أوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم •• وأوصانى أن أقول الحق وان كان مرا »[49] .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « تبسمك فى وجه أخيك صدقة •• وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة »[50] .

وعن عرس بن عميرة الكندى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليـــه وسلم قال : « اذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها وكرهها ــ وفى رواية : فأنكرها ــ كمن غاب عنها •• ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها »[51] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـــه وسلم قال : « الاسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئا •• وتقيم الصلاة •• وتؤتى الزكاة •• وتصوم رمضان •• والحج •• والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• وتسليمك على أهلك •• فمن انتقص شيئا منهن فهو سهم من الاسلام يدعه •• ومن تركهن فقد ولى الاسلام ظهره »[52] .

وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـــه وسلم : « الاسلام ثمانية أسهم : الاسلام سهم •• والصلاة سهم •• والزكاة سهم •• والصوم سهم •• وحج البيت سهم •• والأمر بالمعروف سهم •• والنهى عن المنكر سهم •• والجهاد فى سبيل الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له »[53] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : دخل النبى صلى الله عليـــه وسلم فعرفت فى وجهه أن قد حضره شىء •• فتوضأ وما كلم أحدا •• فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول •• فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : « يا أيها الناس •• ان الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب •• وتسألونى فلا أعطيكم •• وتستنصرونى فلا أنصركم » •• فما زاد عليهن حتى نزل[54] ••

---

(٤٩) رواه ابن حبان .
(٥٠) رواه الترمذى وابن حبان .
(٥١) رواه أبو داوود .
(٥٢) رواه الحاكم .
(٥٣) رواه البزار .
(٥٤) رواه ابن ماجه وابن حبان .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليـــه وسلم قال : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا •• ويوقر كبيرنا •• ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر »[٥٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة لا يعرفه فيقول له : مالك بى وما بينى وبينك معرفة ؟ فيقول : كنت ترانى على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهانى »[٥٦] .

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم على اقام الصلاة •• وايتاء الزكاة •• والنصح لكل مسلم »[٥٧] .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : يا أيها الناس •• انكم لتقرأون هذه الآية : **« يا أيها الذين آمنوا عليـــكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم »**[٥٨] •• وانى سمعت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقول : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه »[٥٩] .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أنصر أخاك ظالمـــا أو مظلوما » فقال رجل : يا رسول الله •• أنصره اذا كان مظلوما •• أرأيت ان كان ظالمـــا كيف أنصره ؟ •• قال : « تحجزه ـــ أو تمنعه ـــ من الظلم •• فان ذلك نصره »[٦٠] .

* * *

* فى الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر :

بادىء ذى بدء •• يجب أن يكون الآمر بالمعروف •• الناهى عن المنكر •• متخلقا بالأخلاق الكريمة التى يدعو اليها •• مجتنبا للأخلاق الذميمة التى ينهى عنها •• فيكون بذلك قدوة صالحة للناس •• بأن يبدأ باصلاح حاله قبل الانشغال بأحوال الناس •• وأن ينصح نفسه وأهله قبل أن ينصح غيرهم •• والا كان وعظه وارشاده لا تأثير لهما

---

(٥٥) رواه أحمد والترمذى وابن حبان .

(٥٦) ذكره رزين .

(٥٧) متفق عليه .

(٥٨) المـــائدة : ١٠٥

(٥٩) رواه أبو داوود والترمذى والنسائى .

(٦٠) رواه البخارى .

على الناس •• فالله تعالى يقول : « **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** »[61] •

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم •• فيما يرويه أسامة ابن زيد رضى الله عنهما : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار •• فتندلق أقتاب بطنه — أى تخرج أمعاءه من بطنه — فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحا •• فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يا فلان •• مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى •• كنت آمر بالمعروف ولا آتيه •• وأنهى عن المنكر وآتيه »[62] •

ويقول الشاعر[63] :

اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لا جهة أساء

ويقول آخر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وعليه أن يختار لصحبته من هم على شاكلته من أهل الصلاح والتقوى •• لأن « الرجل على دين خليله •• فلينظر أحدكم من يخالل »[64] ••

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه أبو موسى الأشعرى : « انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء : كحامل المسك ونافخ الكير •• فحامل المسك اما أن يحذيك •• واما أن تبتاع منه •• واما أن تجد منه ريحا طيبا ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك •• واما أن تجد منه ريحا منتنة »[65] •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصاحب الا مؤمنا •• ولا يأكل طعامك الا تقى »[66] •

كما يجب أن يكون الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر على جانب كبير من العلم بأمور الدين والفقه فيه •• حتى يمكنه الاستعانة بآيات الكتاب •• والاستشهاد بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والرد على أسئلة الناس •• وتقديم الفتوى لهم ••

---

(٦١) البقرة : ٤٤

(٦٢) متفق عليه .

(٦٣) لأبى العلاء المعرى .

(٦٤) رواه أبو داوود والترمذى .

(٦٥) متفق عليه .

(٦٦) رواه أبو داوود والترمذى .

وليعلم أن شيوع الجهل بأمور الدين هو السبب الأول وراء انحراف الناس عن تعاليمه •• فعليه التزام الرفق فى تقديم النصح للناس •• والتلطف فى أمره ونهيه •• فلا يلجأ الى تحديهم أو مصادمة آرائهم ومعتقداتهم •• فاللطف فى النصح من أول عوامل كسب القلوب •• وليتذكر دائما قول الله تعالى لرسوله الكريم : **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين »**(٦٧) .

وليضع نصب عينيه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه •• ولا ينزع من شىء الا شانه »(٦٨) .

عن أنس رضى الله عنه قال : بينما نحن فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء أعرابى فقام يبول فى المسجد •• فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه •• مه ! قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزرموه •• دعوه » ـ أى لا تقطعوا عليه بوله ـ فتركوه حتى بال •• ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له : « ان هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر •• انما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن » . أو كما قال ـ قال : فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه(٦٩) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن فتى من قريش أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله •• ائذن لى فى الزنا (!!)

فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا : مه •• مه !

فقال صلى الله عليه وسلم : « ادنه » •• فدنا منه قريبا فقال : « أتحبه لأمك » ؟ قال : لا والله •• جعلنى الله فداك •• قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » قال : « أفتحبه لابنتك » ؟ قال : لا والله يا رسول الله •• جعلنى الله فداك •• قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » قال : « أفتحبه لأختك » ؟ قال : لا والله يا رسول الله •• جعلنى الله فداك •• قال : « ولا الناس يحبونه لأخواتهم » ـ وذكر العمة والخالة ••

---

(٦٧) النحل : ١٢٥ (٦٨) رواه مسلم .
(٦٩) رواه مسلم والطحاوى .

كل ذلك يقول : لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك ويقول صلى الله عليه وسلم : « ولا الناس يحبونه لعماتهم » ، « ولا الناس يحبونه لخالاتهم » ــ .

قال : فوضع عليه يده وقال : « اللهم اغفر ذنبه •• وطهر قلبه •• وحسن فرجه » •• قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شىء »[٧٠] .

لذا فان من واجب الداعى البعد عن العتاب المباشر •• وتجنب النقد القاسى لعيوب الآخرين •• وعليه أن يتدرج فى اقناع الناس بايراد الحقائق المقدرة قبل تقديم النصح المباشر لهم ••

كما يجب عليه تحرى الوقت المناسب لتقديم النصح •• لأن ذلك من أهم العوامل فى استجابة الناس الى نصحه •• وعليه ألا يتقدم بالنصح فى ملأ من النــاس •• فان من نصح أخــاه فى ملأ فكأنمــا يشهر به ••

ويجب ألا يتعالى على الناس بعلمه •• ولا يلجأ الى الاحراج فى نصحه •• لأن الهدف تقويم الناس وليس احراجهم •• على أن يكون ذلك بأسلوب موجز •• وبعبارات بسيطة مهذبة •• ليجد نصحه صداه فى قلوب الناس ••

وليعــلم الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر •• أنه يؤدى بعملــه جزءا من الواجبات التى كلف الله بها المسلمين حتى ينالوا ثواب الآخرة قبل ثواب الدنيا •• لذا عليــه أن يتجمل بالصبر وتحمل التضحيات والصعاب التى سوف تقابله فى تصديه لاصلاح المعوج من أمور الناس •• فالناس عادة ينفرون ممن يواجههم بعيوبهم ويعرضون عنه ••

* * *

ويقول ابن قدامه المقدسى فى آداب الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر[٧١] :

« ••• أن يعرف المنكر •• فلا ينبغى له أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار •• ولا يتعرض للشم ليدرك رائحة الخمر •• ولا أن يمس ما قد ستر بثوب ليعرف شكل المزمار •• ولا أن يستخبر جيرانه ليخبروه بما يجرى ••

---

(٧٠) رواه أحمد والطبرانى .

(٧١) فى كتابه « مختصر منهاج القاصدين » ص ١٠٩

بل لو أخبره عدلان ابتداء أن فلانا يشرب الخمر •• فله اذ ذاك أن يدخل وينكر ••

« ••• التعريف : فان الجاهل يقدم على الشيء لا يظنه منكرا •• فاذا عرف أقلع عنه •• فيجب تعريفه باللطف •• فيقال له : ان الانسان لا يولد عالمـا •• •• ولقد كنا جاهلين بأمور الشرع حتى علمنا العلماء •• فلعل قريتك خالية من أهل العـلم •• فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء •• ومن اجتنب محذور السكوت عن المنكر •• واستبدل عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه •• فقد غسل الدم بالبول ••

« ••• النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله •• ويورد عليـه الأخبار الواردة بالوعيد •• ويحكى له سيرة السلف •• ويكون ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب ••

وههنا آفة عظيمة ينبغى أن يتوقاها •• وهو أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم •• وذل غيره بالجهل •• ومثال ذلك مثال من يخلص غيره من النار باحراق نفسه •• وهو غاية الجهل •• ومذلة عظيمة •• وغرور من الشيطان ••

ولذلك محك ومعيار •• فينبغى أن يمتحن به المحتسب نفسه •• وهو أن يكون امتناع الانسان عن المنكر بنفسه •• أو باحتساب غيره عليـه •• أحب اليه من امتناعه عنه باحتسابه •• فان كانت الحسبة شاقة عليـه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفى بغيره •• فليحتسب •• فان باعثه هو الدين ••

وان كان الأمر بالعكس فهو متبع هوى نفسه •• متوسل الى اظهار جاهه بواسطة انكاره •• فليتق الله وليحتسب أولا على نفسه ••

وقيل لداوود الطائى : أرأيت رجلا دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ قال : أخاف عليه السوط • قيل : هو يقوى على ذلك •• قال : أخاف عليه السيف •• قيل : هو يقوى على ذلك • قال : أخاف عليه الداء الدفين •• العجب » ••

* * *

وقال فى صفات الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر (٧٢) :

« ••• ذكرنا آداب المحتسب مفصلة •• وجملتها ثلاث صفات فى المحتسب :

---

(٧٢) المرجع نفسه ص ١١١

العلم بمواقع الحسبة وحدودها ومواقعها •• ليقتصر على حد الشرع •

والثانى : الورع •• فانه قد يعلم شيئا ولا يعمل به لغرض من الأغراض ••

والثالث : حسن الخلق •• وهو أصل ليتمكن من الكف •• فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع فى قمعه •• ما لم يكن فى الطبع خلق حسن ••

قال بعض السلف : لا يأمر بالمعروف الا رفيق فيما يأمر به •• رفيق فيما ينهى عنه •• حليم فيما يأمر به •• حليم فيما ينهى عنه •• فقيه فيما يأمر به •• فقيه فيما ينهى عنه ••

ومن الآداب : تقليل العلائق •• وقطع الطمع عن الخلق لتزول المداهنة •• فقد حكى عن بعض السلف أنه كان له سنور •• وكان يأخذ لسنوره فى كل يوم من قصاب فى جواره شيئا من الغدد •• فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار فأخرج السنور •• ثم جاءه فأنكر على القصاب •• فقال : لا أعطيك بعد هذا شيئا لسنورك •• فقال : ما أنكرت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك ••

وهذا صحيح •• فان من لم يقطع الطمع من الناس من شيئين لم يقدر على الانكار عليهم ••

أحدهما : من لطف ينالونه به •

والثانى : من رضاهم عنه وثنائهم عليه ••

وأما الرفق فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فمتعين •• قال الله تعالى : **« فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى »**(٧٣) •

وروى أن أبا الدرداء رضى الله عنه مر على رجل قد أصاب ذنبا والناس يسبونه •• فقال : أرأيتم لو وجدتموه فى قليب •• ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : بلى •• قال : فلا تسبوا أخاكم •• واحمدوا الله الذى عافاكم •• فقالوا : أفلا تبغضه ؟ فقال : انما أبغض عمله •• فاذا تركه فهو أخى ••

ومر فتى يجر ثوبه •• فهم أصحاب صلة بن أشيم أن يأخذوه بألسنتهم أخذا شديدا •• فقال صلة : دعونى أكفكم أمره •• ثم

---

(٧٣) طـه : ٤٤

قال : يا ابن أخى •• ان لى اليك حاجة • قال : ما هى ؟ •• قال : أحب أن ترفع ازارك •• قال : نعم ونعمى عين — أى أقر عينا بطاعتك واتباع أمرك — فرفع ازاره •• فقال صلة لأصحابه : هذا كان أمثل مما أردتم •• فانكم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم ••

ودعى الحسن الى عرس •• فجىء بجام من فضة فيه خبيص •• فتناوله وقلبه على رغيف •• فأصاب منه •• فقال رجل : هذا نهى فى سكون » اهـ •

***

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار •• فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه •• وننهى عن الشر ونأتيه »[٧٤] •

ويقول : « ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى •• ويقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون •• الا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا »[٧٥] •

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة •• حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروا •• فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة »[٧٦] •

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها •• فقال : يا رب •• ان فيهم عبدك الصالح فلانا لم يعصك طرفة عين •• قال فقال : اقلبها عليه وعليهم •• فان وجهه لم يتمعر فى ساعة قط »[٧٧] •

فعلى الحكام أن يغيروا المنكر بأيديهم •• لأنهم وحدهم الذين يملكون السلطة والقوة ••

وعلى العلماء بالكتاب والسنة أن يغيروه بألسنتهم •• لأنهم يستطيعون أن يبرهنوا على كلامهم بالأدلة العقلية والنقلية ••

أما العامة •• الذين لا يملكون حيلة ولا يستطيعون سبيلا •• فعليهم تغيير المنكر بالاعراض عنه •• والتضرع الى الله تعالى بقلوبهم قائلين :

---

(٧٤) جزء من حديث شريف .
(٧٥) رواه الترمذى وابن ماجه .
(٧٦) رواه مسلم .
(٧٧) رواه البيهقى .

اللهم ان هذا عمل باطل فغيره •• فالرسول صلى الله عليه وسلم يأمرنا : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده •• فان لم يستطع فبلسانه •• فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » ••

ويقول صلى الله عليه وسلم فى حديث جامع : « ••• واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك •• وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك » •

* * *

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا ابن مسعود » .. فقلت : لبيك يا رسول الله — قالها ثلاثا — قال : « أتدرى أى الناس أفضل » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « فان افضل الناس افضلهم عملا اذا فقهوا فى دينهم » . ثم قال : « يا ابن مسعود » .. قلت : لبيك يا رسول الله . قال : « أتدرى أى الناس أعلم » ؟ قالت : الله ورسوله أعلم ، قال : « ان أعلم الناس أبصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا فى العمل وان كان يزحف على استه زحفا ، واختلف من كان قبلى على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاثة وهلك سائرهن ، فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دينهم ودين عيسى ابن مريم وأخذوهم وقتلوهم وقطعوهم بالمناشير ، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم فيدعوهم الى الله ودين عيسى ابن مريم فساحوا فى البلاد وترهبوا » ، قال : « وهم الذين قال الله عز وجل : **« ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله »**(١) — الآية — فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يتبعنى فأولئك هم الهالكون » .

وفى رواية : « فرقة أقامت فى الملوك والجبابرة فدعت الى دين عيسى فأخذت وقتلت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت حتى لحقت بالله »(٢) .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انكم على بينة من ربكم ما لم تظهر فيكم سكرتان : سكرة الجهل وسكرة حب العيش وأنتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا تجاهدون فى سبيل الله ، فاذا ظهر فيكم حب الدنيا فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر ولا تجاهدون فى سبيل الله ، القائلون يومئذ بالكتاب والسنة كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار »(٣) .

---

(١) الحديد : ٢٧ (٢) أخرجه الطبرانى .
(٣) أخرجه البزار .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بأقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله على منابر من نور يعرفون » ؟ قالوا : من هم يا رسول الله ؟ قال : « الذين يحببون عباد الله الى الله ويحببون الله الى عباده ويمشون على الأرض نصحا » . فقلت : هذا يحبب الله الى عباده فكيف يحببون عباد الله الى الله ؟ قال : « يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما يكره الله فاذا أطاعوهم أحبهم الله عز وجل »[٤]

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله .. متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما سيدا أعمال أهل البر ؟ قال : « اذا أصابكم ما أصاب بنى اسرائيل » .. قلت : يا رسول الله .. وما أصاب بنى اسرائيل ؟ قال : « اذا داهن خياركم فجاركم ، وصار الفقه فى شراركم ، وصار الملك فى صغاركم .. فعند ذلك تلبسكم فتنة تكرون ويكر عليكم »[٥] .

* * *

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف بكم اذا فسد شبابكم .. وطغى نساؤكم .. وتركتم جهادكم ؟ قالوا : أو كل ذلك كائن يا رسول الله ؟ قال : بلى والله .. وأشد من ذلك سيكون .. كيف بكم اذا تركتم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ قالوا : أو كل ذلك كائن يا رسول الله ؟ قال : بلى والله .. وأشد من ذلك سيكون .. كيف بكم اذا رأيتم المنكر معروفا والمعروف منكرا ؟ قالوا : أو كل ذلك كائن يا رسول الله ؟ . قال : بلى والله .. وأشد من ذلك سيكون .. كيف بكم اذا أمرتم بالمنكر .. ونهيتم عن المعروف » .

[لقد بدأ الأمر بالتفريط فى الأمر والنهى .. ثم تحول العصيان من سىء الى أسوأ .. وأسلمت كل مرحلة الى ما هو أشد بلاء منها .. الى أن أمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف .. وهكذا دائما يكون التطور فى التحلل الذى يعترى الأمم] .

* * *

---

(٤) أخرجه البيهقى والنقاش وابن النجار .

(٥) رواه الطبرانى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قعـد أبو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سمى خليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحمد الله وأثنى عليه .. وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم مد يديه ثم وضعهما على المجلس الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عليه من منبره ثم قال : سمعت الحبيب وهو جالس على هـذا المجلس يتأول هذه الآية : « **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم** »[٦] ثم فسرها .. فكان تفسيره لنا أن قال : « نعم .. ليس من قوم الا عمل فيهم بمنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه .. الا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم » .. ثم أدخل اصبعيه فى أذنيه فقال : أن لا أكون سمعته من الحبيب فصمتا[٧] ..

وعن أبى بكر رضى الله عنه قال : اذا عمل قوم بالمعاصى بين ظهرانى قوم هم أعز منهم فلم يغيروه عليهم .. أنزل الله عليهم بلاء ثم لم ينزعه منهم[٨] ..

وروى الطبرانى عن الأغر أبى مالك قال : « لمـا أراد أبو بكر أن يستخلف عمر ـ رضى الله عنهما ـ بعث اليه فدعاه .. فأتاه فقال : انى أدعوك لأمر متعب لمن وليه .. فاتق الله يا عمر بطاعته ، وأطعه بتقواه .. فان التقى آمن محفوظ .. ثم ان الأمر معروض لا يستوجبه الا من عمل به .. فمن أمر بالحق وعمل بالباطل ، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر ، يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط عمله .. فان أنت وليت عليهم أمرهم فان استطعت أن تجف يدك من دمائهم .. وأن تضمر بطنك من أموالهم .. وأن تكف لسانك عن أعراضهم فافعل .. ولا قوة الا بالله » .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : ما يمنعكم اذا رأيتم السفيه يخرق أعراض الناس أن لا تعربوا عليه ؟ .. قالوا : نخاف لسانه . فقال : ذاك أدنى أن تكونوا شهداء[٩] .

---

(٦) المـائدة : ١٠٥ (٧) اخرجه ابن مردويه .

(٨) رواه البيهقى .

(٩) رواه ابن ابى شيبة وابو عبيدة وابن ابى الدنيا .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان عمر اذا أراد أن ينهى الناس عن شيء يقدم الى أهله : لا أعلمن أحدا وقع فى شيء مما نهيت عنه الا أضعفت له العقوبة[١٠] .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : مروا بالمعروف .. وانهوا عن المنكر قبل أن يسلط عليكم شراركم ويدعو عليهم خياركم فلا يستجاب لهم[١١] .

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتجدن فى أمر الله .. أو ليسومنكم أقوام يعذبونكم ويعذبهم الله[١٢] .

وخطب يوما فقال — كرم الله وجهه — فى خطبته : أيها الناس .. انما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصى ولم تنههم الربانيون والأحبار .. كلما تمادوا فى المعـاصى ولم تنههم الربانيون والأحبار أخذتهم العقوبات .. فمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذى نزل بهم .. واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا[١٣] .

وعنه كرم الله وجهه قال : الجهاد ثلاثة : جهاد بيد ، وجهاد بلسان ، وجهاد بقـلب ، فأول ما يغلب عليه من الجهاد جهاد اليد ثم جهاد اللسان ثم جهاد القلب ، فاذا كان القلب لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا نكس وجعل أعلاه أسفله[١٤] .

وقال كرم الله وجهه : أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بقلوبكم ، فأى قلب لم يعرف المعروف ولم ينكر المنكر نكس أعلاه أسفله كما ينكس الجراب فينتثر ما فيه[١٥] .

* * *

وعن طارق بن شهاب قال : جاء عتريس بن عرقوب الشيبانى الى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقال : هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر ، فقال : بل هلك من لم يعرف المعروف وينكر المنكر[١٦] .

---

(١٠) رواه ابن سعد وابن عساكر .
(١١) أخرجه ابن أبى شيبة . (١٢) أخرجه ابن أبى شيبة .
(١٣) أخرجه ابن أبى حاتم . (١٤) أخرجه البيهقى .
(١٥) أخرجه ابن أبى شيبة وأبو نعيم .
(١٦) أخرجه الطبرانى .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : الناس ثلاثة فما سواهم فلا خير فيه : رجل رأى فئة تقاتل فى سبيل الله فجاهد بنفسه وماله ، ورجل جاهد بلسانه وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ورجل عرف الحق بقلبه(١٧) .

وعنه رضى الله عنه قال : جاهدوا المنافقين بأيديكم .. فان لم تستطيعوا الا أن تكفهروا فى وجوههم فاكفهروا فى وجوههم(١٨) .

كما قال رضى الله عنه : اذا رأيت المنكر فلم تستطع له تغييرا فحسبك أن يعـلم الله أنك تكره بقلبك .

وقال : ان الرجل يشهد المعصية يعمل بها فيكرهها فيكون كمن غاب عنها .. ويغيب عنها فيرضيها فيكون كمن شهدها .

وقال : ستكون أمور فمن رضيها ممن غاب عنها كان كمن شهدها ومن كرهها ممن شهدها فهو كمن غاب عنها(١٩) .

وقال رضى الله عنه : يذهب الصالحون أسلافا ويبقى أهل الريب من لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا(٢٠) .

وعن أبى الرقاد قال : خرجت مع مولاى وأنا غلام فدفعت الى حذيفة رضى الله عنه وهو يقول : ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا وانى لأسمعها من أحدكم فى المقعد الواحد أربع مرات ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحضن على الخير أو ليسحتكم الله جميعا بعذاب أو ليأمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم(٢١) .

وعنه قال : لعن الله من ليس منا ، والله لتأمرن بالمعروف ولتناهون عن المنكر أو لتقتتلن بينكم فليظهرن شراركم على خياركم فليقتلنهم حتى لا يبقى أحد يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ثم تدعون الله عز وجل فلا يجيبكم بمقتكم .

وعنه قال : ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بمعروف وينه عن منكر(٢٢) !!

---

(١٧) اخرجه الطبرانى . (١٨) اخرجه ابن عساكر .

(١٩) اخرجه ابو نعيم وابن ابى شيبة .

(٢٠) اخرجه ابو نعيم فى الحلية . (٢١) اخرجه ابو نعيم .

(٢٢) اخرجه أبو نعيم .

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى •• وان منكركم اليوم معروف زمان يأتى •• وانكم لن تبرحوا بخير ما دمتم تعرفون ما كنتم تنكرون وتنكرون ما كنتم تعرفون •• وما قام عالمكم يتكلم بينكم غير مستخف[٢٣] .

وعن أبى جعفر الخطمى أن جده عمير بن حبيب بن حماسة رضى الله عنه — وكان قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم عند احتلامه — أوصى ولده فقال : يا بنى •• اياك ومجالسة السفهاء •• فان مجالستهم داء •• ومن يحلم عن السفيه يسر ومن يحبه يندم •• ومن لا يرضى بالقليل مما يأتى به السفيه يرضى بالكثير •• واذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى ويثق بالثواب من الله تعالى •• فانه من وثق بالثواب من الله عز وجل لم يضره مس الأذى[٢٤] .

وعن عبد العزيز بن أبى بكرة : أن أبا بكرة رضى الله عنه تزوج امرأة من بنى غدانة وأنها هلكت فحملها الى المقابر فحال اخوتها بينه وبين الصلاة عليها فقال لهم : لا تفعلوا •• فانى أحق بالصلاة منكم ، قالوا : صدق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصلى عليها ، ثم أنه دخل القبر فدفعوه دفعا عنيفا فوقع فغشى عليه فحمل الى أهله فصرخ عليه يومئذ عشرون من ابن وبنت له ، قال عبد العزيز : وأنا يومئذ من أصغرهم ، فأفاق افاقة فقال : لا تصرخوا على •• فوالله ما من نفس تخرج أحب الى من نفس أبى بكرة • ففزع القوم فقالوا : لم يا أبانا ؟ قال : انى أخشى أن أدرك زمانا لا أستطيع أن آمر بالمعروف ولا أنهى عن منكر •• ولا خير يومئذ[٢٥] .

* * *

---

(٢٣) اخرجه ابن عساكر .
(٢٤) اخرجه الطبرانى .
(٢٥) اخرجه الطبرانى .

من هدى السلف الصالح

روى عن الفرات بن سليمان أن عمر بن عبد العزيز كتب الى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب :

« سلام عليك •• فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ••

أما بعد •• فان الله عز وجل ابتلانى بما ابتلانى به من أمر هذه الأمة من غير مشورة منى فيها •• ولا طلب منى لها •• الا قدر من الرحمن قدره على •• فأسأل الذى ابتلانى أن يعيننى على ما ولانى من عباده وبلاده •• وأن يرزقنى فيهم العمل بطاعته •• وأن يرزقهم منى الرأفة والرحمة •• ويرزقنى منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة •• فاذا جاءك كتابى هذا •• فابعث الى بكتب عمر وسيرته وقضائه فى أهل القبلة وأهل الذمة •• فانى سائر بسيرته •• ومتبع أثره ان الله أعاننى على ذلك — ان شاء الله — والسلام » ••

فكتب اليه سالم :

« من سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز ••

سلام عليك •• فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ••

أما بعد •• فان الله تعالى خلق الدنيا لما أراد •• فجعل لها مدة قصيرة ثم قضى عليها وعلى أهلها بالفناء •• ثم انك يا عمر قد وليت أمرا عظيما •• فان استطعت أن لا تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل •• فانه كان فيما مضى قبلك رجال أماتوا ما أماتوا من الحق •• وأحيوا ما أحيوا من الباطل •• حتى ولد فى ذلك رجال ونساء •• وظنوا أنها السنة •• فلا يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أجد من يكفينى عمله •• فانك ان كنت تعمل لله أتاح الله لك أعوانا •• وانما قدر العون بقدر النية •• وان استطعت أن تجىء يوم القيامة لا يتبعنك أحد بمظلمة •• ويجىء من قبلك وهم غابطون لك •• فافعل فانهم قد عالجوا نزع الموت •• وعاينوا أهوال المطلع •• وانفقأت أعينهم التى كانت لا تنقضى لذاتها •• وانشقت بطونهم التى كانوا لا يشبعون فيها •• واندقت رقابهم غير متوسدين بعد تظاهر الفرش والمرافق

والسرر والخدم •• وصاروا جيفة فى بطون الأرض تحت آكامها •• وقد كانوا الى جنب مساكين تأذوا من ريحهم بعد انفاق ما لا يحصى من الطيب •• فانا لله وانا اليه راجعون ••

ما أعظم ما ابتليت به يا عمر •• فمن بعثت من عمالك فازجره زجرا شديدا شبيها بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء الا بحقها •• المال المال يا عمر •• الدم الدم يا عمر ••

كتبت الى أن أبعث اليك بكتب عمر وسيرته •• وان عمر عمل فى غير زمانك وبغير رجالك •• ووليت فى زمن تعلم بعد ما عمل •• وأنا أرجو ان عملت على النحو الذى عمل به عمر بعد ما بلوت من الظلم أن تكون أفضل من عمر عند الله •• وقل كما قال العبد الصالح : **« وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ، ان أريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب »**[(١)] .

* * *

وذكر الامام ابن بليان والغزالى وغيرهما : أن الرشيد لما ولى الخلافة زاره العلماء بأسرهم الا سفيان بن سعيد •• فانه لم يأته •• وكان بينه وبينه صحبة •• فشق عليه ذلك •• فكتب اليه الرشيد كتابا يقول فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم •• من عبد الله هارون أمير المؤمنين •• الى أخيه فى الله سفيان بن سعيد ••

أما بعد يا أخى •• فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين •• وقد آخيتك فى الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك •• ولم أقطع منها ودك •• وانى منطو لك على أفضل المحبة •• وأتم الارادة •• ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبوا •• لما أجد لك فى قلبى من المحبة •• وانه لم يبق أحد من اخوانى الا زارنى وهنأنى بما صرت اليه •• وقد فتحت بيوت الأموال •• وأعطيتهم من المواهب السنية •• ما فرحت به نفسى •• وقرت به عينى •• وقد استبطأتك •• وقد كتبت كتابا منى اليك أعلمك بالشوق الشديد اليك •• وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل زيارة المؤمن ومواصلته •• فاذا ورد عليك كتابى هذا فالعجل العجل » ••

---

(١) هـود : ٨٨

ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقانى وأمره بايصـــاله اليه •• وأن يحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به ••

قال عباد : فانطلقت الى الكوفة فوجدت سفيان فى مسجده •• فلما رآنى على بعد قام وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم •• وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الا بخير ••

قال : فنزلت عن فرسى بباب المسجد •• فقام يصلى ولم يكن وقت صلاة •• فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه الى !!

قال : فبقيت واقفا وما منهم أحد يعرض على الجلوس •• وقد علتنى من هيبتهم الرعدة •• فرميت بالكتاب اليه ، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه •• فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه وأخذه وقلبه بيده •• ورماه الى من كان خلفه وقال : ليقرأه بعضكم فانى أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده ••

قال عباد : فمد بعضهم يده اليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه •• ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب •• فلما فرغ من قراءته قال : اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره •• فقيل له : يا أبا عبد الله •• انه خليفة •• فلو كتبت اليه فى بياض نقى لكان أحسن •• فقال : اكتبوا للظالم فى ظهر كتابه •• فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به •• وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به •• ولا يبقى شىء مسه ظالم بيده عندنا فيفسد علينا ديننا •• فقيل له : ما تكتب اليه ؟ قال : اكتبوا له :

« بسم الله الرحمن الرحيم •• من العبد الميت سفيان الى العبد المغرور بالآمال هارون الذى سلب حلاوة الايمان •• ولذة قــراءة القرآن ••

أما بعد •• فانى كتبت اليك أعلمك أنى قد صرمت حبلك •• وقطعت ودك •• وأنك قد جعلتنى شاهدا باقرارك على نفسك فى كتابك •• بما هجمت على بيت مال المسلمين •• فأنفقته فى غير حقه •• وأنفذته بغير حكمه •• ولم ترض بما فعلت وأنت ناء عنى •• حتى كتبت الى تشهدنى على نفسك .

فأما أنا فانى قد شهدت عليك أنا واخوانى الذين حضروا قراءة كتابك •• وسنؤدى الشهادة غدا بين يدى الله الحكم العدل ••

يا هارون •• هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم •• هل رضى بفعلك المؤلفه قلوبهم •• والعاملون عليها فى أرض الله •• والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل ؟ ••

أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم — يعنى العاملين — ؟ •• أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل ؟ •• أم رضى بذلك خلق من رعيتك ؟

فشد يا هارون مئزرك •• وأعد للمسألة جوابا •• وللبلاء جلبابا •• واعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل •• فاتق الله فى نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد •• ولذة قراءة القرآن •• ومجالسة الأخيار •• ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين اماما !!

يا هارون •• قعدت على السرير •• ولبست الحرير •• وأسبلت ستورا دون بابك •• وتشبهت بالحجبة برب العالمين •• ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون •• ويشربون الخمر ويحدون الشارب •• ويزنون ويحدون الزوانى •• ويسرقون ويقطعون السارق •• ويقتلون ويقتلون القاتل •• أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس !!

فكيف بك يا هارون غدا اذا نادى المنادى من قبل الله : احشروا الظلمة وأعوانهم •• فتقدمت بين يدى الله ويداك مغلولتان الى عنقك •• لا يفكهما الا عدلك وانصافك •• والظالمون حولك وأنت لهم امام أو سائق الى النار ••

وكأنى بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق •• ووردت المساق •• وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك •• وسيئات غيرك فى ميزانك على سيئاتك •• بلاء على بلاء •• وظلمة فوق ظلمة !!

فاتق الله يا هارون فى رعيتك •• واحفظ محمدا — صلى الله عليه وسلم — فى أمته •• واعلم أن هذا الأمر لم يصر اليك الا وهو صائر الى غيرك •• وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحدا بعد واحد •• فمنهم من تزود زادا نفعه •• ومنهم من خسر دنياه وآخرته •• واياك ثم اياك أن تكتب الى بعد هذا •• فانى لا أجيبك والسلام » ••

قال : وألقى الكتاب منشورا من غير طى ولا ختم فأخذته •• وأقبلت به الى سوق الكوفة •• وقد وقعت الموعظة بقلبى •• فناديت : يا أهل الكوفة •• من يشترى رجلا هرب الى الله •• فأقبلوا الى بالدراهم والدنانير •• فقلت : لا حاجة لى بالمال •• ولكن جبة صوف ••

وعباءة قطوانية •• فأتيت بذلك •• فنزعت ما كان على من الثياب التى كنت أجالس بها أمير المؤمنين •• وأقبلت أقود الفرس الذى كان معى الى أن أتيت باب الرشيد حافيا راجلا •• فهزأ بى من كان على الباب ثم استؤذن لى •• فلما رآنى على تلك الحالة قام وقعد •• وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل •• مالى وللدنيا والملك يزول عنى سريعا •• فالقيت الكتاب اليه مثل ما دفع الى •• فأقبل يقرأه ودموعه تنحدر على وجهه وهو يشهق •• فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين •• قد اجترأ عليك سفيان •• فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد •• وضيقت عليه السجن •• فجعلته عبرة لغيره ••

فقال هارون : اتركوا سفيان وشأنه يا عبيد الدنيا •• المغرور من غررتموه •• والشقى — والله — حقا من جالستموه •• ان سفيان أمة وحده ••

ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرأه دبر كل صلاة ويبكى حتى توفى رحمه الله تعالى ••

* * *

وقد تنشأ ظروف لا تعين الدعاة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• كأن يتعرضوا الى بطش الحكام وتنكيلهم •• ويجرون بذلك المتاعب والأهوال على أنفسهم وأهليهم بلا فائدة تعود على الناس •• ويخسر المجتمع بذلك أطهر عناصره قبل أن يتغـير من أمر الباطل شئ ••

والتاريخ يحدثنا أن أبا حنيفة رضى الله عنه ضرب وعذب فى سجنه حتى مات •• لأنه رفض القول بخلق القرآن وتمسك بأنه كلام الله القديم !!

وأن مالكا رضى الله عنه عذب وضرب بالسياط حتى انخلع كتفاه •• لانه كان يفتى ببطلان بيعة المكره قياسا على طلاقه !!

وأن الشافعى رضى الله عنه جئ به من مكة الى بغداد والأغلال فى يديه مع بضعة عشر متهما •• قتلوا كلهم بتهمة الخروج على الخلافة •• ولم ينج الشافعى من هذا المصير الا باستعمال الحيلة !!

هؤلاء الأئمة الكبار •• لم تمنعهم جلالة أقدارهم •• أو مكانتهم الدينية من الوقوع تحت بطش الحكام والتنكيل بهم !!

وفى مثل هذه الأحوال •• فانه من الخير أن يمسك الداعى عليه لسانه •• وأن يكتفى بالانكار بقلبه متجها الى الله تعالى بالدعاء •• راجيا منه ازالة المنكر واصلاح الحال •• واضعا نصب عينيه قول الله تعـالى : « **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة** »[٢] •

ولنا فى صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم — عندما تعرضوا لمثل هذه الأحوال — الأسوة •• فهذا أنس بن مالك رضى الله عنه يسمع من الحجاج بن يوسف ما يكره •• فيهم بالرد عليه لولا أنه يتذكر أولاده وما يمكن أن يتعرضوا له من بطش الطاغية •• فيمسك لسانه ويكتفى بترديد : « انا لله •• وانا اليه راجعون » •

وهذا ابن عمر رضى الله عنهما يتعرض لموقف مشابه مع نفس الطاغية •• فيتذكر تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه » •• وذلك بأن يعرضها لمـا لا طاقة لها به من بطش وتنكيل •• فيمسك عن الرد والكلام ••

عن على بن زيد قال : كنت فى القصر مع الحجاج •• وهو يعرض الناس من أجل ابن الأشعث •• فجاء أنس بن مالك رضى الله عنه حتى دنا •• فقال له الحجاج : هيه يا خبثة •• يا جوال الفتن •• مرة مع على بن أبى طالب — رضى الله عنه — ومرة مع ابن الأشعث ؟ •• أما والذى نفسى بيده •• لأستأصلنك كما تستئصل الصمغة •• ولأجردنك كما يجرد الضب(!!) •

فقال أنس : من يعنى الأمير أصلحه الله ؟

قال الحجاج : اياك أعنى •• أصم الله سمعك ••

فاسترجع فقال : « انا لله •• وانا اليه راجعون » ثم خرج من عنده فقال : لولا أنى ذكرت ولدى فخشيته عليهم لكلمته فى مقامى بكلام •• لا يستجيبنى بعده أبدا[٣] ••

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت الحجاج يخطب فذكر كلاما أنكرته •• فأردت أن أغير فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه » قال : قلت : يا رسول الله •• كيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء لمـا لا يطيق »[٤] •

---

(٢) البقرة : ١٩٥ (٣) اخرجه الطبرانى .

(٤) اخرجه البزار .

هذان صحابيان جليلان •• رأيا الفتنة محدقة •• والخطر محققا •• فالتزما جانب الحكمة •• وآثرا السلامة •• واكتفيا بأضعف الايمان !!

فماذا تستفيد الأمة من تعرضهما للاهانة والتنكيل •• وربما للسجن أو القتل ؟ !

ألا فليتق الله — فى أنفسهم وفى أهليهم — أولئك الذين يلقون بأيديهم الى التهلكة بحجة أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر •• فيلحقون الأذى والضرر بأنفسهم وذويهم •• دون أن يستفيد المجتمع من وراء ذلك شيئا !!

واذا كان الله تعالى قد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** »(٥) •

وقال من قبله لموسى وأخاه هارون عليهما السلام : « **فقولا له قولا لينـا لعله يتذكر أو يخشى** »(٦) •

والدعوة التى بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت موجهة الى المشركين ••

والقول اللين الذى أمر به موسى وهارون عليهما السلام ، كان موجها الى فرعون ••

فكيف بمن يدعو المسلمين الى العودة الى كتاب ربهم والالتزام بسنة نبيهم ؟ هل يلجأ الى العنف والقول الخشن والزجر العنيف ؟ •• أم يلتزم أوامر الله فى القول اللين •• والأمر بالحكمة والموعظة الحسنة ؟ !

يقول الامام ابن قدامة : « •••• ذكرنا درجات الأمر بالمعروف •• والجائز من ذلك مع السلاطين القسمان الأولان وهما : التعريف والوعظ ••

فأما تخشين القول نحو : يا ظالم ، يا من لا يخاف الله •• فان كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها الى الغير لم يجز ••

وان لم يخف الا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء •• والذى أراه : المنع من ذلك ••

---

(٥) النحل : ١٢٥ — (٦) طـه : ٤٤

لأن المقصود ازالة المنكر •• وحمل السلطان — بالانبساط عليه — على فعل المنكر أكبر من المنكر الذى قصد ازالته ••

وذلك أن قرب السلاطين التعظيم •• فان سمعوا من آحاد الرعية : يا ظالم ، يا فاسق •• رأوا غاية الذل ولم يصبروا على ذلك ••

قال الامام أحمد رحمه الله : لا تتعرض للسلطان •• فان سيفه مسلول •• فأما ما جرى من السلف من التعرض لأمرائهم •• فانهم كانوا يهابون العلماء •• فاذا انبسطوا عليهم احتملوهم فى الأغلب »[٧] .

* * *

عن أبى هنيدة وائل بن حجر رضى الله عنه قال : سأل سلمة ابن يزيد الجعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبى الله •• أرأيت ان قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم •• ويمنعونا حقنا •• فما تأمرنا ؟ ••

فأعرض عنه •• ثم سأله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا •• فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم »[٨] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انها ستكون بعدى أثرة •• وأمور تنكرونها » •• قالوا : يا رسول الله •• كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال : « تؤدون الحق الذى عليكم •• وتسألون الله الذى لكم »[٩] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كره من أميره شيئا فليصبر •• فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية »[١٠] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(٧) مختصر منهاج القاصدين — لابن قدامة ص ١١٥

(٨) رواه مسلم . (٩) متفق عليه .

(١٠) متفق عليه .

قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره .. الا أن يؤمر بمعصية .. فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[11] .

وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليــه وسلم يقول : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم .. وتصلون عليهم ويصلون عليكم .. وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم .. وتلعنونهم ويلعنونكم » .. قال : قلنا : يا رسول الله .. أفلا ننابذهم ؟ قال : « لا .. ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا .. ما أقاموا فيكم الصلاة »[12] .

* * *

---

(١١) متفق عليه .

(١٢) رواه مسلم .

الى الذين يقولون ما لا يفعلون

يقول الله تعالى : « **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون** »[1] .

ويقول تعـــالى : « **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** »[2] .

ويقول على لسان شعيب عليه السلام : « **وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه** »[3] .

قيل لأسامة بن زيد رضى الله عنه : لو أتيت عثمان فكلمته ؟ فقال : انكم لترون أنى لا أكلمه الا أسمعكم .. وانى أكلمه فى السر دون أن أفتح بابا لا أكون أول من فتحه .. ولا أقول لرجل ان كان على أميرا انه خير الناس بعد شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليـــه وسلم . قالوا : وما هو ؟ .. قال سمعته يقول : « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار .. فتندلق أقتابه .. فيدور كما يدور الحمار برحاه .. فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : يا فلان .. ما شأنك ؟ أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه .. وأنهاكم عن الشر وآتيـــه » ..

وانى سمعته ـــ يعنى النبى صلى الله عليـــه وسلم يقول : « مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار .. قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون »[4] .

والأقتاب : هى الأمعاء ، واحدها قتب ـــ بكسر القاف وسكون التاء ـــ وتندلق : أى تخرج ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « رأيت ليلة أسرى بى رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من النار .. فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : الخطباء من أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » ؟[5] .

---

(١) البقرة : ٤٤
(٢) الصف : ٢ ، ٣
(٣) هود : ٨٨
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه ابن حبان .

وفى رواية : « مررت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار .. كلما قرضت عادت .. فقلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : خطباء من أمتك يقولون ما لا يفعلون »[٦] .

وفى أخرى : « أتيت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار .. فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون .. ويقرأون كتاب الله ولا يعملون به »[٧] .

وعن الحسن رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يخطب خطبة الا الله سائله عنها يوم القيامة : ما أردت بها » ؟

قال : فكان مالك — يعنى ابن دينار — اذا حدث بهذا بكى ثم يقول : أتحسبون أن عينى تقر بكلامى عليكم وأنا أعلم أن الله سائلى عنه يوم القيامة ؟ قال : ما أردت به ؟ أنت الشهيد على قلبى .. لو لم أعلم أنه أحب اليك لم أقر على اثنين أبدا »[٨] .

وروى عن الوليد بن عقبة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان ناسا من أهل الجنة ينطلقون الى ناس من أهل النار فيقولون : بم دخلتم النار ؟ فوالله ما دخلنا الجنة الا بما تعلمنا منكم ! .. فيقولون : انا كنا نقول و لانفعل »[٩] .

وعن جندب بن عبد الله الأزدى — صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم — عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج .. يضىء للناس ويحرق نفسه »[١٠] .

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أخوف ما أخاف عليكم بعدى : كل منافق عليم باللسان »[١١] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرجل لا يكون مؤمنا حتى يكون قلبه مع لسانه

---

(٦) لابن أبى الدنيا .　　(٧) للبيهقى .

(٨) رواه ابن أبى الدنيا و البيهقى .

(٩) رواه الطبرانى .　　(١٠) رواه الطبرانى .

(١١) رواه الطبرانى و البزار .

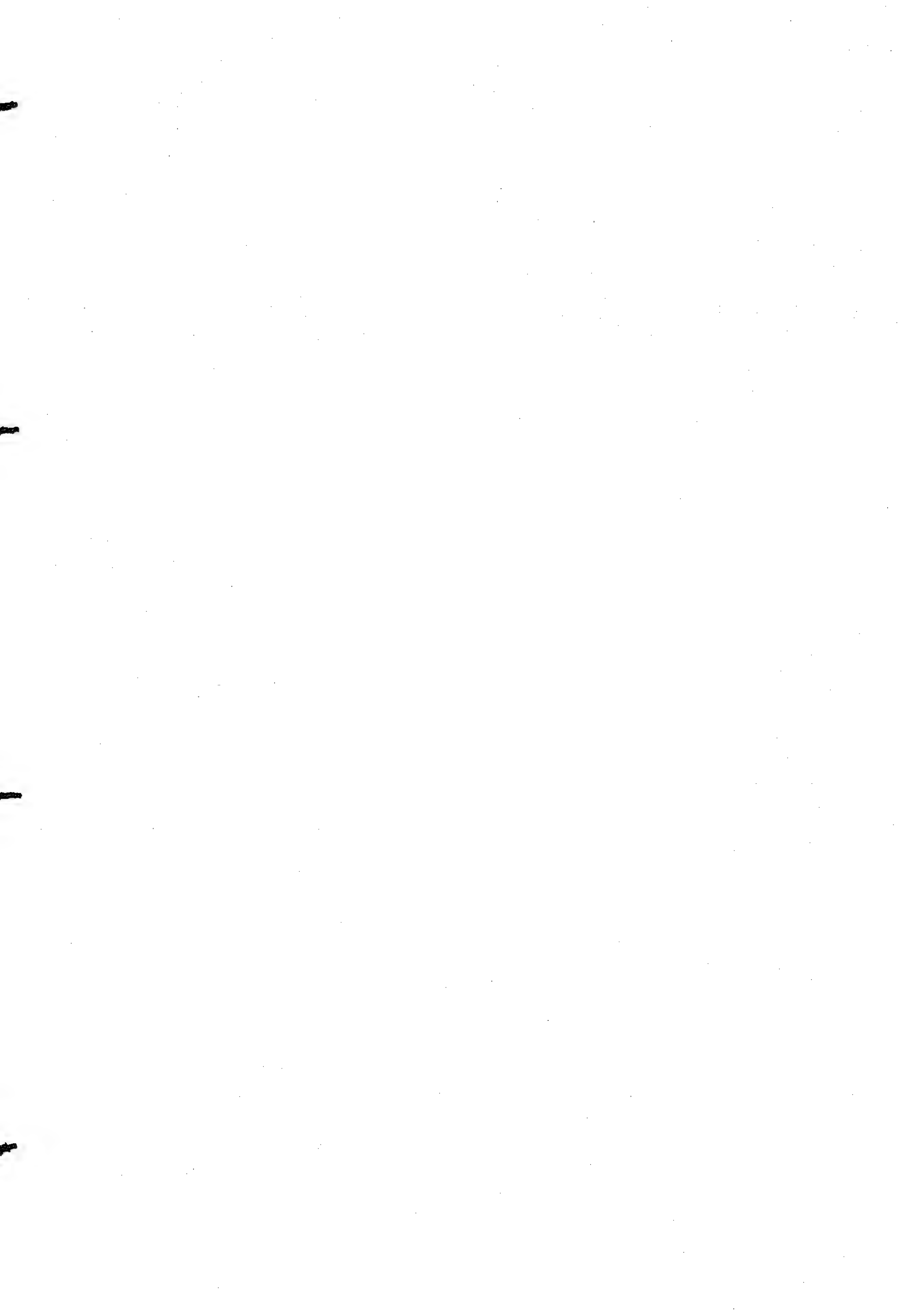
سواء •• ويكون لسانه مع قلبه سواء •• ولا يخالف قوله عمله •• ويأمن جاره بوائقه »[١٢] .

وعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « انى لا أتخوف على أمتى مؤمنا ولا مشركا •• أما المؤمن فيحجزه ايمانه •• وأما المشرك فيقمعه كفره •• ولكن أتخوف عليكم منافقا عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون »[١٣] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبصر أحدكم القذاء فى عين أخيه •• وينسى الجذع فى عينــه »[١٤] .



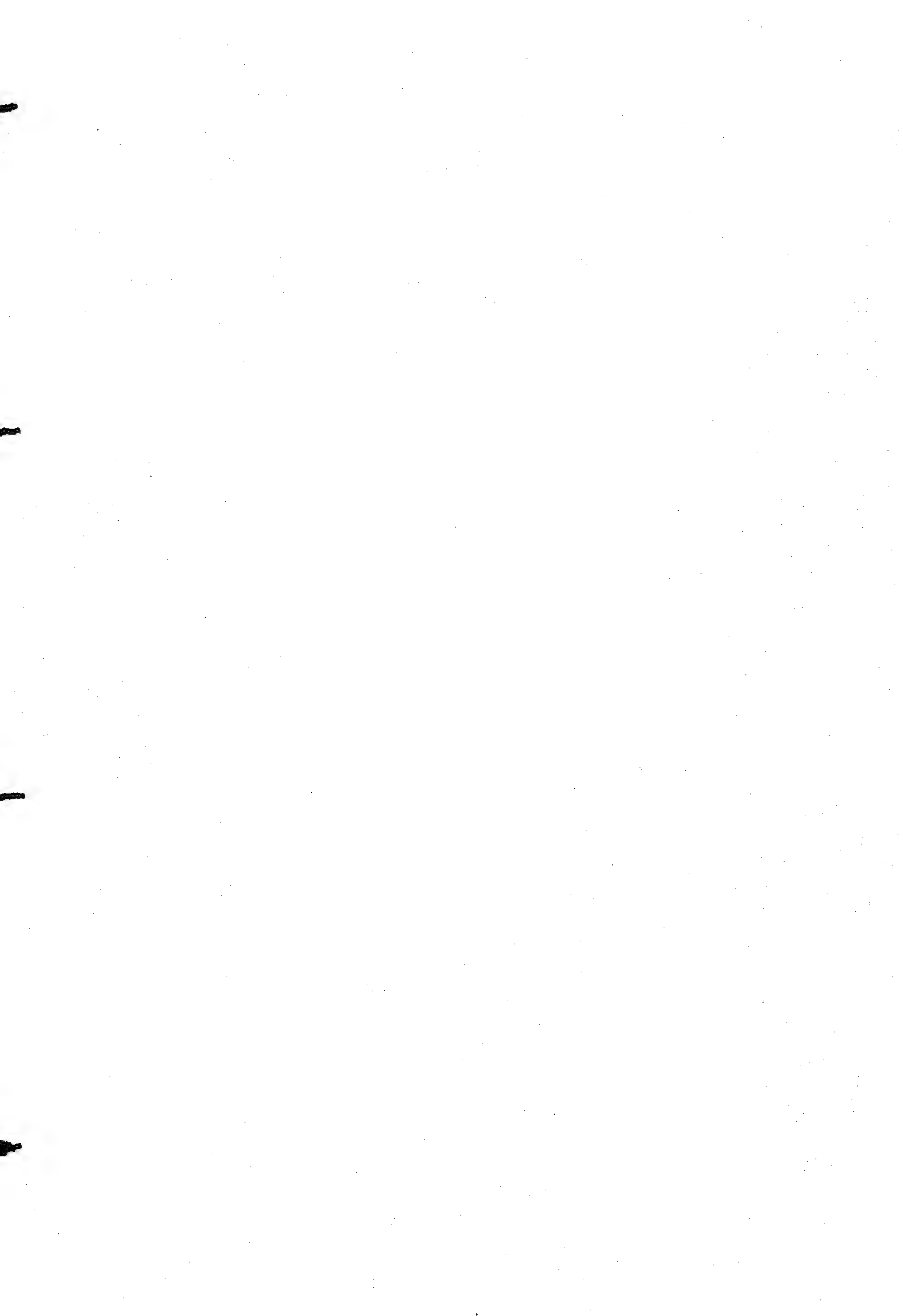
(١٢) رواه الأصبهانى .
(١٣) رواه الطبرانى .
(١٤) رواه ابن حبان .



الفصل الثامن

واصبر على ما أصابك

* ❊ الاسلام يحث على الصبر ..
* ❊ مراتب الصبر وأسمائه ..
* ❊ أقسام الصبر وأحكامه ومشتقاته ..
* ❊ يبتلى المؤمن على حسب دينه ..
* ❊ الصبر على تنفيذ الأوامر والطاعات ..
* ❊ الصبر على المناهى والمخالفات ..
* ❊ الصبر على الأقدار والأقضية ..
* ❊ الصبر على الأمراض ..
* ❊ الصبر على موت الأولاد والأقـارب والأحباب ..
* ❊ الصبر على الفقر والجوع ..
* ❊ الصبر على الأذى فى سبيل الله ..
* ❊ الصبر على هوى النفس ..
* ❊ صبر أيوب عليه السلام ..



الاسلام يحث على الصبر

يقول الله تعالى : **« واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين »**(١) .

ويقـــول : **« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ؛ ان الله مع الصابرين »**(٢) .

ويقول جل شأنه : **« وبشر الصابرين • الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون • أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون »**(٣) .

ويقول تعـــالى : **« ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بهـــا ، وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شـــيئا ، ان الله بما يعملون محيط »**(٤) .

ويقـــول : **« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »**(٥) .

ويقول جل وعلا : **« وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، ان الله مع الصابرين »**(٦) .

ويقول تعـــالى : **« الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير »**(٧) .

ويقـــول : **« انه من يتق ويصـــبر فان الله لا يضـــيع أجـــر المحسنين »**(٨) .

ذكر الله الصبر فى القرآن فى أكثر من تسعين آية ••

وحض المؤمنين عليـــه •• وبشرهم بالفلاح فى الدنيا والمغفرة فى الآخرة ••

ومدح الصابرين •• ووعدهم أن يوفيهم أجرهم بغير حساب •• فالصبر نصف الايمان •• وليس له جزاء الا الجنة ••

---

(١) البقرة : ٤٥
(٢) البقرة : ١٥٣
(٣) البقرة : ١٥٥ ــ ١٥٧
(٤) آل عمران : ١٢٠
(٥) آل عمران : ٢٠٠
(٦) الأنفال : ٤٦
(٧) هـــود : ١١
(٨) يوسف : ٩٠

والصبر لغة : المنع والحبس •• لأنه حبس النفس عن الجزع •• وحبس اللسان عن التشكى •• وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما ••

وفى الصبر معان ثلاثة : المنع •• والشدة •• والضم ••

ويقال : صبر اذا أتى بالصبر •• وتصبر اذا تكلفه واستدعاه •• واصطبر اذا اكتسبه وتعمله •• وصابر — بفتح الباء — اذا وقف خصمه فى مقام الصبر •• وصبر — بالتشديد — نفسه وغيره اذا حملها على الصبر ••

واسم الفاعل منه : صابر ، وصبار ، ومصابر ، ومصطبر ••

فمصابر من صابر •• ومصطبر من اصطبر •• وصابر — بالفتح — من صبر •• وأما صبار وصبور فمن أوزان المبالغة من الثلاثى ••

***

ويقول الله تعالى : **« ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »**[٩] •

ويقـــول : **« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين • واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون • ان الله مع الذين اتقـــوا والذين هم محسنون »**[١٠] •

ويقول جل شأنه : **« انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون »**[١١] •

ويقول تعـــالى : **« قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم ، للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، وأرض الله واسعة ، انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »**[١٢] •

ويقـــول : **« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم • وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »**[١٣] •

---

(٩) ابراهيم : ٥ ، ولقمان : ٣١ ، وسبأ : ١٩ ، والشورى : ٣٣
(١٠) النحل : ١٢٦ — ١٢٨ (١١) المؤمنون : ١١١
(١٢) الزمر : ١٠ (١٣) فصلت : ٣٤ ، ٣٥

ويقول : « ولمن صبر وغفر أن ذلك من عزم الأمور »[١٤] .

ويقول جل وعلا : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم »[١٥] .

ويقول تعالى : « واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ، وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وادبار النجوم »[١٦] .

ويقول : « والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »[١٧] .

* * *

* مراتب الصبر وأسمائه :

« وحقيقة الصبر أنه خلق فاضل من أخلاق النفس .. يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل . وهو قوة من قوى النفس التى بها صلاح شأنها وقوام أمرها »[١٨] .

« والصبر المحمود .. هو الصبر النفسانى الاختيارى عن اجابة داعى الهوى المذموم .. لهذا كانت مراتبه وأسماؤه بحسب متعلقه .. فانه ان كان صبرا عن شهوة الفرج المحرمة سمى عفة .. وضدها الفجور والزنا والعهر ..

وان كان عن شهوة البطن وعدم التسرع الى الطعام أو تناول ما لا يجمل منه سمى شرف نفس وشبع نفس .. وسمى ضده شرها ودناءه ووضاعة نفس ..

وان كان عن اظهار ما لا يحسن اظهاره من الكلام سمى كتمان سر .. وضده اذاعة وافشاء أو تهمة أو فحشاء أو سبا أو كذبا أو قذفا ..

وان كان عن فضول العيش سمى زهدا .. وضده حرصا ..

وان كان على قدر يكفى من الدنيا سمى قناعة .. وضدها الحرص أيضا ..

وان كان عن اجابة داعى الغضب سمى حلما .. وضده تسرعا ..

---

(١٤) الشورى : ٤٣ (١٥) محمد : ٣١

(١٦) الطور : ٤٨ ، ٤٩ (١٧) سورة العصر .

(١٨) عدة الصابرين — للامام ابن القيم — نشر دار التراث العربى سنة ١٩٨٠ ص ١١

وان كان عن اجابة داعى العجلة سمى وقارا وثباتا •• وضده طيشا وخفة ••

وان كان عن اجابة داعى الفرار والهرب سمى شجاعة •• وضده جبنا وخورا ••

وان كان عن اجابة داعى الانتقام سمى عفوا أو صفحا •• وضده انتقاما وعقوبة ••

وان كان عن اجابة داعى الامساك والبخل سمى جودا •• وضده بخلا ••

وان كان عن اجابة داعى الطعام والشراب فى وقت مخصوص سمى صوما ••

وان كان عن اجابة داعى العجز والكسل سمى كيسا ••

وان كان عن اجابة داعى القاء الكل على الناس وعدم حمل كلهم سمى مروءة •• فله عند كل فعل وترك اسم يخصه بحسب متعلقه •• والاسم الجامع لذلك كله « الصبر » •

وهذا يدلك على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر من أولها الى آخرها ••

وهكذا يسمى عدلا اذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين •• وضده الظلم ••

ويسمى سماحة اذا تعلق ببذل الواجب والمستحب بالرضا والاختيار ••

وعلى هذا جميع منازل الدين »[19] •

وقيل : « الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب » •

وقيل : « هو الغنى فى البلوى بلا ظهور شكوى » •

وقال الجنيد : « هو تجرع المرارة من غير تعبيس » ••

وقال ذو النون : « هو التباعد عن المخالفات •• والسكون عند تجرع غصص البلية •• واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة »

وقال عمرو بن عثمان المكى : « الصبر هو الثبات مع الله وتلقى بلائه بالرحب والدعة » ••

وقال أبو على الدقاق : « حد الصبر أن لا يعترض على التقدير » ••

* * *

---

(١٩) المرجع السابق ص ١٤

* أقسام الصبر وأحكامه ومشتقاته :

واشتق من الصبر التصبر والاصطبار والمصابرة •• والفرق بين هذه الصفات بحسب حال العبد فى نفسه وحاله مع غيره ••

فان حبس نفسه ومنعها عن اصابة داعى ما لا يحسن •• ان كان خلقا له وملكة سمى « صبرا » ••

وان كان بتصرف وتمرن وتجرع لمرارته سمى « تصبرا » •• كما يدل عليـه هـذا البناء لغة •• فانه موضوع للتكلف : كالتحلم والتشجع والتكرم والتحمل •• ونحوها •• فاذا تكلفه العبد واستدعاه صار سجية له ••

وأما « الاصطبار » •• فهو أبلغ من التصبر •• لأنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب •• فالتصبر مبدأ الاصطبار •• كما أن التكسب مقدمة الاكتساب •• فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطبارا ••

و « المصابرة » •• هى مقاومة الخصم فى ميدان الصبر •• لأنها مفاعلة تستدعى وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة ••

والله تعـالى يقول : **« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون »**(٢٠) .

فأمرهم بالصبر •• وهو حال الصابر مع نفسه •• والمصابرة وهى حاله فى الصبر مع خصمه •• والمرابطة وهى الثبات واللزوم والاقامة على الصبر والمصابرة •• فقد يصبر العبد ولا يصابر •• وقد يصابر ولا يرابط •• وقد يصـابر ويرابط من غير تعبد بالتقوى •• فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى •• وأن الفلاح موقوف عليها فقال : **« واتقوا الله لعلكم تفلحون »**(٢١) .

وينقسم الصبر الى أقسام ثلاثة ••

صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها ••

وصبر على المناهى والمخالفات حتى لا يقع فيها ••

وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها ••

كما تنقسم أحكام الصبر الى خمسة أقسام ••

---

(٢٠) آل عمران : ٢٠٠

(٢١) عدة الصابرين ص ١٥ ، ١٦ بتصرف .

صبر واجب : وهو الصبر على المحرمات •• وعلى أداء الواجبات ••. والصبر على المصائب التى لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها ••

وصبر مندوب : وهو الصبر على المكروهات ، وعلى المستحبات ، وعلى مقابلة الجانى بمثل فعله ••

وصبر محظور : كالصبر عن الطعام والشراب حتى يموت •• وكذلك الصبر على الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة اذا خاف بتركه الموت ــ وهم محرم ــ ويدخل فيه الصبر على ما يقصد هلاكه من سبع أو حيات أو حريق أو دماء •• أو الصبر على كافر يريد قتله ••

والقسم الرابع : الصبر المكروه •• كأن يصبر عن الطعام والشراب وللانسان الخيار بين فعله وتركه أو الصبر عليه ••

وأخيرا : صبر مباح •• وهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين •• وللانسان الخيار بين فعله وتركه أو الصبر عليه ••

* * *

*** يبتلى المؤمن على حسب دينه :**

يقول الله تعـالى : « **ونبلوكم بالشر والخـير فتنـة ، والينـا ترجعون** »[٢٢] .

والله سبحانه وتعالى •• خلق الخلق ، وخلق مابه غناهم وفقرهم •• وخلق الغنى والفقر ليبتلى بهما عباده أيهم أحسن عملا •• وجعل الغنى والفقر سببا للطاعة والمعصية والثواب والعقـاب •• ويقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية : « بالشدة والرخاء •• والصحة والسقم •• والغنى والفقر •• والحلال والحرام ، وكلها بلاء » ••

ويقول ابن يزيد : « نبلوكم بما تحبون وما تكرهون •• لننظر كيف صبركم وشكركم فيما تحبون وما تكرهون » ••

وقال الكلبى : « بالشر والفقر •• والبلاء والخير •• بالمـال والولد •• فأخبر سبحانه أن الغنى والفقر مطيتا الابتلاء والامتحان •• يقول تعالى : « **فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن • وأما اذا ما ابتـلاه فقـدر عليـه رزقه فيقـول ربى أهانن • كلا** »[٢٣] .

---

(٢٢) الأنبياء : ٣٥

(٢٣) الفجر : ١٥ ــ ١٧

فأخبر سبحانه أنه يبتلي عبده باكرامه له وبتنعيمه له •• وبسط الرزق عليـــه كما يبتليه بتضييق الرزق وتقديره عليه •• وأن كليهما ابتلاء منه وامتحان ••

ثم أنكر سبحانه على من زعم أن بسط الرزق وتوسعته اكرام من الله لعبده •• وأن تضييقه عليه اهانة منه له •• فقال : « كلا » •• أى ليس الأمر كما يقول الانسان •• بل قد أبتلى بنعمتى •• وأنعم ببلائى •• واذا تأملت ألفاظ الآية •• وجدت هذا المعنى يلوح على صفحاتها ظاهرا للمتأمل » اهـ [٢٤] .

فالله سبحانه قد جعل الغنى والفقر ابتلاء وامتحانا للشكر والصبر •• والصدق والكذب •• والاخلاص والشرك •• فالدنيا عرض زائل ومتاع غرور •• والآخرة هى دار الجزاء والثواب ••

يقول رسول الله صلى الله عليـــه وسلم •• فيما رواه أبو مالك الأشعرى رضى الله عنه : « الطهور شطر الايمان •• والحمد لله تملأ الميزان •• وسبحان الله والحمد لله تملآن — أو تملأ — ما بين السماء والأرض •• والصلاة نور •• والصدقة برهان •• والصبر ضياء •• والقرآن حجة لك أو عليك •• كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » [٢٥] .

فاذا كان الطهور شطر الايمان •• لأنه لا تصح عبادة من غير طهارة •• وكانت الصلاة نورا •• والصدقة برهانا •• والقرآن حجة •• فان الصبر هو الضياء الذى يستطيع الانسان به أن يبصر هذه الفضائل •• فيتمسك بها ويداوم عليها •• لذا فان من رزقه الله الصبر •• فقدرزق الخير كله ••

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ما رزق الله عبدا خيرا له ولا أوسع من الصبر » [٢٦] ••

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أربع لا يصبن الا بعجب : الصبر وهو أول العبادة •• والتواضع •• وذكر الله •• وقلة الشىء » [٢٧] ••

---

(٢٤) عدة الصابرين ص ١٣٥ ، ١٣٦
(٢٥) رواه مسلم . (٢٦) رواه الحاكم .
(٢٧) رواه الطبرانى والحاكم .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المـــال •• ولكن الزهادة فى الدنيا ألا تكون بما فى يدك أوثق منك بما فى يد الله •• وأن تكون فى ثــواب المصــيبة اذا أنت أصبت بهــا أرغب فيها لو أنهــا بقيت لك »(٢٨) .

وعن علقمة رضى الله عنه قال : قال عبد الله : « الصبر نصف الايمان •• واليقين الايمان كله »(٢٩) .

وعن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الصبر معول المسلم »(٣٠) .

لهذا كان أمر المؤمن اذا شكر أو صبر كله خيرا •• فعن صهيب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجبا لأمر المؤمن •• ان أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له •• وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له »(٣١) ••

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله عز وجل قال : يا عيسى •• انى باعث من بعدك أمة •• ان أصابهم ما يحبون حمدوا الله •• وان أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا •• ولا حلم ولا علم •• فقال : يا رب •• كيف يكون هذا ؟ •• قال : أعطيهم من حلمى وعلمى »(٣٢) ••

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليــه وسلم فأعطاهم •• ثم سألوه فأعطاهم •• حتى نفد ما عنده •• فقال لهم حين أنفق كل شىء بيده : « ما يكن عندى من خير فلن أوخره عنكم •• ومن يستعفف يعفه الله •• ومن يستغن يغنه الله •• ومن يتصبر يصبره الله •• وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر »(٣٣) ••

وروى عن سخبرة ــ بفتح السين واسكان الخاء بعدهما باء ــ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « من أعطى

---

(٢٨) رواه الترمذى .
(٢٩) رواه الطبرانى موقوفا .
(٣٠) ذكره رزين .
(٣١) رواه مسلم .
(٣٢) رواه الحاكم .
(٣٣) رواه الشيخان .

فشكر ، وابتلى فصبر ، وظلم فاستغفر ، وظلم فغفر[٣٤] .. ثم سكت .
فقالوا : يا رسول الله .. ماله ؟ قال : أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »[٣٥] .

لهذا كان ابتلاء الرجل على قدر دينه .. فكلما كان دينه صلبا كان بلاؤه شديدا .. وكان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ..

عن مصعب بن سعد عن أبيه رضى الله عنهما قال : قلت : يا رسول الله .. أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء .. ثم الأمثل فالأمثل .. يبتلى الرجل على حسب دينه .. فان كان دينه صلبا اشتد بلاؤه .. وان كان فى دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه .. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة »[٣٦] .

وعن العلاء بن المسيب عن أبيه عن سعد قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .. يبتلى الناس على قدر دينهم .. فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه .. ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه .. وان الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى فى الناس ما عليه خطيئة »[٣٧] ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمن كمثل الزرع .. لا تزال الرياح تفيئوه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء .. ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز .. لا تهتز حتى تستحصد »[٣٨] ..

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ابتلى الله عبدا ببلاء وهو على طريقة يكرهها .. الا جعل الله ذلك البلاء كفارة وطهورا ما لم ينزل ما أصابه من البلاء بغير الله .. أو يدعو غير الله فى كشفه »[٣٩] ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أحب الله عبدا أو أراد أن يصافيه .. صب عليه البلاء صبا .. وثجه عليه ثجا .. فاذا دعا العبد وقال : يا رباه ..

---

(٣٤) ظلم الأولى : بفتح الظاء واللام ، والثانية بضم الظاء وكسر اللام .
(٣٥) رواه الطبرانى .
(٣٦) رواه ابن ماجه وابن أبى الدنيا والترمذى .
(٣٧) رواه ابن حبان . (٣٨) رواه مسلم والترمذى .
(٣٩) رواه ابن أبى الدنيا .

قال الله : لبيك عبدى .. لا تسألنى شيئا الا أعطيتك .. اما أن أعجله لك واما أن أدخره لك »[40] ..

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليــه وسلم قال : « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء .. وان الله اذا أحب قوما ابتلاهم .. فمن رضى فله الرضا .. ومن سخط فله السخط »[41] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال : « ان الرجل ليكون له عند الله المنزلة .. فما يبلغهــا بعمــل .. فما يزال يبتليــه بما يكره حتى يبلغه اياها »[42] ..

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال : « من يرد الله به خيرا يصب منه »[43] ..

أى يوجه اليه مصيبة ويصيبه ببلاء ..

وعن محمود بن لبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال : « اذا أحب الله قوما ابتلاهم .. فمن صبر فله الصبر .. ومن جزع فله الجزع »[44] ..

وروى عن بريدة الأسلمى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليــه وسلم يقول : « ما أصاب رجلا من المسلمين نكبة فما فوقها .. حتى الشوكة .. الا لاحدى خصلتين .. اما ليغفر الله له من الذنوب ذنبا لم يكن ليغفره له الا بمثل ذلك .. أو يبلغ به من الكرامة كرامة لم يكن ليبلغها الا بمثل ذلك »[45] ..

وعن محمد بن خالد عن أبيه عن جده ــ وكانت له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليــه وسلم يقول : « ان العبد اذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل .. ابتلاه الله فى جسده أو فى ماله أو فى ولده .. ثم صبر على ذلك .. حتى يبلغه المنزلة التى سبقت له من الله عز وجل »[46] ..

---

(٤٠) رواه ابن أبى الدنيا . (٤١) رواه ابن ماجه والترمذى .
(٤٢) رواه ابو يعلى وابن حبان .
(٤٣) رواه مالك والبخارى . (٤٤) رواه احمد .
(٤٥) رواه ابن ابى الدنيا .
(٤٦) رواه احمد وابو داوود وابو يعلى والطبرانى .

وروى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ان الله عز وجل ليقول للملائكة : انطلقوا الى عبدى فصبوا عليه البلاء صبا •• فيحمد الله فيرجعون فيقولون : يآ ربنا •• صببنا عليه البلاء صبا كما أمرتنا •• فيقول : ارجعوا فانى أحب أن أسمع صوته »[٤٧] ••

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « الله ليجرب أحدكم بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار •• فمنه ما يخرج كالذهب الابريز •• فذاك الذى حماه الله من الشبهات ، ومنه ما يخرج دون ذلك •• فذلك الذى يشك بعض الشك ، ومنه ما يخرج كالذهب الأسود •• فذاك الذى افتتن »[٤٨] ••

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « المصيبة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه »[٤٩] •

وعنه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب •• ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب •• ثم يؤتي بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان •• فيصب عليهم الأجر صبا •• حتى ان أهل العافية ليتمنون فى الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله »[٥٠] •

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب •• لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض »[٥١] ••

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها •• ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه »[٥٢] ••

ودخل شباب من قريش على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها — وهى بمنى — وهم يضحكون •• فقالت : ما يضحككم ؟ •• قالوا : فلان خر على لهب فسطاط فكادت عنقه — أو عينه — أن تذهب !!

---

(٤٧) رواه الطبرانى .
(٤٨) رواه الطبرانى .
(٤٩) رواه الطبرانى .
(٥٠) رواه الطبرانى .
(٥١) رواه الترمذى وابن أبى الدنيا .
(٥٢) رواه احمد .

فقالت : لا تضحكوا .. فانى سمعت رسول الله صلى الله عليــه وسلم قال : « ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة .. ومحيت عنه بها خطيئة » ..

وفى رواية للبخارى ومسلم قال صلى الله عليــه وسلم : « ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله عنه بها .. حتى الشوكة يشاكها » ..

وفى أخرى لمسلم : « لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها الا نقص الله بها من خطيئته » .. وفى أخرى : « الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة » ..

وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم .. حتى الشوكة يشاكها .. الا كفر الله بها من خطاياه »(٥٣) ..

وفى رواية من حديث أبى هريرة وحده : « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن .. حتى الهم يهمه .. الا كفر به من سيئاته » ..

وفى أخرى : « ما من مؤمن يشاك بشوكة فى الدنيا يحتسبها الا قص بها من خطاياه يوم القيامة »(٥٤) ..

والنصب هو التعب .. والوصب : المرض ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة : فى نفسه وولده وماله .. حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة »(٥٥) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصيب بمصيبة فى ماله أو فى نفسه فكتمها ولم يشكها الى الناس .. كان حقا على الله أن يغفر له »(٥٦) ..

* * *

---

(٥٣) رواه الشيخان .
(٥٤) رواه ابن أبى الدنيا .
(٥٥) رواه الترمذى والحاكم .
(٥٦) رواه الطبرانى .

* الصبر على تنفيذ الأوامر والطاعات :

قلنا ان الصبر ينقسم الى أقسام ثلاثة ••

وقلنا ان أول أقســـام الصبر : هو الصبر على تنفيذ الأوامر والطاعات التى أمر الله بها عباده حتى تؤدى ••

عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ــ وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ــ فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ •• ألا تدعو لنا ؟ •• فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها •• ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين •• ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه •• ما يصده ذلك عن دينه •• والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه •• ولكنكم تستعجلون »[٥٧] ••

وفى رواية : « وهو متوسد بردة •• وقد لقينا من المشركين شدة •••• » الحديث •

ويقص علينا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ــ فيما يرويه صهيب رضى الله عنه ــ قصة أصحاب الأخدود •• الذين صبروا على الأذى وتحملوا المشاق والصعاب حتى الموت فى سبيل عقيدتهم وامتثالهم لأمر الله ••

فعن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم •• وكان له ساحر •• فلما كبر قال للملك : انى قد كبرت فابعث الى غلاما أعلمه السحر •• فبعث اليه غلاما يعلمه ••

وكان فى طريقه اذا سلك راهب •• فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه •• وكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه •• فاذا أتى الساحر ضربه •• فشكا ذلك الى الراهب فقال : اذا خشيت الساحر فقل : حبسنى أهلى •• واذا خشيت أهلك فقل : حبسنى الساحر ••

فبينما هو على ذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس •• فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا

---

(٥٧) رواه البخارى .

فقال : اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس •• فرماها فقتلها ومضى الناس •• فأتى الراهب فأخبره •• فقال له الراهب : أى بنى •• أنت اليوم أفضل منى •• قد بلغ من أمرك ما أرى •• وانك ستبتلى •• فان ابتليت فلا تدل على ••

وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص •• ويداوى الناس من سائر الأدواء •• فسمع به جليس للملك قد عمى •• فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ههنا لك أجمع ان أنت شفيتنى •• فقال : انى لا أشفى أحدا •• انما يشفى الله تعالى •• فان آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك •• فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى •• فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس •• فقال له الملك : من رد اليك بصرك ؟ قال : ربى •• قال : ولك رب غيرى ؟ ! قال : ربى وربك الله •• فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام •• فجىء بالغلام فقال له الملك : أى بنى •• قد بلغ من سحرك ما تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل ؟! فقال : انى لا أشفى أحدا •• انما يشفى الله تعالى ••

فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب •• فجىء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك •• فأبى •• فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه •• فشقه حتى وقع شقاه ••

ثم جىء بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك •• فأبى •• فوضع المنشار فى مفرق رأسه •• فشقه به حتى وقع شقاه ••

ثم جىء بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك •• فأبى •• فدفعه الى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به الى جبل كذا وكذا •• فاصعدوا به الجبل •• فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه •• فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت •• فرجف بهم الجبل فسقطوا •• وجاء يمشى الى الملك •• فقال له الملك : ما فعل بأصحابك ؟ •• فقال : كفانيهم الله تعالى ••

فدفعه الى نفر من أصحابه •• فقال : اذهبوا به فاحملوه فى قرقور — نوع من السفن — وتوسطوا به البحر •• فان رجع عن دينه والا فاقذفوه •• فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت •• فانكفأت بهم السفينة فغرقوا •• وجاء يمشى الى الملك •• فقال له الملك : ما فعل بأصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى ••

فقال للملك : انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به •• قال : ما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد •• وتصلبنى على جذع •• ثم خذ سهما من كنانتى •• ثم ضع السهم فى كبد القوس •• ثم قل : باسم الله رب الغلام •• ثم ارمنى •• فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى ••

فجمع الناس فى صعيد واحد •• وصلبه على جذع •• ثم أخذ سهما من كنانته •• ثم وضع السهم فى كبد القوس •• ثم قال : باسم الله رب الغلام •• ثم رماه فوقع السهم فى صدغه •• فوضع يده فى صدغه فمات •• فقال الناس : آمنا برب الغلام ••

فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر •• قد والله نزل بك حذرك •• قد آمن الناس •• فأمر بالأخدود بأفواه السكك •• فخدت وأضرم فيها النيران •• وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها — أو قيل له : اقتحم — ففعلوا •• حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها •• فتقاعست أن تقع فيها •• فقال لها الغلام : يا أماه •• اصبرى فانك على الحق »[58] .

* * *

ولقد كان الرسول صلى الله عليـــه وسلم المثل الأعلى فى الصبر على أداء ما أمره الله تعالى به •• أمره الله بتبليغ الرسالة فصدع لأمر ربه •• وتحمل من الايذاء فى سبيل الله أشده •• وهانت أمامه الصعاب •• فما وهن وما ضعف •• وما استكان •• حتى أدى الأمانة •• وبلغ الرسالة •• ونصح للأمة •• وجاهد فى الله حق جهاده ••

أخرج أحمد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد •• وأخفت فى الله وما يخاف أحد •• ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالى ولبلال ما يأكله ذو كبد الا ما يوارى ابط بلال »[59] .

وعن عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه قال : جاءت قريش الى أبى طالب فقالوا : يا أبا طالب •• ان ابن أخيك يأتينا فى أفنيتنا وفى نادينا فيسمعنا ما يؤذينا به ، فان رأيت أن تكفه عنا فافعل . فقال لى : يا عقيل •• التمس لى ابن عمك ، فأخرجته من كبس — أى بيت

---

(٥٨) رواه مسلم .

(٥٩) أخرجه أحمد والترمذى وابن حبان .

صغير — من أكباس أبى طالب ، فأقبل يمشى معى يطلب الفىء يمشى فبه فلا يقدر عليه حتى انتهى الى أبى طالب ، فقال له أبو طالب : يا ابن أخى .. والله ما علمت أن كنت لى لمطاعا ، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم فى كعبتهم وفى ناديهم تسمعهم ما يؤذيهم ، فان رأيت أن تكف عنهم . فحلق ببصره الى السماء فقال : « والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نـــار » . فقال أبو طـــالب : والله ما كذب ابن أخى قط ، ارجعـــوا راشدين[٦٠] .

وعند البيهقى أن أبا طالب قال له — صلى الله عليـــه وسلم — : يا ابن أخى .. ان قومك قد جاءونى وقالوا كذا وكذا فأبق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قد بدا لعمه فيه وأنه خاذله ومسلمه وضعف عن القيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « يا عم .. لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فى طلبه » ، ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى . فلما ولى قال له — حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله صلى الله عليـــه وسلم — : يا ابن أخى .. فأقبل عليه فقال : امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبدا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لـــا مات أبو طالب تجهموا بالنبى صلى الله عليه وسلم — أى لقوه بالغلظة والوجه الكريه — فقال : « يا عم .. ما أسرع ما وجدت فقدك » ..

وعن الحارث بن الحارث : قلت لأبى : ما هذه الجماعة ؟ قال : هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابىء لهم .. قال : فنزلنا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى توحيد الله عز وجل والايمان وهم يردون عليه ويؤذونه حتى اذا انتصف النهار وانصدع الناس عنه أقبلت امرأة قد بدا نحرها تحمل قدحا ومنديلا فتناوله منها فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال : « يا بنية .. خمرى عليك نحرك ولا تخافين على أبيك » . فقلنا : من هذه ؟ قالوا : هذه زينب ابنته — رضى الله عنها — .

---

(٦٠) أخرجه الطبرانى وابو يعلى ، كما اخرجه البخارى فى التاريخ .

وعن منبت الأزدى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وهو يقول : « يا أيها الناس •• قولوا : لا اله الا الله تفلحوا » ومنهم من تفل فى وجهه ، ومنهم من حثا عليه التراب ، ومنهم من سبه حتى انتصف النهار • فأقبلت جارية بعس من ماء فغسل وجهه ويديه وقال : « يا بنية •• لا تخشى على أبيك غيلة ولا ذلة » فقلت : من هذه ؟ قالوا : زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى جارية وضيئة(٦١) •

وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم جعل يقول : « يا بنية •• لا تبكين ، فان الله مانع أباك » •• ويقول ما بين ذلك : « ما نالت قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب •• ثم شرعوا » ••

وعن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ؟ •• قال : حضرتهم — وقد اجتمع أشرافهم فى الحجر — فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم — أو كما قالوا — قال : فبينما هم فى ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استقبل الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت • فلما مر بهم غمزوه ببعض ما يقول • قال : فعرفت ذلك فى وجهه ثم مضى • فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجهه ثم مضى • فلما مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فقال : « أتسمعون يا معشر قريش ؟ •• أما والذى نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح » •• فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم فيه وضاءة قبل ذلك ليرفؤه — أى يسكنه ويرفق به ويدعو له — بأحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول : انصرف يا أبا القاسم •• انصرف راشدا ، فوالله ما كنت جهولا • فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

حتى اذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر — وأنا معهم — فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم

---

(٦١) رواه الطبرانى .

بما تكرهون تركتموه • فبينما هم فى ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليــه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد ، فأطافوا به يقولون : أنت الذى تقول كذا وكذا ؟ لمــا كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم • قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم •• أنا الذى أقول ذلك » قال : فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه ، وقام أبو بكر رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكى : أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ ثم انصرفوا عنه ، فان ذلك لأشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط[٦٢] •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليــه وسلم مرة حتى غشى عليــه •• فقام أبو بكر رضى الله عنه فجعل ينادى : ويلكم •• أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ •• فقالوا : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر المجنون(*) •

وزاد البزار فى روايته : فتركوه •• وأقبلوا على أبى بكر ••

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى عليه وسلم فى المسجد وأبو جهل بن هشام وشيبة وعتبة ــ ابنا ربيعة ــ وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف ورجلان آخران كانوا سبعة وهم فى الحجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فلما سجد أطال السجود • فقال أبو جهل : أيكم يأتى جزور بنى فلان فيأتينا بفرثها فنكفئه على محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فانطلق أشقاهم عقبة ابن أبى معيط فأتى به فألقاه على كتفيه ورسول الله صلى الله عليــه وسلم ساجد ••

قال ابن مسعود : وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ليس عندى منعة تمنعنى فأنا أذهب ، اذ سمعت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت حتى ألقت ذلك عن عاتقه ثم استقبلت قريشا تسبهم فلم يرجعوا اليها شيئا ، ورفع رسول الله صلى الله عليــه وسلم رأسه كما كان يرفع عند تمام السجود • فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال : « اللهم عليك بقريش ــ ثلاثا ــ عليك بعتبة وعقبة وأبى جهل وشيبة » •

---

(٦٢) اخرجه أحمد .　　　(*) اخرجه أبو يعلى .

ثم خرج من المسجد فلقيــه أبو البخترى بسوط يتخصر به ، فلما رأى النبى صلى الله عليــه وسلم أنكر وجهه فقال : مالك ؟ فقال النبى صلى الله عليــه وسلم : « خل عنى » • قال : علم الله لا أخلى عنك أو تخبرنى ما شأنك ؟ •• فلقد أصابك شىء • فلما علم النبى صلى الله عليــه وسلم أنه غير مقل عنه أخبره فقال : « ان أبا جهل أمر فطرح على فرث » • فقال أبو البخترى : هلم الى المسجد فأتى النبى صلى الله عليــه وسلم وأبو البخترى فدخلا المسجد ، ثم أقبل أبو البخترى الى أبى جهل فقال : يا أبا الحكم •• أنت الذى أمرت بمحمد ــ صلى الله عليــه وسلم ــ فطرح عليه الفرث ؟ قال : نعم • قال : فرفع السوط فضرب به رأسه • قال : فثار الرجال بعضها الى بعض • قال : وصاح أبو جهل : ويحكم •• هى له انما أراد محمد ــ صلى الله عليــه وسلم ــ أن يلقى بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه(٦٣) •

وأخرج الطبرانى عن قتادة مرسلا قال : تزوج أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليــه وسلم عتيبة بن أبى لهب ، وكانت رقية عند أخيه عتبة بن أبى لهب ، فلم يبن بها حتى بعث النبى صلى الله عليــه وســلم • فلما نزل قولــه تعــالى : **« تبت يدا أبى لهب »** قال أبو لهب لابنيه عتبة وعتيبة : رأسى فى رؤوسكما حرام ان لم تطلقا ابنتى محمد ــ صلى الله عليــه وسلم ــ وقالت أمهما بنت حرب ابن أمية ــ وهى حمالة الحطب ــ : طلقاهما يا بنى •• فانهما صبأتا ، فطلقاهما • ولمـا طلق عتيبة أم كلثوم جاء الى النبى صلى الله عليــه وســلم حين فارقها فقال : كفــرت بدينك وفارقت ابنتك لا تجيئنى ولا أجيئك ، ثم سطا ــ أى وثب ــ عليه فشق قميص النبى صلى الله عليه وسلم وهو خارج نحو الشام تاجرا • فقال النبى صلى الله عليــه وسلم : « أما انى أسأل الله أن يسلط عليك كلبه » • فخرج فى تجار من قريش حتى نزلوا بمكان يقال له « الزرقاء » ليلا فأطاف بهم الأسد تلك الليلة فجعل عتيبة يقول : ويل أمى •• هذا والله آكلى كما قال محمد ــ صلى الله عليــه وسلم ــ قاتلى ابن أبى كبشة وهو بمكة وأنا بالشام ، فلقد غدا عليه الأسد من بين القوم فضغمه ضغمة فقتله ــ أى عضه بملء فيــه ــ •

---

(٦٣) أخرجه البزار والطبرانى •

قال زهير بن العلاء : فحدثنا هشام بن عروة عن أبيه : أن الأسد لما أطاف بهم تلك الليلة انصرف ، فناموا ، وجعلوا عتيبة وسطهم . فأقبل السبع يتخطاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه — أى شقه — وخلف عثمان بن عفان بعد رقية على أم كلثوم — رضى الله عنهما .

وعن ربيعة بن عبد الديلى قال : ما أسمعكم تقولون ان قريشا كانت تنال من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فانى أكثر ما رأيت أن منزله كان بين منزل أبى لهب وعقبة بن أبى معيط .. وكان ينقلب الى بيته فيجد الأرحام والدماء والأنحات قد نصبت على بابه .. فينحى ذلك بسية قوسه ويقول : « بئس الجوار هذا يا معشر قريش »[٦٤] ..

وعن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال : مات أبو طالب وازداد من البلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة فعمد الى ثقيف يرجو أن يؤوه وينصروه ، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم اخوة : عبد ياليل بن عمرو ، وخبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه وشكا اليهم البلاء وما انتهك قومه منه ، فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشىء قط ؟ وقال الآخر : والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبدا لأن كنت رسولا لأنت أعظم شرفا وحقا من أن أكلمك ، وقال الآخر : أعجز الله أن يرسل غيرك ؟

وأفشوا ذلك فى ثقيف الذى قال لهم ، واجتمعوا يستهزءون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدوا له صفين على طريقه ، فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها الا رضخوها بالحجارة وهم فى ذلك يستهزءون ويسخرون ، فلما خلص من صفيهم وقدماه تسيلان الدماء عمد الى حائط من كرومهم ، فأتى ظل حبلة من الكرم فجلس فى أصلها مكروبا موجعا تسيل قدماه الدماء فاذا فى الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله وبه الذى به فأرسلا اليه غلامهما عداسا بعنب وهو نصرانى من أهل نينوى ، فلما أتاه وضع العنب بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله » ، فعجب عداس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أى أرض أنت يا عداس » ؟

---

(٦٤) أخرجه الطبرانى .

قال : أنا من أهل نينوى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متى » ؟ فقال له عداس : وما يدريك من يونس بن متى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليـــه وسلم من شأن يونس ما عرف ، وكان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم لا يحقر أحدا يبلغه رسالات الله تعالى • قال : يا رسول الله •• أخبرنى خبر يونس بن متى • فلما أخبره رسول الله صلى الله عليـــه وسلم من شأن يونس ابن متى ما أوحى اليه من شأنه خر ساجدا لرسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، ثم جعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء • فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما سكتا •

فلما أتاهما قالا له : ما شأنك •• سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت هذا بأحد منا • قال : هذا رجل صالح حدثنى عن أشياء عرفتها من شأن رسول بعثه الله تعالى الينا يدعى يونس بن متى ، فأخبرنى أنه رسول الله ، فضحكا وقالا : لا يفتنك عن نصرانيتك ، انه رجل يخدع • ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة(٦٥) •

فى ذلك اليوم العصيب •• وقد لقى الرسول صلى الله عليـــه وسلم من الناس ما لقى •• جلس مجهدا فى ظل حائط ونادى ربه مناشدا اياه : « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس •• يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى •• الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى •• أم الى عدو ملكته أمرى ؟ •• ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى •• ولكن عافيتك هى أوسع لى •• أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات •• وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك •• لك العتبى حتى ترضى •• ولا حول ولا قوة الا بك » ••

وعن عروة أن عائشة رضى الله عنها حدثته أنها قالت للنبى صلى الله عليـــه وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ؟ ••

فقال صلى الله عليـــه وسلم : « لقد لقيت من قومك •• وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة •• اذ عرضت نفسى على عبد ياليـــل ابن عبد كلال •• فلم يجبنى الى ما أردت •• فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب ــ موضع بقرب مكة ــ فرفعت

---

(٦٥) اخرجه ابو يعلى فى دلائل النبوة .

رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى .. فنظرت فاذا فيها جبرائيل عليه السلام فنادانى فقال : ان الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك .. وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم .. فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد — فقال ذلك .. فما شئت أن أطبق عليهم الأخشبين — وهما جبلا أبو قبيس والأحمر المحيطان بمكة — فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا »(٦٦) .

صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله .. ما أعظمك وما أحلمك .. قوم يقعدون لك على جانبى الطريق .. يرضخون قدميك بالحجارة حتى يدموهما .. ويسخرون منك ويسبوك الى أن يلجئوك الى ظل حائط .. تنادى ربك وتشكو اليه ظلم الناس .. حتى اذا ما أرسل اليك ملك الجبال يستئذنك فى أن يطبق عليهم الجبلين .. أبيت ورجوت أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا .. أبعد هذا حلم ؟ .. وهل فوق هذا صبر ؟ .. صلوات الله وسلامه عليك يا من بعثت رحمة للعالمين ..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال أبو بكر : لو رأيتنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم اذ صعدنا الغار فأما قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقطرتا دما وأما قدماى فعادت كأنهما صفوان ..

قالت عائشة رضى الله عنها : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعود الحفية(٦٧) .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج فى رأسه فجعل يسلت — أى يمسح — الدم عن وجهه ويقول : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله » ؟ فنزل : **« ليس لك من الأمر شىء »**(٦٨) الآية ، وعند الطبرانى فى الكبير عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : أصيب وجه النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد فاستقبله مالك ابن سنان فمص جرحه ثم ازدرده ، فقال صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن ينظر الى من خالط دمه دمى فلينظر الى مالك بن سنان »(٦٩) .

---

(٦٦) رواه الشيخان والنسائى .

(٦٧) اخرجه ابن مردويه . (٦٨) آل عمران : ١٢٨

(٦٩) اخرجه الشيخان والترمذى .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان أبو بكر رضى الله عنه اذا ذكر يوم أحد قال : ذاك يوم كله لطلحة ، ثم أنشأ يحدث قال : كنت أول من فاء يوم أحد فرأيت رجلا يقاتل فى سبيل الله دونه ، وأراه قال : حمية ، قال : فقلت : كن طلحة حيث فاتنى ما فاتنى فقلت : يكون رجلا من قومى أحب الى ، وبينى وبين المشركين رجل لا أعرفه وأنا أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وهو يخطف المشى خطفا لا أخطفه ، فاذا هو أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ، فانتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كسرت رباعيته وشج فى وجهه •• وقد دخل فى وجنته حلقتان من حلق المغفر ••

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكما صاحبكما » ـــ يريد طلحة وقد نزف ـــ فلم نلتفت اليه ••

قال : وذهبت لأنزل ذلك من وجهه •• فقال أبو عبيدة : أقسم عليك بحقى لما تركتنى •• فتركته •• فكره تناولها ـــ أى الحلقة ـــ بيده فيؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فأزم عليها بفيه ـــ أى عض عليها بفمه ـــ فاستخرج احدى الحلقتين •• ووقعت ثنية مع الحلقة •• وذهبت لأصنع ما صنع •• فقال : أقسمت عليك بحقى لما تركتنى •• قال : ففعل مثل ما فعل فى المرة الأولى فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة ••

فكان أبو عبيدة رضى الله عنه من أحسن الناس هتما ••

قال : فأصلحنا من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم •• ثم أتينا طلحة فى بعض تلك الجفار ـــ أى الحفر ـــ فاذا به بضع وسبعون طعنة ورمية وضربة •• واذا قد قطعت اصبعه فأصلحنا من شأنه[٧٠] •

هكذا كان صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القيام بدعوته •• والامتثال لأمر ربه •• فجزاه الله خير ما جزى نبيا عن أمتـه ••

* * *

---

(٧٠) أخرجه أبو داوود .

● والقسم الثـانى من الصبر •• هو الصبى على المنـاهى والمخالفات حتى لا يقع العبد فيها •• وهو واجب •• ويكون ذلك باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ••

ولا يخلو ما يلقاه العبد فى الدنيا من نوعين[٧١] :

« أما أحدهما فهو ما يوافق هواه من الصحة والسلامة والمـال والجاه •• وكثرة العشيرة والأتباع •• وجميع ملاذ الدنيا ••

فالعبد محتاج الى الصبر فى جميع هذه الأمور •• فلا يركن اليها •• ولا ينهمك فى التلذذ بها •• ويراعى حق الله تعالى فى ماله بالانفاق •• وفى بدنه بالمعونة للحق ••

ومتى لم يضبط نفسه عن الانهماك فى الملاذ والركون اليها •• أخرجه ذلك الى البطر والطغيان •• حتى قال بعض العارفين : المؤمن يصبر على البلاء •• ولا يصبر على العافية الا صديق ••

وقـال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : ابتلينـا بالضراء فصبرنا •• وابتلينـا بالسراء فلم نصبر ••

ولذلك قال الله تعالى : **« لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله »**[٧٢] •• وقـال : **« واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة »**[٧٣] .

وقال جل شأنـه : **« ان من أزواجـكم وأولادكم عدوا لـكم فاحذروهم »**[٧٤] .

فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية •• وهذا الصبر متصل بالشكر •• فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر •• وانما كان الصبر على السراء شديدا •• لأنه مقرون بالقدرة •• والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه عند حضور الطعام اللذيذ ••

وأما الثانى •• فهو المخالف للهوى •• والقسم الأول منه : الطاعات ، فيحتاج العبد الى الصبر عليها لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية ••

---

(٧١) عن مختصر منهاج القاصدين ص ٢٣٦ بتصرف .
(٧٢) المنافقون : ٩ (٧٣) الأنفال : ٢٨
(٧٤) التغابن : ١٤

ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة .. ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة .. ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد ..

ويحتاج المريد الى الصبر على طاعته فى ثلاثة أحوال :

حال قبل العبادة .. وهى تصحيح النية ، والاخلاص .. والصبر عن شوائب الرياء ..

وحال فى نفس العبادة .. وهى أن لا يغفل عن الله تعالى فى أثناء العبادة .. ولا يتكاسل عن تحقيق الآداب والسنن .. فيلازم الصبر على دواعى الفتور الى الفراغ من العمل .

والحال الثالثة بعد الفراغ من العمل .. وهى الصبر عن افشائه والتظاهر به لأجل الرياء والسمعة .. وعن كل ما يبطل عمله .. فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى أبطلها ..

أما القسم الثانى منه .. وهو الصبر عن المعاصى .. وما أحوج العبد الى ذلك .. فاذا كان الفعل مما تيسر فعله كمعاصى اللسان من الغيبة والكذب والمراء ونحوه .. كان الصبر عليـه أثقل .. فترى الانسان اذا لبس حريرا استنكر ذلك .. ويغتاب أكثر نهاره فلا يستنكر ذلك .. ومن لم يملك لسانه فى المحاورات ولم يقدر على الصبر .. لم ينجه الا العزلة ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصبر ثلاثة : صبر على المصيبة .. وصبر على الطاعة .. وصبر على المعصية .. فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة .. ما بين الدرجة الى الأخرى كما بين السماء والأرض .. ومن صبر على الطاعة كتبت له ستمائة درجة ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الأرض الى منتهى العرش .. ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة .. ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الأرض الى منتهى العرش مرتين » اهـ .

* * *

● أما القسم الثالث من أقسام الصبر فهو الصبر على الأقدار والأقضية .. مما لا يدخل تحت الاختبار .. كالمصائب مثل موت الأحبة وهلاك الأموال .. وعمى العين .. وزوال الصحة .. وسائر أنواع البلاء .. والصبر على ذلك من أعلى المقامات لأن سنده اليقين ..

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يصب منه » ••

وقريب من هذا القسم •• الصبر على أذى الناس •• كالذى يؤذى بقول أو فعل أو جناية على نفسه أو ماله •• والصبر على ذلك من أعلى المراتب •• فالله تعالى يقول : **« وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور »**[٧٥] •• ويقول : **« ولئن صبرتم لهو خير للصابرين »**[٧٦] .

ويقول الامام ابن قدامة المقدسى فى آداب الصبر[٧٧] :

« من آداب الصبر استعماله فى أول صدمة •• لقوله صلى الله عليه وسلم : « انما الصبر عند الصدمة الأولى » حديث صحيح ••

ومن الآداب الاسترجاع عند المصيبة لحديث أم سلمة رضى الله عنها •• وهو من رواية مسلم ••

ومن الآداب سكون الجوارح واللسان •• فأما البكاء فجائز ••

قال بعض الحكماء : الجزع لا يرد الفائت •• ولكن يسر الشامت ••

ومن حسن الصبر أن لا يظهر أثر المصيبة على المصاب •• كما فعلت أم سليم امرأة أبى طلحة لما مات ابنها •• وحديثها مشهور فى صحيح مسلم ••

واذا كانت المصيبة مما يمكن كتمانها •• فكتمانها من نعم الله عز وجل الخفية ••

فان قيل : ان كان المراد من الصبر عدم كراهية المصائب •• فلا قدرة للآدمى على ذلك •• وان كان الفرح بوجودها كما حكيتم •• فهو أبعد ••

والجواب : أن الصبر لا يكون الا عن محبوب أو على مكروه •• ولا ينهى عما لا يدخل تحت الكسب •• وهو انزعاج الباطن •• وانما ينهى عن المكتسب كشق الجيوب •• ولطم الخدود •• والقول باللسان •• فأما ما ذكر من فرح بعضهم فهذا فرح شرعى لا طبعى •• اذ الطبع لابد له من كراهة المصائب » اهـ .

* * *

---

(٧٥) آل عمران : ١٨٦ (٧٦) النحل : ١٢٦

(٧٧) المرجع السابق ص ٢٣٨ بتصرف .

* الصبر على الأمراض :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : دخلت على النبى صلى الله عليــه وسلم وهو موعك .. فقلت : يا رسول الله .. انك توعك وعكا شديدا .. قال : « أجل .. انى أوعك كما يوعك رجلان منكم » .. قلت : ذلك أن لك أجرين ؟ قال : « أجل .. ذلك كذلك .. ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها .. الا كفر الله بها سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها »(٧٨) .

وعن أبى سعيد رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موعوك عليــه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة فقال : ما أشد حماك يا رسول الله ! قال : « انا كذلك يشدد علينــا البلاء ويضاعف لنا الأجر » ، ثم قال : يا رسول الله .. من أشد الناس بلاء ؟ قال : « الأنبياء » ، قال : ثم من ؟ قال : « العلماء » ، قال : ثم من ؟ قال : « الصالحون .. كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد الا العباءة يلبسها .. ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء »(٧٩) ..

وعن أبى عبيدة بن حذيفة رضي الله عنه عن عمته فاطمة رضى الله عنها قالت : أتينا رسول الله صلى الله عليــه وسلم فى نساء نعوده وقد حم فأمر بسقاء فعلق على شجرة ثم اضطجع تحته فجعل يقطر على فواقه من شدة ما يجد من الحمى فقلت : يا رسول الله .. لو دعوت الله أن يكشف عنك . فقال : « ان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »(٨٠) .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم طرقه وجع فجعل يشتكى ويتقلب على فراشه فقالت له عائشة : لو فعل هذا بعضنا لوجدت عليه . فقال : « ان المؤمنين ليشدد عليهم وانه ليس من مؤمن تصيبه نكبة شوكة ولا وجع الا كفر الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة »(٨١) .

---

(٧٨) متفق عليه .

(٧٩) اخرجه ابن ماجه وابن ابى الدنيا .

(٨٠) اخرجه البيهقى .

(٨١) اخرجه ابن سعد والحاكم والبيهقى .

وعن أنس رضى الله عنه قال : لمـــا ثقل النبى صلى الله عليــه وسلم جعل يتغشاه الكرب ـ أى الألم ـ فقالت فاطمة رضى الله عنها : واكرب أبتاه •• فقال : « ليس على أبيك كرب بعد اليوم » ••

فلما مات قالت : يا أبتاه •• أجاب ربا دعاه ، يا أبتاه •• جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه •• الى جبريل ننعاه ••

فلما دفن قالت فاطمة رضى الله عنها : أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ (٨٢) .

وعن أبى السفر قال : دخل على أبى بكر رضى الله عنه ناس يعودونه فى مرضه فقالوا : يا خليفة رسول الله صلى الله عليــه وسلم •• ألا ندعو لك مطببا ينظر اليك ؟ قال : قد نظر الى ، قالوا : فماذا قال لك ؟ قال : قال : انى فعال لمــا أريد (٨٣) .

وعن معاوية بن قرة أن أبا الدرداء رضى الله عنه اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا : ما تشتكى يا أبا الدرداء ؟ قال : أشتكى ذنوبى ، قالوا : فما تشتهى ؟ قال : أشتهى الجنة ، قالوا : أفلا ندعو لك طبيبا ؟ قال : هو الذى أضجعنى (٨٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : فقد النبى صلى الله عليه وسلم رجلا كان يجالسه فقال : « مالى فقدت فلانا » ؟ فقالوا : اعتبط ـ وكانوا يسمون الوعك الاعتباط ـ فقال : « قوموا حتى نعوده » . فلما دخل عليه بكى الرجل فقال له النبى صلى الله عليــه وسلم : « لا تبك فان جبريل أخبرنى أن الحمى حظ أمتى من جهنم » (٨٥) .

وروى عن بشير بن عبد الله بن أبى أيوب الأنصارى عن أبيه عن جده قال : عاد رسول الله صلى الله عليــه وسلم رجلا من الأنصار •• فأكب عليه فسأله ، فقال : يا نبى الله •• ما غمضت منذ سبع ولا أحد يحضرنى •• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى أخى •• اصبر ، أى أخى اصبر تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها » •• قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ساعات الأمراض يذهبن ساعات الخطايا » (٨٦) .

---

(٨٢) رواه البخارى .

(٨٣) اخرجه ابن سعد وابن ابى شيبة واحمد .

(٨٤) اخرجه ابو نعيم فى الحلية .

(٨٥) اخرجه الطبرانى .

(٨٦) رواه ابن ابى الدنيا .

وعن أبى بردة قال : كنت عند معاوية وطبيب يعالج قرحة فى ظهره وهو يتضرر .. فقلت له : لو بعض شبابنا فعل هذا لعينا ذلك عليه !! فقال : ما يسرنى أنى لا أجده .. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد يصيبه أذى فى جسده الا كان كفارة لخطاياه »(٨٧) .

وفى رواية أنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من شىء يصيب المؤمن فى جسده ويؤذيه .. الا كفر الله به عنه من سيئاته » ..

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا اشتكى المؤمن أخلصه الله من الذنوب كما يخلص الكير خبث الحديد »(٨٨) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مرض العبد أو سافر .. كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا »(٨٩) .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم شجرة فهزها .. حتى تساقط ورقها ما شاء الله أن يتساقط .. ثم قال : « للمصيبات والأوجاع أسرع فى ذنوب ابن آدم منى فى هذه الشجرة »(٩٠) .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون .. فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله تعالى على من يشاء .. فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين .. فليس من عبد يقع فى الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيب الا ما كتب الله له .. الا كان له مثل أجر الشهيد »(٩١) .

---

(٨٧) رواه ابن ابى الدنيا .
(٨٨) رواه ابن ابى الدنيا والطبرانى وابن ماجه .
(٨٩) رواه البخارى وابو داوود .
(٩٠) رواه ابن ابى الدنيا وابو يعلى .
(٩١) رواه البخارى .

وعن عطاء بن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس رضى الله عنهما : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ فقلت : بلى .. قال : هـذه لمرأة السوداء .. أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : انى أصرع وانى أتكشف .. فادع الله تعالى لى ، قال : « ان شئت صبرت ولك الجنة .. وان شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك » فقالت : أصبر .. ثم قالت : انى أتكشف .. فادع الله أن لا أتكشف .. فدعا لها(٩٢) .

وعن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم أنه قال لأصحابه : « أتحبون أن لا تمرضوا » ؟ قالوا : والله انا لنحب العافية .. فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « وما خير أحدكم أن لا يذكره الله » ؟ (٩٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « ما ضرب على مؤمن عرق قط .. الا حط الله به عنه خطيئة وكتب له حسنة ورفع له درجة »(٩٤) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « ما من أحد من الناس يصاب ببلاء فى جسده الا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه قال : اكتبوا لعبدى فى كل يوم وليلة ما كان يعمله من خير ما كان فى وثاقى »(٩٥) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « اذا ابتلى الله عز وجل العبد المسلم ببلاء فى جسده قال الله عز وجل للملك : اكتب له صالح عمله الذى كان يعمل .. وان شفاه غسله وطهره .. وان قبضه غفر له ورحمه »(٩٦) .

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ما من عبد يمرض مرضا الا أمر الله حافظيه : أن ما عمل من سيئة فلا يكتبها .. وما عمل من حسنة يكتبها عشر حسنات .. وأن يكتب له من العمل الصالح كما كان يعمل وهو صحيح وان لم يعمل »(٩٧) .

---

(٩٢) **متفق عليه .** (٩٣) رواه ابن أبى الدنيا .
(٩٤) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى والحاكم .
(٩٥) رواه أحمد والحاكم . (٩٦) رواه أحمد .
(٩٧) رواه أبو يعلى وابن أبى الدنيا .

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجيب للمؤمن وجزعه من السقم ! •• ولو كان يعلم ماله من السقم أحب أن يكون سقيما الدهر •• ثم ان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم رفع رأسه الى السمـــاء فضحك •• فقيل : يا رسول الله •• مم رفعت رأسك الى السماء فضحكت ؟ فقال : عجبت من ملكين كانا يلتمسان عبدا فى مصلى كان يصلى فيه •• فلم يجداه فرجعا فقالا : يا ربنا •• عبدك فلان كنا نكتب له فى يومه وليلته عمله الذى كان يعمل •• فوجدناه حبسته فى حبالك •• قال الله تبارك وتعالى : اكتبوا لعبدي عمله الذى كان يعمله فى يومه وليلته •• ولا تنقصوا منه شيئا •• وعلى أجره ما حبسته وله أجر ما كان يعمل »[٩٨] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تبارك وتعالى : اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده •• أطلقته من اسارى ثم أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل »[٩٩] .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله •• كيف الصلاح بعد هذه الآية : **« ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به »**[١٠٠] ـ الآية ـ وكل شىء عملناه جزينا به ؟ ! فقال صلى الله عليـــه وسلم : « غفر الله لك يا أبا بكر •• ألست تمرض ؟ ألست تحزن ؟ ألست يصيبك اللأواء ؟ •• قال : قلت : بلى •• قال : هو ما تجزون به »[١٠١] .

وعن عطاء بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال : « اذا مرض العبد بعث الله اليه ملكين •• فقال : انظروا ما يقول لعواده •• فان هو اذا جاءوه حمد الله وأثنى عليـــه رفعا ذلك الى الله ــ وهو أعلم ــ فيقول : لعبدي ان توفيته أن أدخله الجنة •• وان أنا شفيته أن أبدله لحما خيرا من لحمه •• ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته »[١٠٢] .

---

(٩٨) رواه ابن ابى الدنيا والطبرانى والبزار .
(٩٩) رواه الحاكم .   (١٠٠) النساء : ١٢٣
(١٠١) رواه ابن حبان .
(١٠٢) رواه مالك وابن ابى الدنيا .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الصداع والمليلة لا تزال بالمؤمن وان ذنبه مثل أحد •• فما تدعه وعليه من ذلك مثقال حبة من خردل »(١٠٣) ••

والمليلة — بفتح الميم وكسر اللام — هى الحمى تكون فى العظم ••

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله ليبتلى عبده بالسقم حتى يكفر ذلك عنه كل ذنب »(١٠٤) •

وعن يحيى بن سعيد أن رجلا جاءه الموت فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل : هنيئا له •• مات ولم يبتل بمرض !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويحك •• ما يدريك لو أن الله ابتلاه بمرض يكفر عنه سيئاته »(١٠٥) •

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يصرع صرعة من مرض الا بعثه الله منها طاهرا »(١٠٦) ••

وعن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك والحمى كحديدة تدخل النار •• فيذهب خبثها ويبقى طيبها »(١٠٧) •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله عز وجل قال : اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه — يعنى عينيه — فصبر عوضته منهما الجنة »(١٠٨) •

وعنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه تبارك وتعالى قال : « ان الله قال : يا جبريل •• ما ثواب عبدى اذا أخذت كريمتيه — أى عينيه — الا النظر الى وجهى •• والجوار فى دارى » قال أنس : فلقد رأيت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يبكون حوله يريدون أن تذهب أبصارهم !! (١٠٩) •

---

(١٠٣) رواه أحمد وابن أبى الدنيا والطبرانى .

(١٠٤) رواه الحاكم . (١٠٥) رواه مالك .

(١٠٦) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى .

(١٠٧) رواه الحاكم . (١٠٨) رواه البخارى .

(١٠٩) رواه الطبرانى .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه •• فان كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى •• وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى » ••

* * *

*** الصبر على موت الأولاد والأقارب والأحباب :**

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه حين استشهد فنظر الى منظر لم ينظر الى منظر أوجع للقلب منه — أو أوجع لقلبه منه — ونظر اليه وقد مثل به فقال : « رحمة الله عليك ان كنت ما علمت لوصولا للرحم فعولا للخيرات والله لولا حزن من بعدك عليك يسرنى أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع — أو كلمة نحوها — أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين كميتتك » ، فنزل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآية وقرأ : **« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به »**[110] — الى آخر الآية — فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسك عن ذلك[111] •

وعن مكحول رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتمد على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وابراهيم يجود بنفسه ، فلما مات دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الرحمن : أى رسول الله •• هذا الذى تنهى الناس عنه ، متى يرك المسلمون تبكى يبكوا • قال : فلما سريت عنه عبرته قال : « انما هذا رحم وان من لا يرحم لا يرحم ، انما ننهى الناس عن النياحة وأن يندب الرجل بما ليس فيه » ، ثم قال : « لولا أنه وعد جامع وسبيل مئتاء — أى مسلوك — وأن آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجدا غير هذا وانا عليه لمحزونون •• تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب •• وفضل رضاعه فى الجنة »[112] •

---

(١١٠) النحل : ١٢٦

(١١١) أخرجه البزار والطبرانى .

(١١٢) أخرجه ابن سعد .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأرسلت اليه احدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيا لها فى الموت فقال للرسول : « ارجع اليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب » . فعاد الرسول فقال : انها قد أقسمت لتأتينها . فقام النبى صلى الله عليه وسلم وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت رضى الله عنهم ورجال ، وانطلقت معهم فرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبى ونفسه تقعقع كأنها فى شن ففاضت عيناه فقال له سعد : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : « هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء »(١١٣) .

وعن خالد بن شمير رضى الله عنه قال : لما أصيب زيد بن حارثة رضى الله عنه أتاهم النبى صلى الله عليه وسلم قال : فجهشت بنت زينب فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتحب .. فقال سعد بن عبادة رضى الله عنه : يا رسول الله .. ما هذا ؟ ! قال : « هذا شوق الحبيب الى حبيبه »(١١٤) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « قبل النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون رضى الله عنه وهو ميت .. وهو يبكى وعيناه تذرفان »(١١٥) ..

وفى رواية لابن سعد أنها قالت : « فرأيت دموع النبى صلى الله عليه وسلم تسيل على خد عثمان بن مظعون » ..

وعن أنس رضى الله عنه قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكى عند قبر فقال : « اتقى الله واصبرى » فقالت : اليك عنى .. فانك لم تصب بمصيبتى ! — ولم تعرفه — فقيل لها : انه النبى صلى الله عليه وسلم .. فأتت باب النبى صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين .. فقالت : لم أعرفك .. فقال : « انما الصبر عند الصدمة الأولى »(١١٦) .

---

(١١٣) أخرجه احمد والترمذى وابن ماجه وابو داوود .

(١١٤) رواه ابن سعد .

(١١٥) رواه الترمذى .

(١١٦) متفق عليه .

وعن القاسم بن محمد قال : رمى عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنهما بسهم يوم الطائف فانتقضت به بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين ليلة فمات فدخل أبو بكر على عائشة رضى الله عنها فقال : أى بنية •• والله لكأنما أخذ بأذن شاة فأخرجت من دارنا • فقالت : الحمد لله الذى ربط على قلبك وعزم لك على رشدك • فخرج ثم دخل فقال : أى بنية •• أتخافون أن تكونوا دفنتم عبد الله وهو حى ؟ فقالت : انا لله وانا اليه راجعون يا أبت •

فقال : أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم •• أى بنية •• انه ليس أحد الا وله لمتان لمة من الملك ولمة من الشيطان • قال : فقدم عليه وفد ثقيف ولم يزل ذلك السهم عنده فأخرجه اليهم فقال : هل يعرف هذا السهم منكم أحد ؟ فقال سعد بن عبيد أخو بنى العجلان : هذا سهم أنا بريته ورشته وعقبته وأنا رميت به ، فقال أبو بكر : فان هذا السهم الذى قتل عبد الله بن أبى بكر فالحمد لله الذى أكرمه بيدك ولم يهنك بيده فانه واسع الحمى(١١٧) •

وعن عمر بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب رضى الله عنه قال : كان عمر يصاب بالمصيبة فيقول : أصبت بزيد بن الخطاب فصبرت • وأبصر عمر رضى الله عنه قاتل أخيه زيد فقال له : ويحك •• لقد قتلت لى أخا ما هبت الصبا الا ذكرته(١١٨) •

وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قيل له : انك امرؤ ما يبقى لك ولد ، فقال : الحمد لله الذى يأخذهم من دار الفناء ويدخرهم فى دار البقاء(١١٩) •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مات ابن لأبى طلحة من أم سليم فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه •• فجاء فقربت اليه عشاء فأكل وشرب •• ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك •• فوقع بها ••

فلما أن رأت أنه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة •• أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت •• فطلبوا عاريتهم •• ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا •• قالت : فاحتسب ابنك ••

---

(١١٧) رواه الحاكم والبيهقى .   (١١٨) رواه الحاكم والبيهقى .
(١١٩) رواه ابو نعيم .

قال : فغضب ثم قال : تركتنى حتى اذا تلطخت ثم أخبرتنى بابنى •• فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان •• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بارك الله فى ليلتكما » ••

قال : فحملت ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر وهى معه •• وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقا •• فدنوا من المدينة فضربها المخاض •• فاحتبس عليها أبو طلحة •• وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

قال : يقول أبو طلحة : انك لتعلم يا رب أنه يعجبنى أن أخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج •• وأدخل معه اذا دخل •• وقد احتبست بما ترى ••

تقول أم سليم : يا أبا طلحة •• ما أجد الذى كنت أجد •• انطلق •• فانطلقا •• وضربها المخاض حين قدمت فولدت غلاما •• فقالت لى : يا أنس •• لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فلما أصبح احتملته فانطلقت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٢٠) .

وفى رواية : « فقال لى أبو طلحة : احمله حتى تأتى به النبى صلى الله عليه وسلم ، وبعث معه بتمرات •• فقال : « أمعه شىء » ؟ قلت : نعم •• تمرات •• فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم فمضغها ثم أخذها من فيه فجعلها فى فى الصبى •• ثم حنكه وسماه عبد الله » .

* * *

* الصبر على الفقر والجوع :

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم أحينى مسكينا •• وأمتنى مسكينا •• واحشرنى فى زمرة المساكين يوم القيامة » •• فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ قال : انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا •• يا عائشة •• لا تردى مسكينا ولو بشق تمرة •• يا عائشة •• أحبى المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة » (١٢١) .

---

(١٢٠) رواه مسلم .

(١٢١) رواه الترمذى .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يجتمعون يوم القيامة •• فيقال : أين فقراء هذه الأمة ؟ قال : فيقال لهم : ماذا عملتم ؟ فيقولون : ربنا ابتلينا فصبرنا •• ووليت السلطان والأموال غيرنا •• فيقول الله جل وعلا : صدقتم • قال : فيدخلون الجنة قبل الناس وتبقى شدة الحساب على ذوى الأموال والسلطان •• قالوا : فأين المؤمنون يومئذ ؟ قال : توضع لهم كراسى من نور وتظلل عليهم الغمائم •• يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار »[١٢٢] •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التقى مؤمنان على باب الجنة •• مؤمن غنى ومؤمن فقير كانا فى الدنيا •• فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ما شاء الله أن يحبس •• ثم أدخل الجنة •• فلقيه الفقير فقال : يا أخى •• ماذا حبسك ؟ والله لقد حبست حتى خفت عليك •• فيقول : يا أخى •• انى حبست بعدك محبسا فظيعا كريها •• ما وصلت اليك حتى سال منى من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلة حمض النبات لصدرت عنه رواء »[١٢٣] •

وعن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا •• قلت : لا يا رب •• ولكن أشبع يوما وأجوع يوماً ــ أو قال : ثلاثا أو نحو هذا ــ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك •• واذا شبعت شكرتك وحمدتك »[١٢٤] •

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : ألستم فى طعام وشراب ما شئتم ؟ •• لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ــ أى أردأ التمر ــ ما يملأ بطنه ••

وفى رواية لمسلم عنه قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يتلوى ــ أى يضطرب من الجوع ــ ما يجد من الدقل ما يملأ بطنه[١٢٥] ••

---

(١٢٢) رواه الطبرانى وابن حبان .

(١٢٣) رواه احمد . (١٢٤) رواه الترمذى .

(١٢٥) رواه احمد ومسلم والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى جالسا .. فقلت : يا رسول الله .. أراك تصلى جالسا فما أصابك ؟ قال : « الجوع يا أبا هريرة » فبكيت .. فقال : « لا تبك يا أبا هريرة فان شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع اذا احتسب فى دار الدنيا »(١٢٦) ..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : أرسل الينا آل أبى بكر — رضى الله عنه — بقائمة شاة ليلا .. فأمسكت وقطع النبى صلى الله عليه وسلم — أو قالت : فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعت : فتقول للذى تحدثه : هذا على غير مصباح . فقال : يا أم المؤمنين .. على غير مصباح ؟ قالت : لو كان عندنا دهن غير مصباح لأكلناه(١٢٧) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ان كان ليمر بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأهلة ما يسرج فى بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار .. ان وجدوا فيه زيتا ادهنوا به .. وان وجدوا ودكا — أى دهنا — أكلوه(١٢٨) .

وفى رواية لأحمد قال : كان يمر بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال ثم هلال .. لا يوقد فى بيوتهم شىء من النار . .. لا لخبز ولا لطبيخ .. قالوا : بأى شىء كانوا يعيشون يا أبا هريرة ؟ قال : الأسودان : التمر والماء .. وكان لهم جيران من الأنصار — جزاهم الله خيرا — لهم منائح يرسلون اليهم شيئا من لبن ..

وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تقول : والله يا ابن أختى ، ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين ، وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار . قلت : يا خالة .. فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، الا أنه قد كان لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — جيران من الأنصار وكانت لهم منائح ، فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه(١٢٩) .

---

(١٢٦) أخرجه أبو نعيم والخطيب وابن عساكر .
(١٢٧) أخرجه أحمد . (١٢٨) أخرجه أبو يعلى .
(١٢٩) أخرجه الشيخان ، والمنائح جمع منيحة .. واصلها شاة او بقرة أو ناقة تجعل لبنها لغيرك ينتفع به ثم ترد اليك .

وعن مسروق قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فدعت لى بطعام فقالت : ما أشبع فأشاء أن أبكى الا بكيت •• قلت : لم ؟ قالت : أذكر الحال التى فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا •• والله ما شبع من خبز ولحم مرتين فى يوم ••

وعن ابن جرير عنها قالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر ثلاثة أيام تباعا •• منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله •• .

وعن أنس رضى الله عنه قال : لم يأكل النبى صلى الله عليه وسلم على خوان •• ولم يأكل خبزا مرققا حتى مات(١٣٠) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا — أى جائعا — لا يجدون عشاء •• وانما كان أكثر خبزهم الشعير(١٣١) ••

ويروى أن أبا هريرة رضى الله عنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية — أى مشوية — فدعوه فأبى أن يأكل •• وقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير(١٣٢) ••

وعن أنس رضى الله عنه قال : ان فاطمة رضى الله عنها ناولت النبى صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز الشعير •• فقال لها : « هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام »(١٣٣) .

وأخرجه الطبرانى وزاد : « فقال : ما هذه ؟ فقالت : قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة •• فقال — فذكر الحديث » ••

وعن أبى طلحة رضى الله عنه قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع •• ورفعنا ثيابنا عن حجر على بطوننا •• فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين(١٣٤) .

وعن ابن بجير رضى الله عنه — وكان من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم — قال : أصاب النبى صلى الله عليه وسلم جوع يوما •• فعمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال : « ألا رب نفس طاعمة ناعمة

---

(١٣٠) أخرجه البخارى . (١٣١) أخرجه الترمذى .
(١٣٢) أخرجه البخارى والترمذى .
(١٣٣) أخرجه أحمد . (١٣٤) أخرجه الترمذى .

فى الدنيـا •• جائعة عارية يوم القيامة •• ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين •• ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم »[١٣٥] ••

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج أبو بكر رضى الله عنه بالهاجرة الى المسجد •• فسمع عمر رضى الله عنه فقال : يا أبا بكر •• ما أخرجك هذه الساعة ؟ قال: ما أخرجنى الا ما أجد من حاق الجوع ـ أى شدته ـ قال : وأنا والله ما أخرجنى غيره ••

فبينما هما كذلك اذ خرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما أخرجكما هذه الساعة » ؟ قالا : والله ما أخرجنا الا ما نجده فى بطوننا من حاق الجوع •• قال : « وأنا والذى نفسى بيده ما أخرجنى غيره •• فقوما » ••

فانطلقوا فأتوا باب أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه وكان أبو أيوب يدخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما كان أو لبنا •• فأبطأ عليه يومئذ فلم يأت لحينه فأطعمه لأهله وانطلق الى نخله يعمل فيه •• فلما انتهوا الى الباب خرجت امرأته فقالت : مرحبا بنبى الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه •• فقال لها نبى الله صلى الله عليه وسلم : « أين أبو أيوب » ؟ فسمعه ـ وهو يعمل فى نخل له ـ فجاء يشتد فقال : مرحبا بنبى الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه ، يا نبى الله •• ليس بالحين الذى كنت تجىء فيه • فقال صلى الله عليـه وسلم : « صدقت » •

قال : فانطلق فقطع عذقا من النخـل فيه من كل التمر والرطب والبسر • فقال صلى الله عليه وسلم : « ما أردت الى هذه ؟ ألا جنيت لنا من تمره » ؟ قال : يارسول الله •• أحببت أن تأكل من تمره ورطبه وبسره ولأذبحن لك مع هذا •قال : « ان ذبحت فلا تذبحن ذات در » فأخذ عناقا أو جديا فذبحه ، وقال لامرأته : اخبزى واعجنى لنا وأنت أعلم بالخبز •

فأخذ نصف الجدى فطبخه وشوى نصفه • فلما أدرك الطعام ووضع بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أخذ من الجدى فجعله فى رغيف وقال : « يا أبا أيوب •• أبلغ بهذا فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فانها لم تصب مثل هذا منذ أيام » • فذهب أبو أيوب الى فاطمة •

---

(١٣٥) اخرجه ابن أبى الدنيا •

فلما أكلوا وشبعوا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « خبز ، ولحم ، وتمر ، وبسر ، ورطب — ودمعت عينـــاه ، والذى نفسى بيده ، ان هذا هو النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة » فكبر ذلك على أصحابه فقال : « بل اذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا : بسم الله ، فاذا شبعتم فقولوا : الحمد لله الذى أشبعنا وأنعم فأفضل ، فان هذا كفاف بهذا » .

فلما نهض قال لأبى أيوب : « ائتنا غدا » وكان لا يأتى أحد اليه معروفا الا أحب أن يجازيه . قال : وان أبا أيوب لم يسمع ذلك ، فقال عمر رضى الله عنه : ان النبى صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تأتيه غدا . فأتاه من الغد فأعطاه وليدة ، فقال : « يا أبا أيوب استوص بها خيرا ، فانا لم نر الا خيرا ما دامت عندنا » فلما جاء بها أبو أيوب من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا أجد لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا له من أن أعتقها ، فأعتقها(١٣٦) .

* * *

وعن فاطمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاها يوما فقال : « أين ابناى » — يعنى حسنا وحسينا رضى الله عنهما — قالت : أصبحنا وليس فى بيتنا شىء يذوقه ذائق . فقال على رضى الله عنه : أذهب بهما فانى أتخوف أن يبكيـــا عليك وليس عنـــدك شىء ، فذهب الى فلان اليهودى . فتوجه اليه النبى صلى الله عليه وسلم فوجدهما يلعبان فى شربة بين أيديهما فضل من تمر . فقال : « يا على .. ألا تقلب ابنى قبل أن يشتد الحر » ؟ قال : أصبحنا وليس فى بيتنا شىء ، فلو جلست يا رسول الله ، حتى أجمع لفاطمة فضل تمرات . فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجتمع لفاطمة فضل من تمر ، فجعله فى خرقة ثم أقبل ، فحمل النبى صلى الله عليه وسلم أحدهما وعلى الآخر حتى أقلبهما(١٣٧) .

---

(١٣٦) أخرجه الطبرانى وابن حبان .

(١٣٧) أخرجه الطبرانى — والشربة بفتح الراء : حوض يكون فى أصل النخلة وحولها يملأ ماء لشربها .

وعن عطاء رضى الله عنه قال : نبئت أن عليا رضى الله عنه قال : مكثنا أياما ليس عندنا شىء ولا عند النبى صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا أنا بدينار مطروح على الطريق فمكثت هنيهة أوامر نفسى فى أخذه أو تركه ، ثم أخذته لما بنا من الجهد • فأتيت به الضفاطين ـ الذين يجلبون الميرة والطعام الى المدن ـ فاشتريت به دقيقا ثم أتيت به فاطمة ـ رضى الله عنها ـ فقلت : اعجنى واخبزى • فجعلت تعجن وان قصتها ـ أى شعر ناصيتها ـ لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذى بها ـ ثم خبزت فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته • فقال : « كلوه فانه رزق رزقكموه الله عز وجل »(١٣٨) •

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : كنت مرة فى أرض أقطعها النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سلمة والزبير ـ رضى الله عنهما ـ فى أرض بنى النضير • فخرج الزبير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنا جار من اليهود ، فذبح شاة فطبخت ، فوجدت ريحها فدخلنى ما لم يدخلنى من شىء قط ، وأنا حامل بابنتى خديجة فلم أصبر ، فانطلقت فدخلت على امرأة اليهودى أقتبس منها نارا لعلها تطعمنى ، وما بى من حاجة الى النار • فلما شممت الريح ورأيته ازددت شرها فأطفأته ، ثم جئت ثانيا أقتبس ، ثم ثالثة ، ثم قعدت أبكى وأدعو الله • فجاء زوج اليهودية فقال : أدخل عليكم أحد ؟ قالت : العربية تقتبس نارا • قال : فلا آكل منها أبدا أو ترسلى اليها منها • فأرسل الى بقدحة ـ يعنى غرفة ـ فلم يكن شىء فى الأرض أعجب الى من تلك الأكلة(١٣٩) •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : خرجت يوما من بيتى الى المسجد لم يخرجنى الا الجوع ، فوجدت نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا هريرة •• ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقلت : ما أخرجنى الا الجوع • فقالوا : نحن ـ والله ـ ما أخرجنا الا الجوع • فقمنا فدخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال : « ما جاء بكم هذه الساعة » ؟ فقلنا : يا رسول الله •• جاء بنا

---

(١٣٨) أخرجه هنــاد . (١٣٩) أخرجه الطبرانى .

الجوع . قال : فدعا رسـول الله صلى الله عليه وسلم بطبق فيه تمر فأعطى كل رجل منا تمرتين فقال : « كلوا هاتين التمرتين واشربوا عليهما من المـاء ، فانهما ستجزيانكم يومكم هذا » قال أبو هريرة : فأكلت تمرة وجعلت تمرة فى حجزتى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة .. لم رفعت هذه التمرة » ؟ فقلت : رفعتها لأمى ، فقال : « كلها ، فانا سنعطيك لها تمرتين » فأعطانى لها تمرتين[١٤٠].

* * *

* الصبر على الأذى فى سبيل الله :

وكما تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم الشدائد فى سبيل دعوته .. فقد لاقى صحابته الأهوال فى سبيل عقيدتهم ودينهم .. فما وهنوا وما استكانوا .. بل تحملوا صابرين حتى نصرهم الله .. وجعلهم أئمة يهتدى الناس بهم .. فرضى الله عنهم ورضوا عنه ..

عن حكيم عن سعيد بن جبير قال : قلت لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم ؟ قال : نعم .. والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزى الهان من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم[١٤١] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : أول من أظهر الاسـلام سبعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمـار وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد — رضى الله عنهم — فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم فى الشمس ، فما منهم من أحد الا وقد أتاهم على ما أرادوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطـوه الولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد[١٤٢] .

---

(١٤٠) أخرجه ابن سعد . (١٤١) أخرجه ابن اسحاق .
(١٤٢) أخرجه أحمد وابن ماجه .

وعن عروة بن الزبير رضى الله عنهما قال : كان بلال لجارية من بنى جمح وكانوا يعذبونه برمضاء مكة يلصقون ظهره بالرمضاء لكى يشرك . فيقول : أحد أحد ، فيمر به ورقة — وهو على تلك الحال — فيقول : أحد أحد يا بلال . والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا[١٤٣] .

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون فى الله تعالى ، فقال لهم : « صبرا يا آل ياسر ، صبرا يا آل ياسر فان موعدكم الجنة » .

ورواه ابن الكلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما نحوه — وزاد : وعبد الله بن ياسر : وزاد : وطعن أبو جهل سمية فى قبلها فماتت ، ومات ياسر فى العذاب ، ورمى عبد الله فسقط .

وعند أحمد : عن مجاهد قال : أول شهيد كان فى أول الاسلام استشهد أم عمار « سمية » طعنها أبو جهل بحربة فى قبلها .

وعن أبى عبيدة بن محمد بن عمار قال : أخذ المشركون عمارا رضى الله عنه فلم يتركوه حتى سب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير . فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما وراءك » ؟ قال : شر يا رسول الله ، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فكيف تجد قلبك » ؟ قال : أجد قلبى مطمئنا بالايمان . قال : « فان عادوا فعد » .

وعن محمد بن عمار أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى عمارا وهو يبكى ، فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول : « أخذك الكفار فغطوك فى الماء .. فقلت كذا وكذا ؟ فان عادوا فقل ذاك لهم »[١٤٤] .

وعن الشعبى قال : سأل عمر رضى الله عنه بلالا عما لقى من المشركين . فقال خباب : يا أمير المؤمنين .. انظر الى ظهرى ، فقال عمر : ما رأيت كاليوم ، قال : أوقدوا لى نارا فما أطفأها الا ودك ظهرى[١٤٥] .

---

(١٤٣) اخرجه الزبير بن بكار .

(١٤٤) اخرجهما ابو نعيم فى الحلية .

(١٤٥) اخرجه ابو نعيم .

وعن أبى ليلى الكندى قال : جاء خباب بن الأرت الى عمر — رضى الله عنهما — فقال : أدنه ، فما أحد أحق بهذا المجلس منك الا عمار بن ياسر ، فجعل خباب يريه آثارا فى ظهره مما عذبه المشركون(١٤٦) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : أقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فعلمنى الاسلام وقرأت من القرآن شيئا ، فقلت : يا رسول الله .. انى أريد أن أظهر دينى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى أخاف عليك أن تقتل » قلت : لا بد منه وان قتلت ، قال : فسكت عنى ، فجئت — وقريش حلقا يتحدثون فى المسجد — فقلت : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فانقضت الحلق فقاموا فضربونى حتى تركونى كأنى نصب أحمر ، وكانوا يرون أنهم قد قتلونى ، فأفقت فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى ما بى من الحال فقال لى : « ألم أنهك » ؟ فقلت : يا رسول الله .. كانت حاجة فى نفسى فقضيتها ، فأقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « الحق بقومك فاذا بلغك ظهورى فأتنى » . وأخرج أبو نعيم أيضا عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر رضى الله عنهما قال : أتيت مكة فمال على أهل الوادى بكل مدرة وعظم ، فخررت مغشيا على ، فارتفعت حين ارتفعت كأنى نصب أحمر(١٤٧) .

وعن محمد العبدرى عن أبيه قال : كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وسبيبا ، وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه مليئة ، كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه ، وكان أعطر أهل مكة ، يلبس الحضرمى من النعال . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول : « ما رأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير » . فبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام فى دار أرقم بن أبى الأرقم ، فدخل عليه فأسلم وصدق به ، وخرج فكتم اسلامه خوفا من أمه وقومه . فكان يختلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا ، فبصر به عثمان بن طلحة يصلى فأخبر أمه وقومه . فأخذوه فحبسوه ، فلم

---

(١٤٦) اخرجه ابو نعيم وابن سعد وابن ابى شيبة .

(١٤٧) اخرجه الحاكم والطبرانى وابو نعيم .

يزل محبوسا ، حتى خرج الى أرض الحبشة فى الهجرة الأولى ، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا ، فرجع متغير الحال قد حرج — يعنى يغلظ — فكفت أمه عنه من العذل[148] .

* * *

أرأيتم يا من ورثتم الاسلام سهلا هينا •• كيف تحمل أسلافكم الشدائد •• وصبروا على الصعاب حتى أورثوكموه دينا قويا متينا •• يحمل لأتباعه العزة والكرامة •• فهلا حافظتم عليه ؟ !

وهل أنتم مستعدون لتحمل ما تحمله أسلافكم — اذا جد الجد — فى سبيل اعلاء كلمة الله •• وجعل الاسلام فى مكانته اللائقة ؟

* * *

*** الصبر على هوى النفس :**

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة •• انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »[149] .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه •• دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء »[150] .

وعن سليمان بن صرد رضى الله عنه قال : كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ورجلان يستبان وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه •• فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى لأعلم كلمة لو قالها هذا لذهب عنه ما يجد •• لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم •• ذهب عنه ما يجد » فقالوا له : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : تعوذ بالله من الشيطان الرجيم[151] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا فى القسمة •• فأعطى الأقرع ابن حابس مائة من الابل •• وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك ••

---

(١٤٨) أخرجه ابن سعد .　　(١٤٩) متفق عليه .

(١٥٠) رواه أبو داوود والترمذى .

(١٥١) متفق عليه .

وأعطى ناسا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ فى القسمة [يتألف قلوبهم] فقال رجل : والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله •• فقلت : والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم • فأتيته فأخبرته بما قال •• فتغير وجهه حتى كان كالصرف •• ثم قال : « فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله » ؟ ثم قال : « يرحم الله موسى •• قد أوذى بأكثر من هذا فصبر » •• فقلت : لا جرم لا أرفع اليه بعدها حديثا(١٥٢) ••

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس •• وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضى الله عنه •• وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضى الله عنــه ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا •• فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخى •• لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه •• فاستأذن فأذن له عمر •• فلما دخل قال : هيه يا ابن الخطاب •• فوالله ما تعطينا الجزل •• ولا تحكم فينا بالعدل •• فغضب عمر رضى الله عنه حتى هم أن يوقع به •• فقال له الحر : يا أمير المؤمنين •• ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : **« خــذ العفــو وأمر بالعــرف وأعرض عن الجاهلين »**(١٥٣) •• وان هذا من الجاهلين •• فوالله ما جاوزها عمــر حين تلاها •• وكان وقافا عند كتاب الله تعالى(١٥٤) •



---

(١٥٢) متفق عليه ــ والصرف ــ بكسر الصاد ــ : صبغ أحمر •
(١٥٣) الأعراف : ١٩٩ (١٥٤) رواه البخارى •

صبر أيوب عليه السلام[1]

ما ذكر الصبر •• الا وذكر أيوب عليه السلام •• ولقد قص الله تعالى لنا ما كان من أمره ليكون عظة لنا وعبرة •• وأسوة نتأسى بها ••

يقول الله تعالى : **« وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين • فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين »**[2] •

ويقول جل شأنه : **« واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب • اركض برجلك ، هذا مغتسل بارد وشراب • ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب • وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ، انا وجدناه صابرا ، نعم العبد ، انه أواب »**[3] •

وهو أيوب بن موص بن رزاح بن العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام •• وكان رجلا من الروم ••

ويقال ان أمه بنت لوط عليه السلام والمشهور الأول ••

أما امرأته فيقال ان اسمها « ليا » بنت يعقوب •• ويقال « رحمة بنت أفراثيم » •• وقيل : « ليا بنت منسا بن يعقوب عليه السلام » ••

وهو من الأنبياء المنصوص على الايحاء اليهم •• يقول الله تعالى : **« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب »**[4] •

* * *

---

(١) انظر قصص الأنبياء للامام ابن كثير ص ٢٦٧

(٢) الأنبياء : ٨٣ ، ٨٤

(٣) سورة ص : ٤١ — ٤٤

(٤) النساء : ١٦٣

يقول علماء التفسير والتاريخ وغيرهم : كان أيوب رجلا كثير المـال من سائر صنوفه وأنواعه ، من الأنعام والعبيد والمواشى ، والأراضى المتسعة بأرض الثنية من أرض حوران • وحكى ابن عساكر : أنها كلها كانت له • وكان له أولاد وأهلون كثير •

فسلب منه ذلك جميعه ، وابتلى فى جسده بأنواع من البـلاء لم يبق منه عضو سليم سـوى قلبه ولسانه ، يذكر الله عز وجل بهما • وهو فى ذلك كله صابر محتسب ، ذاكر لله عز وجل فى ليـله ونهاره وصباحه ومسائه •

وطال مرضه حتى عافه الجليس ، وأوحش منه الأنيس ، وأخرج من بلده وألقى على مزبلة خارجها ، وانقطع عنه الناس ، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته ، كانت ترعى له حقه ، وتعرف قديم احسانه اليهـا وشفقته عليها • فكانت تتردد اليه فتصلح من شأنه ، وتعينه على قضاء حاجته • وتقوم بمصلحته • وضعف حالها وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر ، لتطعمه وتقوم بأوده ، رضى الله عنهـا وأرضاها ، وهى صابرة معه على ما حل بهما من فراق المـال والولد ، وما يختص بها من المصيبة بالزوج ، وضيق ذات اليد وخدمة الناس ، بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة • فانا لله وانا اليه راجعون •

وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أشد الناس بلاء الأنبيـاء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل » وقال : « يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه » •

ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام الا صبرا واحتسابا وحمـدا وشكرا حتى ان المثل ليضرب بصبره عليه السلام ، ويضرب المثل أيضا بما حصل له من أنواع البلايا •

وعن مجاهد أنه قال : كان أيوب عليه السلام أول من أصابه الجدرى ••

واختلفـوا فى مدة بلواه على أقوال : فزعم وهب أنه ابتـلى ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص • وقال أنس : ابتلى سبع سنين وأشهرا ، وألقى على مزبلة لبنى اسرائيل تختلف الدواب فى جسـده حتى فرج الله عنه وأعظم له الأجر وأحسن الثنـاء عليه • وقال حميد : مكث

فى بلواه ثمانى عشرة سنة ، وقال السدى : تساقط لحمه حتى لم يبق الا العظم والعصب ، فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته ، فلما طال عليها ، قالت : يا أيوب •• لو دعوت ربك لفرج عنك ، فقال : قد عشت سبعين سنة صحيحا ، فهل قليل لله أن أصبر له سبعين سنة ؟ فجزعت من هـذا الكلام ، وكانت تخـدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام •

ثم ان الناس لم يكونوا يستخدمونها ، لعلمهم أنها امرأة أيوب ، خوفا أن ينالهم من بلائه أو تعديهم بمخالطته ، فلما لم تجـد أحدا يستخدمها ، عمدت فباعت لبعض بنات الأشراف احدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير ، فأتت به أيوب ، فقال : من أين لك هذا ؟ وأنكره ، فقالت : خدمت به أناسا • فلما كان الغد لم تجد أحدا فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به ، فأنكره وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام ؟ فكشفت عن رأسها خمارها ، فلما رأى رأسها محلوقا قال فى دعائه : رب **« انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين »** •

وعن أنس بن مالك — فيما رواه ابن أبى حاتم — أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان نبى الله أيوب لبث فى بلائه ثمانى عشرة سنة •• فرفضه القريب والبعيد •• الا رجلين من اخوانه كانا من أخص اخوانه له •• كانا يغدوان اليه ويروحان •• فقال أحدهما لصاحبه : نعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العـالمين •• قال صاحبه : وما ذاك ؟ قال : منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به •• فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له •• فقال أيوب : لا أدرى ما تقول ؟ غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان •• فيذكران الله فأرجع الى بيتى فأكفر عنهما •• كراهية أن يذكر الله الا فى حق ••

قال : وكان يخرج فى حاجته •• فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع •• فلما كان ذات يوم أبطأت عليه •• فأوحى الله تعالى الى أيوب فى مكانه : أن **« اركض برجلك ، هذا مغتسل بارد وشراب »** •• فاستبطأته فتلقته تنتظر •• وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء •• وهو أحسن ما كان •• فلما رأته قالت : أى بارك الله فيك •• هل رأيت نبى الله هذا المبتلى ؟ •• فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحا •• قال : فانى أنا هو !!

قال : وكان له أندران ــ أى بيدران ــ أندر للقمح وأندر للشعير ‥ فبعث الله سحابتين ‥ فلما كانت احداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض ‥ وأفرغت الأخرى فى أندر الشعير الورق ــ أى الفضة ــ حتى فاض » ‥

وعن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينمـا أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب ، فجعل أيوب يحثى فى ثوبه • فناداه ربه عز وجل : يا أيوب ‥ ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يا رب ، ولكن لا غنى لى عن بركتك » •

وقوله تعالى : « **اركض برجلك** » أى اضرب الأرض برجلك ، فامتثل ما أمر به • فأنبع الله له عينا باردة المـاء ، وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها ، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى ، والسقم والمرض ، الذى كان فى جسده ظاهرا وباطنا ، وأبدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة ، وجمالا تاما ومالا كثيرا ، حتى صب له من المـال صبا ، مطرا عظيما جرادا من ذهب •

وأخلف الله له أهله ، كما قال تعالى : « **وآتيناه أهله ومثلهم معهم** » فقيل أحياهم الله بأعيانهم ، وقيل آجره فيمن سلف ، وعوضه عنهم فى الدنيا بدلهم وجمع له شمله بكلهم فى الدار الآخـرة ، وقوله : « **رحمة من عندنا** » أى رفعنا عنه شـدته ، وكشفنا ما به من ضر ، رحمة منا ورأفة واحسانا • « **وذكرى للعـابدين** » أى تذكرة لمن ابتلى فى جسده أو ماله أو ولده ، فله أسوة بنبى الله أيوب ، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه •

ومن فهم من هذا اسم امرأته فقال : هى « رحمة » من هـذه الآية فقد أبعد النجعة وأغرق النزع • وقال الضحاك عن ابن عباس : رد الله اليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا •

❋ ❋ ❋

وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية ثم غيروا بعده دين ابراهيم •

وقوله تعالى : « **وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ، انا وجدناه صابرا ، نعم العبد ، انه أواب** » هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السـلام ، فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط • فقيل حلفه ذلك لبيعها ضفائرها ، وقيل لأنه عارضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواء لأيوب فأتته فأخبرته فعرف أنه الشيطان ، فحلف ليضربنها مائة سوط • فلما عافاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذ ضغثا وهو كالعثكال الذى يجمع الشماريخ ، فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ، ويكون هذا منزلا منزلة الضرب بمائة سوط ويبر ولا يحنث •

وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ، ولا سيما فى حق امرأته الصـابرة المحتسبة ، المكابدة الصـديقة البارة الراشـدة ، رضى الله عنها •

وقد ذكر ابن جرير وغيره من علمـاء التاريخ : أن أيوب عليه السلام لمـا توفى كان عمره ثلاثا وتسعين سنة ، وقيل انه عاش أكثر من ذلك •

وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه : أن الله يحتج يوم القيـامة بسليمان عليه السـلام على الأغنياء ، وبيوسـف عليه السـلام على الأرقاء ، وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء « رواه ابن عساكر بمعناه » •

* * *

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه : « **يا بنى أقم الصـلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور** » ••

وعزم الأمور •• هو التزام ما أمر الله به وعزم الناس عليـه من مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال •• مما التزمه أهل الحزم السالكين لطريق النجاة ••

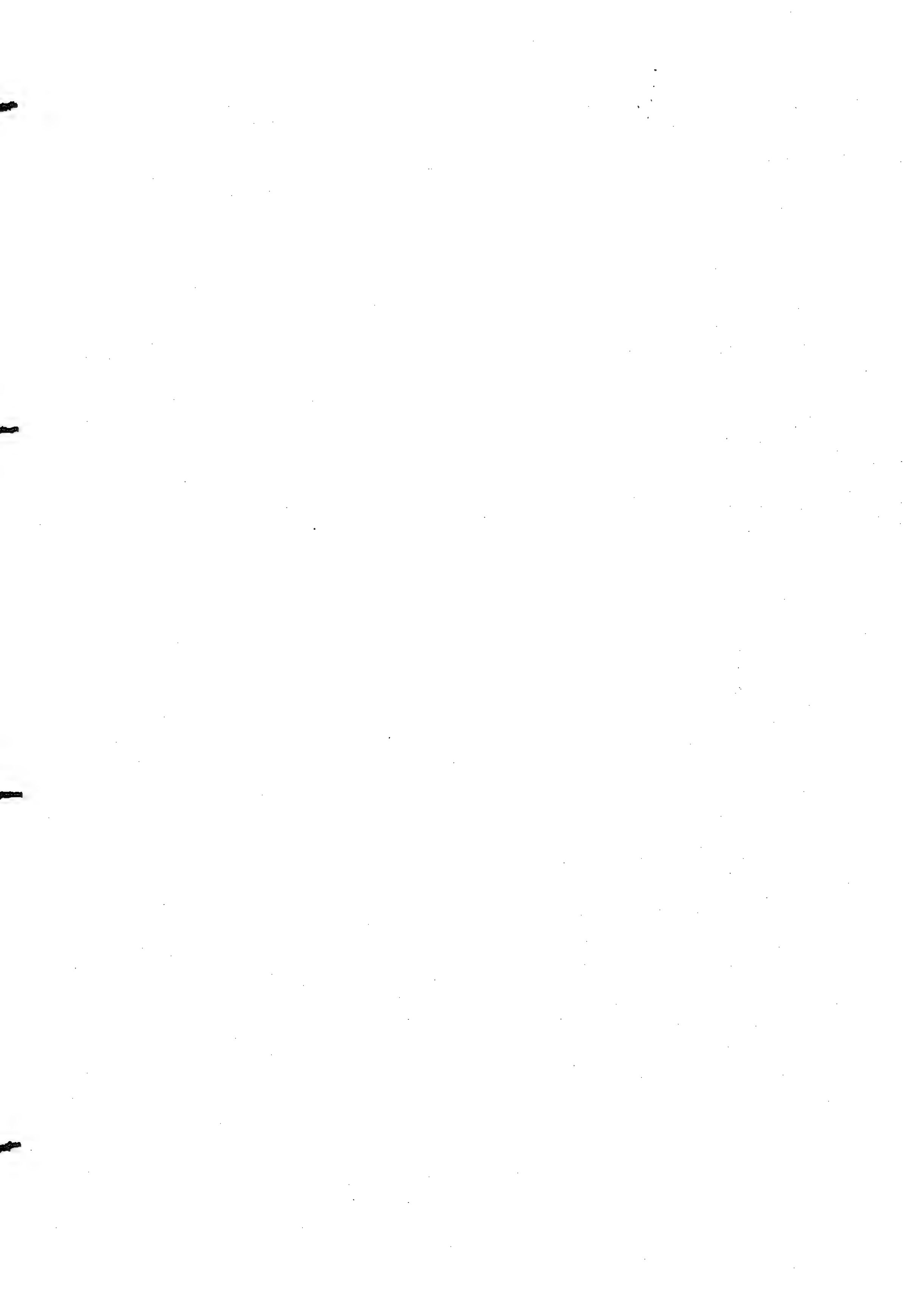
فاقامة الصلاة •• من محافظة على أوقاتها •• وقيام بأركانها وواجباتها وسننها •• واتمام قيامها وركوعها وسجودها •• وتدبر معانيها والتلاوة فيها •• وحضور القلب والخشوع بين يدى الله تعالى •• من عزم الأمور ••

والزكاة مقرونة بالصلاة •• فعدم التفريق بين الصلاة والزكاة •• وايتاء الفقير والمسكين واليتيم والمحتاج حقه فى مال الله الذى استخلف الناس فيه •• وعدم البخل والشح فى أدائها •• من عزم الأمور ••

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• والتزام الفضائل واجتناب الرذائل •• بحسب الطاقة والجهد •• من عزم الأمور ••

والصبر على المكاره من مصائب وعلل وأمراض •• وفقد أحباء وضياع مال •• وكذا الصبر على الطاعات والتمسك بأوامر الله والمحافظة عليها بقدر الجهد والوسع •• من عزم الأمور ••





الفصل التاسع

الكِبر.. والاختيال

* ولا تصعر خدك للناس ..
* فى ذم الكبر والعجب .. وتقسيم آفات الكبر .
* العجب والغـــرور .
* علاج الكبر والعجب .
* قصة قارون مع موسى عليه السلام

ولا تصعر خدك للناس

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه : « **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير** »[1] .

و « الصعر » هو الميل .. يقال : أصاب البعير صعر وصيد .. اذا أصابه داء يلوى منه عنقه ..

ويقال للمتكبر : فيه صعر وصيد .. تشبيها له بالبعير المصعور ..

فالمعنى : لا تلزم خدك الصعر .. لأن المتكبر يميل خده للناس تكبرا عليهم .. واعجابا بنفسه .. واحتقارا لشأنهم ..

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يأتى على الناس زمان ليس فيهم الا أصعر أو أبتر » ..

فالأصعر فى الحديث .. هو المعرض بوجهه كبرا .. وأراد بذلك أراذل الناس الذين لا دين لهم .. ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم : « كل صعار ملعون » .. أى كل ذى أبهة وكبر ..

لذا نرى لقمان الحكيم يقول حين يعظ ابنه : لا تمل خدك للناس كبرا عليهم واعجابا بنفسك واحتقارا لشأنهم ..

وقيل : لا تعرض بوجهك عن الناس اذا كلمتهم أو كلموك .. احتقارا منك لشأنهم .. واستكبارا عليهم .. ولكن ألن لهم جانبك وابسط وجهك اليهم ..

جاء فى الحديث الشريف : « ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط .. واياك واسبال الازار .. فانها من المخيلة .. والمخيلة لا يحبها الله » ..

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية : « يقول ـ لقمان ـ لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك » ..

---

(١) لقمان : ١٨ ، ١٩

وقيل : لا تلوى شدقك اذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره •• بل أقبل على الناس متواضعا مؤنسا مستأنسا •• فاذا حدثك أصغرهم فاصغ اليه حتى يكمل حديثه •• فكذلك كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ••

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تباغضوا •• ولا تدابروا •• ولا تحاسدوا •• وكونوا عباد الله اخوانا •• ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » ••

فالتدابر هو الاعراض وترك الكلام والسلام ونحوه •• وانما قيل للاعراض تدابر •• لأن من أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك •• وكذلك يصنع هو بك ••

ومن أحببته •• أقبلت عليه بوجهك وواجهته •• لتسره ويسرك •• فمعنى التدابر موجود فيمن يصعر خده ••

وقيل : معناه : لا تمش فى الأرض مختالا متكبرا •• جبارا عنيدا •• حتى لا يبغضك الله تعالى •• فان الله لا يحب كل مختال معجب فى نفسه فخور على غيره ••

عن ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه قال : ذكر الكبر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشدد فيه •• فقال : **« ان الله لا يحب كل مختال فخور »** فقال رجل من القوم : والله يا رسول الله •• انى لأغسل ثيابى فيعجبنى بياضها ويعجبنى شراك نعلى وعلاقة سوطى •• فقال صلى الله عليه وسلم : « ليس ذلك الكبر •• انما الكبر أن تسفه الحق •• وتغمط الناس » ••

ثم يستمر لقمان فى تقديم النصح لابنه فيقول : **« ولا تمش فى الأرض مرحا »** •• أى متبخترا متكبرا ، **« واقصد فى مشيك »** •• بأن تمشى مشيا مقتصدا •• ليس بالبطىء المتثبط •• ولا بالسريع المفرط •• بل ليكن مشيك عدلا وسطا بين بين •• **« واغضض من صوتك »** •• فلا تبالغ فى كلامك •• ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ••

ولهذا عقب فقال : **« ان أنكر الأصوات لصوت الحمير »** •• فان نهيق الحمار من أقبح الأصوات •• وغاية من يرفع صوته أن يتشبه بالحمار فى علو صوته وارتفاعه ••

فضلا عن أن هذه الأفعال •• من تبختر فى المشى •• والنشاط فيه من غير شغل وفى غير حاجة •• ورفع الصوت عند الكلام من الأمــور التى يبغضهــا الله تعــالى •• لأنها تلازم الفخر والخيلاء •• ولذا قــال : **« ان الله لا يحب كل مختال فخور »** ••

ويقول الرسول صلى الله عليــه وسلم : « من جر ثوبه خيلاء •• لا ينظر الله اليه يوم القيامة » •• فالفخور هو الذى يعدد ما أعطى من نعم ثم لا يشكر الله تعالى على عطائه •• وفى تشبيه الصوت المرتفع بنهيق الحمار •• الاشارة الى كراهيته وذمه غاية الذم •• فقد قال الرسول صلى الله عليــه وسلم : « اذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله •• واذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان •• فانها رأت شيطانا » ••

والخلاصة •• ان التصعر : بامالة الخد •• ولوى الشدق •• والاعراض عن الناس •• والتدابر لهم واحتقار شأنهم •• من الكبر ••

فالكبر هو الفخر والعجب •• وهو الخيلاء والتيه •• وهى كلها صفات للخلال المرذولة التى يمقتها الله تعالى •• ويكرهها الناس ••

يقول تعالى فى الحديث القدسى : « الكبرياء ردائى •• والعظمة ازارى •• فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار »[٢] .

كما عده الرسول صلى الله عليــه وسلم من الكبائر التى توجب لصاحبها النار •• فقال صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ •• كل عتل جواظ مستكبر »[٣] .

والعتل : هو الغليظ الجافى •• والجواظ : هو الجموح المنوع •• وقيل : هو المتعاظم المختال فى مشيته ••

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ان أكبر الكبائر الكفر والكبر »[٤] .

بل انه صلى الله عليــه وسلم جعل الكبر مضادا للايمان فى قوله : « لا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان •• ولا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر »[٥] .

* * *

---

(٢) رواه أبو داوود ــ وانظر الأحاديث القدسية ج ١ ص ٢٧٠ .
(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) رواه احمد والطبرانى .
(٥) رواه مسلم .

والكبر هو الذى أخرج ابليس من الجنة وطرده من رحمة الله ..
فاستحق اللعن والابعاد من الجنة بسبب كبره وعصيانه ..

يقول تعالى : « اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . الا ابليس استكبر وكان من الكافرين . قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ، أستكبرت أم كنت من العالين . قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين . قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك لعنتى الى يوم الدين »(٦) .

ويقول الامام ابن كثير فى تفسير هذه الآيات : « ان الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون .. وتقدم اليهم الأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له اكراما واعظاما واحتراما .. وامتثالا لأمر الله عز وجل .. فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى ابليس — ولم يكن منهم جنسا — كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان اليه .. فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه .. وادعى أنه خير من آدم فانه مخلوق من نار .. وآدم خلق من طين .. والنار خير من الطين فى زعمه ..

وقد أخطأ فى ذلك وخالف أمر الله تعالى .. وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه وحضرة قدسه .. وسماه ابليس اعلاما له بأنه قد أبلس من الرحمة .. وأنزله من السماء مذموما مدحورا الى الأرض .. فسأل الله النظرة الى يوم البعث فأنظرة الحليم الذى لا يعجل على من عصاه ..

فلما أمن الهلاك الى يوم القيامة تمرد وطغى وقال : « فبعزتك لأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين »(٧) .

* * *

والكبر .. هو الذى أهلك قارون وفرعون وهامان .. يقول الله تعالى : « وقارون وفرعون وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين . فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا

---

(٦) سورة ص : ٧١ — ٧٨ (٧) سورة ص : ٨٢ ، ٨٣

يه الأرض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »[٨] .

ويقول فى قارون : « اذ قال له قومه لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين . قال انما أوتيته على علم عندى »[٩] .

لقد آتاه الله من المال ما تنوء بمفاتحه العصبة أولوا القوة .. فاغتر بما أوتيه من مال وجاه .. وظن أنه قد حصل على المال بعلمه وقدرته .. وأن هذا المال ثمرة كده وجده .. ونسى أن المال عارية من الله استخلف فيها الناس .. فطغى وتجبر .. وأخذته العزة بنفسه وماله .. فكانت عاقبته الخسف والهوان : « فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين »[١٠] .

* * *

ويقول الله تعالى : « ولا تمش فى الأرض مرحا ، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا »[١١] .

ويقول تعالى : « واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »[١٢] .

ويقول جل شأنه : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق »[١٣] .

ويقول : « فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون . لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، انه لا يحب المستكبرين »[١٤] .

ويقول جل وعلا : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين . واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا ، فبشره بعذاب أليم »[١٥] .

---

(٨) العنكبوت : ٣٩ ، ٤٠
(٩) القصص : ٧٦ — ٧٨
(١٠) القصص : ٨١
(١١) الاسراء : ٣٧
(١٢) البقرة : ٣٤
(١٣) الأعراف : ١٤٦
(١٤) النحل : ٢٢ ، ٢٣
(١٥) لقمان : ٦ ، ٧

ويقول تعالى : « وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب »[١٦] .

ويقــول : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين »[١٧] .

* * *

*** فى ذم الكبر والعجب وتقسيم آفات الكبر :**

يقول الامام ابن قدامة[١٨] : « واعلم أن الكبر خلق باطن يصدر عن أعمال هى ثمرته .. فيظهر على الجوارح .. وذلك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه .. يعنى يرى نفسه فوق الغير فى صفات الكمال .. فعند ذلك يكون متكبرا ..

وبهذا ينفصل عن العجب .. فان العجب لا يستدعى غير المعجب .. حتى لو قدر أن يخلق الانسان وحده تصور أن يكون معجبا .. ولا يتصور أن يكون متكبرا .. الا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوقه .. فان الانســـان متى رأى نفسه بعين الاستعظام .. حقر من دونه وازدراه ..

وصفة هذا المتكبر أن ينظر الى العامة كأنه ينظر الى الحمير استجهالا واستحقارا ..

وآفة الكبر عظيمة .. وفيه يهلك الخواص .. وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء ..

وكيف لا تعظم آفته .. وقد أخبر النبى صلى الله عليــه وآله وسلم : « أنه لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » ..

وانما صار حجابا دون الجنة .. لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين .. لأن صاحبه لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه .. فلا يقدر على التواضع .. ولا على ترك الحقد والحسد والغضب .. ولا على كظم الغيظ وقبول النصح .. ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم .. فما من خلق ذميم الا وهو مضطر اليه ..

ومن شر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم .. وقبول الحق والانقياد له ..

---

(١٦) غافر : ٢٧ (١٧) القصص : ٨٣

(١٨) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٠٠

وقد تحصل المعرفة للمتكبر •• ولكن لا تطاوعه نفسه على الانقياد للحق •• كما قال تعالى : « **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا** »[١٩] •• « **فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا** »[٢٠] •• « **أن أنتم الا بشر مثلنــا** »[٢١] •

وآيات كثيرة نحو هذا •• وهذا تكبر على الله وعلى رسوله ••

وقد تقدم أن التكبر على العباد هو احتقارهم واستعظام نفسه عليهم •• وذلك أيضا يدعو الى التكبر على أمر الله تعالى •• كما حمل ابليس كبره على آدم عليه السلام أن امتنع عن امتثال أمر ربه فى السجود ••

وقد شرح رسول الله صلى الله عليــه وآله وسلم الكبر فقال : « الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس » ومعنى غمط الناس : الازدراء بهم واستحقارهم •• ويروى : غمص الناس بمعنى غمط الناس » اهـ

ثم يقول[٢٢] : « واعلم أن العلماء والعباد فى آفة الكبر على ثلاث درجات ••

الأولى : أن يكون الكبر مستقرا فى قلب الانسان منهم •• فهو يرى نفسه خيرا من غيره •• الا أنه يجتهد ويتواضع •• فهذا فى قلبه شجرة الكبر مغروسة الا أنه قد قطع أغصانها ••

الثانية : أن يظهر لك بأفعاله من الترفع فى المجالس •• والتقدم على الأقران •• والانكار على من يقصر فى حقه •• فترى العالم يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم •• والعابد يعيش ووجهه كأنه مستقذر لهم ••

وهذان قد جهلا ما أدب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم حين قال : « **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** »[٢٣] •

الدرجة الثالثة : أن يظهر الكبر بلسانه •• كالدعاوى والمفاخر •• وتزكية النفس •• وحكايات الأموال فى معرض المفاخرة لغيره •• وكذلك التكبر بالنسب •• فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب •• وان كان أرفع منه عملا ••

---

(١٩) النمل : ١٤ (٢٠) المؤمنون : ٤٧

(٢١) ابراهيم : ١٠

(٢٢) مختصر منهاج القاصدين ص ٢٠١

(٢٣) الشعراء : ٢١٥

قال ابن عباس : يقول الرجل للرجل : أنا أكرم منك •• وليس أحد أكرم من أحد الا بالتقوى •• قال الله تعالى : **« ان أكرمكم عند الله أتقاكم »**(٢٤) ••

وكذلك التكبر بالمـــال •• والجمال •• والقوة •• وكثرة الأتباع •• ونحو ذلك ••

فالتكبر بالمـــال أكثر ما يجرى بين الملوك والتجار وغيرهم •• والتكبر بالجمال أكثر ما يجرى بين النساء •• ويدعوهن الى التنقص والغيبة وذكر العيوب ••

وأما التكبر بالأتباع والأنصار •• فيجرى بين الملوك بالمكاثرة بكثرة الجنود •• وبين العلماء بالمكاثرة بالمستفيدين ••

وفى الجملة فكل ما يمكن أن يعتقد كمالا •• فان لم يكن فى نفسه كمالا •• أمكن أن يتكبر به •• حتى ان الفاسق قد يفتخر بكثرة شرب الخمر والفجور •• لظنه أن ذلك كمال » اهـ •

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله •• ومن ارتفع عليه وضعه الله »(٢٥) •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « من يرائى يرائى الله به •• ومن يسمع يسمع الله به •• ومن تطاول تعظيما يخفضه الله •• ومن تواضع خشية يرفعه الله »(٢٦) ••

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والكبر •• فان الكبر يكون فى الرجل وان عليه العباءة »(٢٧) •

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا •• وان أبغضكم الى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقــون » •• قالوا : يا رسول الله •• قد علمنـــا الثرثـــارون والمتشدقون •• فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون »(٢٨) •

---

(٢٤) الحجرات : ١٣ — (٢٥) رواه الطبرانى

(٢٦) رواه الطبرانى • — (٢٧) رواه الطبرانى •

(٢٨) رواه أحمد والطبرانى والترمذى وابن حبان •

والثرثار : هو الكثير الكلام تكلفا •• والمتشدق : المتكلم بملء شدقيه تفاصحا وتعاظما واستعلاء على غيره •• وهو معنى المتفيهق أيضا ••

وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عيـه وسلم قال : « ثلاثة لا يسأل الله عنهم : رجل نازع الله رداءه ـ فان رداءه الكبر وازاره العز ـ ورجل فى شك من أمـر الله •• والقنوط من رحمته »(٢٩) .

وعن سراقة بن مالك بن جعشم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا سراقة •• ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار ؟ •• قلت : بلى يا رسول الله •• قال : أما أهل النار فكل جعظرى جواظ مستكبر •• وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون »(٣٠) .

والجعظرى : هو العظيم المستكبر فى نفسه ، أو السىء الخلق المتسخط ••

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جنازة •• فقال : « ألا أخبركم بشر عباد الله : الفظ المستكبر •• ألا أخبركم بخير عباد الله ؟ : الضعيف المستضعف ذو الطمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره »(٣١) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « احتجت الجنة والنار •• فقالت النار : فى الجبارون والمتكبرون •• وقالت الجنة : فى ضعفاء المسلمين ومساكينهم •• فقضى الله بينهما : انك الجنة رحمتى أرحم بك من أشاء •• وانك النار عذابى أعذب بك من أشاء •• ولكليكما على ملؤها »(٣٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليـهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان •• وملك كذاب •• وعائـل مستكبر »(٣٣) ••

والعائل بالمد : هو الفقير ••

---

(٢٩) رواه الطبرانى .
(٣٠) رواه الطبرانى والحاكم .
(٣١) رواه أحمد .
(٣٢) رواه مسلم .
(٣٣) رواه مسلم والنسائى .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة يبغضهم الله : البياع الحلاف .. والفقير المختال .. والشيخ الزانى .. والامام الجائر »[٣٤] .

وعن نعيم بن همار الغطفانى رضى الله عنه قال : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بئس العبد عبد تجبر واختال .. ونسى الكبير المتعال .. بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين .. بئس العبد عبد يستحل المحارم بالشبهات .. بئس العبد عبد هوى يضله .. بئس العبد عبد رغب يذله »[٣٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا »[٣٦] .

وعن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله .. فقال له : « كل بيمينك » .. قال : لا أستطيع ! ــ ما منعه الا الكبر ــ قال : « لا استطعت » .. قال : فما رفعها الى فيه[٣٧] .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين .. فيصيبه ما أصابهم »[٣٨] .

ويقول النووى : يذهب بنفسه : أى يرتفع ويتكبر ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه .. مرجل رأسه .. يختال فى مشيته .. اذ خسف الله به فهو يتجلجل فى الأرض الى يوم القيامة »[٣٩] .

وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال ذرة من كبر » ..

---

(٣٤) رواه النسائى وابن حبان .

(٣٥) رواه الطبرانى والترمذى .

(٣٦) متفق عليه .   (٣٧) رواه مسلم .

(٣٨) رواه الترمذى .

(٣٩) متفق عليه ــ ويتجلجل فى الأرض : يغوص وينزل فيها .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يختال فى مشيته ويتعاظم فى نفسه الا لقى الله وهو عليه غضبان »[٤٠] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أول ثلاثة يدخلون النار : أمير مسلط — أى ظالم — وغنى لا يؤدى الزكاة .. وفقير فخور »[٤١] .

وعنه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل .. والمنان .. والمنفق سلعته بالحلف الكاذب »[٤٢] .

والمسبل : هو الذى يسبل أزره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون الى قدميه .. لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما أسفل من الكعبين من الازار فهو فى النار »[٤٣] .

* * *

ويقول الامام الذهبى[٤٤] : « وأشر الكبر : الذى فيه من يتكبر على العباد بعلمه .. ويتعاظم فى نفسه بفضيلته .. فان هذا لم ينفعه علمه .. فان من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبه واستكانت نفسه وكان على نفسه بالمرصاد .. فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها .. فان غفل عنها جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته .. ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم .. فهذا من أكبر الكبر .. ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه ذرة من كبر .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » ..

* * *

* العجب والغـرور :

والعجب يدعو الى الكبر .. لأنه أحد أسبابه .. فيتولد من العجب الكبر .. ومن الكبر الآفات الكثيرة .. وهذا مع الخلق ..

فأما مع الخالق .. فان العجب بالطاعات نتيجة استعظامها ..

---

(٤٠) رواه الطبرانى .
(٤١) رواه ابن خزيمة وابن حبان .
(٤٢) رواه البخارى .
(٤٣) رواه البخارى .
(٤٤) فى كتابه : الكبائر ص ٥٨

فكأنه يمن على الله تعالى بفعلها •• وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها •• ويعمى عن آفاتها المفسدة لها ••

وانما يتفقد آفات الأعمال من خاف ردها دون من رضيها •• وأعجب بها ••

والعجب انما يكون بوصف كمال من علم أو عمل •• فان انضاف الى ذلك أن يرى حقا له عند الله ادلالا •• فالعجب يحصل باستعظام ما عجب به •• والادلال يوجب توقع الجزاء •• مثل أن يتوقع اجابة دعائه وينكر رده »(٤٥) .

« ومن الناس من غرته الدنيا •• فقال : النقـد خير من النسيئة •• والدنيا نقد والآخرة نسيئة •• وهذا محل التلبيس •• فان النقد لا يكون خيرا من النسيئة الا اذا كان مثل النسيئة •• ومعلوم أن عمر الانسان بالاضافة الى مدة الآخـرة ليس بجزء من ألف جزء الى أن ينقطع النفس •• وانما أراد من قال : النقد خير من النسيئة •• اذا كانت النسيئة مثل النقد •• وهذا غرور الكفار .

فأما ملابسو المعاصى مع سلامة عقائدهم •• فانهم قد شاركوا الكفار فى هذا الغرور •• لأنهم آثروا الدنيا على الآخرة •• الا أن أمرهم أسهل من أمر الكفار •• من جهة أن أصل الايمان يمنعهم من عقاب الأبد ••

ومن العصاة من يفتر •• فيقول : ان الله كريم •• وانما نتكل على عفوه •• وربما اغتروا بصلاح آبائهم ••

وقد قال العلماء : من رجا شيئا طلبه •• ومن خاف شيئا هرب منه •• ومن رجا الغفران مع الاصرار فهو مغرور ••

وليعلم أن الله تعالى مع سعة رحمته شديد العقاب •• وقد قضى بتخليد الكفار فى النار •• مع أنه لا يضره كفرهم •• وقد سلط الأمراض والمحن على خلق من عباده فى الدنيا •• وهو سبحانه قادر على ازالتها •• ثم خوفنا من عقابه •• فكيف لا نخاف ؟

فالخوف والرجاء سائقان يبعثان على العمل •• وما لا يبعث على العمل فهو غرور •• يوضح هذا أن رجاء أكثر الخلق عملهم على البطالة وايثار المعاصى »(٤٦) .

* * *

---

(٤٥) لابن قدامة ـــ مختصر منهاج القاصدين ص ٢٠٦

(٤٦) المصدر السابق ص ٢٠٨

* علاج الكبر والعجب :

فاذا كان الكبر من المهلكات •• وكانت مداواته فرض عين •• فيجب على الانسان استئصال أصله وقطع شجرته ••

ويكون ذلك بأن يعرف نفسه •• وأن يعرف ربه •• فانه اذا عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل ••

فان أصل وجوده بعد العدم من تراب •• ثم من نطفة خرجت من مخرج البول •• ثم من علقة •• ثم من مضغة •• فقد صار شيئا مذكورا بعد أن كان جمادا لا يسمع ولا يبصر •• ولا يحس ولا يتحرك •• فقد ابتدأ بموته قبل حياته •• وبضعفه قبل قوته •• وبفقره قبل غناه ••

وليتذكر دائما قول الله تعالى : **« قتل الانسان ما أكفره • من أى شيء خلقه • من نطفة خلقه فقدره • ثم السبيل يسره • ثم أماته فأقبره »**(٤٧) .

ولن يدوم للانسان الوجود على اختياره •• فقد سلطت عليه الأخلاط المتضادة •• والأمراض الهائلة •• فبينما بنيانه قد تم اذ هو قد وهى وتهدم •• فلا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا •• وبينما هو يذكر الشيء فينساه •• ويستلذ الشيء فيرديه •• ويروم الشيء فلا يناله •• ثم لا يأمن أن يسلب حياته بغتة ••

فاذا جاءه الموت ــ وهو آتيه لا محالة ــ أعاده جمادا كما كان •• فيلقى فى التراب ليصير جيفة منتنة •• وتبلى أعضاؤه •• وتتنخر عظامه •• ويأكل الدود أجزاؤه •• ويعود ترابا كما كان ••

ثم تجمع أجزاؤه المتفرقة من طول البلى •• ويحضر عرضة القيامة •• ليرى أرضا مبدلة وجبالا مسيرة وسماء منشقة ونجوما منكدرة •• وشمسا مكورة •• وأحوالا مظلمة •• وجحيما تزفر •• وصحائف تنشر ••

فيحاسبه الله تعالى على القليل والكثير •• بعد أن أنساه طول الأمل اياه •• ولكن الله تعالى أحصاه ••

فاذا سيق الى النار •• فالبهائم أحسن حالا منه •• فهى تعود الى التراب ويتمنى هو ذلك فلا يجد اليه سبيلا •

---

(٤٧) عبس : ١٧ ــ ٢١

فمن كانت هذه بدايته ونهايته •• فأى وجه لكبره وفخره واختياله ••

أما معرفة الانسان لربه •• فتكون بالنظر الى آثار قدرته •• وعجائب صنعته •• فتلوح له العظمة •• وتظهر له المعرفة •• فهذا هو العلاج القالع لأصل الكبر ••

فاذا علم الانسان أن الله تعالى هو المنعم عليه بالايجاد •• وهو الذى أوجد الأعمال •• فلا معنى لعجب عامل بعمله •• ولا عالم بعلمه •• ولا جميل بجماله •• ولا غنى بغناه ••

فان هذا كله من أفضال الله تعالى •• وما الانسان الا محلا تفيض النعم عليه •• وكونه محلا له نعمة أخرى من نعمه تعالى ••

ولقائل أن يقول : ان العمل قد حصل بقدرتى •• ولا يتصور العمل الا بوجودى ووجود عملى وارادتى وقدرتى (!!)

ونقول لهذا القائل : من أين قدرتك ؟ •• أليست من الله تعالى ؟ ••

فان كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه •• وهذا المفتاح بيد الله تعالى •• وما لم يعط الانسان المفتاح لا يمكنه العمل ••

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يدخل أحد منكم عمله الجنة » •• قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ •• قال : « ولا أنا •• الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل »(٤٨) •

واعلم : أن قوما غرتهم الأمانى وقالوا نحن نحسن الظن بالله •• ولكنهم كذبوا فى قولهم •• فلو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل ••

والله الهادى الى سواء السبيل ••

* * *

وحسبنا عظة •• أن نذكر الحديث الشريف الذى أورده الامام المغزالى ــ رضى الله عنه ــ ضمن رسالة أرسلها لملك من الملوك يعظه ••

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يحشر الأغنياء أربع فرق : رجل جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام ، فيقال : اذهبوا به الى النار •

---

(٤٨) رواه الشيخان •

ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه فى حرام ، فيقال : اذهبوا به الى النار .

ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال ، فيقال : قفوا هذا وسلوه : لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه ، أو قصر فى الصلاة ، أو فى وضوئها ، أو فى ركوعها ، أو فى سجودها ، أو فى خشوعها ، أو ضيع شـــيئا من فرض الزكاة والحج ؟

فيقول الرجل : جمعت مالى من حلال ، وأنفقته فى حلال ، وما ضيعت شيئا من حدود الفرائض ، بل أتيت بتمامها .

فيقال : لعلك باهيت بمالك ، واختلت فى شىء من ثيابك ؟

فيقول : يا رب .. ما باهيت بمالى ، ولا اختلت فى شىء من ثيابى .

فيقال : لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين ، وقصرت فى التقديم والتأخير والتفصيل والتعديل ؟

ويحيط به هؤلاء فيقولون : ربنا أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا اليه فقصر فى حقنا . فان ظهر تقصيره ، ذهب الى النار ، والا قيل له : قف .. هات الآن شكر كل نعمة ، وكل شربة ، وكل أكلة ، وكل لذة ، فلا يزال يسئل ويسئل ... » .

ثم يقول الامام الغزالى بعد هذا الحديث الشريف : فهذه حال الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله ، فكيف حال المفرطين المنهمكين فى الحرام والشبهات ... ؟

* * *

قصـــة قارون مع موسى عليه السلام[1]

يقول الله تعالى : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليـــهم ، وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنـــوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ، ان الله لا يحب الفرحين • وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيـــا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفســـاد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين • قال انما أوتيته على علم عندى ، أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القـــرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعـــا ، ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون • فخرج على قومه فى زينته ، قال الذين يريدون الحيـــاة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم • وقال الذين أوتوا العـــلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون • فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين • وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، لولا أن من الله علينـــا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون • تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا ، والعاقبة للمتقين »[2] •

قيل : هو قارون بن يصهب بن قاهث •• وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث •• وعلى هذا فهو ابن عمه •

ويقول ابن جرير : وهذا قول أكثر أهل العلم ••

وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة •• ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرى •• فأهلكه البغى لكثرة ماله ••

وعن شهر بن حوشب : أنه زاد فى ثيابه شبرا طولا ترفعا على قومه •

وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه •• حتى ان مفاتحه كان يثقل حملها على الفئام من الرجال الشداد ــ أى الجماعة من الناس ••

---

(١) قصص الأنبياء للامام ابن كثير ص ٤٢٠ ــ ٤٢٥

(٢) القصص : ٧٦ ــ ٨٣

وقد قيل انها كانت من الجنود .. وانها كانت تحمل على ستين بغلا !!

وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين : « **لا تفرح** » أى لا تبطر بما أعطيت وتفخر على غيرك « **أن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة** » يقولون : لتكن همتك مصروفة لتحصيل ثواب الله فى الدار الآخرة ، فانه خير وأبقى ، ومع هذا « **لا تنس نصيبك من الدنيا** » أى وتناول منها بمالك ما أحل الله لك ، فتمتع لنفسك بالملاذ الطيبة الحلال ، « **وأحسن كما أحسن الله اليك** » اى وأحسن الى خلق الله كما أحسن الله خالقهم وبارئهم اليك ، « **ولا تبغ الفساد فى الأرض** » أى ولا تسىء اليهم ولا تفسد فيهم ، فتقابلهم ضد ما أمرت فيهم فيعاقبك ويسلبك ما وهبك ، « **أن الله لا يحب المفسدين** » .

فما كان جواب قومه لهذه النصيحة الصحيحة الفصيحة الا أن « **قال انما أوتيته على علم عندى** » يعنى أنا لا أحتاج الى استماع ما ذكرتم ، ولا الى ما اليه أشرتم ، فان الله انما أعطانى هذا لعلمه أنى أستحقه ، وأنى أهل له ، ولولا أنى حبيب اليه وحظى[٣] عنده لما أعطانى ما أعطانى .

قال الله تعالى ردا عليه فيما ذهب اليه : « **أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ، ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون** » أى قد أهلكنا من الأمم الماضين بذنوبهم وخطاياهم من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالا وأولادا ، فلو كان ما قال صحيحا لم نعاقب أحدا ممن كان أكثر مالا منه ، ولم يكن ماله دليلا على محبتنا له واعتنائنا به ، كما قال تعالى : « **وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا** »[٤] ، وقال تعالى : « **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم فى الخيرات ، بل لا يشعرون** »[٥] وهذا الرد عليه يدل على صحة ما ذهبنا اليه من معنى قوله : « **انما أوتيته على علم عندى** » .

---

(٣) حظى : بفتح الحاء وكسر الظاء وضم الياء مع التشديد اى : ذو حظوة .

(٤) سبأ : ٣٧

(٥) المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦

يقول تعالى : « **فخرج على قومه فى زينته** » .. ذكر كثير من المفسرين أنه خرج فى تجمل عظيم .. من ملابس ومراكب وخدم وحشم .. فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله .. وغبطوه بما عليه وله .. فلما سمع مقالتهم العلماء .. ذووا الفهم الصحيح الزهاد الألباء قالوا لهم : « **ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا** » أى ثواب الله فى الدار الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى .. قال الله تعالى : « **ولا يلقاها الا الصابرون** » أى وما يلقى هذه النصيحة وهذه المقالة .. وهذه الهمة السامية الى الدار الآخرة العلية .. عند النظر الى زهرة الدنيا الدنية الا من هدى الله قلبه وثبت فؤاده .. وأيد لبه وحقق مراده .

وما أحسن ما قال بعض السلف : ان الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات .. والعقل الكامل عند حلول الشهوات !

قال الله تعالى : « **فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** » ..

لما ذكر تعالى خروجه فى زينته واختياله فيها .. وفخره على قومه بها قال : « **فخسفنا به وبداره الأرض** » كما روى البخارى من حديث الزهرى عن سالم عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بينا رجل يجر ازاره اذ خسف به .. فهو يتجلجل فى الأرض الى يوم القيامة » .

كما رواه البخارى من حديث جرير بن زيد .. عن سالم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه ..

* * *

وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وعن السدى :

ان قارون أعطى امرأة بغيا مالا على أن تقول لموسى عليه السلام وهو فى ملأ من الناس : انك فعلت بى كذا وكذا ، فيقال انها قالت له ذلك ، فأرعد من الفرق وصلى ركعتين ، ثم أقبل عليها فاستحلفها من دلك على ذلك ، وما حملك عليه ؟ فذكرت أن قارون هو الذى حملها على ذلك واستغفرت الله وتابت اليه . فعند ذلك خر موسى لله ساجدا ، ودعا الله على قارون . فأوحى الله اليه : انى قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه ، فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره ، فكان ذلك .. والله أعلم .

وقد قيل ان قارون لما خرج على قومه فى زينته مر بجحفله وبغاله وملابسه على مجلس موسى عليه السلام ، وهو يذكر قومه بأيام الله . فلما رآه الناس انصرفت وجوه كثير منهم ينظرون اليه ، فدعاه موسى عليه السلام فقال له : ما حملك على هذا ؟

فقال : يا موسى .. أما لئن كنت فضلت على بالنبوة ، فقد فضلت عليك بالمال ، ولئن شئت لتخرجن فلتدعون على ولأدعون عليك .

فخرج موسى وخرج قارون فى قومه ، فقال له موسى : تدعو أو أدعو أنا ؟ قال : أدعو أنا ، فدعا قارون فلم يجب له فى موسى ، فقال موسى : أدعو ؟ قال : نعم .

فقال موسى : اللهم مر الأرض فلتطعنى اليوم ، فأوحى الله اليه : انى قد فعلت . فقال موسى : يا أرض .. خذيهم . فأخذتهم الى أقدامهم ، ثم قال : خذيهم ، فأخذتهم الى ركبهم ، ثم الى مناكبهم .

ثم قال : أقبلى بكنوزهم وأموالهم ، فأقبلت بها حتى نظروا اليها ، ثم أشار موسى بيده فقال : اذهبوا بنى لاوى .. فاستوت بهم الأرض .

وقد روى عن قتادة أنه قال : يخسف بهم كل يوم قامة الى يوم القيامة ..

وعن ابن عباس أنه قال : خسف بهم الى الأرض السابعة ..

وقوله تعالى : **« فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين »** لم يكن له ناصر من نفسه ولا من غيره .. كما قال : **« فما له من قوة ولا ناصر »**(٦) .

ولما حل به ما حل من الخسف وذهاب الأموال وخراب الدار .. واهلاك النفس والأهل والعقار .. ندم من كان تمنى مثل ما أوتى .. وشكروا الله تعالى الذى يدبر عباده بما يشاء من حسن التدبير المخزون .. ولهذا قالوا : **« لولا أن من الله علينا لخسف بنا ، ويكأنه لا يفلح الكافرون »** ..

يقول قتادة : « ويكأن » بمعنى : ألم تر أن .. والله أعلم .

ثم أخبر تعالى أن **« الدار الآخرة »** وهى دار القرار .. وهى الدار التى يغبط من أعطيها .. ويعزى من حرمها انما هى معدة **« للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا »** ..

---

(٦) الطارق : ١٠

فالعلو هو التكبر والفخر •• والأشر والبطر •• والفساد هو عمل المعاصى اللازمة والمتعدية من أخذ أموال الناس •• وافساد معايشهم •• والاساءة اليهم •• وعدم النصح لهم ••

ثم قال تعالى : **« والعاقبة للمتقين »** ••

وقصة قارون هذه •• قد تكون قبل خروجهم من مصر •• لقوله تعالى : **« فخسفنا به وبداره الأرض »** •• فان الدار ظاهرة فى البنيان •• وقد تكون بعد ذلك فى التيه •• والله أعلم ••

***

وقد ذكر الله تعالى مذمة قارون فى غير ما آية من القرآن ، قال الله تعالى : **« ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين • الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب »**[7] •

وقال تعالى فى سورة العنكبوت بعد ذكر عاد وثمود : **« وقارون وفرعون وهامان ، ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين • فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »**[8] •

فالذى خسف به الأرض قارون كما تقدم ، والذى أغرق فرعون وهامان وجنودهما انهم كانوا خاطئين •

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « **من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا** ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف »[9]

***

---

(٧) غافر : ٢٣ ، ٢٤

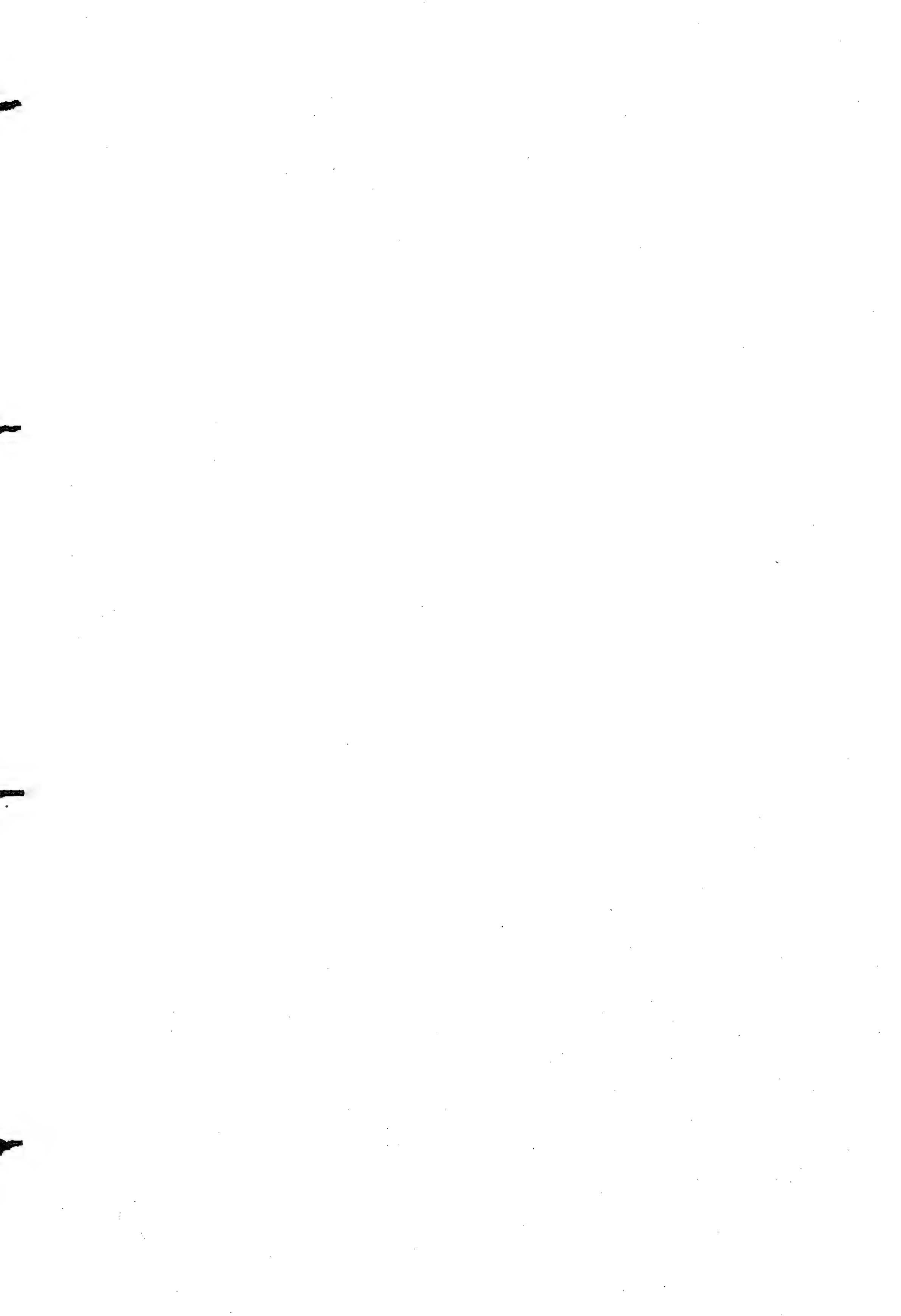
(٨) العنكبوت : ٣٩ ، ٤٠

(٩) رواه أحمد .

الفصل العاشر

التواضع .. من صفات الرسل

* أتباع الرسل
* القدوة العليا ..
* من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم .
* من تواضعه .. صلى الله عليه وسلم .
* من حلمه .. صلى الله عليه وسلم .
* من شفقته .. صلى الله عليه وسلم .
* من حيائه .. صلى الله عليه وسلم .
* من جوده وكرمه .. صلى الله عليه وسلم .
* من صبره .. صلى الله عليه وسلم .
* من شكره .. صلى الله عليه وسلم .
* من اجتهاده .. صلى الله عليه وسلم .
* من ورعه .. صلى الله عليه وسلم .
* من توكله .. صلى الله عليه وسلم .
* من خوفه .. صلى الله عليه وسلم .
* من بكائه .. صلى الله عليه وسلم .
* من شجاعته .. صلى الله عليه وسلم .
* من بركته .. صلى الله عليه وسلم .



أتباع الرســـل

منذ بعث الله النبيين الى الناس مبشرين ومنذرين •• داعين اياهم الى افراد الله وحده بالعبادة •• آخذين بأيديهم الى طريق النجاة •• هادين اياهم الى سبيل الرشاد • والضعفاء والمساكين هم أول من يستجيب لدعوتهم •• لأنهم يجدون فيها الامن والنجاة •• ويأملون منها الخلاص من الذل والقهر والعبودية ••

لذا نرى المستضعفين هم أول من يهرع الى دعوة الايمان •• وهم دائما فى طليعة جنود رسالات السماء •• الملتفون حولها والمساندون لها •• الباذلون فى سبيلها المهج والأرواح ••

فى حين يقاومها السادة والكبراء •• ويقفون منها دائما موقف العناد والمكابرة •• عاملين على القضاء عليها •• آملين فى الخلاص من أصحابها ••

ولهذا رأينا بلالا الحبشى •• وسلمانا الفارسى •• وصهيبا الرومى وغيرهم من الأرقاء والموالى والمستضعفين أمثال : أبى ذر وعمار وياسر وسمية وخباب ــ رضى الله عنهم ــ من أوائل المبادرين الى الاسلام ••

بينما تأخر اسلام الكبراء من أمثال عمرو بن العاص وخالد ابن الوليد •• ومعاوية بن أبى سفيان الى ما قبل الفتح بقليل ••

بل ان أبا سفيان بن حرب ــ سيد قريش بلا منازع ــ لم يدخل الاسلام الا حين أحدقت جيوش المسلمين بمكة لفتحها ••

وفى العادة •• يتجبر السادة والكبراء فى بطشهم بالدعــوات الجديدة •• فينزلون بأتباعها ألوانا من العذاب وصنوفا من النكال •• محاولين بذلك القضاء على الدين الجديد ••

حتى اذا ما باءت محاولاتهم بالفشل •• لجــأوا الى الاغــراء والمساومة •• فيعرضون على صاحب الرسالة نبذ الضعفاء وطرد المساكين •• فى مقابل انتظامهم فى سلك الدين الجديد •• وحجتهم الدائمة التى يلجأون اليها واحدة لا تتغير •• يرددها المنكرون لرسالات السماء فى كل وقت وآن •• منذ كان الرسل وكانت الرسالات ••

فنراهم يدللون على موانع الايمان عندهم أولا : بأن الرسول المبعوث اليهم بشر مثلهم وليس ملكا من الملائكة •• فضلا عن عدم تميزه عليهم بجاه أو شرف أو قوة ••

ثم يثنون : بأن أتباع الرسل ليسوا من الأشراف •• بل هم من العامة وأراذل الناس والضعفاء فى المجتمع ••

ومن هنا رأينا الملأ من قوم نوح عليه السلام — وهم الأشراف والوجهاء وأصحاب النفوذ — يقولون : **« ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين »**[1] •

فاذا ما فشل هذا الأسلوب •• لجأوا الى الاغراء والمساومة •• طالبين أن يقوم النبى بطرد أولئك المستضعفين الذين آمنوا به واتبعوا الدين الجديد ••

وما كان لنوح عليه السلام — أن يستجيب لاغرائهم •• فليس من السلوك الانسانى الكريم أن يطرد صاحب الرسالة نفرا من الناس سارعوا الى الايمان بدعوته ويخرجهم من دائرة الاتصال به •• لا لسبب الا لأنهم من عامة الناس وضعفاء المجتمع •• وليسوا من أصحاب الوجاهة والثراء بين أفراده ••

ولذا نرى أول الأنبياء — عليه السلام — يرد على اغراء الملأ من قومه بقوله : **« يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون •**

« ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، ان أجرى الا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا ، أنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون •

« ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم ، أفلا تذكرون »[2] •

ومنطق السادة والكبراء دائما واحد لا يتغير •• وحجتهم دائما واحدة لا تتبدل •• مهما تباعدت الأيام وتطاولت الأزمان ••

لهذا نرى الملأ من قريش يحاولون اغراء الرسول صلى الله عليه وسلم بطرد المؤمنين •• بعد أن أعيتهم الوسائل وضاقت بهم الأساليب فى صرف المؤمنين عن ايمانهم •• ومستندين فى محاولتهم الجديدة الى نفس الموانع التى ساقها أسلافهم من قبل ••

---

(١) هود : ٢٧ (٢) هود : ٢٨ — ٣٠

ويروى لنا خباب بن الأرت رضى الله عنه •• نبأ هذه المحاولة فيقول : « جاء الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى •• فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا فى ناس من الضعفاء من المؤمنين •• فلما رأوهم حول النبى صلى الله عليه وسلم حقروهم •• فأتوه فخلوا به وقالوا : انا نريد أن نجعل لنا منك مجلسا تعرف منا به العرب فضلنا •• فان وفود العرب تأتيك فنستحى أن ترانا العرب مع هذه الأعبد •• فاذا نحن جئناك فأقمهم عنك •• فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت ••

قال : نعم •••

قالوا : فاكتب لنا عليك كتابا ••

قال : فدعا بصحيفة •• ودعا عليا — كرم الله وجهه — ليكتب ونحن قعود فى ناحية •• فنزل جبريل عليه السلام فقال : **« ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين »**[٣]

ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال : **« وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين »**[٤] •

ثم قال : **« واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة »**[٥] •

قال : فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته •••

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا •• فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل : **« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا »**[٦] •

ولا تجالس الأشراف : **« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا »**[٦] يعنى عيينة والأقرع ، **« واتبع هواه وكان أمره فرطا »**[٦] أى هلاكا[٧] ••

* * *

---

(٣) الأنعام : ٥٢ (٤) الأنعام : ٥٣

(٥) الأنعام : ٥٤ (٦) الكهف : ٢٨

(٧) انظر تفسير القرطبى فى تفسير سورة الأنعام •

وما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد الضعفاء والمساكين من الذين دخل الاسلام فى قلوبهم •• ووجدوا فيه الأمل المرتجى للخلاص من الذل والعبودية •• وهو الذى وصفه الله تعالى بقوله . **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »**[8] •

ويقوله جل شأنه : **« وانك لعلى خلق عظيم »**[9] •

وقوله : **« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين »**[10] •

ونصحه بقوله تعالى : **« واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »**[11] •

ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « انما أنا رحمة مهداة » •

* * *

لما كان أتباع الرسل وجنود الدعوات هم دائما عامة الناس من الضعفاء والفقراء والمساكين •• فان تواضع الرسل يصبح من الأمور البدهية التى لا تتصور العقول سواها •• حتى تجد الرسالات طريقها الى قلوب الناس وعقولهم •• فيلتفون حولها ويؤمنون بها ••

ولهذا نرى موسى عليه السلام عندما خرج من مصر خائفا يتلفت •• فارا من فرعون وجنوده •• هائما على وجهه يجتاز الفيافى والقفار •• لا يدرى أين يتوجه ولا الى أين يذهب •• الى أن يصل مدين ••

وما أن يستقر به المقام فى مدين •• حتى يأوى الى ظل شجرة بجوار بئرها •• مكدودا جائعا •• بعد أن قضى الليالى والأيام طاويا لم يدخل جوفه سوى البقل وأوراق الشجر •• وبعد أن سقطت نعلا قدميه من الحفاء •• وان بطنه للاصق بظهره من الجوع •• وانه لمحتاج الى شق تمرة ••

---

(٨) الأنبياء : ١٠٧ — (٩) القلم : ٤

(١٠) آل عمران : ١٥٩ — (١١) الشعراء : ٢١٥

نرى موسى ــ عليه السلام ــ وهذه حاله •• يسترعي انتباهه رؤية فتاتين تتنحيان جانبا بعيداً عن بئر المدينة والزحام حولها •• وتكفكفان غنمهما عن المـاء حتى لا تختلط بغنم الرعاة الأشداء •• الذين يتسابقون على المـاء ولا يجدون بينهم مكانا لضعيف ••

يلفت هذا الأمر نظر موسى عليه السلام فيهز مشاعره •• ويحس بضعف الفتاتين وهوانهما على الناس •• فاذا بنبى الله يهب لمساعدتهما ويتطوع لخدمتهما •• فيبرح مكانه من الشجرة متقدما نحو البئر ثم يرفع الصخرة عن فمها وحده •• ناسيـا جوعه وكده •• ويستقى للفتاتين ويسقى غنمهما •• ثم يعود الى مكانه من الشجرة قائلا : **« رب انى لمـا أنزلت الى من خير فقير »**(١٢) •

لقد رأى النبى الكريم ضعفه فى ضعف الفتاتين •• وأحس بما يكابدانه من حيرة وضعف •• فيدغعه تواضعه الطبيعى الى التطوع لخدمتهما •• ناسيا ما يعانيه من ألم الجوع ومشقة السفر •• حتى اذا ما أدى مهمته •• عاد مرة أخرى الى همومه وأحزانه •• فيتذكر جوعه ونصبه ••

ثم نراه بعد ذلك •• يقضى فى خدمة صهره عشرة أعوام طوال •• مهرا لزوجه بعد أن آجر نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه •• فقضى وهو الذى عاش حياة الأمراء فى قصر ملك مصر معززا مكرما أبر الأجلين وأوفاهما ••

ويتم الله نعمته عليه •• ويكلفه بالرسالة والنبوة ••

ويقف عليه السلام يوما خطيبا فى قومه •• ويسأله بعض الناس : أى الناس أعلم ؟ فيقول : أنا ••

ولا شك عنده فى ذلك •• فهو نبى ذلك الوقت •• وصاحب الشريعة الذى يأتيه الوحى من السماء •• فهل يوجد أعلم منه ؟ ••

ولكن الله يعتب عليه اذ لم يرد العلم اليه تعالى •• فيوحى اليه : ان لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك ••

ولا يجد نبى الله فى رحيله الى ذلك العبد الصالح ما ينتقص من شأنه •• فيشد الرحال حتى يصل اليه •• فى المكان الذى حدده الله تعالى ••

---

(١٢) القصص : ٢٤

ويتواضع موسى عليه السلام للخضر قائلا : **« هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا »**(١٣) .

وكان ما قصه الله تعالى علينا فى سورة الكهف من أمرهما ..

فلم يتكبر نبى الله عن سؤال العبد الصالح عن العلم الذى وهبه الله اياه ..

* * *

وهذا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .. يقف يوما بين يدى أتباعه والمؤمنين به .. هاتفا فيهم : « طوبى للمساكين بالروح .. لأن لهم ملكوت السموات .. »(١٤) .

« طوبى للحزانى لأنهم يتعزون ..

« طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض ..

« طوبى للجياع والعطاش الى البر لأنهم يشبعون ..

« طوبى للرحماء لأنهم يرحمون ..

« طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله » .

ويجابه الملأ من قومه .. داحضا دعواهم .. مبينا أن السيادة الحقيقية ليست فى الغنى والجاه .. فيقول : « لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ .. وحيث ينقب السارقون ويسرقون ..

« بل اكنزوا لكم كنوزا حيث لا يفسد سوس ولا صدأ .. وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون ..

« لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا » .

---

(١٣) الكهف : ٦٦

(١٤) تعنى كلمة طوبى : السعادة والبركة .. وكأنه عليه السلام يقول : « يا لسعادة المساكين بالروح لأن ... » الخ .

والمساكين بالروح .. هم المتواضعون الذين ينكرون ذواتهم ويستصغرون أعمالهم .. ويتهمون أنفسهم بالتقصير فى الواجبات التى أوجبها الله عليهم .. فينسبون النقص دائما لأنفسهم .. ويعرفون الكمال كله لله وحده ..

لذا تراهم يطمعون دائما فى رحمة الله .. ويأملون فى عونه وتأييده .. ويرجون أن يوفقهم فى طاعته .. وأن يعينهم على العمل الصالح الذى يحبه ..

فالقيمة الحقيقية ليست فيما يكنزه الناس من أموال على الأرض •• لأن المـــال عارية زائلة •• والناس مستخلفين فيه •• وانما القيمة الحقيقية فيما يدخره الناس عند الله من تقوى وعمل صالح ••

ويتجه عليه السلام الى المستضعفين والفقراء معزيا اياهم :

« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين •• لأنه اما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر ••

« لا تقدروا أن تخدموا الله والمـــال ••

« لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون •• ولا لأجسادكم بما تلبسون ••

« أليست الحياة أفضل من الطعام ؟ والجسد أفضل من اللباس ؟

« انظروا الى طيور السماء •• انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن » ••

ويضع لأتباعه الأسس السليمة فى نقل رسالته الى الناس •• فيقول : « من أراد أن يصير منكم عظيما يكون لكم خادما •• ومن أراد أن يصير منكم أولا يكون عبدا للجميع » ••

نعم •• فان المتغطرس لا يجد آذانـــا تصغى اليـــه •• بعكس المتواضع الذى يجد القلوب تلتف حوله والأرواح تهفو اليه ••

والناس يقولون : « خادم القوم سيدهم » •• لأنه يبذل من راحته ووقته فى سبيل اسعاد المجتمع الذى يعيش فيه ••

بل انه عليه السلام يضرب لنا أروع الأمثلة فى التواضع •• فنراه يجمع تلاميذه قبيـــل عيد الفصح •• ويتناول معهم العشـــاء الأخير باذلا لهم وصاياه ••

فلما ينتهى العشاء •• يقوم ويخلع ثيابه •• ثم يأخذ منشفة يتزر بها •• ويصب المـــاء فى مغسل ثم يأخذ فى غسل أقدام التلاميذ ويمسحها بالمنشفة ••

موقف غريب على التلاميذ لم يفهموه !! فيقف بطرس معترضا : لا •• لا •• أنت تغسل رجلى يا سيدى ؟ !

ويجيبه عليه السلام بالسكينة كلها •• والحكمة كلها •• والتواضع كله : لست تعلم أنت الآن ما أنا صانع •• ولكنك ستفهم فيما بعد ••

ولا يفهم بطرس •• فيصيح فى سيده : أبدا •• لن تغسل رجلى أبدا !!

فيقول المسيح عليه السلام : ان كنت لا أغسلك فليس لك معى نصيب ••

ثم لما يفرغ من درسه العملى الأخير •• يرتدى ثيابه ثم يتكئ ليوضح لهم ما غمض عليهم : « أتفهمون ما قد صنعت بكم ؟ أنتم تدعوننى معلما وسيدا •• وحسنا تقولون •• لأنى أنا كذلك ••

« فان كنت أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم •• فأنتم يجب أن يغسل بعضكم أرجل بعض •• لأنى أعطيتكم مثالا •• حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضا ••

الحق الحق أقول لكم : انه ليس عبد أعظم من سيده •• ولا رسول أعظم من مرسله » ••

يا للعظمة •• ويا للحكمة •• ويا للتواضع !!



القدوة العليا[1]

« ان جوانب شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم متعددة تعددا يجعله منفردا عن الرسل بميزات •• ان شاركوه فى بعضها فلم يشاركوه فى الكل •• فشخصية الرسول — صلى الله عليه وسلم — تمثلت بها كل جوانب الحياة •• وما كل رسول كان له مثل هذا ••

فالرسول — صلى الله عليه وسلم — كان أبا •• وما كل رسول كان أبا ••

وكان زوجا •• وما كل رسول تزوج ••

وكان رئيس دولة ومؤسسها •• وما كل رسول أقام دولة ••

وكان القائد الأعلى لجيش الاسلام •• والمحارب الفذ •• وما كل رسول حارب ••

وبعث للانسانية عامة •• فشرع لها بأمر الله ما يلزمها فى كل جوانب حياتها العقيدية والعبادية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية •• ولم يبعث رسول قط الى الانسانية عامة غيره ••

وكان المستشار •• والقاضى •• والمربى •• والمعلم •• والمهذب •• والعابد •• والزاهد •• والصابر •• والرحيم •• الى آخر صفاته عليه الصلاة والسلام التى استوعبت كل جوانب الحياة ••

[فهو صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل •• ورسالته هى الرسالة الخاتمة التى أنزلها الله الى الناس] ••

فكان بذلك بين الرسل : الرسول المفرد •• والعلم المتاز : **« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض »**[2] .

وانما كان ذلك •• لأن الله جلت حكمته جعل الاسلام المنزل على محمد — صلى الله عليه وسلم — نظاما شاملا لجوانب حياة البشر كلها •• وجعل حياة رسوله — صلى الله عليه وسلم — نموذجا لدينه كله فى كل جوانبه •• حتى تقوم الحجة على الناس مرتين ••

مرة بالبيان النظرى •• ومرة بالبيان العملى ••

---

(١) للأستاذ سعيد حوى تحت نفس العنوان فى كتابه « الرسول صلى الله عليه وسلم » نشر مكتبة وهبة ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ بتصرف .

(٢) البقرة : ٢٥٣

وشيء آخر •• هو أن البشر فيهم الأب والابن والزوج •• وفيهم السياسى والاقتصادى ورجل الشورى •• وفيهم المحارب والمسالم •• وفيهم المبتلى والمعافى •• وفيهم الراعى والرعية •• وفيهم العامل والتاجر ••

فالحياة البشرية متعددة الجوانب •• وكل انسان فيها يعيش حياة كاملة تختلف فى بعض جوانبها أو تتفق مع الآخرين ••

وقد فرض الله تعالى على البشر ـ على اختلاف مستوياتهم وتعدد مواقف حياتهم ـ أن يكون الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهم القدوة فى كل شيء •• فما لم تكن شخصية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ متعددة الجوانب والمواقف هذا التعدد •• لا يكون قدوة لكل البشر فى كل شيء ••

وقد يعجب انسان أن تكون حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الخصب بحيث تستوعب كل جوانب حياة البشر •• فتكون لهم فى هذا كله •• ولكنه الواقع الذى تشهد له كل الدراسات النظرية والعلميــة ••

فمثلا •• من الناحية النظرية : ادرس مواقف الصبر عنده •• فانك تجدها قد استوعبت كل موقف يحتاج الناس فيه الى الصبر •• لقد أقام الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقام المخرج من وطنه •• ومقام من مات له ولد وأولاد وأولاد أولاد •• ومن ماتت له زوجة وعم وأبناء عم •• بعضهم قتلى •• ومقام من فشل فى المعركة ومن أوذى واستهزىء به •• ومقام من شمت فيه •• ومن اتهم بعرض أحب الخلق اليه •• ومقام من مرض وجرح •• ومقام من جاع وعطش وخاف •• وغير ذلك من المقامات التى يعتبرها الناس مصائب •• بحيث لا تصيب الانسان مصيبة الا ويرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أصيب بمثلها •• وكان له موقف مثالى منها •• فيقف مثله ان كان مؤمنا ••

ومن الناحية العملية •• فان تاريخ الأمة الاسلامية ما خلا فى عصر من عصوره من ملايين من أفراد هذه الأمة •• مختلفى المدارك •• مختلفى المستويات •• مختلفى الاختصاصات •• مختلفى المشارب ••

منهم الغنى .. والفقير .. والقائد .. والرئيس .. والعالم .. والعابد .. وغيرهم وغيرهم .. كل منهم متمسـك بحبل الاقتداء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الصغيرة والكبيرة .. حتى انك لتجد النماذج المتباينة من هؤلاء .. وكل منهم يقيم الدليل على أن سلوكه هو سلوك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يسير عليه .. وكل ذلك فى الواقع ناتج عن الخصب فى حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى استوعبت أحوال البشر جميعا ..

والرسول صلى الله عليه وسلم فى كل موقف من هذه المواقف .. وفى كل حال من الأحوال .. وفى كل جانب من الجوانب .. كان المثل الأعلى للبشر والقدوة العليا والوحيدة لهم ..

اذ اليه يرجع الكمال فى كل شىء .. ومنه يعرف الكمال فى كل شىء ..

ولا كمال لأى انسان مهما كان فى أى حالة .. الا باتباعه والاقتداء به والتأسى فيه .. لأن الله تعالى لم يعط من الكمال لانسان ما أعطاه محمـدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يجتمع فى انسان من الكمالات ما اجتمع فى شخصه العظيم .. وذلك آية الله على أن هذا الانسان رسوله .. اذ ما كان هذا ليجتمع لانسان منبت عن الله وكمالاته » اهـ . بتصرف ..

ويقول الأستاذ سعيد حوى : « ان أبرز سمة فى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم المتعددة الجوانب أخلاقياته التى لا مثيل لها .. فلو أنك جمعت كل خلق عظيم فى العالم .. وكل تصرف أخلاقى سليم تصرفه فى يوم من الأيام انسان .. فان ما تجده فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم يربو على هذا كله مجتمعا .. مع انعدام التصرفات غير الأخلاقية فى حياته عليه الصلاة والسلام .. مما لا تستطيع معه أن تجد فى حياته كلها تصرفا يمكن أن ترى أعظم منه فى باب الأخلاق عند غيره صلى الله عليه وسلم »[٣] .

* * *

---

(٣) المرجع السابق ص ١٠٥

* من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم :

روى البخارى عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو ابن العاص •• رضى الله عنهما فقلت له : أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ••

قال : أجل •• والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن : « **يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا** »[٤] ••

فى التوراة : « يا أيها النبى •• انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا •• وحرزا للأميين •• أنت عبدى ورسولى •• سميتك المتوكل ••

ليس بفظ ولا غليظ •• ولا سخاب بالأسواق •• ولا يدفع السيئة بالسيئة •• ولكن يعفو ويصفح ••

ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله •• فيفتح بها أعينا عميا •• وآذانا صما •• وقلوبا غلفا »[٥] ••

وعن الامام الحسين بن على رضى الله عنهما قال : سألت أبى عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جلسائه •• فقال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر •• سهل الخلق •• لين الجانب ••

ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح ••

يتغافل عما لا يشتهى •• ولا يؤيس منه ولا يخيب فيه ••

فقد ترك نفسه من ثلاث : المراء •• والاكبار •• وما لا يعنيه ••

وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحـدا •• ولا يعيبه •• ولا يطلب عورته ••

ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه ••واذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير •• فاذا سكت تكلموا ••

لا يتنازعون عنده الحديث •• ومن تكلم عنده أنصتوا اليه حتى يفرغ •• حديثهم عنده حديث أولهم ••

يضحك مما يضحكون منه •• ويتعجب مما يتعجبون منه •• ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقـه ومسـألته •• حتى ان كان أصحابه ليستجلبونهم ••

---

(٤) الأحزاب : ٤٥ (٥) الأحاديث القدسية جـ ١ ص ٢٠٨

ويقول : اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فارفدوه .. ولا يقبل الثناء الا من مكافىء .. ولا يقطع على أحد حديثه .. حتى يجوز فيقطعه بنهى أو قيام »[٦] .

وعن خارجه بن زيد أن نفرا دخلوا على أبيه زيد بن ثابت رضى الله عنه قالوا : حدثنا عن بعض أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم .. فقال : كنت جاره .. فكان اذا نزل عليه الوحى بعث الى فاتيه فأكتب الوحى .. فكنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها .. واذا ذكرنا الاخرة ذكرها معنا .. واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا .. فكل هذا أحدثكم عنه[٧] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشد الناس لطفا .. والله ما كان يمتنع فى غداة باردة من عبد ولا من أمة ولا صبى أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه .. وما سأله سائل قط الا أصغى اليه أذنه .. فلم ينصرف حتى يكون هو الذى ينصرف عنه .. وما تناول أحدا بيده الا ناوله اياها فلم ينزع حتى يكون هو الذى ينزعها منه[٨] .

وروى مسلم عنه رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة .. جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء .. فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه .. وربما جاءه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها ..

وعنه رضى الله عنه أيضا قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافح — أو صافحه — الرجل لا ينزع يده من يده .. حتى يكون الرجل ينزع يده .. وان استقبله بوجه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه .. ولا يرى مقدما ركبتيه بين يدى جليس له[٩] .

وعن محمد بن مسلمة رضى الله عنه قال : قدمت من سفر .. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدى .. فما ترك يدى حتى تركت يده[١٠] .

---

(٦) عن كتاب سيد الشهداء : الامام الحسين رضى الله عنه — للأستاذ موسى محمد على ص ٦٨ (٧) اخرجه ابو نعيم فى دلائل النبوة .

(٨) اخرجه ابو نعيم .

(٩) رواه الترمذى وابن ماجه وابن سعد .

(١٠) اخرجه الطبرانى .

وعن أنس رضى الله عنه قال : ان كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجىء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت[11] .

وفى رواية : « ان كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به فى حاجتها » ..

وعنه رضى الله عنه أن امرأة كان فى عقلها شىء .. فقالت : يا رسول الله .. ان لى اليك حاجة .. فقال : « يا أم فلان .. انظرى أى السكك شئت حتى أقضى حاجتك » .. فخلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها[12] ..

وعنه أيضا قال : ما رأيت رجلا قط التقم أذن النبى صلى الله عليه وسلم فينحى رأسه .. حتى يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه .. وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بيد رجل فترك يده .. حتى يكون الرجل هو الذى يدع يده[13] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سألت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن .. يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ..

وأخرج البيهقى عن زيد بن بابنوس قال : قلنا لعائشة رضى الله عنها : يا أم المؤمنين .. كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ — فذكره .. وفى حديثه : ثم قالت : أتقرأ سورة المؤمنون ؟ .. اقرأ : « **قد أفلح المؤمنون** » الى العشر .. قالت : هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم [14] .

وعن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهله الا قال : « لبيك » ولذلك أنزل الله عز وجل : « **وانك لعلى خلق عظيم** »[15] .

---

(١١) رواه أحمد .
(١٢) رواه مسلم وأخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة .
(١٣) رواه أبو داوود .
(١٤) رواه النسائى .
(١٥) القلم : ٤ والحديث رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة .

وعن صفية بنت حيي ــ أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : ما رأيت أحدا أحسن خلقًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم •• لقد رأيته وقد ركب بي من خيبر على عجز ناقته ليلا •• فجعلت أنعس فضرب رأسي مؤخرة الرحل •• فمسني بيده يقول : « يا هذه مهلا •• يا بنت حيي مهلا » •• حتى اذا جاء الصهباء ــ موضع على روحة من خيبر ــ قال : « انى أعتذر اليك يا صفية مما صنعت بقومك •• انهم قالوا لى كذا •• وقالوا لى كذا »(١٦) ••

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما •• فان كان اثما كان أبعد الناس منه •• وما انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها(١٧) .

وعنها رضى الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط •• ولا امرأة •• ولا ضرب بيده شيئا الا أن يجاهد فى سبيل الله •• ولا خير بين شيئين قط الا كان أحبهما اليه أيسرهما •• الا أن يكون اثما •• فاذا كان اثما كان أبعد الناس من الاثم •• ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى اليه حتى تنتهك حرمات الله •• فيكون هو ينتقم لله عز وجل(١٨) .

وعن أبى عبد الله الجدلى قال : سمعت عائشة رضى الله عنها وسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا ــ أى صياحا ــ فى الأسواق •• ولا يجزى بالسيئة السيئة •• ولكن يعفو ويصفح ــ أو قال : يعفو ويغفر ــ شك أبو داوود ــ . (١٩) .

وعن صالح مولى التوأمة قال : كان أبو هريرة رضى الله عنه ينعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان يقبل جميعا ويدبر جميعا ، بأبى وأمى لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا فى الأسواق ••

زاد آدم : لم أر مثله قبله ، ولم أر مثله بعده(٢٠) .

---

(١٦) اخرجه الطبرانى .

(١٧) اخرجه مالك وابو داوود والنسائى وابو نعيم .

(١٨) اخرجه أحمد . (١٩) اخرجه ابو داوود .

(٢٠) رواه يعقوب بن سفيان .

وعن أنس رضى الله عنه قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبابا ولا لعانا ولا فاحشا ، كان يقول لاحدنا عند المعاتبة : « ما له تربت جبينه »[٢١] .

وعند البخارى أيضا عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ، وكان يقول : « ان من خياركم أحسنكم أخلاقا » .

وعنه رضى الله عنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أخذ أبو طلحة رضى الله عنه بيدى فانطلق بى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. ان أنسا غلام كيس فليخدمك . قال : فخدمته فى السفر والحضر ، والله .. ما قال لى لشىء صنعته : لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشىء لم أصنعه : لم لم تصنع هذا هكذا ؟[٢٢] .

كما قال رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا فأرسلنى يوما لحاجة فقلت : والله لا أذهب .. وفى نفسى أن أذهب لما أمرنى به نبى الله صلى الله عليه وسلم .. فخرجت حتى أمر على الصبيان وهم يلعبون فى السوق فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاى من ورائى . قال : فنظرت اليه وهو يضحك فقال : « يا أنيس .. أذهبت حيث أمرتك » ؟ قال : قلت : نعم أنا أذهب يا رسول الله .

قال أنس : والله .. لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشىء صنعته لم فعلت كذا وكذا ؟ أو لشىء تركته : هلا فعلت كذا وكذا ؟[٢٣] .

كما روى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين .. فما قال لى قط : أف .. ولا قال لشىء فعلته : لم فعلته ؟ .. ولا لشىء لم أفعله : ألا فعلت كذا ؟ ![٢٤] .

---

(٢١) رواه البخارى ومسلم واحمد .
(٢٢) رواه مسلم .
(٢٣) رواه مسلم .
(٢٤) متفق عليه

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس »(٢٥) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا . وكان يقول : « ان من خياركم أحسنكم أخلاقا »(٢٦) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وان الله يبغض الفاحش البذىء »(٢٧) .

والبذىء : هو الذى يتكلم بالفحش وردىء الكلام ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال : « تقوى الله وحسن الخلق » ..

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال « الفم والفرج »(٢٨) .

وذلك لأن اللسان هو مصدر الكفر والكذب والفحش والغيبة والنميمة .. والفرج هو مصدر الفاحشة من زنا ولواط وسحاق .

وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم »(٢٩) .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »(٣٠) .

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقا .. وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا .. وببيت فى أعلا الجنة لمن حسن خلقه »(٣١) .

---

(٢٥) رواه مسلم .
(٢٦) متفق عليه .
(٢٧) رواه الترمذى .
(٢٨) رواه الترمذى .
(٢٩) رواه الترمذى .
(٣٠) رواه أبو داوود .
(٣١) رواه أبو داوود .. ومعنى زعيم : أى ضامن .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا .. وان أبغضكم الى وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » قالوا : يا رسول الله .. قد علمنا الثرثارون والمتشدقون .. فما المتفيهقون ؟ .. قال : « المتكبرون »[٣٢] .

ويقول الامام النووى : الثرثار هو كثير الكلام تكلفا .. والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه .. والمتفيهق : أصله من الفهق .. وهو الامتلاء .. وهو الذى يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه .. ويضرب به تكبرا وارتفاعا .. واظهارا للفضيلة على غيره .

* * *

* من تواضعه .. صلى الله عليه وسلم :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جلس جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فنظر الى السماء فاذا ملك ينزل ، فقال جبريل : هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد .. أرسلنى اليك ربك أفملكا نبيا أجعلك أو عبدا رسولا ؟ قال جبريل : تواضع لربك يا محمد . قال : « بل عبدا رسولا »[٣٣] .

ورواه أبو يعلى باسناد حسن ، كما قال الهيثمى عن عائشه رضى الله عنها بمعناه مع زيادة فى أوله وزاد فى آخره : قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول : « آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » .

وعن أبى غالب قال : قلت لأبى أمامة رضى الله عنه : حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن يكثر الذكر ويقصر الخطبة ويطيل الصلاة ولا يأنف ولا يستكبر أن يذهب مع المسكين والضعيف حتى يفرغ من حاجته[٣٤] .

---

(٣٢) رواه الترمذى .
(٣٣) رواه أحمد والبزار وابو يعلى .
(٣٤) اخرجه الطبرانى .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو ويركب الحمار ويلبس الصوف ويجيب دعوة المملوك .. ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه من ليف(٣٥) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويعتقل الشاة ويأتى مراعاة الضيف(٣٦) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير(٣٧) .

وعنه رضى الله عنه قال : ان كان الرجل من أهل العوالى ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب(٣٨) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب ولقد كانت له درع عند يهودى فما وجد ما يفكها حتى مات(٣٩) .

والاهالة : ما أذيب من الالية والشحم .. وقيل الدسم الجامد .. والسنخة : أى متغيرة الريح .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا نادى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثا كل ذلك يرد عليه « لبيك .. لبيك .. لبيك .. »(٤٠) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : كانت امرأة ترافث الرجال وكانت بذيئة فمرت بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يأكل ثريدا على طربال فقالت : انظروا اليه يجلس كما يجلس العبد ويأكل كما يأكل العبد ! فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « وأى عبد أعبد منى » ؟ قالت :

---

(٣٥) أخرجه أبو داوود — والمعنى أنه لم يكن يلغو أصلا .. ويستعمل هذا اللفظ فى نفى أصل الشىء .. ويجوز أن يراد باللغو الهزل والدعابة .. وان كان ذلك منه قليلا .

(٣٦) أخرجه البيهقى — ويعتقل الشاة : اى يضع رجلها بين ساقه وفخذه ويحتلبها .

(٣٧) أخرجه الطبرانى .

(٣٨) أخرجه الطبرانى .

(٣٩) أخرجه الترمذى .

(٤٠) اخرجه أبو يعلى .

ويأكل ولا يطعمنى ؟ قال : « فكلى » . قالت : ناولنى بيدك . فناولها فقالت : أطعمنى مما فى فيك . فأعطاها فأكلت فغلبها الحياء فلم ترافث أحدا حتى ماتت[٤١] .

وعن جرير رضى الله عنه أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم من بين يديه فاستقبلته رعدة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « هون عليك فانى لست بملك انما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد »[٤٢] .

وعن عامر بن ربيعة رضى الله عنه قال : خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد فانقطع شسعه فأخذت نعله لأصلحها فأخذها من يدى وقال : « انها أثرة ولا أحب الأثرة »[٤٣] .

وعن عبد الله بن جبير الخزاعى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشى فى أناس من أصحابه فتستر بثوب ، فلما رأى ظلة رفع رأسه فاذا هو بملاءة قد ستر بها فقال له : « مه » . وأخذ الثوب فوضعه ، فقال : « انما أنا بشر مثلكم »[٤٤] .

وعن عروة رضى الله عنه قال : سأل رجل عائشة : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل فى بيته ؟ قالت : نعم .. كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ، كما يعمل أحدكم فى بيته . وعند البيهقى عن عمرة قالت : قلت لعائشة : ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ؟ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه[٤٥] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال العباس : قلت : لا أدرى ما يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ، فقلت : يا رسول الله .. لو اتخذت عريشا يظلك ؟ قال : « لا أزال بين أظهركم يطأون عقبى وينازعون ردائى حتى يكون الله يريحنى منهم »[٤٦] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكل طهوره الى أحد ولا صدقته التى يتصدق بها يكون هو الذى يتولاها بنفسه[٤٧] .

---

(٤١) اخرجه الطبرانى ــ والطربال هى الأرض .
(٤٢) اخرجه الطبرانى .
(٤٣) اخرجه البزار .
(٤٤) اخرجه الطبرانى .
(٤٥) اخرجه البيهقى والترمذى .
(٤٦) اخرجه البزار .
(٤٧) ذكره القزوينى .

وعن جابر رضى الله عنه قال : جاء النبى صلى الله عليه وسلم يعودنى ليس براكب بغلا ولا برذونا[٤٨] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم فقال : « اللهم .. اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة »[٤٩] .

وعنه رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعا . وقال ابن اسحاق : حدثنى عبد الله بن أبى بكر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة بردة حبرة حمراء وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل[٥٠] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لأهل السوق وزان فقال له : « زن وأرجح » . وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السراويل فذهبت لأحمل عنه فقال : « صاحب الشىء أحق بشيئه أن يحمله الا أن يكون ضعيفا فيعجز عنه فيعينه أخوه المسلم » ، فقلت : يا رسول الله .. انك لتلبس السراويل ؟ قال : « أجل فى السفر والحضر وبالليل والنهار فانى أمرت بالستر فلم أجد شيئا أستر منه »[٥١] .

وعنه رضى الله عنه مثله وزاد : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتزن وأرجح » . فقال الوزان : ان هذه لكلمة ما سمعتها من أحد ، فقال أبو هريرة : فقلت له : كفاك من الزهق والجفاء فى دينك ألا تعرف نبيك ؟ فطرح الميزان ووثب الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقبلها فحذف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده منه فقال : « ما هذا .. انما يفعل هذا الأعاجم بملوكها ولست بملك .. انما أنا رجل منكم »[٥٢] .

---

(٤٨) اخرجه البخارى .
(٤٩) اخرجه الترمذى .
(٥٠) اخرجه البيهقى .
(٥١) اخرجه الطبرانى وأبو يعلى .
(٥٢) رواه أبو يعلى والطبرانى .

وعن أنس رضى الله عنه أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعله[٥٣] .

وعن عياض بن حمار رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغى أحد على أحد »[٥٤] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله »[٥٥] .

وعن أبى رفاعة تميم بن أسيد رضى الله عنه قال : انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب . فقلت : يا رسول الله .. رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه ؟ فأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك خطبته حتى انتهى الى ، فأتى بكرسى فقعد عليه ، وجعل يعلمنى مما علمه الله ، ثم أتى خطبته ، فأتم آخرها[٥٦] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاث . قال : وقال : « اذا سقطت لقمة أحدكم ، فليمط عنها الأذى ، وليأكلها ، ولا يدعها للشيطان » وأمر أن تسلت القصعة قال : « فانكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة »[٥٧] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم » قال أصحابه : وأنت ؟ فقال : « نعم .. كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة »[٥٨] .

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو دعيت الى كراع أو ذراع لأجبت ، ولو أهدى الى ذراع أو كراع لقبلت »[٥٩] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء لا تسبق — أو لا تكاد تسبق — فجاء أعرابى

---

(٥٣) متفق عليه .
(٥٤) رواه مسلم .
(٥٥) رواه مسلم .
(٥٦) رواه مسلم .
(٥٧) رواه مسلم .
(٥٨) رواه البخارى .
(٥٩) رواه البخارى .

على قعود له ، فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه ، فقال : « حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا الا وضعه »[٦٠] .

ومن الأمثلة على تواضعه وحلمه صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن أبي شيبة عن قيس بن وهب عن رجل من بني سراة قال : قلت لعائشة : أخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : أما تقرأ القرآن : **« وانك لعلى خلق عظيم »** . قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فصنعت له طعاما وصنعت له حفصة رضى الله عنها طعاما فسبقتني حفصة فقلت للجارية : انطلقي فأكفئي قصعتها . فأهوت أن تضعها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فكفأتها ، فانكفأت القصعة فانتشر الطعام ، فجمعها النبي صلى الله عليه وسلم وما فيها من الطعام على الأرض فأكلوا ، ثم بعثت بقصعتي فدفعها النبي صلى الله عليه وسلم الى حفصة فقال : « خذوا ظرفا مكان ظرفكم وكلوا ما فيها » . قالت : فما رأيته في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

*** من حلمه .. صلى الله عليه وسلم :**

يقول الله تعالى : **« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين »**[٦١] .

ويقول : **« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »**[٦٢] .

ويقول سبحانه : **« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »**[٦٣] .

ويقول جل شأنه : **« ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور »**[٦٤] .

عن عبد الله رضى الله عنه قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وسلم ناسا فأعطى الأقرع بن حابس رضى الله عنه مائة من الابل وأعطى عيينة رضى الله عنه مثل ذلك وأعطى ناسا ، فقال

---

(٦٠) رواه البخارى .
(٦١) آل عمران : ١٣٤
(٦٢) الأعراف : ١٩٩
(٦٣) فصلت : ٣٤ ، ٣٥
(٦٤) الشورى : ٤٣

رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله . فقلت : لأخبرن النبى صلى الله عليـــه وسلم . فأخبرته فقال : « رحم الله موسى .. قد أوذى بأكثر من هذا فصبر » .

وفى رواية : فقال رجل : والله ان هذه لقسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله . فقلت : والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فأخبرته فقال : « من يعدل اذا لم يعـــدل الله ورسوله ؟ .. رحم الله موسى .. قد أوذى بأكثر من هذا فصبر »(٦٥) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن عبد الله بن أبى لمـــا توفى ..جاء ابنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أعطنى قميصك أكفنه فيه .. وصل عليه واستغفر له ..

فأعطاه قميصه وقال : « آذنى أصلى عليه » .. فآذنه .. فلما أراد أن يصلى جذبه عمر — رضى الله عنه — وقال : أليس الله نهاك أن تصلى على المنافقين ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أنا بين خيرتين » قال : **« استغفر لهم أو لا تستغفر لهم »**(٦٦) .. فصلى عليه فنزلت هذه الآية : **« ولا تصل على أحد منهم مات أبدا »**(٦٧) .

وعن عمر رضى الله عنه قال : لمـــا توفى عبد الله بن أبى .. دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه .. فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره فقلت : يا رسول الله .. أعلى عدو الله عبد الله بن أبى القائل يوم كذا : كذا وكذا — يعدد أيامه : قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال : « أخر عنى يا عمر .. انى خيرت فاخترت ، قد قيل لى : **« استغفر لهم »** — الآية — لو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر له لزدت » . قال : ثم صلى عليه ومشى معه وقام على قبره حتى فرغ منه ، قال : فعجبت من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . قال : فوالله .. ما كان الا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : **« ولا تصل على أحد منهم مات أبدا »** — الآية — فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل(٦٨) .

---

(٦٥) أخرجهما البخارى . (٦٦) التوبة : ٨٠ .
(٦٧) أخرجه الشيخان والآية من سورة التوبة : ٨٤
(٦٨) رواه أحمد والبخارى والترمذى .

وعن جابر رضى الله عنه قال : لمـا مات عبد الله بن أبى أتى ابنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انك ان لم تأته لم نزل نعير بهذا ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم فوجده قد أدخل فى حفرته فقال : « أفلا قبل أن تدخلوه » . فأخرج من حفرته وتفل عليه من ريقه من قرنه الى قدمه وألبسه قميصه . ورواه النسائى . وعند البخارى عنه قال : أتى النبى صلى الله عليـه وسلم عبد الله بن أبى بعدما أدخل فى قبره فأمر به فأخرج ووضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه(٦٩) .

وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : سحر النبى صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما ، قال : فجاءه جبريل عليـه السلام فقال : ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فى بئر كذا وكذا ، فأرسل اليها من يجيء بها . فبعث رسول الله صلى الله عليـه وسلم فاستخرجها فجاءه بها فحللها ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليـه وسلم كأنما نشط من عقال ، فما ذكر ذلك لليهودى ولا رآه فى وجهه حتى مات(٧٠) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية .. فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة .. فنظرت الى صفحة عاتق النبى صلى الله عليه وسلم .. وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته .. ثم قال : يا محمد .. مر لى من مال الله الذى عندك .. فالتفت اليه فضحك .. ثم أمر له بعطاء ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليـه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك قالت : أردت لأقتلك . فقال : « ما كان الله ليسلطك على » ــ أو قال : على ذلك ــ قالوا : ألا نقتلها ؟ قال : « لا » . قال أنس : فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم(٧١) .

---

(٦٩) رواه أحمد وابن كثير .   (٧٠) رواه أحمد والنسائى .

(٧١) اخرجه الشيخان .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال لأصحابه : « أمسكوا فانها مسمومة » • وقال لها : « ما حملك على ما صنعت » ؟ قالت : أردت أن أعلم ان كنت نبيا فسيطلعك الله عليه وان كنت كاذبا أريح الناس منك • قال : فما عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧٢] •

وعن مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن المعرور : « يا أم بشر •• ان هذا الأوان وجدت انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر » • قال ابن هشام : الأبهر : العرق المعلق بالقلب ، قال : فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة[٧٣] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان دوسا قد عصت وأبت فادع الله عليهم • فاستقبل القبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه فقال الناس : هلكوا • فقال : « اللهم اهد دوسا وائت بهم •• اللهم اهد دوسا وائت بهم •• اللهم اهد دوسا وائت بهم »[٧٤] •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس : « ان فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة »[٧٥] •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله »[٧٦] •

وعنها أن النبى صلى الله عليـــه وسلم قال : « ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه »[٧٧] •

---

(٧٢) أخرجه البيهقى وأبو داوود وأحمد والبخارى .
(٧٣) أخرجه ابن اسحاق .
(٧٤) أخرجه الشيخان .
(٧٥) رواه مسلم .
(٧٦) متفق عليه .
(٧٧) رواه مسلم .

وعنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولا ينزع من شىء الا شانه »[78] .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا »[79] .

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله »[80] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصنى . قال : « لا تغضب » فردد مرارا ، قال : « لا تغضب »[81] .

وعن أبى يعلى شداد بن أوس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته »[82] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الأنبياء .. صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه .. وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة .. انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .

* * *

*** من شفقته .. صلى الله عليه وسلم :**

عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبى .. فأتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه »[83] .

---

(٧٨) رواه مسلم .
(٧٩) متفق عليه .
(٨٠) رواه مسلم .
(٨١) رواه البخارى .
(٨٢) رواه مسلم .
(٨٣) اخرجه الشيخان .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينه فى شيء — قال عكرمة رضى الله عنه : أراه قال فى دم — فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ..

ثم قال : « أحسنت اليك » ؟ قال الأعرابى : لا .. ولا أجملت (!!)

فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا اليه .. فأشار صلى الله عليه وسلم اليهم أن كفوا .. فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ الى منزله دعا الأعرابى الى البيت فقال : « انما جئتنا تسألنا فأعطيناك .. فقلت ما قلت » !

فزاده رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وقال : « أحسنت اليك » ؟

فقال الأعرابى : نعم جزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ..

قال صلى الله عليه وسلم : « انك جئت تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت .. وفى أنفس أصحابى عليك من ذلك شيء .. فاذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب عن صدورهم » .. فقال : نعم ..

فلما جاء الأعرابى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه .. فقال ما قال .. وانا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضى .. أكذلك يا أعرابى » ؟

فقال الأعرابى : نعم .. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ..

فقال صلى الله عليه وسلم : « ان مثلى ومثل هذا الأعرابى .. كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه .. فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا .. فقال لهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها .. فتوجه لها فأخذ من قشام الأرض — أى ثمر النخل — ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها .. وانى لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار »(٨٤) .

* * *

---

(٨٤) متفق عليه .

*** من حيائه .. صلى الله عليه وسلم :**

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها[٨٥] ..

وزاد البخارى فى رواية : « واذا كره شيئا عرف فى وجهه » ..

وأخرجه البزار عن أنس رضى الله عنه نحوه وزاد : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء خير كله » ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على رجل صفرة فكرهها ، قال : فلما قام قال : « لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة » ..

قال : وكان لا يكاد يواجه أحدا بشىء يكرهه[٨٦] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن رجل شىء لم يقل : ما بال فلان يقول ؟ .. ولكن يقول : « ما بال أقوام يقولون كذا وكذا »[٨٧] .

وعن موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمى عن مولى لعائشة رضى الله عنها قال : قالت عائشة : ما نظرت الى فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أو قالت : ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط[٨٨] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعه فان الحياء من الايمان »[٨٩] .

وعن عمران بن حصين ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياء لا يأتى الا بخير »[٩٠] .

وفى رواية لمسلم : « الحياء خير كله » أو قال : « الحياء كله خير » .

---

(٨٥) متفق عليه .
(٨٦) اخرجه أحمد ورواه ابو داوود والنسائى والترمذى .
(٨٧) أخرجه أبو داوود .
(٨٨) أخرجه الترمذى .
(٨٩) متفق عليه .
(٩٠) متفق عليه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الايمان بضع وسبعون — أو بضع وستون — شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله ، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الايمان »(٩١) .

يقول الامام النووى : « لبضع » : بكسر الباء ، ويجوز فتحها ، وهو من الثلاثة الى العشرة . « والشعبة » : القطعة والخصلة . و « الاماطة » : الازالة . و « الأذى » : ما يؤذى كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك .

* * *

*** من جوده وكرمه .. صلى الله عليه وسلم :**

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقى جبريل عليه السلام وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، قال : فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة(٩٢) .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال : لا (٩٣) .

وعن الربيع بنت معوذ بن عفراء رضى الله عنهما قالت : بعثنى معوذ بن عفراء بصاع من رطب عليه آخر من قثاء زغب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب القثاء وكانت حلية قد قدمت من البحرين فملأ يده منها فأعطانيها .

وفى رواية : فأعطانى ملء كفى حليا أو ذهبا(٩٤) .

والزغب : صغار الريش أول ما يطلع .. وشبهت به — رضى الله عنها — ما على القثاء من الزغب .

وعن أم سنبلة رضى الله عنها أنها أتت النبى صلى الله عليه وسلم بهدية فأبى أزواجه أن يقبلنها فقلن : انا لا نأخذ ، فأمرهن النبى صلى

---

(٩١) متفق عليه .
(٩٢) اخرجه الشيخان .
(٩٣) اخرجه الشيخان .
(٩٤) اخرجه الطبرنى .

الله عليه وسلم فأخذنها ، ثم أقطعها واديا فاشتراه عبد الله بن جحش من حسن بن علي — رضي الله عنهم[٩٥] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »[٩٦] .

وعن أبي شريح رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته » قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : « يومه وليلته .. والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه »[٩٧] .

وفي رواية لمسلم : « لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه » قالوا : يا رسول الله .. وكيف يؤثمه ؟ قال : « يقيم عنده ولا شيء له يقريه له » .

والمعنى : أن لا يطيل الضيف الاقامة عند مضيفه أكثر من المدة الشرعية .. حتى لا يدفعه الى الاستدانة المفضية الى الاثم من كذب وخلف للوعد ومماطلة ..

* * *

*** من صبره .. صلى الله عليه وسلم :**

مر بنا نماذج من صبره صلى الله عليه وسلم[٩٨] .. وعن حذيفة رضي الله عنه عن عمته فاطمة رضي الله عنها قالت : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء نعوده وقد حم فأمر بسقاء فعلق على شجرة ثم اضطجع تحته فجعل يقطر على فواقه من شدة ما يجد من الحمى فقلت : يا رسول الله .. لو دعوت الله أن يكشف عنك . فقال : « ان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »[٩٩] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وجع فجعل يشتكي ويتقلب على فراشه فقالت له عائشة : لو فعل

---

(٩٥) أخرجه الطبراني .
(٩٦) متفق عليه .
(٩٧) متفق عليه .
(٩٨) بالفصل الثامن : ص ٦٩٣ وما بعدها .
(٩٩) أخرجه البيهقي وأحمد والطبراني .

هذا بعضنا لوجدت عليه . فقال : « ان المؤمنين ليشدد عليهم وانه ليس من مؤمن تصيبه نكبة شوكة ولا وجع الا كفر الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة »[١٠٠] .

وعن مكحول رضى الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتمد على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وابراهيم يجود بنفسه ، فلما مات دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الرحمن : أى رسول الله .. هذا الذى تنهى الناس عنه ، متى يرك المسلمون تبكى يبكوا . قال : فلما سريت — أى كشفت — عنه عبرته قال : « انما هذا رحم وان من لا يرحم لا يرحم ، انما ننهى الناس عن النياحة وأن يندب الرجل بما ليس فيه » ، ثم قال : « لولا أنه وعد جامع وسبيل مئتاء — أى مسلوك — وأن آخرنا لاحق بأولنا لوجدنا عليه وجدا غير هذا وانا عليه لمحزونون .. تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب وفضل رضاعه فى الجنة »[١٠١] .

* * *

* من شكره .. صلى الله عليه وسلم :

عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو مشربته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت أن الله قد قبض نفسه فيها فدنوت منه فرفع رأسه قال : « من هذا » ؟ قلت : عبد الرحمن . قال : « ما شأنك » ؟ قلت : يا رسول الله .. سجدت سجدة خشيت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها . قال : « ان جبريل صلى الله عليه وسلم أتانى فبشرنى فقال : ان الله عز وجل يقول : من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدت لله شكرا »[١٠٢] .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أقبلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فلم يزل قائما حتى أصبح فسجد سجدة ظننت أن نفسه قد قبضت فيها ، قال : « تدرى لم ذاك » ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، فأعادها على ثلاثا

---

(١٠٠) أخرجه ابن سعد والحاكم والبيهقى .

(١٠١) أخرجه ابن سعد . (١٠٢) أخرجه أحمد .

أو أربعا فقال : « انى صليت ما كتب لى ربى وأتانى ربى ، فقال لى فى آخرها : ما أفعل بأمتك ؟ قلت : أى رب .. أنت أعلم ، فأعادها على ثلاثا أو أربعا فقال لى فى آخرها : ما أفعل بأمتك ؟ قلت : أنت أعلم يا رب . قال : انى لا أحزنك فى أمتك ، فسجدت لربى وربى شاكر يحب الشاكرين »(١٠٣) .

وعن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قال : جئت أزور رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يوحى اليه ، فلما سرى عنه قال لعائشة رضى الله عنها : « ناولينى ردائى » ، فخرج فدخل المسجد فاذا فيه قوم ليس فى المسجد غيرهم فجلس فى ناحية القوم حتى قضى المذكر تذكرته قرأ تنزيل السجدة فأطال السجود حتى اذا جاء من كان على قدر ميلين وتسامع الناس سجوده فعجز المسجد عن الناس فأرسلت عائشة الى أهلها : احضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد رأيت منه شيئا لم أره ، فرفع رأسه فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله .. أطلت السجود ! فقال : « سجدت لربى شكرا فيما أعطانى من أمتى سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » ، فقال أبو بكر : يا رسول الله .. أمتك أكثر وأطيب فاستكثرهم ، فقال مرتين أو ثلاثا ، فقال عمر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله .. فقد استوهبت أمتك(١٠٤) .

وعن على رضى الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية من أهله فقال : « اللهم ان لك على ان رددتهم سالمين أن أشكرك حق شكرك » ، فما لبثوا أن جاءوا سالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله على سابغ نعم الله » ، فقلت : يا رسول الله .. ألم تقل : ان ردهم الله أن أشكره حق شكره ؟ فقال : « أو لم أفعل » ؟ (١٠٥) .

* * *

---

(١٠٣) أخرجه الطبرانى .
(١٠٤) أخرجه الطبرانى .
(١٠٥) أخرجه البيهقى .

* من اجتهاده .. صلى الله عليه وسلم :

عن علقمة رضى الله عنه قال : سألت عائشة رضى الله عنها : أكان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يخص شيئا من الأيام ؟ قالت : لا .. كان عمله ديمة .. وأيكم يطيق ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق ؟ [١٠٦] .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قام حتى تفطرت قدماه .. فقيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبدا شكورا » ؟[١٠٧] .

* * *

* من ورعـــه .. صلى الله عليه وسلم :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد تحت جنبه تمرة من الليـــل فأكلها فلم ينم تلك الليلة فقال بعض نسائه : يا رسول الله .. أرقت الليلة ، قال : « انى وجدت تحت جنبى تمرة فأكلتها وكان عندنا تمر من تمر الصدقة فخشيت أن تكون منه »[١٠٨] .

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقول : « ان الحلال بين ، وان الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات ، استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات ، وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله محارمه ، ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله : ألا وهى القلب »[١٠٩] .

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » رواه مسلم[١١٠] .

و « حاك » أى : تردد فيه .

---

(١٠٦) أخرجه الشيخان .
(١٠٧) أخرجه الشيخان .
(١٠٨) أخرجه احمد .
(١٠٩) متفق عليه .
(١١٠) رواه مسلم .

وعن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليـه وسلم فقال : « جئت تسأل عن البر » ؟ قلت : نعم ، فقال : « استفت قلبك .. البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصـدر ، وان أفتـاك الناس وأفتوك »(١١١) .

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ، قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك »(١١٢) .

وعن عطية بن عروة السعدى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به .. حذرا لمـا به بأس »(١١٣) .

* * *

* من توكله .. صلى الله عليه وسلم :

عن جابر رضى الله عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد ، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركته القائلة فى واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ظل شجرة فعلق بها سيفه ، قال جابر : فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليـه وسلم يدعونا فأجبناه واذا عنده أعرابى جالس فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ان هذا اخترط سيفى وأنا نائم ، فاستيقظت وهو فى يده صلتا ، فقال : من يمنعك منى ؟ قلت : الله .. فشام السيف وجلس » . ولم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك(١١٤) .

وعنه رضى الله عنه قال : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب وغطفان بنخل فرأوا من المسلمين عرة فجاء رجل منهم يقال له غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال : من يمنعك منى ؟ قال : « الله » ، فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال : « من يمنعك منى » ؟

---

(١١١) رواه أحمد والدارمى .
(١١٢) رواه الترمذى .
(١١٣) رواه الترمذى .
(١١٤) أخرجه الشيخان .

فقال : كن خير آخذ ، قال : « تشهد أن لا اله الا الله » ؟ قال : لا .. ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله ، فأتى أصحابه وقال : جئتكم من عند خير الناس[١١٥] .

* * *

*** من خوفه .. صلى الله عليه وسلم :**

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال أبو بكر رضى الله عنه : يا رسول الله .. أراك شبت ، فقال : « شيبتنى هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت » . وفى رواية له عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله .. أسرع اليك الشيب ، فقال : « شيبتنى هود وأخواتها : الواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت »[١١٦] .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر » ؟ قال المسلمون : يا رسول الله .. فما نقول ؟ قال : « قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا »[١١٧] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع قارئا يقول : **« أن لدينا أنكالا وجحيما »** فصعق[١١٨] .

* * *

*** من بكائه .. صلى الله عليه وسلم :**

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ على » ، فقلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « انى أحب أن أسمعه من غيرى » ، قال : فقرأت سورة النساء حتى اذا بلغت : **« فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا »**[١١٩] ، قال « حسبك » . فالتفت فاذا عيناه تذرفان[١٢٠] .

* * *

---

(١١٥) أخرجه البيهقى . (١١٦) أخرجه البيهقى .
(١١٧) أخرجه أحمد .
(١١٨) أخرجه ابن النجار ــ والآية من سورة المزمل : ١٢
(١١٩) النساء : ٤١ (١٢٠) رواه البخارى .

* من شجاعته .. صلى الله عليه وسلم :

عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله راجعا وقد سبقهم الى الصوت وهو على فرس لأبى طلحة رضى الله عنه عرى فى عنقه السيف وهو يقول : « لم تراعوا لم تراعوا » . قال : « وجدناه بحرا — أو انه لبحر » — قال : وكان فرسا يبطأ . وعند مسلم عنه قال : كان فزع بالمدينة فاستعار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبى طلحة يقال له مندوب ، فركبه فقال : « ما رأينا من فزع وان وجدناه لبحرا » ، قال : كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم . وعند أحمد والبيهقى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأسا(١٢١) .

وعن أبى اسحاق سمع البراء بن عازب رضى الله عنه وسأله رجل من قيس : أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ؟ فقال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر . كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان رضى الله عنه آخذ بزمامها وهو يقول « أنا النبى لا كذب » .

وفى رواية للبخارى : أنه قال : « أنا النبى لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب » .

وفى رواية أخرى عنه : « ثم نزل عن بغلته » . ورواه مسلم والنسائى ، وعند مسلم عن البراء قال : ثم نزل فاستنصر وهو يقول :

« أنا النبى لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب ، اللهم نزل نصرك » .

قال البراء : ولقد كنا اذا حمى البأس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم وان الشجاع الذى يحاذى به(١٢٢) .

* * *

---

(١٢١) أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم .

(١٢٢) أخرجه البخارى .

* من بركته ·· صلى الله عليه وسلم :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : والله الذى لا اله الا هو ، ان كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وان كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع · ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه ، فمر بى النبى صلى الله عليه وسلم ، فتبسم حين رآنى ، وعرف ما فى وجهى وما فى نفسى ، ثم قال : « أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « الحق » ومضى فاتبعته ، فدخل فاستأذنت ، فأذن لى فدخلت ، فوجد لبنا فى قدح فقال : « من أين هذا اللبن » ؟ قالوا : أهداه لك فلان — أو فلانة — قال : « أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : الحق الى أهل الصفة فادعهم لى » ·

قال : وأهل الصفة أضياف الاسلام ، لا يأوون على أهل ، ولا مال ، ولا على أحد ، وكان اذا أتته صدقة بعث بها اليهم ، ولم يتناول منها شيئا ، واذا أتته هدية أرسل اليهم ، وأصاب منها وأشركهم فيها ، فساءنى ذلك فقلت : وما هذا اللبن فى أهل الصفة ! كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فاذا جاءوا وأمرنى فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بد ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا واستأذنوا ، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت ·

قال : « يا أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ·· قال : « خذ فأعطهم » قال : فأخذت القدح ، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح ، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد على القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده ، فنظر الى فتبسم ، فقال : « أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « بقيت أنا وأنت » قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : « اقعدفاشرب » فقعدت فشربت · فقال : « اشرب » فشربت ، فما زال يقول : « اشرب » حتى قلت : لا والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا ! قال : « فأرنى » فأعطيته القدح ، فحمد الله تعالى ، وسمى وشرب الفضلة(١٢٣) ·

---

(١٢٣) رواه البخارى ·

وعن جابر رضى الله عنه قال : انا كنا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية شديدة — أى صخرة — فجاءوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كدية عرضت فى الخندق . فقال : « أنا نازل » ثم قام ، وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول ، فضرب ، فعاد كثيبا أهيل — أو أهيم — فقلت : يا رسول الله .. ائذن لى الى البيت ، فقلت لامرأتى : رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم ما عن ذلك صبر فعندك شىء ؟ فقالت : عندى شعير وعناق ، فذبحت العناق ، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم ، والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافى قد كادت تنضج ، فقلت : طعيم لى فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : « كم هو » ؟ فذكرت له فقال : « كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة ، ولا الخبز من التنور حتى آتى » فقال : « قوموا » فقام المهاجرون والأنصار ، فدخلت عليها فقلت : ويحك .. جاء النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار ومن معهم ! قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم .. قال : « ادخلوا ولا تضاغطوا » فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور اذا أخذ منه ، ويقرب الى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا ، وبقى منه ، فقال : « كلى هذا وأهدى ، فان الناس أصابتهم مجاعة »(١٢٤) .

وفى رواية : قال جابر : لما حفر الخندق رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم خمصا ، فانكفأت الى امرأتى فقلت : هل عندك شىء ، فانى رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا ؟ فأخرجت الى جرابا فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن فذبحتها ، وطحنت الشعير ، ففرغت الى فراغى ، وقطعتها فى برمتها ، ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لا تفضحنى برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، فجئته فساررته فقلت : يا رسول الله .. ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنت صاعا من شعير ، فتعال أنت ونفر معك ، فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أهل الخندق .. ان جابرا قد صنع سؤرا فحيهلا بكم » فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تنزلن

(١٢٤) متفق عليه — والعناق : العنز الصغيرة .

برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء » فجئت ، وجاء النبى صلى الله عليه وسلم يقدم الناس ، حتى جئت امرأتى فقالت : بك وبك ! فقلت : قد فعلت الذى قلت . فأخرجت عجينا ، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ، ثم قال : « ادع خابزة فلتخبز معك ، واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها » وهم ألف ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وان برمتنا لتغط كما هى ، وان عجيننا ليخبز كما هو .

* * *

● يقول الامام « البوصيرى » فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم(*) :

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى
أن اشتكت قدماه الضر من ورم

وشد من سغب أحشاءه وطوى
تحت الحجارة كشحا مترف الأدم[125]

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم[126]

وأكدت زهده فيها ضرورته
ان الضرورة لا تعدو على العصم[127]

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

محمد سيد الكونين والثقليـ
ـن والفريقين من عرب ومن عجم[128]

(*) من قصيدته « البردة المباركة » .

(١٢٥) السغب : الجوع ، الكشح : هو ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف ، وهى اقصر الأضلاع وآخرها ، وهى من لدن السرة الى المتن ، مترف : أى رقيق ، الأدم : الجلد .

(١٢٦) راودته : خادعته ، الشم : العالية الشامخة ، الشمم : الاباء .

(١٢٧) ضرورته : حاجته ، العصم ــ بكسر العين وفتح الصاد : جمع عصمة ، اى أن الحاجة والضرورة لا سبيل لهما على من عصمه الله وحفظه .

(١٢٨) الثقلان : الانس والجن .

نبينـــا الآمر النـــاهى فـــلا أحد

أبر فى قـــول لا منـــه ولا نـــعم

هو الحبيب الذى ترجى شفاعتـــه

لـــكل هول من الأهوال مقتحم(١٢٩)

دعـــا الى الله فالمستمســـكون به

مستمسكون بحبل غير منفصم(١٣٠)

فـــاق النبيين فى خلق وفى خـــلق

ولم يدانوه فى عـــلم ولا كرم(١٣١)

وكلهم من رســـول الله ملتـــمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم(١٣٢)

وواقفـــون لديـــــه عند حدهـــم

من نقطة العـــلم أو من شكلة الحكم

فهو الذى تم معنـــاه وصورتـــه

ثم اصطفاه حبيبا بارىء النســـم(١٣٣)

منـــزه عن شريك فى محاســـــنه

فجوهر الحسن فيه غـــير منقســـم

دع ما ادعتـــه النصـــارى فى نبيهم

واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم(١٣٤)

وانسب الى ذاتـــه ما شئت من شرف

وانسب الى قـــدره ما شئت من عظم

فان فضـــل رسول الله ليس له

حـــد فيعرب عنـــه نـــاطق بفم

---

(١٢٩) مقتحم ــ بفتح الحاء : مهجوم عليه ومتورط فيه .

(١٣٠) منفصم : منقطع .

(١٣١) خلق : الأولى بفتح الخاء ، والثانية : بضمها .

(١٣٢) رشفا : مصا بالشفتين ، الديم ــ بكسر الدال وفتح الياء : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ، ومعنى هذا أن ما جاء به الأنبياء السابقون صلوات الله عليهم من الهدى اذا قيس الى هدى محمد صلى الله عليه وسلم كان كغرفة من بحر او رشفة من مطر .

(١٣٣) النسم : الأرواح ، جمع نسمة .

(١٣٤) احتكم : تصرف فى المدح كما تشاء .

لو ناسبت قـدره آياتـه عظمـا
أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم[١٣٥]

لم يمتحنا بما تعيـا العقول به
حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم[١٣٦]

أعيـا الورى فهم معناه فليس يرى
للقرب والبعد فيه غير منفحم[١٣٧]

كالشمس تظهر للعينين من بعد
صغيرة وتكل الطرف من أمم[١٣٨]

وكيف يدرك فى الدنيـا حقيقتـه
قـوم نيـام تسلوا عنه بالحـلم

فمبـلغ العـلم فيـه أنـه بشر
وأنـه خير خـلق الله كلـهم

وكل آى أتى الرسـل الكرام بهـا
فانمـا اتصـلت من نـوره بهم[١٣٩]

فانه شـمس فضـل هم كواكبهـا
يظهـرن أنوارها للنـاس فى الظلم

أكرم بخـلق نبى زانـه خـلق
بالحسـن مشتمل بالبشر متسـم[١٤٠]

كالزهـر فى ترف والبـدر فى شرف
والبحـر فى كرم والدهـر فى همم[١٤١]

---

(١٣٥) الدارس : البالى ، الرمم : جمع رمة ، وهى أجساد الموتى .
(١٣٦) ترتب : حالة الجزم من « نرتاب » اى نشك ، نهم ـ بفتح النون وكسر الهاء ، من وهم يهم اذا اخطأ وسها .
(١٣٧) اعيا : اتعب واعجز .
(١٣٨) منفحم : مغلوب بالحجة ، من أمم : من قرب .
(١٣٩) آى : جمع آية ، اى معجزة .
(١٤٠) مشتمل : ملفوف ، اى أن الحسن حاطه من كل ناحية ، متسم : معلم ، اى أن بشره وطلاقة وجهه من علاماته المميزة .
(١٤١) اى رقة ، شرف : علو .. وقد وصف البحر بالكرم لوفرة مواده وكثرة ما ينتفع به ، فشبه به الرسول صلوات الله عليه لهذا المعنى ، ونسبت الهمم للدهر لمـا يقع فيـه من الحوادث الجسام ، فشبه به لأن الدين الذى جاء به قلب أمور الكون قلبا ، وكان أعظم حادث عرفه التاريخ لمـا بدا من آثاره فى العادات والأخلاق والعقائد .

كأنه ، وهو فـــرد ، من جلالتـــه
في عســـكر حين تلقـــاه وفي حشم[١٤٢]
كأنمـــا اللؤلؤ المكنـــــون في صـــــدف
من معـــدني منطق منـــه ومبتســـــم
لا طيب يعـــدل تربا ضم أعظـــــمه
طـــوبى لمنتشــــق منـــه وملتثم[١٤٣]

* * *

● ويقول أمير الشعراء « أحمد شوقي » في صفاته عليه الصلاة والسلام(*) :

نعم اليتيم بدت مخايل فضـــله — واليتم رزق بعضـــه وذكاء[١٤٤]
في المهد يستسقي الحيا برجائه — وبقصده تستدفع البأســـاء[١٤٥]
بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم — يعرفه أهل الصـــدق والأمنـــاء
يا من له الأخلاق ما تهوى العلا — منهـــا وما يتعشـــــق الكبراء
لو لم تقم دينا ، لقامت وحدها — دينـــا تضيء بنـــوره الآنـــــاء
زانتك في الخلق العظيم شمائل — يغـــــرى بهن ويولع الكرمـــاء
أما الجمال ، فأنت شمس سمائه — وملاحة (الصديق) منك أياء[١٤٦]
والحسن من كرم الوجوه ، وخيره — ما أوتي القـــــواد والزعمـــاء
فاذا سخوت بلغت بالجود المدى — وفعلت ما لا تفعل الأنـــواء[١٤٧]
واذا عفوت فقادرا ، ومقـــدرا — لا يستهين بعفـــــوك الجهـــلاء
واذا رحمت فأنت أم ، أو أب — هـــذان في الدنيا همـــا الرحماء
واذا غضبت فانما هي غضـــبة — في الحق ، لا ضغن ولا بغضاء[١٤٨]

---

(١٤٢) جلالته : عظم قدره ، حشم : خدم .

(١٤٣) الطيب : كل ذي رائحة عطرة ، يعدل : يساوي ، طوبى : معناها الحسنى والسعادة والجنة ، منتشق : شام ، ملتثم : مقبل ، أي السعادة لمن يشمه ويقبله . (عن « البردة المباركة » ـــ نشر كتاب التحرير) .

(*) من قصيدته « الهمزية النبوية » ..

(١٤٤) المخيلة : المظنة .

(١٤٥) استسقى الرجل : طلب السقي ، والحيا : المطر .

(١٤٦) أياء الشمس واياتها : نورها وحسنها .

(١٤٧) النوء : المطر . (١٤٨) الضغن : الحقد .

واذا رضيت فذاك فى مرضاته ... ورضا الكثير تحلم ورياء[149]
واذا خطبت فللمنابر هزة ... تعرو الندى ، وللقلوب بكاء[150]
واذا قضيت فلا ارتياب ، كأنما ... جاء الخصوم من السماء قضاء
واذا حميت الماء لم يورد ، ولو ... أن القياصر والملوك ظماء
واذا أجرت فأنت بيت الله ، ... يدخل عليه المستجير عداء
واذا ملكت النفس قمت ببرها ... ولو أن ما ملكت يداك الشاء
واذا بنيت فخير زوج عشرة ... واذا ابتنيت فدونك الآباء[151]
واذا صحبت رأى الوفاء مجسما ... فى بردك الأصحاب والخلطاء
واذا أخذت العهد أو أعطيته ... فجميع عهدك ذمة ووفاء
واذا مشيت الى العدا فغضنفر ... واذا جريت فانك النكباء[152]
وتمد حلمك للسفيه مداريا ... حتى يضيق بعرضك السفهاء
فى كل نفس من سطاك مهابة ... ولكل نفس فى نداك رجاء[153]
والرأى لم ينض المهند دونه ... كالسيف لم تضرب به الآراء[154]

* * *

● كما يقول فى قصيدته « نهج البردة »(*) :

المادحون وأرباب الهوى تبع ... لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم[155]
مديحه فيك حب خالص وهوى ... وصادق الحب يملى صادق الكلم[156]

---

(١٤٩) التحلم : تكلف الحلم .

(١٥٠) الندى : النادى .

(١٥١) بنى بأهله : زف اليهم ، وابتنى : صار له بنون .

(١٥٢) الغضنفر : الأسد ، والنكباء : ريح بين ريحين .

(١٥٣) سطا : جمع سطوة .

(١٥٤) نضا السيف من غمده : سله ، والمهند : السيف المطبوع من حديد .

(*) الشوقيات لأحمد شوقى ج ١ ص ١٩٩ — ٢٠١

(١٥٥) تبع : أخبر بالمصدر مبالغة ، وافرده لأنه يستوى فيه الواحد والجمع ، أو على تقدير مضاف ، اى ذوو تبع ، اى مقتدون به . والقدم : التقدم والمنزلة ، وصاحب البردة : هو الامام البوصيرى .

(١٥٦) مديحه حب : أى ناشىء من الحب ، أو ذو حب اى دال عليه .

الله يشـــــهد أنى لا أعارضـــــه
من ذا يعارض صوب العارض العرم[١٥٧]

وانمـــا أنا بعـض الغـــابطين ، ومن
يغبط وليـــك لا يذمم ، ولا يـــلم[١٥٨]

هـــذا مقـام من الرحمـــن مقتبس
ترمى مهـــابته ســـحبان بالبكم[١٥٩]

البـــدر دونك فى حســـن وفى شرف
والبحـــر دونـــك فى خير وفى كرم

شم الجبـــال اذا طاولتهـــا انخفضت
والأنجـم الزهـــر ما واسمتها تسم[١٦٠]

والليث دونـــك بأســـا عنـــد وثبتـــه
اذا مشـيت الى شـاكى الســلاح كمى[١٦١]

تهفـــو اليك ــ وان أدميت حبتهـــا
فى الحرب ــ أفئدة الأبطال والبهم[١٦٢]

محبة الله ألقـــــاها ، وهيبتـــــه
على ابن آمنـــة فى كل مصطدم[١٦٣]

---

(١٥٧) الصوب : الانصباب ومجىء السماء بالمطر ، والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ، والعدم : يريد المطر الشديد .

(١٥٨) الغابط : الذى يتمنى مثل ما للغير ، وليس هذا القدر بمذموم ، ويذمم : يذم .

(١٥٩) البكم : الخرس ، وسحبان : هو سحبان وائل من بنى باهلة ، كان يضرب بفصاحته المثل .

(١٦٠) يقال : واسمه من الحسن فوسمه : غلبه فيه ، انخفاض الجبال : كناية عن أن ظهورها قصيرة بالنسبة لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم وعلو شأنه .

(١٦١) الكمى : لابس السلاح .

(١٦٢) تهفو : هفا الظبى فى المشى يهفو هفوا وهفوانا : أسرع وخف فيه ، والمراد هنا شدة ميل القلوب له وانجذابها اليه ــ صلى الله عليه وسلم ، وحبة القلب : سويداؤه ، والبهم : جمع بهمة وهو الشجاع .

(١٦٣) مصطدم : بمعنى المصدر ، اى الاصطدام ، أو الموضع : أى موضع الاصطدام ، وهو ميدان الحرب .

كأن وجهـــك تحت النقـــع بدر دجـى
يضىء ملتثمـــا ، أو غير ملتثـــم[١٦٤]

بـــدر تطـــلع فى بـــدر فغـــرته
كغـــرة النصر ، تجلو داجى الظلم[١٦٥]

ذكرت باليتـم فى القـــرآن تكرمـــة
وقيمـــة اللؤلؤ المكنـــون فى اليتـم[١٦٦]

الله قســـم بين النـــاس رزقـــهم
وأنت خيرت فى الأرزاق والقســـم[١٦٧]

ان قلت فى الأمـــر : لا ، أو قلت فيه : نعم
فخيرة الله فى « لا » منـــك أو « نعم »

أخـــوك عيسى دعـــا ميتا ، فقـــام لــه
وأنت أحـــييت أجيـــالا من الزمم

والجهل موت ، فان أوتيت معجـــزة
فابعث من الجهــل ، أو فابعث من الرجم[١٦٨]

قالوا : غـــزوت ، ورســـل الله ما بعثـــوا
لقتـــل نفس ، ولا جـــاءوا لسـفك دم

جهـــل ، وتضـــليل أحلام ، وســـفسطة
فتحت بالسيف بعـــد الفتـــح بالقـــلم

---

(١٦٤) النقع : غبار الحرب .

(١٦٥) بدر : موضع بين الحرمين الشريفين ، وفيه كانت الغزوة المشهورة التى دمغ فيها الشرك وأعز الاسلام .

(١٦٦) اليتم فى الناس : فقدان الأب وهو فى الأشياء : التفرد وعدم وجود نظائر لها ، واللؤلؤ اليتيمة : التى لا نظير لها فى العقد : ذكرت باليتم فى القرآن : يشير الى قوله تعـــالى : **« ألم يجدك يتيما فآوى »** وحرك التاء اتباعا لحركة الياء قبلها فى قوله : اليتم ، ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل .

(١٦٧) يشير الى الحديث الذى رواه الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، فقلت : لا يا رب .. ولكن أشبع يوما وأجوع يوما » ..

(١٦٨) والجهل موت : كالترشيح للاســتعارة فى البيت السابق ، وهو تشبيه بليغ ، وأوتيت : خطاب لغير معين ، والرجم : القبر .

لمـا أتى لك عفـــوا كل ذى حســب
تكفـــل السـيف بالجهـــال والعمم[١٦٩]
والشر ان تلقـــه بالخير ضقت بـــه
ذرعـــا ، وان تلقـــه بالشر ينحســـم

* * *

صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدى يا رسول الله ••

يا من بعثك الله رحمة للعالمين •• ووصفك بقوله تعالى : « **لقـــد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** »[١٧٠] •• فأسبغ عليك صفتين من صفاته تعـــالى •• وكنت لأمتك الرحمة المهداة •• والسراج المنير الذى أخرج الله به الناس من الظلمات الى النور •

لقد جعلك الله لنا مثلا أعلا فى الحلم ، والتواضع ، والشفقة ، والرحمة ، والجود ، والكرم •

وكنت لنا القدوة العظمى فى الصبر ، والشكر ، والاجتهـــاد ، والورع ، والحياء ، والتوكل على الله ••

وكما كنت — صلى الله عليك — أخوف الناس من الله فى مقـــام الخوف منه تعالى ، فقد كنت أشجعهم حين تتطلب الشجاعة ويفتقـــد الاقدام ••

فلنتأسى — معشر المسـلمين — بسيرة رسـولنا صلى الله عليه وسلم •• ولنتذكر دائما أن الله تعالى حين مدح أسلافنا ونوه بهم قال — وهو أصدق القائلين : « **لقـــد كان لكم فى رسول الله أســـوة حسنة** »[١٧١] •

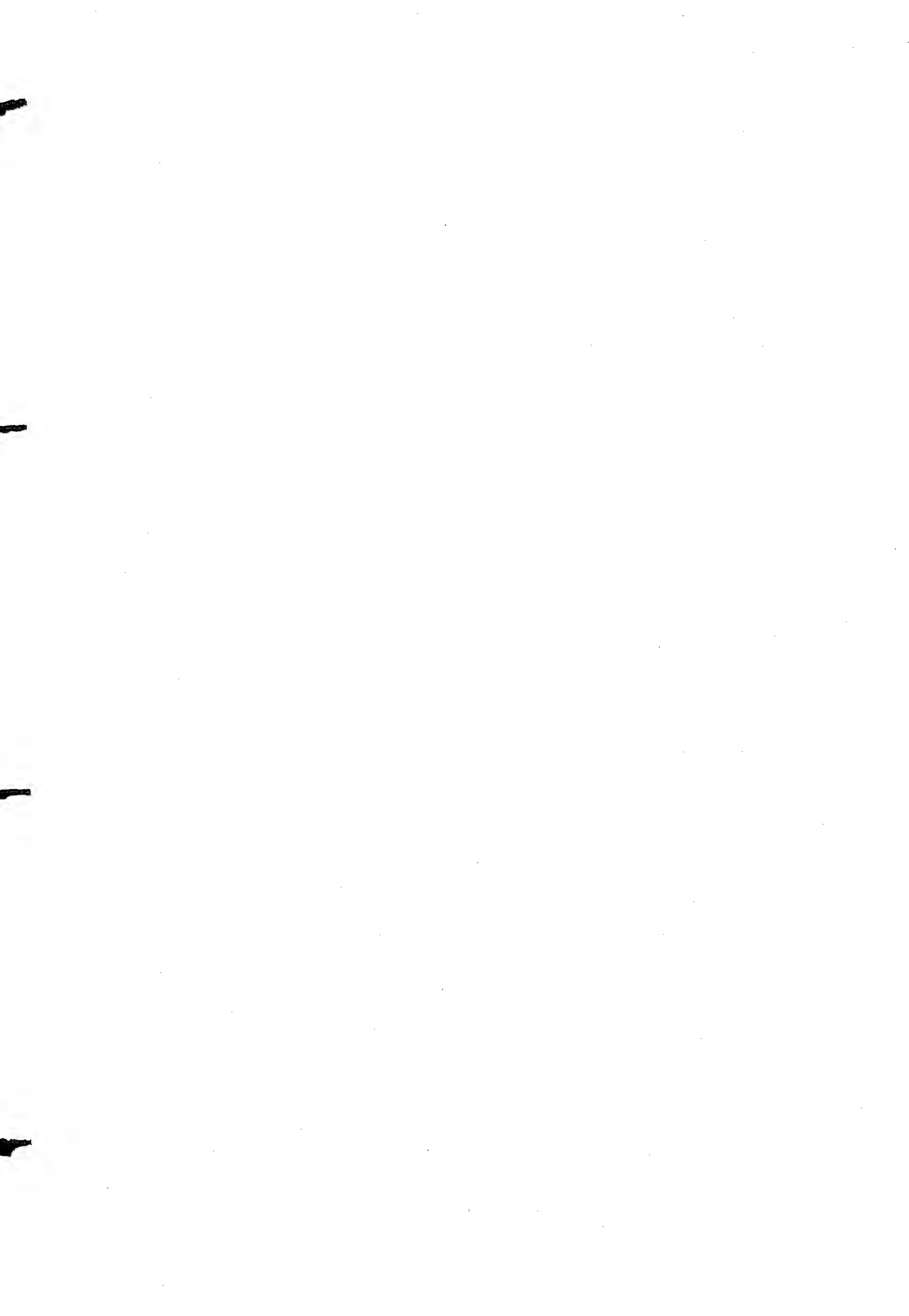
ولنتقدم الى الله تعالى بالحمد كل الحمد •• والشكر كل الشكر أن جعلنا من أمة ذلك الرسول الكريم •• والنبى العظيم •• صلى الله عليه وسلم •

* * *

---

(١٦٩) العمم : اسم جمع للعامة .
عن « الشوقيات » — لأحمد شوقى — ج ١ — ط . المكتبة التجارية الكبرى .

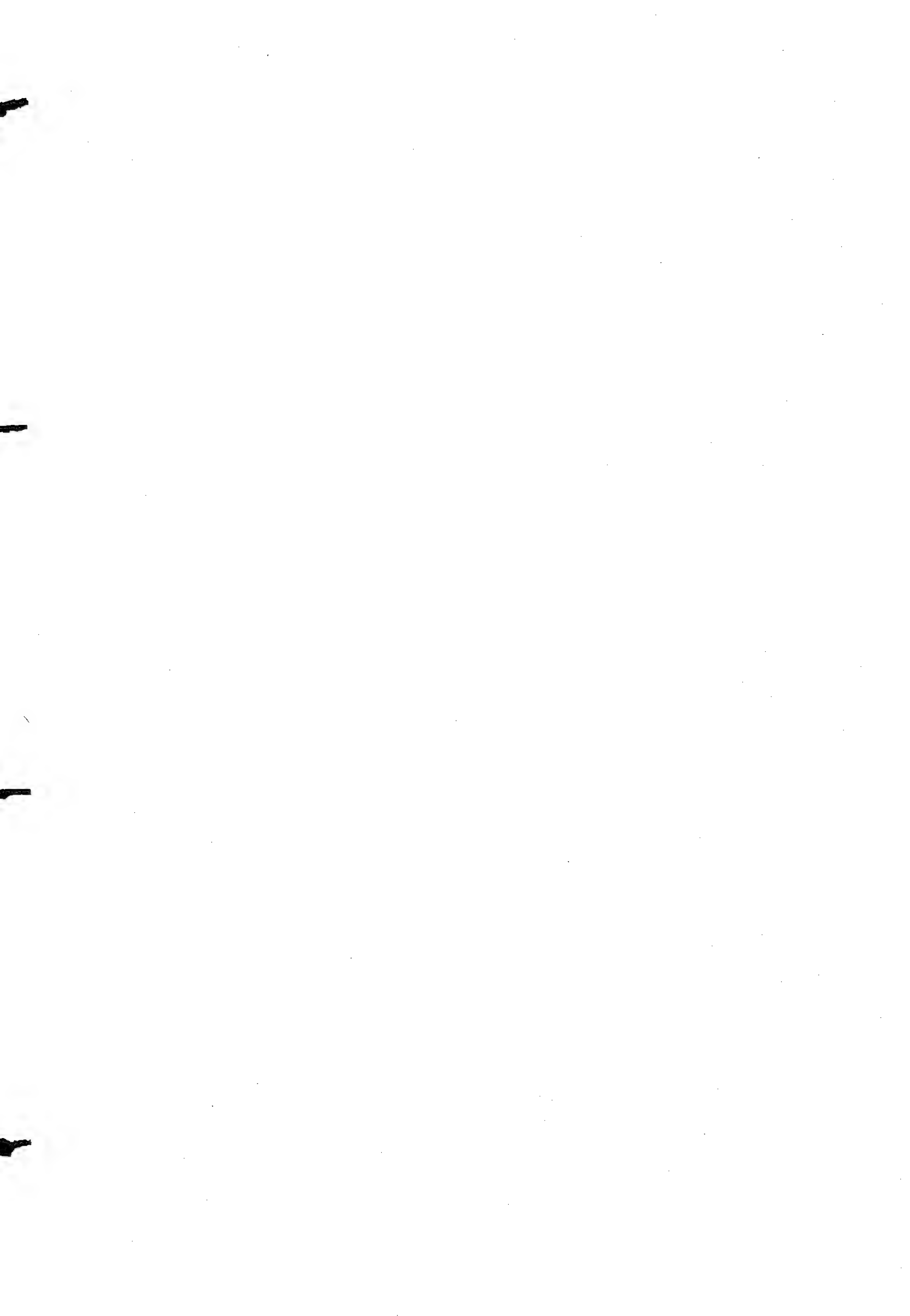
(١٧٠) التوبة : ١٢٨ (١٧١) الأحزاب : ٢١



خاتمة

من وصايا القرآن الكريم

* في العقيدة والعبادات .
* في الآداب والفضـــائل .
* في الحلال والحرام .
* في الحدود والكفارات .
* في أحوال الأسرة .
* في المواريث والمعاملات المـــالية .



من وصايا القرآن الكريم

* فى العقيدة والعبادات :

يقول الله تعالى : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون » . (البقرة : ١٧٧)

● « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

(النساء : ٥٩)

● « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض ، لا اله الا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

(الأعراف : ١٥٨)

● « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين ، وان كنتم جنبا فاطهروا ، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » .

(المائدة : ٦)

● « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ، ان الله كان عفوا غفورا » . (النساء : ٤٣)

● « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ❋ فان خفتم فرجالا أو ركبانا ، فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » .

(البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩)

● « واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ، ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ❋ واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم ، وخذوا حذركم ، ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا ❋ فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ، فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ، ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

(النساء : ١٠١ — ١٠٣)

● « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ❋ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ❋ واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين » .

(الجمعة : ٩ — ١١)

● « يسألونك ماذا ينفقون ، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما تفعلوا من خير فان الله به عليم » .

(البقرة : ٢١٥)

● « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، والكافرون هم الظالمون » .

(البقرة : ٢٥٤)

● « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم * الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعـــون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم * يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين * ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير » •

(البقرة : ٢٦١ ـــ ٢٦٥)

● « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وممـــا أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد * الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم » •

(البقرة : ٢٦٧ ، ٢٦٨)

● « وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ، وما للظالمين من أنصار * ان تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير * ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ، وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون * للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا ، وما تنفقوا من خير فان الله به عليم * الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » •

(البقرة : ٢٧٠ ـــ ٢٧٤)

● « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا * الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا * والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا * وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ، وكان الله بهم عليما » .

(النساء : ٣٦ — ٣٩)

● « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، و أن تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون * شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون * واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون * أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

(البقرة : ١٨٣ — ١٨٧)

● « وأتموا الحج والعمرة لله ، فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ، ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن

لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ، ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ، واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب * الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب * ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ، فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين * ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم * فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ، فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار • أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب * واذكروا الله فى أيام معدودات ، فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه ، لمن اتقى ، واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون » •

(البقرة : ١٩٦ ــ ٢٠٣)

● « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ، ان الله يحكم ما يريد * يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، واذا حللتم فاصطادوا ، ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب » •

(المائدة : ١ ، ٢)

*** فى الآداب والفضائل :**

يقول الله تعالى :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما * انها ساءت مستقرا ومقاما * والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا

وكان بين ذلك قواما * والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما * ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا * والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما * والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما * خالدين فيها ، حسنت مستقرا ومقاما » .

(الفرقان : ٦٣ — ٧٦)

● « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم » .

(آل عمران : ١٠٢ — ١٠٥)

● « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » .

(الأنفال : ٢ — ٤)

● « لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا * وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا * ربكم أعلم بما فى نفوسكم ، ان تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفورا * وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا * ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان

الشيطان لربه كفـــورا ✽ واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ✽ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ✽ ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، انه كان بعباده خبيرا بصيرا ✽ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئا كبيرا ✽ ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا ✽ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل ، انه كان منصـــورا ✽ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولا ✽ وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا ✽ ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفـــؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ✽ ولا تمش فى الأرض مرحا ، انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا • كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ✽ ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا » •

(الاسراء : ٢٢ ــ ٣٩)

● « قد أفلح المؤمنون ✽ الذين هم فى صلاتهم خاشعون ✽ والدين هم عن اللغو معرضون ✽ والذين هم للزكاة فاعلون ✽ والذين هم لفروجهم حافظـــون ✽ الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ✽ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئـــك هم العادون ✽ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ✽ والذين هم على صلواتهم يحافظون ✽ أولئك هم الوارثون ✽ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » •

(المؤمنون : ١ ــ ١١)

● « الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات ، والطيبـــات للطيبين والطيبون للطيبات ، أولئك مبرأون مما يقولون ، لهم مغفـــرة ورزق كريم ✽ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ✽ فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيـــل لكم ارجعوا فارجعوا ، هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم ✽ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون

وما تكتمون * قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النســاء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعــلكم تفلحون * وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليــم * وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ، والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ، ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ، ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم » •

(النور : ٢٦ ــ ٣٣)

● « يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات ، والله عليم حكيم * واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته ، والله عليم حكيم * والقواعد من النساء اللاتى لا يرجــون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وأن يستعففن خير لهن ، والله سميع عليم * ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ، ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا ، فاذا دخلتم بيوتا فســلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون » •

(النور : ٥٨ ــ ٦١)

● « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ، ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا * وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا * واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ، ان الله كان لطيفا خبيرا * ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .

(الأحزاب : ٣٢ ــ ٣٥)

● « يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ؛ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما » .

(الأحزاب : ٥٩)

● « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * واعلموا أن فيكم رسول الله ، لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون * فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين * انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون * يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ، فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم * يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

(الحجرات : ٦ ــ ١٣)

❋ فى الحلال والحرام :

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ❋ انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا أثم عليه ، ان الله غفور رحيم » . (البقرة : ١٧٢ ، ١٧٣)

● « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق ، اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ؛ فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم ❋ يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ، فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ، واتقوا الله ، ان الله سريع الحساب ❋ اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ؛ والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ، ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

(المائدة : ٣ ــ ٥)

● « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين ❋ وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » . (المائدة : ٨٧ ، ٨٨)

● « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ❋ انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون ❋ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ❋ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » . (المائدة : ٩٠ ــ ٩٣)

● « ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين * فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين * وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه ، وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ، ان ربك هو أعلم بالمعتدين * وذروا ظاهر الاثم وباطنه ، ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون * ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق ، وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ، وان أطعتموهم انكم لمشركون » .

(الأنعام : ١١٧ ــ ١٢١)

● « قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم » .

(الأنعام : ١٤٥)

● « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

(الأنعام : ١٥١ ــ ١٥٣)

● « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون * قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » .

(الأعراف : ٣٢ ، ٣٣)

● « الذين ينفقون أموالهم بالليـــل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ، ومن عاد فأولئك أصـــحاب النار ، هم فيها خالدون * يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب كل كفار أثيم * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين * فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلـــكم رؤوس أموالـــكم لا تظلمون ولا تظلمون * وأن كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لـــكم ، ان كنتم تعلمون * واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

(البقرة : ٢٧٤ ــ ٢٨١)

● « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون * وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليـــكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة ، انما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيـــه تختلفون * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، ولتسئلن عما كنتم تعملون * ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ، ولـــكم عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ، انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمـــون * ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق ، ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون * من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

(النحل : ٩٠ ــ ٩٧)

* * *

* فى الحدود والكفارات :

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن أعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

(البقرة : ١٧٨ ، ١٧٩)

● « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

(البقرة : ١٩٤)

● « واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ، فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا * واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ، فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ، ان الله كان توابا رحيما * انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليما حكيما * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما » .

(النساء : ١٥ — ١٨)

● « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم * الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم » .

(المـــائدة : ٣٣ ، ٣٤)

● « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم * فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم » . (المـائدة : ٣٨ ، ٣٩)

● « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » . (المـائدة : ٤٥)

● « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم ، واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » . (المـائدة : ٨٩)

● « يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم * يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عـدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام * أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسـيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ، واتقوا الله الذى اليه تحشرون * جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهـدى والقلائد ، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شىء عليم » . (المـائدة : ٩٤ — ٩٧)

● « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين * الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين * والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون * الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفـور رحيم * والذين يرمون

أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين * والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين * ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين » .

(النور : ٢ — ٩)

● « الذين يظاهرون من نسائهم ماهن أمهاتهم ، ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم ، وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ، وان الله لعفو غفور * والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما تعملون خبير * فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله ، وللكافرين عذاب أليم » . (المجادلة : ٢ — ٤)

* * *

* فى أحوال الأسرة :

يقول الله تعالى :

« ويسألونك عن اليتامى ، قل اصلاح لهم خير ، وان تخالطوهم فاخوانكم ، والله يعلم المفسد من المصلح ، ولو شاء الله لأعنتكم ، ان الله عزيز حكيم * ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ، أولئك يدعون الى النار ، والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ، ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون * ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ، وقدموا لأنفسكم ، واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ، وبشر المؤمنين * ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس ، والله سميع عليم * لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم ، والله غفور حليم * للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر ، فان فاءوا فان الله غفور رحيم * وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم *

والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا ، ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ، والله عزيز حكيم * الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون * فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون * واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شىء عليم * واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون * والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير * والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ، فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف ، والله بما تعملون خبير * ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم ، علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا ، ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ، واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور حليم * لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره

متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين * وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، ان الله بما تعملون بصير » . (البقرة : ٢٢٠ — ٢٣٧)

● « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج ، فان خرجن فلا جناح عليكم فى ما فعلن فى أنفسهن من معروف ، والله عزيز حكيم * وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين * كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » .

(البقرة : ٢٤٠ — ٢٤٢)

● « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا * وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا * وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا * وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » .

(النساء : ١ — ٤)

● « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا * وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا * ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف ، انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا * حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين

الأختين الا ما قد سلف ، ان الله كان غفورا رحيما * والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم ، كتاب الله عليكم ، وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين ، فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ، ان الله كان عليما حكيما * ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، والله أعلم بايمانكم ، بعضكم من بعض ، فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان ، فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، ذلك لمن خشى العنت منكم ، وأن تصبروا خير لكم ، والله غفور رحيم * يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا » •

(النساء : ١٩ ــ ٢٨)

● « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ، واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا * وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا » •

(النساء : ٣٤ ، ٣٥)

● « ويستفتونك فى النساء ، قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط ، وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما * وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ، وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا * ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما * وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما » •

(النساء : ١٢٧ ــ ١٣٠)

● « وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم * وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ، والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ، ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا . ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم » . (النور : ٣٢ ، ٣٣)

● « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله » . (الأحزاب : ٣٣)

● « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ، فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا » . (الأحزاب : ٤٩)

● « يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ، واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا * فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ، ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شىء قدرا * واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا * ذلك أمر الله أنزله اليكم ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا * أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، وأتمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتم فسترضع له أخرى * لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا » .

(الطلاق : ١ — ٧)

* * *

* فى المواريث والمعاملات المـالية :

يقول الله تعالى :

● « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف ، حقا على المتقين * فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ، ان الله سميع عليم * فمن خاف من موص جنفا أو اثما فأصلح بينهم فلا اثم عليه ، ان الله غفـور رحيم » . (البقرة : ١٨٠ ــ ١٨٢)

● « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذى عليـه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء اذا ما دعـوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا اذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وان تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ، ويعـلمكم الله ، والله بكل شىء عليم * وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ، فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليـم » . (البقرة : ٢٨٢ ــ ٢٨٣)

● « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ، واتقوا الله لعلكم تفلحون » . (آل عمران : ١٣٠)

● « وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا * وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا » . (النساء : ٢ ، ٣)

● « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ، ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ، فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسيبا * للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر ، نصيبا مفروضا * واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا * وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا * ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا * يوصيكم الله فى أولادكم ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ، فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ، فان كان له اخوة فلأمه السدس ، من بعد وصية يوصى بها أو دين ، آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فريضة من الله ، ان الله كان عليما حكيما * ولكم نصف ما ترك أزواجكم أن لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ، من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم ، من بعد وصية توصون بها أو دين ، وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث ، من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ، وصية من الله ، والله عليم حليم * تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » . (النساء : ٦ — ١٤)

● « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما * ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا ، وكان ذلك على الله يسيرا * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما * ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم

على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شيء عليما * ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون ، والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ، ان الله كان على كل شيء شهيدا » .

(النساء : ٢٩ — ٣٣)

● « يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ، ان امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ، وهو يرثها ان لم يكن لها ولد ، فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين ، يبين الله لكم أن تضلوا ، والله بكل شيء عليـــم » .

(النساء : ١٧٦)

● « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت ، تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذن لمن الآثمين * فان عثر على أنهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذن لمن الظالمين * ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم ، واتقوا الله واسمعوا ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

(المـــائدة : ١٠٦ — ١٠٨)

* * *

كلمة ختام ..

« الحمد لله الذى هدانا لهـذا ، وما كنا لنهتـدى لولا أن هـدانا الله » ..

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد .. كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم .. وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد .. كما باركت على سيدنا ابراهيم .. وعلى آل سيدنا ابراهيم .. فى العالمين .. انك حميد مجيد ..

وبعد ...

فيقول العبد الفقير الى الله تعالى .. راجى عفوه وغفرانه : محمد الأنور بن أحمد أحمد ابراهيم البلتاجى :

هذا ما من به الله علينا بفضله وكرمه .. فان كنت قد قصرت وأهملت فمن نفسى ومن الشيطان ..

وان كنت قد أصبت فمن الله وحده ..

تحدثنا فى الفصل الأول : عن الحكيم والحكمة .. فذكرنا ما كان من أمر لقمان — رضى الله عنه — عن أصله وجنسه وصناعته .. وبحثنا فى هل كان نبيا أم وليا .. وعرضنا لنماذج من وصاياه ..

ثم تحدثنا عن الحكمة .. ما هى ؟ .. وماذا عنى بها القـران الكريم .. وماذا يعنى من وصف النبوة والأنبياء بالحكمة .. مع ذكر للحكمة لدى بعض الأنبياء عليهم السلام .. ونماذج من حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم ..

وفى الفصل الثانى : تحدثنا عن أولى الوصايا على الاطلاق .. وهى النهى عن الشرك بالله تعالى وافراده وحده بالربوبية ..

وكان طبيعيا ونحن نتحدث عن الشرك الأكبر وهو شرك العبادة .. أن نتعرض لعبادة الأصنام .. وعبادة النجوم والكواكب .. وعبادة مظاهر الطبيعة .. ثم عبادة الملوك والفراعين .. وكيف دخل الشرك فى الأديان السماوية كاليهودية والنصرانية وخرجنا من ذلك الى أن تعظيم الموتى كان هو أول طريق الى الاشراك بالله ..

ثم انتقلنا الى الشرك الأصغر •• وهو شرك العقائد •• فذكرنا أن الرياء فى العبادات من الشرك •• وأثبتنا أن النذر لغير الله والتوجه الى غيره بالدعاء •• واتخاذ التمائم والتولة •• وادعاء علم الغيب •• والايمان بالسحر واتيان العرافين والكهنة •• واستحلال أكل ما حرم الله والتشريع فى دين الله بغير ما أنزل •• كلها من مظاهر الشرك ••

وخلصنا الى أن الشرك ظلم عظيم •• ظلم من الانسان لنفسه قبل أن يكون ظلما لغيره ••

وفى الفصل الثالث •• وخصصناه للبر بالوالدين •• ذكرنا أن شكر الله مقرون بشكر الوالدين •• وأن من شكر الله تعالى ولم يشكر لوالديه فما شكر الله •• وتحدثنا عن بر الأم وطاعتها وأنه مقدم على الطاعات والقربات •• كما أن غضبها يحبط العمل •• لما تتحمله فى حملها ووضعها وتربيتها لأولادها من وهن على وهنها الطبيعى الذى خلقها الله عليه ••

كما ذكرنا أن البر بالوالدين يرفع الكربات ويزيد فى الرزق ويطيل فى العمر •• كما أن سب الآباء والأمهات وعقوقهم من الكبائر التى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها •• وأثبتنا أن البر بالوالدين يكون بطاعتهما فى كل أمر •• وتعرضنا الى وجوب الانفاق على الوالدين وايثارهما بكل خير •• وأن البر بهما واجب ولو كانا مشركين •• ثم تحدثنا عن صلة الرحم ووجوبها ••

واذ كان كل حق يقابله واجب •• فقد رأينا أن نتحدث عن واجبات الآباء نحو أبنائهم •• وختمنا الفصل بنماذج من الوصايا الخالدة •• فعرضنا جانبا من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه •• كما أثبتنا وصية أعرابية لابنتها ليلة زفافها الى جانب وصية حكيم لابنته ••

وفى الفصل الرابع •• وعنوانه « المرجع الى الله » •• تعرضنا للقضايا الغيبية التى تبدأ برحلة القدوم منذ نشأة الانسان جنينا فى بطن أمه •• الى خروجه للحياة الدنيا •• ثم انتقلنا الى رحلة العودة •• فذكرنا أحوال الميت •• وواجبات الأحياء نحو موتاهم •• ثم بدأنا فى رحلة العودة الى الله •• بذكر أحوال الاحتضار وسؤال القبر •• والأحكام المتعلقة بزيارة القبور وما يتعلق بها من نهى عن البناء فوقها وتجصيصها وتحريم تعظيمها ••

ثم صحبنا الروح فى عالم البرزخ •• وتحدثنا عن بعض أمارات القيامة الصغرى والكبرى •• والبعث •• والنشــور •• والحساب •• الى أن وصلنا مع الروح الى نهاية المطاف •• فاما الى جنة عرضــها السموات والأرض أعدت للمتقين •• واما الى نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ••

وفى الفصل الخامس : عالم الغيب والشهاده — تحدثنا عن غيب السموات والأرض — وعن بعض أسماء الله تعالى : العليم والسميع والبصير ، واللطيف والخبير •• والقادر والمقتدر •• وخرجنا من ذلك الى أنه لا يعلم الغيب الا الله تعالى ••

فالملائكة لا يعلمون الغيب •• وكذا الأنبيــاء والجن لا يعلمون الغيب •• ثم انتقلنا الى بعض المزاعم والأباطيل التى ألصقت زورا بالاسلام •• وتحدثنا عن علم الظاهر وعلم الباطن •• وعن أهل الشريعة وأهل الحقيقة •• وتعرضنا لمسألة الخضر عليه السلام •• هل كان نبيا أم وليا •• لنخرج من ذلك الى مناقشة مسألة التصوف فى الاسلام •• فبحثنا فى تعريفه وأصله ونشأته •• وعرضنا آراء بعض العلمـاء الأجلاء الذين تحدثوا فى هذه المسألة الشائكة •• وختمنا الفصل بالحديث عن السحر والكهانة وادعاء معرفتهم للغيب ••

وخصصنا الفصل السادس للحديث عن الصلاة •• والزكاة •• فعرضنا أحكام الصلاة من طهارة ووضوء وآذان وصلاة مكتوبة ومسنونة ومندوبة •• وتحدثنا عن آداب الصلاة واقامتها •• وكيف كانت صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ••

ثم انتقلنا الى الزكاة •• وهى العبادة التى قرنها الله فى كتابه بالصلاة •• لأنه من فرق بين الصلاة والزكاة كان خارجا عن الاسلام ••

فتحدثنا عن الحل الاسلامى لمشكلة الفقر •• وكيف وجده فى الزكاة •• وكان لزاماً علينا أن نتحدث عن الأصناف الواجب فيها الزكاة وشروط وجوبها والآداب الباطنة لها •• الى جانب الآداب الباطنة لآخذ الزكاة والصدقة ••

وختمنا الفصل بالحديث عن انفاق الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين •• وما ذكر عن الشح والبخل وعقوبة تارك الزكاة ••

وفى الفصل السابع : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• تحدثنا عن مجتمع الاسلام وكيف كان مجتمعا فاضلا يدعو الى الفضائل ويحث عيها •• كما عرضنا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •• والشروط اللازمة فى الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر •• واستشهدنا بقبس من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ••

وفى الفصل السابع : بينا أن الاسلام يحث على الصبر •• فعرضنا لمراتبه وأسمائه وأقسامه •• وأن المؤمن يبتلى على حسب دينه •• ثم تحدثنا عن أنواع الصبر •• من الصبر على تنفيذ الأوامر والطاعات •• الى الصبر على المناهى والمخالفات •• والصبر على الأقدار والأقضية •• والصبر على الأمراض وموت الأولاد والأقارب والأحباب •• الى الصبر على الفقر والجوع •• والصبر على الأذى فى سبيل الله •• والصبر على هوى النفس ••

وختمنا حديث الصبر بالحديث عن صبر أيوب عليه السلام •• مضرب الأمثال فى الصبر ••

وخصصنا الفصل التاسع : للحديث عن الكبر والاختيال •• وما جاء فى ذمهما •• وتقسيم آفات الكبر •• كما تحدثنا عن العجب والغرور •• وعلاج الكبر والعجب •• ثم ما كان من عاقبة تكبر قارون وبغيه ••

أما الفصل العاشر : وعنوانه « التواضع من صفات الرسل » •• فقد تحدثنا فيه عن جانب من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم •• من تواضعه وحلمه وشفقته •• وحيائه وجوده وكرمه •• وصبره وشكره واجتهاده •• وورعه وتوكله •• وخوفه من الله وبكائه •• وشجاعته وبركته صلى الله عليه وآله وسلم •

وختمنا الفصل ببعض ما قيل فى مدحه صلى الله عليه وسلم فى البردة المباركة ، والهمزية ، ونهج البردة مما يتناسب مع بقية الفصل •

ثم ختمنا الكتاب •• بخير ما يختتم به •• فأوردنا بعض الآيات التى جاء بها القرآن الكريم عن العقيدة والعبادات •• والآداب والفضائل •• والحلال والحرام •• والحدود والكفارات •• وأحوال الأسرة •• والمواريث والمعاملات المالية ••

فلله تعالى الحمد والشكر على جليل نعمه وعظيم فضله •• فهو وحده صاحب الفضل والمنة والكرم ••

* * *

وكان الفراغ من طبعه بمطابع دار التراث العربى للطباعة والنشر لصاحبها « أحمد حمدى أحمد شعبان » فى يوم الخميس ٢٨ رمضان سنة ١٤٠٤هـ — الموافق ٢٨ يونية سنة ١٩٨٤م •

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل المتواضع خالصا لوجهه تعالى •• وأن يغفــر لى ولوالدى وللمؤمنين •• وأن يجعله فى ميزان حسناتى : **« يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم »** •

انه تعالى سميع الدعاء •• مجيب الرجاء •• وهو على كل شىء قدير ••

« ربنا تقبل منا ، انك أنت السميع العليم » ••

وآخــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ••

محمـــد الأنور البلتاجى

* * *

أهم المراجع

١ ــ القرآن الكريم •

٢ ــ الأحاديث القدسية ــ نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية •

٣ ــ الحياة الأخرى : للدكتور عبد الرزاق نوفل ــ نشر مكتبة الأنجلو المصرية •

٤ ــ أسباب النزول : للنيسابورى ــ نشر دار الكتب العلمية ببيروت •

٥ ــ أسد الغابة فى معرفة الصحابة : لابن الأثير ــ نشر دار الشعب •

٦ ــ أسرار الصلاة ومهماتها : للامام الغزالى ــ نشر دار التراث العربى •

٧ ــ الاسلام : للأستاذ سعيد حوى ــ نشر مكتبة وهبة •

٨ ــ اغاثة اللهفان من مكائد الشيطان : لابن قيم الجوزية ــ نشر دار التراث العربى •

٩ ــ الأغانى : لأبى الفرج الأصفهانى ــ نشر دار الشعب •

١٠ ــ الأنثى : للدكتور أحمد محمد كمال •

١١ ــ الترغيب والترهيب : للمنذرى ــ نشر دار احياء التراث العربى ببيروت •

١٢ ــ التصوف الاسلامى بين الدين والفلسفة : للدكتور ابراهيم هلال ــ نشر دار النهضة العربية •

١٣ ــ تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ــ نشر دار التراث العربى •

١٤ ــ تفسير المنار : للشيخ محمد عبده ــ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب •

١٥ ــ تلبيس ابليس : لابن الجوزى ــ نشر المؤسسة السعودية المصرية •

١٦ ــ التوهم : للحارث المحاسبى ــ نشر دار التراث العربى •

١٧ ــ الجامع الصحيح : للامام مسلم ــ نشر دار التحرير •

١٨ ــ الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى ــ نشر دار الشعب •

١٩ ـــ حق الآباء على الأبناء : للشيخ طه عبد الله العفيفى ـ نشر دار الاعتصام •
٢٠ ـــ حق الله على العبـــاد : للشيخ طه عبد الله العفيفى ـ نشر دار الاعتصام •
٢١ ـــ حياة الصحابة ـ للكندهلوى ـ نشر دار التراث العربى •
٢٢ ـــ الرسول صلى الله عليه وسلم : للأستاذ سعيد حوى ـ نشر مكتبة وهبة •
٢٣ ـــ رياض الصالحين : للنووى ـ نشر دار التراث العربى •
٢٤ ـــ الروح : لابن قيم الجوزية ـ نشر دار عمر بن الخطاب •
٢٥ ـــ الزواج المثالى : د • فان دفلد ـ ترجمة محمد فتحى ـ نشر دار الخانجى •
٢٦ ـــ سلطان العارفين •• أبو يزيد البسطامى : للشيخ عبد الحليم محمود ـ نشر دار التراث العربى •
٢٧ ـــ سيد الشهداء •• الامام الحسين رضى الله عنه : للأستاذ موسى محمد على ـ نشر دار التراث العربى •
٢٨ ـــ سيرة النبى : لابن هشام ـ نشر دار التراث العربى •
٢٩ ـــ صحيح البخارى : للامام البخارى ـ نشر دار الشعب •
٣٠ ـــ الطبقات الكبرى •• المسماة بلواقح الأنوار فى طبقات الأخيار : للشعرانى ـ نشر مصطفى البابى الحلبى •
٣١ ـــ الطريق الى الهداية : لابن قيم الجوزية ـ نشر دار التراث العربى •
٣٢ ـــ عدة الصابرين : لابن قيم الجوزية ـ نشر دار التراث العربى •
٣٣ ـــ عقيدة المسلم : للشيخ محمـــد الغزالى ـ نشر دار الكتب الاسلامية •
٣٤ ـــ علم الحديث : لابن تيمية ـ نشر دار الكتب الاسلامية •
٣٥ ـــ فقه السنة : للشيخ السيد سابق ـ نشر دار التراث العربى •
٣٦ ـــ الفقه على المذاهب الأربعة (العبادات) ـ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب •
٣٧ ـــ قصص الأنبياء : لابن كثير ـ نشر دار التراث العربى •
٣٨ ـــ الكبائر : للذهبى ـ نشر دار التراث العربى •

٣٩ ــ كيف ندعو الناس : للأستاذ عبد البديع صقر ــ نشر مكتبة وهبة •
٤٠ ــ ليس من الاسلام : للشيخ محمد الغزالى ــ نشر دار الكتب الاسلامية •
٤١ ــ مختصر منهاج القاصدين : لابن قدامة ــ نشر دار التراث العربى •
٤٢ ــ المسند : للامام أحمد بن حنبل ــ نشر دار الاعتصام •
٤٣ ــ مع الله فى أسمائه الحسنى : للدكتور عبد الرزاق نوفل ــ نشر المركز الثقافى العربى للنشر والتوزيع •
٤٤ ــ المنتخب من تفسير القرآن الكريم ــ نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية •
٤٥ ــ من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم : للشيخ طه عبد الله العفيفى ــ نشر دار التراث العربى •
٤٦ ــ الموطأ : للامام مالك ــ نشر دار الشعب •
٤٧ ــ الوصايا الخالدة : للأستاذ عبد البديع صقر ــ نشر مكتبة وهبة •
٤٨ ــ يوم القيامة : للدكتور عبد الرزاق نوفل ــ نشر دار الشعب •
٤٩ ــ البردة المباركة : للامام البوصيرى ــ نشر كتاب التحرير •
٥٠ ــ الشوقيات : لأحمد شوقى ــ جـ ١ ــ نشر المكتبة التجارية الكبرى •



محتويات الكتاب

الفصل الأول : الحكيم والحكمة
(١٣ — ٥٢)

الصفحة

الفصل الثانى : أولى الوصايا
(٥٣ ــ ٩٩)

الفصل الثالث : ووصينا الانسان بوالديه
(١٠١ ــ ١٥٦)

الصفحة

الفصل الرابع : المرجع الى الله
(١٥٧ ـ ٣٥٣)

الصفحة

الصفحة

الفصل الخامس : عالم الغيب والشهادة

(٣٥٥ ـــ ٤٩٢)

الصفحة

الفصل السادس : الصلاة .. الصلاة !!
(٤٩٣ ـ ٦٥٢)

الصفحة

الصفحة

الفصل السابع : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
(٦٥٣ ـ ٦٩١)

الفصل الثامن : واصبر على ما اصابك
(٦٩٣ ـ ٧٤٧)

الصفحة

الفصل التاسع : الكبر .. والاختيال
(٧٤٩ ـــ ٧٧٠)

الفصل العاشر : التواضع .. من صفات الرسل
(٧٧١ ـــ ٨٢٠)

خاتمة : من وصايا القــرآن الكريم
(٨٢١ — ٨٤٩)

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

● بحمد الله وتوفيقه — تقوم «دار التراث العربى» بطبع ونشر كتب التراث القديم المحققة تحقيقا علميا •• بالاضافة الى روائع مؤلفات المحدثين من ذوى الخبرة العلمية بالشئون الاسلامية فى مختلف المجالات ••

وعندما نقوم بتأدية هذه الرسالة •• ليس لنا قصد من ورائها سوى خدمة القارىء المسلم •• وتيسير حصوله على الكتاب الاسلامى بسعر يكون فى متناول الجميع ••

● ويسر الدار أن تتقدم بخدماتها للسادة المؤلفين والناشرين لطباعة مؤلفاتهم •• وذلك على أرقى أنواع الورق •• بواسطة أحدث آلات الجمع الآلى وماكينات الطباعة الحديثة •• بالاضافة الى صفوة الخبرة المصرية ••

● كما يسرنا أن نعلن بأن مكتبة الدار — بميدان المشهد الحسينى — وفرعها بأول الصناديقية بالقاهرة — تحتوى على مجموعة كبيرة من المصاحف الفاخرة بمختلف الأحجام والخطوط •• ومجلدة بالجلد المحلى بالذهب الحر داخل علب مكسوة بالقطيفة •• ومطعمة بالصدف برسوم بديعة فخمة •• تتناسب مع جميع الأذواق والامكانيات ••

● كما توجد بالمكتبة جميع مطبوعات دور النشر الأخرى •• التى تشمل أحدث ما ظهر فى جميع العلوم ومختلف الفنون ••

● وتعنى المكتبة عناية خاصة بجميع كتب التراث •• وبها قسم خاص يحتوى على النادر من المطبوعات •• كما أن المكتبة مستعدة لشراء كتب التراث القديم بأسعار لا تقبل المنافسة ••

● ولا يسعنا ازاء ما نلاقيه من عملائنا الكرام — من معونة وتشجيع وحسن استقبال لمطبوعاتنا — الا أن نتقدم لهم بواجب الشكر والعرفان •• وأن نقطع على أنفسنا العهد بمداومة السير على هذا الطريق •• باذلين الجهد لاخراج المفيد النافع للأمة الاسلامية ••

وعلى الله قصد السبيل •• ومنه وحده نستمد العون والتوفيق •••

٢٨ / ٦ / ١٩٨٤

دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع

أحمد حمدى أحمد شعبان